TEXT PROBLEM WITHIN THE BOOK ONLY

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190928

UNIVERSAL
LIBRARY

رواية
ام
روكامبول

الجزء الاول

ربيبة الدير

تاليف

بونسون دي تيرايل

تعريب

طانيوس عبده

احد صاحبي جريدة الشرق

ورئيس تحريرها

(ثمنها ثمانية غروش صاغ)

المطبعة التجارية لجريدة الشرق سنه ١٩٠٦

رواية

ام روكامبول

الجزء الاول

(مقدمة)

١

ربيبة الدير

دقت نواقيس الدير قبل ان ينبثق الفجر موءذنة بالصلاة فتهافتت الرهبان الى المصلى

وبينما كان الرهبان يصلون صلاة الفجر كان داغوبير قد بدأ اعماله وامتزجت اصوات مطرقته باصوات الرهبان

ان داغوبير هذا كان حداداً وبيطرياً في ذلك الدير ولكنه لم يكن من الرهبان ولا يتصل منهم بغير الجوار

وهو فتى في الثانية والعشرين من عمره متين القوى واسع الذراعين عظيم الزندين مدمج المفاصل تظهر الشجاعة بين عينيه ولا يخلو وجهه من الجمال

كان والد داغوبير واجداده الى عهد بعيد يتوارثون هذا الاسم توارثهم مهنة الحدادة والبيطرة في جوار الدير حتى كان نبلاء اورليان يقولون لو كان نسب الاسرات بتقادمها لكان هذا الحداد مساويا لنا في الحسب

ثم ان رهبان الدير كانوا يموتون ويحل سواهم محلهم فيه وكذلك اعضاء عائلة داغوبير فانهم كانوا يتوارثون تلك المطرقة وتلك الدكان كما يتوارث الملوك التيجان

ولهذه العائلة حكاية كان يتناقلها الناس كما يتناقلون احاديث الخرافات وهي ان جد هذه العائلة كان بيطارا يتصل تاريخه بعام ١٣٥٠

وكان للكنيسة والنبلاء في ذلك العهد مطلق السلطان فاتفق يوما ان حراس غابات الدير جاءوا بهذا الرجل الى الرئيس مكتوف اليدين واتهموه انه اصطاد ايلا في تلك الغابات فامر رئيس الدير بجلده خمسين سوطا وبدفع غرامة كانت فوق طاقته وسجنه اذ لم يستطع دفعها

واتفق في ذلك اليوم انهم انتخبوا رئيس الاديرة العام والعادة ان الرئيس العام حين ينتخبونه يأتي الى هذا الدير فيقيم فيه يوما ثم يذهب مع رئيسه الى مركز رئاسته العليا

وكان حصان رئيس الدير قد حفت حوافره وليس في تلك القرية بيطار غير داغوبير السجين فامر الرئيس باحضاره من سجنه وامره ان ينعل فرسه فابى الرجل لحقده على الرئيس فقال له اذا اصررت على الرفض امرت بشنقك فاجابه بملء السكينة اني مستعد للموت

فغضب الرئيس ولكنه كان مضطرا الى مرافقة الرئيس الاكبر فكظم غيظه وقال له لماذا لا تريد ان تنعل فرسي

قال لانك اسأت الي ولم تعوضني شيئا

قال اني اصفح عنك واتخلى عن الغرامة التي فرضتها عليك

قال ان هذا التعويض لا يكفيني

قال اذن سل ما تشاء فاني امنحك كل ما تريد

قال اني اريد ان تمنحني ارضا يسير فيها الماشي ثلاث ساعات في اي مكان اردته من املاك الدير

قال قد منحتك

قال واريد ان تاذن لي ببناء منزل ودكان للحيادة

قال قد اذنت لك

قال واريد ان تكون هذه الارض والمنزل والدكان حقا لاعقابي يتوارثونه من بعدي

قال قد منحتك هذا الحق ايضاً ثم كتب له صكا بهذه المنح واتصل له فرسه وتمكن من مرافقة الرئيس العام

وتوالت السنون والقرون فكانت تلك الدكان عند باب الدير لا يشتغل فيها غير اعقاب داغوبير فكانوا مع الرهبان على اتم خير وسلام

اما داغوبير هذا الذي بقي من تلك العائلة في عهد هذه الرواية فهو يدعى جان داغوبير

وقد كان في مقتبل الشباب كما قدمناه ولم يبق من تلك العائلة سواه ومع ذلك فانه كان لا يزال عازبا اما لخوفه من الزواج واما لانه لم يجد بعد من تشاركه في هذا القيد

ولقد قلنا ان كانوا الرهبان يصلون صلوة الفجر وداغوبير يقرع السندان بمطرقته فيوقظ الاطيار من سباتها لان الفجر لم يكن قد انبثق

بعد

وفيما هو على ذلك سمع وقع حوافر جواد فذهل لقدوم هذا الجواد بمثل هذه الساعة وترك مطرقته وقام الى الباب ليرى من القادم فرأى فارساً ينهب الارض بجواده وهو قادم من جهة سولي فقال في نفسه لا شك ان هذا الفارس من النبلاء وهو ذاهب الى قرية سانت البيرت لحضور حفلة العيد

غير ان هذا الفارس لم يتجاوز الدير فانه حين وصل الى دكانه اوقف الجواد ونادى داغوبير فقال له اهنا الدير الذي يدعونه دير ابناء الله ايها الصديق

قال نعم يا سيدي

قال الا يزال الاب جيروم رئيسه

قال نعم

وكان امام هذا الفارس على الجواد فتاة صغيرة فحملها بين يديه وترجل عن الجواد وهو ينظر الى الفتاة نظرة حنو واشفاق ثم دخل بها الى دكان الحداد دون ان يهتم بجواده و ضع الفتاة برفق قرب النار فان البرد كان شديداً قارصاً

وكانت هذه الفتاة زرقاء العينين بارعة الجمال شقراء الشعر فجعل داغوبير ينظر اليها معجبا بهذا الجمال الملائكي

اما الفارس فقد كانت علائم الاضطراب بادية بين عينيه فالتفت الى داغوبير وقال له ارجوك ايها الصديق ان تقرع باب الدير اذ يجب

ان اقابل الاب جيروم في الحال

فقال له داغوبير اني لو قرعت الباب ساعة لما فتح

قال لماذا

قال لان الرهبان مشتغلون الان بصلاة الفجر ونظام الدير لا يؤذن بفتح الباب قبل انتهائها

فاجابه بلهجة الجازع ولكن لا بد لي من مقابلة الرئيس

قال يستحيل ذلك يا سيدي قبل انتهاء الصلاة وهي لا تنتهي الا حين شروق الشمس فيفتح الباب

فتنهد الفارس وقال وانا يستحيل علي الصبر وأسفاه اذ يجب ان اكون عند شروق الشمس بعيدا عن هذا المكان

وكان هذا الفارس في الخمسين من عمره تدل ملابسه على انه من نبلاء الريف وهي من المخمل الاصفر مزدانة بشرائط من الفضة وكانت الوحول قد اتصلت بها مما يدل على انه اجتاز مسافة عظيمة

وكانت الفتاة قد جلست على كرسي قرب النار فلما دفئت تناولت جفناها فاطبقتهما ونامت

فاشفق داغوبير عليها وقال للفارس اتؤذن لي ايها النبيل ان اصعد بها الى سريري فتنام فيه مرتاحة

فلم يجبه الفارس بل خرج من المكان وجعل يقرع الباب بعنف شان القانط فلم يجبه احد ولم يسمع غير اصوات الرهبان يصلون

واستمر يقرع الباب ربع ساعة دون فائدة فعاد الى دكان الحداد

رأى داغوبير دمعة وقعت على صحن خده

اما الفتاة فكانت لا تزال نائمة

٢

كان حزن الفارس شديدا حتى ان داغوبير لم يجسر ان يقول له شيئا عن شأن قرعه باب الدير

اما الفارس فانه دنا من الفتاة فايقظها وداها باسم جنة ففتحت الفتاة عينيها وقالت اني متعبة جدا فدعني انام ثم اطبقت عينيها وانحنى راسها الجميل على كتفها

فنظر الفارس عندذلك نظرة غريبة الى داغوبير وقال له اني اسفك دمي في سبيل فتح باب الدير الان

فتأثر داغوبير تاثيرا عظيما ليأس الفارس وقال له اتريد يا سيدي ان اكسر باب الدير

قال كلا فانا نضيع الوقت وقد اغضب بذلك رئيس الدير وانا في حاجة الى رضاه

ثم نظر الى داغوبير كانما قد خطر له خاطر وقال ماذا تدعى

قال داغوبير

قال أانت من اهل هذه البلاد

قال اني ولدت في هذا البيت وساموت فيه

فنظر اليه ايضا نظرة الفاحص وقال ان هيئتك تدل على انك شريف القلب س

فاجابه داغوبير بلهجة الاعجاب انك لوسالت جميع اهل هذه المقاطعة لما حكموا على عائلة داغوبير الا كما حكمت علي

فتذكر الفارس ذكرى بعيدة وقال له هي اليست عائلتكم التي نالت متياز الاقامة بجوار الدير منذ اربعة قرون

قال نعم

قال لقد وثقت بك الان فان لعائلتكم شهرة بعيدة بالوفاء

قال قل يا سيدي ما تريد فاني ما خدعت احدا ولا ابدأ بخداعك

فنظر الفارس الى الفتاة وقد جال الدمع في عينيه ثم قال لداغوبير ان هذه الفتاة التي تراها ليس لها سواي في هذا الوجود يحميها

قال العالك قريبها

قال اني ابوها وعمها واخوها اذ ليس لها سواي ولكني مضطر الى الافتراق عنها عاما او عامين وربما فارقتها اكثر من ذلك ويجب علي ان اكون في باريس في هذا المساء وان ابرح فرنسا بعد يومين الى اميركا فان شرفي وسعادة هذه الفتاة موقوفان على سفري

قال العالك ياسيدي تريد ابقاءها عند الاب جيروم

قال نعم وساعهد اليك بقضاء هذه المهمة

ثم اخرج خاتما ن اصبعه ومحفظة من جيبه اما الخاتم فقد كان منقوشا عليه شعار النبلاء واما المحفظة فقد كانت محشوة بالاوراق الماليه

فدفع الخاتم والمحفظة الى داغوبير وقال له عندما يفتح باب الدير اذهب بالفتاة الى الاب جيروم واعطه الخاتم والمحفظة فانه متى راى الشعار

على الحليم عرف من انا ومن هي الفتاة

قال سافعل يا سيدي كل ما امرتني به

قال بقي امر وهو اننا في زمن كثر فيه الاضطراب واخذ الشعب يجاهر باستيائه حتى بتنا نخشى هبوب الثورة على ان الشعب اذا ثار فانما يثور على النبلاء والرهبان وقد يتقبض هذا الدير ويعجز الاب جيروم عن حماية الفتاة فهل تتولى حمايتها اذا اتفق ذلك

قال اني احميها كما يحمي الاب بنته في مواقف الشدائد وازود عنها مكروه الشعب فاني من الشعب

فالتفت الفارس فراى صليبا معلقا في الجدار فقال لها اقسم لي بهذا الصليب انك صادق فيما تقول

قال اقسم به وبكل مقدس في السماء اني اسفك دمي قبل ان تسقط شعرة من راسها

قال حسنا والان استودعك الله وارجو ان يقيك ويقي هذه الفتاة

ثم دنا من الفتاة وهو يضطرب حنوا فقبلها وقال لها الوداع ايتها الحبيبه وليحرسك الله فانك من ملائكته . وخرج مسرعا يتبعه داغوبير فصافحه مودعا وامتطى جواده وسار به ينهب الارض فلبث داغوبير واقفا يشيعه حتى توارى عن الانظار

ثم دخل الى دكانه وكان الفجر على وشك البزوغ فكانت الفتاة لا

لا تزال نائمة فحملها بين يديه وصعد بها الى منزله

وكان دانوبير قد احتفظ بسرير امه والقاه على حاله بعد موتها تذكارا لها فانها ماتت منذ خمسة اعوام وقد وضع فوقه صليبا فلما صعد بالفتاه الى تلك الغرفة شعر بعاطفة احترام وانكر ان ينومها في سريره فرفع الصليب عن سرير امه وانام الفتاة عليه ثم عاد الى دكانه

وكان الرهبان لم يفرغوا من صلاتهم بعد فهم ان يعود الى عمله غير انه خشي ان تستيقظ الفتاة لوقع المطرقة فامتنع عن العمل وجلس عند باب الدكان ينظر نظرات ساهية الى الغابة الفسيحة المنبسطة امام الدير

وفيما هو يسرح النظر في تلك الغابة راى نورا احمر من جهة الغرب يتعاظم ويمتد من فوق اشجار السنديان فعجب لهذا النور المتصل بعنان السماء وقال في نفسه انه لا يمكن ان يكون نور الشفق ثم راى كأن السماء قد باتت كتلة من نار فايقن انها حريقة شبت في احد القصور او في احدى المزارع

ولم تكن الحرائق نادرة في ذلك العهد فان المجاعة وقحل المواسم وفداحة الضرائب واستبداد النبلاء هاجت الفلاحين فتالفت منهم عصابات تطوف في حقول الاغنياء فتحرق المزارع والقصور

وقد ثبت دانوبير في يقينه من هذه الحريقة ان اصوات الرهبان انقطعت فجاءة واخذت اجراس الدير تدق دقات خاصه بالاستغاثة فتجيبها اجراس من الاماكن المجاورة بمثل دقاتها اشارة الى النهب

ثم رأى ان باب الدير قد فتح وخرج منه جمع الرهبان فساروا

الى جهة النار و ـ طليعتهم الاب جيروم وهم يبلغون مائة راهب

فذبت الحماسة في صدر داغوبير وهم ان يسير في اثرهم غير انه ذكر الفتاة واليمين التي اقسمها على الحرص عليها فبقي في مكانه .

اما الفتاة فانها كانت لا تزال نائمة

٣

كان الاب جيروم رئيس هذا الدير طويل القامة عريض المنكبين تنفذ عيناه ذكاء ويضيء فيهما بارق الشباب

وكانت الاديرة في ذلك العهد كعرف الجيش فكان لكل فرقة رئيس فعلي ورئيس اسمي اما الكولونيل الاسمي فكان يشتري هذا المنصب بالمال ولا يكون له منه غير شرف الانتماء اليه واما الكولونيل الفعلي فهو الذي كان يتولى قيادة الفرقة ويبلغ هذا المنصب بجده واستحقاقه

وهكذا الاديرة في ذلك العهد فقد كان لكل دير رئيس شرف ممن يميلون الى مثل هذا الجاه ورئيس عامل يتدرج فيه من ادنى الدرجات باجتهاده الى مقام الرئاسة

اما الاب جيروم فقد كان من الفريق الثاني وهو من اهل الجد والذكاء والهمم العالية فدخل الى الدير راهبا بسيطا ورقي فيه حتى بلغ الرئاسة العليا واما الرئيس الاسمي فلم تطأ قدماه ذلك الدير

وان لدخول الاب جيروم الى الدير حكاية سرية فانه في ليلة من ليالي دسمبر الباردة وذلك منذ خمسة عشر عاما كان فارسان يسيران في غابة هذا الدير وقد فتحت ميازيب السماء وانهلت الامطار كافواه

المغرب حتى وقفا عند باب الدير

وكان احدهما مرتديا بملابس النبلاء وكان الآخر خادما له كما يظهر فانه حين نزل عن جواده القى عنانه اليه ثم مد اليه يده وقال له استودعك الله يا متى الى الابد ولا انسى اخلاصك في خدمتي ما حييت

فتلقى الخادم هذا الوداع بالبكاء واكب على يد سيده يقبلها ويغسلها بدموعه وهو يقول ادخل يا سيدي الى الدير وتقطع عن العالم هذا الانقطاع وانت الغني النبيل الذي اجمع الناس على حبه واحترامه

قال ذلك لا بد منه . الوداع فاذهب بامن الله . ثم اشار الى خادمه بيده اشارة منعته عن العود الى الحديث فاندفع الخادم في البكاء وقاد جواد سيده بعنانه وسار ماشيا في الغابة وهو كلما خطا خطوة يلتفت الى الوراء فيرى سيده واقفا تحت المطر عند باب هذا الدير الذي ادخل اليه لا يخرج منه الا الى ظلمة الابد

اما السيد فانه لبث واقفا حتى توارى الخادم بالجوادين عن الانظار فقرع باب الدير

وفي اليوم التالي احتفل الرهبان بتدشين هذا الراهب الجديد وبدات اعماله الشاقة التي لابد ان يعملها كل منتظم في سلك الرهبنة حين دخوله

وبعد عشرة اعوام اصبح هذا الراهب البسيط رئيسا لذلك الدير ولم يعلم احد حقيقة اسمه ولا تلك النكبة الهائلة التي دعته الى اعتزال العالم في مقتبل الشباب والانصراف الى خدمة الله ولكنه نال شهرة واسعة في تلك المقاطعة بالتقوى والصلاح وحسن الادارة فزالت حين تولى

الرئاسة شكا الى الناس من جور الرهبان وانقطعت المظالم وحسنت سيرة الرهبان فلم تعد تخشى النساء التنزه في الغابات

وقد تقدم لنا القول ان الحرائق كانت كثيرة في تلك الايام فاشتهر الأب جيروم في خلالها بالغيرة والجرأة والاقدام فانه كان اذا شبت النار في موضع اسرع اليها في طليعة رهبانه واقتحم النار غير هياب فلا يعود الا بعد اخماد النار

ولذلك لم يذهل داغوبير لشبوب النار ولكنه استاء لعدم تمكنه من المساعدة في اطفائها

ولبث الحداد واقفا عند باب دكانة الى ان اشرقت الشمس وملأت اشعتها الكون ورأى ان انوار الحريقة قد خمدت وانقطع صوت اجراس الاستغاثة فصعد من دكانه الى الغرفة النائمة فيها الفتاة ووقف عند السرير يتامل ذلك الجمال فلم ير اطهر جمالا وابدع مثالا

وكانت لا تزال نائمة وهي تبتسم كأنها حالمة بما يدعو الى الابتسام فشعر داغوبير ان قلبه يضطرب ويخفق حنوا وود لو طال غياب الرهبان كي يبقى معها في هذا الموقف

وفيما هو يتامل محاسنها تنهدت ثم فتحت عينيها فنظرت الى ما حولها نظرا تائها ونادت عمها ثم استقر نظرها على داغوبير فعرفته وقالت له انت هو الذي كان يضرب الحديد بالمطرقة

فاضطرب داغوبير وقال لها بلهجة تشف عن الاحترام كانه يكلم فتاة في العشرين من عمرها نعم يا سيدتي

قالت اذن انا في منزلك الان

قال نعم

قالت واين هو عمي

فتلعثم داغوبير ولم يدر كيف يعلل لها عن سفره ثم تشجع وقال لها بصوت حنون ان عمك قد سافر ولكنه سيعود وقد اوصاني ان اعتني بك في مدة غيابه

فلم يظهر عليها شيء من الخوف ولكنها نظرت الى وجهه المسود من الدخان وقالت له ان وجهك اسود ولكنه يدل على الصلاح

قال اذن انت غير خائفة مني

قالت كلا

قال اتبقين عندي الى ان يعود عمك

قالت دون شك

وعند ذلك سمع داغوبير صوت رجل يناديه من الدكان فقال لها ابقي هنا الى ان اقضي حاجة هذا الرجل فاعود اليك

ثم نزل داغوبير الى الدكان فلقي فيها احد الرهبان المنوط به ارسال البريد وهو يريد نعلا لجواده فقال له اني خشيت ان لا اراك وان تكون بين الذين ذهبوا لاطفاء النار

قال كنت اود ان اكون ولكن حال دون ذهابي بعض الموانع فاين شبت هذه النار

قال في قصر دي بوربير فالتهمته

قال اهو هذا القصر الجميل الذي بني حديثاً ولم يسكنه احد بعد .

قال هو بعينه ولكن اصحابه اقاموا فيه منذ اسبوع قادمين اليه من باريس

قال انهم اغنياء وسيعودون بناءه .

فهز الراهب رأسه وقال لم يبق من يشيده فقد مات صحابه

قال كيف ماتوا بالنار

قال هذا ما يرويه الرواة

قال كم يبلغ عددهم.

قال انهم ثلاثة رجل عجوز وسيدة وولد صغير لا اعلم اذا كان ذكرا او انثى

فارتعش دغوبير وقال الم يجدوا جثثهم

قال كلا فان الخدم تمكنوا من النجاة واما اصحاب المنزل فلم يرهم احد حين شبوب النار

قال ولكن ماذا يدعون

قال الكونت والكونتس دي مازير

قال انهم قادمون من باريس .

قال نعم ولكن لهم اقرباء في هذه المقاطعة

وكان دغوبير يحدثه ويشتغل بنعل الفرس فلما اتم عمله ركب الراهب جواده وانطلق

وحاول داغوبير عند ذلك ان يعود الى الفتاة ولكنه راى كثيرا من المصابات عائدين من محل الحريق فاستوقفهم داغوبير وقال الملك عائدون من المحل الذي شبت فيه النار

وكانوا كلهم يعرفونه فاجابه احد نعم

قال اعرف الذي وضع النار

قال نعم قد عرفوه

قال من هو .

قال هم اصحاب القصر انفسهم

فدهش داغوبير دهشاً عظيما ولم يعلم كيف يمكن ذلك ان يكون

٤

وعاد محدثه الى الحديث فقال وقد ظهران الاب وام الفتاة كانوا ينوون الانتحار من زمن بعيد

فارتعش داغوبير وقال اكان الولد بنتاً

قل نعم

قال ولكن كيف عرف ان اصحاب القصر هم الذين اضرموا النار فيه

قال لقد عرف من امرهم انهم جاءوا ليلا الى القرية في مركبة فدخلوا الى القصر وعادت المركبة الى باريس وكان يصحبهم ثلاثة فكان الخدم يبيتون في فسحة كبيرة تطل على الحديقة في الدور الارضي

بحيث انهم تمكنوا من الفرار حين شبت النار خلافاً لاسيادهم فقد كانوا مسجونين في غرفة بأبها من الحديد كما يقال فحاول محمدو النار فتح هذا الباب وكسره فلم يستطيعوا فكانت النار تلتهم القصر واصحابه لا يفوهون بحرف

قال ولكن جميع ذلك لا يثبت انهم هم الذين قد اضرموا بنار .

قال بل ان هناك برهانا اخر يثبته وهو انهم ارسلوا كتابا الى مدير الناحية كتبوا على غلافه هذه العبارة (لا يفتح قبل الساعة السادسه) اي بعد الحريقة فان النار كانت التهمت كل شيء في تلك الساعة وجعلت القصر وساكنيه رمادا

قال وماذا كان يتضمن هذا الكتاب

قال الاعتراف بانهم هم الذين اضرموا النار بغية الانتحار

ثم تحدثوا مع داغوبير هنيهة بشأن هذا السر الغريب الذي لم يتمكن احد من حله وانصرفوا فعاد داغوبير الى الفتاة فوجد انها قد عادت الى النوم فتركها نائمة وذهب الى الدير لمقابلة الاب جيروم

فلما رآه الاب جيروم نظره اليه نظرة جفاء وقال له بلهجة المؤنب لقد كان من عادتك ان تكون في طليعة المقدمين على اطفاء الحرائق ولكني لم ارك اليوم معنا

قال هو ذاك يا سيدي غير اني لم استطع الذهاب معكم هذه المرة

قال لماذا

وكان في الغرفة راهب اخر فنظر داغوبير الى الرئيس وقال له التمس منك يا سيدي ان تصغى الى حديثي وان تأذن لي بمحادثتك على انفراد

فاشار الرئيس الى الراهب فانصرف وعندذلك اخبره داغوبير بذلك الفارس الذي جاءه قبل الفجر واعطاه الخاتم ووضع على الطاولة محفظة الاوراق الماليه

فاخذ الرئيس الخاتم وما لبث ان تمعن فيه حتى اصفر وجهه واضطربت اعضاؤه فقال لداغوبير ان هو هذا الفارس

قال لقد سافر واودع عندي الفتاة

قال الم يقل لك متى يرجع

قال انه غير عازم على الرجوع يا سيدي ولكنه قال لي انك متى رايت شعار الخاتم تعلم كل شيء

فزاد اضطراب رئيس الدير وقال ولكن لماذا غادر عندك الفتاة

قال كي اودعها عندك

قال عندي انا

قال نعم .

فجعل الاب جيروم يقلب الخاتم وينظر فيه متمنياً الى ان عرفه فقال اللهم عفوك فقد انرت قلبي بنور السكينة فنسيت كل ما في الوجود ثم نظر الى داغوبير وقال له اين هي الفتاة

قال عندي وهي نائمة في سرير امي الآن

قال أرآها احد عندك

قال كلا

قال اذن عد الى دكانك واحرص كل الحرص على هذه الفتاة ثم عد الي بعد ساعة فاني في حاجة الى الانفراد والتفكير

فانحنى داغوبير ومضى

اما الاب جيروم فانه اخذ المحفظة فوضعها في جيبه وذهب الى هيكل الكنيسة فانار شمعة في حين ان شعاع الشمس كان يملاء الكنيسة انورا واقفل الباب كي لا يدخل اليه احد

ثم اخذ يفحص الخاتم وكان كبيرا ضخماً تبلغ استدارة فصه حجم الدينار وهو يفتح فينجلي عن مكان يسع الفولة الكبيرة

ففتحه ووجد في داخله ورقة بيضاء مطوية طيات كثيرة فاضطرب قلبه وانصب العرق من جبينه وقال رباه اني اعتزلت العالم ولكنه لم يعتزلني واردت الانقطاع الى خدمتك ولكن الذين احبوني من قبل ابوا الا ان يكدروا صافي اعتزالي

ثم ركع وجعل يصلي حتى اذا اتم صلاته فتح تلك الورقة المطوية ونظر فيها واذا هي بيضاء لا كتابة فيها

غير انه كان يعلم سر الكتابة المخفية التي كانت شائعة في ذلك العهد فادنى الورقة البيضاء من نور الشمعة وصبر قليلا فظهرت كتابة دقيقة بحروف سوداء فقرأ فيها ما يأتي.

داغوبير والاب جيروم

عزيزي موري

اوّل ما ابدأ به سؤالك المعذره عما اثقل به عليك بعد انقطاعك عن العالم وانصرافك الى خدمة الله وانما كتبت لك هذه السطور لما كنت اخشاه من استحالة الاجتماع بك

لقد مضى على افتراقنا ايها الصديق عشرون عاما ولكن مهما بلغت من العزلة والانقطاع الى الله فانك لا تنسى ذلك الصديق القديم

الم نحب حبا واحدا ونتعذب عذابا واحدا غير انك لجأت الى الدير فامنت الشتاء وبقيت انا عرضة للعواصف

وها انا آتي اليوم الى اخي بالسلاح ذلك الصديق القديم الذي اتشح الان بثوب الرهبان فاقول له هلم ايها الاخ لمساعدة اخيك تعال ايها الصديق لنصرة صديقك

انك اردت ان تنسى الماضي فهربت منه ولكنه تبعك وانا الان اسالك ايها الصديق باسم الصداقة القديمة وباسم تلك التي احببناها سواء ان ترأف بهذه الفتاة التي لا نصير لها سواي في هذا الوجود ولكني حين تقرأ هذه السطور اكون قد برحت هذه البلاد فلا يبقى للفتاة سواك

اني مسافر الى البلاد الاميركية ولا اعلم اذا كنت اعود منها اما هذه الفتاة التي استودعك اياها فان جميع الناس يعتقدون انها ميتة وهذه خير وسيلة لانقاذها من الموت

انك سترى بعد ساعة على بعد ثلاث مراحل من الدير الذي تقيم

فيه قصرا يحترق لا يدركه اهل النجدة الا وقد التهمته النار

وغدا يقول الناس الذين شاهدوا الحريق ان صاحب هذا القصر وامراته وابنته البالغة من العمر تسعة اعوام قد ماتوا بالنار فدعهم ايها الصديق يقولون هذا القول ولا تكذب موت الفتاة فانها تلك الفتاة التي ائتمنتك عليها وهي (ابنتها) ولا حاجة لي ان اخبرك بشقاء تلك الاسرة التي طالما اخلصنا لها وسفكنا في سبيلها دمنا فانك خبير به مثلي

والان فقد ارسلت لك ما بقي معي من المال لتنفقه على تربية الفتاة فاذا بلغت العشرين من عمرها وعدت من البلاد الاميركية اتولى انا امرها وتكون مهمتك قد انقضت

اما اذا لم اعد فلا بد لك عند بلوغها هذا السن ان تذهب الى ذلك المنزل الذي كنا نقيم معا فيه في باريس حين كنا من الحراس

وهناك تدخل الى الغرفة التي كنا نبيت فيها فتبحث وراء المدخنة وتزيل قشر الجدار فتجد رخامة فتزيلها فتنكشف عن شبه خزانة تجد فيها صندوقاً وهذا الصندوق يحتوي على ثروة هذه الفتاة الطائلة وتجد فيه ايضاً كتابة تنبئك عن اسمها

هذه هي المهمة التي يعهد اليك بقضائها صديقك القديم راوول دي موالبير الذي كان اخاك بالسلاح حين كنت تدعى ارنو دي نوفوازي .

(راوول)

فلما اتم الاب جيروم تلاوة هذه الكتاب ضم يديه وقال ايتها

التذكارات الماضية لمؤلمة لقد حسبت اني نجوت منك والك لاتجسرين على العودة الي من ابواب هذا الدير

ثم تنهد وقال اذن قد ماتت تلك الحبيبة وركع فقال اللهم اني ألتمس لها الرحمه واسألك العو عن هذا الالتماس .

ولبث حيناً طويلا وهو راكع يصلي حتى اذا فرغ من الصلاة نهض وقد اشرق وجهه بنور البشر كانما الصلاة قد ازالت اضطرابه فاخذ ذلك الكتاب وقد عاد الى لون البياض وزالت الكتابة عنه بعد ذهاب تاثير النور فطواه واعاده الى الخاتم ثم اطفأ الشمعة وخرج من الهيكل الى باب الدير وهو يبارك الرهبان الذين كانوا ينحنون له بمل٫ الاحترام حين مروره بهم فلما خرج من باب الدير ذهب توا الى دكان الحداد

اما داغوبير فلم يكن يشتغل في ذلك الحين بل كان واقفاً عند باب دكانه ينتظر بفارغ الصبر ان يدعوه الرئيس فلما راى الرئيس داخلا اليه اصفر وجهه ولم يجسر ان يسأله عن شيء

فقال له الاب جيروم اين هي الفتاة

فاجابه بصوت مضطرب انها فوق في الغرفة

قال الا تزال نائمة

قال نعم.

فصعد الرئيس السلم الموءدي الى تلك الغرفة وتبعه داغوبير وقلبه يخفق خوفاً شديدا فان قلبه ما حن في حياته على احد حنوه على هذه

الفتاة .

ووصل الرئيس الى الغرفة فوقف عند بابها كانه لا يجسر على الدخول ثم مشى الى ذلك السرير الذي كانت نائمة عليه وهي لا تزال تبتسم وتحلم خير الاحلام

فما لبث ان تمعن في وجهها الصبوح حتى نجهم وجهه

ولعله راى ان البنت تشبه الام فاضطرب هذا الاضطراب ولكن عواطف الكاهن انتصرت على عواطف الرجل فاشار الى داغوبير كي يدنو منه ثم قال له همسا العلك تشفق على هذه الفتاة وتريد لها الخير

قال اني اسفك دمي من اجلها.

قال انك رجل طاهر القلب يا داغوبير ورجائي ان تقضي المهمة التي انتدبك اليها بشان هذه الفتاة

فارتعش داغوبير وقال دون شك يا سيدي فمر بما تشاء

قال ان هذه الفارس الذي جاءك بها وقرع باب الدير دون فائدة يجهل دون شك نظام الدير ولكنك تعلم ان النساء لا يدخلن الى ديرنا ولو كن في عهد الحداثة

قال نعم يا سيدي اني اعرف هذا النظام

قال ومع ذلك فان هذا الفارس الذي بعد الان عنا وقد لا يعود عهد الي بالعناية بهذه الفتاة وسافر وله بي ملء الثقة فهل تجد نفسك خليقا بان تحبها كما تحب اختك لو كان لك اخت

قال دون شك يا سيدي بل احبها كما احب نفسي واحنو عليها حنان

الامهات على الرضيع

قال اتعهد بحمايتها وبالدفاع عنها حين الاقتضاء

قال لقد قلت لك يا سيدي اني منذ بضع ساعات لم اكن اعرفها اما الان فاني اسفك دمي من اجلها

قال اذن فاعلم لان ان منزلك قد بات منزلها فاني عهدت بها اليك

ثم اعطاه محفظة الاوراق المالية والخاتم فاشار الى الموضع الذي يفتح في الخاتم وقال له اني اصبحت كهلا عرضة للموت في كل حين فاذا مت وفتح هذا الخاتم تجد فيه ورقة مطوية تبدو لك لاول وهله انها بيضاء لا كتابة فيها فاذا عرضتها لنور اشمعة ظهرت الكتابة جليا وقرات جميع ما تحتويه فعلمت انه لا بد لك من السفر في خدمة الفتاة اذا كنت في ذلك الحين فارقت الحياة

فاخذ داغوبير المحفظة والخاتم فوضعهما في خزانته حيث يضع ما يقتصده من الاموال وعاد الى الرئيس

فقال له الرئيس ليس هذا كل ما اطلبه اليك فان بعد ثلاثة ايام يتفق عيد القديس هيبرت فيحضر كثير من النبلاء لزيارة هذا الدير ويزورك بعضهم لتجديد نعل افراسهم فيجب ان تخبيء الفتاة لبعد رجوعهم ولا تدع احدا منهم يراها حتى الرهبان

فاجابه داغوبير بملء البساطة ان اخفاءها يا سيدي ثلاثة او اربعة ايام قد يكون من الممكنات اما اذا كنت تريد ان ابقيها عندي فلا

استطيع اخفاءها عن عيون الناس

قال ولكننا من الان الى انصراف الزائرين نجد وسيلة نتجنب بها فضول الناس ونسائلهم عن إبقاءها عندك فهل لك اقرباء

قال لم يبق لي غير عمة تقيم في شاتونيف

قال اذن قل انها ابنتها فتقطع السنة اهل الفضول

وكانا يتحدثان همسا تجنبا لايقاظ الفتاة غير ان الفتاة تحركت في مضجعها فقال له داغوبير انها بدات تستيقظ

فاخذ الاب جيروم يدها بيد تضطرب فلثمها وخرج مسرعا من تلك الغرفة كانه قد ارتكب جريمة بتقبيل يد تلك الفتاة لفرط التشابه بينها وبين امها

وعند ذلك فتحت عينها فلم تجد امامها غير داغوبير فجعلت تنظر اليه وهي تبتسم

تمت المقدمه

القسم الاول

بعد ستة اعوام مضت من الحوادث التي بسطناها في مقدمة هذه الرواية كان شاب في مقتبل العمر يترجل عن جواده في الغابة المجاورة لدير اباء الله

وكانت الساعة الثالثة بعد الظهر والشهر شهر نوفمبر فكان الطقس جميلا

والسماء صافية والهواء باردا عليلا

وكانت ملابس الشاب تدل انه من نبلاء القرى فهو يلبس ثوبًا مخمليا اخضر ووشاحا عليه شرائط فضيه وحذاء يبلغ الى ركبته وعلى جنبه بوق وعلى كتفه بندقية مما يدل انه بصطاد

وكان في التاسعة عشرة من عمره وهو جميل الوجه اشقر الشعر ناعم اليدين ازرق العينين يدل سكونهما على السويداء

وكان قد ربط جواده الى احدى اشجار الغابة غير ان هذا الجواد كان يسمع من حين الى حين نباح الكلاب وصوت ابواق الصيد فيصهل ويحفر الارض بيديه كانه يريد الافلات من قيده والذهاب الى مصدر الاصوات

اما الفتى فانه اضطجع فوق العشب فاسند راسه الى احدى يديه وجعل ينظر الى السماء الصافية بعينيه وبقلبه وهو تائه في مهامه الخيال

وبقي على ذلك نحو نصف ساعة الى ان سمع صوتا نبهه وايقظه من سبات تصوره فالتفت الى مصدر الصوت فلم يرا احدا وقال في نفسه ان هذا الصوت صوت وتر يب بين الادغال فلا بد ان يكون صاحبه بنزات

ولقد اصاب في ظنه فانه لم يكد يتم عبارته حتى راى فتى قد وثب وظهر امام الجواد

كان هذا الفتى يبلغ نحو السادسة عشرة من العمر وقد وهبته الطبيعة بديعة جمالا بديعا ورشاقة نادرة وعقلا سليما نيرا ولكنها ابت الا

ان تشوه جماله بحدبة في ظهره فنغصت عليه تلك المواهب

وكان الناظر الى هذا الفتى لاول وهلة يستقبح منظره لحدبته ولكنه اذا رآه عن كثب راى عينين تدلان على السلامة ووجها يشير الى الذكاء

وكان شديد القوى ضعيف الحركات سريع العدو اذا طارد غزالا جرحه الصياد ادركه وسبق اليه الكلاب

وقد كانت امه ولدته في هذه الغابة فنشأ فيها يتيما منذ الولادة والف العيش بين الغابات والادغال فكان لا يطيب له الرقاد الا في ظلال الاشجار ولا يقتات الا الامن من نبات الحقول وما يصطاده من الطيار فكان نبلاء تلك الناحية وجميع الذين اذن لهم الرهبان بالصيد في تلك الغابة يعرفونه ويحبونه لسلامة قلبه وشرف مبادئه وشدة ميله الى الحرية والاستقلال فقد رغب الكثيرون منهم في استخدامه ولكنه كان يأبى الخدمة على فقره ويؤثر الحرية على التقييد

فلما وثب وصار قرب الجواد التفت الفتى المضطجع وراه فاجفل الاحدب وقال له اسالك العفو يا سيدي الكونت فاني اخشى ان اكون قد ايقظتك

فابتسم له الفتى وقال له كلا يا بنوات فاني لم اكن نائما

قال اذن كيف ذلك يا سيدي لوسيان الم تشترك معهم في الصيد

قال نعم ولكني ضللت عنهم فاضطجعت هنا الى ان استريح

قال اذن قم يا سيدي الى جوادك وانا اهديك الى الرفاق فاني اعرف

مكانهم

قال كلا يا بنوات فاني غير راغب بالصيد مع ابنة عمي وقد تعبت فاثرت الراحة

قال ولكنهم سوف يظفرون بالايل الذي يطاردونه منذ الصباح الا تكون معهم ساعة الفوز

قال كلا اني ساقيم هنا الى ان تغيب الشمس فاعود الى بوربيار

قال اتعود اليها من طريق الغابة

قال كلا بل من طريق سولي

فابتسم الاحدب ابتساما معنويا وقال اي انك ستمر بالدير

فارتعش الكونت لوسيان ونظر الى الاحدب نظرة قلق

وكأنما الاحدب ادرك معنى قلقه فوقف امامه بملء الاحترام وهو يحمل قبعته بيده وقال له لقد عرفتني يا سيدي الكونت منذ عهد بعيد فهل سمعت من تكلم عني كلمة سوء

قال كلا يا بنوات فانك من اهل السلامة والصلاح

قال بل من اهل الغيرة والكتمان يا سيدي فمن اأتمنني على سره لا يخرج سره من صدري ما حييت

فنظر اليه الكونت نظرة سوداء وقال له احق ما تقول

قال هذا لو اذن لي سيدي الكونت ان اتكلم بحرية

قال تكلم

قال اظن ان سيدي يخطيء بالطواف غالبا حول جدران الدير وشراء

فال ثق يا سيدي ن دغوبير طيب القلب نبيل الشعور ولكنه شديد البنية متين الساعد فاذا كدره احد

فقاطعه لوسيان وقال له بعنف ومن يحاول تكديره

قال بمناسبة المدموازيل جنة فان الناس يقولون انها ابنة عمته واخرون يقولون انها ابنة عمه ولكنه يحرص عليها حرص اللبوة على اطفالها . ان هذه الفتاة يا سيدي التي يسميها بعضهم ربيبة الدير ويدعوها بعضهم مدموازيل جنه ما خلقت لفلاح مثلي ولا لنبيل مثلك اما داغوبير فانه يكلمها بمل الاحترام وهو حاسر الرأس ونحن نعلم يقينا انه لا يخطر لاحد من النبلاء عندنا ان يجعلها امرته والذي اراه انه خير لك ان لا تكثر التردد على دكان داغوبير

فابت لوسيان مطرقا مفكرا ثم هم ان يجيبه فحال دون ذلك ما سمعاه من نفخ اواق الصيد ونباح الكلاب ورايا ذلك الايل الذي يطارده الصيادون قد مر بهما مرور السهم والكلاب في اثره فاسرع لوسيان الى جواده فامتطاه وجرى بنوات في اثر الكلاب منقادا بسليقته الفطرية

وعند ذلك اقبل فارسان وفارسة وكان لوسيان ممتطيا صهوة جواده بحيث خيل لاولئك الفرسان انه لم يبرح الصيد بل انه كان في طليعة المطاردين

وكانت الفارسة اول من بدأ الحديث فقالت هوذا لوسيان

وقال احد الفرسان اين كنت ايها الكونت

وقال له الاخر ارايت الايل

نسل فرسه من عند داغوير

فاحمر وجه لوسيان وراى الاحدب ذلك فقال له انك اذنت لي يا سيدي ان اتكلم بحرية

قال هو ذلك

قال اذن تأذن لي بمواصلة الحديث

قال تكلم

قال انه مر بي منذ هنيهة

فقالت الفارسة انه سيسقط ذنب في مستنقعات الدير

فاجابها لوسيان اني ارى رايك يا ابنة عمي الحسناء

اما هذه الفتاة فقد كانت بارعة الجمال وهي سوداء العينين سوداء الشعر لها دلال الاناث ونشط الغلمان

فقالت له بلهجة تكاد تكون لهجة سيادة ولكن من اين انت قادم وكيف افترقت عنا

قال اسالك العفو يا ابنة عمي فقد تهت عنكم ولم اسمع نفخ الابواق الا الان ولكن خطر لي ان لايل سيمر بهذه الجهة فاتيت اليها

فهزت الفتاة كتفيها ولكزت بطن جوادها فانطلق بها في تلك الانابة دون ان تتدانى الى مجاوبة هذا الفتى الذي كان يدعوها ابنة عمه

٢

وكان الجواد ينطلق بها وهي ثابتة فوق متنه ثبوت الرواسي حتى كانت كانها ديانا تقسها الهة الصيد

اما لوسيان والفارسان فانهم لما راوها دفعت جوادها لم يجدوا بدا من الاقتداء والاندفاع في اثرها

وكان الايل المنكود قد انتهكت قواه واوشكت الكلاب ان تظفر به فكانت تنهشه كلما ادركته نهش الحيوان المفترس وكان يدافع عن نفسه بقرنيه العظيمين دفاع المستميت المستميت الى ان يجد مخرجا من انيابها فيفر وتعود الى مطاردته

وكانت مداموزيل اورور اي ابنة عم لوسيان تنهب الارض بجوادها في اثر الايل وهي تدنو منه من حين الى حين

وكان الايل قد دنا من المستنقعات فلما وصل اليها والصيادون في اثره علم بالسليقة انها ستكون سبب هلاكه فعاد عنها ودخل بين الكلاب والصيادين بسرعة البرق وانطلق بين الادغال

وقد راعهم هذا الانقلاب الفجائي فعادوا الى مطاردته بين الادغال والفتاة اشدهم تحمسا لكنه كان اسرع عدوا من الجياد

وكان ادلاء الصيد والكلاب يتقدمون الصيادين فلم تمض هنيهة حتى سمعوا نفخ البوق يشير الى انهم راوه فانطلقت الجياد الى جهة مصدر الصوت

وما مر بضع دقائق حتى سكت البوق فجاءة وانقطع نباح الكلاب وسمعوا اصوات بشر يتشاتمون فلما وصلت مداموزيل اورور ورفاقها الى تلك الجهة الصادرة منها الاصوات رات ما لم يكن يخطر لها في بال وهو ان الايل كان جريحا وقد سقط على الارض. فاحتاطت به

الكلاب كانطاق وهناك نحو عشرة من الفلاحين يتهددون ويوعدون بمناجلهم وفؤوسهم ودليل الصيد واقف لا يجسر على الدنو منهم

ذلك انه حدث امر يعد في هذه الايام بسيطا مالوفا لا ماخذ فيه ولكنه في ذلك العهد عهد الاستبداد وسلطة النبلاء كان يعد من الجرائم الفظيعة النادرة

وهو ان الايل انطلق في الغابة بين الادغال ودخل الى حقل مزروع فاسرع احد الفلاحين ورمى ساقي الايل بمنجله اشفاقا على زرعه فاصابه بجرح خطير وسقط على الارض

فلما راى الفلاحون ما كان من رفيقهم اكبروا عمله اذ كان اجرأة نادرة في ذلك العهد وايقنوا ان الصيادين النبلاء سينتقمون منه شر انتقام فبادروا لنجدته

اما دليل الصيد فانه حين راى ما جرى رفع سوطه وهم ان يضرب ذلك الفلاح ولكنه راى ان اخوانه قد تكاثروا من حوله فخاف شر العاقبة واستعاض عن السوط باللسان فشتمهم اقبح شتم الى ان قال لهم سوف ترون ايها الاشقياء ما يكون من عقابكم

فاجابه الفلاح الذي رمى الايل ليعاقبنا اسيادك بما يشاؤون واحذر ان تدنو خطوة منا فلا يكون نصيبك غير الموت

وكان لدى الدليل سلاح ناري ولكنه خشي ان يطلقه فعاد الى الشتائم وعادوا الى ردها

عند ذلك وصلت مدموازيل اورور ورفاقها وقد انقدت عيناها

بنار الغضب وجعلت تضطرب اضطراب ذلك الايل الجريح .

اما الفلاحون فانهم حين راوها قدمت يصحبها رفاقها النبلاء وعدد عظيم من الحاشية رعبوا واركنوا الى الفرار بحيث لم يبق منهم غير ذلك الفلاح الذي رمي الايل

وكان شابا يبلغ الخامسة والعشرين من عمره وهو طويل القامة هزيل ولكن عينيه كانتا تتقدان ببارق الشهامة

فرفعت مدام وزين اورور سوطها وقالت له ويحك ايها التعس الشقي كيف جسرت على قتل الايل الذي اصطاده

فضم الفلاح يديه الى صدره والقى نظراتها النارية دون اكتراث وقال اضربني اذا اردت فان الحق للقوة وانتم الاقوياء الان ولكننا سننال قريبا هذه القوة وهذا الحق

فانزلت الفتاة سوطها دون ان تضربه فقال لها احد الفرسان الذين يصحبونها اتريدين ان اترجل عن جوادي واوءدب هذا الوقح

قالت كلا فاني احب قبل ذلك ان اعرف السبب الذي دعاه الى هذه الجرأة

فاجابها الفلاح قائلا انني لم اجترىء عليك يا سيدتي وشهد الله اني حين ضربت الايل لم اكن اعرف اصحاب الكلاب التي كانت تطارده ولكنني اسفت على هذا الزرع من دوس الارجل فاني اعيش منه مع اولادي

فقال له دليل الصيد وقد تشجع لقدوم الجماعة لقد كذبت ايها الشقي ثم هجم عليه يريد ضربه فاوقفته الفتاة وقالت للفلام اتسلم من انا

قال نعم اعلم انك مداموزيل اورور دي مازير

قالت الديك شك بعد هذا العرفان اني قادرة على سجنك

قال اذا خطر لك هذا الخاطر فليس من يمنعك عن سجني ولكن عملك يزيد نقطة على كاس الشقاء التي ارشكت ان تطفح

فغضبت الفتاة والتفتت الى رفاقها فقالت أسمعتم ما يقول هذا الفلاح الفيلسوف انه يجسر على المجادلة وابداء الافكار

فقال لها احد الفرسان الا ترين انه يستحق العقاب الاليم

وقال اخر انا يا سيدتي لو كنا في غير هذا الزمن لوجوتك ان تصفحي عن هذا الرجل ولكننا اصبحنا في زمن تجاسر فيه الشعب على ان يرفع راسه المنخفض ولا يرهبنا في كل حين ولذلك ارى انه يجب ان يؤدب هذا الفلام خير تاديب يكون به عبرة لسواه من المتمردين

فنظرت اليه الفتاة وقالت اهذا هو رايك

قال نعم يا سيدتي وعند ذلك التفت الى دليل الصيد وقال له جرد هذا الفلاح من ملابسه واجلده في البدء عشرين جلدة ثم اربطه بذيل فرسك واركض به الى المدير ليدفعه الى السجان باصرنا

اما الفلاح فانه لم يجد متسعا من الوقت للدفاع او الفرار او التماس العفو لان السماء ارسلت اليه مدافعا لم يكن يخطر له في بال

وكان هذا المدافع لوسيان ابن عم اورور الذي كان ينادي الاحدب

« سيدي الكونت » فانه قبل ان يصل الدليل الى ذلك الفلاح سار الى وسط الحلقة وقال للدليل بلهجة السيادة انك ايها الرجل في خدمتي وقد وجبت عليك طاعتي فاحذر ان تمس هذا الرجل بسوء

فصاحت الفتاة والفارسان صيحة دهش اما لوسيان فانه دنا من ابنة عمه دون ان يتدانى الى النظر الى الرجلين وقال لها اسالك العفو يا بنة عمي فقد دعتني ثلاثة امور الى فعل ما فعلت احدها انهم امروا دليل الصيد وهو في خدمتي ان يعمل عملا وحشيا لا يجمل ارتكابه في هذا العصر الذي نحن فيه والثاني ان هذه الكلاب كلابي وبالتالي فان الايل التي تطارده كلابي ملكي فاذا اهين احد بسببه فانا الذي اهان دون سواي

فاتقدت عينا الفتاة ببارق من الغضب ولكنها ابتسمت ابتسام المتهكم وقالت له قد سمعت السببين يا ابن عمي العزيز فهل لك ان تقول الثالث

فاجابها بملء السكينة اني متى ذكرت لك السبب الثالث اصبحت من اهلي وهذا السبب هو ان هذا الفلاح الذي تريدون عقابه انما قتل الايل في حقله اي في بيته ومن يحق له ان يعارض رجلا في منزله

فقال هكتور دي يوليو وهو احد الفارسين يظهر يا سيدي الكونتس انك لم تعرفي ابن عمك بعد

قالت لقد عرفته الان حق العرفان

قال انه فيلسوف من اصدقاء الشعب ومن خير تلامذة جان جاك ورسو وفولتير فالتفت لوسيان الى هذا الرجل وقال له اني لا احب ان

استاء لما زجرتك يا سيدي الباروت لانك ضيفي وضيف امي ولكني اقول لك انّ هذا الفلاح اذا كان قد اخطأ فان معاقبته على ما اقترحه صديقنا الشفاليه تعد جريمة ومن منا يرضى لنفسه ان يكون من اهل الجرائم

اما الفلاح فانه حين تداخل لوسيان في امره ذهبت جراته وسالت الدموع من عينيه فنظر الى لوسيان نظرة ملوءها الشكر والامتنان وقال له اسالك المعذرة يا سيدي على اني لو علمت ان الصيد صيدك لما اقدمت على قتل الايل ولو افسد كل زرعي

فقال له لوسيان لا باس عليك فاذهب في شانك واذا اتلفت كلابي بعد الان شيئا من زرعك فاخبرني اعوض عليك ما اتلفته

اما مدام وزيل اورور فانها التفت الى الفارسين بينما كان الفلاح يسير الى منزله وقد اصفر وجهها من الغضب فقالت لهما الا تريان ان ابن عمي قد اهانكما اهانة عظيمة

فقال لها الشفاليه بيرودا اي ارى رايك يا سيدتي وسارح قصره هذه الليلة

وقال المسيو بوليو و نا افعل فعالك

فاجابهما لوسيان افعلا ما تحلو لكما ثم قال لدليل الصيد واما انت تعد بالكلاب الى القصر وعند ذلك حيى الجماعة واطلق لجواده العنان

فشيعته ابنة عمه بنظرات ساهية وقالت بلهجة شفت عن الكره الاحتقار من كان يظن بانهم يعدونه زوجا لي ولكن هذا لن يكون

فقال لها الشفاليه ولكن لوسيان لم يخطر له هذا الخاطر ثم ابتسم

ابتسم المتهكم وقال ان قلبه لا يتسع لحبين

فارتعشت اورور واصفر وجهها ولكنها لم تجب

اما الشيقالييه فانه همس في اذن رفيقه قائلا ان لوسيان قد عاملنا معاملة ارفع للوضيع ولكني اقسم لك اني سانتقم منه شر انتقام

وعند ذلك سار الفارسان والفتاة بطريق سولي

٣

ولنعرف الان قراءة هذه الروايا لوسيان وبنة عمه

كان لوسيان يدعى الكونت دي مازير وكانت ابنة عمه تدعى مدموزيل اورور وهي من اعرف الفرنساويين حسبا وقد لقبت بكونتس في باماريا مكافأة لها عن خدمات ابيها الجليلة للاسرة المالكة وبرحت المانيا مع ابيها منذ بضعة اعوام عائدة الى فرنسا فاقامت فيها

اما لوسيان فقد جاء مع امه للاقامة في قصر دي بوبير وهو ذلك القصر الذي نشرنا خبر احتراقه في مقدمة هذه الرواية

ويذكر القراء ان ذلك القصر قد التهمه النار بجملته منذ ستة اعوام وقيل يومئذ ان اصحابه الكونت دي مازير وامراته قد التهمتهم النار فيما التهمت

وكان يحيط بهذا القصر اراض شاسعة ولم يكن لصاحبه غير وارثين وهما لوسيان ابن اخيه واخوه والد اورور فجاء لوسيان وامه وعاد والد اورور بابنته من المانيا فاقتسما الارث فكان حظ لوسيان القصر وما يجاوره وحظ والد اورور الاراضي

وكانوا كلهم غرباء عن هذه المقاطعة التي اقاموا فيها فان الكونت الذي التهمته النار وخلف لاخيه وابن اخيه هذا الارث كان قد شترى تلك الارض قبل احتراق القصر بعام

وكان ايراد هذا الارث الذي خلفه يبلغ نحو المليون غير ان الاشاعات توارت بعد موته بالنار ان ثروته لم تكن قاصرة على الاراضي بل انه ترك مبلغا طائلا مؤلما من اوراق مالية وضعت في صندوق صغير فبحث الورثاء بحثا مستفيضا اثر هذه الاشاعة عن الصندوق دون ان يجدوه ثم تعاقبت الايام على هذه الاشاعة فمحتها من الاذهان

اما الورثاء فقد كانوا يعيشون عيشة بزخ ورخاء ولاسيما مدموزيل اورور فقد كانت بارعة في الجمال مولعة في الصيد وقد طالما تمنى الفتيان الاغنياء خطبتها غير انهم كانوا يشيعون ان ابن عمها لوسيان سيخطبها فيتراجع الخطاب آسفين

على انه مع هذا النسب وهذا التقارب كان يوجد بين العائلتين شبه انفصال فان لوسيان كان يزور منزل عمه واورور كانت تزور منزل ابن عمها خلافا لوالدته ووالدها فانهما كانا لا يتزاوران على الاطلاق ويبالغ كل في اجتناب الاخر فلو التقيا اتفاقا جبى كل منهما الاخر ببرود كانهما غريبان

وما خلا ذلك فقد كانت العائلتان عائشتين بملء الرخاء والهناء فان لوسيان كان يدعو كثيرا من اصحابه الى حفلات الصيد فكان كثير البشاشة مشرق الوجه تبدو آثار النعيم بين عينيه

وكان الفلاحون يحبونه بقدر ما كانوا يكرهون ابنه عمه فانه كان كثير الاتضاع وكانت كثيرة التيه والحيلاء

غير انه حدث له انقلاب فجائي منذ بضعة اشهر فامحت اثار تلك البشاشة وتمكنت منه السويداء وذهبت رغبته بالصيد فكان يظهر بمظاهر الفتور مع ابنة عمه بعد ان كان لا يطيب له عيش الا بقربها

اما اورور فكانت كثيرة الاعجاب بنفسها شديدة التيه بجمالها فكانت تعلل انقلاب ابن عمها من الطيش الى الرزانة ومن الزهو الى السويداء انه قد بلغ مبالغ الرجال واثر حبها على قلبه هذا التاثير فتاه في مهامه التفكير

وكانت تعبث به منذ الحداثة وقد تعودت السيادة عليه ورضيت ان تكون امراة له منذ اراد ذووهما هذا الزواج ولكنها لم تكن تحترمه بل تعده ضعيفا بسيطا وتمني نفسها باستعباده بعد القران

اما وقد بسطنا اخلاقها واعتمادها على نفسها وتعودها السلطة على ابن عمها فلا بد ان يدرك القاريء عجبها حين لقيت من ابن عمها ذلك الجماء وتلك المقاومة في حادثة الصيد فانها كانت تحسبه عبدا لها وقدرات فجاءة ان هذا العبد قد تمرد وخلع عن عاتقه نير العبودية فغضبت غضبا شديدا خلافا لرفيقيها الفارسين فانهما تلقيا هذه الحادثة بملء الارتياح

وكان اذكى الفارسين الشفاليه ميشيل دي فالون فلما اطلقت اورور العنان لجوادها تبعها الفارسان فلم يستطيعا ادراكها فالتفت الشفاليه الى رفيقه وقال له ارى ايها الصديق ان مداموزيل اورور لا بد لها ان تقف

ران من الخرق ان يحذو جوادنا حذو جرادها في الركض فقد اعياها التعب

قال لقد اصبت فان جوادي يكاد يسقط صريعا

قال اذن نغتنم فرصة اختلائنا فنسير الهوينا ونتحدث

قال بماذا تريد ان نتحدث واية فرصة نغتنم

قال نتكلم بجلاء ايها الصديق

قال هذا جل ما ابتغيه

قال انك تعشق الكونتس

قال بل اني مفتون بها

قال وانا كذلك ايها الصديق فان غرامي بها لا يقل عن غرامك

فنظر البارون الى الشفاليه نظرة منكرة غير ان الشفاليه لم يعبأ به وقال له ارجو ان لا تدفعك الغيرة الى الحقد علي فان اتفاقنا ميسور اذا اردت

قال اصغ الي فانه لو خطر لنا منذ ساعة ان نبسط حبنا للكونتس لما كان حظنا غير الجفاء والاعراض

قال اتظن ذلك

قال بل اوكده

قال والان

قال اصغ الي كل الاصغاء فاني واياك فقيران بالقياس الى الكونتس ولو جمعت ثروتي وثروتك لما بلغت ربع ثروتها

قال لا انكر ما تقول ولكن ماذا تريد بهذا القول

قال اريد اننا نستطيع الان التفريق بين لوسيان وابنة عمه الى الابد ونغتنم فرصة هذا الافتراق

قال ان هذا قد يكون ولكن الكونتس لا يمكن ان تكون زوجة الاثنين

قال هو ذاك فاني توقعت ما تقول ولكن اتفق الان على القاء النفرة بين الخطيبين

قال وبعد ذلك

قال وبعد ذلك يعمل كل لنفسه

قال لقد اصبت ولكن

قال ولكن ماذا

قال كيف تستطيع الوصول الى هذه الغاية

قال ان لوسيان عاشق

قال انه يعشق ابنة عمه

قال كلا

فاضطرب البارون فوق سرج جواده وقال من يعشق اذا كان لا يعشق ابنة عمه

قال الم تذهب مرة الى نواحي الدير

قال بل ذهبت الف مرة

قال اذن لقد عرفت داغوبير

قال دون شك فاني اشتري من دكانه نعال جيادي

قال الم يتفق انك رايت مرة في دكانه فتاة جميلة يقولون انها قريبة داغوبير

قال نعم وهي بارعة في الجمال

قال اذن فاعلم ان لوسيان مفتون بها

فضحك البارون وقال العلك تمزح ايها الصديق

قال كلا بل اقول الحق

قال وهل تجهل ابنة عمه هذا الغرام

قال كل الجهل فاذا شئت اخبرناها بامره منذ الليله فاني اعرف اخلاق الكونتس فهي شديدة الكبرياء فاذا علمت ان ابن عمها يهوى فتاة قرويه ويؤثرها عليها نفرت منه كل النفور وكان بينهما فراق الابد

قال ولكن مهما بلغت النفرة بينهما فان اهلهما يوفقون بينهما لانهم راغبون في هذا الزواج

قال انك مخطيء في هذا الظن لانك لا تعلم من اخلاق الكونتس ما اعلم فانها اذا ارادت امرا لا يثنيها عنه شيء

فنهد البارون وقال حقق الله هذا الرجاء

وعند بلوغهما من الحديث الى هذا الحد وصلا بجواديهما الى مكان كثير الادغال فرايا الكونتس واقفة في انتظارهما

فلما رأتهما ابتسمت وقالت لهما بلهجة المتهكم لا بد لكما انّ تحكما

بان جوادي اسرع من جواديكما

فقال لها الشفاليه نسالك العفو ايتها الكونتس فقد بذلنا جهد الطاقة لادراكك فلم نستطع

قالت وانا قد انتظرتكما ولكن اتعلمان في اي طريق ذهبت الكلاب

قال انها سارت في اقرب طريق يودي الى بوربير كما امر صاحبها

قالت ولوسيان

فابتسم الشفاليه ابتسامة دلت على ما فطر عليه من المكر وقال ان لوسيان يسير في غير هذا الطريق

قالت ماذا تعني بذلك يا شفاليه

فابتسم البارون وقال ان صديقي الشفاليه يحب النميمة يا سيدتي الكونتس فلا تصدقيه

فقطبت حاجبيها وقالت اني لا افهم الالغاز فارجوك يا شفاليه ان ان تخبرني مجلاة عن الطريق التي سار فيها لوسيان

قال انه سار يا سيدتي في طريق الدير

فابتسمت الفتاة ابتسامة الاحتقار وقالت انه ليس فيلسوفا فقط بل انه من اهل التزهد والعبادة

قال انه لم يذهب بطريق الدير من اجل هذا

قالت اذن ما هي غايته

قال انه يوجد عند باب الدير دكان حداد يبطري

قالت العل نعل فرسه سقط

قال انه يسقط دائما قرب دكان هذا البيطري

قالت اني لا افهم ما تقول يا حضرة الشفاليه

قال اذن فاعلمي يا سيدتي ان لهذا البيطري قريبة بارعة في الجمال

فاصفر وجه الكونتس عند ذلك كانما عقرب الغيرة قد لسعتها ونظرت الى الشفاليه بعينين تتقدان فقالت لعلك تمزح يا سيدي

قال معاذ الله يا سيدتي ان اجسر على ممازحتك في هذه الشؤون ولكني اقول لك الحقيقة وهي ان لوسيان ابن عمك وخطيبك قد فتن بفتاة قروية يلقبونها بربيبة الدير

فهاجت عوامل الكبرياء في صدر الفتاة وتبدل اصفرار وجهها بالاحمرار فنظرت الى الفارسين نظرة شفت عن العظمة وقالت اقسم لك يا سيدي انه اذا كان ما يقوله الشفاليه اكيدا فاني لن اكون ابدا الكونتس دي مازير

فقال الشفاليه اني لا اكذب يا سيدتي واذا شئت برهنت لك عن صدقي

قالت متى

قال متى اردت

قال اذن هات برهانك ان كنت من الصادقين وقد ظهرت على على وجهها عند ذلك علائم الاحتقار لابن عمها والنفرة منه حتى ان الفارسين وثقا من نجاحهما فيما ينيان وفرحا فرحا لا يوصف

٤

كان الكونت لوسيان في خلال ذلك سائرًا في طريق الدير وقد اتخذ اقرب الطرق الموءدية اليه

ولكنه لم يبعد نحو مائة خطوة حتى سمع وقع ركض من ورائه بين الادغال فالتفت فراى ان الذي يركض في اثره كان بنوات الاحدب

فوقف لوسيان حتى وصل اليه فقال له من اين انت قادم

قال من اقفر الطرق فاني خشيت ان اكون عرضة لانتقام اهل سولي

قال لماذا ينتقمون منك

قال لانهم يكرهون مدموازيل اورور فاذا عرفوا اني كنت معكم بعد تلك الحادثة لا اسلم من انتقامهم

قال ولماذا يكرهون ابنة عمي

قال لانها شديدة على الفقراء فهم يكرهونها بقدر ما يحبونك ولذلك اكون في خدمتك حين تريد الصيد وحدك واما اذا كنت مع ابنة عمك فان في خدمتك كل الخطر

قال اذن لقد احسنت باتصاري لهذا الفلاح

قال لقد احسنت كل الاحسان يا سيدي بل ربما تكون قد اجتنبت مصابا شديدا

قال كيف ذلك

قال ان هذا الرجل الذي ارادت ابنة عمك معاقبته يحبه قومه

ويخضعون له كل الخضوع وهو في كل يوم احد يخطب بهم في الخانقة ويحمل على النبلاء والكهنة والرهبان حملات منكرة فيصغون اليه اصغاء تاما حتى انهم باتوا يعتقدون اعتقاده بالنبلاء وهو انهم ملية الفقراء

فاطرق لوسيان مفكرا وقال اهو قال هذا القول

قال نعم يا سيدي وقد انضم الجمع الى لوثه فلو جلدته ابنة عمك بسياطها لكان انتقام الفلاحين اشياعه هائلا

قال كيف يكون انتقامهم

فارتعش الاحدب كانه خشي الزيادة في التصريح وقال غير اني لا اعلم اذ كانوا يقولون هذه الاقوال وهم يستطيعون تاييدها بالافعال والذي اراه انهم لا يجسرون

فعلم لوسيان انه لا يريد ان يجاهر بكل ما يعلمه فقال له انك تعلم يا بنوات اني احبك وانك تستطيع ان تقول لي كل شيء دون ان تصاب بمكروه

قال هذا لا ريب فيه عندي يا سيدي

قال قل اذن كيف يكون انتقامهم

قال ساخبرك يا سيدي ثم وضع يده دون كلفة على جواد لوسيان وقال له لقد بات النبلاء في عيون الفلاحين فريقين فريق يحبونه ويخدمونه وفريق يكرهونه ويضمرون له الحقد فانني اعرف كثيرين يثورون عليك في كل مجلس ولكني اعرف كثيرين ايضا لو دعوهم الى احراق قصر ابنة عمك لاجابوا الدعوة راضين

قال لماذا

قال لان ابنة عمك واباها يكرهان الشعب والشعب يكرهما اشد الكره فان الفلاح في حقله اذا راى طائر السيج في الفضاء ماشاء ثم يستقر على شجرته وايلا يجتاز عشر مراحل ثم يأوي الى زرعه انه لا يخطر له في بال ان هذا الطائر وهذا الايل ملك النبلاء والرهبان فاذا قال النبيل ان هذا الطائر لي ولا يحق لاحد صيده نذعن لقوله مكرهين ولكننا لانفهم ما يقول

وانه يوجد بيننا من النبلاء من قدم عهد التصاقهم بنا الى مائة عام ومائتين فهؤلاء لا نكرههم بل نكون لهم عوناً حين الاقتضاء ولكننا نكره اولئك النبلاء الذين قدموا حديثاً الينا

قال من كان منهم مثلي

قال كلا فانهم يحبونك لانك لين العريكة كثير الاتضاع ولكنهم يكرهون اولئك الذين يحملهم الصلف على استعبادهم كابنة عمك مثلا فانهم لايحبونهم

قال وعمي .

قال وعمك كذلك فانه سجن منذ عام ستة من الفلاحين لاوهى الاسباب حتى ان زعيمهم قال منذ عهد قريب لقد آن اوان الانتقام من هذة البيت .

قال ولكن كيف ينتقمون

قال بالنار فانهم يعتقدون انها عقاب الآخرة اي عقاب الله

فاطرق لوسيان مفكرا وفرغ الاحدب من حديثه وسار الاثنان حتى كادا يدنوان من الغابة فهم بنوات بالانصراف وقال له استودعك الله يا سيدي

قال كيف ذلك اتتركني

قال اني راجع الى الغابة

قال الا تصحبني الى الدير

قال لا شان لي يا سيدي في الدير ثم . . . وفرك الاحدب اذنه دون ان يتم كلامه

فقال له ثم ماذا .

قال اني اصطدت بضعة طيور خأتها في جيوبي واخاف ان يراها الرهبان معي فانهم لا يؤذنون لنا باصيد في الغابة

فاخذ لوسيان ريالا من جيبه ودفعه اليه فرده الاحدب وقال له اني حين ارافقك في الصيد واقود كلابك فانما افعل ذلك لما اجده من السرور في خدمتك واللذة في الصيد فما انت مدين لي بشيء .

فرد لوسيان الريال الى جيبه وقال ما انت صانع بهذه الطيور التي اصطدتها

قال ابيعها

قال اذن اذهب بها في هذا المساء الى منزلي وانا اشتريها منك

قال حبا وكرامة يا سيدي

قال والان ترافقني الى قرب باب الدير ام لا تزال خائفا من

الرهبان

قال اصحبك الى حيث شئت ورجائي ان لا تنسى ما نصحتك به بشان داغوبير

فحاول لوسيان ان يبتسم فلم يستطع لاضطرابه وقال له اني لا اريد الاحد شرا ولكن نعل فرسي قد سقط ولا بد لي من الذهاب اليه اذ لا يوجد بيطري سواه

وسار الاثنان حتى اقتربا من دكان داغوبير فراى الاحدب عن بعد ان النار خامدة فيها فابتسم وقال للكونت يظهر ان داغوبير غير مقيم في دكانه او انه يشتغل في الدير فاني لا ارى ناره ولا اسمع صوت مطرقته

ثم وصلا الى باب الدكان فجعل الاحدب ينادي داغوبير وهو لا يجيب

وبعد هنيهة شعر لوسيان باضطراب شديد ذلك ان نافذة الغرفة التي هي فوق الدكان فتحت وبرزمنها وجه فتاة تفتن الجمال بجمالها فقالت ان داغوبير ليس هنا

اما هذه الفتاة فكانت حنة التي يلقبها اهل تلك الناحية بربيبة الدير

فلما رآها لوسيان رفع قبعته احتراما وقد عبق وجهه احمرارا فقال لها اين هو داغوبير يا سيدي

قالت الملك محتاج اليه

قال نعم فان نعل فرسي قد سقط

فابتسمت الفتاة وقالت انه يسقط كثيرا يا سيدي

فاضطرب لوسيان وقال لها الاحدب ان هو داغوبير يا سيدتي

قالت انه في الدير فان الاب جيروم قد دعاه اليه

فقال لها لوسيان اذن سانتظره الى ان يعود

فاقفلت الفتاة النافذة ونزلت الى الدكان فقالت له تفضل يا سيدي بالدخول فان البرد يوءذيك

ثم اخذت بيدها البيضاء حبل منفخ الحداد وجعلت تهزه بغية ايقاد النار لتدفئته

اما بنوات فانه ذهب الى باب الدير فقرعه ففتح له احد الرهبان وقال له ماذا تريد

قال اريد ان ارى داغوبير

قال ذلك محال الان فانه يتداول مع الاب جيروم فما تريد منه

قال نعل فرس

قال اذا كنت تريده من اجل هذا يا بني فلا فائدة من اخباره لان الرئيس مريض وقد دعاه اليه لمداولته في امور خطيرة

فعاد الاحدب الى الدكان وكان لوسيان قد ربط جواده عند باب الدكان وجلس قرب النار يتحدث مع ربيبة الدير الحسناء اما الاحدب فكان ينظر اليهما نظرة المعجب بهما ويقول في نفسه ما اخلق هذين الملاكين بالاتحاد فقد خلق كل منهما للاخر

٥

ولندخل الان بالقارىء الى داخل هذا الدير ونبسط السبب الذي

دعا البوليس من اجله داغوبير

ان الاب جيروم كان قوي البنية متين الاعضاء لا يزال في دور الكهولة غير انه اصيب فجاءة بمرض خفي على الاطباء فكانت قواه تنحط تتلاوشى في كل يوم

وكان هذا حاله منذ شهر حتى بات لهزاله كالخيال فكان يقضي جميع مهامه الرئيسية على استفحال مرضه ولكنه لايفرغ من قضاء هذه المهام حتى يشعر ان التعب قد اضنكه وانهك قواه

وكان في خلال مرضه اذا اعتدلت الحرارة خرج من الدير متنزها الى دكان داغوبير فيجلس عنده وهو يتامل محاسن تلك الفتاة فيعود اليه تذكار الماضي وتتقد عيناه ببارق الشباب ثم يطرق براسه ويبتسم ابتسام السويداء

وفي ذلك اليوم كان الطقس معتدلا فكان داغوبير يرجو ان يزوره الرئيس ولكنه انتظره عبثا الى ان حانت الساعة الرابعة فجاءه احد الرهبان وقال له ان المرض قد اشتد بالرئيس وهو يدعوك اليه لشان خطير

فامتثل داغوبير وذهب مع الراهب الى غرفة الرئيس فاشار الرئيس الى الراهب بالانصراف وبقي وحده مع داغوبير فبدأ الاب جيروم الحديث وقال له اني اشعر بضعف شديد ولكني اعرف اعراض هذا الداء وما انا في خطر منه غير اني دعوتك الي يا بني لاحدثك بشأن خطير فاجلس بجانبي

فجلس داغوبير وقال له مر يا سيدي بما تشاء

فقال له الرئيس لا بد ان تكون علمت باني اريد محادثتك بشان حسنة

فاطرق داغوبير براسه وقال نعم

قال ان هذا الداء الذي الم بي حمى بطيئة سرت الي عدواها في زمان الشباب من بلاد بعيده حين كنت جنديا ثم عاودتني الآن بعد اعوام كثيرة

وقد عاودتني مرة منذ خمسة عشر عاما وكنت راهبا في هذا الدير فلزمت الفراش ستة اشهر ولكني كنت راهبا بسيطا في ذلك العهد فلم ينتبه لامري احد

اما الآن فان جميع الانظار متجهة الي وارى كثيرين من الطامعين في منصبي ينتظرون موتي بفارغ الصبر فان الطمع يدخل في نفوس رجال الدين كما يعلق بسواهم من الناس فان الانسان انسان كيف كان

على انه اذا قدر لي الموت يا بني فلا اموت بهذا الداء الذي اشكو منه الآن ورجائي ان اعيش كثيرا لخدمة الله ونجاح هذا الدير وسعادة تلك الفتاة التي اوثمنت عليها ومن اجل هذا دعوتك الي فقل لي الى من كم تبلغ الفتاة من العمر

قال انها بلغت السابعة عشرة

قال بقي لدينا ثلاثة اعوام للقيام بما انتدبنا اليه صديقي ولكن الثلاثة اعوام تعادل في بعض الاحوال ثلاثة قرون ومن يعلم ما يحدث في خلال هذه السنين الثلاث

ان هذا الصديق سافر منذ سبعة ايام ولكنه لم يعد فلا بد ان يكون قد مات وفي كل حال فليه فائدة من الانتظار اذن يجب ان نتاهب للسفر .

فقال له داغوبير اني مستعد للسفر الى اقصى حدود الارض

قال كلا بل الى باريس وانت تعلم يابني ان رؤساء الاديرة لا يستطيعون مبارحة اديرتهم الا بعد استئذان الرئيس الاعظم وقد ارسلت التماسي وسيجيبني الرئيس اليه فيما اظن فاذا كنت غير مخطىء في تشخيص علتي فان قواي تعود الي بعد شهر فاسافر وايك

قال اتسافر معنا حنة

قال دون شك فاننا نبحث عن ثروتها ثم

وهنا توقف الاب جيروم فاضطرب داغوبير وقال ثم ماذا

قال ان حنة من بيت نيل وهي وافرة الثروة فلا بد ان يتزاحم عليها الخطاب فلا نعدم بينهم رجلا سيل القلب يخطبها اذ لا بد من تزويجها

فاجابه داغوبير بصوت مختنق هذا لا ريب فيه

قال والان قل لي اما كنت ترى احدا من الشبان النبلاء يرود حول الدير وحول مكانك بحجة الصيد او شراء نعل لفرسه

قال لقد اصبت فقد رايت كثيرين منهم يتذرعون بمثل هذه الحجج للنظر الى الصبية لا سيما واحدا منهم

قال اهو شاب

قال نعم يبلغ العشرين

قال اهو جميل

قال نعم

قال انه غني دون شك ونبيل

قال انهم يدعونه الكونت دي مازير

فوقف الاب بيروم منذعرا حين سمع هذا الاسم وبدت عليه علائم الاحتقار فقال اي اسم ذكرت لي

فبهت دغوبير وقال الكونت دي مازير يا سيدي وهو فتى حسن السمعة لا يذكره احد الا بالخير

قال ويح لهذا الشقي

قال اني اعجب يا سيدي من احتقارك لهذا الفتى بعد اجماع قومنا على حبه واحترامه ولو علمت قبل اليوم ان الفتاة غنية وانه يجب تزويجها من نبيل غني مثلها لما اخترت لها غيره زوجا

قال العله يحبها

قال اظن

فزادت ظواهر احتقار الرئيس وقال كيف عرفت ذلك العله اجتمع بها

قال اني حين اشتغل في دكاني يا سيدي ولا يكون لديها ما تعمله في المنزل تاتي الى فرارا من الوحدة فتحادثني وهي تشتغل بابرتها واحادثها وانا اشتغل بالمطرقة وذلك منذ سبعة اعوام الى اليوم . وقد اتفق يوما منذ ستة اشهر ان فتى جاءني لاصلاح نعل جواده وهو لوسيان فرآها

٦١٣٥

عندي وحادثها وبعد اسبوعين عاد الي ثم جعل يجيئني كل اسبوع بنفس الحجة وماذا تريد ان اصنع به يا سيدي واي لوم علي

قال لا لوم عليك ولا تثريب ثم ساد السكوت هنيهة بينهما وعاد الرئيس الى الحديث فقال اصغ الي الان يا بني فانك على كونك فلاحا وحدادا فان بين جبينيك قلبا يتسع للنبل اكثر من اتساع قلوب اولئك النبلاء ولكن حائلا عظيما يعترض بينك وبين حنة

فاطرق داغوبير دون ان يجيب

قال ولقد كنت اوثر الف مرة ان اراها امراتك على ان تكون امراة الكونت لوسيان فان هذا البيت قد تلطخ بالدماء واعلم يا داغوبير اني اعتزلت العالم واصبحت من رجال الله ومن كان راهباً مثلي فقد وجبت عليه الرافة والمساهلة والاغضاء غير اني ما سمعتك تذكر هذا الاسم حتى نسيت موقفي وثرت في تلك العواطف القديمة فهاجت من نفسي المكامن .... داغوبير ان هذه الفتاة لا امان لها في منزلك ما زال هذا الكونت يختلف اليك فاذا اضطررت في سبيل طرده الى سحق راسه فافعل ولا حرج عليك

قال له داغوبير كفى يا سيدي فقد كفاني ما سمعت وثق ان لا خوف على الصبية

فرفع الاب جيروم يديه الى السماء وقال رباه هبني من لدنك قوة استطيع بها الذهاب الى باريس وانقذ هذه الفتاة من مخالب الاثمة ولا اسالك بعد هذا غير الموت

ثم نظر الى دغوبير وقال له ماذا فعلت بالخاتم

قال انه في اصبعي

فنظر الرئيس الى الخاتم منذهلا فان هذا الخاتم الذهبي قد اسود واستحال لونه الى لون الحديد

فقال له داغوبير لا تعجب يا سيدي فان الخاتم هو نفسه وانما سودت لونه بالدخان كي لا استلفت اليه انظار اهل الفضول فان من كان فقيرا مثلي لا يلبس عادة مثل هذه الخواتم ذوات الشعار

قال لقد اصبت يابني والان فقد فهمت قصدي

قال نعم

قال اذن احرص كل الحرص على حنة الى ان اتمكن من السفر

قال اعتمد علي ياسيدي

وهنا اطلق الرئيس سراحه فانصرف داغوبير حتى اذا وصل الى باب الدير قال له الحاجب انهم محتاجون اليك

قال ان

قال في الدكان.

فخفق قلب داغوبير وخرج من الدير فراى عند باب دكانه جوادا وراى رجلا واقفا قربه فعرف ان الرجل كان بنوات الاحدب وان الجواد جواد الكونت لوسيان فهاج غضبه ودخل فجاءة الى الدكان فراى الكونت لوسيان جالسا قرب حنة وهي محمرة الوجه

ولنعد الان الى مداموزيل اورور فقد تركناها مصفرة الوجه من الغضب وهي تسال الشفاليه برهانا عما قاله لها من حب الوسيان لحنة فقال لها الشفاليه اني مستعد لابداء البرهان يا سيدتي الكونتس عند ما تريدين

قالت اني اريده الان فقل اني مصغية اليك

قال ان برهاني يا سيدتي لا يقال بل ينظر

قالت كيف ذلك

قال اتقنعين اذا رايت لوسيان في دكان الحداد

قالت كلا فانه قد يكون دخل اليها لاصلاح نعل فرسه

قال واذا رايته جالسا الى الفتاة يحادثها وينظر اليها نظرات غرام

فانقدت عيناها وقالت يكفي به برهانا

قال هذا الذي اردت ان اظهره لك يا سيدتي

قالت كيف

قال ان لوسيان قد ذهب الان دون شك الى البيطري فاني رايت جواده يعرج ولا شك ان الفتاة ستكون في الدكان فانها تقيم فيها عادة بعد الظهر فاذا شئت يا سيدتي ذهبنا الى مستنقعات الدير على الجياد فنغادر جيادنا فيها ثم نذهب على الاقدام فنختبىء بين اشجار الغابة المقابلة لدكان داغوبير وهناك ترين ما اخبرتك به فيحقق الخبر الخبر

فثارت العواصف في قلب اورور وقالت لقد رضيت هلموا بنا

فنظر الشفاليه الى البارون نظرة انتصار وتقدمت الفتاة الفارسين

الى المستقعات فتبعها الفارسان يسيران فوق جواديهما جنبا الى جنب فقال البارون للشفاليه اواثق انت مما تقول

فقال له الشفاليه اني واثق كل الثقة

قال ارايت حقيقة ن جواده كان يعرج

قال نعم وسوف ترى حقيقه اننا قرب الفتاة

وبعد عشر دقائق وصلوا الى المستقعات فربطوا اجيادهم فيها وساروا في الغابة حتي وصلوا الى شجرة باسقة كثيرة الفروع محادية للدكان فاختبأوا وراءها وقال الشفاليه انظري يا سيدتي الا ترين جواد لوسيان عند باب الدكان

قالت نعم

قال تعالي الى الجهة اليمنى ترى داخل هذه الدكان

وكان داغوبير في ذلك الحين لا يزال في الدير فذهبت الكونتس الى الجهة اليمنى فرات رجلا وامراة جالسين

اما الشفاليه فانه قال ان الوقت لا يزال فسيحا لدينا فلنصبر لا سيما وانه غير عازم على الرحيل كما يظهر

وكانت الشمس قد توارت في حجابها واوقدت حنة مصباحا في الدكان فكانت اورور ترى كل شيء في داخلها فلما رات لوسيان جالسا بجانب حنة ينادمها عضت الغيرة قلبها وشدت على قبضة السوط الذي بيدها حتى كادت تشحقها

ورأى الشفاليه ما ظهر من غيرتها فقال لها كيف رايت يا سيدتي

اوثقت اذن مما ملته لك

فاجابته بلهجة القنوط نعم لقد برح الخفاء ولكن اطمئن فسوف انتقم افظع انتقام من هذا الخائن الاثيم

فقال لها البارون اما وقد وثقت يا سيدتي من خيانته فلنعد الى جيادنا فلا فائدة من البقاء هنا

قالت كلا اني احب ان ارى كل شيء . . . اريد ان اصبر الى النهاية

وفي ذلك الحين كان داغوبير قد خرج من الدير وراى جوادلوسيان مربوطا الى باب دكانه فثار ثائره وانقض على الدكان انقضاض الصاعقة فلما رائه حنة زاد احمرار وجهها اما لوسيان فانه اصفر ووقف فقال داغوبير اني انتظرك منذ ساعة

لوسيان

فاجابه داغوبير ليس لدي الان نعال حاضره وقد انقضى النهار فلا وقت لي لصنع نعل جديدة

قال ولكن جوادي يعرج

قال يوجد في سوقي بيطري فاذهب اليه ثم ارجوك يا سيدي الكونت ان تاذن لي بان اعهد اليك بمهمة

قال لي نا

قال نعم ثم مشى الى الباب فعلمت حنة انه لا يريد ان يكلمه امامها فصعدت الى المنزل وهي تضطرب

اما داغوبير فانه لما رآها صعدت عاد الى الدكان فنظر الى الكونت

وقال له اني لا اريد ان اعهد اليك بمهمه كما قلت لك ولكني احب ان اسديك نصيحة

فهاجت عوامل الكبرياء في نفس الكونت وقال له انت تسديني نصيحة

قال نعم يا سيدي ويجب ان تسمعها ونصيحتي هي ان جوادك غير صالح بجب استبداله

قال لماذا

قال لانه كثير الحاجة الى النعال

قال الملك تريد اني اتردد كثيرا على دكانك

قال اني لا اريد ان اوضح كلامي فافهمه كما تريد

وقد قال داغوبير هذا القول واطرق بعينيه فادرك لوسيان قصده وقال له اصغ الى يا داغوبير فاني شاب نبيل غني

قال اني اعرف كل ما تقول يا حضرة الكونت

قال واني احب قريبتك

قال واعرف هذا ايضاً

قال وليس في طباعي شيء من طباع امثالي النبلاء بل اني احتقر حلقهم وكبرياءهم ولا اتزوج الا المراة التي احبها

فلم يجبه داغوبير بشيء

قال وقد قلت لك اني احب قريبتك فهل تريد ان اجعلها الكونتس دي مازير

وكان الكونت يتوقع ان يستقبل دغوبير هذه المنة بملء السرور غير انه لم يبد عليه شيء من ظواهره بل قام الى مطرقته الضخمة فتسلح بها وقال له اصغ الي يا سيدي الكونت ان قريبتي لم تخلق لك واعلم اني حداد فقير وانك سيد عظيم ولكني غير خاضع لك ولا سلطان لك علي ولذلك امنعك عن الدخول الى دكاني

قال ماذا تقول انك مخطيء يا داغوبير

قال هذه اخر كلمة اقولها فاعلم الان انه مهما بلغ من ارتفاعك : ضعتي وغناك وفقري فاني اقتلك اذا عدت الى هذا البيت

وقد قال هذا القول بصوت منخفض لم تسمعه جنة ثم قال له اخرج من هنا

فاصفر وجه لوسيان من الغضب والخجل ولم يجب

فرفع داغوبير المطرقة فوق راسه وقال له قلت لك اخرج

وكان لوسيان من رجال الشهامة والنبل فوقع هذا الكلام عليه وقوع الصواعق ووضع يده على قبضة خنجره اذ لم يكن لديه سيفه في تلك الساعة وهم ان يجرده ويطعن به داغوبير

غير ان داغوبير كان اسرع منه فانه انقض عليه وقد ادرك قصده فحمله بين يديه كما يحمل المطرقة وخرج به من الدكان دون ان يفوه بكلمة فوضعه فوق سرج جواده وقال له امض في شانك واحذر ان تعود

وكان داغوبير مشهورا بين قومه بالقوة حتى كانوا يضربون به المثل

فيقولون فلان قوي كداغوبير فلما وجد الكونت نفسه فوق جواده جمد الدم في عروقه وكبر عليه الامر فلم يثب من ذهوله حتى حاول الرجوع الى الدكان وهو يزبد من الغيظ بالرغم عن نصح الاحدب له بالعودة والاكتفاء بما حدث ولكن داغوبير كان قد اسرع الى الدكان فاقفل بابها وصعد الى المنزل غير مكترث لوعيد الكونت

اما لوسيان فانه جعل يضرب باب الدكان بقبضة خنجره ويقول افتح ايها الشقي فلا بد لي من قتلك ولو صعدت الى الغمام

فلم يفتح الباب كما كان يتوقع بل فتحت النافذة واطلت منها حنة فقالت له بلهجة دلت على يأسها اسالك بالله يا سيدي الكونت ان لا تهيج غضب قريبي

فقال لها الكونت ان قريبك قد اهانني اهانة لا تغتفر جزاء لقولي اني احبك وني اريد ان اجعلك . . .

اما حنة فانها اقفلت النافذة قبل ان يتم جملته وفي الوقت نفسه فتحت نافذة اخرى وهي نافذة غرفة داغوبير واطل منها الحداد فقال له يظهر يا سيدي الكونت انك فقدت رشدك واني انصحك بالانصراف

قال بل اني ساقتلك شر قتل ايها الشقي فقد جسرت على ما لم يجسر عليه احد من قبلك وساحرقك واحرق منزلك بالنار

قال اما انا فساخمد تلك النار المتصاعدة الى راسك!

ثم احتجب داغوبير هنيهة وصاح الاحدب بالكونت يقول له احذر غير ان لوسيان لم يجد سبيلا للحذر فان داغوبير عاد مسرعا الى النافذة

يحمل كوز ماء كبير فكب جميع ما فيه من الماء البارد فوق راس الكونت

فانتفض لوسيان انتفاض العصفور بلله القطر وقد سكن ثائره لانشغاله بتثير تلك المياه ثم عاوده الهياج وهم ان يعود الى الباب ويحاول كسره ولكنه تراجع متذعرا اذ سمع صوت ضحك يشبه ضحك الساخر

فغلى الدم في عروقه من الغضب والتفت الى مصدر الصوت وكان من الغابة فراى فيها اشباحا وسمع ايضا صوت ضحك سخري

فلكز بطن جواده ودفعه الى تلك الاشباح وعند ذلك راى نور مشعل قد بزغ فجاءة وهو من تلك المشاعل الخاصة باهل الصيد فوقف خجلا مبهوتا اذ راى على نور ذلك المشعل البارون والشفاليه وبينهما ابنة عمه الكونتس وهي لا تزال تضحك ضحك الساخر وبين عينيها علائم الاحتقار والغضب

اما الكونتس فانها نظرت اليه وقالت له بلهجة المتهكم المنتقم اراك يا ابن عمي قد حييت العصور السالفة فانك وحدك تحاصر حصنا حصينا لاختطاف فتاة

ثم ضحكت ضحكا شديدا وقالت نعم ان الحصن لم يكن الا دكان حداد وان الفتاة لم تكن الا قروية من رعاة الخرفان ولكن ذلك كان سائغا في العصور الوسطى فاهنئك بسالتك

وعند ذلك ذهبت مع رفيقيها الى حيث ربطوا الجياد فوقف لوسيان لا يعي ولا يدري ما يصنع لفرط اضطرابه ولبث واقفا وهم يتوغلون

في الغابة حتى توارروا عن الانظار

. فثاب من دهشته وتمثل له ضحك الكونتس ونظرات الفارسين كهام من نار فقال اني لا استطيع مبارزة امراة ولكن هذا الشفاليه سيرى مني ما يوءدبه خير تاديب

وكانت الجماعة قد احتجبت عن نظره غير انه كان لا يزال يرى نور المشعل فدفع جواده الى جهة النور فراى ابنة عمه تسير الى جانب الشفاليه

وكان بنوات الاحدب يثب وراء جواد لوسيان ويحاول ان يخفف وطأة هياجه ولكن الغضب كان متمكنا من نفس الكونت فلم يحفل بكلامه الى ان قال له الاحدب بلهجة المتوسل بالله قف يا سيدي واسمع ما اقول

فاوقف الكونت جواده وقال له ماذا تريد

قال اريد ان اسالك اذا كنت تنوي اللحاق بهم

قال دون شك

. قال اشير عليك يا سيدي ان لا تفعل

قال لماذا

قال لانك في اشد حالات الهياج فقد يدفعك الغضب الى فعل ما لا تود ان تفعله وعندي انه خير لك ان تسير في هذا الطريق الذي يوءدي توا الى قصرك بدلا من التعريج بسولي فان جوادك يعرج وطريق سولي شاقة السير

قال اتصحبني الى القصر

قال نعم يا سيدي وهي فرصة اغتنمها لمحادثتك

فاطرق الكونت هنيهة مفكرا ثم قال هلم بنا وسر بجانبي

فمشى الاحدب بجانبه وقال له لقد كان هذا اليوم يوم شقاء ياسيدي الكونت ولو اتبعت نصيحتي منذ البدء لما اصابك شيء من هذا واصغ الي ياسيدي فاني لا اعرف البارون دي بوليه فلا اقول عنه خيرا ولا شرا ولكني اعرف الشفاليه حق العرفان

قال وما رايك فيه

قال انه من رجال الشر والمكر

قال اتظن ذلك

قال بل اوكده يا سيدي وازيدك انه مفتون بالكونتس اورور وهو الذي قال لها كل شيء

قال ماذا قال

قال اخبرها انك تختلف دائما الى دكان الحداد وانك عاشق لقريبته فعاود لوسيان الغضب عند سماع اسم داغوبير وقال اما هذا فساعاقبه شر عقاب

قال انك مخطيء يا سيدي كل الخطاء اذا انتقمت منه

قال كيف اكون مخطئا بعد ما رايت ما بدر منه

قال لان داغوبير قد فعل ما يجب عليه فان الشرف يا سيدي لا ينحصر باهل النبل وقد اردت غواية قريبته فلم يطق الصبر على هذا

العمار

فاهتز لوسيان فوق جواده واضطرب حتى اوشك ان يسقط ثم قال اتظن يا بنوات اني اريد اغواءها

قال ان الظواهر يا سيدي تدل على صدق هذا الظن

قال ولكنك مخطىء فاني احب حنة

قال ارايت كيف اني صادق بظنوني

قال هو ذلك ولكني اذا كنت من رجال الانساب فلا اتقيد بها وقد احببت تلك الفتاة ورايتها من اهل الطهر والفضيلة والعفاف فلم اكترث لما يحول بيني وبينها من تباين المقام واردت ان اتخذها امراة لي

فصاح الاحدب صيحة دهش وقال احق ما تقول

قال كل الحق وقد جاهرت بنيتي لداغوبير فكان جزائي منه ما رايت

قالت أأنت واثق يا سيدي انه سمع اقتراحك

قال كل الثقة

قال افهم مرادك

قال دون شك فاني كلمته بانم التصريح والجلاء

قال انه امر عجيب يحار فيه عقلي ثم اطرق هنيهة وقال اذا كان الامر قد اتفق كما رويته يا سيدي فلا شك ان داغوبير قد ارتكب خطاء عظيما ولكني اعرف داغوبير حق العرفان والتمس منك يا سيدي ان تعدني وعدا

قال ما هو

قال هو ان لا تشكو داغوبير ولا تنتقم منه قبل ان تراني

قال ماذا تريد ان تصنع

قال اريد ان اراه

قال وبعد ذلك

قال اقف على حقيقة افكاره واعود اليك صباح غد الى قصرك فاخبرك بما يكون على ان تفي بوعدك ولا تعاقبه بشيء قبل ان اعود

قال سافي فمتى تذهب اليه

قال الان

قال اذن الى اللقاء غدا

فغادره الاحدب عند ذلك عائدا الى داغوبير وبقي الكونت وحده في الغابة

٨

وكانت النجوم تسطع في السماء ولكنها لا تكشف ارتداد الظلام وقد ساد السكون في تلك الغابة المتسعة فسادت السويداء على الكونت وتلاها حزن عميق اسال الدمع من عينيه فان اصوات ضحك ابنة عمه والفارسين كانت لا تزال تدوي في اذنه

ثم جعل يفتكر بحنة ويتمثل له كيف انها اقعمت النافذة بعنف حين جسر على المجاهرة لها بهواه فجعل يسير الهوينا وهو يقول في نفسه لا شك ان هذا اليوم من شر ايام الشقاء فانه اختصم مع ابنة عمه بل بات

هزءاً في عينيها اذ رات ذلك الحداد يطرده من دكانه اقبح طرد

وهنا عاودته عاطفة الانتقام ولكنه جعل يسائل نفسه فيقول ترى ممن انتقم امن ابنة عمي اورور انها مصيبة في هزئها بي الست خطيبها منذ شبيت عن الطوق لم اكن خائنا نذلا في عينيها فكيف لا يحق لها ان تهزأ بي ام تراني انتقم من داغوبير واي طيش اعظم من هذا الطيش واذا اسات اليه بالانتقام فكيف اتقرب من قريبته وقد اقمت بيني وبينها مثل هذا السد . بقي هذا الشمالية الذي قال لي عنه بنوات انه من اهل الشر والدسائس وهو مصيب فيما قال ولا شك ان هذا الرجل حمل ابنة عمي على تجسسي فهو خائن نمام وسيلقى ما يستحقه من العقاب اني ساذهب اليه غدا واساله الايضاح والترضية فاذا اباهما علي صفعته وادركت من مبارزته والانتقام منه ما اريد

وكان لوسيان يبحث عمن ينتقم منه شفاء لغله فلما استقر على هذا الخاطر سكن ثائر غضبه وخف جاش هياجه

ثم ذكر ما لقيه من اندهال الاحدب حين اخبره عن صدق نيته في عزمه على الاقتران بحنة فعلل اندهاله تعليلا معقولا وهو انه في ذلك العهد كان التباين عظيما بين الاشراف وبين طبقة العامة فلا يخطر لاحد في بال ان يتدانى النبلاء الى الاتصال بالعوام بصلة القران ولا يجول في بال احد ان كونتا عظيما يتزوج فتاة قروية ولذلك خف ما عنده وقال في نفسه ان داغوبير معذور فلا شك انه حسبني هازئا به واني احتال عليه بمثل هذه الوعود تذرعا الى اغراء الصبية ولكن الاحدب سيزيل هذا

الشك من نفسه ويقوم بالمهمة التي انتدبته اليها خير قيام

وكان لوسيان في مقتبل الشباب وهو جبل غي فلم يخش ان لا يروق في عيني حنة وكان يعلم ان امه تكاد تعبده فلم يخف ان تحول دون هذا الزواج وماذا يهمه ما بقي اذا كانت حنة له

وعند ذلك شعر فجاءة انه بات يكره ابنة عمه كرهاشديدا ولم يعد يبالي بما كان منها وما سيكون واما الشفاليه فانه سيدعوه الى المبارزة وينتقم منه لهزئه به شر انتقام

وكان لوسيان يحدث نفسه بهذه الاحاديث والجواد يسير به حيث يشاء فاجتاز به مسافة بعيدة وهو لا يشعر حتى بات على مسافة نصف مرحلة من قصره ووصل الى مكان من الغابة تشعبت فيه الطرق فانتبه عند ذلك من سبات تصوراته ونظر الى ما حواليه فراى على اشتداد الظلام شبحاً اسود احدق به فعلم انه فارس

وعند ذلك اوقف جواده فوضع يده على غدارته وقال من الطارق

فاجابه الشبح بصوت الهازيء لا تخف يا سيدي الكونت فما انا من اللصوص

فظهرت على وجه الكونت علائم السرور الوحشي اذ علم ان صاحب الصوت كان الشفاليه صاحب الزمبلة فدنا منه بجواده وقال له بصوت يضطرب من الغضب اهذا انت يا سيدي الشفاليه

قال نعم يا حضرة الكونت

قال كيف غيرت طريقك فقد رأيتك سائرا بطريق سولي

قال ذلك لاني كنت ارجو ان اراك

قال ماذا تريد مني

قال اريد ان اعطيك رسالة عهد الي بايصالها اليك

قال ممن الرسالة

قال يجب ان تعلم انها من سيدتي الكونتس

فقال له لوسيان بلهجة شفت عن الاحتقار هاتها فساقراها عند ما اصل الى النور

قال لا حاجة الي الانتظار يا سيدي الكونت اذ لدي مشعل فاذا شئت انرته فنورات لرسالة على نوره

قال لا اجد فائدة في قراءة الرسائل الان لا سيما واني في حاجة الى محادثتك

قال محادثتي انا

قال نعم يا حضرة الشفاليه فاني اريد مباحثتك في امور خطيرة

قال ما عسى ان تكون هذه الامور الخطيرة

قال هي يا شفاليه انك رجل سافل

وكانت الاهانة عظيمة غير ان الشفاليه تجلد وتظاهر انه لم يجفل بها فقال له ولماذا تدعوني بسافل

قال بلى انك سافل وخائن معا

فاحتفظ الشفاليه بسكينته وقال له انك اذا كنت تريد ان تجعل هذه الشتائم مقدمة للقتال فلا فائدة منها

قال لماذا العلك لا تبارزني

قال ليس هذا الذي اعنيه بل اريد ان اقول انه لا فائدة من الشتم واذا كنت تريد قالي تجدني غدا رهن امرك

قال بل اليوم

قال انك تمزح يا سيدي الكونت

قال كلا بل اريد ان يكون قتالنا في هذه الساعة ولا اخالك تمتنع لا اذا سرى الخوف الى قلبك

قال انك تعلم يا كونت اني لا اخاف ولكن انقتل هنا في ظلام الليل من غير شهود

قال نعم

قال ولكن ليس لدينا سيوف

قال ان في خنجر الصيد غنى عن الحسام

قال يظهر انك لا تريد مبارزة بل مجزرة

قال اريد قتالا لا يفصل فيه بيننا غير الموت

قال ليكن ما تريد ايها الكونت العزيز ولكن هناك امرا ازاك لم تفطن اليه

قال ما هو

قال هو ان من يقتل رفيقه منا يحسب في عرف الشرع والناس سفاكا مغتالا لا قاتلا في براز

قال اتظن ذلك

قال دون شك فقد عرف من راى ما كان منا في الغابة ان كلامنا يكره الاخر وهذا القتل في الغابة دون شهود يوسع مجال الظنون ويحمل على محامل الاغتيال

قال انك تعترف اذن بانه يجب ان اكرهك

قال واني لست مخطئا في حملك على هذا الكره فقد رايتك في حالة تدعو الى الهزء فما تمالكت عن الضحك

قال وانا رايت ان هذا الهزء لا يغسل الا بدمك

قال ليكن ما تريد ولكنك اذا قتلتني الان فليس ما يمنع ابنة عمك عن القول انك قتلتني انتقاما لكتاب قطع علاقها معك وانما قتلتني لاني كنت انا حامل هذا الكتاب واما اذا قتلتك انا فان الاقوال تختلف

قال ماذا يقولون

قال يقولون اني عاشق الكونتس واني قتلتك للتخلص من مزاحمتك

فراى لوسيان ان براهينه جلية لا تدحض فاقتنع بها وقال له اذن الى الغد فاحضر شهودك وانا احضر شهودي

قال وان تريد ان يكون القتال

قال هنا حيث نحن الان

قال ليكن ما تريد ولكنك تعلم اني لا ابيت في هذا المكان لانتظر

الغد فلنعد معا الى المنزل

فاجابه الكونت بجفاء ان الطرق لجميع الناس

فلم يجبه الشفاليه وسار بجواده الهوينا وتبعه الكونت فكانا يسيران في طريق واحد

ولنعد الآن الى الاحدب فانه حين غادر لوسيان ذهب توا الى داغوبير فلقيه يشتغل في دكانه فدخل اليه

اما داغوبير فانه حين رآه قطب حاجبيه وقال له ماذا اتيت تعمل ايها الشقي

فقال له الاحدب لماذا تشتمني يا داغوبير وانا لم سيء اليك

قال هو ذاك ولكنك كنت مع هذا الكونت الذي عاملته بما يستحقه من الطرد!

قال انك اخطأت يا داغوبير فان الرجل طاهر القلب شريف النفس لا يحتقر العلماء خلافا لجميع النبلاء

قال لا انكر ما تقول

قال وهو يحب حنة

فاتقدت عينا داغوبير ببارق من الغضب وقال اسكت

قال لماذا تريد ان اسكت انه يحبها حباً طاهراً نقياً وهو يريد زواجها لا اغوائها كما توهمت

وكان الاحدب يتوقع ان يرى من داغوبير ما يدل على الاندهال او الشك ولكنه لم يظهر شيئاً من ذلك بل جعل يطرق الحديد بمطرقته

دون ان يجيب

فقال له الاحدب وقد راعه سكوته لقد قلت لك يا داغوبير انه يريد ان يتزوجها

قال اعلم ولكني لا اريد

قال انت لا تريد ان يتزوج الكونت دي مازير حنة

قال كلا

قال ولكن هذا جنون محض

فالقى داغوبير مطرقته ودنا من الاحدب فوضع يده الضخمة فوق كتفه وقال ان الكونت لوسيان لا يكون زوجا لحنة ما دمت في قيد الحياة

قال ولكن لماذا

قال لاني انا وحدي الذي يابى هذا الزواج بل ان الذي يأباه رجل عظيم اثق به كما اثق بالله

قال من هو هذا العظيم

قال هو الاب جيروم

فبهت الاحدب واطرق يفكر فقال له داغوبير لا ريب عندي ان الكونت قد ارسلك الي

قال هو ما تقول فلا انكر عليك

قال اذا الآن عرفت جوابي الاخير فاحمله اليه كما تلقيته

فخرج الاحدب من الدكان وقال في نفسه ان الكونت لا يزال

في الغابة ولا بد لي من ادراكه قبل ان يصل الى المنزل ثم دخل الى الغابة واطلق ساقيه للريح في الطريق التي سار فيها لوسيان

٩

بينما كان الكونت والشفاليه يسيران في الغابة احدهما في اثر الاخر دون ان يتحدثا سمع لوسيان صوت ركض من ورأه

وكان القمر قد بزغ في تلك الساعة يخترق الغيوم ويتهادى متألقا في السماء بين النجوم فالتفت لوسيان فراى ان هذا الراكض كان بنوات الاحدب فخفق قلبه واوقف جواده في الحال

والتفت الشفاليه ايضا ولكنه لم يستطع ان يسأل الكونت عن السبب الذي حمله على الوقوف

غير انه تباطأ في السير وجعل يلتفت الى الوراء من حين الى حين وقد عرف بنوات وانه رسول لوسيان

اما الاحدب فانه وصل الى لوسيان فقال له وهو يلهث تعبا اني كنت موقنا من ادراكك في الغابة ولهذا عدت اليك

قال ولماذا عدت الي الم نتفق على ان تزورني غدا

قال هو ذاك ولكني رايت داغوبير

فلم يجب لوسيان بشيء وصبر وهو يضطرب الى ان يخبره الاحدب بما جرى فبدأ الاحدب الحديث فقال لقد رايت ياسيدي ان داغوبير مفتكر كما كنت افتكر

قال ماذا تفتكر

قال ان زواجك بمدموازيل حنة محال

قال تريد انه يرفض هذا الزواج

فاحنى بنوات راسه اشارة الى الايجاب

فارتعد لوسيان وقال ولكن اي عذر تجاسر على اتحاله هذا الرجل

قال عذره ان امر تزويج الفتاة غير منوط به

قال بمن

قال بالاب جيرام

قال رئيس الدير

قال هو بعينه

فعاد الرجاء الى قلب لوسيان وقال اذا كان ما تقوله حقا فان الامر سهل ميسور ونعم اني لا اعرف هذا الراهب ولكن يقال ان اصله من النبلاء وانه دخل الى الدير بسبب حادث غرام فاذهب اليه واخبره بغرامي ورجائي ان يثق من سلامة قصدي ولا يعترض سبيلي

فهز الاحدب راسه وقال لا تتسع اني مجال الامل ياسيدي الكونت

قال ولماذا اتظن ان الراهب يرفض طلبي

قال لا اعلم ما يكون بعد اجتماعك به ولكن الذي اعلمه انه هو الذي يرفض الان

قال كيف عرفت ذلك

قال من داغوبير وهو لا يكذب

فاصفر وجه الكونت وقال ولكن ماذا يحمله على هذا الرفض

قال لااعلم يا سيدي ولكن الذي رايته من غضب داغوبير على اشتهاره بالسكينة انهم قد حدثوه عنك .. وانهم اصدروا اليه الاوامر بشأنك

قال من الذي يصدر الاوامر الى داغوبير

قال الاب جيروم فانك تذكر يا سيدي انه بين وصانا الى دكان داغوبير كان لايزال في الدير

قال هو ذاك

قال انه كان مختليًا مع الاب جيروم فلما خرج من الدير لم يكن على ما عهدته به من الدعة والسلامة بل اني رايت الشر باديا بين عينيه

فم يدعه الكونت يتم حديثه وقال له اصغ الي يا بنوات اتريد ان ارسلك بمهمة الى الاب جيروم

قال بملء الرضى يا سيدي

قال انك تذهب اليه في هذه الليلة نفسها وترجوه عني ان ياذن بمقابلتي صباح غد بعد الصلاة

قال ساذهب يا سيدي و لكن

قال ولكن ماذا

قال يجب ان تعطيني كتابا اليه فان الفقراء امثالنا لا ياذنون لهم بدخول الدير فان الرهبان يعاملوننا بنفس العنف الذي يعاملنا به النبلاء

فابتسم لوسيان لهذا الطلب اذ لم يكن لديه في تلك الغابه شيء من

ادواته الكتابة

فقال له الاحدب وفوق ذلك يا سيدي فانه لا يستطيع احد دخول الدير بعد ان تمضي الساعة التاسعة

فنظر لوسيان في الساعة فوجد انها لم تتجاوز الثامنة وراى انه لم يبق له غير واحد من امرين وهما اما ان يرجع عن ارسال الرسالة في هذه الليلة او انه يجب ارسالها في الحال لضيق الوقت واذا ذهب الى المنزل وكتب الرسالة فيه فات الاوان

على ان الانفعالات النفسية مهما اختلفت واشتدت فلا تعدل في شدتها تاثير الغرام فان هذا الكونت كان يحاول منذ نصف ساعة قتل الشفاليه اما الان فقد تذكر ان هذا الشفاليه الذي سيقاتله غدا لديه قلم من الرصاص ودفتر في جيبه ومشعل فندم لاختصامه معه

غير ان الندم على خطأ قريب من الرغبة في اصلاحه وقد تمثلت منه في خاطره فهان عليه ان يكلم الشفاليه ويساله قضاء مهمة كما يسال الصديق الصديق

وعند ذلك لكز جواده فسار به والاحدب يتبعه حتى وصل الى الشفاليه فقال له انا سنقتتل غدا اليس كذلك

قال هذا ما اردته انت ولا سبيل الى مراجعتك

قال هو ذاك ولكنك من اهل الظرف والادب فلا اجد ما يمنعني عن ان اسالك قضاء مهمة

قال قل ما تريد

قال اريد قلمك الرصاصي وورقة من دفترك

قال هما لك وازيدك اني انير لك المشعل فانك تريد الكتابة دون شك

قال لا حاجة الى المشعل فان نور القمر يغني عنه

قال كما تريد ثم اعطاه الدفتر والقلم فاخذهما لوسيان وكتب الرسالة الاتية

«ان الكونت لوسيان دي مازير المقيم في قصر دي بوربير يرغب مقابلة تيافة الاب جيروم رئيس الدير في قريب فرصة ممكنة لمباحثته في شان خطير

وهو يلتمس من تيافة الاب جيروم ان يتفضل بمقابلته صباح غد بعد انتهاء الصلاة

لوسيان دي مازير

ثم انتزع الورقة من الدفتر ودفعها الى الاحدب فقال له اذهب بهذه الرسالة الى حيث قلت لك وعد الي غدا بالجواب

فاخذها الاحدب وانطلق يعود بين اشجار الغابة

اما لوسيان فانه الدفتر والقلم وقال له اشكرك يا سيدي كل الشكر ثم مشتي الى جانبه وهما ساكتان مطرقان لا يتكلمان

وسر بهما عدة دقائق وهما ساكتان الى ان بدأ الشفاليه الحديث فقال لقد تشرفت الان فخدمتك خدمة رايت انها جليلة فهل تريد ان

ارشدك لى طريقة تكافئني بها عن هذه الخدمة

قال اكون لك من الشاكرين ولكن بشرط ان لا تدعوني الى مصافحتك

قال دون شك فان قتالنا غدا لا بد منه في كل حال

قال اذن تكلم

قال لا شيء يروعني يا سيدي الكونت مثل السكون والوحدة ولا نزال لدينا نحو نصف مرحلة للوصول الى القصر فاذا شئت خففنا مشقة هذا السير بالمحادثة

قل باي امر تريد ان نتحدث

قال لا فرق عندي في ذلك ولكن ذا شئت تحدثنا بالاب جيروم رئيس الدير

فارتعش لوسيان ارتعاشا لم يخف على الشفاليه فقال في نفسه ارى انني قد ظفرت به

١٠

وعند ذلك بدأ الشفاليه الحديث فقال انك ايها الصديق دعوتني خائنا سافلا فلم يبق سبيل لمنع قتالنا غير انه لما كانت العادة ان لا يوضع المتبارزان شيئا في ساعة المبارزة فقد احببت ان اخبرك الان بما مضى

قال تكلم يا سيدي فانى مصغ اليك

قال انك عاملتنا معاملة الرفيع للوضيع انا وابنة عمك والبارون بسبب ذلك الفلاح فكبرت علي هذه المعاملة حتى حملني الغضب على القول

انك اقتبست حب الفلاحين من ترددك على الحداد

قال انت قلت هذا القول

قال وهذا كل ما قلته ولكن ابنة عمك تود الاطلاع على كل امر فارادت ان تعلم السبب في ترددك على داغوبير فسالتني وسالت البارون فقال لها البارون انك لا تذهب الى دكان الحداد الا بسبب قريبته الحسناء وقد اشرت له بيدي وعيني اشارات مختلفة فهم اشاراتي ولكنه لم يمتنع عن التصريح اما قده عليك واما لكونه من اهل البلاهة

فقال له لوسيان وماذا اجابت ابنة عمي

قال انها انكرت هذه الوشاية كل الانكار واقسمت ان ذلك لا ان يكون وكنت اقول لها هذا القول ولكن هذا البارون الابله ابى الا الاصرار على قوله حتى اتصل الى مراهنة الكونتس على انك مقيم الان مع مدموازيل حنة

فاستاءت الكونتس ورضيت بالرهان وطلبت الي ان اصحبها مع البارون الى دكان الحداد فلم اجد بدا من الامتثال وانت تعرف بقية ما حدث

قال احقا ان الامر جرى كما رويته

قال هو ما قلته لك يا سيدي الكونت فلست من الكاذبين

قال اذا كان ذلك فاني اعتذر عما بدر مني وارجوك قبول عذري

قال اذا كان للحب شهداء فللصداقة شهداء ايضا ويسوءني ان اك عاملتني تلك المعاملة الجافية فقد كان بوسعي ان اسديك نصيحة

فهاجت في صدر لوسيان عاطفة الكرم وقال له اني قد اعتذرت اليك ايها الصديق عما بدر مني وانا الان امد يدي لمصافحتك اذا شئت

قال اني شديد الحرص على صداقتك لما اعلمه من سلامة قلبك فكيف ارفض اقتراحك ثم مد اليه يده فصافحه وقال له وهو يبتسم ان خصامنا لم يشهده احد فلا نحتاج بعد الصلح الى اظهار مادعانا اليه لاحد

قال لقد اصبت

قال اذن لقد عدنا الى صداقتنا القديمة

قال دون شك

قال اذن نتكلم بما تقتضيه الصداقة من الجلاء والاخلاص فهل انت حقيقة تعشق تلك الفتاة

قال انا مفتون بها

قال ولكن الا تعلم ايها الصديق ان هذا الحب يحول دون رواجك بالكونتس ونعم انها كتبت اليك كتابا دفعتها اليه الحدة ولكن غضب النساء سريع الزوال

قال سيان عندي الان غضبها ورضاها فاني لا احبها ولن احبها ولا اكون لها زوجا

قال ما هذه الاقوال يا كونت ابلغ حبك لتلك الفتاة هذا المبلغ فاضاع رشادك

قال اذا كان في هذا الحب ضياع الرشاد فانا ضائع الرشد لاني

سأتزوجها

قال لاشك انك مجنون

قال بل اني عاقل لا اتقيد بالتقاليدوغاية امري اني اريدان اكون سعيدا

قال انت الكونت دي مازير اقدم رجال النسب تتزوج قروية عاملة

قال ان عرش الغرام لا يرقي اليه على سلم الانساب وكفي بصدق الغرام نسبا

قال شانك وما تريد فانت ولي نفسك غير انه كان يجدر بك ان تنوي هذه النية من قبل

قال لماذا

فابتسم الشفاليه وقال لانك كنت تجوت من ذلك الماء الذي تدفق عليك من النافذة

قال لقد اخطأت ايها الصديق فاني لم اجازى هذا الجزاء الا حين جاهرت بهذه النية

فدهش الشفاليه وقال ماذا اسمع لا شك اني من الحالمين

قال بل هي الحقيقة اريها لك ايها الصديق كما اتفقت

قال اذا كنت صرحت لهذا الحداد بنيتك وعزمك على الزواج بقريبته فاى عذر انتحله للرفض

قال يقول أن زواج الفتاة غير منوط به بل بالاب جيروم

قال اذا كان ذلك كذلك فقد فهمت كل شيء

قال ماذا فهمت

قال فهمت ان هذا الراهب سيصر على رفض الزواج اكثر من اصرار داغوبير

فبهت لوسيان وقال لماذا

كان الشفاليه كثير المكر شديد التفنن باختراع الحيل وتلفيق الاحاديث فاطرق هنيهة ثم قال له الم تجدان هذه الفتاة الحسناء التي نحسبها قروية مترفة الكف ناعمة البنان صغيرة القدمين

قال ماذا تريد بذلك

قال اريد ان هذه النعومة لا توجد عادة في النساء القرويات ولذلك فقد تبادر الى ذهني ان هذه الفتاة قد تكون من اسرة نبيلة

فصاح لوسيان صيحة فرح وقال حبذا لو صح ما تقول فلا اجد بينكم معارضا لي في زواجها

قال ولكني ارى ان الرهبان قد استولوا على ثروتها

فتحمس لوسيان وقال اذ اثبت ذلك بسطت حمايتي عليها وطالبت الدير بثروتها

قال ولكنك لا تستطيع ذلك الا اذا كنت زوجها

قال وما يمنعني ان اكون زوجا لها

قال الاب جيروم فانه يؤثر ان يزوجها فلا احد لا يجسر على المطالبة بحقها فتبقى الثروة لاولئك الرهبان

قال ولكني احب حنة ولا اجد بدا من الاقتران بها

قال ان هذا محال اذا نهجت النهج الذي رسمته لنفسك

قال اذن ماذا يجب ان اصنع

قال دعني اسالك في البدء فاذا كتبت للاب جيروم

قال سالته ان ياذن لي بمقابلته

قال انه سيرفض طلبك

قال اتظنه يفعل

قال بل اوكد فاصبر الى الغد فاذا كان جوابه الرفض كما اتوقع انا ارشدك الى طريقة تسهل لك سبيل الزواج بمن تحب

فمد لوسيان يده الى هذا الصديق الكاذب وشكره شكر الممتن لفضله فقال الشفاليه وقد تكاف لهجة الاخلاص كفى ايها الصديق فقد وصلنا الى القصر وكان دليل الصيد قد تقدمهم الى المنزل فروى جميع ما حدث في الغابة وما كان من اختصام لوسيان مع ابنة عمه نوقلت هذه الحادثة بين اهل القصر حتى لم خبرها الى ام لوسيان غير ان الكونتس لم تحفل بهذا الخصام لاعتقادها انه حادثة عارضة وان الصلح بين الخطيبين سهل ميسور

فلما دخل لوسيان والشفاليه استقبلتهما الكونتس حسب العادة فاقام لوسيان بينهما مدة وجيزة بعد العشاء ثم اعتذر ودخل الى مضجعه وهو يود لو محق هذا الليل واشرق الصباح فيعلم ما يكون من جواب رئيس الدير

ولم يكد يشرق الصباح حتى هب لوسيان من رقاده واقام ينتظر

الاجدب بفارغ الصبر فلم يطل انتظاره وقبل الاجدب يحمل رسالة من الأب جيروم فاخذها لوسيان بيد تضطرب وقرأ ما يأتي

(سيدي الكونت

أني مريض لا تسمح لي العلة بمقابلة احد وفوق ذلك فليس بيني وبينك من المهام ما يدعو الى المقابلات الخصة الا اذا كنت تريد مقابلتي في شان يتعلق بصالح الدير فاذا كان ذلك فارسل وان تقابل وكيلي فانه ينوب عني في قضاء هذه المهام

الاب جيروم

فحمل لوسيان الكتاب وذهب به الى اشغاله وهو يزبد من الغضب فدفعه اليه وقال له لقد كنت مصيباً في ما توقعته

فقرأ الشماليه الكتاب ثم رده اليه وقال له ازيد الان ان ارشدك الى الطريقة التي وعدتك بها

قال دون شك ولاجل هذا اتيتك

قال الا تزال عازماً على الاقتران بجنة

قال كل العزم فلا يحول دون هذا القصد حائل

قال اذن فالمران طريقتي بسيطة جدا

قال ما هي.

قال هي ان تخطفها

ففكر لوسيان هنيهة وقال ولكن الاب جيروم حريص عليها

قال نغتنم فرصة انشغاله مع الرهبان بصلاة الضباح

انها لم تستطع ان تستعبد بجمالها لوسيان فباتت تهزه من اسفل الرجال لا سيما بعد ان تحول عنها لافتنه بفتاة قروية لا نسب لها يعرف وقد ربيت في دكان حداد بين عصبة رهبان

غير ان اورور على كبريائها كانت عادلة فانها رات حنة على نور المصباح المضيء في دكان داغوبير فاعترفت انها من اجمل الفتيات وقد اسمت الغيرة وجهها في مخيلتها حتى كانت تراها كلما فكرت بها كانها رمامها

الى ان وقف جوادها عند باب المنزل فاسرع الخدم اليها وفتحت عند ذلك نافذة وظهر منها راس شيخ

وكان هذا الشيخ والد اورور فقال لها كيف عدت يا اورور الا تعشين في بوبير

فاجابته بجفاء كلا

قال لماذا

فلم تجبه بشيء ولكنها القت عنان جوادها لاحد الخدم وصعدت الى المنزل

وكان ابوها مصابا بداء النقرس وقد اشتد عليه الداء في ذلك اليوم حتى ضيق اخلاقه فلما صعدت بنته اليه استقبلها بجفاء وقال لها انت تعلمين اني اوثر العزلة حين تشتد علي اعراض الداء فلماذا لدت بعد عزمك على العشاء في بوبير

قالت اني لم اعد يا ابي الا اشتداد هذه الاعراض عليك

فابتسم ابوها ابتسام المشكك وقال انك ما عودتني يا اورور مثل هذا البر بي فقولي الحقيقة فلا بد ان يكون هناك سبب دعاك الى الحضور قبل العشاء

قالت لقد اصبت يا ابي

قال اذن اخبريني بما جرى

قالت اني اختصمت مع لوسيان

قال انه خصام غرام

فاتقدت عينا الفتاة ببارق من الحقد وجلست امام ابيها فقالت له العلك متمسك يا ابي بتزويجي من لوسيان

قال دون شك يا ابنتي فلم يبق من اسرتنا الا انت وهو ويجب ان نحصر ثروتنا بينكما

قالت ولكن هذا محال يا ابي فاني لا اريد الزواج بلوسيان

قال انك ورثت يا ابنتي من امك بعض تسرعها فاني حين كنت خطيبها وهي من نساء الشرف في بلاط بافاريا كانت تقول مثل قولك اذا استاءت مني اقل اساءة

قالت اني غير متسرعة كما تقول فاعلم يا ابي ان لوسيان لن يكون زوجي واني اوثر ان اكون عروسة الموت على ان اكون عروسة له

فاكبر ابوها الامر وقال لها اجد ما تقولين

قالت كل الجد فاني اكره لوسيان واحتقره

قال ولكن ماذا حدث وماذا بدر منه

قالت انه لا يحبني

قالت اواثقة انت مما تقولين

قالت نعم وقد وثقت بانه يحب سواي

قال اذا كان ذلك فان ذنبه لا يغتفر .

قالت وهو اذنب هذا الذنب .

قال ان هذا محال فاني اعرف ما ينطوي عليه صدر لوسيان

قالت ولكني لم اقل لك الا الحقيقة

فهز كتفيه وقال اني اعرف جميع النبلاء في هذه الضواحي فلم اجد في قصورهم فتاة جديرة بمزاحمتك فيه

قالت انه لم يعشق في القصور بل عشق فتاة قروية تقيم في دكان حداد

وقد قالت هذا القول بصوت يتهدج من الغضب اما ابوها فانه ضحك ضحكا عاليا وقال امن اجل هذا اختصمتما

فتأثرت الفتاة لضحكه وقالت يظهر انك لم تصدقني يا ابي

وكان ابوها من مشاهير اهل الدعارة في عهد صباه فقال لها بل اني واثق من صدقك فيما تقولين ولكن هذا يدل على ان لوسيان ابن ابيه اين ابن اخي

قالت اني لم افهم ما تريد

قال اريد ان لوسيان يحبك حبا مقدسا لا شك فيه ولكنه اراد ان يتلهى بمغازلة تلك الفتاة الى ان يتم قريبها صنع نعل فرسه ثم قهقه ضاحكا

وقال العلها جميلة تلك الفتاة

فاصفر وجه اورور من الغضب وبلغت منها الحدة انها مزقت قفازها باسنانها اما ابوها فانه لم يكترث لغضبها وقال لها وماذا عليك من منازلته لتلك القروية فانه في مقتبل العمر ولا بدله من الاندفاع في تيار الشباب حتى اذا تم عقد القران بينكما انصرف عن هذه السفاسف ومنح تلك الفتاة هبة تعينها على الزواج

فانفت اورور من سماع هذه الكلمات البذيئة المعاني السافلة المبدأ وخرجت من غرفة ابيها مغضبة وظواهر الانفة والاشمئزاز بادية بين عينيها فدخلت الى غرفتها فكتبت رسالة الى والدة لوسيان وارسلتها مع احد الخدم ثم تمشت وحدها

ولم تكن اورور تحترم اباها فزادها كلامه الاخير احتقارا له وكانت تعلم انه جرى شوطاً بعيدا ايام صباه في ميادين الدعارة والفساد

وكانت قد سمعت مرة من امراة عمها كلاما دعا الى انقطاع الزيارات بينها وبين أبيها فكانت تقول في نفسها لا بد ان يكون ابي قد ارتكب ذنوبا لا تزال تثقل على ضميره الى الان

ثم ذكرت ما بينها وبين ابيها من التباين في الاخلاق والمباديء حتى اوشكت ان تنكر نفسها اذ لم يخطر لها ان ابا يكلم بنته بمثل ما كلمها به وهنا تاهت في مهامه التذكار وعادت بتصورها الى عهد الحداثة فذكرت انه اباها كان يقيم في البلاط الملوكي في مونيخ وانها رأت مرة رجلا دخل اليه فكلمه بلهجة تشف عن الغضب والاحتقار وذكرت

ان اباها كان يدعو هذا الرجل « يا ابي » ثم ذكرت ان هذا الرجل خرج من غرفة ابيها وهو يقول اني اكرك ولم يعد بيننا ادنى اتصال

وكانت في ذلك العهد صغيرة تلعب في القاعة فلم يفطن لها المتحدثان وقد تجسمت الان الذكرى في مخيلتها فقالت لا بد ان يكون لابي سر عظيم ولا بد ان يبوح لي بهذا السر

وعند ذلك خرجت من غرفتها وعادت الى غرفة ابيها فقال لها بلهجة المتهكم اراك عدت الي فهل سكن تأثر غضبك

فاجابته ببرود قائلة اني قد بلغت الرشد وبات يحق لي الوقوف على اسرارنا العائلية

قال اية اسرار يا ابنتي وماذا تريدين ان تعرفي

قالت اريد ان اعرف السبب الذي دعا الى هذا التقاطع بينك وبين امراة عمي فان كلامنكما يحاذر ان يرى الاخر

فاصفر عند ذلك وجه ابيها وجعل ينظر اليها نظرة الفاحص فقاومت نظراته وقالت له بلهجة السيادة اني اريد ان اعلم

١٢

وكانت تقول هذا القول وعلائم صدق العزيمة بادية بين عينيها حتى ان اباها اصفر وجهه واضطرب وقطب حاجبيه

ولكن اضطرابه لم يطل فانه عاد الى سكينته فابتسم ابتسام الساخر وقال لها انك تسألينني سوالا يصعب الجواب عليه

قالت مهما يكن من امرك معها فلا يحق كتمانه عن ابنتك

قال وماذا تظنين ان يكون بيني وبينها فان غاية ما بيننا فتون دعت اليه اخلاقها الغريبة ثم اني اعلم انها لا تحبني ولذلك تريتني منقطعاً عن زيارتها

قالت انى قد اكتفي بهذا السبب الذي ذكرته لو كنت لا ازال في عهد الحداثة ولكنه لا يجوز علي الان وقد بلغت سن الرشاد

قال اذن ماذا تريدين ان اقول لك

قالت الحقيقة

قال ليكن ما تريدين فاعلمي اذن ان امراة عمك لا تحبني ولا تحترمني

قالت لماذا لا تحترمك

قال لاني كنت سيىء السلوك في عهد صباي

قالت اهذا هو كل السبب

قال نعم

فهزت كتفيها وقالت ارى يا ابي اني لم افصح معك القول فهل تريد ان اصرح

قال دون شك

قالت انك ربيتني يا ابي وغرست في نفسي فكرة الزواج بلوسيان وكذلك الكونتس امراة عمي فقد علمت انهما لوسيان زوجي منذ الحداثة ولكنك مع ذلك تحاول اجتناب الكونتس وهي تحاول اجتنابك

قال نعم ذلك فماذا تستنتجين من ذلك

قالت لم استنتج شيئا بعد تم ان ما بينكما لا يدل على الفتور فقط بل على الكره الشديد فانها قد تجاهر بكرهك وانت اذا ذكر اسمها امامك يصفر وجهك

قال اني لم افهم قصدك بعد

قالت اتريد ان تفهم كل ما يجول في خاطري

قال اني مصغ اليك

قالت ارى يا ابي انه يوجد بينك وبين الكونتس دي مازير سر هائل .. وربما كان بينكما ايضا

وهنا توقفت عن الكلام كانها لم تجسر على اتمام الحديث فقال لها ابوها ماذا ترين بيننا ايضا

قالت عفويك يا ابي فاني مدينة لك بالاحترام واخشى ان اتجاوز حده اذا قلت هذه الكلمة التي توقفت عن قولها ولكنها تحرق شفتي

قال قوليها ولا ياس عليك

قالت اخاف ان يكون بينكما ما هو فقد السر

قال العلك تريدين القول ان بيننا جريمة

فاطرقت اورور براسها ولم تجب

وساد السكوت هنيهة بينهما الى ان عاد ابوها الى الحديث فقال اني لا استطيع يا ابنتي ان اقول لك الان شيئا فقد يكون بيننا سر او فوق السر كما تقولين غير اني لا استطيع ان ابوح لك بشيء الا بعد زواجك

قالت ولكني قلت لك اني لا اريد ان ازوج لوسيان

قال ولكنك ستتزوجين سواه اذ لا بد لك من الزواج وعند ذلك اي حين تستبدلين اسم ابيك باسم ذلك الزوج نعود الى تتمة هذا الحديث

فالحت عليه وقالت ما يمنعك ان تقول اليوم ما تريد ان تقوله غدا

قال ان المي شديد يا اورور فلا تلحي علي او حسبت الحاحك عصيانا لارادتي ثم قرع جرسا امامه فدخل خادم غرفته فقال له ان يأتي بنيامين طريق ابنتي واوصلها الى غرفتها وعدالي فان اعراض الداء شديدة علي الليلة

وهكذا خرجت اورور من غرفة ابيها مع ذلك الخادم الشيخ

اما ذلك الخادم فقد كان قديما في خدمة هذا البيت حتى انه نشأ فيه وولدت اورور مدة خدمته فلما رآها تضطرب وراي عينيها تتقدان ادرك شيئا من حقيقة ما جرى فاوصل الفتاة الى غرفتها وهو ينظر اليها نظرات حزن لم تخف على الصبية فدخلت وهي متأثرة من ابيها ومن نظرات ذلك الخادم تاثيرا شديدا وقالت في نفسها انه اذا كان هناك سر فلا شك ان بنيامين عارف بهذا السر

وكان بنيامين هذا الماني الاصل يدعى فريتز فلما عاد الى فرنسا مع والد اورور دعاه سيده بنيامين

وكانت والدة اورور المانية ايضاً فاتصل بنيامين بخدمتها قبل ان تلد اورور وقد ماتت الام وابنتها طفلة فلم تكد تذكرها ولكن جميع تذكارات

الحداثة عادت اليها في هذه الليلة فذكرت ان بنيامين كان يبكي بكاء شديد حين وفاة امها بل ذكرت انها سمعت حديثا جرى بين الخادم وبين ابيها فذكرت ان الخادم كان يقول له كلا لا ابرح هذا المنزل فانها قبل وفاتها امرتني ان لا افارق ابنتها لحظة . وهو حديث غريب بين خادم ومخدوم بل ذكرت ايضاً ان بنيامين كان يعبدها عبادة في زمن حداثتها ثم اخذت ظواهر حنوه تتناقص تدريجا حتى بات كانه لا يكترث بها فكيف حدث هذا الانقلاب وقد عزمت اورور في هذه الليلة ان تعلم كل ما اشكل عليها من هذه الحوادث فلم تعد تفتكر بالوسيان بل كانت افكارها منصرفة الى امه

فاقامت في غرفتها وصبرت الى ان سمعت صوت اقفال غرفة ابيها فخرجت من غرفتها ولقيت بنيامين خارجاً من عند ابيها فوضعت يدها على كتفه وقالت له اتبعني فسارت به الى غرفتها واقفلت الباب

وقد لبث بنيامين واقفا في حضرتها تادبا فقالت له اجلس يا بنيامين فاني ساحدثك وان حديثنا سيطول

فامتثل الخادم وجلس بقربها فقالت له انك عرفت امي يا بنيامين اليس كذلك

فقال لها الخادم الشيخ نعم يا سيدتي وقد اضطرب وسالت دمعة على خده فقالت له اورور لماذ لم تحدثني عنها ولماذا انقلبت هذا الانقلاب وبت تنهج معي مناهج الاحتراس والتحفظ بعد ما عودتني الحب الاكيد في زمن الحداثة

فاطرق بنيامين دون ان يجيب

فقالت واخيرا حدث بين ابي وامراة عمي وما يدعوهما الى الكره

فارتعش بنيامين لقولها وقال لها لماذا تسالينني هذه الاسئلة يا سيدتي

فاجابته بلهجة اثرت عليه تاثيرا عظيما ذلك لاني اريد ان اعرف كل شيء فلماذا لم تذكر لي امي مرة في جميع مدة اتصالك بنا .. اجب اني اريد ان اعرف كل شيء

فانقدت عينا بنيامين ببارق دل على تولد ارادة فجائية في نفسه وقال اعلمي يا سيدتي ان امك لم يكن لها غير صديق واحد حين فارقت هذه الحياة وهذا الصديق كان انا

قال الم تعهد اليك بالعناية بي

قال نعم

قالت العل ابي طردك بعد وفاتها من المنزل اليس كذلك

فدهش بنيامين وقال كيف عرفت هذا

قالت اني سمعت الحديث حين كنت طفلة ولا يزال عالقا بذهني الى اليوم

قال اذن فاعلمي ان امك عهدت الى بقضاء مهمة فاذا كنت ترين اني لم اقم بقضائها واذا رايت مني هذا التحفظ الشديد بعد ذلك الحب القديم بذلك الا لاني لا اراك تنهجين مناهج امك في شيء

قالت ماذا تعني بذلك

قال ان امك كانت من ملائكة الله يا سيدي وانت اصبحت مكبرة عنيفة شديدة الوقع على الفقراء قليلة الاكتراث بمصائب البؤساء وشتان بينك وبينها فانت واياها على طرفي نقيض

قالت واذا ثبت الى رشادي واقتلعت هذه الطباع من نفسي وتخلقت باخلاق امي

فجثا بنيامين على ركبتيه واغرورقت عيناه بالدموع فقال ارى انك بدات تشبهينها فان صوتك لا يختلف عن صوتها

قالت بل اريد ان يكون لي قلبها وقد قلت لي ان امي عهدت اليك مهمة فما هي هذه المهمة

قال سوف ترين فتفضلي بانتظاري يا سيدتي

ثم تركها وخرج من الغرفة فغاب هنيهة وعاد يحمل صندوقا صغيرا من خشب الارز فوضعه امام الفتاة وقال لها هذا ما امرتني امك ان اسلمك اياه وهي على فراش الموت حين تبلغين سن الرشاد ثم دفع اليها مفتاح الصندوق فاخذته وفتحت الصندوق بيد ترتجف فوجدت فيه مدالية واوراقا

وقد استلفتت المداليه في البدء نظرها فاخذتها ونظرت فيها فاذا هي رسم امراة ولكنها لم تكد تتبين الرسم حتى صاحت قائلة رباه ماذا ارى العلي جننت

ذلك ان هذا الرسم كان يشبه تلك الفتاة التي راتها عند دافوبير شبها عجيبا حتى كانه رسمها فالتفتت الى بنيامين وقالت له بربك قل لي

من هي صاحبة هذا الرسم

فلم يجبها بنيامين بحرف وخرج من الغرفة تاركا الصندوق امام اورور

١٣

مر بذلك ثلاثة ايام كانت ايام رموز واسرار اذا صدقت تلك الحوادث التي جرت في قصر بوربير وهو القصر الذي يقيم فيه لوسيان وامه الكونتس دي مازير

ان والدة لوسيان لم تكترث بخصام ابنها خطيبته وكانت تعتقد انه سيذهب في الصباح اليها فيصالحها

غير ان لوسيان لم يفعل شيئاً من هذا فانه ركب في الصباح جواده يصحبه الشفاليه وقد لبس كلاهما ملابس الصيد فكانت امه تراقبهما من وراء زجاج النافذة حتى ابتعدا وهي تحسب ان ابنها ذهب توا الى خطيبته ليسترضيها ويذهب بها الى الصيد

غير ان رجاءها قد خاب فان لوسيان عاد في المساء وحده لان صديقه الشفاليه عاد الى منزله

فدخل لوسيان الى غرفته لتغيير ملابسه واغتنمت امه هذه الفرصة فعلمت من دليل الصيد ان ابنها لم يذهب الى منزل اورور خطيبته وانها لم تحضر حفلة الصيد

فعادت الى غرفتها ودعت ابنها اليها فقالت له لا يزال لدينا ساعة قبل اوان العشاء فنتحدث في خلالها فنظر لوسيان الى امه فراى ان هيئتها

تدل على الجد والحضورة

وكانت والدة لوسيان بين العمرين ولكنها اقرب الى عهد الشباب منها الى عهد الكهولة كما تدل ظواهر جمالها في حين انها بلغت الخمسة والاربعين

وكانت ممشوقة القوام شقراء الشعر سوداء العينين اذا ابتسمت دل ابتسامها على الترفع واحتقار ما يبدو لانظارها ومعظم هيئتها تدل على العظمة والجلال

وكانت مثل الكونت دي مزير والد اورور كثيرة السوداء اذا تاهت في مهامه التفكير ظهر انها متعبة البال وان في حياتها سرا من الاسرار التي يولم تذكارها

غير ان لوسيان لم يكن مثل اورور فانه لم يكن يكترث لظواهر امه ولم يكن يحاول ان يكتشف اسرارها ولم يخطر له ان يبحث عن ماضيها في حال من الاحوال

فلما نادته امه وجلس قربها يسمع ما تريد قالت له لقد بلغت الآن سن الرشاد يا بني وقد آن لي ان اكلمك كما اكلم الراشدين

فذعر لوسيان لملامح جدها وقال لها ماذا عسى ان تقولي لي يا اماه

قالت اني اريد ان احدثك بشان مستقبلك فانك اختصمت منذ يومين مع ابنة عمك الكونتس اورور في حين انك تعلم علم اليقين انها ستغدو امرأتك

فطرق لوسيان دون ان يجيب

فقالت له ان اورور تحبك يا لوسيان

قال كلا

قالت كيف ذلك العلها كتبت اك انها تكرهك

قال كلا

قالت اذن على اى شيء تعتمد في ثقتك انها لا تحبك

قال على هذه الرسالة ثم اعطاها الرسالة التي كتبتها اورور وارسلتها اليه مع الشغالة يوم حادثة الصيد فاخذتها امه وقرأت ما يأتي

« يا ابن عمي

انت بت عالما مثلي دون شك انه لم يبق فائدة من هذه المواربة التي قد تنتهي بيننا الى ما لا تحمد عقباه فارجع عن خطبتي لاني لا استطيع ان احبك ولنعش قريبين لا خطيبين فان زواجنا محال

ابنة عمك

اورور

فلما اتمت تلاوته قالت له ان هذا الكتاب يدل على محاولتها تكايتك

قال ربما ولكنه يتضمن امرا اخر لا شك فيه

قالت ما هو

قال هو انها لا تحبني

قالت انك مخطيء يا بني فان النساء لا يؤخذن باقوالهن

قال اذا كنت مخطئا في عرفان قلبها فلست مخطيا في عرفان قلبي

قالت كيف ذلك

قال ذلك اني لا احبها

فاضطربت امه ونظرت اليه نظرة تشف عن الانذهال العظيم ثم قالت له ما معنى هذه الاقوال يا لوسيان

قال انها الحقيقة

قالت ما هذا يا بني العلك جننت

قال اني لا احب اورور ولا اكرهها ولكنني لا اريد ان اتزوجها

قالت لماذا

فاحمر وجه لوسيان ولم يجب

وكانما هذا السكوت قد اثر على امه واستشفت منه دلائل العزم الاكيد فقالت له ارى اني لا بد لي من ان اذكر لك امورا كنت اؤثر الاغضاء عنها

فنظر اليها لوسيان منذهلا وقال ماذا تعنين يا اماه وما هذه الامور

قالت انك تعجب دون شك حين تراني مصرة على تزويجك باورور في حين انك تراني اكره اباها اشد كره

قال هي الحقيقة فقد خطر لي مرارا هذا الخاطر دون ان استطيع تأويله

قالت لقد آن اوان الاباحة لك بكل شيء

قال تكلمي يا اياه فاني مصغ اليك

قالت لقد كان لابيك يا بني شقيقان احدهما والد اورور والاخر كبيريت دي مازير

وكانت اسرة مازير فقيرة ولكنها عريقة بالنسب فتزوج عمك الاكبر اميرة المانية فنال منها ثروة عظيمة فمنذ سبعة اعوام اي بعد وفاة ابيك بزمن طويل احترق قصر عمك الاكبر فالتهمته النار مع امرأته وولده وهو هذا القصر الذي نقيم فيه الان وقد اتصل الينا بالارث فاعدنا نـاه

قال العلنا ورثنا امواله

قالت نعم ولا

قال اني لا افهم ما تقولين

قالت ان رجال الشرع حين جردوا ثروة عمك صاحب هذا القصر الذي ورثناه منه قالوا ان ثلاثة ارباع هذه الثروة مفقود وان المال المفقود كله اوراق مالية موضوعة في صندوق صغير من الحديد غير ان هذا الصندوق لم نجده فلم نرث غير الارض فاقتسمناها مع عمك والد اورور

قال الم تعلموا من اخذ الصندوق

قالت كلا ولكنه اصغ الي فان لعمك المتوفي قصرا في باريس في شارع باي كان الصندوق فيه فلما كان عمك المتوفي هنا دخل لص الى القصر في باريس ومعه شريكان فاوثقا حارس القصر وكمم فمه غير ان

الحارس عرف اللص بالرغم عن تنكره

قال العله تمكن من سرقة الصندوق

قالت هذا ما نظنه

قال ولكن اية علاقة يا اماه بين هذه السرقة وبين كرهك عمي والد اورور

قالت ان ذلك اللص الذي عرفه حارس القصر كان عمك والد اورور

فوقف لوسيان متذعرا وقال رباه ماذا اسمع امكن هذا ان يكون

قالت لقد كان فاننا لو افترضنا ان الحارس خدع به فكيف اخفى الصندوق

فسكت لوسيان هنيهة ثم قال ارايت يا اماه كيف اني لا استطيع الاقتران باورور

قالت لماذا

قال كيف تسالينني وانت تقولين ان اباها سرق المال فهل تريدين ان اتزوج ابنة لص

قالت اني اريد ان تتزوجها كي يعود هذا المال اليك بعد وفاة ابيها ليس ذلك اليوم ببعيد فان مرضه شديد

فقاطعها لوسيان وقد بدت عليه علائم الكراهة والاشمئزاز وقال يشهد الله يا اماه اني اجلك واحترمك ولا احب حبا يبادل حبي لك في هذا الوجود ورجائي انك ما اردت فيما فلته لي الان غير تجربتي

ثم حيا امه وحاول الانصراف فادركت مرماتها تسرعت في اخباره مثل هذه الامور مرة واحدة وقالت له اذا كان الامر كذلك فلندع امر هذا الزواج في الوقت الحاضر

قال بال في كل حين وارجو ان لا تحدثني نفسك به فانه محال وبعد ذلك فتح الباب ودخل خادم فقال ان العشاء ياسيدتي قد تهيأ فدخل لوسيان مع امه الى قاعة الطعام فتعشيا ثم افترقا

وخلت امه في غرفها فجعلت تقول في نفسها اني قد اخطأت خطاء عظيما بعدم مراقبة لوسيان فان قراءة كتب الفلاسفة قد جعلته يحتقر المال ويميل الى مبادئهم وقد اخطأت ايضا بما رويته له عن عمه ولكني ارجو ان يصلح اجتماعه باورور ما افسدته بتسرعي

وفيما هي تناجي نفسها دخلت عليها تنوان وهي وصيفتها فقالت لها الكونتس ارأيت لوسيان يا تنوان

قالت نعم فهو يتنزه في الحديقة ولكن ملامح الغضب بادية بين عينيه ولا شك انك بحت له ببعض الاسرار

قالت نعم فلقد اخبرته بشان عمه

قالت انك اخطأت يا سيدتي خطاء لا يغتفر لا سيما وانك تتهمين والد اورور نفس التهمة الذي يتهمك بها

قالت لم افهم ما تقولين

قالت ان الكونت اذا كان يريد تزويج بنته اورور بلوسيان فلاعتقاده انك انت سارقة الصندوق

فذهلت الكونتس وجعلت تنظر الى الوصيفة نظر الفاحص دون ان تتكلم

١٤

ان هذه الوصيفة كانت تبلغ عمر سيدتها الكونتس وهي ليست على شيء من الجمال ولكن في عينيها سر عجيب ولنظراتها تاثير غريب

وكانت من احدى قبائل النوز قدمت الى باريس في صباها تلتمس الرزق فاقتبست في تلك العاصمة من الدهاء والحيلة ما جعلها في طليعة الماكرات من بنات حواء

وبعد ان ارتكبت جميع انواع الموبقات سنحت لها فرصة فاتصلت لدهائها بوالدة لوسيان وكانت لها وصيفة دون ان تعرف حقيقة ماضيها فلم يمض بها ردح من الزمن حتى باتت سيدة القصر المطاعة لها الكلمة النافذة والقول الفصل فيه حتى ان لوسيان نفسه كان يخشاها والكونتس لا تخرج في شيء عن رايها

ولم يكن دخولها في خدمة الكونتس الا لمآرب لها فقد وقفت لمكرها على اسرار الكونتس وكانت تعرف مصطلحات فن التنجيم فكانت يتذرع بها الى بلوغ غاياتها

فلما دخلت الى الكونتس وقالت لها ان الكونت يعتقد ايضا انك انت سارقة الصندوق ساد السكون هنيهة بينهما ثم قالت لها الكونتس لقد تقدم لك انك قلت لي مثل هذا القول فكيف تبرهنين عليه

فقالت لها النوزية على ماذا تريدين البرهان اعلى اعتقاد الكونت

انك السار

قالت نعم

فجلست تنوان النودية قربها وقالت لها اذن فاعلمي ان والد اورور نفسه قال لي هذا القول

قالت متى وكيف كان ذلك

قالت اني ذهبت برسالة الى مداموزيل اورور فلم تكن ساعتئذ في القصر لانشغالها بالصيد فلقيني ابوها واستقبلني استقبالا حافلا واجلسني بجانبه ثم جعل يسالني الاسئلة العديدة فكان مما قاله لي اتعلمين يا تنوان ان سيدتك الكونتس تعيش عيش اقتصاد لا ينطبق على ثروتها الطائلة

فقلت له ولكن ثروة سيدتي لا تزيد عن ثروتك فقد اتصلت اليكما من مصدر واحد واقتسمتماها على السواء

فهز كتفيه وقال والصندوق ؟ ولكن لاباس فان ابنتي ستجده اذا انكرت الكونتس وجوده

فقاطعتها الكونتس وقالت اهو قال هذا القول

قالت نعم

قالت اكانت لهجته صادقة

قالت اني تبينت صدقه في اعتقاده من لهجته ومن عينيه

قالت اذا كان ذلك كذلك فلا المالي بعد الان بما حدث من المقاطعة بين لوسيان واورور فانه يجد كثيرا من الفتيات الفتيان يتزاحمن عليه

قالت وفرق ذلك يا سيدتي فان اخلاق اورور مناقضة لاخلاق

لوسيان اسم التنقيض فلا يجتمعان في زواجهما ساعة هناء

غير ان الكونتس لم تكن تفتكر بولدها واورور بل كانت منصرفة باهتمامها الى الصندوق فقالت للنورية اذا كان والد اورور لم يسرق هذا الصندوق فمن سرقه وان هو

فاتقدت عينا النورية لهذا السوال الصريح وقالت اي ثقة يا سيدتي من انك تصغين لي الى النهاية

قالت تكلمي

قالت اخلني واثقة من معرفة السارق

قالت من هو

قالت هو الكونت دي مازير نفسه بكر هذه العائلة وتاركها الارث

قالت ما هذا الجنون يا تنون ان الكونت قد التهمته النار مع امراته وابنته

فابتسمت النوريه وقالت أانت واثقة يا سيدتي ان الابنة احترقت ايضا بالقصر

فارتعشت الكونتس وقالت اذا لم تكن قد احترقت فاين هي وماذا جرى لها

قالت انهم وجدوا جثتي الكونت والكونتس ولكنهم لم يجدوا جثة الفتاة

قالت من انقذها

قالت لا اعلم الان

قالت اتظنين ان لا حجاب الفتاة علاقة بالصندوق

قالت دون شك فان ما يحتويه هذا الصندوق من المال الجزيل انما جعل مهرا لهذه الفتاة

فاضطربت الكونتس وقالت احق ما تقولين

قالت هذا ما بدالي وفوق ذلك فان صناعة التنجيم ولا تدع خفيا الا اظهرته

قالت اتظنين ان الكونت قد احرق نفسه بالنار

قالت بل اعتقد اعتقادا راسخا

قالت اذن من انقذ الفتاة . ولكنها لم تكد تقول هذا القول حتى احمر وجهها وسرت في خاطرها ذكرى بعيدة فقالت هو هو دون شك

وقد عرفت النورية هذا الرجل الذي عنته الكونتس دون ان تلفظ سمه فقالت لها الملك تريدين يا سيدتي رولدي مورليير

قالت نعم

قالت الم يقولوا لك ياسيدتي انه قتل في البلاد الاميركية

قالت هو ذاك

قالت انك صدقت اقوالهم يا سيدتي اما انا فلم اصدقها

فاضطربت الكونتس وقالت لها لا تذكري امامي اسم هذا الرجل فانه مجلبة للشر وشؤم علي

فضحكت النورية وقالت لا يجلب الشر يا سيدتي غير الخوف وتقريع الضمير واذا كنا قد قتلنا الام فقد نتفق ان الذي كان لا يزال يذكرها

انقذ ابنتها

ولم يكن موقف المراتين في تلك الساعة موقف خادمة ومخدومة بل موقف اثيمتين اشتركتا في جريمة لعائلة فكانت الكونتس ترتعش وتضطرب والنورية تنظر اليها وتبتسم

ثم رجعت الكونتس الى سكينتها فقالت اظن يانتوان ان خوفنا لا محل له فان راوول قد مات وفوق ذلك فانه لم يكن في هذه البلاد حين شبت النار في القصر

قالت انك مخطئة ايضاً يا سيدتي

قالت كيف ذلك

قالت اتذكرين يا سيدتي جاك ذلك الجزار الشيخ الذي كان يقول ان الكونت قد وضع النار بيده في القصر

قالت نعم وهو قد مات

قالت ولكنه اخبرني قبل موته انه راى فارسا في ليلة الحريق جاء الى دكانه فربط جواده في احدى اشجار الغابة وتعشى عند الجزار فلما ارتد الظلام برح دكان الجزار بعد ان سال عن الطريق المؤدية الى قصر بوبير

قالت على ماذا يدل ذلك

قالت وفي اليوم الثاني راى الجزار هذا الفارس يخترق الغابة وامامه فوق جواده ولد صغير

فاضطربت الكونتس اضطرابا شديدا وقالت رباه العل يوم العقاب

فاضطربت الكونتس اضطرابا شديدا وقالت ياه العل يوم عقاب الله قد دنا

فاجابتها تلك النورية الهائلة اني لا اتق بالله ومن اعرف ان يخفى جريمته ويتقي العقاب لا يعاقب

فارتعدت الكونتس وقالت اذهبي عني فما انت الا شيطان رجيم واني بت اخافك

غير ان النورية بقيت في مكانها وقالت ارى انه يجدر بسيدتي ان تسمع بقية حديثي وتعلم كل ما اعلمه بدلا من ان تخافني

قالت تكلمي

قالت انك اخطأت بما اخبرت به ابنك عن عمه الكونت دي مازير والد اورور

قالت ان لوسيان لم يعد راغبا بزواج اورور فلا باس بما فعلته

قالت انك مخطئة يا سيدتي فليس والد اورور الذي حاول دون هذا الزواج وهو لو كان من الابرار الصالحين لما رضي لوسيان بهذا الزواج

قالت لماذا

قالت لان الصياد يستطيع ان يطارد ارنبين ولكن الرجل لا يستطيع ان يهوى امرأتين فان ابنك يا سيدتي بات من العشاق

فدهشت الكونتس وذكرت ان ابنها قد تغيرت اخلاقه منذ شهرين فبات منقبضا مفكرا مهموما بعد زهوه ثم قالت لها بمن هو مفتون

قالت اني لا استطيع ان اذكر لك اسم التي يهواها فاني لم ابرح القصر كما تعلمين ولا اعلم الا ما اسمعه غير اني اقول لك ان لوسيان يعود الى القصر متاخرا ساعتين وثلاثا عن رجال الصيد

قالت ماذا تستنتجين من ذلك

قالت استنتج اولا ان لابنك عشيقة يزورها بعد الانتهاء من الصيد ثم ارى ان الشفاليه يعلم من امره اكثر ما اعلم

قالت كيف عرفت ذلك

قالت سمعت هذا الشفاليه يقول لابنك وهما خارجان الى الصيد اعتمد علي يا لوسيان تجد ان الامور تجري على ما تريد ولا اظنه يساله الاعتماد عليه الا في هذا الغرام

فقالت لها الكونتس اذهبي عني الان يا تنون واحذري ان تروي كلمة من حديثنا لاحد فتسمت التورية وانصرفت دون ان تجيب

وفي اليوم التالي لم يذهب لوسيان الى الصيد فاجتمعت به امه وقالت له اذا كنت غير راغب بالزوج يا بني بابنة عمك فليكن ما تشاء وثق اني لا احدثك فيها بعد الان

فعانقها لوسيان فرحا مسرورا وقال لها لا اشك عندي انك خير الامهات

وعند ذلك دخل الشفاليه فخفق قلب الكونتس وقالت في نفسها لا بد لهذا الشفاليه ان يبوح بكل شيء

١٥

كان هذا الشفاليه عائدا من قصر بوربيير فلما دخل على لوسيان وامه نظر الى لوسيان نظرة معنوية باغتها الكونتس فقالت في نفسها لا شك ان بينهما سرا لا بد لي من الوقوف عليه

وجلسوا جميعهم حول مائدة العشاء فكان لوسيان باش الوجه منبسط النفس لما رآه من موافقة امه على عدم زواجه بابنة عمه فلما فرغوا من العشاء دعت الكونتس الشفاليه الى ملاعبته بالشطرنج

وكانت تقصد بذلك الاختلاء معه فانها كانت تعلم ان ابنها يكره الشطرنج كرها شديدا بحيث لا يجلس في مجالس لاعبيه

وقد اتفق لها ما ارادت فانه بعد ان احضر الخادم لهما الشطرنج اقام لوسيان معهما هنيهة ونزل الى الحديقة

وعند ذلك خلت الكونتس بالشفاليه فقالت له انك صديق ولدي الحميم اليس كذلك يا شفاليه

قال اتشكين بذلك يا سيدتي

قالت ليس لي اقل ريب ولهذا اردت ان اكلمك بشانه على انفراد فان ولدي يخبرك بسرائه وضرائه وانت واقف على جميع اسرار قلبه دون شك

قال هو ذاك ياسيدتي فاني اعلم ان العلائق فاترة بينه وبين ابنة عمه

قالت بل انهما مختصمان

قال ولكنه خصام لا خطورة فيه

قالت وفوق ذلك فقد علمت انه يعشق سواها واريد ان اعرف منك تلك التي يعشقها

فنظر اليها الشفاليه متكلفا الانذهال دون ان يجيب فقالت له اني لست من الامهات الظالمات فاذا كان لوسيان يابى الزواج بابنة عمه فلا اعترضه فيما يريد وليتزوج من يشاء غير اني اريد ان اعرف تلك التي يهواها

فسر الشفاليه لما راه من عدم اصرار الكونتس على زواج ابنها بابنة عمه فان ذلك يمهد له سبيل الزواج بها وقال للكونتس مد ان تظاهر بالتردد انك تسالينني يا سيدتي ان ابوح لك بسر قد تكون الاباحة به خيانة

قالت اني لم افهم ما تقول

قال افترضي يا سيدتي اني بدلا من ان احدث امآ ذكية الفواد مثلك اكلم اما مل، قلبها الحنو

فقاطعته وقالت له بخيلاء لقد كنت من نساء البلاط يا سيدي الشفاليه

فانحنى الشفاليه وقال لولا يقيني يا سيدتي من ذكائك لكنت اثرت الكتمان على خيانة لوسيان ولذلك اعترف لك بما علمه من امره وابدا بالقول انه حقيقة عاشق مفتون ولكنني ارجو ان لا يكون من وراء ذلك ضرر

قالت ولكن من هي التي يهواها

هل هي فتاة في منزل حداد يلقبونها برابية

فضحكت الكونتس ضحكا عاليا وقالت من هو هذا الحداد

قال انه يدعى داغوبير

قالت والفتاة

قال أنها تدعى حنة وهي في السادسة عشرة من عمرها ولها وجمال عظيم

قالت اشكرك يا سيدي الشفاليه فقد طمأنتني بعد ان كنت شديدة الاضطراب

قال هذا ما اوده يا سيدتي غير ان هذه الفتاة قد خلب عقل لوسيان

فضحكت الكونتس وقالت ان هذا الغرام يكلفه بعض المال وهذا كل ما فيه من الخطر فقص لي سوادثه فاني اجد بها تسلية عظيمة ولنبدأ بالحداد فقل لي اين يقيم هذا الرجل

قال عند باب الدير

قالت لقد عرفته فهل هذه الفتاة بنته

قال كلا بل هي قريبته

قالت وكيف لقبت بربيبة الدير

قال اظن انها لقبت بهذا اللقب لان الرهبان يتولون حمايتها

فضحكت وقالت اذن لا يروق في عيونهم هذا الغرام

قال لا تضحكي يا سيدتي فان الامر اشد خطورة مما تظنين لا سيما

سب هذه الفتاة مجهول لا يعلمه احد

قلت الم تقل انها قريبة داغوبير

قال نعم وانما رويت اشاعة من الاشاعات المتناقلة عنها ومن هذه الاشاعات ان دغوبير كان يريد الزواج منذ ستة او سبعة اعوام وبحث اليه عن عروسة له ولكنه رجع مجاءة عن هذا القصد لانتقال الفتاة الى منزله دون ان يعلم احد كيف اتت حق العلم ولكن الشائع انها بنت الاب جيروم

قالت من هو الاب جيروم هذا

قال هو رئيس الدير وحياة هذا الراهب مكتنفة بالاسرار وقد كثرت الاشاعات فيه

قالت تقول ان الفتاة جيء بها الى داغوبير

قال نعم

قالت اهي التي ولع بها ابني

قال ان ولوعه بها شديد يا سيدتي حتى انه يريد ان يتزوجها

فضحكت الكونتس ضحكا عاليا استاء له الشفاليه فحدثها على سبيل الانتقام بجميع ما جرى لابنها مع دغوبير وانه طلب مقابلة رئيس الدير فابى ان يقابله

غير ان الكونتس لم يسؤها شيء مما جرى لولدها وقالت للشفاليه اذن هذه الفتاة حسناء

قال انها خلقت كما اشتهت

قالت ولا يعلمون اصلها

قال ان في اصلها ثلاثة اقوال الاول انها قريبة دغوبير والثاني انها بنت الاب جيروم ولدت سفاحا في ايام غروره قبل ان تأتي الى الدير والثالث قول آخر تفرد بروايته جزار القرية

فارتعشت الكونتس وقالت ماذا يقول هذا الجزار

قال يقول ان فارسا جاء في صباح يوم الى دغوبير فاودع عنده تلك الفتاة التي يهواها ابنك لوسيان

قالت وماذا جرى للفارس

قال انه سافر ولم يعد يعلم احد ما جرى له بعد ذلك

فاطرقت الكونتس مفكرة ثم قالت كل ما قلته لي افهمه ما خلا مسالة الزواج فان لوسيان لا فرق عنده بين العامة والنبلاء

قال ولكننا بالغرب منه نراقبه فنقيه هذا الخطر

قال كيف تتقيه

قال بابعاد داغوبير عن الاقتضاء بمغافلة الاب جيروم واختطاف الفتاة

قالت ان ذلك سهل بالقول لا بالعمل وفوق ذلك فانك على طول عشرتك لولدي لم تختبره حق الاختبار فانه اذا اختطفها تزوجها

فابتسم الشفاليه وقال اذا لم اكن قد احسنت اختباره يا سيدتي فقد احسنت صداقته فلا يعقد هذا الزواج وانا ساهر عليه

قالت بوركت فيك يا شفاليه وانا ساكون لك عونا في انتزاع هذه

الوساوس من صدره فينجو من هذا الخطر المحدق به باذن الله

قال وعسى ان يحقق الله رجاءنا ويرجع لوسيان الى هذه

قالت لي واثقة من صداقتك و نك ستلزمه لزوم الظل والان فانك ذكرت لي ان حياة الاب جيروم تكتنفها الاسرار فهل لك ان تذكر لي ما تعلمه من الاشاعات عنه

قال حبا وكرامة يا سيدتي

فانكبت الكونتس على كرسيها وجعلت تسمع بملء الاصغاء حكاية الاب جيروم

١٦

وقد قص لها جميع ما عرفه القراء من الاشاعات عن الاب جيروم وزاد على ذلك هذه الحكاية وهي ان الاب جيروم قبل دخوله الى الدير قدم مع خادم له فاقام في فندق يومه وفي المساء ذهب الى الدير فعاد الخادم الى ذلك الفندق وحده في اليوم التالي وهو يبكي بكاء شديدا فلم يعلم احد منه شيئا عن مولاه سوى انه لم يدخل الى الدير الا لنكبة غرام

فقاطعته الكونتس وقالت الم تعرف اسمه الحقيقي

قال لم يعرف منه سوى ان صاحبه الفندق روت انها سمعت خادمه ناديه بعض الاحيان باسم اموري

فدهشت الكونتس دهشا عظيما وقالت اموري

قال نعم يا سيدتي العلك تعرفين هذا الاسم

فنابت الكونتس من دهشتها وابتسمت قائلة أن بيت اموري بيت

قديم . ذكر اني عرفت رجلا من هذه الاسرة كان حارسا في بلاط الملك السابق

قال الا يمكن ان يكون الاب جيروم

قالت كلا فان ذلك الحارس لم يكن على شيء من مبادىء الزهد والنسك وقد سررتني ايها الشفاليه بما رويته لي من هذه الاقاصيص لا سيما في ماتعلق بغرام ولدي لوسيان ولكني اعترف لك انك لو لم تتعهد لي بمراقبة لوسيان لكان خوفي عليه عظيما فانه كثير الاقدام لا يحفل بالتقاليد ولا يكترث بالانساب فهو في ذلك على مذهب فلاسفة اليوم

قال كوني مطمئنة يا سيدتي فلا خوف عليه من مغبة هذا الغرام وانا ساهر عليه

قالت اتتعهد لي بمراقبته الليل والنهار

قال بل اقسم لك

قال واني اريد منك عهدا اخر وهو ان لا تخبر لوسيان بما جرى بيني وبينك واري انه يجب ان توافيه الى البستان او الى الحديقة اذ لا بد انه التنزه الان فيهما ويناجي نفسه بامانيه الغرام فلا نولد في نفسه الشك

قال لقد اصبت يا سيدتي وها انا ذاهب اليه

ثم قبل يدها وانصرف للاجتماع بلوسيان فلم يكد يخرج من الغرفة حتى نادت الكونتس وصيفتها النورية فقالت لها اظن انك غير مخطئة يا نتوان!

قالت بماذا

قالت باعتقادك ان ابنة الكونت دي مازير لم تمت

قالت اني واثقة كل الوثوق

قالت ولكن اتعلمين اين هي

قالت كلا

قالت اذن فأعلمي انها تقيم على مسافة مرحلتين من هنا في دكان رجل حداد عند باب الدير وهي تلك الفتاة نفسها التي يعشقها ابني اوسيان ثم اتعلمين من هو رئيس الدير

قالت هو الاب جيروم

قالت هو ذلك ولكنه كان يدعى قبل دخوله الدير اموري

قالت اني لا اعرف هذا الرجل

قالت لقد نسيت اني لم اخبرك بهذه الحوادث القديمة ولكن اذا كان هو نفس اموري الذي عرفته من قبل فهو صديق راوول الحميم وقد احبها

قالت احب من

قالت احبها «هي»

فتطبت النورية حاجبيها وعادت الكونتس الى الحديث فقالت ولكن اذا كانت ربيبة الدير ابنة الكونت دي مازير كما تبين لي فلا شك ان الاب جيروم هو نفس اموري الذي عرفته

قالت وماذا تستنتجين من ذلك

قالت استنتج ان صندوق الاوراق المالية موجود لدى الاب

جيرهم

قالت هذا لاريب فيه

فاتقدت عين الكونتس وقالت لا بد لي من الاستيلاء على هذا المال

فابتسمت النورية ابتسام الابالسة وقالت من اخبرك يا سيدتي بجميع هذه الامور

قالت الشفاليه دي فولون

قالت ايعلم ان ابنة الكونت لم تمت

قالت انه لا يعلم شيئا من هذه الاسرار ماخلا ان داغوبير الحداد عهد اليه منذ سبعة اعوام بتربية هذه الفتاة وان هذه الفتاة يعشقها ولدي لوسيان

فاطرقت النورية هنيهة مفكرة ثم قالت الا يمكن لسيدتي ان تستغني عن خدمتي يومين

قالت ماذا تفعلين في خلالهما

قالت اعلم اذاكانت الفتاة هي حقيقة ابنة الكونت دي مازير

قالت اتذهبين الى الدير

قالت بل الى دكان الحداد

قالت باية حجة

قالت ان الحجج كثيرة

قالت ولكن بماذا تستعينين على كشف هذه المجائب

قالت بتضلعي في فن التنجيم

قالت ولكنها فنون خرافة اذا صدقت الظواهر فيها مرة كذبت انفا

فابتسمت النورية وقالت اكذبت فيك مرة ياسيدتي

قالت هو ذاك وقديكون صدق ما تنبأت لي عنه من قبل الاتفاق وما كنت احسبك ممن يعتقدون بهذه الترهات

قالت كيف لا اعتقد بها وقد تركت بادلتني عليه ولدي

فدهشت الكونتس وقالت انت الك ولد وانا لا ادري

قالت نعم وانما كتمت عنك امره اذ لم اجد سبيلا لرواية خبره لا سيما واني عولت على الابتعاد عنه دهرا طويلا

قالت لقد ادهشتني بهذا الخبر فاين ولدته واين تركته وكيف عولت على الابتعاد عنه

قالت اني ولدته سفاحا فوق ثقة في قرية بوجيفال وعهدت بتربيته الى امراة صاحبة حانة تدعى مدام فيبار اما سبب ابتعادي عنه فهو اتصالي بك والتصاقي بخدمتك وهذا التنجيم الذي تعلمته في بلادي منذ الحداثة

قالت وماذا كشف لك التنجيم

قالت اني نظرت في يد ولدي بعد ولادته فذعرت لتلك الظواهر وايقنت انه سيكون له في هذا الوجود اعظم شان وسيجري فيما يمر به من ادوار الحياة شوطين شوطا يكون فيه رسول جهنم على الارض وشوطا يكون فيه من ملائكة الله ولذلك دعوته وكامبول

قالت ما معنى هذا الاسم الغريب

قالت انه في لغتنا النورية يراد به الملكان وهما ملاك الخير وملاك الشر وقد جمع هذان النقيضان بولدى فانه في بدء امره ستكون راوه رعبا وواوه وزرا وكافه كفرا والفه اثما وميمه معرة وباوه بلية ولامه لؤما ثم ينقلب بعد تفاقم شره فتصبح الراء رحمة والواو ورعا والكاف كمالا والالف احسانا والميم مبرة والباء بركه واللام لواذا فبيتا هو حليف الابالسة اذا هو من رسل الله ولذلك اردت الابتعاد عنه حذرا من طيشه الى ان يفرغ من شوطه الاول ويعيش عيش الابرار فانضم اليه اذا فسح في الاجل

قالت اهو الان في شوطه الاول

قالت انه يتمرن عليه

فابتسمت الكونتس وقالت لها لا جرم ان الحية لا تلد الا الحية يا نوان

فاجابتها ام روكامبول بمثل ابتسامها وقالت والطير لا يقع الا على شكله يا كونتس

فلم تظهر الكونتس استياء من هذا التلميح لما كان يصل بين المراتين من الاسرار وعادت الى حديثها الاول فقالت اذن ستذهبين غدا الى دكان هذا الحداد

قالت بل اذهب الليلة فلا ابقى الى الغد ما اقدر ان افعله الان

قالت ولكن الا تخافين ان تجتازى الغابة في ظلام الليل

فضحكت تنوان ضحك الابالسة وقالت ان من لا يخاف الله فلا يخاف الانسان

قالت ولكن المسافة لا تزيد عن ساعتين فاذا ذهبت الان فاني سبتين ببقية الليل

قالت ولكني سأذهب بعد ساعتين فاصل عند الفجر

قالت اذن مري السائق يعد لك المركبة

قالت بل اني اعدها بنفسي وساركب المركبة المعدة لنقل الخضر واسوقها انا فلا احب ان يعلم احد ان اسير

قالت افعلي ما بدالك فقد عودتني ان لا اعترضك فيما تريدين

قالت وانا ارجو ان لا تندمي لثقتك بي فاني ما اخلصت لنفسك اخلصت لك

ثم تركتها وانصرفت الى الاصطبل فاعدت العلف للجواد وعادت الى غرفتها فتاهبت للرحيل

١٧

بينما كان الجواد ياكل علفه كانت الكونتس في غرفة ومها نائمة في سريرها وام روكامبول تتاهب للرحيل وقد تزيت بملابس النور

وكانت غرفتها ملاصقة لغرفة الكونتس يفصل بينهما باب داخلي يفتح من الغرفتين فبينما كانت النور به تنظر نفسها في المرآة وقد فرغت من اللبس سمعت الكونتس تصيح صياحا مزعجا ففتحت الباب واسرعت اليها فالفيا الكونتس صاحت صيحة اخرى وقالت لها آه لو عرفت

والدة لوسيان والخيال

قالت ماذا جرى

وكانت علائم الذعر بادية في وجه الكونتس وقد امتقع لونها وغارت عيناها فقالت لها بصوت مختنق اني رايتها .. رايتها وانا لم اكد اغفو وقد صحوت لصوت سمعته ففتحت عيني فرايت نورا ابيض هنا عند الباب

فضحكت تنوان لقد اوشكت هيئتك ان تخيفني في هذا الجنون فاصطكت اسنانها من الخوف وقالت قلت الك اني رايتها

قالت من هي التي رايتها

فاجابتها وهي لا تكاد تفسر اللفظ من الرعب « هي هي » وقد رايتها مصفرة الوجه فنظرت الي بعينين تتقدان نارا وقالت لي احذري ان تمدي يدك بسوء الى ابنتي او تموتي افظع موت

فحاولت تنوان ان تتكلم ولكن الكونتس قاطعتها فقالت لها حين قالت لي هذا القول كانت كتلة من نور ابيض ثم تحولت الى شعلة من نار بعد ان اتمت وعيدها وتوارت عن الانظار فشعرت عندئذ انهم قبضوا علي وربطوا يدي ورحلي ثم القوني في مركبة وساروا بي فكان الناس يسيرون افواجا في جانبي المركبة وهم ذاهبون بي الى ساحة الموت الرهيب ولكني لم اعلم كيف يكون موتي وعند ذلك صحت صيحة منكرة فاختفى كل شيء

فضحكت تنوان فقالت تريدين انك صحوت من الرقاد

قالت اني لم اكن نائمة

قالت بل كنت نائمة وانت لا تعلمين فاصابك الكابوس .

قالت ليس ما رايته حلما بل قد رايتها حقيقة وسمعت صوتها

قالت ان الاموات لا يرجعون

قالت بل روحها التي تمثلت لي ولا سبيل معك الى الجدال فانك لا تعتقدين بشيء

قالت اني لا اعتقد الا بحقائق العلم وبذلك القدر المرسوم في خطوط الايدي

قالت اذن اعيدي النظر في يدي واخبريني اذا كان قد تغير ما كتب لي في لوح المقدور فانت نفسك تعترفين ان خطوط اليد تتغير

ثم بسطت يدها للنوريه وقد خف ما خامرها من الرعب فتاملت تنوان مليا في خطوط تلك اليد وقالت ان خطك لا يزال على ما كان عليه فستكونين من غني الناس

قالت متى

قالت في وقت قريب

قالت أاجد الصندوق

قالت نعم

قالت وهذه الفتاة التي تحسبها ابنتها

قالت ساخبرك بذلك غدا ثم غيرت الحديث فجاءة كانما خطر لها خاطر فقالت انظر الي جيدا يا سيدتي الا اشبه بملابسي النوريات

قالت هو ذاك

قالت الا يحسبني الناظر الي من اللواتي يقرأن الطوالع ويكشفن غوامض المستقبل

قالت انك منهن وهذه المهنة مهنتك

قالت اني ذاهبة ورجائي ان لا تسترسلي الى الاوهام وان تنامي نوما هادئا

قالت واني واثقة بقريحتك الجهنمية فاذهبي واعلمي اني انتظر عودتك بفارغ الصبر

ثم ودعتها وانصرفت فركبت المركبة ودفعت جوادها فسار بها وحدها في ظلام الليل الى الغابة

بينما كانت تتوان تجتاز الغابة غير هيابة وقد اوشكت ان تبلغ الى نهايتها كان مرس الدير بدأ يدق داعيا الى صلاة الفجر

وكان داغوبير قد صحا من رقاده فنزل من منزله الى دكانه وهو يخفف الوطء حذرا من تصحو حنه

وقد كان منزل داغوبير يتالف من غرفة واحدة كبيرة فلما جاءته حنه شطر الغرفة شطرين وجعلها غرفتين فاقام كل منهما في غرفة

وكان داغوبير قبل ان تجيء حنة الى منزله يبدأ عمله قبل الفجر غير مكترث للاعوان فباتت بعد مجيئها تشفق على راحتها اشفاقا شديدا فلا تسمع لمطرقته صوتا قبل ان تطلع الشمس فكان يشتغل قبل شروقها اشغالا لا دوي لها

ففي ذلك اليوم نزل داغوبير في الساعة الخامسة من صباحه فاوقد

النار ولكنه لم يعمل عملا بل كان مفكرا مهموما وقد كان هذا دابه منذ ثلاثة ايام فلم يلف الا على هذه الحالة

وفيما هو على ذلك سمع دوي مركبة ثم سمع ان المركبة وقفت عند باب دكانه وان هذا الباب قد قرع ففتحه ووجد امامه تنوان

فدخلت تنوان الى الدكان وقالت له ان نعل الجواد قد سقط وقد اتيتك لتصنع لي سواه ثم دنت من النار تدفاء فنظرت الى داغوبير نظرات كهربته وقالت له اراك قد اتأت لحضوري بل اراك مترددا في صنع النعل فهل كان ذلك لاني فقيرة اكسب رزقي من استطلاع البخت

فقال لها لست ممن يحتقرون الفقراء فاني منهم ولكني متذهل لملابسك فهل انت من النور

قالت ان ملابسي قد دلتك خير دلالة على اصلي

قل اتتجولين وحدك في هذه المركبة

قالت لقد كان لي زوج قضى نحبه فبت وحيدة كما تراني

قال الى اين ذاهبة

قالت الى بيتهافر

قال الملك مضطرة الى الاسراع بالوصول اليها

قالت لماذا تسالني هذا السوال

قل لاني لا استطيع ان اصنع النعل قبل شروق الشمس

قالت لا باس فانتظر وقد علمت انه لا يريد ان يوقظ الفتاة

ولبثت امام النار تصطلي وداغوبير ينظر اليها معجبا بامرها الى ان

بدأ الحديث معها فقال المخترفين مهنة استكشاف الطوالع

قالت هو ذاك

قال كيف ذلك ابالورق

قالت بالورق وبالنظر الى الايدي

فمرت غمامة بمخيلة داغوبير وظهرت عليه علائم التردد ما النورية فانها جعلت تنظر اليه نظرات ممغنسطة جذبت بها حواسه

١٨

وكان داغوبير واقفا يحدثها وينظر اليها فغض بصره ولم يستطع مقاومة تلك النظرات التي اخترقت نفسه وشعر ان لهذه المراة سلطانا عليه

وكانت قد قالت له انها تكشف مخبآت المستقبل فشعر بميل عظيم الى معرفة ما خبأته له الايام لاسيما وانه كان حزين القلب منقبض الصدر منذ ثلاثة ايام

اما سبب انقباضه فهو انه باغت حنة في غرفتها فرآها تبكي وعلم لفوره السبب في بكائها وهي انها تحب ذلك الفتى النبيل الذي طرده من دكانه اقبح طرد وهو لوسيان امتثالا لواجب مقدس لم تعرفه الفتاة ولم يعرفه داغوبير نفسه فانه كان آلة بيد الاب جيروم

فكان داغوبير يفكر في جميع هذه الامور بينما كانت النورية تسلب ارادته بتلك النظرات وهو واقف موقف الخائف المتردد

وانما كان خوفه وتردده لان الدين يحرم استكشاف الطوالع فان المستقبل بيد الله غير انه ظهرت عليه فجاءة علائم العزم الاكيد فنظر الى

النوريه وقال لها العل استكشاف الطابع كثير التعقة

قالت اني اقبض ريالا من النبلاء

قال ومن كان فقيرا مثلي

قالت لا اقبض منه شيئا

فاستغربته الانفة وقال ان ذلك لا يكون فاني لا اقبل شيئا مجانا على بقري فاذا اردت انعلت جوادك فكان ثمن النعل مقابل الاجرة

قالت رضيت فهات يدك

فبسط لها داغوبير كفه فجعلت تتأمل باطنه بامعان

ويذكر القراء ان داغوبير كان قد وضع في اصبعه ذلك الخاتم الذي اشتمنه عليه الاب جيروم وانه قد سوده بالدخان كي يذهب لونه الذهبي ولا يستلفت الانظار اليه

غير ان النورية رات الخاتم فتمعنت به خلسة وادركت لفورها انه ليس من الحديد كما انها رات اثار الشعار فيه فاتقدت عيناها ببارق الرجاء وقالت في نفسها لا شك ان هذا الخاتم يتضمن سرا لا بد لي من الحصول عليه

وكانت من الدواهي الماكرات فلم تظهر اكتراثا لهذا الخاتم فانصرفت الى خطوط يد داغوبير وقالت له اني ابدأ بوصف اخلاقك فانك حاد المزاج

قال هو ذاك

قالت ولكنك طاهر القلب سليم النية

وكانت تقول هذا القول بلهجة ثمة غير ان داغوبير جعل يضحك لكلامها وقال لها بعمل جواد تهيئني هذه الهبات انك لا شك كثيرة الكرم

قال انى افتخر بهذه الصفات

قالت وانى ثابت الارادة اذا عزمت على امر لا تثنى عنه

قال لقد صدقت

قالت ثم انك الوف حسن الوفاء لمن تحب ولكن مزاجك يتغلب عليك احيانا فتحزن من تحبه دون ن تريد

وهنا ارتعش داغوبير وذكر حنة وبكاءها فعاوده الانقباض

قالت هذه هي اخلاقك اما مستقبلك فهو الك ستغدو سعيدا ولكنك تلقى كثيرا من العثرات

قل انا اكون سعيدا وكيف تاتيني السعادة

وكانت النورية لا تزال تنظر في يده فاضطربت فجاءة وقالت ماذا ارى

قال ماذا

قالت ان هذا محال

قال ولكن ماذا رايت

فظهرت على النورية علائم الاضطراب ورای داغوبير ان اضطرابها خذ بالازدياد فقال لها قولي ماذا رايت

قالت ارى انك ستغدو من الاغنياء وتكون من النبلاء

قال ما هذا المزاح

مالت لست امزح بل انول الحقيقة فانك سوف تتقلد سيفا وتلبس الثياب المذهبة

وهنا ذهب كل تاثيرها عليه دفعة واحدة اذ لا يخطر له في بالقصد ان يغدو في حين واحد غنيا نبيلا من رجال السيف

غير ان النورية لم تكترث لعدم تصديقه نبوتها فقد كانت مشتغلة البال بهذا الخاتم الذى في اصبعه حتى اوشكت ان تنسى المهمة التي جاءت من اجلها

وكان الفجر قد انبثق وبدأ نور السماء يبتسم استبشارا لطلوع الشمس وانقطعت اصوات الاجراس في الدير اشارة الى انتهاء الرهبان من الصلاة ثم اخذ الرهبان يخرجون افواجا من الدير فيذهب بعضهم الى الحقول للاشتغال بالزراعة وبعضهم الى معامل الصنائع فيشتغل كلهم فيها بما تعلمه من المهن

فنظر عند ذلك داغوبر الى النورية وكانت تائهة الفكر فقال لها سانعل جوادك الان لان النهار قد تعالى ثم مشى يريد الخروج الى الجواد فاستوقفته وقالت ارى انك لم تثق بما قلته لك

فاجابها ضاحكا كلا ولكني سانعل جوادك في كل حال

قالت ولكني واثقة كل الثقة وما زلت تنعل الجواد دون احرة فارني يدك اليسرى

فبسط لها يده اليسرى فارتعشت بعد ان تمعنت فيها وقالت انها

تشبه اليد اليمنى والخطوط الدالة على السعادة وهما واحدة ثم اظهرت دهشة فقال لها داغوبير ما هذه الدهشة املك رايت شيئا جديدا

قالت نعم فانك ستسافر

فاصفر وجه داغوبير عند ذلك لان الاب جيروم قال له منذ ثلاثة ايام انه سيسافر الى باريس ثم قطب حاجبيه وقال لها انك قلت الحقيقة هذه المرة فاني سأسافر ولكن متى

قالت انك مسافر اليوم

فعاد ابتسام الشك الى شفتي داغوبير وقال لها لا ظن وانما قال ذلك لوثوقه الاب جيروم لا يزال مريضا وهو لا يسافر الا بعد شفائه

وعند ذلك تركها وخرج الى الجواد فلم تتوقفه النورية

وفيما هو آخذ يصنع النعل بابره احد الرهبان وقال له تعال حالا يا داغوبير

قال الى اين

قال الى الدير

قال لعلك محتاج الي

قال كلا بل ان الاب جيروم يريد ان يراك

قال ولكني مشتغل الان بصنع الجواد هذه المرة

قال انها تنتظر

فقالت النورية لا باس فاني غير مستعجلة

فوقف دغوبير موقف المتردد فان حنة كانت في غرفتها وخشي ان تجتمع مدة غياه بهده النورية

غير ان الراهب كان يلح عليه فلم يجد بدا من الذهاب معه فبقيت النورية وحدها في الدكان فوضعت راسها بين يديها واسترسلت الى التفكير

وكانت تتوان تعتقد كما قدمناه بخطوط الايدي فجعلت تقول في نفسها ما هذا الاتفاق الغريب وكيف يغدو هذا البيطري الفقير الحقير غنيا نبيلا ان ذلك مكتوب في كفه لا ريب فيه

وفيما هي تفكر في امره سمعت صوتا فوق راسها فالتفتت فرات حنة نازلة على السلم الخشبي الموصل بين الغرفة والدكان وهي تنزل ببطء فلما تبينت النورية وجهها جمد الدم في عروقها وقالت ماذا ارى اني لو كنت اعتقد بعودة الارواح لقلت ان هذه الفتاة (هي)

ذلك ان حنة كانت تشبه امراة عرفتها النورية شبها غريبا وعادت الى مخيلتها ذكرى تلك المراة

١٩

كان دغوبير قد ذهب الى الدير وهو يعتقد ان حنة لا تزال نائمة غير ان الفتاة لم تكن تعرف الرقاد منذ ثلاثة ايام فانها كانت تظهر في النهار منقبضة النفس وتحتجب في الليل فتسترسل الى البكاء

ولم تستطع ان تقول كلمة لدغوبير حين طرد لوسيان ذلك الطرد القبيح فانها حين همت لسؤاله قاطعها فقال لها اني مخلص لك بسفك دمي في سبيلك ولكن لا تسالني لماذا طردت هذا الفتى

فسكتت الفتاة ولم تعد تسأله شيئاً ولكن انقباضها كان يخترق نفس داغوبير ويقع في قلبه وقع السهام

فلما ذهب داغوبير الى الدير لم تكن نائمة كما يتوهم وقد سمعت قرع باب دكانه حين جاءت النورية فحسبت حتة ان الطارق الاحدب فوجف قلبها اذ كانت تعلم انه رسول لوسيان فقد راته حين اوفده لمقابلة داغوبير ولذلك نهضت من سريرها ووضعت اذنها على ثقب الباب المؤدي الى الدكان فسمعت كل ما دار من الحديث بين داغوبير وبين النورية

فلما علمت ان داغوبير ذهب الى الدير وان النورية باقية وحدها في الدكان نزلت اليها فوقفت في اسفل السلم وجعلت تنظر اليها نظرات الاندهال ازيها الغريب

اما النورية فانها وقفت لها احتراما وحيتها بلقب مدام وازيل

فقالت لها حتة لست من السيدات بل انا فتاة فقيرة من طبقة العمال

فابتسمت النورية وقالت ان الفلاحات لا يكون لهن هذه الايدي الناعمة المترفة

قالت العلك تستطلعين البخت

قالت هو ذاك يا سيدتي فاذا اذنت لي ان انظر في يدك انبأتك باموركثيرة يهمك ان تقفي عليها

فاجفل وجه حتة وقالت ولكن اذا عاد داغوبير ورآني معك تكدر

قالت لماذا يا ابنتي

قالت لا اعلم

قالت . لكنني انبأته بمستقبله ولو كان ذلك منكرا لما رضي به نفسه

فاطمأنت الفتاة بعض الاطمئنان وغلبها شوق الوقوف على اسرار المستقبل فبسطت لها يدها كما فعل دغوبير من قبل

فنظرت النورية الى باب الدير فلما وثقت انه مقفل اخذت يد الصبية وجعلت تنظر فيها فقالت ماذا ارى

فاضطربت حنة وقالت لها بصوت يرتجف ماذا ترين

قالت ارى انك معشوقة وان الذي يهواك فتى جميل نبيل يريد ان يتزوج بك ويجعلك من الذيلات فانه كونت

فصاحت الفتاة صيحة دهش لما راته من صدق هذه المنجمة

وعادت النورية الى الكلام فقالت انك ستكونين كثيرة الغنى يا سيدتي

فابتسمت حنة وقالت اتهزأين بي

قالت كلا يا ابنتي بل اقول الحقيقة

ولم تكن حنة تكترث بالغنى فانصرفت الى اميال قلبها وقالت لها لقد قلت لي اني محبوبة

قالت هو ذاك والذي احبك قد تدلهبه والك

فارتجفت حنة وقالت ولكن الا يعترض هذا الحب مصاعب

قالت نعم ولكن هذا الفتى النبيل الذي يحبك سيتغلب على جميع

الصعاب ثم ان هذه الصعاب لا تكون من جهة اهله

قالت اذن ممن

قالت من اهلك او من الذين يقولون انهم يحبونك

فافتكرت حنة عند ذلك بداغوبير وقالت لها تنوان لا تستائي لذلك يا سيدتي فاني اقرأ مستقبلك في يديك كما تقرأين انت في الكتاب فاعلم منهما ما سطر لك في لوح المقدور والذي اراه ان من يهواك سيفوز على جميع الصعاب

وعند ذلك سمعتا ان باب الدير قد فتح ورات حنه ان داغوبير قد خرج منه فافلتت افلات الظبي وقالت للنورية ارجوك ان لا تقولي لداغوبير انك رايتيني

ثم تركتها وصعدت الى غرفتها فبقيت تنوان وحدها

وبعد هنيهة دخل داغوبير فقال للنورية انك اذا كنت قد نبأت لي بامور لا استطيع تصديقها فقد قلت لي ايضاً امورا اكيدة

قالت كيف ذلك

قال لقد قلت لي اني قادم على سفر

قالت لقد صدقت كان الاب جيروم رئيس الدير امرني ان اسافر اليوم

قالت العله يرسلك الى محل بعيد

قال الى اورليان

قال اذا كنت قد صدقت في بعض نبوئي فلماذا لا اكون مصادقة

في جميعها

قال تريدين اني ساكون عنياً نبيلا

قـالت هو ذلك فقد قرات ذلك في يدك كما قرأت نبأ سفرك

فضحك داغوبير دون ان يجيب واخذ يصنع لها نعل الجواد حتى اذا اتمه قال لها انك تستطيعين ان تسافري الآن

قالت اشكرك يا سيدي وسوف نرى ان نبوتي كانت صادقة فلا تذكرني الا بالخير

فضحك داغوبير وقال لها وانت سوف ترين ان نعل جوادك كان متيناً فلا تذكريني الا بالثناء وواحدة بواحدة جزاء .

وسارت تنوان في مركبتها وهي توهم داغوبير انها سائرة في طريق بيتهافر حتى اذا توارت عن انظاره عطفت الى الغابة وسارت فيها حتى وصلت الى قصر بوربيير في الساعة الثامنة من الصباح

وكانت الكونتس لا تزال نائمة ولكن تنوان كانت تدخل اليها حين تشاء دون استئذان ففتحت الباب المؤدي من غرفتها الى غرفة الكونتس فوجدتها مضطجعة في سريرها دون نوم واحمرار عينيها يدل على انها لم تنم تلك الليلة فلما رأتها داخلة اليها سرت لقدومها وقالت لها ما وراءك من الاخبار

فاخذت تنوان كرسياً فوضعته قرب سريرها وجلست عليه ثم قالت لها لقد صدق ما كنت اتوقعه

قالت اهي بنت المركيز

قالت هي بعينها وان من يراها يحسب انه يرى امها لشدة الشبه بينهما ولا بد ان يكون داغوبير عارفا بسر مولدها يحسب ان لا تنقضي

قالت ماذا تقصدين

فاتقدت عينا النورية وقالت ان هذا الجماد عثرة في سبيلنا يجب ان نزيلها او تزوج بالفتاة وكان له المال

قال انك مجنونة يا تنوان

قالت كلا بل اني واثقة مما اقول بعد ان رايت ما رايت

قالت ماذا رايت

قالت اني قرأت في عينيه سور الغرام والاقدام وعلمت من خطوط يده انه يصبح من الاغنياء وهذه الفتاة مقيمة عنده منذ حداثتها في منزل واحد فهو مفتون بها دون شك واذ لم نحل بينه وبينها تزوجها وكان له الصندوق وما فيه

قالت أأنت واثقة ان هذه الفتاة هي التي نبحث عنها

قالت لم يبق بعد اجتماعي بها سبيل للريب

قالت اذن اوافقك على وجوب ابعاد داغوبير وازالته من طريقنا

قالت هذا ما اقترحته عليك اذ لا بد منه ولكن كيف الطريقة

قالت اني اعهد اليك بهذه المهمة وان الشفالية سيكون لك خير عون

فابتسمت النورية ابتسام الاباليسة وقالت لقد احسنت باختيارك الشفالية فانه لا يقف عند خطر ويستهل كل صعب في سبيل غرضه فلا

سيما في هذه المهمة فان له منها فائدة

وعند ذلك خلت المرابان وكانت الكونتس قد خف ما عندها من الاضطراب التي لقيته في ذلك الحلم الرهيب فطلبت الى تنوان ان تحدثها بجميع ما اتفق لها في رحلتها

فحكت لها تنوان كيف اجتمعت بداغوبير وكيف عرفت من خطوط يديه انه سيغدو غنيا من النبلاء

فقالت لها الكونتس اتعتقدين حقيقة فيما تقولين

قالت دون شك فلا بد ان يغدو هذا الحداد الفقير غنيا نبيلا

قالت ان هذا محال فلا اصدقه

قالت ولماذا لا تصدقين يا سيدتي اني حين اتصلت بك كنت دورية اطوف في الشوارع لقراءة البخت فتنبأت لك عن مستقبلك وكشفت لك حوادث ماضيك وكان ذلك سبب اتصالي بك اكذبني في شيء مما قلته لك الم يحدث لك كل ما تنبأت به

قالت هو ذلك

قالت ان مستقبل كل انسان مكتوب في يده ولكن لا يعرف ان يقراه غير الفلائل من الراسخين في هذا الفن

قالت اذا كان ذلك فلا بد لداغوبير ان يغدو غنيا نبيلا وان يتزوج حنه وينال الصندوق فلا نستطيع ان نحول دون سعادته

قالت لقد اخطأت يا سيدتي لانك تجهلين اصول هذه المهمة ولا تعرفين من ما يبدو لك من ظواهرها فان خطوط الكف تدل على المستقبل

دلالة لا ريب فيها غير ان بين هذه الخطوط اخاديد تضيق وتفرج فتغير تلك الدلائل فان المرء قد تكون خطوط كفه تدل على السعادة انها كانت اوخاديد منفرجة بين الخطوط فاذا ضاقت يصبح لهذه الخطوط دلائل اخرى قد تكون دلائل بؤس وشقاء اريد ان مستقبل الانسان قد يتغير بقبل ذلك الانسان او انقاذه

فاقتنعت الكونتس بتعليلها وقالت لها اتمي حديثك

فاخبرتها النورية عند ذلك بامر الخاتم الذي وجدته في اصبع داغوبير وكيف رات انه قدسوده بالدخان خفاء للونه الذهبي ولشعاره الدال على اسرة صاحبه

فارتعشت الكونتس وقالت الهاذا الخاتم شعار

قالت نعم

قالت اتذكرين رسم هذا الخاتم وحجمه التدقيق

فلم تجبها النورية ولكن اخذت ورقا وقلما فرسمت على الورقة ذلك الخاتم اصدق رسم وعرضته على الكونتس

فلم تكد الكونتس تراه حتى صاحت صيحة دهش وقالت ان هذا الخاتم خاتم الكونت دي مازير عرفته من رسمه الغريب

قالت اي كونت

قالت الكونت الذى احترق بهذا القصر

قالت اذن لقد احسنت بذهابي الى هذا البيطري اذلولا هذه الزيارة لما علمنا بامر الخاتم

قالت ولا بد لنا من الحصول على هذا الختم فمهما كلفنا ذلك من الجهد والمشاق اذ لا بد ان يكون في جوفه ورقة مكتوبة

قالت وماذا تظنين أنه يوجد في هذه الورقة

قالت لا شك انها تتضمن الارشاد الى موضع ذلك الصندوق الذي نبحث عنه فلا نجده وقد اتهمت والداوورو واتهمني بسرقته

قالت انك ذكرت يا سيدتي الشفاليه دي فولون منذ هنيهة وهو رجل ثابت العزم يدير بالاقدام على كل امر في سبيل غايته

قالت ارين ان له غاية

قالت نعم فهو مفتون بحب واريل اوورو

قالت واثقة مما تقولين

قالت كل الثقة

قالت اذن لقد اتضح لي الامر فان اختصام والدي مع ابنة عمه كان بمكائد هذا الشفاليه ولكن كل ذلك يفيدنا يا تنون اذا كانت ربيبة لدثر هي حقيقة ابنة الكونت دي مازير

قالت لقد قلت لك ان من يراها لا يفرق بينها وبين امها كريستين

فاضطربت الكونتس وقالت لا تذكري امامي هذا الاسم.

قالت ليكن ما تريدين ولكن ثقي انها ابنتها

قالت اذا كانت هي ابنتها وكان الختم هو الذي اعرفه وكان الاب جيروم هو الذي كان يدعى اموري من قبل فانا اخبرك بما

ينبغي ان يكون قد حدث

قالت اني مصغية اليك

قالت لقد عرفت ان اثنين كانا يحبان والدة هذه الفتاة احدهما الموري وهو رئيس هذا الدير والثاني رجل يدعى راوول لم تعرفيه ولا بد ان يكون راوول نفس الرجل الذي جاء بالفتاة الى الاب جيروم فاودعها عند دغوبير اما الخاتم فانه يتضمن دون شك سر الصندوق فمن ناله نال ذلك المال ولكن يجب ان نحذر ونتوقع عودة راوول

قالت ماذا ترين ان نصنع

قالت ان ولدي يحب حنة وحنة تحبه اليس كذلك

قالت حبا ليس بعده حب

قالت اذن يجب ان يتزوجا

قالت وهذا الذي اراه

قالت وان الشفاليه سيكون لنا خير معين في هذه المهمة ولا يجب ان يعلم شيئا من سرنا ولكني لا اعلم كيف نستطيع استخدامه في اغراضنا دون ان يعلمها

فابتسمت النورية وقالت اطمأني ياسيدتي ودعيني اكون الفكر المرشد وتكوني اليد العاملة

وعند ذلك نقر باب الغرفة نقرا خفيفا ودخل لوسيان وهو مصفر الوجه وكل ما به يدل على الاضطراب فذعرت امه لما رأته وقالت له ماذا اصابك يا ابني

قال احب ان اكلمك في خلوة يا اماه

فاشارت الكونتس الى تنوان اشارة فانصرفت وقالت لابنها اجلس بجانبي واخبرني بماذا حدث لك

قال ان نافذة غرفتي تشرف على البستان كما تعلمين وقد رايت في صباح اليوم من تلك النافذة تنوان داخلة اليه بمركبة ورايت على عجلات المركبة وحلاصفر لا يوجد منه الا في العابة فاحببت ان اعلم اين كانت فنزلت الى البستان وسمعت البستاني يقول لها ان نعل الجواد جديد فاين صنعته فقالت له عند البيطري المقيم عند باب الدير

قالت اهذا الذي تضطرب من اجله يا بني

قال نعم فاني احب ان اعلم ما دعا تنوان الى الذهاب الى تلك الجهة

فاخذت الكونتس يد ولدها بين يديها وقالت له بلهجة حنو اصغ الي يالوسيان انك لا تحب ابنة عمك وتهوى فتاة فقيرة تريد ان تتزوجها اليس كذلك

فذعر لوسيان وقال لها قامن اخبرك بذلك

فابتسمت الكونتس وقالت له لقد انبأني به قلبي انت لا تعرف يا لوسيان قلوب الامهات انك ولدي الوحيد وليس لي سواك في هذا الوجود فكيف اعترض سعادتك تزوجها يا ابني اذا كان في ذلك نعيمك فلاهنأ لي الا بهنائك

فصاح لوسيان صيحة فرح واكب على صدر امه يعانقها ودموع

السرور تذرف من عينيه

بعد ذلك ببضع ساعات اي بعد ان حسب لوسيان ان ابواب النعيم قد فتحت له كانت امه الكونتس مختلية مع الشفاليه دي فولون

وكانت تقول له انك لا تعرف من لوسيان ما اعرفه فانه خلق قبل عصره وهو يحب فتاة الدير حبا نقيا فلو اردت اقناعه ان زواجه بها محال لما بينهما من تباين المقام لما فهم هذا القول اذ هو يحسب جميع الناس سواء ولذلك اذنت له بزواجها

فدهش الشفاليه وقال انت يا سيدتي تأذنين لابنك وهو الكونت دي مرزير ان يتزوج فلاحة لا يعرف اصلها

فابتسمت الكونتس وقالت اننا نجد الف سبب لتأخير هذا الزواج وفي خلال ذلك يثوب الى رشده ويبرد لوعة غرامه اما الان فيجب ان نصنع كل ما يريد

قال لقد فهمت مرادك يا سيدتي فليكن ما تريدين

قالت الم تقل لي ان رئيس الدير والبيطري يحرسانها

قال نعم

قالت لا يوجد طريقة لمخافلتهما واختطاف الفتاة

قال اني اتعهد بذلك يا سيدتي

قالت بورك فيك فهذا الذي كنت اتوقعه منك وما زال الامر كذلك فلنشرع بالعمل ولنتداول فيه

قال شانك وما تريدين

فنادت الكونتس عند ذلك نتوان فلما جاءت قالت لها اجلسي بيننا يا نتوان فاننا في حاجة الى ارائك السديدة واقام اولئك الثلاثة يتآمرون على لوسيان بينما كان هذا الفتى الطاهر القلب السليم النية يصطاد العصافير في البستان

٢١

وبعد ان فض مجلسهم ذهب الشفاليه الى لوسيان وقال له الا ترزق لك المحادثة ايها الصديق

فاجابه لوسيان بملء السذاجة في اي امر تريد الحديث

قال واي حديث يشغلنا الان غير حديث غرامك فقل الان الا تزال تحبها الا تزال مصرا على زواجها .

قال لا انثني عن هذا العزم ما عشت

قال واذا سالتك ان تطلق يدي في امرك اتمنحني هذه السلطة

قال دون شك

قال اني اسالك ان تطيعني طاعة لا حد لها

قال ساطيعك في كل ما اردت

قال اذن فاسمع ان امك توافق على زواجك بها اليس كذلك

قال لقد رضيت بهذا الزواج صباح اليوم

قال ولكن يوجد اثنان لا يرضيان به وهما الاب جيروم وداغوبير

قال لماذا

قال لا اعلم فلا بد ان يكون هناك سبب عظيم ولكن ما زال

هذا دابهما فلا بد لنا من الاستغناء عن موافقتهما

قال ماذا نصنع

قال ان ابواب الدير تقفل في الساعة التاسعه من المساء فلا يخرج الرهبان منه الا في صباح اليوم التالي بحيث لا يبقى من حارس على الفتاة غير داغوبير

قال وكفى به حارسا فانه يدافع عنها دفاع اللبوة عن اشبالها

قال لنفترض ان داغوبير غاب عن منزله وانك ذهبت الى هذا المنزل عند منتصف الليل فقرعت بابه وفتحت لك حنة

فاضطرب لوسيان وقال وبعد ذلك

قال يصبح الامر منوطاً بك فان حنة تحبك كما اظن

قال ان الحب متبادل بيننا على السواء

قال اذن تبسط لها عند الاجتماع حقيقة موقفها وتظهر لها انها السيرة في ايدي الظالمين وانك تريد ان تجعلها كونتس فاذا احسنت التعبير عن عواطفك وعرفت ان تتكلم بلغة اهل الغرام فان حنة توافق على ان تتبعك فتردفها وراءك فرق الجواد فلا يستفيق الرهبان من رقادهم حتى تكون اجتزت الدير بمراحل

قال ولكن الى اين اسير بها

قال الى هنا اي الى منزل امك فانها قد وافقت على زواجك وليس في ذلك معرة ما زلت تأتي بها الى امك اذ ينضح تيل غايتك متى اشتهر الامر

فسر لوسيان سروراً لا يوصف ثم انقبض فجاءه وقال ولكنك لم تقطن لامر وهو ان داغوبير لا يفارق منزله ودكانه لحظة

قال اني اضمن غيابه عن المنزل

قال انت تتعهد بابعاده

فابتسم الشفاليه وقال نعم انا فاطمئن والان قل لي اترى بنوات الاحدب غالبا

قال اني اراه كل يوم ولا بد ان يكون الان في المطبخ فقد جاء يسال اذا كنا عازمين على الصيد غدا

قال اذن ادعه الان ومره ان يطيعني كما يطيعك

قل ولكن.

فقاطعه الشفاليه وقال له لقد وعدت ان تطيعني وتثق بي فحافظ على وعدك وافعل ما قلته لك

قال سافعل ثم نادى احد الخدام وامره ان يدعو له الاحدب فلما جاء قال له اريد منك يابنوات ان تصحب الشفاليه وان تطيعه كما تطيعني

فنظر الاحدب الى لوسيان نظرة انكار كانه يقول له اني اؤثر ان تامرني بالذهاب الى الموت على ان تامرني بطاعة هذا الرجل

فادرك لوسيان قصده اذ كان يعلم كرهه للشفاليه وقال له بلهجة السيادة اني اريد ان تطيعه

وبعد ذلك قال الشفاليه اذهب الان واعد لي الجواد

قال الملك تريد الذهاب الى الغابة

قال ربما

فمشى الاحدب وهو يتمتم قائلا ان الكونت بات يثق بهذا الشقاليه ولكن اعتقادي راسخ انه من رجال الشر

وبعد ساعة كان الاثنان يسيران في الغابة وقد امتطى الشقاليه جواده وتبعه الاحدب ماشيا

حتى اذا توسطا الغابة ووصلا الى طريق ضيق فيها وقف الشقاليه وقال في نفسه انه اذا صدقت تنوان فان داغوبير قد سافر الى اورليان ماشيا ولا يوجد غير هذا الطريق فلا بد له من العودة الليلة اذ لا يدع الفتاة تبيت وحدها في المنزل

ثم التفت الى بنوات وقال له اتعرف يابنوات طريقة نصب الفخاخ للثعالب والايل

قال لا يوجد خدعة يا سيدي من خدع الصيد لا اعرفها

قال اني لم ار الى الان هذا النوع من الصيد واحب ان اراه الليلة وقد احضرت معي الفخ

قال كما تريد ولكن هذا المكان لا يصلح لنصب الفخ اذ هو طريق عام والايل لا يمر فيها

قال ولكني اريد ان تنصبه هنا

قال هنا في وسط الطريق

قال نعم .

فنظر اليه الاحدب نظرة انكار وقال ارى ان سيدي الشفاليه يريد ان يصطاد انسانا لا ايلا

قال ربما

قال اذا كان ذلك فاني لا اشترك معك يا سيدي فاني لا احب صيد الناس

فغضب الشفاليه وقال له الملك نسيت ايها الوقح ان الكونت امرك بطاعتي

قال هو ذلك ولكن الكونت قد لا يكون عارفا بقصدك

قال بل هو عارف

فذعر الاحدب وترجع الى الوراء فاخرج الشفاليه غدارة وصوبها الى الاحدب فقال له اذا حاولت الفرار فاعلم اني اقتلك دون اشفاق

فرأى الاحدب ان الموقف حرج وحاول ان يطيل الوقت بالجدال فقال له ما زال الكونت لوسيان عارفا بقصدك كما تقول فلا اجد بدا من طاعتك ولكن

قال ولكن ماذا الملك تريد ان تعرف الرجل الذي اريد ايقاعه بالشرك

قال نعم

قال هو رجل اساء الي والى الكونت

قال اذن ليكن ما تريد ولكنك تعلم يا سيدي ان الرجل لا يوخذ بالشرك كما يوخذ الايل

قال بريد ان الابل يسير منخفض الراس فيعلق الشرك بعنقه ويخنقه خلافاً للرجل فانه يسير مستوي القامة فيعلق الشرك بساقيه ولا يقتله

قال هو ذاك وارى يا سيدي انك تعرف طريقة نصب الفخاخ كما اعرفها فانصب الفخ انت

قال لا باس فسانصبه انا فامسك جوادي

ثم ترجل عن جواده ووضع غدارته في حبيه واخذ من حقيبة كانت على الجواد ذلك الفخ فنصبه بشكل لا يستطيع المار بذلك الطريق الضيق ان يسلم منه

وكان القمر يتالق في السماء ويضيء ضوء النهار فلم يكد يتم نصب الفخ حتى سمع الاحدب يصيح صيحة دهش فاسرع اليه وقال له ماذا جرى

وكان الاحدب جالسا القرفصاء على الارض وهو ينظر في اثار قدم عليها فقال له لقد عرفت صاحب هذه القدم

قال من هو

قال هو داغوبير البيطري عند باب الدير

قال احق ما تقول

قال انه هو الذي مر بهذا الطريق وانك قد نصبت الفخ له دون شك

قال ربما

قال ولكني لا اريد ان يؤخذ داغوبير كما تؤخذ الثعالب

قال لماذ لا تريد

قال لانه صديقي

فشأغله الشفاليه بالحديث ثم هجم عليه فجاءة فقنص على عنقه القاه الى الارض وهو يقول انك اذا صحت اقل صياح خنقتك دون مرحمة ثم حمله بين يديه فوضعه فوق جواده ووثب الى ظهر الجواد فطلق له العنان وسار الجواد ينهب الارض الى قصر بوربيير والاحدب عليه امام الشفاليه وهو ضاغط عليه فلا يستطيع حراكا

٢٢

ولنعد الان الى الدير حين ذهب اليه داغوبير بدعوة رئيسه فان الاب جيروم كان قد شفي فجاءة من هذا المرض الخفي الذي اصابه فلما جاءه داغوبير قال له ان الوقت قد ازف يا بني فاني اجد من نفسي قوة تعينني على هذا السفر الذي اخبرتك عنه

قال اني مستعد يا سيدي للذهاب معك الى حيث تريد

قال ولكنني لا استطيع مبارحة ديري الا باذن خاص من الرئيس العام المقيم في اورليان ولذلك سارسلك يا بني بهذا الكتاب الى الرئيس

ثم اعطاه كتابا ضخما مختوما بالشمع بختم الدير فاخذه داغوبير وقال ايجب ان اذهب الان

قال كلا بل تسافر بعد الظهر وفي خلال ذلك تخبر حنة بعزمنا على السفر كي تتاهب له

فاخذ داغوبير الكتاب وعاد الى دكانه فوجد تنوان النورية وحدها

فان حنة كانت قد اسرعت بالعودة الى غرفتها كما تقدم

وبعد ان ذهبت تنون وبقي داغوبير وحده يشتغل نزلت اليه حنة فجيئه وقبل جبينها كما عودها منذ الحداثة ثم جلست بجانبه فقال لها اني مسافر اليوم الى اوليان بامر الاب جيروم

قالت اهي بعيدة من هنا

قال سبع مراحل

قالت متى تسافر

قال عند غروب الشمس

قالت متى تعود

قال بعد انتصاف الليل ولكني سأقفل باب الدكان حين انصرافي فاذا طرقه طارق فاحذري ان تفتحي الا اذا كان الطارق انا اتعدينني بذلك

قالت دون شك

قال بقي امر يجب اخبارك به وهو اننا مسافرون كلنا غداً

فارتعشت حنة وقالت من كلنا

قال انا وانت والاب جيروم

فاصفر وجهها وقالت الى اين نسافر

قال الى باريس

قالت ما عسانا نصنع في باريس

قال نذهب اليها للبحث عن ثروتك

قال انا لي ثروة

قال نعم فانت غنية وربما وجدنا عائلتك ايضاً

فقالت له بلهجة الاسفة الم تقل لي مرات ان اهلي قد ماتوا

قال هو ذاك ولكن الا تذكرين اليوم الاول الذي اتيت به الى هنا

قالت نعم اذكر ذلك فقد كنت صغيرة وجاء بي الى هنا عمي راوول ولكنك قلت لي ايضا انه مات

قال اني كنت احسبه ميتا غير ان الاب جيروم يقول انه حي

فظهرت عليها علائم السرور وقالت اهذا اكيد

قال هذا ما يقوله الاب جيروم وربما وجدنا عمك في باريس

فعادت الفتاة الى الانقباض ثم تنهدت وقالت ان عمي قد يخطر له ان يبقيني عنده

قال ذلك ممكن

فاضطرب صوتها وقالت اذن لا اعود الى هنا

فقال لها بلهجة تشف عن الحزن العميق الم اقل لك انك من التعساء وانه لا يمكن ان تعيشي كل العمر في منزل حداد فقير مثلي

فاغرورقت عيناها بالدموع وقالت اني سعيدة هنا ثم عانقت داغوبير وجعلت تقول له وهي تبكي اني احبك ولا احب ان افارقك

قال اذن اذا رايت عمك التمس منه ان يوعذن لي بالبقاء معك في خدمتك

وكان من حق هذا الجواب ان يخفف دموعها ولكنها بقيت تسيل وصعدت الى غرفتها فجعلت تشغل نفسها باعداد الطعام

وعند الظهر جلست مع داغوبير على المائدة فلم تكن تبكي ولكنها كانت حزينة منقبضة تاكل من غير شهية

وبعد ذهاب داغوبير عادت فاسترسلت الى البكاء

اما داغوبير فانه خرج من المنزل واليأس ملء قلبه فكان يقول في نفسه اني اعلم يقينا السبب في بكائها فانها لا تبكي اشفاقا على فراقي بل على فراق هذا الكونت

وتوغل في الغابة فجعل يبكي بدوره بكاء اشد من بكائها

وما زال يسير وهو على هذه الحالة من القنوط حتى وصل الى اوليان فدفع الى اورليان فدفع الى الرئيس العام رسالة الاب جيرام واخذ جوابه ثم رجع لفوره وهو يوسع الخطى

وكان القمر على وشك الزوال وقد حجب نوره تكاثف اشجار الغابة فما زال يسير وهو مشتت البال حتى وصل الى موضع الفخ في ذلك الطريق الضيق فشعر فجاءة انه التطم به ثم شعر ان ساقيه قد تقيدا وعلم للفور انه سقط في فخ الثعالب

٢٦

ولنعد الان الى الشماليه دي فولون فان القراء يذكرون انه وضع بنوات الاجداد امامهم فوق جواده ودفع الجواد في تلك الغابة الى قصره

وقد حاول الاحدب ان يصيح ويستغيث ولكنه لقي من وعيد الشفاليه وغدارته ما حمله على الخوف والسكوت

وما زال سائرا به على هذا الشكل حتى وصل الى قصره فنادى الخدم ودفع الاحدب اليهم فقال لهم خذوا هذا الفتى فاربطوا يديه ورجليه وضعوا كمامة في فمه ثم القوه على هذه الحالة في القبو الى ان افرغ من مهمتي فانه يثقل علي

فقال له الاحدب لو علم الكونت انك مسيء الي هذه الاساءة لما رضي ان يكون بينك وبينه معرفة وولاء

فقال له الشفاليه ان الذنب ذنبك فقد امرك الكونت ان تطيعني فابيت الامتثال

قال ان لوسيان طاهر القلب نبيل الاخلاق فلو علم ما اردت ان تصنعه في الغابة لما امرني ان اطيعك

قال قلت لك انه يعلم

قال و نا اقول لك انه لا يعلم فانه يترفع عن الاساءة الى الناس

فغضب الشفاليه لهذا التكذيب والتقريع واخذ سوطه فجلده به جلدا موجعا ثم قال للخدم احملوا هذا الوقح الى حيث امرتكم و ودوا الي في الحال فاني محتاج اليكم في هذه الليلة

فقيدوا الاحدب وكموه والقوه في قبو المطبخ و عادوا الى سيدهم فامر اثنين منهم ان يتبعوه فتبعاه وعاد بهما الى حيث وضع الفخ في الغابة فدلهما على الفخ وقال لهما اني نصبت هذا الفخ لرجل سيمر بهذا

الطريق دون شك ويعلق به فاختبأ بين اشجار الغابة حتى اذا رآهما علق في الفخ قيدا رجليه ويديه قبل ان تطلقاه من الشرك فانه شديد وله قوة الثيران

فقال له احدهما اعلمنا نعرف هذا الرجل يا سيدي

قال نعم انهو داغوبير البيطري

قال لقد عرفناه يا سيدي فماذا نصنع به بعد ذلك

قال تنتظراني الى ان اعود ثم تركهما و نصرف واضطجع الرجلان على العشب بين الاشجار

وبعد ذلك بساعة سمع احد الخادمين وقع اقدام فنبه رفيقه وقال له اعد الحبل فهذا رجلنا قد وصل

قال انه في يدي ثم اقترب القادم فحبس الخادمان انفسهما

وكان القادم داغوبير فلما وصل الى الفخ وسقط به اسرع الشقيان و نقضا عليه فلم يثب من دهشته حتى راى انه بات مقيد اليدين والرجلين بقيد وثيق

وكان شديد القوى فبذل جهدا عنيفا كي يقطع قيده فلم يتمكن فجعل يصيح ولكن الرجلين كتماه فانقلب صياحه الى انين

اما الشقاليه فانه ذهب الى قصر بوربير فوجد لوسيان وامه وتنوان لا يزالون ينتظرونه فلما وصل وجدهم مجتمعين في غرفة الكونتس

وكانت الكونتس قد اتفقت مع ولدها حين غياب الشقاليه اتفاقا تاما فقد قالت له انك تحب يا ابني هذه الفتاة ومعاذ الله ان اعترضك

في سبيل سعادتك غير ان البيطري لا يغفل عنها طرفة عين
فهاج غضب لوسيان اذ ذكر اهانة داغوبير وصبه الماء على راسه فقال
اني ساؤدب هذا الشقي فاجعله عبرة لسواه

قالت ولكنك اذا ادبت هذا البيطري يبقى اولئك الرهبان
وهم يحرصون على الفتاة اشد مما يحرص البيطري عليها واعلم يا ابني
اني ما كنت لاوافق على هذا الزواج الذي يشيننا لو لم اكن قد رايت
ان هذه الفتاة غير وضيعة كما يدل ظاهرها

قال ولكن اية فائدة للرهبان من الحرص عليها

قالت انا يا بني في زمن ضاعت فيه حقائق الدين وبات رجال الله
اشد تمسكا منا في متاع الدنيا فان هؤلاء الرهبان والقسس على ما يبدو
من ظواهر تقلهم وزهدهم في الدنيا واشتغالهم للآخرة في خدمة الله
تجدهم اشد حرصا على المال وسعيا لاكتسابه حتى ان بعضهم قد يدفع بهم
الطمع والاطراهة الى اكتسابه من غير الوجوه المحللة المشروعة

قال ماذا تريدين بذلك يا اماه

قال اريد ان تلك الفتاة التي تحبها قد لا تكون قريبة داغوبير كما
يقولون بل قد تكون من اسرة نبيلة وان الرهبان قد ضبطوا ثروتها

قال ايمكن ذلك ان يكون

قالت هذا الذي اعتقده

قال ولكن اذا كان كما تقولين كان الرهبان المقيمين عليها فماذا اصنع
فابتسمت الكونتس وقالت اتكتم عني اسرارك يا لوسيان الا تدري

اني واقفة على جميع امرك فان الشفاليه اخبرني بكل شيء

فاحمر وجه لوسيان وقال احق ما تقولين

قالت ان داغوبير سيغيب اليوم عن منزله بحيث تبقى الفتاة وحدها في المنزل

فاخذ لوسيان يد امه فقبلها وقال لها انك لاشك من خير الامهات وعلى ذلك فانك توعذنيه باختطاف جنة

قالت نعم على ان تاتي بها الى هنا فتبقى تحت حمايتي الى يوم الزواج

فكاد لوسيان يجن من فرحه وجعل يعانق امه اظهارا لامتنانه

وعند ذلك دخل الشفاليه فقالت له الكونتس ولوسيان بصوت واحد ماذ حدث

قال لقد جرى كل شيء وفق ما اردناه فهلم ايها الصديق واركب جوادك فقد آن الاوان

قال وداغوبير

قال انه سقط في الفخ

قال كيف كان ذلك

قال ان الوقت لا يتسع الان لاخبارك بهذه التفاصيل

فقالت الكونتس أأذن لي بكلمة ايها الشفاليه وهي هل بات داغوبير في قبضتك

قال فيكون في قبضتي بعد ساعة ثم التفت الى لوسيان وقال له هلم بنا فانتفض لوسيان وخرج الاثنان حتى اذا ركبا جواديهما قال له الشفاليه

اني لا اقتصر على ابلاغك مرادك ممن تحب بل اني اريد الانتقام لك ممن اساء اليك دلالة على اخلاصي في صداقتك فانك لا تزال تذكر دون شك ذلك الماء البارد الذي صبه داغوبير عليك اما انتقامي منه فاني اصطدته كما يصطادون الثعالب بالفخاخ

وهنا قص عليه كيف انه نصب الفخ لداغوبير فارتعد لوسيان وقال لا انكر استيائي من هذا الرجل على اني لا اريد ان يبلغ انتقامي منه هذا الحد فاني اريد تاديبه لا قتله وهذا الفخ يخنقه دون شك

قال كلا وقد نصبته بشكل اذا سقط فيه تقيدت رجلاه دون ان يصاب باذى فاطمئن بالا ما زلت من المشفقين

وسار الاثنان حتى قربا من موضع الفخ فصفر الشفاليه ولم يكد يدوي صفيره في تلك الغابة حتى اجيب بمثله وهي اشارة اتفق عليها مع خادميه فايقن ان داغوبير بات في قبضتيهما واطلق لجواده العنان وهو يقول للوسيان اتبعني فقد سقط في الفخ

فتبعه لوسيان حتى وصلا الى حيث كان الخادمان فوجدا انهما قيدا داغوبير وكماه والقياه الى الارض فكان يضرب الارض براسه وبين انينا مزعجا كانه يحاول الانتحار ليأسه فلا يجد الى الموت سبيلا

فدنا منه الشفاليه وقال له بلهجة الساخر ارايت نتيجة الاعتداء على النبلاء ايها الوقح فنظر داغوبير الى محدثه ورأى على نور القمر وجه لوسيان فهاج تأثره وتحرك حركة عنيفة فكاد يقطع قيده ثم ادرك عجزه فنظر الى لوسيان نظرات تتقد بنار الغضب وعاد يضرب براسه الارض

فدنا لوسيان من الشفاليه وهمس باذنه قائلا اول ما اشترطه ايها الصديق ان لا تسيء الى هذا المنكود بشيء فقد كفاه ما يلقاه

فقال لا فائدة لنا من الاساءة اليه وانما نريد ابعاده وساحبسه في القبو مع الاحدب

فاضطرب لوسيان وقال احبست بنوات

قال نعم فانه يخدعك ويخونك

قال ان هذا محال

قال بل هي الحقيقة اوريها لك في غير هذا المكان فهلم بنا الان الى منزل دنوبر فان الوقت غير فسيح

وقد سمع داغوبير هذه الكلمات الاخيرة فأن نبأ هائلا خرج من صدره كزئير الاسود فارتعش لوسيان وتوجع لمصابه فقال للشفاليه هلم بنا فني لا اطيق النظر الى شقاء هذا المنكود

فامر الشفاليه خادميه ان يذهبا بداغوبير الى حيث سجنوا الاحدب فتطع الخادمان غسنين ضخمين ووضعا داغوبير عليهما وحملاه فوق الغصنين على كتفيهما وسارا به الى منزل الشفاليه

وكان جميع الخدم قد عادوا الى النوم فلم يشعروا بقدوم الخادمين بالاسير اما الخادمان فانهما ادخلا داغوبير الى المطبخ وفتح احدهما باب القبو والمصباح بيده فلم يكد ينزل درجتين في سلمه حتى صاح صيحة قنوط انه لم يجد الاحدب في القبو

٣٥

وعند ذلك ترك الخدمان داغوبر ملقيا على الارض وبحثا عن الاحدب في القبو وجميع انحاء القصر فلم يقف له على اثر فذهلا اذ لم يدع اقل اثر لفراره ولا سيما وانه كان موثقا بحبل لا سبيل الى قطعه

ولنعد الان الى الاحدب فنبسط كيفية فراره من سجنه بعد وثوق الشفاليه وخدمه من استحالة الفرار فقد كان هذا الفتى ذكي الفواد شديد الصبر على المكاره فلما راى ان القوة في جانب الشفاليه عمد الى الحيلة فتظاهر بالتسليم والرضوخ لما قدر له اذ كان يعلم يقينا ان الشفاليه يقتله اذا كابر

وقد كانوا قيدوا يديه وجعلوهما وراء ظهره بحيث بات نحو نصف ساعة لا يستطيع حركة لمتانة القيد

وكان ملقى على ظهره فبينما هو على هذه الحال سمع اصواتا غريبة فوق راسه

ثم شعر كان انفاسا تهب على وجهه ثم صاح صيحة منكره اذا حس بالجرذان والفئران تصاعد من حوله فذعر ذعرا عظيما حتى ان الرعب ضاعف قوته فتمكن من الجثو على ركبتيه

غير ان الجرذان بقيت تطوف حوله وهو يئن انينا مزعجا اذ لم يكن يستطيع الدفاع

على ان الجرذان اجفلت لانينه فهربت بحيث تمكن الاحدب ان يبلغ زحفا الى الجدار ويستند عليه فيقي ظهره عضها

الاحدب والجراذين

ولكن الجرذان لم تلبث ان عادت اليه وكانها انفت منه وتقت من عجزه فلم تعد تخفل به وعضه احدها عضة مؤلمة هاجت اعصابه وزادت قوته فتمكن من قطع قيد ساقيه فوقف وجعل يركض في هذا القبو المظلم وقد ملء قلبه رعبا وكان يدوس برجليه تلك الجرذان وهي تبلغ المئات

وظل المعركة بينه وبين الجرذان نحو ربع ساعة وهو يركض كالمجانين فيبلغ برجليه من رؤوسها ما تبلغ اليابها من لحمه فقد صعد بعضها على جسمه حتى بلغ وجهه فكان اذا شعر بدبيبها على خده القى نفسه الى الارض ومرغ وجهه فيها فتقلب عليها تقلب المسوع ثم عاد الى الوقوف فكان اذا سحق بقدمه جرذا صاح صيحة الم فاجابه الاحدب بمثلها فان رفاق الجرذ القتيل كانت تنتقم للفور

ولبث على ذلك حتى اعياه التعب واوشك ان يسقط فجمع واستند على الجدار كي يستريح هنيهة ثم يعود الى الجهاد

غير انه سمع فجاءة ان جموع الجرذان اخذت تهرب منذعرة كان السماء ارسلت نصيرا لهذا المنكود

وفيما هو منذهل يفكر في اسباب رحيلها رأى نقطتين تتقدان كانهما نجمان يتالقان في سماء مظلمة فايقن انهما عينا هر وجد منفذا الى القبو فكان السبب في انقاذه من افظع موت

وكان الهر واقفا فوق سلم فخيل للاحدب ان هذا الهر معلق في القبة اذ لم يكن يرى السلم لاربداد الظلام ولكنه حين امن شر الجرذان عاد اليه رشده فايقن ان الهر فوق سلم وخطر له خاطر سريع ولده في

نفسه موقفه الحرج فمشى الى جهة الهر حتى عثر بالسلم فصعد درجاته وهو مكتوف اليدين فلم يعد يرى عيني الهر لانه خاف من الاحدب كما خافت الجرذان منه فهرب اما الاحدب فانه حين بلغ اخر السلم شعر ان راسه قد التطم بخشب تحرك اثر الالتطام فعلم انه باب يفتح من ارض المطبخ وينزل منه الى القبو فرفعه براسه فارتفع فصعد درجة وهو يفتح الباب براسه حتى وصل الى اخر درجة من السلم فوثب منه الى ارض المطبخ

وكان المطبخ مظلما كالقبو غير ان اشعة القمر كانت تنفذ اليه من احدى نوافذه فكان يرى ما حواليه وقد راى في مارآه المستوقد ما قال في نفسه لا بد ان يكون فيه بقية نار خلل الرماد

وقد خطر له عند ذلك خاطر غريب فان المستوقد كان منخفضا فنبش رماده برجله فانكشف عن بقية نار وراى قرب المستوقد اعشابا جافة تستخدم للوقيد فاستعان بفمه على وضع هذه الاعشاب فوق النار ثم جعل ينفخ فيها النهبت وتعالى لهيبها فادار ظهره عند ذلك ووضع يديه المكتوفتين فوق ذلك اللهيب بشكل عرض له فيه الحبل للنار فاحترقت قميصه ثم احترقت يداه ولكن الحبل احترق معهما وانقطع فالقى نفسه في الحال الى الارض فتمرغ فوقها بحيث انطفأ لهيب القميص ثم اسرع الى موضع الماء البارد فوضع يديه فيه فخف ما يجده من الالم وجعل يبحث في المطبخ حتى عثر بزجاجة زيت فصبها فوق يديه المحترقتين فساعد الزيت على تخفيف الالم

لما فرغ من ذلك وبات مطلق اليدين لم يعد يخطر لغير المرار فخرج من المطبخ الى البستان فاعترضته الكلاب وهمت ان تنبح ولكنها كانت تعرف صوته لاشتراكه في جميع حفلات الصيد فجعل يناديها باسمائها ويبتعد حتى وصل الى سور البستان فتسلق الجدار ووثب منه الى الخارج فانطلق يعدو في الغابة حتى وصل الى المكان الذي نصب فيه الفخ فلم يجد له اثرا فقال في نفسه اما ان يكون داغوبير قد سقط في الفخ واما ان يكون الشفاليه قد يئس منه لعدم مروره في ذلك الطريق فرفع الفخ ولذلك راى ان يذهب في البدء الى دكان داغوبير فيقف على الحقيقة

٢٧

ولنعد الان الى لوسيان وصديقه الشفاليه فانهما بعد ان امر الشفاليه خادميه بالذهاب بداغوبير الى القبو سار الفارسان في طريق الدير فقال لوسيان لرفيقه قل لي الان ماذا فعل بنوات

قال انه اراد خيانتنا

قال ان هذا محال فقد عرفت هذا الفتى حق العرفان

فاخبره الشفاليه بجميع ما اتفق الى ان قال له ان الاحدب عرف من اثار الاقدام في الطريق الذي نصب فيه الفخ انها ثار داغوبير وان الفخ قد نصب له فابى الاذعان لان داغوبير صديقه

فلما علم لوسيان ان الاحدب صديق داغوبير وهو كان يرسله بهباته اليه بات يكره الاثنين وقال لصديقه لقد احسنت

قال كل الاحسان فان عوام الشعب باتوا متفقين علينا يتأمرون علي

التكيل بنا كل يوم وهذا ما جرته علينا افكار الفلاسفة التي تساهلت الحكومة في امر نشرها فكانت وبالا علينا نحن النبلاء واخذت تنتشر بين هذا الشعب

غير ان لوسيان لم يكن يرتأي راي رفيقه فلم يناقشه في هذا الموضوع وسأله عما فعل بالاحدب فاخبره . فقال له وماذا تصنع بداغوبير

قال كما صنعت بالاحدب

قال الملك تطيل سجنه

قال الى ان يتم عقد زواجك بحنة فانه اذا خرج من السجن قبل الزواج ذهب الى رئيس الدير واخبره بما اتفق فافسد وعليك الامر فان الاب جيروم اذا وقف على الحقيقة قبل فوت الاوان ذهب الى رئيس الدير العام فامام الدنيا واقعدها واسترجع منك الفتاة وعلى ذلك يجب ان تحتاط كل الاحتياط فاني واثق من رجالي ولا خوف من افلات داغوبير والاحدب فاذا احسنت السلوك كانت حنة طوع ارادتك بعد ساعة فتذهب بها الى امك وفي اليوم التالي تسافر بها الى باريس

قال اذن ستحتفظ بداغوبير والاحدب

قال نعم

قال ولكنك لا تسيء اليهما

قال اعدك وعد صادق

قال اذن انا ذاهب الى حنة

فنظر الشفاليه في ساعته وقال كلا لم يحن الوقت بعد اذ يجب ان ننتظر حتى يبدأ الرهبان بصلاة الفجر

فتنهد لوسيان وتاه في فيافي التصورات فكان يحسب كل ماهو فيه حلما لانه سيختطف جنة وقد اسر داغوبير ووافقت امه على زواجه وكل ذلك لم يكن يخطر له في بال

ثم انه مضى به ثمانية ايام لم يقف في خلالها على شيء من اخبار ابن عمه اورور فكان يفكر في جميع هذا الامور وهو ساهي الطرف والشفاليه ناظر اليه يقرأ افكاره ولا يكلمه الى ان نظر لوسيان اليه فجاءة وقال له اني خائف ايها الصديق

قال مما الخوف

قال اخشى ان لا توافقني جنة على الفرار فانها تحترم داغوبير اشد الاحترام

قال ولكنها تحبك اشد حب

قال هو ذاك ولكنها ربيت تربية دينيه وهي تعتبر داغوبير قيما عليها فاخاف ان يغلب دينها حبها فيمنعها عن ارتكاب هذه الهفوة

قال اذن قل لها الحقيقة وهي انها ضحية الرهبان وان داغوبير آلة في ايديهم

قال واذا اصرت على الاباء

قال عند ذلك تعود الي فنختطفها بالقوة ومتى وصلت الى منزلك ورات امك يجب ما عندها اذ توقن عندئذ من نبالة قصدك

قال سأذهب على بركة الله وليفعل الله ما يشاء

وعند ذلك اوقف الشفاليه جواده فجاءة وقال للوسيان بصوت منخفض اصمت واصغ

فاصغى لوسيان هنيهة ثم قال لرفيقه ماذا سمعت فاني لم اسمع شيئا

قال لقد خيل لي اني سمعت وقع اقدام بين الادغال

قال ربما كان ذلك صوت مسير حيوان

قال ربما ولكني قلق البال

قال ما يحملك على القلق

قال اني لو لم اكن واثقا ان بنوات الاحدب سجين لقلت ان هذا الصوت صوت وثبه

قال انك واهم ايها الصديق فربما كان الذي سمعته صوت حفيف الاوراق

قال ربما فلنواصل السير وسار الفارسان فلم يبتعدا قليلا حتى عاد الشفاليه الى الوقوف وقال اني غير مخطىء هذه المره فقد سمعت الصوت نفسه ولا بد لي ان اتحقق ثم دفع جواده الى جهة مصدر الصوت فطاف هنيهة باحثا وعاد فقال اظن اني مصاب بدوي في اذني فاني لم ار احدا

قال قد يكون ذلك صوت سير حيوان كما قلت لك فلنواصل السير فقد دنونا من الدير

قال بل ارى الافضل ان انتظرك هنا

قال لماذا

قال لانك اذا كنت وحدك قد تفتح لك حنة الباب واما اذا راتني فلا يمكن ان تفتحه

قال لقد اصبت ايها الصديق

قال اذن سر فاذا صرت على الرفض ورايت انك محتاج الي فصفر لي احضر اليك في الحال

فتركه لوسيان وانصرف وبقي الشمالية وحده ينتظره فسامعت هنيهة حتى ارتعش اذ سمع ذلك الصوت السري للمرة الثالثة ولكن الصوت كان قريبا جدا منه هذه المره فقال في نفسه لم يبق لدي ريب فان الصوت صوت اقدام لص وعند ذلك اخذ غدارته من جيبه ودفع جواده الى الغابة فلم يكد الجواد يتقل به من مكانه حتى اصيب برصاصة بندقية فصاح صيحة الم وانقلب يهوى عن جواده الى الارض مضرج بالدماء

٢٨

ولا بد لنا لمعرفة هذا القاتل من اتباع الاحدب حين خروجه من القبو فقد تركناه ذاهبا الى منزل دغوبير ليعلم اذا كان سقط في الفخ او سلم منه فينذره اذا وجده في منزله بان لوسيان يريد اختطاف حنة

وكان يعرف جميع طرق الغابة وقد وثق ان لوسيان يبغي اختطاف الفتاة بدليل اتفاقه مع الشمالية على امر داغوبير فجعل يسير بسرعة الغزلان في اقصر الطرق المؤدية الى الدير وهو يرجو ان يبلغ اليه قبل وصول الكونت

والشفاليه فاما يجد داغوبير فيخبره او لا يجده فيحول دون بغية الكونت في الحالين

وفيما هو يعدو في تلك الغابة وقد احتجب القمر كالغيوم سمع فجاءة صوت رجل يقول له من انت فذعر وقال له انا بنوات

قال لقد اخفتني يا بنوات

فعرفه الاحدب من صوته وقال له اهذا انت يا جاك وبان هذا الرجل الفلاح الذي اسأت اليه الكونتس اورور في بدء هذه الرواية لقتله الابل التي كانت تطارده

فدنا الاحدب من جاك وقال له لقد بكرت بالصيد يا جاك

قال كلا فان الفجر سوف ينبثق وقد حسبتك احد حراس الغابة فخفت منك

وكان الاحدب قد راى عن بعد فارساً قبل ان يرى جاك يسير في طريق الدير فحسبه داغوبير وجعل يثب بغية ادراكه حتى التقى جاك فحال دون قصده فقال لجاك اني اراك قادما من جهة الدير فهل رايت داغوبير

قال كلا

قال ولكن من هو هذا الفارس الذي يسير في طريق الدير

قال ليس هو فارسا بل فارسين لم اعرفهما لاني لم اتبينهما

قال واسفاه اني اخشى ان يكون اصيب داغوبير بمكروه ثم اخبره بجميع ما عرفه عن المكيدة

فغضب الفلاح وقال يجب ان تضع حدا لعسف هؤلاء الذين يدعون

نفسهم بلاء وما هم الا من اسافل لرعاع

قال اذا كان اللذين رايتهما فارسين فلا بد انهما الكونت والشفاليه فهلم نتبعهما فانهما غير بعيدين عنا

وعند ذلك جعل الاثنان يعدوان غير ان الاحدب راى ان رفيقه لا يستطيع مجاراته في العدو

فعاد اليه وقال له انك لا تستطيع ادراكهما يا ايها الصديق فاعطني بندقيتك

قال اتريد ان تقتل بها لوسيان

قال كلا بل الشفاليه الذي دفع لوسيان الى ارتكاب هذا المنكر

قال خذ فاني اود قتل كل نبيل تذرع بنبله الى الشر

ولم يكن بنوات هذا ساء الى احد في حياته فقد فطر على الصلاح غير ان الانتقام هاج بصدره وسهل له ارتكاب الجريمة لا سيما وانه كان لا يزال يشعر بالم شديد في يديه من الحرق فاخذ البندقية واندفع يثب بين الادغال في اثر الفارسين وبجنب الطريق العام حتى ادركهما على قيد عشرين خطوة وراى ان لوسيان قد انفصل عن الشفاليه فوضع البندقية على كتفه وصوبها على الشفاليه ثم اطلقها عليه مرتين فاصابه اصابتين احداهما في كتفه والاخرى في صدره فسقط صريعا وانتقم الاحدب كما تراه

وكان لوسيان قد بعد عند ذلك نحو ثلاثمائة متر عن الشفاليه فسمع دوي البندقية ولكنه لم يسمع صيحة الشفاليه فحدثه قلبه بمصاب غير انه كان قد دنا من منزل داغوبير وراى عن بعد نورا يضيء فيه فارتجف قلبه

وقال في نفسه ان جثة قد تكون في انتظاري فلم يعد يفتكر بذلك الدوي وقال قد يكون ذلك من احد الصيادين ودفع جواده الى منزل داغوبير وهو يكاد يسقط عنه لفرط اضطرابه

فلما قرب من المنزل اوقف جواده فترجل عنه وربطه في احدى اشجار الغابة ومشى الى منزل داغوبير فراى ان النور ينبعث من الدكان لا من المنزل فوجف قلبه ودنا من الدكان فوضع عينه على ثقب الباب فلم يكد ينظر الى الداخل حتى تراجع وقد اصفر وجهه وجمد الدم في عروقه ذلك انه راى جثة جالسة في وسط الدكان ولكنها لم تكن وحدها بل كان معها امراة اخذت يدها بين يديها دون كلفة وهي تحدثها وتبسم لها الطف ابتسام

اما تلك المراة فقد كانت خطيبته السابقة مدموازيل اورور ابنة عمه

٣٩

ولا بد لنا لايضاح السبب في وجود الكونتس اورور عند ربيبة الدير في هذه الساعة المتأخرة من الليل ان نعود بالقاري الى منزل هذه الكونتس فقد تركناها وقد فتحت ذلك الصندوق الذي اعطاها اياه الخادم الشيخ بنيامين وانها اخرجت منه مدلية فيها تمثال امراة وصاحت صيحة دهش حين رات تلك الصورة لانها كانت تشبه ربيبة الدير شبها عجيبا فنادت عند ذلك بنيامين ولكنه كان قد انصرف حين دفع لها الصندوق

لبثت اورور حائرة مترددة لا تعلم اتنادي بنيامين ايضا ام تتم فحص ما وراء الصندوق الى ان اقرت على الراي الاخير فوجدت شيئا ذلك

العنوان من كتابين كتب على احدهما الى ابنتي تفتحه حين تبلغ الخامسة عشرة من عمرها » وعلى الثاني « الى ابنتي تفتحه بعد الكتاب الاول بعامين »

فقالت اورور في نفسها اني قد بلغت الان الثامنة عشرة من عمري فصار يحق لي فتح الكتابين

وعند ذلك ذهبت الى باب غرفتها فاقفلته من الداخل وعادت الى الكتابين ففضت الاول منهما وقرات ما يأتي

الى ابنتي الحبيبه

اكتب اليك هذا الكتاب من مونيخ و نا في شر حال وقد اجتمع الاطباء حول سريري يتشاورون في امري

ان هؤلاء الاطباء الذي اثارهم العلم اضلهم اختلاف الاراء فلم يتفقوا على مرضي ولكنهم اتفقوا على القضاء علي بالموت فرى بعضهم اني اعيش ايضا ثلاثة اشهر وارتاى اخرون اني اموت بعد اسبوعين

اني كنت مطبقة عيني حين قضوا علي هذا القضاء المبرم فحسبوني مغميا علي ولكني كنت اسمع ما كانوا يقولون فذعرت يا ابنتي ذعرا شديدا حين سمعت باذني القضاء علي بالموت غير اني لم اخش الموت حبا بالحياة فقد طالما ناديت رسوله ولكني خشيته لانه سيكون السبب في التفريق بيني وبينك

انك لا تزالين طفلة حين اكتب هذا الكتاب يا اورور فان قدر لك ان تفتحيه لا تفتحينه الا بعد موتي وبعد ان تفصل بيننا هوة الابد

اني لا اعلم ما يكون من مصيرك بعدي فاما ان تكوني ابنة قلبي واحشائي او تكوني ابنة الاحشاء فاني اكون بعيدة عنك ولكن عيني بنيامين الوفي المخلص الامين ستنظران اليك وهو الذي يعلم حقيقة مصيرك

ن اباك يا ابنتي الحبيبة مذنب عظيم بل اجسر على القول انه من اهل الجرائم فهل تكونين ابنتي او بنته وهل تمزج طباعه واخلاقه الماسدة في دمائك ام ترثين من اخلاقي هذا هو الشك الهائل الذي لا يروعني سواه و نا انزل در جات القبر

انك حين تفتحين هذا الكتاب تكونين قد بلغت مبلغا من الصبا يعينك على درس اخلاق ابيك فاذا قدر لك ان تفتحيه فارثي لحال امك واعلمي انها ماتت موت الشهداء

ن بيني وبين ابيك الشفاليه دي مازير سرا هائلا يا ابنتي لا يخلق ان تعلميه وانت لا تزالين في مقتبل الشباب فاذا بلغت الثامنة عشرة من عمرك يدفع اليك بنيامين كتابي الثاني فتقفين على هذا السر وتعلمين ما يجب ان تصنعيه ويعلم بنيامين اي الخلقين ورثت من ابيك وامك

الوداع يا ابنتي بل الى اللقاء فاني احب ان اموت متزودة بهذا الامل المعزي وهو ان نفوس الصالحين تلتقي في العالم الاخير امك

كرستشن

لما قرات اورور هذا الكتاب اصيبت بذهول شديد ثم جعلت

تناجي امها باكية فتقول عفوك يا اماه فان اخلاق ابي قد فسدت نفسي ولكن روحك الطاهرة ستصلح اما فسد

واخذت ذلك الكتاب فجعلت تقبله ثم اهتزت فجاءة وقد ذكرت ما كتبته لها عن ذلك السر فالتفت الى الاطلاع عليه وفضت الكتاب الثاني فقرأت ما يأتي

(انك اذا قرات يا ابنتي هذ الكتاب تكونين قد اقتبست حقيقة من اخلاق امك ولذلك استطيع ان اخبرك بكل شيء ... انك تجدين في الصندوق الذي يعطيك اياه بنيامين دفترا وهذا الدفتر يتضمن تاريخ حياتي فقد قلت لك في كتابي الاول اني مت موت الشهداء ذلك انى مت مسمومة يا ابنتي في منزل ابيك

انهم دسوا لي في الطعام سما هائلا منذ عامين يقتلني تباعا كي لا تظهر جريمتهم للعيون فافتحي الدفتر واقرائي ما فيه تعلمي كيف ماتت امك التعيسة وتعرفي اسماء قاتليها

واني اخبرك يا ابنتي قبل ان اودعك الوداع الاخير انه يوجد فتاة تزيدك وتتصل منك باشد اواصر القربى وانت لا تعلمين ان هذه الفتاة اختك وانت تحسبين انك وحيدة)

فلما وصلت اوروز الى هذه الجملة صاحت صيحة دهش وسقط الكتاب من يدها

ولما ثابت من دهشتها قامت الى جرس دقته دقا عنيفا ففتح الباب للحال ودخل بنيامين فقد كان واقفا قرب الباب لوثوقه انها ستدعوه اليها

لتسأله فوجد الدمع يجول في عيني اورور فقال لها هوذا تيت يا سيدتي فبماذا تأمرين

قال اريد ان تخبرني بكل شيء

قال فماذا تريدين يا سيدتي ان تعرفي

قالت اريد ان اعرف لماذا لم يقل لي ابي ولماذا لم تقل لي انت ان لي اختا

قال هي الحقيقة فلك اخت

قالت ولكن اين هي وماذا جرى لها اعلها ماتت

قال لا اعلم

فقالت له بصوت يضطرب اني قرات الكتابين يا بنيامين واريد ان اعرف كل شيء

قال الملك قرات الكتاب الثاني الى نهايته

فارتعشت وقالت كلا

قال اذن اتمي قرائته

فاخذت الكتاب من الارض واتمت قرائته فقالت ما ياتي

(ان لك ختا وقد حاولوا قتلها كما قتلوني غير ان رجلا مخلصا لنا نقذها وانا لا اعلم اذا كان يستطيع اخفاءها عن اعين اولئك القتلة الاثمين ولكنني اسال الله ان يقيها من هذه الوحوش الضارية)

(اني لا اعلم يا اورور اين تكون اختك حين تقرابن هذا الكتاب ولكنك اذا كنت قادرة باسلة فاجعلي همتك البحث عنها وحمايتها من

كيد المعتدين

(الوداع بل الى اللقاء فأني انتظرك في السماء حيث نجتمع لدى الديان نصير المظلومين امك

كريتشن

فنظرت اورور الى بنيامين وقالت له اذن لي اخت ولكن لماذا لم تخبرني ابي بها

قال لانه حسبها ميتة

قال هي ميتة

فاجابها بنيامين بصوت منخفض لا اعلم ولكن موتها افضل من حياتها

فاضطربت اورور وتوقعت الاباحة بامر خطير لم تجسر على السؤال عنه فاخذت الدفتر وجعلت تقلبه بين يديها وهو الدفتر المتضمن تاريخ حياة امها وبيان اسماء قاتليها

وكان الدفتر مختوما بالشمع الاسود فكانت تدني يدها من ذلك الختم فتشعر به كانه نار يحرقها ولا تجسر على مسه

وفيما هي على ذلك اصاب نظرها تلك المدالية المرسومة فيها صورة المرأة فاخذتها وقالت بنيامين من يمثل هذا الرسم

فاجابها بصوت يتهدج انه رسم امك يا سيدتي

فصاحت الكونتس صيحة دهش وقالت اذن لقد بت واثقة ان اختي لا تزال في قيد الحياة

وعند ذلك خرج بنيامين فقرات اورور ما ياتي

٣٠

ان اسرة ولدنركار بوتنبورج هي اقرب قرباء الاسرة المالكة في بافاريا ولم يكن باقيا من هذه الاسرة النبيله غير فتاة وهي الاميرة هيلانه

ان هيلانه دي كارلوتنبورج كانت بين الثامنة والعشرين والثلاثين من العمر وهي بارعه الجمال كثيرة الدلال والادلال فكانت سمر النوادي العالية في حلقات المتحدثين

وقد كان رغب بزواجها كثير من الامراء غير انها ابت اجابة احد من خطبها احتفاظا باستقلالها

غير انهم كانوا يتحدثون همساً في الاذان انها متزوجة زواجا سريا منذ بضعة اعوام برجل نبيل يدعى الكونت دي مازير

وكان هذا الكونت في الثلاثين من عمره تدل ظواهره على الغنى وهو فقير ولكنه نال منصبا كبيرا بفضل المساعدة الخفية فارسله مالك فرنسا سفيرا لمملكته الى بلاط مونيخ

فبعد ان تولى هذا المنصب عامين استدعي فجاءة الى باريس لسبب موت احد اخويه

وكان اخوه قد مات عن ارملة وطفل صغير يبلغ بضعة اشهر وهو فقير ايضا مثل اخيه الكونت السفير

ففي اليوم التالي لسفره لوحظ ان البرنسيس هيلانه لم تكن في البلاط وعلموا بعد يومين انها سافرت الى باريس فلم يبق شك لدى جميع نبلاء

اورور

مو بيخ انها منزوجة حقيقة بالكونت دي مازير

وكانت هذه الاميرة كثيرة الغنى يحبها الملك حبا شديدا ابويا ولا يصبر على فراقها فكانت كثيرة الادلال عليه تنال بنفوذها عليه كل ما تريد

وهي شديدة الكبرياء ومن اخلاقها الغيرة وحب الانتقام ولم يكن لديها من المخلصات لها غير فتاة فرنساوية ولدت في المانيا فكانت لهذه الاميرة صديقة ووصيفة معا وهبتها الطبيعة جمالا باهرا فكان هذا علة شقائها

ان هذا الفتاة كانت تدعى كريتشن واما اسم عائلتها فقد كانت تجهله

غير ان الاميرة كانت تعلم اسم عائلة كريتشن ولكنها لم تكن تخبرها به لسبب خفي لم تستطع ادراكه على شدة اتصالها بها

وكل ما كانت تعرفه كريتشن عن عائلتها ان اباها قدم الى مونيخ مضطهدا فقيرا فتزوج نبيلة من نساء تلك العاصمة وان اباها مات بعد شهر من موت امها وهي لم تبلغ العام من العمر ولم يعلم احد كيف كان موتهما ما خلا رجلا كان خادما في منزلهما يدعى فريتز

فلما بلغت كريتشن الخامسة عشرة من عمرها ورد الى فريتز كتاب من فرنسا فسافر الى فرنسا على اثر ورود الكتاب تاركا كريتشن بعناية امراته .

وقد طال غياب فريتز فمرضت امراته ومانت بعد ستة اشهر لسفره

فباتت كريتشن فريدة وحيدة في هذا الوجود

غير ان عين العناية كانت ترمقها فانه لم يمر بها على انفرادها ثلاثة ايام حتى وقعت عند بابها مركبة تجرها اربعة جياد وعليها شعار النبلاء وخرجت منها سيدة وهي البرنسيس هيلانه دي كولومبرج فان الاميرة كانت مرت منذ بضعة اشهر بهذا البيت ورات كريتشن فاثر بها جمالها وارادت ان تجعلها في حاشيتها

فلم تجد كريتشن بد من القبول اذ باتت وحيدة في الوجود

على ان فريتز لم يكن قد مات كما توهمت كريتشن فلما عاد من فرنسا لى مونيخ وعلم بان كريتشن عند الاميرة تجهم وجهه وذهب الى قصر الاميرة فالتمس مقابلتها فوجد ان كريتشن باتت في ارقى منزلة لدى البرنسيس فلم يجسر على ان يسالها الفرار معه ولكن البرنسيس اذنت بمقابلته فخلا بها مليا ولم تعلم كريتشن ما دار بينهما من الحديث في ذلك الاجتماع الا بعد زمن طويل

غير ان فريتز اقام منذ ذلك اليوم في قصر الاميرة خصيصا لخدمة كريتشن فكان يلازمها ملازمة ظلها كانها كانت مهددة بخطر سري هائل

ومر بذلك عامان وفي ذلك العهد سافرت الاميرة الى باريس وصحبت معها كريتشن وفريتز

وكانت كريتشن قد تربت افضل تربية في قصر الاميرة وتعلمت خير تعليم وقد ترعرعت وباتت فتنة الناظرين بجمالها حتى ان الكونت دي

مازير الذي كان لا يكاد ينظر اليها في بدء دخولها في خدمة الاميرة بات الان مدلها مفتونا بها

وكانت الاميرة قد تزوجت حقيقة بالكونت دي مازير وانما بقي هذا الزواج مكتوما لان بافاريا ابى لموافقة عليه

اما هذا الكونت فقد كان في مقتبل الشباب وهو جميل الوجه حلو الحديث كثير التفنن خلافا لكريتشن فقد كانت على اتم السلامة فلم يستطع قلبها الصغير مقاومة عيني هذا الكونت فعلقت في شركه وكانت الاميرة لا تعلم شيئا مما جرى بينهما

على ان الكونت كان قد اقسم لكريتشن انه عشيق الاميرالاة زوجه كما يشيعون وانه سيتزوج كريتشن فصدقته الفتاة لسلامة نيتها وسقطت في فخ غرامه

وكانت مدة اقامة الاميرة في باريس قصيرة لا تتجاوز شهرين غير ان كريتشن كانت تصحب الاميرة الى الاوبرا فكانت تدهش الناس بجمالها وقد اتفق يوما انها كانت في صحبة البرنسيس فلقيها اثنان من حراس الملك وظهر لها وداد عظيما

وكان احدهما يدعى الكونت دي يوفوازين والاخر راوول دي مورلير

فمي اليوم التالي ورد الى كريتشن كتابان من هذين الحارسين فسر فريتز اتفاقا على احد هذين الكتابين وهو كما يأتي

سيدتي .

« اني رايتك ساعة واحدة فاحببتك ولي صديق وفي رآك كما رايتك واحبك كما احببتك وكلانا يضع نفوذه وثروته رهن خدمتك واقسم كلانا ان يبقى على وفاء صاحبه اذا قدر لاحدنا ان ينال حظ رضاك عنه دون الاخر»

وكان هذا الكتاب موقعاً عليه باسم الكونت دي بوفوازين (الاب جيروم) فلم يصل الى كريتشن الا كتاب راوول فقد وصلها ولكنها كانت واأسفاه تحب الكونت دي مازير ولم تكن اتقبل راوول لو لم يكن قد ورد اليها منه كتاب اخر في منتهى الخطورة

وهنا توقفت اورور هنيهة عن القراءة وقالت رباه ان كريتشن هذه كانت امي

ثم عادت بعد استرسالها الى التفكير الى تلاوة كتاب راوول الثاني فقرات ما ياتي

الى مداموازيل كريتشن دي فلارس

لقد عرفنا ياسيدتي باتفاق غريب حقيقة اسمك ورسم عائلتك فانت من بقايا اسرة اقسمت مع رفيقي على ان نمنعك في سبيل الاخلاص لها دماءنا

وان كلينا يا سيدتي يحبك اصدق حب وكلانا يرجو تحقيق رجائه بزواجك ولكننا لا نخدمك من اجل الحب وحده بل ان الذي يدفعنا الى هذه الخدمة واجب مقدس يجب علينا قضاؤه

انك يا سيدتي على جمالك وطهارة قلبك وكونك من ملائكة الله يحيط بك اعداء اشداء لا بد لنا ان ننقذك من قبضتهم

و كلاما شريف وفي فاعتمدي على وفائنا رشرفنا واعلمي نه يجب ان نراك في هذه الليلة نفسها كي تعلمي مايحدق بك من الاخطار

وان قابلك في قصر الاميرة محال ولكن يوجد منزل مقابل لذلك القصر يدخل اليه من رواق ضيق فاذا كنت لا تشكين بولائنا فاحضري اليه في الساعة الثامنة من مساء اليوم تجديني في انتظارك مع صديقي الكونت دي بوفوازين فاننا نقيم سواء في هذا المنزل

المخلص الوفي

راوول دي مورلبير

فامعنت كريتشن في التفكير على أثر ورود هـذا الكتاب وكانت تود مقابلة الحارسين غير انه حال دون قصدها زم الاميرة على الرجوع الى مونيخ في اليوم نفسه

وكان الفارسان قد رشوا احد خدم القصر فاوصل الى كريتشن هذه الرسالة واضطرت كريتشن ان تبقى مع الاميرة كل ذلك اليوم لاعداد معدات السفر فلم تفارقها لحظة

حتى اذا خرجت الاميرة مع حاشيتها الى المركبات دنا الخادم من كريتشن واعطاها ذلك الكتاب

وقد ركبت الاميرة والكونت دي مازير في المركبة الاولى وركبت كريتشن وسيدة لابسة ملابس الحداد ومعها طفل صغير في المركبة الثانية

اما هذه السيدة التي كانت لابسة ملابس الحداد فقد كانت ارملة

اخي الاونت دي مازير الذي مات سيدتي وقد رضيت بالسفر الى لمانيا والعيش مع اخي زوجها الى منزل الاميرة

واما كريتشن فانها لم تستطع فتح هذا الكتاب الا في المحطة الاولى

ولما اقبل المساء وصلوا الى سانوتياري فنزلوا في احد فنادقها وهناك اطلعت كريتشن فريتز على كتاب راوول فقرأه فريتز واصفر وجهه وقال لها لم يعد لي بد يا سيدتي من ان اقول لك الحقيقة فان هذا الاسم الذي ذكر في الكتاب هو اسمك الحقيقي

قالت ولكن كاتب هذا الكتاب يقول ان لي اعداء اشداء فكيف يكون لي اعداء

فاضطرب فريتز وقال ان اعداءك يا سيدتي هم اعداء ابيك وجميع اسرتك

قالت الملك عرفت ابي

قال انه مات بين يدي وعند ذلك اخذ فريتز يقص عليها تاريخ اسرتها فقال لها ان اسرتك فرنساوية وقد كانت شهيرة في القرن الماضي وقد اسر جدك في حصار مجدبورج وسقط في قبضة البارون ولدنر وهو جد البرنسيس هيلانه

وكان لهذا البارون امراة صبية حسناء في حين انه كان شيخاً قبيحا شريرا وكان جدك المركيز دي فلارس جميلا وهو في الخامسة والعشرين من عمره فاحبته البارونة

ولما عقد الصلح بانتهاء الحصار جاء جدك المركيز الى فرنسا وقد

انثى عن حب البارونه وحسب ان سر غرامهما لم يعلم به احد غير انه كان منخدعا في ظنونه

وبعد ان عاد الى فرنسا تزوج فلم يمر بزواجه ثلاثة اشهر حتى ماتت امراته بعد ان لقيت الامرين لا تطاق ولم يدر احد من الاطباء حقيقة مرضها

وبعد ذلك بشهرين هاجم المركيز جدك عصابة متنكرة فانتحنوه راحا وتركوه صريعا وهم يعتقدون انه لقي حتفه

ولكنه لم يمت بل شفي من جراحه وتزوج ثانية بعد هذه الحادثة ثم ولدت له امراته ثلاثة بنين

ومضى على زواجه عشرون عاما فبينما هو نائم ذات ليلة في منزل دخل بعض الاشرار الى غرفة رقاده وقتلوه بالخناجر فافرغت الحكومة مجهودها في البحث عن القاتل فلم تقف له على اثر

وكان ابناء المركيز قد شبوا فمات اثنان منهم بذلك المرض الخفي الذي ماتت به امراة جدك الاولى اما الولد الثالث فقد وردت اليه رسالة خالية من التوقيع وهذا نصها

(اخذر لنفسك فان اباك المركيز قد غوى امراة البارون ولدنر كارلو وتبزج وهذا هو السبب في ما تلقاه عائلتك من النكبات المتتابعة)

اما هذا الولد الثالث فهو ابوك يا سيدتي وقد كان له صديقان اصغر منه سنا وهما ذانك الخارسان اللذان كتبا لك

وكان يوجد في باريس في تلك الايام ابن البارون ولدنر الاكبر وهو

شقيق البرنسيس فخاصمه ابوك وقتله في مبارزة وكان شاهده في هذه المبارزة صديقاه دي بوفوازين وراوول

فلما قتل هذا البرنس وكان قد جعله لملك برنسا قبيل قتله حسب ابوك ان جذوة الاحقاد العائلية قد خمدت ولم يكن له من العمر غير ثلاثين عاما فاراد الزواج استبقاء لاسم عائلته اذ لم يبق منها سواه

ولكنه اخطأ في حسباته فانه في اليوم التالي لزواجه وجد امرأته مخنوقة في سريرها فملاء الرعب قلبه وبرح باريس متنكرا وقد غير اسمه فاقام في مونيخ متنكرا باسم شارل ريشبرج وهناك تزوج امك بعد عامين فولدتك وذلك منذ ستة عشر عاما ولكنها ماتت بعد ولادتك موتا فجائيا وبعد بضعة ايام مات ابوك ولكنه تمكن قبل مفارقة الروح من ان يقص على هذا التاريخ العائلي المحزن

فلما فرغ فرنز من حكايته قال له كريستين اذن ان هذه الاميرة التي اعيش في ظلها هي ابنة قاتلي اسرتي

قال نعم

قال اذا كنت تعرف ذلك فكيف تركتني اقيم في منزلها

قال ان الاقدار ارادت ان تكوني في منزلها يا سيدتي فان اباك حين برح فرنسا باع جميع موجوداته فيها وقد امرني وهو على فراش الموت ان انتظر الى ان تبلغي الرابعة عشرة من عمرك فاذهب الى باريس لاسترجاع ثروتك

فلما بلغت هذا العمر سافرت الى باريس امتثالا لامر ابيك فبحثت

بحثا مستفيضا عن تلك الثروة فلم اظفر بها لان جدتك كانت قد ادركتها الوفاة ولم يكن يعرف مكان هذه الثروة غير صديق ابيك وهما دي بوفوازين وراوول ولكني لم اكن اعرفهما في ذلك الحين

فلما عدت بالخيبة الى مونخ وعلمت انك في قصر الاميرة جمد الدم في عروقي من الاشفاق عليك واسرعت الى قصر الاميرة فالتمست مقابلتها وكنت عازما على قتلها اذا لم تأذن لك بالخروج معي من قصرها

غير اني لقيت منها ما اثناني عن هذا العزم لانها اظهرت لي حنوها عليك وحبها اياك والدموع تذرف من عينيها ودلائل الصدق بادية في لهجتها ثم قالت لي اني لست سفاكة ولا انا من اهل الانتقام بل انى اريد ان اصلح ما افسده ابائي لذلك الحقد القديم ويكون ذلك الاصلاح باحساني الى هذه الصبية

ثم تنهدت وقالت والان خذها اذا شئت ولكني اقسم لك بالله العلي اني لا انتقم منها قياسا على ما جرت عليه اسرتي مع اسرتها بل اني احبها كما تحب الاخت اختها

وهنا عادت الى البكاء فلم يبق لدي شك بصدق نيتها وسلامة طويتها

هذا ما اعلمه من سر عائلتك وانت تعرفين البقية فانظري الان في امرك فاذا كنت خائفة فارجعي الى باريس واقيمي فيها بحماية ذينك الحارسين وذا كنت واثقة من ولاء الاميرة فابقي في قصرها

فخطر لكريتين في تلك الساعة الكونت دي مازير وقالت لفرنز بلع ابقى

مع الاميرة فان تقتي بها شديده

وانما ارادت البقاء مع الاميرة لهيامها بالكونت دي مازير

قال ذن عولت على الرجوع المانيا

قالت نعم

قال ليحرسك الله ويقيك شر الاعداء

وفي اليوم التالي سافرت الاميرة مع كرستين الى المانيا فوصلت الى مونيخ بعد ثمانية ايام وكان الكونت قد زد هيامًا بها وهي بلغت في هوى حد الجنون

فلما وصلت اورور في قراءة الدفتر الى هذا الحد وضعت راسها بين يديها وقالت بصوت منخفض تكلم نفسها ترى من هو فريتز هذا الوارد ذكره في هذا الدفتر املهُ بنيامين

فاجابها بنيامين ذلك الخادم الشيخ الامين وهو واقف وراء كرسيها يا سيدتي انا هو فريتز وساخبرك ببقيه هذه الحكاية المؤثرة

فوضعت اورور الدفتر على الطاولة واصغت الى حديث بنيامين

٣٢

كان بنيامين شيخا قوي البنية طويل القامة وقد ابيض شعره وانتقدت عيناه فكان له عمر الشيوخ وهمة الفتيان

فلما جلست اورور تصغي الى حديثه جلس امامها وقال نعم اني مخبرك بسر عائلتك فقد آن لك ان تقفي على كل مكنون من امورها ثم قص عليها ما ياتي فقال اني كنت واثقا ثقة تامة من اخلاص الاميرة

هيلانه لامك كريتشن وخطوها عليها بحيث لم اعد اراعيها مراعاتي الاولى لاعتمادي في ذلك على الاميرة

ثم اني كنت لم ابلغ بعد حد الكهولة فما عركني الدهر وما خبرت قلوب البشر ولذلك فلم ادقق في البحث عما طرأ على امك من التغيير فانها استحالت من حال الى حال فبعد ان كانت باسمة الثغر طلقة المحيا اصبحت مفكرة مهمومة تبدو عليها ثار الكآبة في كل حين فكنت اقول في نفسي ان هذا الانقباض قد تولاها بعد ان وقفت على مصائب عائلتها ولا بد ان يمحو مرور الايام هذه الذكرى من مخيلتها فتعود الى فطرتها

غير اني كنت مخطئا في تعليل انقباضها فان السبب فيه كان حبها للكونت وعبث الكونت بها

وقد ساعد الكونت وامك على هذا الحب حالة البرنسيس في مونيخ فانها كانت متزوجة الكونت حقيقة غير ان الكونت لم يكن يحبها وانما كان يستخدم حبها لاغراضه فكان يحضر الى قصرها في كل يوم ولكنه كان يقيم في دار السفارة بحيث وثقت امك لسلامة نيتها انهما غير زوجين وان الكونت سيتزوجها كما وعدها بعد ذلك العبث

ولم تكن الاميرة عارفة بشيء من اسرار هذا الغرام غير ان امراة اوقفتها على كل خفي وكانت هذه المراة تلك الارمله التي جاء بها الكونت دي مازير الى مونيخ واقامها في قصر الاميرة اي امرأة اخيه الذي مات في باريس عنها وعن طفل صغير

فقاطعته اورور وقالت الم يكن هذا الطفل ابن عمي لوسيان

قال نعم يا سيدي فان الكونت دي مازير كان يحب عائلته وكان ملك باماريا راضيا عنه يريد له الخير فاغتنم هذا الرضى الملكي فجاء بامرة اخيه وابنها فاقامهما في قصر لامبرة هيلانة وجاء باخيه الثالث فجعله من رجال التشريفات في بلاط الملك

قالت من هو اخوه الثالث اليس ابي

قال نعم هو ابوك الشفاليه دي مازير وقد رأى امك كريتش فاحبها وهو يعلم ان اخاه المحسن اليه يحبها حبا لا يوصف ولكنه لم يبال باخيه فلما تعود عنده اعرض عنه ولم يبالي

واما امراءة عمك اي والدة لوسيان فانها حين رأت امك المرة الاولى نفرت منها وكرهتها كرها شديدا لحسدها منها

غير ان الكونت دي مازير لم يكن يحب حبا اكيد من جميع من كان حوله غير كريتش

وجعلت الايام تتوالى وامك تبالغ في اخفاء غاطتها حتى دنت الايام التي لا يمكن بها للنساء ان يسترن هذه الزلات وقد كانت في كل حين تتوسل الى الكونت ان يرحمها ويفي بوعده بزواجها فكان يعللها بالرجاء ولا يفي بما وعد

الى ان دنا موعد ولادتها ولم يعد للكونت حيلة على التسويف فكتب الى باريس وطلب ان يستدعوه فاجابه وزير الخارجيه الى ما طلب فلما ورده الاذن بالسفر وعلمت الاميرة بسفره ارادت ان تسافر معه غير ان ملك بافاريا حال دون بغيتها ومنعها عن السفر فسافر الكونت وحده

وقد وعدها انه لا يغيب غير بضعة اسابيع

ولم يكن احد في القصر قد وقف على زلة امك غير امراة عمك والدة لوسيان وهي امراة ثرثرة كثيرة المطامع لا تقف في سبيل اغراضها عند حد من الجرائم في حين ان الناظر اليها يحسبها من ملائكة الله لجمالها

اما مطامع والدة لوسيان فهي انها رات ان الاميره كثيرة الضعف وان الاطباء قد راوا انها في الدرجة الاولى من السل وان هذا الداء الوبيل لم يبلغ منها مبلغه بعد لكثرة العناية بها فقالت في نفسها انها اذا اصيبت بتاثر شديد قتلها الاثير ولم تفدها عناية

وقد كانت تعلم انها تزوجت الكونت وانها لم ترزق منه بنين فاذا ماتت فان الكونت يرث مالا كثيرا من ثروتها الطائلة

وكانت والدة لوسيان لا تزال في ريعان الشباب والجمال فكان رجاؤها ان تتزوج الكونت بعد موت زوجته الاميرة

وما زالت تعلل نفسها بهذا الرجاء حتى وقفت على غرامك كريستين فكان غرام الكونت بامك ضربة قاضية على آمالها فوضعت عند ذلك خطة هائلة ولدتها لها قريحتها الجهنمية ووصيفة نورية هي شيطان رجيم بصورة انسان فجعلت منذ ذلك الحين تتودد الى كريستين حتى باتت صديقتها الحميمة وباتت امك لسلامة طويتها لا تكتم عنها شيئا من اسرار قلبها لاعتقادها بصدق اخلاصها

فلما اوشكت كريستين ان تصبح اما باحت بسرها لوالدة لوسيان

فقال لها لا تخافي وانا انقذك من هذا الخطر

فوثقت كريتشن بها واختفت والدة لوسيان اسبابا تدعوها الى السفر ثم احتالت على الاميرة حتى اذنت لكريتشن بمرافقتها فسافرتا

وكان الكونت دي مازير لا يزال في باريس وقد كان ينكر امام جميع الناس ما اشيع عن زواجه بالاميرة فذهبت والدة لوسيان اليه فتظاهرت انها تجهل امر زواجه وقالت له اني جئت التمس منك اصلاح غلط ارتكبته اشفاقا على اسم عائلتك النبيل

فارتعش الكونت وقال لها ماذا تقصدين بذلك

قالت انك اغويت كريتشن ويجب ان تتزوجها

وكان لوالدة لوسيان نفوذ على الكونت بل كان يحترمها احتراما شديدا لانها كانت طامعة بزواجه فكانت تظهر امامه بخير المظاهر مما يدعو الى الاحترام فاعترف لها الكونت عند ذلك بجميع امره واخبرها انه متزوج زواجا شرعيا بالاميرة

فقالت له اذا كان ذلك كما تقول فان زواجك كريتشن محال ولكن يجب ان تنقذ هذه المنكودة مما هي فيه فان الياس سوف يقتلها

ثم اخبرته انها جاءت بكريتشن الى باريس وانها مقيمة معها في منزل للاميرة في شارع اباي وانها باتت قريبة من الولادة فهي في حاجة قصوى الى العناية الشديده

فكاد الكونت يذوب حنوا على كريتشن لانه كان يحبها حبا اكيدا وسار مع امراة اخيه الى ذلك المنزل الذي كانت تقيم فيه .

وهنالك اقسم لها الكونت انه يحبها حبا اكيدا وانه لا بد له من الزواج بها ولكنه اقسم الاميرة هيلانة انه لا يتزوج الا بعد ان تبلغ الاربعين من عمرها وهي قد بلغت الان السادسة والثلاثين من العمر فلا بد اذن من الصبر اربعة اعوام

ثم جعل يعرب لها عن عواطف قلبه ويظهر لها مكنونات غرامه بلغة وجدت سبيلا الى قلبها الضعيف فصدقت وعوده وغفرت له

اما الكونت فانه لم يكن كاذبا في هذا الوعد فانه كان يرى ان حياة الاميرة قصيرة فان اخاه الشفاليه كان يرسل اليه التقارير عن صحتها في كل يوم وقد اثر بها فراق الكونت تاثيرا عظيما فزاد صحتها اعتلالا

وكان ملك بافاريا لا يزال مصرا على عدم الاذن لها بالسفر فكانت تكتب كل يوم الى الكونت تسأله الاسراع بالعودة فيعللها الكونت بقرب رجوعه ويقول انه لا يستطيع تعيين موعد الرجوع لانه مضطر الى البقاء في باريس لاشغال خطيرة جدا فكانت والدة لوسيان تكيد المكائد في خلال ذلك دون ان يدري احد بمقاصدها وذلك ان امراة نورية تدعى تنوان كانت متصلة بها فكانت لها شر معين وقد جاءت في ذلك اليوم من بافاريا

فقاطعته اوروز وقالت اهي تلك المراة نفسها التي لا تزال في قصر امراة عمي

قال هي نفسها

فقالت له بصوت يضطرب اتم حديثك يا بنيامين فاني واهم عجبا

قال ان تون هذه كانت تستكشف الطوالع وكانت الاميرة هيلانه من اهل التطير والاعتقاد بالاوهام الباطلة فكانت تون تستكشف طالع لاميرة وتخبرها بما يوافق اغراضها بالاتفاق مع والدة لوسيان ثم تكتب الها كل يوم عما تحدثه مكائدها في نفس تلك الاميرة

وما زالت بها حتى غرست في نفسها بذور الغيرة فايقنت ان الكونت لا يحبها وان قلبه منشغل في باريس فكادت تجن لغيرتها وكل ذلك بحسن دهاء هذه المنورية

ولم تكن تستطيع السفر الى باريس لان الملك لم يأذن لها فافضت بها الغيرة الى ارسال تون الى باريس للاستطلاع وموافتها بالخبر اليقين

وقد وصلت المنورية تلك الليلة الى القصر المقيمة فيه كريتشن ووالدة لوسيان وكان وصولها اليه حين خروج الكونت دي مازر منه

ولاشك ان والدة لوسيان كانت تنتظر قدومها فانها نزلت لاستقبالها الى اخر السلم وعانقتها معانقة الاخوات ثم قالت لها الى اين وصلت بنا الحوادث

قالت الى حيث اردنا فان الاميرة تكاد تجن من الغيرة

قالت وكيف صحتها

قالت على ما يشتهيه اعداؤها

فالت والشفا اليه دي مازر

قالت انه مدله بغرام كريتشن فانه يأتي كل يوم لى قصر الاميرة يسأل عن زمن عودتها

قال تظنين انه لا يعرف شيئا من امرها

قالت بل اوكد

فانقدت عينا والدة لوسيان ببارق من الرجاء وقالت اقد دنت الساعة

ثم ذهبت بالنورية الى حجرة معتزله في القصر كي لا تعلم كريتشن بقدومها الى باريس

٣٣

ولم يدر احد ما جرى بين تلك النورية الداهية وبين والدة لوسيان الطامعة غير انه في الليلة التالية دعيت الى القصر ولادة مشهورة في باريس ففحصت كريتشن وقررت انها ستلد بعد ثمانية ايام او اقل

فلما انصرفت الداية اختلت تنوان بوالدة لوسيان خلوة طويلة وفي فجر اليوم التالي سافرت النوريه عائدة الى الاميرة

وقد استاجرت مركبة بريد خاصه وكانت تنثر الذهب وتقتل الجياد جريا فسارت بها المركبة سيرا متصلا اربعة ايام وثلاث ليال وفي الليلة الرابعة وصلت الى قصر كاراوتبورج فوجدت الاميرة قد زادت اعتلالا وقد تمكنت منها الحمى

فلما رأتها الاميرة برقت عيناها وقالت لها ماذا فعلت ارات الكونت

فتكلفت تنوان هيئة الكآبة وقالت انه يا سيدتي من الخائنين

فتطاير الشرر من عينيها وقالت اهو خائني ومن هي التي احبها

قالت سيدتي اني اقسمت يميناً مغلظة ان لا ابوح لك باسم تلك

الفتاة السوداء التي اعتصبت منك قلب اللاونت

فهاج غضب الاميرة وقالت ولكني اريد ان اعلم

قالت اني اقسمت ياسيدتي ان لا ابوح باسمها ولكني لم اقسم بني لا اذهب بك الى باريس واثبت لك هذه الخيانة بالبرهان

قالت اهي في باريس

قالت نعم وان الخائنة ستغدو اما بعد اربعة ايام فعالي معي الى باريس تحضري ولادتها وتمتعي النفس بسرور الكون بهذا المولود

فانقض عليها هذا الكلام انقضاض الصواعق وبلغت منها الغيره حد الجنون فلم تعد تكترث لاوامر الملك وامرت باعداد المركبة وسافرت خفية مع تنوان

فكانت الحمى وتاثير هذا الخبر قد اثرا بها تاثيرا بليغا فلم يمض بها اليوم الاول من السفر حتى انتهكت قواها ولكنها ابت الوقوف والراحة واستمرت على السير فكانت تصاب في الطريق باغماء شديد كان يطول عدة ساعات فاذا عادت الى رشدها اخذت تنوان تشجعها وتهيج عليها من غيرتها فتامر بمواصلة السير

وسارت المركبة حتى وقفت عند فندق الزهر الاسود لاستبدال الجياد وكانت الاميرة مغميا عليها في ذلك الحين

اما تنوان فانها اطلت من المركبة فرات فارسا وقف لدى باب الفندق وثيابه ملوثة بالوحول وجواده يلهث تعبا فراى النوبية واشار اليها باشارة فالتفتت النوبية الى الاميرة فرات عينها لا تزال مغميا عليها فاشارت

مثل اشارته وسلما منها واعطاه الرسالة

ففتحت تنوان الرساله وقرات فيها ما ياتي

تقول الداية انها لا يبدأ مخاضها الا بين الساعة الثامنة والتاسعة من المساء فاجتهدى ان تؤخري قدومك كي تصلي حين الاوان »

فقالت تنوان للفارس حسنا قل لها سيكون ما تريدين فودعها الفارس وانطلق بجواده

اما تنوان فانها امرت السائق ان لايستبدل الجياد لان الاميرة مضطرة الى الراحة ثم امرت بنقل الاميرة وهي لا تزال مغميا عليها الى الفندق

ثم انها لم تبذل شيئا من الوسائل في سبيل ايقاظها من اغمائها بل تركتها على حالها حتى تعالى النهار واستفاقت من نفسها فوجدت انها مضطجعة في سرير وان تنوان جالسة على كرسي عند سريرها فذهلت وقالت لها ما هذا الذي اتانيه واين نحن الان

قالت انتا يا سيدتي في شتوتياري وانما اضطررت الى اراحتك في هذا الفندق لما رايت عليك من دلائل التعب فما جسرت على مواصلة السير قبل ان تستفيقي

وكان التعب قد انهك قوى الاميرة غير ان الغيرة شددت اعصابها فقالت لها كلا لا اريد الراحة بل اريد مواصلة السير في الحال

فامرت تنوان عند ذلك باعداد المركبة وبعد نصف ساعة عادت بهما الى السير في طريق باريس والاميرة مضطجعة في المركبة وهي مطبقة العينين

كانها حاول الرقاد واين لها النوم وهي كانها نائمة فوق جمر

حتى اذا اقتربت من باريس فتحت عينيها فجاءة وقد اتقدتا بشهاب من نار فشدت على يد نوران وقالت لها لقد علمت

قالت ماذا علمت يا سيدتي

قالت اسم مزاحمتي في الكونت

وجابتها بلهجة المتهكم احق ما تقولين

دلت نعم انها كريستين وقد كان يجب ان افطن لغرامهما قبل الان

فقالت لها النورمية لك يا سيدتي ان تظني ما تشائين اما انا فاني لا انكر ولا اثبت ما تقولين

فارتعدت الاميرة وقالت نعم نعم هي بعينها ولكني ساعذبها اشد عذاب وانكل بها افظع تنكيل . ويح لهذا الانسان ما اكفره بالنعمة اني احسنت الى هذه الفتاة وعفوت عنها في حين ان اباها قتل ابي وحنوت عليها حنو الامهات فكان جزائي منها انها سلبتني قلب من احب وعاملتني بالجحود والكفران . نعم لقد صدق القائل حين قال اتق شر من احسنت اليه فهران خيانتها اذ كانت شديدة فسيكون انتقامي اشد

فقالت لها نوران انك يا سيدتي سيدة عظيمة وما انا الا نورية حقيرة ولكن اهل بلادي يعرفون اساليب الانتقام اكثر مما يعرفها جميع الناس

قالت كيف يتقمون في بلادك

قالت اني لو كنت يا سيدتي في مكانك لما انتقمت من خصيمتي بالقتل فان عذاب القتل لحظة بل انتقمت بما هو اشد من القتل فقتلتها

كل يوم مرارا

قالت ماذا تصنعين

قالت اني ابدأ فاسلبها ولدها التي ستلده

فبرقت عينا الاميرة وقالت وبعد ذلك

قالت اكرهها على الزواج برجل لا تحبه ويكون هذا الرجل من اهل الشر والفساد فاجعله آلة بيدي لتعذيبها

فقالت لها الاميرة لقد اصبت يا نتوان فان حقدي عليها لا يموت بموتها ولا يبرد غليلي غير الانتقام منها في كل يوم

قالت اتجرين ذن على طريقتي

قالت دون شك .

قالت ولكن الانتقام يا سيدتي على ما اعرفه انا مادة لطيفة منحصرة في زجاجة رقيقة بحيث ان اقل ارتجاج يصيبها بكسرها ويسيل تلك المادة التي هي فيها

قالت ماذا تقصدين

قالت اعني اذا استحسنت خطتي وجب ان تجري عليها الى النهاية

قالت سافعل فما هي خطتك

قالت هي ان تبتسمي لخصيمتك وتظاهري بالصفح عنها فتخفي ما في قلبك من الحقد

فابتسمت الاميرة ثم استحالت هيئتها للفور من اليأس الى الزهو وقالت لها اني وريثة البارون ولدتر ذاك الذي اباد عائلة باسرها ومثلي

يعرف ايخفي غضبه تحت ظواهر الرضى والابتسام

ففرحت تنوان فرحا شديدا وقالت لها اذن لم يبق لدي شك انك ستنهجين النهج الذي اضعه لك فتدركين به ما تتمنين

وعند ذلك رسمت لها تنوان خطتها الهائلة وظلت المركبة سائرة حتى بلغت القصر قرب انتصاف الليل فنزلت الاميرة منها وهي نشيطة بعد ان كانت تشبه الاموات كانما محادثة تنوان قد اعادت اليها القوى

وكانت ظواهر القصر تدل على اضطراب ساكنيه فلما صعدت الى الدور الاول سمعت صراخا شديدا فقالت لها تنوان انها تتالم الآم الولادة فهل تسمعين

قالت نعم ولكن اين هو الكونت

قالت لا بد ان يكون عندها اذ لا يفارقها في مثل هذه الساعة

قالت اني ساعاقبه ايضا شر عقاب

فقالت النورية بصوت منخفض اذكري يا سيدتي ما اوصيتك به

قالت لقد اصبت فاذا خانني الجلد لاول وهلة فلا يخونني بعد الان

قالت اذن هلمي معي فساوصلك الى غرفتها اي الى غرفتك يا سيدتي فان الكونت اقام خليلته في غرفتك في نفس قصرك

فذكرت الاميرة عند ذلك والدة لوسيان وقالت وهذه ايضا ستنال حظها من عقابي

قالت انك اذن تكونين مخطئة مسيئة اليها فانها هي التي اخبرتني

بخيانة الكونت وهي مخلصة له منتهى الاخلاص

وكانت الاميرة تسير متوكأة على كتف النورية وكلما مشت خطوة زاد ارتفاع الصراخ حتى بلغت الى الغرفة التي كان يخرج منها الصوت فدفعت بابها ففتح ورت الاميرة كريتشن تمض يديها من الالم ورات الكونت دي مازير قربها يبكي لتوجعها بكاء الاطفال

٣٤

على انه كان لكريتشن ثلاثه يحمونها وهم فريتز والكونت دي يوفوازين وراوول

ويذكر القراء ان راوول كتب الى كريتشن يوم سفرها مع الاميرة الى مونيخ فلم تتمكن من فتح كتابه الا بعد السفر مما دعا فريتز الى الاباحة لها بجميع ما بنطناه عن نكبات عائلتها

غير ان فريتزكان واثقا من اخلاص الاميرة فلما وصلوا الى مونيخ حمل كريتشن على ان تكتب كتاب الشكر لراوول وان تخبره انها آمنة من كل خطر

فلما عادت كريتشن مع والدة لوسيان الى باريس كي تستر زلتها كان فريتز مسافرا فلما وافاها الى باريس لم يعلم شيئا في البدء مما جرى ولكنه عرف الحقيقة بعد بضعة ايام فقال في نفسه ان ابنة سيدي قد اهينت ولا بد للكونت ان يغسل عارها بالزواج ذلك انه لم يكن عالما ان الكونت دي مازير متزوج زواجا شرعيا بالاميرة هيلانه

فلما وقف على حقيقة حالة كريتشن خطر في باله ان يستعين بالكونت

دي بوفوازين وراوول فذهب اليهما واخبرهما بجميع ما اتفق فاقسم له الحارسان ان ينتقما لشرف الفتاة

وكان كلاهما يعشقها ويتالم دون ان يبوح بهواه وهما يودان سفك دمائهما من اجلها فاتفقا على قتل الكونت اذا ابى ان يتزوجها

ففي اليوم التالي لقدوم الاميرة الى باريس اسرع فريتز الى الحارسين وهو يكاد يجن من ياسه فاخبرهما ان كريتشن قد وضعت بنتا بحضور الاميرة وان كريتشن قد رعبت لقدومها فاغمي عليها واصيبت بعد الاعماء بحمى شديدة وانهم يخشون الان على صوابها

فقال له راوول بل اننا نخشى ايضا على حياتها فان الاميرة لا بد ان تنتقم منها لاغتصابها قلب من تهواه

فاخبرهما فريتز ان الاميرة احتقرت الكونت واهانته غير انها صفحت عن كريتشن وتجاوزت عن ذنبها

فهز راووول راسه شان المشكك وقال ان بيت هذه الاميرة لا يعرف التجاوز عن الذلات فانهم كتموا احقادهم ثلاثة اجيال كان الاعقاب في خلالها يتوارثون الانتقام

وعند ذلك اتفق الحارسان على ان يذهب احدهما وهو الكونت دي بوفوازين الى حيث تقيم كريتشن فيحميها من الاميرة وان يذهب راوول الى الكونت دي مازير فاما ان يكرهه على الزوج بكريتشن او يقتله

اما الاميرة فانها جرت على الخطة التي رسمتها لها تلك النورية

الجهنمية فنظرت بالعمو من كريتشن والاشفاق عليها وتوددت لها تودداً عظيماً انساها ما هي فيه

واما الكونت فانه حين رأى الاميرة دخلت الى غرفة كريتشن اسرع بالفرار من وجهها اتقاء لبوادر غضبها وهاجر باريس فذهب الى قرية في الضواحي تدعى ماريس

وهناك لقيه راوول فبادره بالحديث قائلاً ان سبب زيارتي يا سيدي الكونت لا يخطر لك في بال ولكني اقول لك انني كنت صديق المركيز دي فلاريس

ولم يكن الكونت يعرف شيئاً من تاريخ كريتشن فقال اني لا اعرف هذا المركيز

قال ان هذا المركيز يا سيدي والد كريتشن تلك الفتاة المنكوده التي اغويتها

فاصفر وجه الكونت وقال كريتشن

قال نعم ولا بد لك الآن ان تكون علمت سبب زيارتي

قال ولكن يا سيدي

فقاطعه راوول وقال لا سبيل الى الاعتراض فيما لا يفيد اذ يجب عليك ان تتزوج هذه الصبية وترد لها شرفها

مال يسوئني جداً يا سيدي ان ارفض هذا الطلب فانه خال ولكني غير ان راوول لم يدعه يتم حديثه بل صفعه على وجهه فانقطع سيل المحادثة والمخابرة ولم يعد بد من المبارزة بعد الصفعة

وكان المنزل الذي اختبأ فيه الكونت من غضب الاميرة محاطا بحديقة متسعة فقام الاثنان اليها وكلاهما يتقلد سيفة فجرى بينهما براز عنيف فتقارعا بالسيفين مدة طويله دون ان ينفوها بكلمة الى ان وجد سيف راوول سبيلا الى صدر الكونت فاخترقه وسقط الكونت مجندلا والدم يتدفق من فمه

غير ان الكونت لم يمت فحمله راوول الى سريره ولما ذهب الخادم لاحضار الطبيب اشار الكونت الى راوول كي يدنو منه وقال له بصوت منقطع ارجوك يا سيدي ان تصفح عني فقد ابيت الزواج بكريتشن لاني متزوج

فصاح راوول صيحة دهش وقال انت متزوج

قال نعم وامرأتي البرنسيس هيلانه دي ولدنر غير انى احببت كريتشن حبا صادقا واراني الان على فراش الموت فغاية ما التمسه منك يا سيدي في هذه الساعة ان تتولى حماية كريتشن فان الاميرة من اهل الحقد والانتقام ثم اغمى على الجريح

وفي الوقت نفسه الذي جرت فيه هذه المبارزة كان الكونت دي بوفوازين مختليا مع الاميرة هيلانة في المنزل الذي وضعت فيه كريتشن مولودها فاقسمت لها لا تقتصر فقط على الصفح عن كريتشن بل انها ستتولى حمايتها وتحافظ على حبها وحب ابنتها فوثق الكونت بصدق كلام الاميرة

وهنا توقف [illegible] الاستراحة بعد ان قال

واأسفاه لو فقدنا ملك في ذلك اليوم من مخالب هذه الاميرة لبقيت عائشة الى الان

فذرفت الدموع من عيني اورور وقالت له اتم حديثك يا بنيامين

٣٥

وعاد بنيامين الى تتمة الحديث فقال ان الكونت دي وفوازين خدع باقوال البرنسيس كما خدعت انا

اما هولاء النسوة الثلاث اي الاميرة ووالدة لوسيان وتنوان النورية فقد اتفقن حتى بتن شخصا واحدا لا يعمل الا للانتقام

وكانت النورية تدير اعمالهن وقد بدأت بتنفيذ خطتها الجهنمية في اليوم التالي لولادة كريتشن

واما الاميرة فقد مرضت على اثر ما اصابها من الاضطراب ورات والدة لوسيان ان حياة هذه الاميرة باتت قصيرة فرات ان الزمن قد حان لتنفيذ مارمها بواسطة تنوان

وقد كان لهذه النورية نفوذ شديد على الاميرة لا سيما بعد صدقها باكتشاف خيانة الكونت فلم تكن الاميرة تخالفها في امر وكذلك والدة لوسيان فقد رات ان لهذه النورية فضلا عظيما عليها بما بلغت اليه من المنزلة لدى الاميرة وبما كانت تعد لها من اسباب الوصول الى غايتها فكانت تمتثل لها في كل ما تريد فباتت تلك النورية الامرة الناهية في الحقيقة وهي في الظاهر من الوصيفات

واما الكونت دي مازير فقد لبث شهرين وهو بين الموت والحياة غير ان شبابه وقوة بنيته تغلبا على الموت فشفي من مرضه وزال عنه الخطر

وكانت الاميرة قد غفرت له ذنبه بالظاهر وذهبت الى منزله فاقامت مدة الى ان زال الخطر فاخبرته بعزمها على الرجوع الى المانيا

وكان ملك بافاريا الشيخ قد توفي في خلال هذين الشهرين وخلفه احد اعضاء العائلة فاذن الاميرة باعلان زواجها السري بالكونت دي مازير

ومع ذلك فان الاميرة طلبت الى زوجها الكونت ان لا يعود الى مونيخ وان يتم معالجته في باريس

وكان ذلك بايعاز من النوزية لاغراض لها سوف تظهر

اما راوول فانه بعد ان جرح الكونت جعل يزوره في كل يوم حتى تمكنت الالفة بينهما وباح له الكونت باسرار قلبه فاخبره انه يحب كريستين حبا صادقا وان امراته مصابة بمرض قاتل فهو لا بد له من الزواج بكريستين متى قضي على زوجته وبات مطلق السراح

وكانت والدة لوسيان قد ادركت هذا القصد بفضل النوزية فرات انه لم يبق بد من وضع حاجز شديد بين كريستين وبين الكونت فانها تطمع بزواجه بعد موت الاميرة والتمتع بما يرثه من اموالها الطائلة

اما هذا الحاجز بينهما فقد كان الشفاليه دي مازير شقيق الكونت وهو من حجاب ملك بافاريا فان هذا الشفاليه وهو ابوك يا أورور كان يشبه

والدة لوسيان بالدهاء والمكر وتكران لجميل فان اخاه الكونت جاء به من باريس وعينه في منصب رفيع في بلاط الملك ودر عليه الارزاق بفضل الاميرة فكان جزاوه منه انه كان يكرهه ويحسده ويضمر له الشر في حين ان اخاه لم يكن يريد له الا الخير فاعتمدت والدة لوسيان على هذا البغض وجعلت الشفاليه حليفها على تنفيذ اغراضها

اما كريتشن فانها عادت بعد شهرين مع الاميرة الى المانيا فكفلت الاميرة بنتها وتعهدت بتربيتها فسرت كريتشن بهذه العناية الظاهرة وباتت تحتقر الكونت بعد ان تبين لها كذبه وعلمت انه زوج الاميرة فانصرفت بجميع اميال قلبها الى بنتها ولم تعد تكترث بشيء في الوجود ولو لا هذه الطفلة لاسترسلت الى الياس وانتحرت بعد ما تبتت لها خيانة الكونت

غير ان هولاء النسوة الثلاث اللواتي تعاهدن على الانتقام من هذه المنكوحة كان الفوز مضمون لهن عليها بفضل الشفاليه اخي الكونت

وقد تقدم لنا القول ان هذا الشفاليه كان يهوى كريتشن فلما ذاع خبر ولادتها وعلم ان اخاه قد اغواها زاد حقده عليه بقدر ما اشتد حقده على كريتشن وهذا اقصى ما كانت تتمناه والدة لوسيان

وقد ادركت النوبية منه ذلك الحقد والحنق فبات به يوما وقالت له ارى انك بت تكره كريتشن اليس كذلك

قال اني بت اكرهها بقدر ما كنت اهواها

قالت واخوك الكونت

قالت اني اكرهه ايضا فقد خدع الفتاة التي احببتها واغواها وهو من

المتزوجين

قالت اذا كنت تريد الانتقام فقد اعددت لك وسائله فان اخاك الكونت لا يزال يعشق كريتشن وهو يتوقع موت زوجته الاميرة ليتزوج بها

فتقدت عينا الشفاليه ببارق من الامل وقال لا احب الي الان من الانتقام

قالت اتريد ان تعذب كريتشن وتلقي اليأس في قلب اخيك

قال ماذا يجب ان اصنع

قالت انك على علو منصبك في بلاط الملك لا تزال محتاجا الى المال لفقرك و نت تعرف مقدار ثروة الاميرة فهي عازمة على ان تمنح كريتشن مهرا يبلغ مقدار دخله مائة الف فرنك في العام

قال اشترط في ذلك ان اتزوجها

قالت هو ذاك وحسنا تفعل يا سيدي فانك اذا تزوجتها على هذا الشرط تمتعت بمالها وانتقمت من اخيك الكونت الذي يسلبك من تحب ومن كريتشن التي تحتقرك وتجدك غير اهل لها فمتى ملكت زمامها انتقمت منها كما تشاء

قال اني راض بهذا الاقتراح على ما فيه من الحيف فان الانتقام مسرة الالهة

ثم افترقا فذهب الشفاليه وهو موطد عزمه على الاقتران وعادت النورية الى الاميرة ووالدة لوسيان فاخبرتها بما كان

وفي المساء جاء شقاليه الى قصر الاميرة فاجتمع فيه بكريتشن وقال لها ان الاخوان متكافلون متضامنون وقد اساء اليك اخي اساءة لا يستطيع اصلاحها فانا اتولى اصلاحها عنه كي لا ينال شرف بيت دي مازير بسوء . نك يا سيدتي لا نصير لك ولا معين لابنك ولا اسم لها فهل تريدين ان اكون لك زوجا ولابنتك ابا ونصيرا

وقد تلبس بلباس الخداع و تدفع يظهر من المرؤة ضروبا خدعت بها كريتشن وحسبته صادقا في ما يظهره من المرؤة والاخلاص فنظرت اليه وهي تبكي واجابته بمثل اخلاصه فقالت هيهات يا سيدي ان تجد في قلبي غراما فقد مات غرامه ولم يبق متسع فيه لغير الهم والحسرات

قال انك مسترسلة الى اليأس ايتها الحبيبة وانت لا تزالين في نضارة الحياة ومثلك لا تياس وقد احبها مثلي فساجلك اجلال العبادة واكون لابنتك خير والد فلا تجدين في عشرتي غير الهناء الدائم وانا لا اسالك غير ان ترضي بي زوجا كي اقيك واقي ابنتك غدر الزمن وحسبي بذلك غبطة ونعيما

فخدعت كريتشن بظواهر اخلاصه واخذت يده بين يديها فقالت انك شريف يا سيدي طيب السريرة فاني اذا كنت لا استطيع ان احبك فاني احترمك واجعلك من اسعد الازواج

وقد رضيت تلك المنكودة به بعلا فبدأت خطة التورية الهائلة تنفذ منذ ذلك الحين

وتزوجت كريتشن به فلما اعلن هذا الزواج وباتت كريتشن في

منزل الشفاليه جهرب الاميرة بانها لا تريد التخلي عن الطفاء وطلبت الى الزوجين ان يقيما في قصرها فرضي الاثنان وانتقلا الى القصر

وفي ذلك اليوم خرج من مونيخ فارسان وسافرا الى باريس وكان هذان الفارسان راوول والكونت دي بوفوازين فانهما كانا مختبئين في مونيخ للمحافظة على كريتشن حتى اذا علما بزواجها بالشفاليه قالا انها باتت زوجة لرجل نبيل فهو يتولى حمايتها عنا ولم يبق لنا شان في هذه العاصمة

وكان الكونت دي بوفوازين يحب كريتشن حبا عظيما فلم يره احد بعد ذلك في باريس

وقد تكاثرت الاشاعات عنه في ذلك العهد واختلفت الروايات غير ان الاكثرين كانوا على انه قنط لغرامه من الحياة فالتجأ الى احد الاديرة وانقطع لخدمة الله وهي الرواية الصادقة فان هذا الكونت هو الان رئيس هذا الدير الذي يدعى الاب جيروم ولا يدري بسره احد

اما الكونت دي مازير فانه شفي في هذه المدة من جرحه فعاد الى مونيخ وعلم هناك ان كريتشن باتت زوجة لاخيه فاسترسل في البدء الى الياس ولكنه لم يمر به عهد قريب حتى تناسى غرامه القديم

وقد كان مثلنا جميعنا واثقا بصدق الاميرة وعفوها عن كريتشن كما انه كان واثقا مثلنا ايضا ان اخاه الشفاليه يحبها وسيجعلها من النساء السعيدات

واما الاميرة فكانت لا تزال تقاوم ذلك الداء الذي كاد يؤدي بها

فاشار عليها الاطباء بالسفر الى ايطاليا فسافرت اليها مع زوجها الكونت وبقيت كريتشن في القصر مع زوجها الشفاليه فولدت منه بنتا وهي انت يا بالورور

وهنا توقف بنيامين هنيهة فمسح دمعة فتطرت فوق خده وعاد الى الحديث فقال ان الاميرة قد سافرت ولكنها تركت انتقامها في القصر

وذلك انها لم تكد تسافر حتى بدأ الشفاليه عذابها وبدأت التورية تسميمها ورفعت والده لوسيان نقاب الرياء والتدليس فجاهرت بعدائها

اما انا فلم اكن استطيع انقاذها من اولئك الظالمين وقد ذعرت ذعرا شديدا حين رايت امك قد اخذ منها الضعف والوهن فان تلك التورية الهائلة كانت قد سقتها سما هائلا يقتل ببطء بعد نزع طويل شديد

وكانت قد ولدتك في ذلك الحين فكانت اذا بتسمت لك نسيت الامها وعذابها واذا افتكرت باختك انقبضت نفسها فان الاميرة كانت قد اخذتها معها الى ايطاليا مبالغة في الانتقام

ومضى على ذلك عامان كانت امك تريد في خلالهما اضعافا اوخولا وياسا فان السم كان يفسد دمها والشفاليه يعذبها ويوعلها كل يوم بذكر زلتها مع اخيه ووالدة لوسيان لا تنفك عن نكايتها الى ان استفحل يأسها فدعتني اليها وقالت لي اني يا فرنتز مشرفة على الموت

فصحت صيحة ذعر لما رايت من دلائل ضعفها واشرافها حقيقة على الموت وقلت ماذا اصابك يا سيدتي

قالت انهم دسوا لي السم في المسم يا فريز وباتت ايامي معدوده فاتسم لي انك تسهر على بنتي من بعدي

فقاطعته اورور وقالت له اذن انت واثق ان امي ماتت مسمومه

قال كل الثقة يا سيدتي فان نزعها دام خمسة اعوام ثم اراحها الله من عذابها فاطفئت كما ينطفىء المصباح اذا فرغ منه الزيت

قالت ومن الذي دس لها السم

قال تنوان النورية

قالت اكان ذلك بموافقة الاميرة

قال بل بامرها وبامر والدة لوسيان امراة عمك

قالت وابي

قال انه كان يعلم بهذه المؤامرة وقد وافق على التسميم

فصاحت اورور عند ذلك صيحة هائلة وانقدت عيناها نارا فقالت انك مت يا امي ميتة الشهداء ولكن ابنتك ستنتقم لك افظع انتقام

٣٦

وساد السكوت هنيهة بين بنيامين واورور فكانت علائم الرعب والاشمئزاز بادية في وجه الفتاة

وكانت عيناها في البدء قد انقدحت بارق الانتقام فانذرت وتوعدت بالانتقام لامها

غير ان هذا البارق انطفأ فجاءة واصفر وجه اورور حتى باتت كالموتى ثم احنت راسها واطرقت بعينيها الى الارض وقالت كانها تخاطب

نفسها (راكنفني)

فقال لها بنيامين يجب عي الآن يا سيدتي ان اقص تتمة هذه الفاجعة المؤلمة

فقالت له بلهجة اليأس قل فاني مصغية اليك

قال ان امك يا سيدتي ادركتها الوفاة بينما كان الكونت دي مازير لا يزال في ايطاليا مع زوجته الاميرة

وقد حضرت ساعة وفاة امك وكنت وحدي عند سريرها فاعطتني هذين الكتابين مع الصندوق واقسمت لها ان اراقبك الليل والنهار وان احميك من كيد المعتدين

اما الارملة مرتا عمك التي تسكن الان هنا في قصر بربير مع ولدها لوسيان فكان لا يأتيها كتاب من ايطاليا حتى تختلج بعد تلاوته وتنقبض نفسها

ذلك انها كانت تتوقع في كل يوم ان ترد اليها اخبار السوء عن الاميرة لطمعها بزواج الكونت فان تلك الاميرة كانت قد سافرت وهي في حالة من الاعتلال تدعو الى القنوط

غير ان الله ابى ان تنفذ اماني رب اهل الشر فقضي على مطامع تلك الارملة وذهبت امالها السافلة ادراج الرياح فان الاميرة بدلا من ان يفتك بها الداء كما كانت تتوقع لها امرتا عمك افادها هواء البلاد وسماءها الصافيه فردت اليها الحياة وباتت كانها في اتم صحة وعافية

وبعد ثلاثة اعوام من سفرها عادت الى بلاط مونيخ فدهش اهل

البلاط حين رأوا تلك الاميرة الملولة عادت اليها نضارة الشباب فزادتها جمالا

وكان الكونت قد علم بموت كريتشن فبكاها بالسر اذ كان لا يزال في قلبه بقية من ذلك الحب القديم الذي هاجه الموت

وقد اعادت الاميرة معها ابنة كريتشن الاولى اي اختك

وكان الكونت غير عالم بحقيقة السبب في موت امك فلم يخطر له في بال انها ماتت مسمومة وان اخاه الشفاليه وامراة اخيه الميت والاميرة والنورية قد تفقوا جميعهم على قتل هذه المنكودة اذ لم يكن عارفا بهذا السر غير رجل وقد باح له به

قلت ومن هو هذا الرجل يا بنيامين

قال هو نا

قلت وماذا فعل الكونت بعد ذلك

قال ان هذه الجنابة حفرت هوة عميقة بينه وبين امراة اخيه فلم فلم تعد تكترث لصحة الاميرة اذ القيت ان الكونت لا يتزوج بها بعد ان غمست يدها في ذلك الدم الطاهر المفوك . ولم يكن يستطيع ان يعاقب احدا او ينتقم من احد فان الجميع كانوا بحماية الاميرة شريكتهم بالجريمة

ولم اعد اعلم شيئا مما جرى لهذه العصابة عصابة اللؤم والشر والفساد سوى ان الاميرة باعت كثيرا من املاكها ووهبت جانبا مما بقي لاسرتها وسافرت مع الكونت الى باريس تصحبها ابنة كريتشن الاولى اي اختك ابنة الكونت دي مازير

وقد اقامت مع زوجها عاما كاملا في باريس الى ان بنى الكونت قصر بوربيير الذي يقيم فيه الان الكونت لوسيان وامه فاقامت فيه مع زوجها والفتاة

ولم اعلم بعد اقامتهما فيه غير ما يعلمه جميع سكان هذه النواحي

قالت اتعني بذلك احتراق القصر بساكنيه

قال نعم غير اني اخالف الناس فيما يزعمونه من احتراق الفتاة ايضا واسباب هذا الحريق

قالت ما هي اسبابه

قال لقد ارتاى كثيرون ان النار قد شبت في القصر قضاء وقدرا وعندي انه لم يكن للقدر يد في هذا الشان بل ان الكونت قد احرق القصر عمدا بعد ان سجن نفسه مع الاميرة في غرفة بابها من الحديد كي لا يستطيعا كسره والهرب من النار

قالت اذن لقد مات منتحرا

قال ومنتقما ايضا فان الاميرة لم تنس اساءته اليها حين عشق كريتشن وهو لم ينس فظاعة انتقامها من كريتشن لسلبها بنتها وقتلها بالسم فكانت يحاول الانتقام منه بكل ما تفتقه الحيلة لامثالها من نساء الشر حتى يأس منها ومن الحياة وهاجت في نفسه كوامن الانتقام للشر فاحرقها واحرق نفسه بالنار

قالت والفتاة

قال انقذها راوول

قالت اتظن ذلك اكيدا

قال بل اوكده فان راوول قد زار الكونت في القصر قبل احتراقه والان فاعلمي ياسيدتي فان اباك الشفاليه ووالدة لوسيان امراة عمك كانا لا يزالان في مونبنخ حين مات الكونت والامبرة فانما اتصل بهما موتهما اسرعا الى فرنسا كي يقتسما ما خلفه الكونت فلم يجدا بعد البحث والتنقيب شيئا من المال النقد ولم يقتسما غير القصر والاراضي

على انه اشيع انه يوجد صندوق يحتوي على ثروة عظيمة من الاوراق المالية فبحثا عنه بحثا مدققا فلم يعثرا به

وعند ذلك وقع الخلف واشتد النفار بين ابيك وامراة عمك فكان ابوك يتهم امراة عمك انها سرقت الصندوق كي تبقى الثروة كلها لابنها لوسيان وهي تقسم الايمان المغلظة ان اباك السارق والحقيقة ضائعة بين الاثنين فان كليهما بريء من السرقة

قالت ولكنك تقول ان الصندوق موجود

قال نعم وقد جعل ما فيه من المال مهرا لاختك ولكني لا اعلم اين هو الصندوق واين هي اختك

قالت ولكني اعلم اين هي اختي

فدهش بنيامين وقال لها بصوت مضطرب حنوا اواثقة يا سيدتي ان اختك لا تزال في قيد الحياة

قالت كل الثقة فقد رايتها

قال ولكن اين

قالت على بعد مرحلتين من هنا في دكان البيطري المقيم عند باب الدير

فارتعش بنيامين وذكر ما كان يتحدث به الناس في شان هذه الفتاة المقيمة عند البيطري وشدة تبيان الاقوال فيها ولكنه لم يكن رآها فانه لم يكن يخرج من المنزل الا للتنزه في الحديقة ولا يعرف احدا من سكان الضواحي

اما اورور فقد باتت واثقة ان حنة اختها فقالت لبنيامين يجب ان تتخذ اليوم حجة تمهد لك مبارحة القصر

قال ساجد هذه الحجة

قالت ومتى تذهب وجدتها توا الى الدير وتدخل الى دكان ذلك البيطري

قال وبعد ذلك

قالت ترى تلك الفتاة التي يربيها داغوبير فترى امي انها بعينها لا تختلف عنها في شيء

قال كيف تعرفين ذلك وانت لا تعرفين امك

قال انها تشبه هذه الصورة المرسومة في هذه المدالية اما هي صورة امي

قال دون شك ولكن هل انت واثقة من وجود هذا الشبه

قالت لا سبيل الى الريب فاني قد رايت الفتاة ولا تزال صورتها مطبوعة في ضميري

قال متى رايتها

قالت امس مساء فلما فتحت هذا الصندوق الذي اعطيتني اياه ورايت هذه الصورة في المدالية دهشت للشبه بينهما حتى حسبت في البدء ان هذا الرسم رسم ربيبة الدير

قال رباه ايمكن ذلك ان يكون

فنهضت عند ذلك اورور وذهبت الى النافذة تستنشق الهواء العليل فان النجوم كانت قد اصفرت في الافق لاشعة الفجر المتألقه

وكانت السكينة سائدة فانصرفت اورور الى التامل وتاهت في مهامه التفكير وبنيامين واقف وراءها يحترم تاملها ولا يكلمها بحرف

وبعد هنيهة عادت من النافذة فجاءة الى بنيامين فاخذت يده بين يديها وقالت له ان الطبيعة ساكنة والسكوت سائد ولكن قلبي تثور فيه العواصف. ان البنت لا تنتقم من ابيها يا بنيامين ولو كان قاتل امها ولكنها تنتقم من الذين اشتركوا في هذه الجريمة الهائله

قال ماذا تقصدين يا سيدتي

قال الم يكن لابي شركاء في هذه الجريمة

قال هو ذاك بل قد كان ذنبه اخف من ذنبهم فان الذي كاد هذا الكيد والدة لوسيان

قالت ستنال حظها من العقاب

قال والتي دبرتها تنوان الفوريه

قالت وهذه ساسحقها سحق الزجاج ولكن يجب قبل كل شيء ان انقذ اختي

قال العلها في خطر

قالت في خطر عظيم فان ابن عمي لوسيان يحبها واخاف ان يقضي هذا الحب الى ما لا تحمد عقباه

فارتعد بنيامين وقال كلا كلا ان هذا لا يكون . اما ابن قاتلة الام لا يمكن ان يهوى ابنتها

قالت هو ذاك فساتولى اختي بحمايتي فلا يمسها طامع باذى ولا تنالها يد الاشرار

وعلى ذلك فقد اصبح للوسيان اربعة اعداء يحولون دون زواجه بحنه وهم الاب جيروم وداغوبير وبنيامين واورور

وعند ذلك قال لها بنيامين اواثقة انت من الشبه بين ربيبة الدير وبين امك

قالت انك سترى بعينيك وترى ما ربت

وهنا قطع حديثهما صوت جرس خرج من غرفة الشمالية او والد اورور وكان الدق عنيفا فاسرع بنيامين ليرى ما جرى له واخذت اورور صورة امها حين كانت في العشرين من عمرها فجعلت تقبلها وتذرف الدموع

تمت رواية ربيبة الدير وهي الجزء الاول من ام روكامبول
ويليها الجزء الثاني بعنوان { الكنز الدفين }
وهي تتضمن بقية ما جرى للاختين
ودهاء (ام روكامبول)
العجيب وكثيرا من
الوقائع المدهشة

وقد رسمنا بقلم اشهر المصورين حوادث هذه الرواية الهائلة
في جميع اجزائها وطبعناه على ورق خاص صقيل
كي تكون حوادثها اعلق بالاذهان
فعسى ان تحل خدمتنا هذه
من حضرات القراء
محل الرضي
والقبول

رواية
ام
رُوكَامبُول

الجزء الثالث

الكنز الدفين

تاليف

بونسون دي تيرايل

تعريب

طانيوس عبده

احد صاحبي جريدة الشرق

ورئيس تحريرها

المطبعة التجاريه جريدة الشرق سنة ١٩٠٦

رواية

ام روكامبول

الجزء الثاني

الكنز الدفين

١

هذه الرواية هي الجزء الثاني من رواية ام روكامبول تقدمها الجزء الاول بعنوان ربيبة الدير وقد بسطنا فيه مقدمات هذه الرواية الهائلة فتركنا الاب جيروم ينتظر عودة داغوبير بالاذن من الرئيس العام بالسفر الى باريس للبحث عن صندوق الاوراق المالية وتركنا داغوبير اسيرا في ايدي خدم الشفاليه ذلك الصديق الكاذب بعد ان نصب له ذلك الفخ في طريق الغابة واصطاده صيد الثعالب . وتركنا لوسيان وقد اقبل الى منزل داغوبير يريد اختطاف حنة فذعر حين راى ربيبة الدير جالسة في دكان الحداد مع ابنة عمه الكونتس اورور يتحدثان دون كلفة . وتركنا والدة لوسيان تعلل النفس بالحصول على الكنز الدفين بموافقتها على زواج ولدها بربيبة الدير بعد ان وقفت على حقيقة امرها والنورية تدبر هذه الحوادث بقريحتها الجهنمية واخيرا تركنا بنيامين يسرع مهرولا الى غرفة والد اورور وقد قطع صوت الجرس العنيف حديثه مع الفتاة

كان الشفاليه دي مازير مصابا بداء النقرس وكان يلقي الاماش ديدا

من هذا الداء تغلبت على لب نفسه فلم يقرعه ضمير منذ ستة عشر عاما اي منذ ارتكاب تلك الجريمة وقتله امراته بالسم

وكان يرى ابنته اورور تشب وتنمو فتنمو فيها اميال القسوة والكبرياء والفتك بالضعيف فينشرح صدره ويقول انها بنت ابيها

غير انه راى ان اورور قد انقلبت فجاءة من حال الى حال وكلمته بلهجة تدل على الجراة عليها وعدم المبالاة بحنه الابوي لانها ارادت ان تعرف اسباب النفرة بينه وبين امراة عمها فكان يفتكر بجراتها فتنقبض نفسه وتشغل باله ويقول ان هذا الانقلاب الفجائي لم يحدث في نفسها عبثا

وكان يتالم تلك الليلة الاما شديد وينادي بنيامين فلا يجيب فيزيد اضطرابه اذ كان يعلم ان بنيامين يقيم في الغرفة المجاورة لغرفته ولم يتاخر مرة عن تلبيته حين كان يناديه فاشتدت ريبته وقال في نفسه ان هو وما باله لا يجيب العله يحادث اورور

وعند ذ ك حاول النهوض من فراشه بغية الاستكشاف ولكنه لم يمش خطوتين حتى غلبه الضعف والالم فعاد الى السرير واقام فيه بليلة المسوع الى ان بزغ الفجر فخف ما عنده وتمكن بعد الجهد من الوصول الى حبل الجرس فقرعه ذلك القرع العنيف

اما بنيامين ذلك الخادم الشيخ الامين فانه حين سمع صوت الجرس بادر مسرعا الى غرفة سيده الشفاليه فبادره باللوم والتعنف ثم قال له من انت قادم

قال كنت في هذه الليلة متوعك المزاج فخرجت الى البستان

وقضيت ليلتي فيه

قال واين ابنتي اورور

قال انها نائمة دون شك فان الساعة لم تبلغ السادسة بعد

وكانما جواب الخادم قد اقنعه وازال ما كان عنده من الشك فقال له اني اريد يا بنيامين ان تذهب في الحال الى قرية الغرام فقد قيل لي انه وجد فيها طبيب ماهر بمعالجة التترس فأتني به

قال ساذهب يا سيدي لفوري وارجو ان تنال بطبه ما ارجوه لك من الشفاء

قال ان هذا الطبيب يدعى الاب جاكوب وهو شيخ قد يستصعب الانتقال فادفع له من المال قدر ما يشاء بشرط ان ياتي في الحال

قال اني ذاهب الان ثم خرج من عنده فعاد الى غرفة اورور فوجدها لا تزال تنظر الى صورة امها وتبكي فقال لها لم اعد محتاجا الى اختلاق الاعذار للخروج من القصر فان اباك امرني بالذهاب الى الغرام وانا ذاهب الان

قالت اذن ستخرج على الدير وتمر بدكان داغوبير فترى ربيبة الدير فيها وتوقن من صدق ما قلته لك

قال هو ذلك يا سيدتي بل ساذهب توا لاراها ثم تركها فامتطى جوادا وخرج من القصر الى الغابة وبعد ساعة كان عند باب الدير فنظر الى دكان داغوبير فراى انها مفتوحة وراى على بابها فتاة يدهش جمالها الابصار فدنا منها وافتتح معها الحديث بحجة سوالها عن الطريق الى قرية

الغرام ولكنه لم يكد يتبين وجهها حتى جعل يضطرب لما رأى من الشبه العجيب بينها وبين كريستين

وعند ذلك اخذ يتدرج معها بالحديث وقد سره ارتياحها الى حديثه وعدم نفورها منه

وكانما حنة قد ذكرت ذكرى بعيدة حين رأته بملابس الفرسان فقالت له بصوت يضطرب اراك يا سيدي تسأل عن طريق القرية فهل هذه المرة الاولى التي تمر بها من هذا الطريق

قال نعم

قالت احق ما تقول

قال دون شك فلماذا تشكين بقولي

قالت اسالك العفو يا سيدي فقد خيل لي حين رايتك في البدء اني فرقتك من قبل ثم انحنت امامه وحاولت الدخول الى الدكان

فاستوقفها بنيامين وقال لها من هو الذي اشبهه ايتها الحسناء

قالت انك تشبه رجلا عرفته منذ عهد طويل اي منذ ثمانية اعوام فلما رايتك قادما على جوادك خفق قلبي وخيل لي اني ارى ذلك الرجل الذي كنت ادعوه عمي وقد رايته هنا اخر مرة

فارتعش بنيامين ونظر الى ما حواليه فراى الطريق مقفرة وباب الدير مقفلا فقال لها اهنا رايته اخر مرة

قالت نعم

قال وكيف تركك هنا

قالت لا اعلم اني كنت صغيرة جدا في ذلك العهد فلا اذكر الا ان هذا الذي كنت ادعوه عمي قد سار بي على جواده ليلة وكنت ارى السماء حمراء

فقال لها بنيامين اتذكرين انك رايت احمرار السماء

قالت نعم وكنت اسمع ايضا دق الاجراس من مكان بعيد ثم اشتد البرد فلقني عمي بوشاحه فلم اعد ارى شيئا حتى وصلنا الى هذه الدكان فانزلني عمي عن الجواد ووضعني قرب النار للاستدفاء ولم اعد اذكر شيئا بعد ذلك فاني نمت فلما استيقظت وجدت داغوبير ينظر الي نظرات ملؤها الرفق والحنان

قالت من هو داغوبير هذا

قالت هو صاحب هذه الدكان وهو ولي امري واني احبه كما يحب الولد اباه

فقال لها بنيامين يسوءني يا سيدتي اني لست عمك واني لست انا الذي جاء بك الى هذا المكان ثم ودعها فجاءة وانصرف وهو يقول في نفسه لا شك انها هي بعينها ابنة كريستين واخت اورور فان ذلك الاحمرار الذي رائه في السماء انما كان لهيب النار المتصاعد من قصر وربير وذلك الرجل الذي جاء بها الى داغوبير انما كان راوول

وواصل سيره حتى وصل الى الغرام فدعا الطبيب الى عيادة الشفاليه دي مازير وعاد القصر

وكانت اورور واقفة في النافذة كانها تنتظر عودته فلما رائه اسرعت

اليه وقالت له ماذا رايت

فاجابها بلهجة شفت عما كان بداخل قلبه من السرور (انها هي وقد وجدنا ضالتنا المنشودة)

٢

وقد خطر لاورور ان تذهب لمنزلها الى اختها غير ان بنيامين منعها وقال لها ان ختك لم تودع عند هذا الحداد دون سبب خطير تعلمين هذا السبب

فاطرقت بعينيها الى الارض وقالت انهم خافوا دون شك ان يصنع بها ابي وامرأة عمي ما صنعاه بامي

قال هو ذلك ولا بد ان تكوني عرفت الان اين هو الصندوق المحتوي على ثروة اختك فانه كما ترى لدى الذين اودعوا عندهم اختك وهم سيردون اليها ثروتها دون شك

قالت اتظن انه مودع عند داغوبير

قالت كلا بل ارى انه عند رئيس الدير الم اقل لك حين رويت لك تاريخ امك انه في اليوم التالي لزواجها باليك غادر الكونت دي بوفوازين وراوول مونيخ

قالت نعم

قالت الم اقل لك ايضا ان الكونت دي بوفوازين لم يعد الى باريس بل قصد لغرامه بامك وذهب الى الدير

قالت نعم وماذا يفيد ذلك

قال ان هذا الكونت هو الذي يدعى الان الاب جيروم اي رئيس هذا الدير ولا شك ان راوول اودع عنده اختك فاودعها هو عند داغوبير لان قوانين الدير لا تؤذن بدخول النساء اليه ولا شك انه اودع عنده الثروة ايضا

قالت اذا كان ذلك فلا خوف عليها

قال اصغي الي يا أورور اني رايت دموعك تتساقط حين كنت تقرين كتاب امك وانا موقن الان ان اخلاقك قد تغيرت وان روح امك الطاهرة قد حلت فيك ولذلك بت واثقا من انك ستعاملين اختك بمنتهى الرفق والحنان

قالت بل اسفك دمي في سبيل حمايتها وصيانة هنائها

قال اذن لا تذهبي الان الى الدير و صبري الى الغد كي نتمعن في الامر اما انا فاني داخل الان الى غرفة ابيك كي اخبره بقرب قدوم الطبيب

ثم تركها وانصرف وبعد هنيهة اقبل الطبيب فادخله بنامين الى الشفاليه ففحصه وقال له اني طالما شفيت كثيرين من هذا الداء وانا موقن من شفائك اذا رضيت ان اسقيك عقارا تنام بعد شربه يوما وليلة

قال كيف لا ارضى فاني منذ ثلاثة ايام لا اعرف طعم الرقاد

قال اذن سابدأ تركيب المخدر ثم فتح حقيبة فاخرج منها زجاجة تحتوي على سائل اخضر اللون فصب منه بضع نقط في كاس ومزجها بالماء ثم دفع الكاس اليه فشربه الشفاليه ولم يبق فيه بقية

وقد احدث له هذا الشراب تاثيراً عجيباً فانه لم يكد يستقر في جوفه حتى سكنت الامه وانقطع صياحه وحاول ان يتكلم فعقد لسانه ثم احلق جفنيه ولم يعد يشعر بشيء

فذعر بنيامين لما رآه من تأثير هذا الشراب وقال له اخشى ان يكون قد قضي عليه

فقال له الطبيب كلا فانه مخدر لا يشعر شاربه بشيء وانما خدرته كي استطيع ان اضغط على اعصابه بعنف تقتضيه المعالجة فلا يشعر بالم

قال وماذا تنتظر ان تكون نتيجة هذا الضغط

قال الشفاء

وكانت لهجة الطبيب تدل على الثقة فلم يعترضه بنيامين في شيء

اما اورور فانها بعد ان قرات كتاب امها وعلمت جريمة ابيها على فؤادها ذعرا وانفت من ذلك الاب حتى انها لم تستطع الدخول الى غرفته حين كان يعالجه الطبيب

فلما اتم الطبيب معالجته انصرف على ان يعود في اليوم التالي وغادر الشفاليه وهو نائم بفعل ذلك المخدر نوم الاموات ودخلت اورور بعد انصرافه الى غرفة ابيها فوجدته نائما على فراشه لاحراك فيه فنظرت اليه نظرة احتقار وقالت بصوت ابح ايكون هذا قاتل امي ثم يكون ابي

فقال لها بنيامين انه اذا لم يكن قد قتلها بيده فقد اذن للقتلة ان يقتلوها

فقالت بلهجة اليأس ربه ايمكن انا اكون ابنة هذا الرجل . ثم نظرت الى بنيامين وقالت له انك حين ذهبت في صباح اليوم الى القرية لدعوة

الطبيب جثوت على ركبتي وسألت الله ان يغفر لي ما ارتكبته من العنف مع الفلاحين المنكودين وتوسلت الى روح امي الشهيدة ان توحي الي الخطة التي يجب ان أنهجها فاجابتني روحها بصوت خفي اخترق اعماق نفسي

قال ماذا اجابتك يا سيدتي

قالت ان الفتاة لا تستطيع معاقبة ابيها ولكن يحق لها ان تفترق عنه

فقلق بنيامين لكلامها وقال ماذا عزمت ان تصنعي

قالت ان اعد معدات الرحيل ونسافر معا في مساء غد

قال الى اين تزمعين السفر

قالت نذهب في البدء الى دكان داغوبير فارى فيها اختي واخبرها

قال واقنعها على السفر معنا

بحكاية امنا ولكن الى اين

قالت الى باريس فان هذه العاصمة متسعة نستطيع الاختفاء فيها عن ابي وامراة عمي وفوق ذلك فان ابي لا يحاول البحث عني

قال لماذا

قالت لاني ساكتب كتابا اخبره فيه اني علمت كل شيء فان الاب مهما فسدت اخلاقه لا يطيق احتقار ابنته اياه

وقد انتهى حديثهما عند هذا الحد فافترقا وذهب كل في شانه

وفي صباح اليوم التالي دخل بنيامين الى غرفة الشفاليه فوجده لا يزال نائما وهو لا يتحرك كانه ميت فخشي ان يكون قد قضي عليه فوضع اذنه فوق قلبه فشعر بنبض خفيف وعلم انه لا يزال نائما نوم تخدير

ثم جاء الطبيب فعالجه وانبأهم انه سيبقى نائما الى الصباح وبعد ذهابه اجتمعت اورور ببنيامين فقال لها انك اذا كنت لا تزالين عازمة على السفر فخير لنا ان نسافر اليوم

قالت وهذا الذي خطر لي ولكن اتظن ان حنة توافق على السفر معنا في الحال

قال لا اعلم

قالت اذن ساذهب اليها فاري ما يكون منها واذا لقيت داغوبير اخبرته بما يتهددها من الخطر

قال انك تحسنين صنعا فان امراة عمك لا بد ان تكون مهتمة بها بعد ان علمت ان ابنها لوسيان جريحا وهي لا بد لها ان تراها فاذا رات تلك المشابهة العجيبة بينها وبين امها هاجت فيها عوامل الشر وبلغت منها ما بلغته من امها

قالت لقد اصبت يا بنيامين وهاانا ذاهبة في الحال و ليفعل الله ما اراد

ثم امرته ان يذهب فيعد لها جوادا فانصرف ممتثلا وبقيت وحدها عند سرير ابيها

٣

يوجد امر لم يطلع الطبيب عليه بنيامين بل ربما كان هو نفسه لا يعرفه وهو ان هذا المخدر الذي جرعه الشفاليه وانامه به لم ينم كل حواسه كما كان يظن بنيامين

فان الجسم قد تخدر تخدرا تاما فلم يعد يشعر بشيء وعيناه اطبقتا

فلم يعد يستطيع فتحهما وعقد لسانه فلم يعد يستطيع الكلام ولكن حاسة السمع بقيت منتبهة منه فكان يعقل كل ما يسمعه

فليتصور القارىء مقدار ما اصاب الشفاليه حين كان بنيامين واورور يتكلمان بحرية عند سريره وهو يسمع فلا تفوته كلمة من الحديث

وقد كان في الصباح مشككا بعض الشك اما الان فقد بات واثقا كل الثقة ولم يعد لديه ريب ان بنيامين اخبر اورور ان امها ماتت مسمومة وان ورور باتت بعد ذلك تحتقره وتخافه

وقد بقي نحو ثماني ساعات في اشد المواقف بعد ان علم هذه الحقيقة الهائلة فانه كان يحب ابنته حبا شديدا فكاد يجن من يأسه حين سمع ما دار من الحديث بينها وبين بنيامين

ثم انه سمع ان ابنته قد اتفقت مع بنيامين على الفرار وانها ستذهب الى دكان داغوبير لاقناعها اختها على السفر معها فعلم من هذا الحديث امرا لم يكن يخطر له في بال وهو ان حنة لا تزال في قيد الحياة فقال في نفسه ما زالت هذه الفتاة حية فلا شك ان اباها الكونت دي مازير قد اهتم بها ولا شك ان هذه ثروة التي طالما اتهمت والدة لوسيان واتهمتني باختلاسها موجودة عند الذين يتولون تربيتها بالخفاء وانها مهر لها

وهنا تغلب حب المال فيه على ما كان لديه من الذعر فنسي ما كان يخشاه من فرار بنته واحتقارها وجعل يفكر في امره وبعد مناهج هائلة كان منها قتل بنيامين اذ كان يعتقد انه اعظم حائل بينه وبين رضى بنته فقد قال في نفسه ان ابنتي لا تزال في مقتبل الشباب وهي رقيقة الفؤاد سليمة

الطوية فاذا قصصت عليها حكاية امها والقيت جميع التهمة في قتلها على والدة لوسيان وبالغت في اظهار الحنو عليها رق قلبها وعادت الى احترامي فاجيء باختها الى منزلي واظفر بمالها قبل ان يخطر لوالدة لوسيان البحث عنه

وكان يعلل نفسه بهذه الاماني وهو شاعر ان ابنته لا تزال عند سريره

وبعد هنيهة عاد بنيامين فقال لها اني احدثت لك الجواد

قالت حسنا وها انا ذاهبة

قال ولكن يجب يا سيدتي ان تعودي قبل الصباح

قالت لماذا

قال لان الطبيب اخبرني انه سيستفيق قبل الفجر فيجد نفسه معافي

قالت ماذا تريد بذلك

قال اريد انه يستطيع عند ذلك ان ينهض من فراشه فيذهب ويجيء ويتجول في القصر حسب عادته فاذا خطر له ان يراك فماذا اقول له

قالت قل له اني لا ازل نائمة

قال واذا ذهب الى غرفتك

قالت لقد اصبت فانه يدخل الى في بعض الاحيان ثم فكرت هنيهة وقالت اين قل له اني خرجت للنزهة في البستان

ثم تركته وانصرفت فبذل الشمالية جهدا عنيفا كي يستفيق فلم

يستطيع فذكر ذعرا شديدا وبات مثله مثل من يدفن حيا وهو مغمى عليه فيستفيق فيجد نفسه في ظلمة القبر لا يستطيع الخروج منه فان جسمه الميت كان يضم روحا حية فكان هذا الجسم بمثابة سجن لتلك الروح

وكان بنيامين واقفا عند سريرة فكان الشفاليه يشعر به ولا يستطيع ان يفتح عينيه ليراه فيزيد حقده عليه فان هذا الخادم الشيخ اقام في منزله خمسة عشر عاما كان يخافه في خلالها اشد الخوف فانه لم يكن عنده بصفة خادم بل كان منفذ الوصية كريتشن فكان شبه قيم على ابنته اورور وعند ذلك عزم عزما اكيدا على قتله اذ لا يتم له فوز وهو في قيد الحياة وقد ولدت له فكرته الجهنمية للفور طريقة مضمونة لقتله

ثم دنا موعد استفاقته فشعر ان الحرارة قد دبت في جسمه فتبدل اصفرار وجهه بالاحمرار وتنهد

وقد سمع بنيامين تنهده فارتعش لان اورور كانت قد ذهبت منذ ساعة فقط وهي لم تكد تصل الى الدير

اما الشفاليه فانه فتح عينيه فجاءة بعد تنهده واجال في الغرفة نظرا حائرا حتى استقر على بنيامين فقال له ابن انا

قال انك في سريرك يا سيدي فكيف انت الان

فتكلف الشفاليه هيئة الانذهال وقال له اهذا انت يا بنيامين .. قل لي هل كنت نائما

قال انك نمت يا سيدي عدة ساعات وارجو ان تكون قد شفيت

فتوجع الشفاليه وقال ارى ان الامي قد زادت وهي لا تطاق ثم

تظاهر انه يريد الجلوس في سريره فلم يكد ينهض حتى سقط وعاد الى الشكوى والانين

فقال له بنيامين اراك باقيا على ما كنت عليه في حين ان الطبيب يدعي انه شفاك

فقال له بلهجة الغضب انه هو طبيب ابله ... ان هي اورور ..

اواه انها لو كانت هنا لافادتني افادة جليلة ولكنها نائمة دون شك

فقال له نعم انها نائمة وقد قال له ذلك لما رآه من ظواهر المله وانه لا يستطيع النهوض

ثم قال الى اي شيء يحتاج سيدي وما الذي تستطيع خدمتك به اورور ولا استطيعه انا

قال لا اعلم .... ان اورور تعرف موضع الزجاجة .... اما انت

قال اية زجاجة

وكان الشفاليه معلقا في عنقه مفتاحا فاعطاه اياه وقال له افتح بهذا المفتاح هذه الخزانة تجد داخلها زجاجات كثيرة اذهب وافتحها فاني ادلك

فامتثل بنيامين وفتح هذه الخزانة فراى الزجاجات التي اشار اليها وقال له ايها تريد

قال يوجد في الصف الاول زجاجة صغيرة فيها سائل ازرق اذا شربت منه جرعتين او ثلاثا سكنت الامي فابحث عنها

﴿ الشفاليه يرفس بنيامين بعد ان قتله بالسم ﴾

فوضع بنيامين يده على الزجاجة الموصوفة وقال له اهذه هي

قال لا اعلم اني لا ارى فافتحها

فاخذ بنيامين الزجاجة وادناها من نظره على نور المصباح فقال انها تحتوي على سائل ازرق كما وصفت

قال دقها فاذا كان طعمها مرا فهي زجاجة الدواء

ففتحها بنيامين ووضعها على فمه فجرع منها جرعة دون حذر فانقدت عينا الشفاليه ولم يكد بنيامين يجرع جدعة من هذه الزجاجة حتى صرخ وسقط على الارض صريعا

فضحك الشفاليه ضحك الساخر وقال لا يخطىء من يكون عنده حامض البريسيك فانه اسرع السموم الى القتل

وعند ذلك انتفض وقد ذهبت الآمه فوثب من سريره الى الارض وثبة الغلمان فرفس برجله جثة هذا الشيخ الامين وقال لقد قتلته الان وبقي علي ان اخفي اثره قبل عودة اورور

٤

قضي على بنيامين ولم يعد الشفاليه يخافه ولكن بقي عليه ان يهتم بجثته فانه لو تمكن من اخفائها فلا بد لخدام القصر والناس ان يتساءلوا عن سبب اختفائه

وقد كان ول ما صنعه انه قفل باب الغرفة من الداخل كي لا يباغته احد ثم انه كان في حاجة الى التامل كي يجد طريقة للتخلص منه

وكان يعلم ان ابنته اورور قد ذهبت الى دكان داغوبير منذ ساعة

فهوا من مباغتتها وكان سقوط بنيامين قد احدث دويا فصبر هنيهة بعد ان اقفل الباب كي يعلم اذا كان قد سمع الخدم هذا السقوط فلم يحضر احد فدأ يفحص زجاجة السم فوجد انها لم تنكسر حين سقطت من يد بنيامين فانها سقطت فوق سجادة كثيفة وسال منها بعض نقط فوق السجادة

فاخذ كبريتا فاشعله واحرق موضع تلك النقط اخفاء لاثارها وترك النار تشتعل فيها لوثوقه انها لكثافتها ولان خيوطها من الصوف لا تكون سريعة الاشتعال كغيرها من المواد بل انها تمس عسا وقد يمضي بها ست ساعات قبل ان تتصل نارها الى ما يجاورها من الاثاث

ولم يكن ذلك القصر الذي يقيم فيه من القصور القديمة اي انه لم يكن فيه اقبية سرية وآبار عميقة يمكن اخفاء الجثة فيها وفوق ذلك فانه اذا تمكن من حملها واخفائها فانه يعرض نفسه لخطر شديد اذ قد يتفق ان يراه احد الخدم فيفتضح امره

ولذلك راى بعد الامعان والتفكر ان خير طريقة لاخفاء الجريمة ان يوهم اهل القصر انه مات فجاءة وذلك ان هذا النوع من السم الذي قتله به لا يترك اثرا بعد الموت من انتفاخ او تورم او سواد في البشرة الى غير ذلك مما يظهر من اعراض التسمم بحيث لا يستطيع ان يعلم بانه مات مسموما غير الاطباء ولا يوجد اطباء في الناحية التي كان يقيم فيها الشفاليه فانها كانت شبه عزبة

ولما اقر على هذا الراي حمل جثة هذا الشيخ المنكود فاجلسه على

كرسي جلوس طبيعيا واحنى راسه الى الوراء وابعده عن سريره كي لا يخطر في بال احد ان يد الشفاليه قد وصلت اليه

وبعد ان تم جميع ذلك ذهب الى الباب ففتح قفله من الداخل واغلقه اغلاقا بسيطا ثم عاد الى سريره فاضطجع على الشكل الذي كان مضطجعا فيه حين كان نائما نوم تخدير

وكانت الساعة العاشرة ونصف والسجادة تحترق دون ان يخشى من اتصال نيرانها بالاثاث الا بعد احتراقها بجملتها

وقد كان ما يتوقعه الشفاليه ان بنيامين ينزل عادة كل ليلة الى المطبخ عند انتصاف الليل للاكل فان لم يره الخدم تساءلوا عن غيابه وبحثوا عنه الى ان يجدوه واذا اتفق انهم لم يكترثوا له فانهم سيرون الدخان المنبعث من احتراق السجادة فيسرعون الى مكان الدخان فيجدون بنيامين ميتا والشفاليه نائما نوم تخدير فتزول عنه الشبهة

وقد صح ما توقعه فانه بعد انتصاف الليل قلق الخدم على بنيامين لعدم حضوره حسب عادته فظنوه مريضا فصعد واحد منهم الى غرفته فلم يجده فيها فعاد الى رفاقه فاتفقت اراءهم على انه لا يزال في غرفة الشفاليه وانه لم يتمكن من ايقاظه

وفي الساعة الاولى بعد انتصاف الليل بدات علائم القلق تبدو على وجه الشفاليه فان الدخان ملاء الغرفة ولم يحضر احد من الخدم فخاف سوء المصير

ولكنه لم يلبث ان سمع وقع اقدام قرب باب غرفته ثم سمع صوت

قرع الباب فاطبق عينيه وعاد الى التظاهر بالنوم

وكان طارق الباب خادم الصيد فلما رأى انه لم يجبه احد خاف ان يفتح الباب وعاد الى الخدم فاخبرهم بما اتفق فصعدوا جميعهم ورأى احدهم الدخان يخرج من نافذة الغرفة فارشد رفاقه الى الخطر فلم يجدوا بدا من فتح الباب

وعند ذلك فتحه احدهم ودخل فدخل الاخرون في اثره

وقد ذعروا لما راوه من تكاثف الدخان فاسرعوا الى النوافذ ففتحوها وجعلوا يصيحون النار النار فما مضت هنيهة حتى غصت تلك الغرفة بجميع سكان القصر فعلموا جميعهم ان بنيامين ميت وراوا ان الشفاليه لا يزال في الغيبوبة

وقد بداوا باطفاء النار حتى اذا انتهوا من اخمادها فحصوا بنيامين فلم يشك احد منهم انه مات موتا فجائيا

اما الشفاليه فانه تجلد تجلدا عجيبا فلم يفتح عينيه في جميع تلك المدة حتى خشي الخدم ان يكون قد مات

وعند ذلك دنا واحد منهم من سريره فوضع يده فوق قلبه فشعر انه ينبض فاطمأن وطمأن رفاقه غير انهم كانوا جميعهم متأثرين اشد التأثر لوفاة بنيامين فانهم كانوا مجمعين على حبه واحترامه واعتباره بمثابة والدهم

ولما ثابوا الى رشدهم عادوا الى الاضطراب والقلق على الكونتس اورور فانها لم تكن قد عادت بعد في حين ان الفجر اوشك ان ينبثق

ثم نقلوا بنيامين الى غرفته فوضعوه في سريره وعادوا الى الشفاليه

فجعلوا يدعكون صدغيه بالخل وينشقونه الروائح المنعشه الى ان رى انه لم يبق فائدة من المظاهرة بالنوم ففتح عينيه واظهر انذهالا عظيما لاجتماع الخدم من حوله ولما اخبروه بموت بنيامين تظاهر بالذعر واليأس حتى ان اولئك الخدم خافوا ان يذهب الحزن بعقله لشدة مبالغته فيه

وعند ذلك اطمأن الشفاليه فقد نال بغيته من قتل بنيامين وقضي على ذلك الشيخ الامين فلم يعد يخشى تاثيره على ابنته اورور

غير ان اورور لم تكن قد عادت بعد وقد تقضى الليل واشرق الصباح دون ان تعود فاشتد قلق الخدم عليها ولم يكن احد عارفا الى اين ذهبت غير بنيامين ولكن بنيامين لا يتكلم فقد اسكته الموت

٥

ولنعد الان الى الماضي فقد تركنا اورور راكبة جوادها وسائرة الى دكان داغوبير لمقابلة اختها ربيبة الدير بعد ان قرات كتاب امها ووقفت من بنيامين على حقيقة امرها

وفي الوقت نفسه الذي كانت تسير فيه اورور على جوادها كان داغوبير قد علق بالفخ الذي نصبه له الشفاليه دي فولون وكان بنوات الاحدب قد نجا من سجنه واتفق لوسيان مع صديقه الشفاليه على اختطاف جنة كما تقدم تفصيله في الرواية السابقة بعنوان ربيبة الدير

اما اورور فانها كانت قد انقلبت انقلابا عظيما بعد ان قرات كتاب امها فان جميع اخلاقها السيئه انما كانت اكتسابية من ابيها فعادت بعد تلاوتها الكتاب الى الاخلاق الفطرية الكريمة التي ورثتها من امها

وكانت تدفع جوادها في غابة فينطلق بها انطلاق السهم لشدة شوقها الى الاجتماع باختها وضمها الى صدرها وكان شرر النار يتطاير من حوافر جوادها لشدة انطلاقه

وكانت تلك الليلة باردة والبدر يتألق في السماء فيتير طريقها فاجتازت المسافة الى الدير بساعة وهي لا تقل عن ثلاث ساعات

وكانت قد امعنت بفكرة في الطريق واعدت الحديث الذي عزمت على مخاطبة داغوبير به اذا خطر له ان يحول بينها وبين اختها

فلما وصلت الى دكان داغوبير رأت نوراً ضعيفاً ينبعث من المنزل الكائن فوق الدكان فاضطربت وقالت في نفسها ما عسى ان يكون هذا النور ومن اين ينبعث امن غرفة حنة ام من غرفة داغوبير

ولكنها كانت مصممة على مقابلة داغوبير واقناعه عند الاقتضاء فدنت من الباب وهي فوق جوادها ونادت داغوبير

وكان داغوبير عالقا بالفخ في تلك الساعة فلم يجب نداءها غير انها رات ان النافذة قد فتحت وسمعت صوتا رخيما يقول لها من هذا

فاختلج قلب اورور وقالت حنة

فاطلت حنة من النافذة منذهلة وقالت نعم انا هي فما تريدين مني يا سيدتي

فاجابتها بصوت يضطرب من التأثر اليس داغوبير في المنزل

قالت كلا

فتشجعت اورور لهذا الجواب وقالت لها الملك نمت

قالت كلا يا سيدي فني انتظار داغوبير وقد آن ان يعود

قالت اذن ارجوك ان تفتحي لي كي استريح فقد اضنكني السير والبرد

وكانت تكلمها بصوت رخيم حنون فلم يداخل قلبها شيء من الريب لا سيما وان داغوبير لم يمنعها عن ان تفتح باب الدكان للنساء بل ان هذا المنع كان قاصرا على الرجال ولا سيما لوسيان فاسرعت عندذلك بالنزول الى الدكان وفتحت الباب

وكانت اورور في خلال تلك المدة قد ضبطت نفسها فلم تعنق حنة حين قابلتها ولم تباغتها بالقول انها اختها بل انها اقتصرت على شكرها ونزلت عن جوادها فربطته في حلقة الباب وهمت بالدخول فقالت لها حنة ان البرد شديد يا سيدتي ولدينا اصطبل الا تؤثرين لي بارواء جوادك فيه دفية له من البرد

قالت اني اشكرك اجزل شكر وسارت معها الى ذلك الاصطبل فوضعت الجواد فيه وعادتا الى الدكان فاقفلت حنة الباب من الداخل وجلستا قرب النار فدار بينهما الحديث الآتي .

قالت اورور العلك وحدك هنا ايتها الحسناء

قالت نعم

قالت كيف ذلك الاتخافين ان تبيتي وحدك

قالت لا سبيل الى الخوف فان الرهبان قريبون مني وفوق ذلك فان داغوبير لا يفارقني ابدا في الليل

فوضعت اورور يدها فوق يدها تستدفيء وجعلت تنظر الى حنة نظرات ملؤها الحنو ثم قالت لها اني قد كذبت عليك الان فاني لم اطلب الدخول للاستدفاء والراحة كما قلت لك

فنظرت اليها حنة مندهلة وقالت اذن لماذا يا سيدتي

قالت لانى اريد ان يراك الم تعرفيني من قبل

قالت اظن ان هذه اول مرة رايتك فيها . . كلا كلا فقد خيل لي لان اني رايتك قبل منذ زمن بعيد لم تمري منذ عام بهذا الدير مع جماعة من رجال الصيد

قالت موذاك ايتها الحبيبة فاني ما مررت بهذه الديار غير مرة واحدة ولكني اعرفك حق المعرفة

قالت كيف ذاك يا سيدتي

قالت بل اني اعرف عنك امورا لا تعرفينها انت ولا تخطر لك في بال

فزاد اندهال حنة وسرت اورور لانها رات انها ستتمكن من اية فيها على الحقيقة بالتدريج فقالت لها نعم ايتها الحبيبة اني اعلم بان رجلا نبيلا قد جاء بك الى هنا في ليلة ستاء باردة فاودعك عند داغوبير ولم يعد بعد ذلك المهد

فصاحت حنة صيحة دهش وقالت انه عمى العلك تعرفين عنه شيئاً يا سيدتي

قالت نعم بل اعرف ايضاً اشياء كثيرة عن املك

قالت اني اذكر امي ذكرى بعيدة فاذكر منها انها كانت سكيرة لا تحن على خلافا لابي فقد كان يقبلني كلما رآني وطالما رايته يبكي حين يقبلني

فقالت اورور بلهجة دلت على الخطورة ان تلك المراة يا حنة لم تكن امك

فدهشت حنة وقالت ماذا تقولين ياسيدتي

قالت اني اقول الحقيقة فان هذه المراة التي كانت تسيء اليك انما كانت زوجة ابيك واما امك ... وهنا توقفت مترددة وجعلت تنظر الى حنه فترى علائم القلق والحزن بادية على محياها فقالت لها حنه اذن فقد عرفت امي كما يظهر

قالت نعم ايتها الحبيبة وما اتيت في ظلام الليل الا لاباحثك عن امك فقد كانت من ملائكة الله طهرا وفضيلة وكانت كذلك من الشهيدات

فاطرقت حنة براسها الى الارض وقالت اذن لقد ماتت

قالت نعم ولكنها تقمصت فيك فانك تشبهنها كل الشبه حين كانت بعمرك الان

فارتعشت حنة وقالت العلك رايتها

قالت كلا بل رايت صورتها

قالت صورة امي .. اين هي يا سيدتي تلك الصورة

فنظرت اورور الى ما حولها فرات مراة صغيرة معلقة بمسمار في الجدار فقامت اليها فانتزعتها من الجدار ودفعتها الى حنة وقالت لها انظري وجهك ايتها الحبيبة في هذه المراة

فاخذت حنة المرآة من يدها ونظرت فيها دون اكتراث

وعند ذلك اخذت اورور من جيبها تلك المدالية المرسومة فيها صورة امها فدفعتها الى حنة وقالت لها والان فانظري الى هذه الصورة فانها صورة امك

فلم تكد حنة تنظر الى الصوره حتى خفق قلبها وجعلت تضطرب اضطرابا شديدا اما اورور فكانت مصفرة الوجه تنظر الى اختها ودموع الحنو تذرف من عينيها

٦

وقالت حنة لاورور ولكن من انت ايتها السيدة التي عرفت امي ونالت رسمها

فشعرت اورور باضطراب شديد لهذا القول واخذت يد اختها بين يديها وقالت لها الم يكلموك منذ الحداثة عن امك الحقيقية

قالت كنت احسب ان امي الحقيقية تلك السيدة المتعجرفة التي كانت تعاملني بالقسوة والعنف وطالما اسالت الدموع من عيني ابي فاذا لم تكن هذه السيدة امي فاني ارجو ان يكون ذلك الرجل ابي

قالت هو ابوك ايتها الحبيبة وهو من النبلاء وانما امتنعوا عن ذكر امك امامك وسبب سابسطها لك متى رويت لك حكايتها ولكن الم يقولوا امامك ان لامك بنتا ثانية

قالت لامي بنت ثانية اي اخت لي

قالت نعم فان لك اختا

فبدت علائم السرور على وجه حنة وقالت انا لي اخت وهل هي حية يا سيدتي اواه وياحبذا لو كان ما تقولينه اكيدا

قالت ماذا كنت تصنعين لو كنت صادقة في حديثي

قالت نه لو كان لي اخت كما تقولين وكانت مقيمه في اقصى الارض لذهبت اليها ولو اضطررت ان اتسول في الطريق وامشي حافية القدمين

وهنا لم تعد اورور تستطيع ضبط نفسها فاخذت حنة بين ذراعيها فضمتها ضما عنيفا وقبلتها قبلات حارة ثم قالت ان هذه الاخت التي تتكلمين عنها والتي ستحبينها كما تحبك هي انا

فاندهلت حنة وقالت انت السيدة النبيلة الحسناء اختي

فعادت اورور الى عناقها بحنو لا يوصف وقالت نعم انا هي اختك

فلم يعد لدى ربيبة الدير شيء من الشك اذ ثبت لها صدق كلامها من حنوها وفوق ذلك فلو لم تكن اختها فكيف وجد معها هذا الرسم فجعلت تعانقها بلهف وشوق حتى اذا سكنت عوامل التاثير منهما عادتا الى الحديث فقالت لها اورور اني عشت بقربك زمناً طويلا وانا لا اعلم انك اختي !

قالت العل ابي لا يزال حيا

قالت كلا لان اباك قد مات وابي لا يزال حيا فان امنا تزوجت اثنين فنحن اختان من ام واحده

قالت ومن منا اكبر من الاخرى

قالت انت فقد ولدت قبلي بعام او بعامين

وفيما هما تتحدثان وقد انستهما حلاوة الحديث الوجود سمعتا دويا ارتج له الفضاء في ذلك السكون .

وكان ذلك الدوي دوي بندقية الاحدب حين اطلقها في الغابة قرب الدير على الشماليه فصرعه كما تقدم في رواية ربيبة الدير حين غادره الكونت لوسيان وجاء الى دكان داغوبير كي يختطف حنة وهو يعلم انها وحدها في المنزل

فلما دوى صوت البندقيه في الفضاء نظرت كل من الاختين الى اختها نظرة قلق ثم قالت اورور لا شك ان ذلك دوي بندقية صياد

فاطمأنت حنة وعادتا الى الحديث فلم يمر هنيهة حتى سمعتا صوتا ولكن الصوت لم يكن هذه المره دوي بندقيه بل كان وقع حوافر جواد

فارتعشت حنه وضغطت على ذراع اختها فقالت اسمعي

اما اورور فانها قامت الى الباب ففتحته ووقفت تنظر من القادم

وكان القمر قد توارى في الافق وساد الظلام فلم تر احدا ولكنها سمعت وقع اقدام فقالت في نفسها لا شك ان هذا القادم صياد ثم اقفلت الباب وعادت الى اختها فاخذت يدها بين يديها وجعلتا تتحدثان

اما هذا القادم فقد كان الكونت لوسيان قادما لاختطاف حنة

ويذكر قراء ربيبة الدير ان الكونت لوسيان كان قد سمع دوي البندقية فحسب انه دوي بندقية صياد وواصل سيره الى دكان داغوبير

حتى اذا اقترب منها ربط جواده في احدى اشجار الغابة وسار ماشيا فانه لم يكن يخشى داغوبير لوثوقه انه سقط في الفخ وبات اسيرا ولكنه كان

تخشى ان يتنبه له الرهبان فيسرعون لنجدة الفتاة

وجعل يسير سيرا خفيفا حتى وصل الى الدكان دون ان تسمع حنة واورور صوت وقع قدميه ثم نظر من ثقب الباب متراجع منذعرا اذ راى الكونتس اورور ابنة عمه وخطيبته بالمس تحادث الفتاة التي يحبها دون كلفة وهي عندها بعد منتصف الليل

فاضطرب اضطرابا شديدا وسال العرق البارد من جبينه وخطر له لاول وهلة ان يركن الى الفرار

غير ان المرء مفطور على حب الذات فخطر له فجاءة ان اورور لا تزال تهواه وانها جاءت تلتمس من حنة الرجوع عن الكونت كي تخلو لها الجو من المزاحمة

وعند ذلك وقف وقفة المتردد فلم يجسر على التقدم ولم يستطع الرجوع

الى ان حدث حادث لم يكن يتوقعه فضج مره وهو ان جواد اورور كان في الاصطبل قرب الدكان وكان جواد لوسيان مربوطا في شجرة تجاه الاصطبل فلما تعارف الجوادان وطالما سارا جنبا الى جنب في الصيد جعلا يصهلان صهيلا شديدا وصل الى مسمع الفتاتين فعادت اورور الى الباب ففتحته وصاحت صيحة دهش اذ رات لوسيان فقالت له مغضبة انت هنا ايها التمس ... ارجع الى الوراء

فهاج لوسيان لكلامها ودخل الى الدكان بدلا من ان يرجع فاصفر وجه حنة حين رانه حتى باتت كالاموات

اما لوسيان فانه حاول ان يكلم اورور فقال لها اعلمي يا ابنة عمي .

غير ان اورور قطعت حديثه وقالت له باحتقار اخرج من هنا فانا بابنة عمك ثم اخذت بيد حنة وقالت لها . ارايت هذا الرجل ان امه قتلت امنا

فصاحت حنة صيحة قنوط ودنت اورور من لوسيان فقالت له ان هذه الفتاة اختي ولدت واياها من ام واحدة فماتت امنا مسمومة! وامك دست لها السم ... علمت الان الحقيقة فامض الان في شانك وعد الى امك الشقية

فلم يجبها لوسيان بحرف ووقف جامدا باهتا كانما الصاعقة قد انقضت عليه

٧

ولقو خيل للوسيان ان الارض قد انفتحت و نه على شفار هوة لا حد لعمقها

اما حنة فانها حين سمعت ما قالته اختها له صاحت صيحة عظيمة وسقطت مغميا عليها

واما اورور فانها نظرت الى اختها وقد اغمى عليها والى لوسيان وهو واقف لا يتحرك فاسرعت الى اختها فحملتها على كتفها وذهبت بها الى السلم فرآها لوسيان تصعد باختها السلم الى غرفتها فذهب جموده فجاءة ومشى يريد اللحاق بالاختين

﴿ اورور تحمل اختها الى غرفتها حين اغمي عليها ﴾

وكانت اورور قد وضعت اخمها على سريرها وفكت ازرار ثوبها كي يسهل تنفسها وقد كانت شبيهة بالموتى

فارتاعت اورور وجعلت تبكي لحال شبيهتها دون سماع وقع خطوات لوسيان على السلم

وكانت الغرفة مظلمة لا نور فيها فلما راى لوسيان ذلك عاد الى الدكان فاناره شمعته وصعد الى الغرفة

وعند ذلك انتبهت له اورور فلم تنذره ولم تامره بالخروج فانها كانت تبكي بكاء شديدا وتغسل بدموعها وجه اختها وهي لا تستفيق

واما لوسيان فان كوامن الحب قد هاجت في فؤاده حين راى جنة مغميا عليها فلم يعد يحفل بغضب ابنة عمه ووعيدها واسرع الى انية ماء فجعل يرش وجهها به فلم تستفق

ولما راى ان الماء لم يفدها ذهب الى المطبخ كي يبحث فيه عن مادة تعينه على ردها الى الصواب فلقي فيه زجاجة خل

غير انه حين عاد بها يريد الدخول الى الغرفة وقفت اورور في الباب فحالت دون دخوله وقالت له انك لن تدخل الى هذا المكان فانها اختي وانا امنعك عن الدخول اليها

فعاد الجمود الى لوسيان فوقف حائرا وقال اختك

قالت نعم هي اختي وساصرح لك بكل ماتريد ان تعلمه مما اشكل عليك ولكن في غير هذا المكان وليس امامها

ثم اخذت الزجاجة منه فنزل لوسيان طائعا وهو حائر مبهوت فكاد

يتعثر ويسقط لاضطرابه حتى خرج من الدكان وكلمات اوروز لا تزال تدوي في اذنه وهي (الى الوراء فالك ابن المراة التي قتلت امنا بالسم)

وعند ذلك وضع راسه بين يديه وقال لا شك ان كل ذلك لا صحة له ولكني اوشك ان اجن.

وفيما هو واقف هذا الموقف سمع صهيل جواده فنبهه الصهيل من من غفلته وذكره صديقه الشفاليه دي فولون الذي تركه على مسافة ربع مرحلة من الدكان فقال في نفسه لايحل هذه الالغاز غير الشفاليه ثم اسرع الى جواده فامتطاه وسار به مسرعا الى حيث ترك ذلك الصديق الكاذب

ولكنه لم يسر هنيهة حتى راى ان جواده قد وقف بغتة وجعل ينفخ من انفه فلكز لوسيان بطنه بالمهماز فلم يسر فوجف قلب لوسيان وجعل ينظر امامه باحثا عن السبب في رعب الجواد فلم ير شيئا لاشتداد الظلام

غير انه راى بعد التحديق شبه جسم اسود ممدد في قارعة الطريق ثم راى جوادا واقفا امام هذا الجسم

فترجل عن جواده وذهب الى ذلك الجسم الممدد فلم يكد يراه حتى جمد الدم في عروقه وصاح صيحة ذعر ذلك انه راى صديقه الشفاليه صريعا مضرجا بدمه وجواده يدور حوله ويشمه كانه يحاول ان يعلم اذا كان فارسه لا يزال في قيد الحياة

وقد حار لوسيان في امره الى ان ذكر دوي البندقية الذي سمعه

كان لم يمت فهو في حالة شر من الموت وفي كل حال فانهم لا يستطيعون اختطاف الصبية في هذه الليلة

واستمر في مسيره حتى قرب من دكان داغوبير فجعل قلبه يخفق اذ راى باب الدكان مفتوحا والنار موقدة فيها وراى نورا في المنزل فقال في نفسه لا شك ان داغوبير قد عاد وان لوسيان راه فاركن الى الفرار حذرا منه

ولما وصل الى الدكان نادى داغوبير فلم يجبه فدخل وسمع ضجيجا فتردد هنيهة ثم صعد السلم الوعدي اليها فلما وصل الى الغرفه وقف حائرا مبهوتا وجعل يفرك عينيه كانه خشي ان يكون في حلم

ذلك انه راى اورور جالسة قرب نيبة الدير تنظر اليها متسعة وقد عكنت من اعادة الرشد اليها

اما اورور وحنه فانهما راتا بنوات الاحدب واقفا في الباب وقفة الحائر المبهوت وكلتاهما تعرفانه فقالت له حنة اين هو داغوبير

قالت لا اعلم وكنت ارجو ان اراه هنا

فاطرقت حنه براسها اطراق الحزينة فقال لها الاحدب كيف ذلك الم يعد بعد

قالت كلا

قال رباه اني اخشى ان يكون الشفاليه دي فولون قد اصابه بسوء فصاحت البنتان صيحة رعب وقال الاحدب ولكنها ستكون اخر جرائمه فقد جازيته بما يستحق

حين غادر رفيقه الشفاليه وحسب انه دوي بندقية صياد فاتقن ان صاحبه قد اخذ غيلة فوضع يده على قلبه فشعر انه ينبض نبضاً خفيفاً اشارة الى انه لا يزال في قيد الحياة

وعند ذلك جعل يناديه ويحاول ايقاظه كما كانت تفعل اورو باختها ولكنه لم يستفق ولم يجب النداء

وكان الظلام حالكاً والطريق مقفرا فحار لوسيان في امره ولم يعلم كيف يستطيع انجاده ايذهب الى الدير فيقرع بابه ويلتمس نجدة الرهبان ام يعود الى اورور وقد غادرها منشغلة بيقاظ اختها من اغمائها

قد اضطرب حتى اوشك ان يمتطي جواده ويفر ولكنه كان من اهل الرفق والاخلاص فلم يطق ان يدع صديقه غارقا في دمائه ويتخلى عنه في مثل هذا الموقف الشديد

وعند ذلك خطر له انه يوجد مزرعة قريبة من المكان الذي كان فيه وهو يعرف اهلها فحمل الشفاليه على جواده وامتطاه ثم سار به برفق الى تلك المزرعة

وفي الوقت نفسه كان بنوات الاحدب سائرا الى دكان داغوبير بعد ان انتقم من ذلك الشفاليه الذي حبسه في القبو وكاد يذهب ضحية جرذانه

فانه بعد ان اطلق عليه البندقية وايقن من اصابته عاد الى القروي فاعطاه بندقيته واقفل راجعا الى دكان داغوبير فراى لوسيان حاملا الشفاليه على جواده وذاهباً به في طريق المزرعة فقال في نفسه ان الشفاليه اذا

فنظرت الفتاتان الى الاحدب نظرت السائل اذ لم تفهما كنه قوله

وعندذلك قص عليهما الاحدب جميع ما عرفه القراء عن عزم لوسيان على اختطاف حنة وعن سجنه وعن اصطياد داغوبير بالفخ حتى اذا اتم حكايته بكت حنة بكاء شديدا وقالت ويلاه اني اخاف ان يكون قد مات

فقالت اورور انه اذا كان حيا انقذته واذا كان ميتا انتقم له شر انتقام

ولكن هذا الكلام لم يطيب خاطر حنة فانها اندفعت في البكاء على داغوبير لانها كانت تحبه اشرف حب

ومضى الليل ودقت نواقيس الدير وفرغ الرهبان من صلاة الفجر فقالت اورور للاحدب اريد منك يا بنوات ان تذهب الى الدير وتسال مقابلة رئيسه

قال الاب جيروم

قالت نعم فاذا لقيته قل له تفضل يا سيدي واتبعني الى دكان داغوبير فان ابنة كريستشن محتاجة اليك

فاسرع الاحدب الى الدير وعانقت اورور اختها فقالت لها اطمأني فاني لااريد ان تقيمي وحدك

ان الاب جيروم سيتولى حمايتك الآن فاننا محاطون بالاعداء واما انا فاني ذاهبة لابحث عن داغوبير ولا بد لي ان اعود به اليك

٧

كان الاب جيروم في غرفته حين طرق بنوات باب الدير . ولم ينم

ليلته اذ كان ينتظر عودة داغوبير بالاذن له بالسفر من الرئيس العام وقد قلق قلقا شديدا لطول غيابه

ولبث جازعا قلقا حتى دنت ساعة صلاة الفجر فذهب في طليعة الرهبان الى المصلى حتى اذا فرغ من الصلاة سال عن داغوبير فقال له لم يعد بعد

وقد عاد اليه قلقه ولكنه كان واثقا من عودته بالاذن فقام الى غرفته الخاصة يتاهب للسفر ففتح خزانة في غرفته واخرج منها ملابسه التي دخل فيها اول مرة الى الدير وهي الملابس التي كان يلبسها حين كان من حراس الملك

وفيما هو ينظفها ويذكر ايامه السالفة في عهدها سمع ان احد الرهبان يناديه فظهرت عليه علائم السرور واسرع الى ذلك الراهب لاعتقاده ان داغوبير قد عاد دون شك وان الراهب انما يدعوه لمقابلته ولكن القادم لم يكن داغوبير كما توهم فقد اخبره الراهب ان بنوات الاحدب يلتمس مقابلته بشأن خطير

فقطب الاب جيروم حاجبيه ولكنه عاد الى الاطمئنان فقال في نفسه لا شك ان بنوات قادم من قبل داغوبير فامر الراهب ان يدخله اليه في الحال

وبعد هنيهة دخل الاحدب وهيئته تدل على الاضطراب فايقن الاب جيروم ان هناك مصابا وبادره بالسؤال اين داغوبير

فقال له الاحدب لا اعلم وربما يكون قد مات

فاجفل الاب جيروم وقال كيف تقول انه مات وماذا اصابه

قال ان اولئك الاشرار نصبوا له فخاً وصادوه صيد الثعالب فما علمت ماذا جرى له بعد ذلك ولهذا اتيت اليك

قال ولكن من هم هؤلاء الاشرار

قال السفاليه دي فولون صديق الكونت مازير

فذعر الاب جيروم لذكر الكونت دي مازير وتراجع الى الوراء كأنه قد رأى افعى فقال له الاحدب وان مداموزيل ارور قد ارسلتني اليك .

قال من هي هذه السيدة

قال هي سيدة قصر بلياردير وقد قالت لي (اسرع الى الدير فتوسل الى الاب جيروم ان يحضر وقل له ابنة كريتشن محتاجة اليك)

فاضطرب لاسم كريتشن وقال له هي قالت لك هذا

قال نعم

قال اين هي

قال في دكان داغوبير

فكف الاب عن السؤال جيروم واسرع يتقدم الاحدب الى دكان داغوبير فلما دخل اليها وجد حنة واورور متعانقتين فكانت حنة تبكي داغوبير واورور تمسح دموع اختها بقبلاتها

فلما راته اورور قادما وقفت اجلالا له وقالت اني يا ابتاه ابنة كريتشن الثانية واخت حنة

ولم تكن اورور تشبه امها بوجهها ولكنها كانت تشبهها بصوتها فاخترق

صوتها اعماق نفس الاب جيروم وقال لها لا شك انك ابنتها فان صوتك صوتها

قالت ان اختي لم يكن لها محاميا امس غير داغوبير وانت وقد كانت معرضة لخطر عظيم فانهم حاولوا اختطافها في هذه الليلة ولكني انقذتها وساحرص عليها كل الحرص فلا تنالها يد شريرة ماذى غير ان داغوبير في قبضة اعدائنا الان اذ لا بد لي من انقاذه ولهذا رجوتك ان تحضر الي فاني اذا تركت اختي وحدها فان هؤلاء الاشرار قد يعودون اليها

قال لا تخشى يا ابنتي فساتولى حراستها ثم اشار الى الاحدب ان يدنو منه فقال له عد الى الدير وائتني براهبين منه

وبعد هنيهة اقبل الرهبان فاقامهما حارسين على باب الدكان ثم امتطت اورور جوادها وسارت يتقدمها الاحدب الى حيث كان داغوبير

٨

ولنعد الان الى داغوبير فقد تركناه بعد ان سقط في الفخ بايدي خادمي الشفاليه دي فولون فان الشفاليه ذهب مع لوسيان لاختطاف جنة وامر خادميه ان يذهبا بداغوبير الى حيث كان الاحدب فامتثلا وذهبا به الى ذلك القبو الذي تقدم لنا وصفه في الجزء السابق

وكان داغوبير مقيد اليدين والرجلين مكموم الفم فجعلا يضربانه ضربا موجعا وهو لا يستطيع دفاعا ولا صراخا غير ان عينيه كانتا تتكلمان بافصح لسان وتنذر هذين الشقيين شر انذار

ثم القياه في ذلك القبو عرضة للجرادين التي الفت ارعب في قلب الاحدب من قبله وكانت السبب في نجاته من ذلك السجن

وكان الخادم ان قد غضبا غضبا شديدا حين رايا ان الاحدب قد وخرج من القبو فانتقما من داغوبير بالضرب والتحقير ثم جعلا يتباحثان في شانه فقال احدهما ارى انه يجب ان نبالغ في الحرص على هذا الاسير كي لا يهرب كما هرب الاحدب

قال هو ذاك ويكفينا ما سنلقاه من تعنيف الشفاليه بشان فرار الاحدب فاية طريقة تجدها افضل في الحرص

قال ارى انه لم يبق من الليل غير ساعتين وعندي انه يجب ان نسهر الى ان يعود الشفاليه

قال وانا ارى ما تراه ولكن كيف نضيع هذا الوقت

قال بمعاقرة الشراب

قال اذن فاذهب الى القبو واتنا بشيء منه

فاخذ الخادم مصباحا ونزل به الى القبو المسجون فيه داغوبير فوجد ذلك المنكود يئن انينا مزعجا وقد كاد يختنق من الكمامة فلم يشفق عليه بل جعل يضحك حين راى الجرذان تهرب لمارات النور وقد كانت تسير فوق جسم داغوبير وتنهكه نهشا وعضا وهو لا يستطيع ان يقف على شدة قوته لمتانة القيد

وقد حسب داغوبير لاول وهلة ان هذا الخادم قادم لاطلاق سراحه ولكن ساء فاله فانه حين فرغ من ضحكه اخذ ابريق زجاجا

من الخمر المعتقة وبرح ذلك التعب وهو يقول لداغوبير متهكما اتمنى لك ليلة سعيدة مع رفاقك الجرذان

فلما صعد الى رفيقه بالخمر قال له الم يغمى عليه

قال كلا فان الجرذان سغلته عن الاغماء

فضحك الاثنان وقال احدهما اني على وثوق من متانة قيده ارى انه يجب ان نتفقده من حين الى حين فان غضب الشفاليه سيكون عظيما حين يعلم بفرار الاحدب

قال اليوم خمر وغدا امر فليغضب قدر ما شاء ولنبلغ به الحدة ما شاءت فانه لا يستطيع ان يمسنا بسوء وهو مدين لنا باجورنا

قال ولكني ارى العيش معه لا يحتمل لحدة اخلاقه

قال لا باس في ذلك فما يدعوه الى الحدة غير الافلاس ولكن متى تزوج الكونتس اورور تعتدل تلك الاخلاق

قال اتظن انه يظفر بزواجها

قال اني لو لم اكن واثقا من فوزه لما خدمته ساعة فانه اهل لكل شيء ما عدا الخير

ثم اخذ يشربان ويتحدثان بسببهما الى ان خطر لهما داغوبير فقال انه لا يزال يئن انين المتوجع وقد خرج الزبد من فمه

وقد قال هذا القول وهو مصفر الوجه فقال له رفيقه ما هذا الاصفرار وماذا اصابك

هل اني خائف

قال من اي شيء تخاف

قال من داغوبير فقد رايت من عينيه ما يدل على انه اذا قدرت له النجاة ينتقم منا افظع انتقام

قال اذن لنقتله

قال اما انا فاني نادم لتنفيذ اوامر الشماليه

قال لماذا

قال الم نتفق منذ ساعة ان سيدنا الشماليه لا خير فيه

قال اني لا انكر ذلك

قال وهذا راي جميع اهل قرية فانهم يحتقرونه ويخافونه ولا بد يوما ان ينتقموا منه باحراق قصره وعند ذلك ينتقمون منا ايضا لانهم يحسبون اننا له من المخلصين

قال ولكنهم لم يحرقوا القصر بعد

قال من يعلم فقد يحرقونه الليلة الم يهرب الاحدب منا

قال وماذا تخشاه من الاحدب

قال اخشى ان يكون قد طاف جميع هذه الجهات وملاء الارض صراخا علينا واخبر جميع الناس ان داغوبير في قبضتنافهم سيقدمون دون شك لانقاذه

فقطب الخادم حاجبيه واستولى عليه الرعب كما استولى على رفيقه فقال له ارى ان الاجدر بنا ان نتخلص من داغوبير

قال كيف ذلك

قال بطريقة سهله

قال ما هي

قال هي ان انزل اليه فاضع المصباح عند راسه ثم اعود بندقية واصوبها الى راسه على نور المصباح فاقله

قال ولكن ما تقول الشفاليه حين عودته

قال ليقل ما يشاء ولكن ثق انه لا ياسف عليه فان النبلاء لا يعدون الملاحين بشرا فلا يبالون اذا قتلوا واحدا

قال هو ذاك ولكنك لم تفطن لامر وهو انه ليس الشفاليه وحده الذي سيعلم اننا قتلنا داغوبير بل ان الكونت لوسيان سيعلم ايضا وليس الرجلان على اتفاق في المبدأ ولذلك فان قتل داغوبير قد يكون وبالا علينا

قال اذن ماذا تريد ان نفعل

قال لا اعلم ولكن اوثر ان نجد طريقة يموت بها داغوبير موتا طبيعيا

قال كيف ذلك

قال ذلك ان نذهب به الى الغابة فنشنقه في احدى اشجارها

قال اهذا هو الموت الطبيعي الذي ترجوه له

قال نعم فاننا نوهم الناس انه مات منتحرا وذلك انا بعد ان نستوثق من موته نطلق قيد رجليه ويديه فلا يبقى اثر للجريمة ويظن الناس

انه شنق نفسه

قال وماذا يحمله على شنق نفسه

قال اليأس

قال اي يأس هذا انى لا افهم شيئا مما تقول

قال ولكن الامر بسيط لا اشكال فيه الا تعلم الى اين ذهب الشفاليه والكونت لوسيان حين تركانا

قال الى دكان داغوبير

قال لماذا اليس لاختطاف ربيبة الدير

قال دون شك

قال اذن فان داغوبير مصيب في يأسه فانه حين عاد الى منزله وجد ان اعداءه قد اختطفوا الفتاة التي يربيها فيأس وانتحر

قال لقد اصبت ايها الرفيق غاية الصواب ولكني لازال خائفا

قال ومما الخوف فان جريمتنا لا يدري بها احد فاننا نبالغ في كتمانها حتى عن الشفاليه ونوهمه انه فر من القبو كما فر الاحدب

قال لقد ذهب خوفي وبت على رايك فان قتلك الذئب خير من ان تعرض نفسك لافتراسه

وهنا اصغى الخادم وقال لرفيقه اصغ معي الا تسمع وقع حوافر جواد

قال هو ذلك ولعله الشفاليه

قال ذ كان هو القادم فسنخبره بما ا ثايناه ويقني انه يوافق على

اقتراحا

قال ذلك ممكن

قال هلم بنا لنفتح الباب الخارجي

٨

وكان الظلام لا يزال مخيما غير ان نور الفجر كان قد بدأ يزيغه فكشف تلك المهاهب وبدأت الكلاب تنبح مما يدل على ان القادم هو غير الشفاليه

غير ان الجواد كان جواد الشفاليه نفسه ولكن فارسه كان قرويا من اهل تلك النواحي

فلما راه الخادمان دنوا منه وسالاه عما يريد فقال لهما الستما من خدم الشفاليه دي فولون

فاجابه احدهما نعم انهو الذي ارسلك الينا

قال كلا بل ارسلني الكونت لوسيان فقد حدث مصاب جلل

فارتعش الخادمان وقالا ماذا حدث

قال لقد قتلوا الشفاليه

فصاح الاثنان صيحة ذعر واسف فان هذين الخادمين كانا يكرهان سيدهما كما يكرهه جميع الناس ولكنه كان مديونا لهما باجورهما فكان اسفهما على تلك الاجور

وعند ذلك اخبرهما القروي ان الكونت لوسيان جاء الى قريته بالشفاليه جريحا محمولا على جواده

فقال له احد الخادمين انه مات

قال انه لم يمت بعد ولكن لا رجاء فيه وقد كان مغمياً عليه حين جئت اليكما

قال اتظن ان جرحه ذو خطر

قال هذا لا ريب فيه

قال من الذي قتله وكيف قتل

قال لا يزال قاتله مجهولا وقد اصابه برصاصة في صدره

قال وماذا تريد منا

قال ان الكونت لوسيان يريد ان تتبعاني الى القرية كي تعودا بالاشفاليه الى المنزل على مركبة

قال اذن عد اليه بالجواد وقل له اننا قادمان بالركبة في الحال

فعاد القروي الى القرية وعاد الخادمان الى المطبخ وعلائم اليأس بادية في وجهيهما فقال احدهما ماذا نصنع

قال لا اعلم فلنشرب كاسا فان الخمر خير مستشار

فشرب وقال اذا كان سيدنا قد مات فالسلام على الزواج

قال وعلى اجورنا ايضا فقد خابت الآمال

قال بل ارى ان نقبضها بانفسنا بعد ان تعذر على الشفاليه الوفاء

قال كيف نقبضها ومن اين

قال من هذا المنزل فاذا لم يكن فيه مال فان فيه من المجوهرات ما يعادل المال

قال بورك فيك فقد بلغت لباب الصواب

قال اذن هلم بنا الى الخزائن

فقام الشقيان فكسرا جميع الخزائن ونهبا كل ما خف وغلا فاقتسماه على السواء واتفقا على ان يهربا بما سرقاه الى باريس

وعند ما فرغا من القسمة وعزما على الرحيل خطر لهما داغوبير فقال له احدهما ماذا نصنع بهذا الرجل اندعه في قيد الحياة

قال كلا ليس من الحكمة ان نبقيه حيا فانه قد يتفق ان يرانا بعد خروجه من سجنه فلا نامن شره

قال ولكننا لا نستطيع شنقه فان النهار قد طلع فاذا سرنا به الى الغابة يرانا الصيادون

قال اذن نقتله بالرصاص كما خطر لنا في البدء

قال لقد اصبت فان اول راي يخطر للدهن يكون اصح الاراء

قال اذن هات البندقية فانك تفضلني بالرماية وانا احمل المصباح فانير لك القبو

فامتثل وذهب لاحضار البندقية وشعل رفيقه المصباح ثم نزل الى القبو فوجد داغوبير لا يزال ملقيا على ظهره في القبو وقد بذل جهدا عجيبا كي يقطع قيد فلم يستطع غير ان الهرة كانت قد اقبلت لنجدته كما انجدت الاحدب امن قبله فوقته شر الجاذبين

اما الخادم فانه دنا منه بمصباحه وقال له بلهجة المتهكم اننا خير مما تدل عليه ظواهرنا ايها الصديق فلا نحب ان نعذبك عذابا لا فائدة فيه

كما سترى

ثم وضع المصباح عند راسه فابتعد عنه ونظر الى باب القبو في السقف فراى الخادم الاخر واقفا مصوبا بندقيته الى داغوبير فقال له اترى جيدا

قال بغاية الوضوح

قال اذن اسرع فان الوقت ثمين

قال اني ساطلق عليه الرصاص فيقع بين عينيه

فابتعد الخادم الذي في القبو عن داغوبير وصوب الواقف في الباب بندقيته عليه

وعند ذلك خرج دوي النار وكان شديدا فانقلب الخادم صاحب البندقية صريعا على الارض وقد صاح صيحة الم منكرة

فانبعث الخادم الذي كان في القبو منذعرا فراى امراة واقفة في الباب وفي يدها مسدس لا يزال الدخان يخرج منه

اما هذه المراة فقد كانت الكونتس اورور التي لم يفطن الخادمان لدخولها لانشغالهما بالسرقة وقد صاحت بعد ان قتلت الخادم الي يا بنوات فاسرع الاحدب اليها وبيده بندقية فصوبها على الخادم الذي في القبو واطلقها عليه فانقلب صريعا واصابه ما اصاب رفيقه

٩

بينما كانت الكونتس اورور منشغلة بانقاذ داغوبير وبينما كان الكرنت لوسيان ينتظر عبثا قدوم الخادمين لارجاع الشفاليه الى منزله كانت رلة

لوسيان تنتظر في قصرها مع تمون النورية عودة ولدها بفارغ الصبر

ويذكر القراء ان الشفاليه دي فولون ذهب بلوسيان من قصره عند انتصاف الليل فقال له ان داغوبيربات في قبضتنا ولم يبق لدينا غير اختطاف حنة

وكانت والدة لوسيان قد عرفت خطة الشفاليه ووافقت عليها فلما دنا موعد رجوع ولدها دون ان يعود جزعت واشتد قلقها فظلت مع تمون ساهرة الى ان اشرق الصباح

وكانت تقوم من حين الى حين الى النافذة المطلة على الطريق منتقدة ولدها فلا تجده حتى خشيت ان يكون قد اصيب بمكروه

فقالت لام روكامبول وقد اصفر وجهها الخوفها مأذا ترين قد حدث وما سبب هذا التاخر .

قالت لا علم ولكني اظن ان الشفاليه لم يفلح بمهمته

قالت كيف ذلك

قالت اني اخشى ان لا يكون قد تمكن من داغوبير اي اخشى ان لا يكون قد سقط في الفخ الذي نصبه له فعاد الى دكانه ورجع الشفاليه بلوسيان الى منزله اذ لم يبق له رجاء باختطاف الفتاة

قالت ولماذا يعود به الى منزله

قالت لاعداد خطة اخرى

قالت اذن ترين انهما لم يظفرا باختطافها

قالت هذا الذي اراه ولا بد لنا من الصبر الى ان تجلي الحقيقة

يخضعون لتبلاء ذلك الخضوع القديم بل ان ثار الحقد والميل للانتقام كانت تبدو في عيونهم حتى ان النبلاء باتوا يتوقعون ثورتهم عليهم في كل يوم ولذلك خطر لوالدة لوسيان ان داغوبير قد ثار على ولدها جميع اهل القرية ففتكوا به فكادت تجن من يأسها

وعند ذلك سمعت وقع حوافر جواد من مكان بعيد فصبرت الى ان دنا من القصر فتبينته فاذا هو جواد لوسيان واذا بلوسيان قادم وحده على عجل فصاحت صيحة غضب واتقنت انه عاد بالخيبة والحرمان

وكانت لا تزال واقفة في النافذة فرات ان ثياب ولدها ملوثة بالوحول وان وجهه شديد الاصفرار يدل على انه مضطرب اشد الاضطراب حتى اذا وصل الى الاصطبل اسرع اليه الخدم فقال اسرعوا باعداد مركبة واتبعوني

وقد سمعته امه يقول هذا فذعرت لما رات من دلائل اضطرابه ونادته فقالت له لماذا تريد ان يعدوا لك المركبة

فقال لها اني صاعد اليك ثم رجل عن جواده وصعد اليها فقال لها لقد حدث مصاب عظيم يا اماه فان الشفاليه دي فولون في حالة النزع فقد اصابته رصاصة في صدره ولا رجاء في حياته

فذعرت وقالت له من القاتل وكيف قتل

فاخبرها لوسيان بما جرى وكيف انه حين عاد من لدكان وجد صديقه صريعا في الغابة دون ان يعلم قاتله وانه نقله الى قرية وارسل رسولا الى منزله في طلب خدامه فلم يحضر احد منهم فارتأى نقله الى

فاتقدت عينا ولدة لوسيان ببارق من الغضب وقالت انفشل في هذه المهمة وما تعودنا الخيبة في جسام الامور

قالت هوني عليك الامر اتيها الحبيبة فاننا اذا لم نظفر اليوم ظفرنا غدا وفوق ذلك فاني ارى انك اخطأت بثقتك بهذا الشفاليه فاني راه من اهل البلاهة

قالت ربما ولكن لا بد لنا من احتطاف الصبية

قالت ذلك لا يكون الا حين اتولاه بنفسي

قالت ولكن اين ولدي لوسيان

قالت ساعلم ذلك بعد ساعة

قالت كيف تعلمين

قالت اني ذاهبة الى منزل الشفاليه

قالت واذا لم تجدي لوسيان فيه

قالت اذن اذهب الى دكان داغوبير . ثم قامت فذهبت الى الاصبل فاختارت خير جواد فيه فامتطته وسارت باحثة عن لوسيان فشيعتها الكونتس بالنظر حتى توارت في الغابة

واقامت والدة لوسيان تنتظر ولدها وهي على احر من نار الجمر لخوفها عليها فبزغ الفجر ثم سطعت الشمس ثم تعالى النهار ولم يعد فقلقت قلقا شديدا ولو كان سار لغير المهمة التي سار فيها لكانت ارسلت جميع الخدم لاستطلاع خبره وانما كانت خائفة عليه لان افكار الفلاسفة وعشاق الحرية كانت قد نفذت في ذلك العهد الى نفوس الفلاحين فلم يعودوا

قصره

ولما قال لها ما قال رجع يحاول الانصراف فاستوقفته امه وقالت له اهذا كل ما تريد ان تقوله لي

قال وماذا تريدين ان تعلمي فوق ما علمت

قالت الم تقل لي انك ذهبت الى دكان داغوبير

قال نعم

قالت اما رايت حنة

قال نعم رايتها و لكنها لم تكن وحدها

قالت انها كانت مع الشقي داغوبير دون شك

قال كلا بل كانت مع سواه اتريدين ان تعرفي يا اماه

فقالت له بلهجة تدل على نفاد صبرها قل اذن مع من كانت

قال انها كانت مع فتاة قالت لي ان حبي لحنة يعد جريمة منكرة

فقطبت حاجبيها وقالت اني لم افهم ما تقول

قال انها كانت يا اماه مع ابنة عمي اورور

فتنهدت عند ذلك تنهد المنفرج وقالت لقد عبثت بك ابنة عمك فقد حملتها الغيرة على الاختراع والتلفيق وفوق ذلك فما يهمك من امرها الست حرا بان تحب حنة دون سواها

فاطرق لوسيان براسه وقال ان حنة اختها يا اماه

فاصفر وجه والدته وقالت له اتعرف ذلك

قال بل اعرف ان الاختين بنتا كريشن التي قتلتها بالسم ... الوداع

يا اماه وهو وداع الابد فانك لا تريني بعد الان

ثم خرج دون ان يلتفت الى امه فصاحت امه صيحة منكرة وسقطت مغميا عليها

فلما عادت الى رشدها لم تجد ابنها بل وجدت ام روكامبول تنشقها الروائح وتحاول ايقاظها من اغمائها

فقالت لها الم تعلمي يا تنوان ان اوسيان راى اورور

قالت لقد عرفت

قالت وان حنة واورور تعلمان أنهما اختان

قالت وبعد ذلك

قالت ان لوسيان يعلم اننا قتلنا كريتشن بالسم

فاجابها ببرود ان ذلك سر لا بد ان يعلمه ولكن يوجد امر لا يستطيع ان يعلمه

قالت ما هو

قالت انه لا يعرف اين يوجد الصندوق

قالت تريدين صندوق الاوراق المالية

قالت نعم

قالت العلك تعلمين انت اين يوجد

قالت نعم وعند ذلك اخرجت من صدرها خيطا حريريا كان معلقا في عنقها وفي اسفل هذا الخيط خاتم يبدو لاول وهلة انه من الحديد وهو خاتم داغوبير المحتوي على ورقة يمكن بعد قراءتها الاهتداء الى

موضع الكنز وقد كان بيد داغوبير وبات بيد ام روكامبول واليك بيان السبب في وصوله اليها

١٠

يذكر القراء ان ام روكامبول امتطت جوادا وذهبت لاستقصاء خبر لوسيان لما راته من قلق امه عليه

وقد توغلت في الغابة وهي لا تدري أتسير الى منزل الشفاليه فتقف فيه على حقيقة ما جرى للوسيان ام تذهب الى داغوبير فتستطلع من دكانه الاخبار

وكان الطريق الى المنزلين واحدا في الغابة لا ينفصل بينهما الا عند اخرها فسارت تنوان في الطريق الذي نصب فيه الفخ لداغوبير اذ لم يكن من طريق سواه في الغابة

وكانت واقفة على خطة الشفاليه فلما وصلت الى الموضع الذي نصب فيه الفخ ارادت ان تتحقق اذا كان داغوبير قد سقط فيه فبدأت بافتقاد الاشجار فرات غصنا مكسورا ورات قطعة حبل ملقية على الارض وتيقنت ان المكيدة قد تمت وان داغوبير قد بات في قبضة الشفاليه

وفيما هي تبحث في ذلك الموضع قرب قطعة الحبل اضطربت وصاحت صيحة فرح اذ رات قطعة سوداء فوق الثلج علمت لاول وهلة انها خاتم داغوبير فاسرعت الى التقاطه فكاد يسقط من يدها لفرط اضطرابها

وقد كان الخاتم اسود يبدو للناظرين انه من الحديد فاخذت تنوان شيئا من العشب وجعلت تدعكه حتى ذهب اثر السواد وبان الذهب

فظهرت فوقه اشرة اسره دي مازير ورات النوريه ان الخاتم فعلا ضخما يفتح فينكشف عن وعاء يسع حجم القولة فعالجته حتى فتحيه فوجدت فيه ورقة مطوية طيات كثيرة ففتحتها فوجدتها بيضاء لا اثر للكتابة فيها

غير ان تنوان كانت تعرف اسرار الحبر الخفي لا سيما وانه كان كثير الشيوع في ذلك العهد فاخذت عودا من عيدان الشمعية فانارتها وعرضت الورقة للنور فظهرت الكتابة ظهورا جليا فوق الورقة وقرأتها كما قرأها الاب جيروم من قبلها فعلمت موضع الصندوق في باريس وهو موضح في تلك الورقة غاية الوضوح كما بسطناه في رواية ربيبة الدير

فلما وقفت على هذا السر الذي طالما تاقت الى معرفته كادت تجن سرورا لهذا الاتفاق الغريب فان الخاتم كان قد سقط من يد داغوبير دون ان يشعر بسقوطه حين كان يحاول الافلات من الفخ ويقاوم خدم الشمالية بشهامة اليأس فكان من نصيب تلك النورية التي لو لم يساعدها الاتفاق على نيل الخاتم لنالته بالجريمة

ثم وضعت الخاتم في جيبها وقالت لنبحث الان عن لوسيان في دكان داغوبير فان داغوبير اسير دون شك

غير انها لم تسر قليلا حتى وقفت وقالت في نفسها اي شان بقي لي مع هؤلاء القوم واية فائدة لي من وجود لوسيان فقد ظفرت بغايتي المنشودة ووقفت على سر الكنز دون سواي فلماذا لا اذهب الى باريس فاستولي عليه واسافر به الى بلادي فاكون ملكة النور بفضل ذلك المال

ولكن هذا الخاطر لم يحد يخطر له حتى راجعت عنه بغتة
اكان ذلك مبالغة منها في الحذر لخوفها من ان تجد مصاعب في باريس تفسد
امرها او انها ابت الاستئثار بالمال دون والدة لوسيان لما بينهما من
المودة فأثرت ان تقتسم واياها الكنز وتعيش معها على صفاء او انها
من الحكمة ان تستخدم والدة لوسيان في الاستيلاء على الكنز
عرفت موضعه وبعد ذلك لا يصعب عليها سرقته منها بطريقة من
العاقبة ولعل ذلك الارجح فانها كانت آية الايا بدهائها وحكمتها
الحيلة والاستنباط

وغاية ما عرف منها انها افر على اخبار والدة لوسيان بسر
وعولت على البحث عن لوسيان والعودة الى امه بالخبر اليقين

وفيما هي سائرة في الغابة سمعت عن بعد وقع حوافر جواد فاوقف
جوادها واصغت فسمعت اصواتا مختلفة فبالغت في الاصغاء فسمعت بين
امرأة وصوت رجل عرفت لاول وهلة انه صوت بنوات الاحدب

وعند ذلك وقفت بجوادها في ظل شجرة فكانت الاصوات تدنو
منها وبعد هنيهة رات على مسافة مائة خطوة الكونتس اورور ممتطية
جوادها ورات على جانبها بنوات الاحدب وداغوبير الحداد

فاجفلت حين راتهم واضطربت في امرها فلم تعلم كيف تجاذبهم
وكيف اتفق وجوده مع اورور

اما الثلاثة فانهم استمروا في سيرهم دون ان يروا النورية

١١

وقد عرف القراء كيف كانت نجاة داغوبير فان الاحدب نزل الى القبو بعد قتل الخادمين فقطع قيود داغوبير وانقذه وهو يوشك ان يجن من يأسه فانه عالم السبب في نصب الفخ له وانهم لم يسجنوه الا بغية ابعاده كي يخلو لهم الجو حين اختطاف حنة

فلما انتزع الاحدب الكمامة من فمه قال له لقد جئت بعد فوت الاوان وأسفاه

قال لماذا فانهم لم يظفروا بقتلك ولست ريحا كما ظن

قال ولكن حنة

قال نجت فاطمئن

فصاح داغوبير والدموع تسيل من عينيه وقال من انقذها انت

قال تعالى معي وسوف تعلم

فصعد الاثنان حتى خرجا من القبو فراى داغوبير الكونتس اورور واقفة عند الباب والمركيز لا يزال في يدها فتقدمت له وقالت انك مدين لي بالحياة ايها الصديق فلولم احسن الرماية لكان قتلك هذا الشقي

فاندهل داغوبير لهذا الاتفاق وجعل يتمتم كلمات الشكر لا تفهم وقد اشكل عليه كيف ان الكونتس اورور وهي ابنة عم لوسيان تتولى الى انقاذها على ما اشتهرت به من العسف والكبرياء واحتقار طبقة العامة من الشعب

وكانما اورور قد علمت ما جال في خاطره فابتسمت له ووضعت يدها

المترفة البيضاء فوق كفه وقالت انك منذهل يا داغوبير لمبادرتي الى انقاذك

فنظر اليها نظرة المنذهل دون ان يجيب فقالت ان انذهالك سيكون اشد حين تعلم انه بينما كنت اسيرة في هذا القبو كان ابن عمي لوسيان يتاهب لاختطاف حنة وقد كاد يظفر بها لو لم ابادر الى انقاذها

فقال داغوبير ماذا ارى ياسيدتي وماذا اسمع العلي من الحالمين

فاجابه الاحدب كلا ايها الصديق فان ما قلته لك هو الحقيقة وازيد على قولها اني قتلت ذلك الشقي فانتقمت لك منه بالموت

وقالت له اما وروريجب ان نعود الان الى دكانك فقد تركت حنة بحراسة الاب جيروم والان يا داغوبير اذا اردت ان تعلم لماذا انقذت حنة و نقذتك فذلك لان امي هي ام حنة

فانذهل داغوبير انذهالا لا يوصف وعاد الى الاعتقاد انه حالم فجعل يجيل نظره بين الاحدب وبين اوروروهو لا يفقه شيئا من هذا الحديث

فقال له الاحدب هلم بنا الان الى منزلك فلا يجدر بنا البقاء في منزل تركنا فيه قتيلين

فخرج الثلاثة وداغوبير لا يزال على انذهاله فامتطت وروز جوادها يسار الاحدب وداغوبير وراءها فكان داغوبير ينظر اليها نظرات بلاهة فانه طالما راى هذه الفتاة فكان يغفر منها لصلفها ولما اشتهرت به من الاساءة الى الفلاحين وهو الان يضطر الى حبها لانها انقذت حنه ولانها اختها ولانها انقذته فبات مدينا لها بالحياة

مازلوا يسيرون حتى وصلوا الى الدكان فاطمأن داغوبير ووثق بالسرق بما قالته له اورور لانه راى الاب جيروم وراهبين جالسين بباب الدكان لحراسة حنة كما اخبرته اورور

فلما دخل الى الدكان هجمت عليه حنة فعانقته ودموع الفرح تذرف من عينيها ثم عانقت اورور ايضا ودعتها باختها فزال من نفسه كل شك

وكان الاب جيروم يبكي ويقول ان وجه احداهما وجه كريستين وصوت الاخرى صوتها

وفيما هم على ذلك صاح داغوبير صيحة منكرة فانه افتقد الخاتم في اصبعه فلم يجده

فقال له الاب جيروم ماذا اصابك

قال لقد سرق الاشقياء الخاتم

فقالت اورور اي خاتم

قال الخاتم الذي كان بيدي المحتوي على ثروة حنة

فابتسم الاب جيروم وقال اطمئن يابني فان الضرر اخف مما تظن فني جيد الذاكرة ولا ازال اذكر المكتوب في الورقة

فقال داغوبير بلهجة القانط ولكن اولئك اللصوص يعرفون ايضا بعد ان سرقوا الخاتم وسيذهبون الى باريس

فقال له الاب جيروم كلا بل سنصل قبلهم بشرط أن تكون جيتني بامر الرئيس العام

فاخرج داغوبير جواب الرئيس من جيبه ودفعه اليه ففتحه الاب

حنة تعانق داغوبير عند عودته

جيروم وقراه فعلم ان الرئيس ياذن له بالتغيب عن الدير ثمانية ايام فقال ذن سنصل قبلهم دون .ك فتاهب للسفر يا داغوبير

فقالت اورور وانا اذهب معكم

وبعد ساعة كانت اورور راكبة جوادها وعائدة الى منزلها فلما دنت من القصر اسرع اليها احد الخدم وقال لها اسرعي ياسيدتي اسرعي ... ان المصاب عظيم لو تعلمين

فاصفر وجه اورور وقالت ماذا حد

قال بنيامين يا سيدتي ... بنيامين

قالت اين هو

قال انه مات بالسكتة الدماغية

قالت وابي كيف حاله

قال انه على شر حال يا سيدتي حتى اننا خشينا عليه في هذه الليلة

فنزلت عن جوادها واسرعت الى الغرفة التي وضعوا فيها بنيامين فوجدت ذلك المنكود مسجى على السرير ولا تزال هيئته على ما كانت عليه قبل الموت فان الموت كان سريعا فلم يغيره فاخذت اورور يده الباردة فقبلتها وجعلت تسمع حكاية موته من فم الخادم

وبعد ذلك قبلت يده ايضا باكية ودخلت الى غرفة ابيها فوجدته كانه مشرف على النزع

اما ابوها فانه حين راها نظر اليها بعين المحتضر وتظاهر كانما رؤية بنته

قد اعادت اليه رشده فقال لها اجلسي امامي يا ابنتي واصغي الي فاني لا احب ان احمل معي احتقار بنتي لي الى القبر

قالت العلك تبت وندمت يا ابي ان الله يغفر للتائبين

فرفع الشفاليه عينيه الى السماء دون ان يجيب فلم تشك اورور ان هذا القاتل السفاك قد تاب توبة صادقة ولم يخطر لها في بال انه يمثل الفصل الاول من روايته الشائنة

١٢

كان الشفاليه دي مازير قد قضى ليلة كلها عذاب وقلق فانه كان يعلم ان ذهبت ابنته اورور ولكنه لم يكن يعلم السبب في تاخرها عن الرجوع

وقد كان سمع بنيامين وابنته يتحدثان بشان الفرار الى باريس فراعه غيابها وخشي ان تكون قد هربت وحدها دون بنيامين

ولبث على هذا الجزع الى الساعة العاشرة من الصباح فسمع وقع حوافر جوادها فبدأ عند ذلك يمثل دوره وهو يقول في نفسه لا بد للبنت ان تنتهي بتصديق ابيها

وقد سمعها تتاوه لموت بنيامين وسمع الخادم يروي لها حكاية موته فايقن انها لا تشك بموته الفجائي واطمأن باله

وكان قد اعد الخطة التي يجري عليها فلما دخلت اليه اورور قال لها اني شعرت بقرب الاجل يا اورور وانه لم يبق لي في هذه الحياة غير ساعات معدودة

فاضطربت اورور لسقوطها عليه وسميت انه قاتل امها فقالت له انك مخطىء يا ابي واسال الله ان يمد في اجلك

فهز راسه وقال لها ان دقائق معدودة يا ابنتي واذ كنت احب الحياة فلا احبها الا لاجلك غير اني لا اسب ان افارق الوجود قبل ان اعترف بخطائي واكشف لك اسماء الاثمين واخبرك بما يجب عليك صنعه بعد موتي

فصدقت اورور كلامه وحسبت تقريع الضمير قد دعاه في ساعته الاخيرة الى الندم اذ لم يخطر لها في بال انه سمع حديثها مع بنيامين

ثم انه كان يقول انه مخطىء لاثم وانه يريد ظهار الاثمين مما يدل على انه غير شريك لهم فذهلت اورور لهذا القول وقالت له تكلم يا ابي فاني مصغية اليك

قال انك سالتني مرة يا ابنتي ان ظهر لك السبب فيما تجدينه من النفور بيني وبين امراة عمك والدة لوسيان

قالت هو ذاك

قال وقد ابيت في ذلك الحين ان اخبرك بالحقيقة لانني لم اكن اعلم ان ساعتي قد دنت اما الان فلا بد لي من الاباحة لك بكل شيء كي لا ترتكب جريمة حمل هذا السر معي الى القبر

فخفق قلب اورور وقالت تكلم يا ابي

قال اعلمي يا ابنتي ان امراة عمك شر امراة ظهرت في الوجود فانها تولعت بي في عهد الصبا ولعا شديدا دعاها الى ارتكاب جريمة

وهنا توقف وقد خفت صوته كانه يخشى الاعتراف بهذا الخبر الهائل ثم قال انها قتلت امك بالسم

فوقفت اورور منذعرة غير ان اباها سالها ان تعود الى الجلوس فجلست وعاد الى الحديث فقال ان امراة عمك واخا لي لم تعرفيه من قبل اتفقا على خديعتي والعبث بي

وذلك ان اخي الكونت مازير اغوى فتاة فاولدها بنتا

وانا كنت ايضا عاشقا لهذه الفتاة وكنت اجهل زلتها فلم يخبرني احد بامرها بل جعلوني آلة لاصلاح خطاء اخي وازوجوني تلك الفتاة وهي امك يا ورور

وقد كان عام زواجنا الاول عام سعادة وهناء فان الكونت زوج البرنسيس هيلانة ولد نبرفتينت بنت امك الاولى وكتم الاثنان ذنب امك عني فلم يكشفه لي غير امراة عمك

ولقد قلت لك ان امراة عمك كانت تحبني حبا لا يوصف فكانت تكره امك كرها عجيبا وهي تظاهر لها بالمودة والاخلاص

فبينما انا في المنزل ذات يوم وردني كتاب عرفت انه من امراة عمك وهو يتضمن افشاء جميع ما جرى لامك مع اخي الكونت فجننت ليأسي وحاولت في البدء قتل امك ولكنها انطرحت على قدمي والتمست مني الصفح عن زلتها فياست من الحياة وبرحت مونيخ في اليوم نفسه تاركا امك مع نيامين فمكثت ثلاثة اشهر وانا احسب اني اكره امك ولكني كنت لا ازال احبها فعدت اليها فلقيتها واسفاه على حالة من الهزال كدت

لا اعرفها فقد اصفر وجهها حتى باتت كالميت وبانت غير قادرة على السير لفرط ما اصابها من الوهن

وعند ذلك دعوت لها اعظم اطباء تلك العاصمة فاثبت لي بعد فحصها انها مسمومة

وقد احضرت لها اعظم طباء اوروبا فبذلوا جهد ما بلغ اليه العلم في سبيل انقاذها فلم يبلغوا من شفائها غاية الى ان انطفأت كما ينطفىء المصباح اذا فرغ منه الزيت وماتت وهي تلعني لاعتقادها اني قاتلها الذي احببتها وبكيتها اشد بكاء

ولما وصل الشفاليه بحكايته الى هذا الحد ذرفت من عينيه دمعتان كاذبتان خدعت بهما اورور وبكت لبكائه وبقية فتاة لا تريد تصديق براءة ابيها مما يتهم به من الشائنات

وقد اكد لها ابوها ان امها ماتت مسمومة ولكنه اقسم لها بتربة ان الجريمة لم ترتكبها غير والده لوسيان واعترف لها ان امها ماتت وهي تلعنه على جريمته فكان ذلك خير تبرئة له امام بنته فقالت له اذن استطيع الآن ان ادعوك ابي كما كنت ادعوك

فتظاهر الشفاليه عند ذلك بضعف شديد فاطبق عينيه وانقطع صوته حتى حسبت اورور انه اشرف على الموت

وقد بقي يمثل هذا التمثيل نحو ساعة وهو مطبق العينين يتظاهر انه يريد ان يتكلم فلا يستطيع لضعفه حتى ايقن انه اتقن تمثيله وان اورور قد خدعت به كل الانخداع ففتح عينيه فنظر اليها نظرة المتوسل وقال

لها بصوت خافت ان بنة كرستشن الاولى لم تمت يا اورور كما يقال ولكني اجهل اين هي الآن فاعلمي يا بنتي ان اقدس واجب عليك من بعدي هو ان تبحثي عنها و ن تحييها وانا اوصيك بها خير وصاية فانها بنة امك اي انها اختك يا اورور

ثم عاد الى اطباق عينيه وجعلت شفتاه تتحركان دون ان تستطيعا اخراج صوت فحسبت اورور ان الساعة قد دنت وبقي على ذلك الى المساء فكانت ظواهره تدل على ان نزعه قد بدأ وكانت اورور راكعة قرب سريره تبكي وتصلي

فلما اقبل الليل ظهر كانه قد تنشق فجلس في سريره وقال اتعدينني يا اورور انك تبحثين عن اختك وتحيينها وتقتسمين ثروتك واياها

قالت دون شك يا ابي و زيدك اني عارفة اين هي وها انا ذاهبة لاحضارها فاذا قدر الله ان تنكب بقدمك فلا تموت قبل ان ترد اختي ببركتك الاخيرة

غير ان الشفاليه تظاهر انه لم يفهم ما قالته له بنته وجعل يهذي بكلامه فذعرت اورور وايقنت ان اباها بدأ به النزع فاسرعت الى مناداة الخدم حتى اذا اقبلوا فتح الشفاليه عينيه وقال بصوت لم يكد يفهم احضروا لي كاهنا في الحال

فامرت اورور احد الخدم ان يسرع الى مناداة الاب جيروم

١٣

كان السكوت سائدا حول الدير والظلام مخيما وقد فرغ الرهبان من

العشاء وصلاه لمساء وذهبوا الى غ فهم للنوم

غير انه بقي بينهم رجل لم ينم وهو الاب جيروم فكان راكعا يصلي ويلتمس من الله المساعدة على ادا ء ذلك الواجب الانساني الذي انتدب اليه

وقد كانت اورور وحين غادرت دكان داغوبير اخبرت الاب جيروم انها ستعود صباح غد فتذهب معه ومع داغوبير وحنة الى باريس ولم تذكر له شيئا عن ابيها وعن بيامين

ولكن الاب جيروم كان من اهل النقد الخبيرين بطبائع البشر فايقن من لهجة اورور انها ابنة كريستين حقيقة وانها اخت حنة فعدهما اعظم مساعد له ولداغوبير في المهمة التي عزم على اجرائها

اما حنة فان التعب والسهر كانا قد اضنكاها فقامت وهي تذكر اسم اختها اورور وكذلك داغوبير فقد نام ولكنه نام نوما متقطعا مضطربا فكانت تتمثل له اورور طول مدة رقاده

ولم يكن قد ارتاح باله الى الان فانه لم يعد يخشى الشقاليه دي فولون بعد ان نكل به الاحدب ولكنه كان لا يزال خائفا من الكونت لوسيان

ولذلك نام ووضع قرب سريره مطرقته الهائلة تاهبا لما قد يحدث من الطوارئ وهو عازم على سفك دمه في سبيل الدفع عن حنة

وقد كانت احلامه غريبة فقد مرت بخاطره تلك النورية التي

تنبأ له انه سيغدو من النبلاء ويلبس ملابس كبار رجال الجندية ويصبح من اغنياء العظام فتمثل له في الحلم ان تنوان النورية ماسكة بيده وبيد [illegible] وتعقد لهما عقد الزفاف

وقد تكرر هذا الحلم فكان يصحو منزعجا لاقل صوت

وفيما هو على ذلك اتيه منذعرا لوقع حوافر جواد فاخذ مطرقته [illegible] واسرع الى النافذة ففتحها وهو يحسب لاول وهلة ان الكونت [illegible] قد اقبل برجاله لمهاجمة الدكان واختطاف الفتاة بالقوة

وكان الظلام حالكا غير ان داغوبير راى فارسا قد اقبل من الغابة [illegible] عند باب دكانه فصاح به داغوبير من انت

فاجابه رجل بصوت لم يعرفه قائلا أانت داغوبير

قال نعم

قال اني قادم من قصر بيلياردير

قال ماذا تريد مني

قال ان الكونتس اورور ارسلتني اليك فانى قادم برسالة الى رئيس الدير وقد قالت لي سيدتي ان استعين بك على البلوغ الى الرئيس فطرقت الباب فلم يفتحوه

قال العل في الامر ما يوجب الاسراع

قال نعم

قال اذن انتظرني فاني قادم اليك ثم نزل اليه فقال له هات الرسالة فستولى ايصالها عنك اذ لا يؤذنون لك بالدخول الى الدير

فاعطاه الرسالة وذهب بها داغوبير الى الاب جيروم ففتحها وقرأ فيها ما ياتي

سيدى

انك قد شقيت فيما مر بك من ادوار الحياة غفرت لمن اساء اليك وقد قلدك الله سلطة العفو عن التائبين فاحضر في الحال لسماع اعتراف ابي المنكود فانه على فراش الموت اورور

فرت غمامة كثيفة بمخيلة الاب جيروم فان هذا الرجل المشرف على الموت هو الذي تزوج كريتشن تلك الفتاة التي طالما احبها الرئيس في عهد شبابه والتي دعاه حبها الى الدخول في سلك الرهبان والانقطاع لخدمة الله

غير انه تذكر انه بات الان من رجال الله فنسي الماضي وغفر لمن ساء وقال لداغوبير اذهب يا بني فاعد لي جوادا وقل للرجل الذي جاء بالرسالة اني متاهب للرحيل

وبعد ذلك بساعتين كان الاب جيروم جالسا عند سرير الشفاليه دي مازير والد اورور يسمع اعترافه وعلى وجهه علائم الموت الكاذب

وقد طال اعترافه فلما انتهى دخلت اورور فرات الاب جيروم تنهل الدموع من عينيه وقد خدع باعتراف الشفاليه وصدق حديثه الملفق فتاثر منه كل التاثير

اما الشفاليه فانه كان يقول بصوت خافت حبذا لو فسح الله في اجلي بضع ساعات فارى ابنة امراتي كريتشن

فتأثر الاب جيروم لهذا التوسل وقال لاورور تعالي معي فلا يخلق بنا ان نرفض اخر ما يطلبه الينا بون . تعالي معي وعودي الى ابيك باخلاك حنة

فلما انصرف الاب جيروم واورور وخلا المكان بالشفاليه نفض عنه غبار الموت وضحك ضحك الساخر وهو يقول اني لا اموت ايها الاب المحترم قبل ان تصبح حنة وثروتها في قبضة يدى

١٤

ولنعد الآن الى قصر بوريير فقد مضت ثمانية ايام على الحوادث التي بسطناها دون ان يغير الكونت لوسيان الخطة التي نهجها بازاء امه

ولقد تركنا لوسيان يهم بنقل صديقه الشفاليه الى منزله فان هذا الشفاليه لم تقتله رصاصة الاحدب وقد قرر الاطباء بعد اخراج الرصاصة ان لا خطر على حياته .

وبد ان اطمأن لوسيان على صديقه جعل يضيع اوقاته بالصيد ولم يعد الى منزله فانه هجر امه بعد ان وقف على سر خيانتها ولم يعد الى القصر .

اما الكونتس فقد كبر عليها هذا الفراق وذعرت لما رأته من اصرار ولدها على فراقها واحتقارها فارسلت اليه ام روكامبول تستعطفه بغية ارجاعه الى امه فطردها اقبح طرد وابى ان يسمع حديثها

واما ام روكومبول فانها لم تكترث لغضبه وعادت الى القصر تهتم في تدبير الاستيلاء على المال المدفون فكان اول ما فعلته انها جعلت تستاني

القصر جاسوساً على الشفاليه دي مزير

وقد ارسلته الى قصر ثلاث مرات فاخبرها في المرة الاولى ان الشفاليه على فراش الموت وفي المرة الثانية انه لم يمت وان الرجاء معقود على شفائه وعاد الى المرة الثالثة يحمل خبرا اضطربت له تنوان وهو ان ربيبة الدير التي كانت مقيمة عند داغوبير باتت تقيم الان في قصر الشفاليه مع اورور

وعند ذلك ادركت تنوان كل الامر واخبرت والدة لوسيان بما جرى فذعرت وقالت لا شك ان الشفاليه اشد منا دهاء فانه خدع الجميع مبتدئاً بابنته

فقالت له تنوان هو ذاك ولكنه لم يخدعنا

قال انه لا يخدعنا فقط بل انه يعبث بنا فقد اعترف للاب جيروم اعترافاً كاذباً حمله على المجيء بحنة اليه وبتنا في عرف ذلك الراهب من القتلة الاشرار وهو من الابرار الصالحين

فهزت تنوان كتفيها وقالت ماذا يضرنا ان يعرف الاب جيروم هذا العرفان.

قالت ويحك ما هذا الاطمئنان الم تقولي لي ان حنه عند الشفاليه

قالت نعم ولكن الخاتم عندنا وسيكون لنا المال

قالت ولكننا لم نقبضه بعد

قالت لا بد من الاستيلاء عليه ما زلنا نعلم محل الصندوق

قالت ولكن يجب ان نسافر الى باريس

فاجابتها النورية بملء السكينة اذن تسافر

وقد ذهلت الكونتس لما راته من سكينة تنوان واطمئنانها فقالت لها اني تعودت ان اثق بك كل الثقة ولكني اخشى ان تكوني مخطئة هذه المرة

قالت كيف ذلك

قالت ذلك ان داغوبير قد سود الخاتم كي لا يسلفت اليه الانظ وهو ما يدل انه واقف على سر ما فيه

قالت ان ذلك قد يكون

قالت اذن من يضمن لنا ان داغوبير لم يسافر الى باريس

قالت انا فقد رايته في دكانه في هذا الصباح

قالت والاب جيروم

قالت انه لا يزال في ديره وانا اعرف السبب في عدم ذهابه

قالت ما هو

قالت هو ان الشفاليه قد اتقن تمثيل دوره حتى اعتقد الاب جيروم وداغوبير واورور انه لا خوف من البقاء الى ان يتعافى وعلى ذلك فلم يبق لنا الا ان نسبقهم الى باريس

قالت ولكن نستطيع ذلك

قالت من يمنعنا

قالت ولدي لوسيان

قالت ان ان لوسيان لا يعرف شيئا مما نجريه حتى نه يجهل وجود

الصندوق

قالت هو ذاك ولكنه قد يتبعني الى باريس متى علم انى ذهبت اليها

فابتسمت النورية وقالت ان الامر على عكس ما ترينه فلس لوسيان الذي يتبعنا الى باريس بل نحن الذين نتبعه اليها

قالت اني لم افهم ما تقولين

فالت اذن اصغي الي وانتبهي لما اقول فان لوسيان راى ابنة عمه او ... فاخبرته ان جثة اختها وان امها ماتت مسمومة وانا نحن الذين قتلناها ولذلك وجب علينا ان ننزع من مخيله لوسيان هذا الفكر .

فظهرت علائم السرور على محياها وقالت استطيعين ذلك

قالت دون شك

قالت باية طريقة

قالت ذلك سر من اسراري ولكن قبل ذلك يجب ان يبقى لوسيان حيث امه

فارتعدت والدة لوسيان وقالت ان سكينتك تروعني

فابتسمت ام روكامبول وقالت اني لم اتم حديثي بعد فان لوسيان مخلص اشد الاخلاص لصديقه الشفاليه دي فولون وهو ينتظر شفاءه او موته

قالت لماذا

قالت لانه يانف ان يغادر صديقه في حالة الخطر وهو انما خرج في

سبيله فاذا شفي من جرحه فارقه وسافر لا محاله

قالت الى اين يسافر

قال الى باريس فينخرط في سلك الجندية

قالت اتظنين انه ينوي هذه النية

قالت بل اوكد فان جواسيسي الا تخفاهم خافية من امره وهو الان امة مجرمة فلا يقيم معها

قالت كيف حال الشفاليه ومتى تظنين ان لوسيان يسافر

قالت انه يسافر الليلة او غدا فان الشفاليه نجا من الخطر

فوضعت الكونتس راسها بين يديها وقالت رباه ما هذا المصاب

فقالت لها تنوان اي مصاب هذا الا تعلمين ان سفره يضمن انا نجاح مشروعنا

قالت كيف ذلك

قالت ذلك انك اذا سافرت بعد ابنك يعلم الناس اجمعون ومنهم والداورو انك مسافرة في اثر ابنك لارجاعه فلا يخطر لهم الشك في بال واما اذا سافرت دون ان يكون لك هذا العذر فان سفرك ينبه الافكار فيسرعون في السفر للبحث عن الصندوق

قالت انك لست بشرا وما انت الا شيطان رجيم

فاحنت تنوان كانها تشكرها لهذا الاطراء وعند ذلك طرق الباب ودخل الخادم يحمل رسالة الى الكونتس فاخذتها منه وفضتها بيد تضطرب اذ عرفت ان الخط خط ولدها وقرات فيها ما ياتي

(يرى الاطباء ان الشفاليه دي مولون نجا من الخطر فلم اجد بعد ذلك ما يضطرني لي ملازمته وعوّلت على مبارحة هذا المنزل الذي نشأت فيه والتخلي عن ثروة لا اعلم مصدرها

ان جميع الذين عرفوا ابي يؤكدون لي انه كان رجلا نبيلا شريفا وارجو ان اكون ورثت شيئا من اخلاقه وفضائله فاستطيع الارتزاق بفضل هذه الاخلاق

الوداع يا اماه اني مسافر الليلة الى باريس وقد اعيش فيها فقيرا ولكني اعيش نبيلا وليس الفقر عيبا من العيوب)

ولدك

لوسيان

فمسحت امه عينيها وهي تقول انه لا يوبخني بحرف حتى انه لا يتداني الى لومي

فهزت تنوان كتفيها وقالت ساعيده اليك على ما تريدين متى ان الاوان اما وقد سافر فلم يعد لنا بد من السفر

وفي اليوم التالي علمت تنوان ان لوسيان قد سافر في الليل فقالت الكونتس هلم بنا فقد بات الصندوق لنا

١٥

ولنذهب الآن الى باريس فنقص ما جرى فيها من حوادث هذه الرواية

ان افكار الفلاسفة ومبادىء طلاب الحرية كانت قد انتشرت في ذلك العهد حتى في القرى وسكان الحقول فشمخ اهلها بانوفهم بعد ان عاشوا

احقابا طويلة خاضعين لاستبداد النبلاء ورجال الدين كما رايت من
[illegible] داغوبير للكونت لوسيان وعدم اكتراث ذلك الفلاح بالكونتس
[illegible]

غير ان تلك الظواهر على شدتها في بلاد الريف لم تكن شيئا مذكورا
بالقياس الى ما كان يجري في باريس فان اهل الريف كانوا يدافعون
عن نفوسهم فيدفعون الشر بالشر واما اهل العاصمة فانهم كانوا ينفخون
روح الثورة فكانت الشوارع تغص كل الليلة بالخطباء ورجال الفتنة
فيحتشدون في كل مكان ويهيجون الجند والجنديه ويشكون الملك
والملكية

ولكن الباريسيين على اتفاقهم في الميل الى الحرية والغاء الاحكام المطلقة
لم تعدم الملكية بينهم انصارا من الطامعين بالرتب والالقاب والتقرب من
البلاء الى غير ذلك من الغرور

وان بين اولئك الطامعين ومعظمهم من الذين اثروا من التجارة
سراة تدعى مدام بليزوت اغتنت حين بلغت الخمسين من عمرها من تجارة
الصوف واقتصرت على السعي لجعل ولدها الوحيد في مصاف النبلاء وهو
شاب في الثلاثين من عمره يدعى قيصر

وكانت والدته من اهالي نوكريون ولابيها رئاسة ووجاهة وقد
مات عنها بعد ان ذهبت الحسائر باموله فتزوجت بليزوت فمات عنها وعن
ولدها وترك لها ثروة عقارية في باريس

وكانت سعيدة مع ولدها عائشة عيش بسطة ورخاء غير انها كانت

تقول ان اصلها من النبلاء و ن الاقدار جارت عليها فاضطرت الى العيش مع العامة والاختلاط بالتجار فلما بلغت الخمسين من عمرها لم يبق لها في الوجود غير مطمع واحد وهو ان تستبدل اسم ولدها باسم عائلتها لانها من النبلاء وتزوجه فتاة من اهل الحسب والالقاب

ولم تكن عارفة بشيء مما يحدث حولها من ثورة الافكار بل كانت تحسب انها لا تزال في عهد الحكم المطلق وسلطة الاشراف

وقد ذهبت الى رئيس الوزارة والى رئيس اليسوعيين والى لوكيل العمومي تلتمس مساعدتهم في استبدال اسم عائلة ولدها باسم عائلتها فرفض الوزير مقابلتها وسألها الوكيل مبلغاً لاتستطيع دفعه وذكر لها رئيس اليسوعيين كثرة من لديه من الرهبان وحاجتهم الى الانفاق فرجعت عنهم و بعلت تذهب كل يوم احد الى فرسايل فتقف في طريق الملك عند مروره بموكبه وتصيح بملء صوتها ليحيي الملك ولكن الملك كان يمر دون ان ينتبه اليها

وقد ربت ولدها على مبادئها فلم تؤثر عليه تلك المبادىء الجديدة التي غرستها في نفوس الفرنساويين كتابات روسو وفولتير فكان معروفا بين اخوانه بتشيعه للملكية حتى ان اصحابه كانوا يقولون لو كان الناس على افكار بليزموت واخته لما خرجت الحرية من عقالها ولكسر الفلاسفة الاقلام

على انه مع فرط تشيعه لم ينل ما كان طامعا بنيله فلبث ثابتا على مبدأه مع امه يعالان النفس بالامال

وكان يقيمان في منزل كائن في وسط الشارع ازاء قصر قديم مهجور لم يسكنه احد منذ خمسة عشر عاما .

وقد كان هذا القصر لاميرة المانية تدعى البرنسس هيلانه ثم انتقل بالارث الى رجل نبيل من الفرنساويين فورثته عنه سيدة فرنساوية نبيلة لم تكن تقيم في باريس

وكان بليزوت يفتح نافذة غرفته في كل صباح فيسرح نظره في حديقة القصر الغناء حتى اذا استقر بصره على باب القصر انقبضت نفسه وعض الحسد قلبه اذ كان يرى شارة النبلاء مرسومة فوق ذلك الباب فيود لو خسر نصف ماله على ان يكون له مثل هذه الشارة

وقد علل نفسه بامنية كان يرجو بها ان ينال ما يريد وهي ان صاحبة هذا القصر لابد ان تحضر يوما اليه وانه شاب جميل فاذا رآه فانها تهواه دون شك وتعينه على ادراك بغيته من نيل القاب الشرف فكان اذا خطر له هذا الخاطر نظر في المرآة نظرة اعجاب وفتل شاربيه متباهيا بجماله واثقا من سلطانه على قلوب النساء .

فاتفق ذات يوم انه فتح نافذة غرفته في الصباح حسب العادة فاه فر وجهه واضطربت رجلاه فانه راى عند باب القصر مركبة سفر ضخمة يجرها ثلاثة جياد فايقن ان امانيه قد تحققت وان صاحبة القصر قد عادت وانه لا بد ان تعلق في شرك هواه فوقف في نافذة غرفتها لا يفارقها رجاء ان يرى صاحبة القصر .

وقد لبث واقفا عدة ساعات لا يمل ولا يصرف نظره عن القصر

دون ان يرى احدا الى ان دنت ساعة ارتياحه وفتحت نافذة في احدى غرف القصر فدهش وراجع خطوة الى الوراء

ذلك انه راى امراة قد برزت من تلك النافذة وعلم من ملابسها انها من الخادمات ولكنه قال في نفسه انه متى وجدت الخادمة وجدت السيدة ولا بد ان اراها

وعاد الى الصبر والانتظار حتى انتصف النهار فانقرت كربته وفتحت نافذة اخرى فظهرت له مراة تبلغ الاربعين من العمر وهي بملابس تدل على انها صاحبة القصر فسر سرورا لا يوصف وقال في نفسه لقد بدات امالي تتحقق

ولكنه عاد الى التفكير فقال اني لا ادرك رجائي لا بشرطين احدهما ان تحبني هذه المراة الحسناء والثاني ان تكون ارملة اما انها تحبني فذلك لا ريب فيه فان النساء النبيلات يعشقن الجمال وقد شهد لي نساء الحي انى اجمل رجاله واما انها ارملة فذلك ما ارجوه فاني لا ارى معها رجلا

اما تلك المرة فانها وقفت هنيهة في النافذة لتستنشق الهواء ثم اقفلتها واختفت عن انظار قيصر فذهب توا الى امه فاخبرها بعودة صاحبة القصر وذكر لها اوصافها ومطامعه فيها فقالت له لا ريب عندي يابني انها ستهواك فان هيئتك تدل على انك من الامراء وانت تشبه اجدادك النبلاء

١٦

لا بد ان يكون قد عرف القراء ان هذه المرأة التي راها قيصر

انما كانت الكونتس دي مازير والدة لوسيان فانها قدمت تلك الليلة الى باريس مع ام روكامبول

وكان سبب سفرها الظاهري التفتيش عن ابنها وقد اذاعت هذا الخبر قبل سفرها كي تحمل الشفاليه دي مازير على الاقتناع بهذا السبب المعقول فلا يشتبه بها الظن ولا يدرك شيئا من مقصدها الخفي وهو الاستيلاء على الصندوق

وقد سافرت مع النورية وجعلتا دخولهما الى باريس بعد منتصف الليل فذهبتا الى ذلك القصر الذي ولدت فيه كريتشن بنتها حنة وهو قصر كان للاميرة هيلانة فانتقل بالارث الى زوجها الكونت مازير ثم كان من بعد وفاته من حصة لوسيان

وكانت والدة لوسيان قد هجرته منذ خمسة عشر عاما فلم يكن فيه غير حارسين وقد ذهلا حين رايا سيدتهما عادت الى القصر بعد ذلك الغياب الطويل

اما والدة لوسيان فانها صعدت الى سريرها حين وصولها بغية الاستراحة وقالت لتوان غدا نبدأ الاعمال

وفي اليوم التالي فتحت الكونتس عينيها فرات النورية جالسة عند سريرها فقالت لها اين كنت الملك الان صحوت

قالت كلا فقد برحت القصر منذ الفجر ولم اعد الا الان

قالت اين كنت

قالت كنت استطلع اخبار لوسيان

قالت الملك وقفت على شيء منها

فابتسمت تنوان وقالت دعي الآن يا سيدتي حنوك على ولدك ودعينا نقتصر على البحث في شان الصندوق

قالت ليكن ولكني احب ان اعلم كيف وقفت على اخبار لوسيان وماذا علمت منها

قالت ان الامر سهل فان لكل مسقاطعة فندقا في باريس يقيم فيه القادمون منها وكنت اسمع الناس في المسقاطعة التي منها لوسيان يذكرون بين يتحدثون عن الفنادق غير فندق الاشجار فقلت في نفسي لا بد ان يكون لوسيان مقيما في هذا الفندق وقد اصاب ظني

فقالت الكونتس اكان مقيما فيه

قالت لقد كان فيه حين قدومه واما الان فانه ذهب الى فرساي وهناك نجده حين نشاء

فقالت لها الكونتس ما هذه القسوة كانك لا تعرفين عواطف الامهات ثم لعل بعدك عن ولدك اضعف في قلبك هذه العاطفة

قالت بل قربي من الصندوق والذي اراه انه يجب ان نقصر حديثنا الان على المهمة التي جئنا من اجلها فقد اتينا للبحث عن الصندوق ويجب ان نجده

قالت ان الامر سهل في الظاهر ولكنه في الحقيقة غير سهل

قالت انك مخطئة

قالت كيف اكون مخطئة والعقبات ظاهرة فان لوايول لم يخبر الأب

جيروم في الورقة التي اودعها في الخاتم انما عن امر واحد وهو ان المنزل الموجود فيه الصندوق كائن في ذراع اباي اي الشارع الذي نحن فيه ولكن كيف لنا ان نعرف هذا المنزل

قالت اننا لم نكن نعرفه بالامس

قالت وكذلك اليوم

قالت انك انت لا تعرفينه اليوم

قالت كيف ذاك الملك تعرفينه انت

قالت ان الذاكرة قد تضل احيانا ولكنها لا تلبث ان تسترشد فلا تذكرين انه حين كانت كريستين مقيمة في هذا القصر الذي نحن فيه كان الخادمان وهما راوول والذي يدعى اليوم الاب جيروم مقيمين في هذا المنزل المقابل للقصر

قالت ولكن يوجد منزلان بازاء القصر فقي ايهما كانا

قالت في المنزل الايمن

قالت في اي دور منه كانا يقيمان

قالت في الدور الثاني ولم يكن لغرفتيهما غير نافذة واحدة

قالت ولكن لا يكفي ان نعرف الغرفة بل يجب ان ندخل اليها

فقالت لها بلهجة الواثقة ان ذلك سهل ميسور

قالت اوضحي يا تنوان فاني لا افهم ما تقولين

قالت اني بحثت في هذا الصباح وانت لا تزالين نائمة عن هوية الجيران فوقفت على حقيقة احوالهم فان هذا المنزل الموجود فيه الصندوق

كان من قبل فتمنا فكان الخادمان يقيمان فيه ثم شترته امراة تدعى مدام بليزوت

قالت من هي هذه المراة

قالت هي امراة لا اسم لها في الوجود الا ان يكون انها في مصاف النبلاء فهي تبذل الجهد للتقرب من اهل النبل بحيث لا تمضي هذا اليوم حتى ترينها قادمة لزيارتك

وكانت الكونتس قد فتحت عند ذاك نافذة الغرفة و تكات عليها في حين ان النورية كانت جالسة في الزاوية تحدثها

وكان قيصر ينظر الى الكونتس في ذلك الحين فقالت لها تنوان انظري اليه يا كونتس فهذا هو

فاقفلت الكونتس النافذة بعد ان نظرت الى قيصر وقالت لتنوان من هو هذا

قالت ابن مدام بليزوت وقد تذكرت الان ذكرى بعيدة وهي ان كريتشن ولدت حنة في هذه الغرفة التي تقيم فيها الان

قالت هو ذاك

قلت وقد ذكرت الان انه بعد ولادتها امر الطبب ان تفتح جميع النوافذ لتجديد الهواء فلما فتحناها رايت راوول واقفا في هذه الغرفة نفسها التي يقيم فيها الان ابن بليزوت

قالت تظنين ان الصندوق في هذه الغرفة

قالت بل اوكد

وابتسمت الكونتس وقالت اني لو كنت اصغر مما انا الآن بعشرين عاما لدخلت المنزل كما اشاء

قالت ولكنك من النساء اللواتي لا يذهب العمر بجمالهن. انظري الى مرآتك تجدي انك لا تزالين في نضارة الجمال وانا الضامنة انه لا يمضي يوم حتى يصبح هذا الشاب مفتونا بك اذا اردت ان تفتنيه .

قالت اتظنين انه يقع في شركنا .

قال دون سك فلا ننال الصندوق الا بفضله الم ترى كيف كان ينظر اليك .

قالت لقد اصبت يا تنوان فان نصب الشرك لهذا الفتى المغرور اقرب الطرق الى الصندوق .

قالت بل الصندوق اقرب الطرق الى مسالمة ابنك فابدأي بمغازلة هذا الفتى وعلي البقية

١٧

على ان امانى قيصر لم تتحقق كما كان يتوقعه فان تلك الحسناء التي راها من النافذة لم تجن بهواه كما كان يتوقع فقد مضى النهار كله دون ان تظهر له من النافذة او ترسل اليه رسول غرامها فصبر الى منتصف الليل وهو جالس عند النافذة يتوقع في كل حين ان تبرز له من خدرها ولكنه لم ير نورا في القصر ولم تفتح النافذة

وقد بقي على هذه الحال الى الساعة الثانية بعد منتصف الليل حتى غلبه النعاس فنام ولم يحل غرامه دون نومه كما يقول الشعراء

ولما اصبح الصباح عاد الى النافذه فلم ير احدا ولم ير تلك المركبة في الفناء فجمد الدم في عروقه وخشي ان تكون تلك الحسناء قد سافرت.

وقد اعياه الامر فذهب الى امه وشكا لها حاله فقالت له بملء السكينة لا تيأس يا بني فانك اذا لم تظفر بهذه الحسناء ظفرت بسواها فانه يوجد كثير من بنات الجمال نمنين ان يتمتعن في شرك غرامك والان ارجو ان تتعزى فاني ساخبرك بنبأ سار فاعلم انهم اذا لم يأذنوا لك ان تستبدل اسم ابيك باسم امك النبيل فقد اجد اسما نبيلا ادعوك به بالرغم عن الحكام وعن الملك نفسه

فدهش قيصر وخشي ان يكون قد اختلط عقل امه فقال لها كيف يكون هذا يا اماه ومن يستطيع ارغام الملك

فابتسمت وقالت له اصغ الي يا بني فاني ساحدثك بامر قديم يتصل عهده منذ عشرين عاما

ذلك ان اباك كان في ذلك العهد لا يزال يشتغل بالتجارة

وكنا قد اشترينا هذا البيت فكان الدور الاول يقيم فيه احد القضاة وقد جعلنا الثاني غرفا متفرقة يقيم فيها الضباط والحراس

قال ما دخل هذه الحوادث يا اماه بما نحن فيه

قالت صبرا يا بني فاني لم اتم حديثي بعد فانه كان بين اولئك الضباط الذين يقيمون عندنا حارس جميل كنت اعتني به عناية خاصة.

وشهد الله انه لم يكن بيني وبينه ريبة فقد كنت من اوفى النساء

لعهد ابيك غير اني كنت اتأثر لنظرات هذا الشاب الجميل فان عينيه كانتا تدلان على حزن عميق ولعله كان يتأثر لحالي حين علم انني تزوجت برجل من العوام

وكان تأثري شديدا فاني والحق يقال لم اكن احتمل ان ادعى باسم بليزوت وانا ابنة دي فوكرسون

فتألم قيصر لما راه من احتقار امه لابيه وقال لها لتعد الى قصة هذا الحارس الجميل يا اماه

قالت ان هذا الحارس اقام في منزلنا ستة اعوام وكان يقيم في الغرفة التي تقيم فيها انت الان

ويظهر ان هذه الغرفة قد طابت له او ان له فيها ذكرى من ايام شبابه فانه يريد ان يعود اليها

قال كيف عرفت ذلك

قالت انه كتب لي

قال متى

قالت اليوم وهذا كتابه بيدي فخذ واقرأ

فاخذ قيصر الكتاب منها وقرأ ما ياتي

سيدتي العزيزة

دخلت الى ارض فرنسا وبلغت الوطن العزيز منذ ساعة بعد غيابي عنه خمسة عشر عاما

اني اكتب اليك الان من الهافر بعد ان عدت من الحرب الاميركية

فلم ء - بثروة من تلك البلاد النائية بل عدت بحسامي وهو كل ثروتي

ان الملك سيعين لي راتبا يكفيني د ن شك لاني لست من اهل الا - راف وظن انك لا تزالين تؤجرين الغرف في منزلك للضباط

فاذا كان ذلك وكنت لا تزالين في منزلك القديم في شارع اباى فارجوك ان تخصصي لي غرفتي القديمة فيه فاني ساصل اليكم بعد عشرة ايام

وفي الختام اقبل يديك و رجو ان اراك قريبا بخير وعافية

راوول دى موليير

فلما قرأ قيصر الكتاب نظر الى امه وقال لها اظن يا اماه انك ستجيبين هذا الضابط النبيل انك اعتزلت الاعمال فلا تؤجرين الغرف في منزلك

قالت بل سافعل عكس ذلك فاعد له تلك الغرفة و تقل اثاثها القديم

فدهش قيصر وقال لها كيف يكون ذلك يا اماه

قالت ان را ول دي موليير سيعود بعد عشرة ايام فاستقبله بكل ترحاب

قل ولكن . . . .

فاعترضته قائلة ساعرفه لى الاشتراك معنا بالمعيشة فانه فقير ونحن اغنياء وهو قد تجاوز عهد الشباب فلا بد ان تغره العيشة العائلية وتستهويه

م وكاهول عليها ليثبت باسم فقالت له العلك ممن يعتمرون لاسرار فتشجع تيصر لقولها اذ كان يعتقد انها خادمة من يهواها وقال دون شك

قالت اذن عد الى منزلك ونم الليله وفي الغد اذهب الى القهوة التي تعودت ان تذهب اليها كل ليلة اي قهوة ملك بروسيا

قال وبعد ذلك

قال نث تجد فيها كتابا باسمك فاذا جريت بالة قيق على ما يكتب لك فيه تصح سعيدا بنيل ما تبتغيه

وعند ذلك حيته ثم افترقت عنه فدخلت الى قصر واقفات الباب

١٨

اما تيصر فانه دخل الى منزله والفرح ملء قلبه ولو لا ما اوصته به النورية من الكتمان لايقظ امه واخبرها بما اتفق له فان الفرح كاد يضل صوابه

فلما دخل الى غرفته اسرع الى النافذة فرحها ونظر الى نافذة غرفة القصر فوجد ان النور قد احتجب عنها وانها اقفلت فقال في نفسه انها صعدت الى سريرها وهي الان تفتكر بي دون شك

ثم خلع ثيابه وهو في كل فترة ينظر الى المرآة معجبا متبسما لما وهبه الله من الجمال ثم يفتل شاربيه مترنحا من الاعجاب ويقول في نفسه لله دري ما اقدر لي على اجتذاب قلوب النساء

وبعد ان فرغ من خلع ملابسه صعد الى سريره وبحث بحثا طويلا فيما سيفضي اليه امره فاستنتج بعد التفكير ان هذه المراة النبيلة باتت متولهة به وانها ارملة وانه اذا احسن التصرف تزوجها قبل ثلاثة اشهر فانه كان قد قرأ مائة قصة غرام فما قرأ حكاية عاشقين الا راى انها تنتهي على ما يرومان

وهنا جعل يعيد في ذاكرته كل ما قراه من سير اهل الغرام فذكر العذال والمزاحمين وما يحول دون مشتاق من المونع ومكر اهل الشر غير انه كان يذكر ان الشر لم يكن يحيق الا باهله وان العاشقين يخرجان من معارك الغرام بالنصر المبين

ولذلك راعه انه لم يجد مزاحما في من يحب ولم يلق عثرة في سبيل هواه فلم يرق له هذا الحب وتمنى لو تخلله شيء من الصعاب فجعل يفكر عله يعزى بمشكلة فخطر له راوول وقال في نفسه ان هذا الرجل قد بات شيخا وهو اذا تزوج امي عاش بيننا فنغص علي غرامي وكدر عيشي وربما كان السبب في الفرق بيني وبين من اهواها

وفي الاقوال السائرة ان الحب والكره لا بد ان يمتزجا في كل نفس وقد اتفق ذلك لفيصر فانه احب الكونتس دون ان يكلمها او يسمع صوتها حبا شديدا فتولد عن هذا الحب الغريب في نفسه كره شديد لراوول في حين انه لم يره بعد ولم يسمع به قبل الان

على انه بالرغم عن غرامه وعن ذلك السرور الذي كاد يذهب بعقله تغلب النوم عليه فنام ولم يحلم بمن يحب فلما استيقظ خجل من نفسه اذ وجد

ذلك فرام ان لا يشغلوا عمن يحبون ولو في المنام .

كان اول ما فعله انه اسرع الى النافذة واطل منها فوجد نافذة حجرته لا تزال مقفلة ولكنه رأى نافذة مفتوحة في غرفة اخرى من القصر رأى منها تلك السودية التي كلمته بالامس وهي واقفة تنظر اليه فحياها فقصر وابتسم لها فلطف ابتسام فكان رد التحية انها وضعت اصبعها على فمها اشارة الى الكتمان وانصرفت

وكان من عادته ان يذهب كل يوم قبل الظهر الى تلك القهوة ليقرأ كل ما ورد من الجرائد ثم يعود بعد الظهر فيلعب كل ما تحتويه من الالعاب لانه كان يعتقد ان اصله من الاشراف ومن كان من اهل النبل لا يخلق به ان يشتغل

فذهب تلك القهوة ولما وصل اليها حيى صاحبها ووقف امامه عسى ان جاء ان يكون ورد اليه كتاب باسمه ولكن صاحب القهوة حياه حسب العادة ولم يعطه شيئا فذهب الى قاعة الجرائد وجعل يقرأ الى الظهر وهو يذهب من حين الى حين الى صاحب القهوة ويسأله عن بعض اصحابه دون ان يجسر على سؤاله عن الكتاب فلا يدفع له الرجل شيئا فيعود الى القراءة حتى قرأ تلك الجرائد اربع مرات وانصرف الى البيت قانطا من ذلك الكتاب

اما امه فان سرورها لم يكن ينقص عن سرور ابنها فانها كانت تتلل نفسها بالزواج براوول وتقول ان راوول كان من حراس الملك فلم يكن يذكر حقيقة لقبه ولكنه دون شك كونت او مركيز على الاقل فاذا

تزوجته اصبحت كونتس او مركيزة وغفرت للدهر اساءته الي بزويجي رجلا من العوام .

وجلس قيصر مع امه على مائدة الطعام وقد احتفظ بما اوصته به النورية فلم يبح لامه بشيء وكذلك امه فقد رات ان ولدها لم يرق له هذا الزواج فلم تحدثه بامنيها واتم الاثنان طعامهما دون ان يتكلما

ولما فرغا من الطعام عاد قيصر توا الى القهوه فالتقى بصاحبها ولم يدفع له الكتاب المنتظر

وكان اصحابه قد اخذوا يتوافدون الى القهوه فعرضوا عليه العابا مختلفة ولكنه كان يعتذر متعللا بالقراءة فقرأ الجرائد التي قرأها في الصباح خامس مرة دون ان يذكر شيئا مما قراه لانشغال باله بذلك الكتاب

وما زال على ذلك وهو ينظر الى الباب من حين الى حين حتى دقت الساعة الخامسة فمال صبره وخشي ان تكون تلك النورية هاتفة به فعول على الانصراف

وعند ذلك راى موزع البريد قد دخل وذهب توا الى صاحب القهوة فدفع اليه كتابا

فنادى صاحب القهوة قيصر وقال له ان هذا الكتاب لك يا مسيو بليزون

فكاد قيصر يطير من فرحه واسرع الى صاحب القهوة وهو على اشد حالة من الاضطراب حتى انه قلب المنضدة دون ان يتنبه اليها .

حتى اذا وصل الى صاحب القهوة اخذ منه الكتاب بيد ترجف وخرج لفوره من القهوة فذهب الى عطفة مقفرة وفض الكتاب فقرأ فيه ما يأتي

(ان التي تكتب اليك هذا الكتاب هي تلك المرأة التي كلمتك ليلة امس فاعلم ان سيدتي من اعظم النبيلات جاها وقد رأتك فراقها جمالك واحبت ان تظهر لك اعجابها بجمالك من فمها الى فلك ولكن اين وكيف

« ان سيدتي على كونها ارملة حرة في شؤونها فانها لا تخلو من الظلم والمراقبة فانه لا يوجد لقصرها غير باب واحد والبواب لا يفارقه في الليل والنهار »

(وفوق ذلك فانها لا تريد ان يقف احد من خدم القصر على شيء من اسرارها

(اما انا فاني وصيفتها وكاتمة اسرارها وقد علمت بعد البحث الدقيق ان امك تنام في الساعة العاشرة وانها تبيت في الدور الاول من المنزل كما انك تبيت في الدور الثاني وان لديكما خادمتين تبيتان مع امك وتنامان حين تنام وان لديك مفتاحا خاصا فلا يشعر بك احد حين تدخل الى منزلك متاخرا في الليل)

(فاذا كنت من اهل الظرف والكياسة والادب والكتمان كما نعتقد بك تقبل بما اقترحه عليك

(اما اقتراحي فهو ان تذهب الى فندق السراي الملكيه وهو اشهر فنادق هذه العاصمة توصي فيه على عشاء فاخر وخمر معتقه يرسلان

اليك في الساعه الحادية عشرة)

(ثم تضع المائدة في غرفتك دون ان يشعر احد بما تصنع وتنتظر)

(وعند منتصف الليل تقف مركبة عند باب منزلك وتكون سيدتي الكونتس فيها عائدة من الاوبرا فتسرع اليها وتفتح لها باب المنزل »

الامضاء

التي لمست كتفك ليلة امس واوصتك بالكتمان

فلما اتم قيصر تلاوة الكتاب لم يسر به ولم يتنس منه اما عدم سروره فلانه كان يرجو ان يسفر هذا الغرام عن الزواج فراى ان هذه المراة تريد ان تتسرى به واما عدم ايتناسه فلانه راق له ان يتعشى مع امراة له حسناء وكان عزاؤه ان تلك الحسناء على تيلها قد هامت بجماله فكانت البادئة في مقابلات الغرام

لذلك راى انه لا بد له ان يجري على ما اوصي به في هذ الكتاب فصبر لى ان نامت امه وخادمتاها فذهب الى الفندق واحضر العشاء والخمر الى غرفته

ثم وقف في نافذته وجعل ينتظر دنو الساعة المعينة

ولبث في موقفه الى ان انتصف الليل فسمع صوت عجلات مركبة تدوي فوق بلاط الشارع ثم راها قادمة الى جهة القصر

اما والدته فقد كانت نائمة وهي تحلم دون شك انها باتت مركزة امبراة مركز

١٩

حتى اذا وقفت المركبة عند باب المنزل مال قلب قيصر يخفق خفوقا شديدا ونزل ليفتح الباب والمصباح يكاد يسقط من يده لاضطرابها

وكانت المركبة قد وقفت عند الباب كما قدمناه فلما فتحه راى ان امراتين قد نزلتا من المركبة وهما الكونتس وتلك الوصيفة النورية التي لم تكن تفارقها

وقد استاء حين راى تلك الوصيفة قادمة معها اذ كان يعتقد ان الكونتس تجيء اليه وحدها

وكانت الكونتس متشحة برداء كبير يستر معظم وجهها فاتكات على ذراع قيصر وشعر قيصر ان يدها تضطرب فاستنتج من ذلك انها تهواه هوى اكيدا

اما النورية فانها قالت له ارايت كيف وفينا بالوعد

فقاطعتها الكونتس وقالت لها بصوت يتهدج اسكتي فاني اخشى ان يستيقظ النيام

وكانت تقول هذا القول بلهجة تشف عن الخوف الاكيد ثم اراد ت شبلت خوفها فنفخت في مصباح قيصر واطفأته

وعند ذلك ساد الظلام فتظاهرت بالاضطراب الشديد وقالت رباه اني خائفة ثم التصقت بقيصر وتمسكت بذراعه كما يتمسك الطفل بامه في الخوف وقالت له سر بي الى غرفتك ولا تترك يدي

فسار بها قيصر تتبعهما النورية حتى وصل بهما الى المكان المعد لسكناه

في المنزل

وكانت ولدته بعد ان امتنعت من تاجير غرف في منزلها اصلحت ذلك المنزل اصلاحاً كبيرا وخصصت الدور الذي منه لسكنى ولدها

وقد ابقت تلك الغرفة التي كان يقيم فيها راوول على حالها فلم تغير فيها غير ثانيها فكان قيصر ينام فيها

غير ان قيصر لم يذهب بالكونس الى تلك الغرفة بل دخل بها الى غرفة مجاورها كان قد جعلها قاعة للاستقبال فبسط فيها المائدة ووضع عليها العشاء وما جاء به من فاخر الخمور

فلما فتح باب تلك القاعة ظهر النور عليها من مصباحين من فضة كانا فوق المائدة فدخلت تنوان في اثرهما رافعات الباب

اما قيصر فقد كان مضطربا اضطرابا شديدا حتى ان لونه قد امتقع واصفر، وكذلك الكونتس فقد تظاهرت بمثل هذا الاضطراب فسقطت على كرسي وقالت رباه ماذا صنعت وما هذا الجنون

وكانت يد قيصر لا تزال في يدها فضغطت عليها وعند ذلك لم يجد ذلك الفتى كلاما يعرب عما كان يخالج فؤاده من الحب فركع امامها وباح بمكنونات فؤاده بكلمة قالها وهي احبك

فازالت الكونتس نقابها ورفعت وشاحها فظهرت لقيصر كانها الهة الجمال فقد كانت تانقت كل التانق وزينتها تنوان ابدع تزيين حتى باتت تبدو للنواظر انها بنت ثلاثين وهي قد تجاوزت الخامسة والاربعين

وقد كان الشيب وخط شعرها غير ان تنوان صبغت سوادهما

البيضاء وكحلت عينها وصبغت شفتيها بصباغ فرمزي فكانت تبدو في تلك الساعة لهذا الفتى المفتون كأنها الرغبة في قلب الجمال

ومما زاد في جمالها لديه تأنقها في ملابسها فانها كانت عارية الساعدين الى الكوع منكشفة الصدر الى اعالي الثديين فكانت تبدو بشرتها الناصعة بعيني قيصر فيكاد يجن بجمالها ولا يجد كلاما ينصح به عن مكنونات فؤاده عيا ورهبة فينظر اليها واجما ماخرذا كما يحثو الكاهن امام رسم معبوده فيعبده دون ان ينطق لسانه بحرف

وقد رأت الكونتس ان الرهبة الجمته وعقدت لسانه فوضعت يدها على رأسه وهو راكع امامها وجعلت تعبث بشعره ثم نظرت اليه نظرة دلال وقالت ما عساك تظن بي يا سيدي بعد ما رأيت من تهوري

فخفق فؤاده خفوق اجنحة الطائر وقال اني لا احبك حبا يا سيدتي بل اعبدك عبادة

فتداخلت تنوان عند ذلك بينهما وقالت ان خير احاديث الغرام ما كان على موائد الطعام بين كؤوس المدام فقوما الى المائدة اذا احببتما

فقالت لها الكونتس لقد اصبت يا تنوان ثم نهضت وانهضت قيصر الراكع عند قدميها فقدم لها ذراعه واجلسها على المائدة

وبقيت تنوان واقفة للخدمة من ورائهما وقد اغتنمت تلك الفرصة فاخرجت من تحت ردائها صندوقا صغيرا وضعه في زاوية القاعة دون ان يراها قيصر فان جمال الكونتس ولطف حديثها شغلاه عن كل امر

وكان قيصر على فرط انهماكه وتشغله بجمالها خطر له خاطر استاءه

بعض الاستيناء وهو ان هذه المراة النبيلة الحسناء لم تفعل هذه الفعلة لاول مرة ولا بد ان تكون قد استغوت قبله كثيرين من اهل الصبى والجمال غير انه تعزى عن ذلك ان اختيارها قد وقع عليه وانها عرفت قدر جماله فاختارته دون سواه من شبان ذلك الشارع

وكانت تنوان تملأ لهما الكوءوس وتحثهما على الشراب فكان قيصر يشرب ممتثلا وكلما شرب كاسا حلت عقدة من لسانه حتى ازالت الخمر ما كان بفؤاده من الرهبة فلم يعد الكاس الاول يدها وبعد ان ثنى كتفها ودفعه الثالث الى تقبيل خدها فكانت الكونتس تراقبه داعا فتعرف بزيده جرأة على جرأة بقدر ما كانت تزيد جراته الخمر

وما زالت تنوان تفتح الزجاجة تلو الزجاجة ويميل عنه بالشراب حتى تورد خداه واحمرت عيناه فسقه كاساوتوارى عن الانظار فذهبت الى الغرفة المجاورة للقاعة وتركت ذلك الفتى المغرور في خلوه مع الكونتس وقد بلغ الشراب منه كل مبلغ

وعند ذلك حاول ان يضمها الى صدره وهو يقول بلسانه المثقل السكر احبك فدفعته عنها بلطف فركع وجعل ينظر اليها بعينين تتقدان سكرا وغراما

اما الكونتس فانها ضحكت وقالت له يظهر انك تحبني حقيقة

فعقد لسانه ولم يجبها الا بعينيه

وقد حاول ان يقف فلم يستطع فدنت الكونتس عند ذلك منه وقبلت جبينيه فكان ذلك اخر ما شعر به هذا المكود فانه اطبق عينيه وسقط

على الارض لا يعي

وعند ذلك فتح الباب وظهرت منه تنوان فقالت اقضي الامر فاجابتها لكونتس لا ادري واظنه تمدنام من السكر

قالت بل من المخدر

قالت تطمئن انه لا يستفيق

قالت دون ذلك فقد افرغت في الكاس الاخير الذي سقيته اياه ما كان تحتويه هذه الزجاجة

وقدمتها وهي تقول هذا القول زجاجة صغيرة فقالت لها لكونتس ماذا كان يوجد في هذه الزجاجة

قالت نصف رطل سينام ست ساعات على الاقل اذا اطلقت المسافع عند ذلك لا يستفيق

قالت ان هذه المدة تكفينا فيما اظن ثم اخرجت من جيبها دفترا ومن ذلك الدفتر تلك الورقة التي كانت في خاتم داغوبير وقالت اني ارجو ان لا نخطئ ونجهد انفسنا عبثا

قالت اقرأي هذه الورقة تجدي الادلة صريحة

فقرأت الكونتس بصوت منخفض هذه العبارة الخاصة بمحل الصندوق وهي (ان صندوق الاوراق المالية ضمن الجدار وراء المستوقد في الغرفة التي كنا نقيم فيها)

ثم نظرت الى تنوان وقالت اهذه هي الغرفة التي نحن بها ام التي تجاورها

لوسیان وخنه

قالت بل التي تجاورها وهي التي ينام بها هذا الفتى

قالت اذن هلمي بنا فقد دنت ساعة العمل

وعند ذلك تعاونت الاثنتان على حمل قيصر فوضعاه فوق مقعد واخذت تنوان ذلك الصندوق الصغير الذي احضرته معها وهو يحتوي على كثير من الالات الصغيرة المتينة كالمبارد وغيرها وذهبتا الى غرفة قيصر وكانت النار حامية في المستوقد بحيث لم تستطيعا العمل به فاخذت تنوان ابريق ماء فصبته فوق النار فاطفأتها وقالت للكونتس لنبدأ العمل الان اذ يجب ان نفرغ قبل ان يستفيق هذا الابله

٣٠

وعند ذلك اخرجت من صندوقها ما كان فيه من المعدات وبدأت تمتحن ذلك الجدار بالنقر عليه في مواضع مختلفة كي تعلم من الصوت المكان الخاوي فيه

وقد فعلت ذلك بصبر عجيب فلم تدع مكانا في الجدار دون ان تنقر عليه حتى وصلت الى اسفله من وراء المستوقد فسمعت ان الصوت بات رنانا فابتهجت وقالت هوذا الموضع بعينه .

ثم جلست على الارض واخذت عدتها فبدأت بمعالجة حجر بانتزعته من الجدار وادنت مصباحها فظهر لها سبع سلاسل من الحديد معقود بعضها ببعض كالزرد فقالت ان الصندوق دون شك وراء هذه السلاسل ولكن دون قطعها مصاعب جمة فانها من الحديد الصلب

فقالت لها الكونتس الا تعمل بها تلك المبارد .

قالت دون شك ولكني اخشى ان يطول الزمن ويستفيق هذا الابله قبل فراغنا .

قالت اذن على ماذا عولت

قالت على العمل من قبيل التجربة فاما نفوز واما نعود بالخيبة

ثم شمرت عن ساعدها واخذت مبردا دقيقا فادخلته بين الذرد وجعلت تبرد الحديد بهمة شمأء فتمكنت بعد الجهد العنيف قطع من سلسله واحدة من السلاسل السبع ونظرت في ساعتها فرات ان هذا العمل قد استغرق ساعة وانه يستحيل عليها اتمام قطع السلاسل قبل ان يستفيق قيصر

فتهاورتا في الامر واتفقتا على ان تتعاونا على قطعها فتشتغل كل منهما بمبرد بحيث تقطعان السلاسل الست الباقية بمدة ثلاث ساعات

وكانت تنوان احضرت معها كثيرا من المبارد فاخذت الكونتس مبردا وجعلت تعاون تنوان على قطع السلاسل فكانت اذا اعياها التعب تركت المبرد وذهبت الى الغرفة الثانية فافتقدت قيصر وعادت الى العمل

وقد لبثتا على هذا الجهد المتواصل اربع ساعات متوالية فلما قطعت اخر سلسلة صاحت الكونتس صيحة فرح وصاحت تنوان صيحة ياس ذلك ان هذا الحاجز من السلاسل قد انكشف عن حاجز اخر وهو باب من الفولاذ لم تره الكونتس لاول وهلة

اما تنوان فانها ادنت المصباح من ذلك الحاجز وفحصته فحصا دقيقا فايقنت

ان اكسره محدثا دون احداث دوي شديد

ورات الكونتس ما راته فكادت تجن من يأسها وقالت لقد اسقط في يدنا وذهبت امالنا ادراج الرياح

وكانت تنوان قد قنطت قنوطا في البدء ولكنها كانت من اهل الدهاء والحيلة ففكرت مليا في الامر ثم قالت للكونتس ان سعينا الليلة في فتح هذا الباب محال اذ لا بد لنا ان نفتحه بمفتاح خاص يدخل في ثقب قفله

قالت ولكن اين نجد هذا المفتاح

قالت عند صانع الاقفال

فذعرت الكونتس وقالت ويحك يا تنوان اتمزحين في مثل هذا الموقف وان نجد الآن صانع اقفال

قال نجده غدا

قالت وكيف نستطيع ان نعود غدا بعد ان خدرنا هذا الرجل في منزله وانتزعنا السلاسل والحجر من الجدار

قالت اما السلاسل فيغطها الحجر واما الحجر فنرده الى موضعه كما كان فلا يفطن له احد وراء المستوقد

قالت ولكن كيف اعود الى هذا المنزل غدا

قالت انك لا تعودين اليه لانك ستلبثين فيه فاذا عملت بنصيحتي تلنا الصندوق في الليلة القادمة

قالت اوضحي ما خطر لك فاني لم افهم الى الآن ما تريدين

اما تنوان فانها لم تجبها بل اخذت شمعه وضاءه و مالتها فوق صحن فسال الشمع فيه فاخذت ذلك السائل ووضعته فوق قفل باب الفولاذ حتى اذا جمد انتزعته وقد طبعت عليه صورة القفل

وكانت الكونتس تنظر اليها دون ان تكلمها فاخذت تنوان قطعة الشمع فوضعتها في جيبها وقالت سانال المفتاح غدا

قالت ولكنك لم تخبريني كيف ابقى هنا وكيف نجتمع غدا

فابتسمت النورية وقالت سوف ترين ثم اخذت الحجر الذي انتزعته من الجدار فردته الى موضعه باتقان بديع بحيث لا يشك من ينظر اليه ان يدا قد عبثت به

وعادت الى الكونتس فقالت لها سوف ترين ما خطر لي صالح مفيد فاني ذاهبة الان من هذا المنزل

قالت وانا

قالت تبقين فيه

قالت ومتى استيقظ الفتى النائم

قالت ان من ينام اثر سكر نوم تخدير يصدق كل ما يقال له وقد ابتسمت لها حين قالت هذا القول وغمزت بعينها فادركت الكونتس قصدها وقالت لها لقد فهمت

قالت ان هذا الفتى يعلم بقينا ان سيدة لها منزلتك لا تستطيع الخروج من منزل شاب في رائعة النهار

فقالت لها الكونتس كفى يا تنوان لا تسهبي بالايضاح فقد ادركت

كل القصد وهلمي الان تعاون على نقل هذا الفتى الى سريره

فذهبت كلتاهما الى القاعة فحملتا قيصر الى غرفته ونزعتا ثيابه ثم وضعتاه في السرير

ودنت تنوان بعد ذلك من الكونتس فعبثت بشعرها وبشته وهي تضحك وتقول ان هذا الابله سيحسب نفسه بعد ان يستفيق ويراك منبوشه الشعر انه بات من اعاظم الرجال والان فان الفجر قد انبثق لا بد لي من الانصراف

قالت اذن ستعودين هذه الليلة

قالت دون شك

قالت ويكون معك المفتاح

قالت ذلك لا ريب فيه فاني لا اعدم صانعا حاذقا امنحه ما يشاء من المال فيصنع المفتاح اتقن صنع

قالت ولكن ماذا نصنع بعد ان تعودي

قالت ما صنعناه هذه الليلة اي اننا نسكر الفتى ونخدره ونبحث عن الصندوق باطمئنان

قالت كلا فاني ارتاي رايا اخر

قالت ما هو

قالت هو ان لا ادع لوالدته مجالا للشك فاني اتعشى معها

قالت وبعد ذلك

قالت وبعد ان يتعشى مع امه يذهب الى القهوة حسب العادة فيقيم

فيها ساعتين او ثلاثا وهذا الوقت يكفينا للاستيلاء على الصندوق اذا كان المفتاح معك فناخذه ونمضي

قالت انه راي حسن وها انا ذاهبة الان

ثم تركتها وانصرفت فوقفت الكونتس في النافذة وراتها قد خرجت من المنزل ودخلت الى القصر فاقفلت باب الغرفة من الداخل وقالت يجب الان ان امثل دور امراة تلم شرفها

اما قيصر فان المخدر اثر به تاثيرا عظيما وبلغ منه فوق ما كانت تتوقعه تلك فانه ظل نائما نحو اثنتي عشرة ساعة ولم يفتح عينيه الا بعد ان تعالى النهار وملأت الشمس غرفته

فصحا ولكنه بقي بضع دقائق لا يعلم اين هو ولا يدري ما حدث له كما يجري عادة للسكارى حين يستفيقون بعد سكر شديد

وقد جعل في البدء ينظر نظرات لاهة الى ما حوله ثم اخذ يتذكر شيئا فشيئا ما جرى له في الليل فذكر ليلته وانه كان على مائدة واحدة مع الكونتس في الغرفة المجاورة لغرفة نومه

وعند ذلك تنهد واستوى جالسا في سريره فراى في زاوية الغرفة تلك الكونتس وهي منبوشة الشعر خالعة بعض ملابسها وهي تعض يديها وتبكي بكاء شديدا

فدهش قيصر لما رآه ثم سمعها تقول بصوت خنقته العبرات دون ان تنظر اليه رباه ماذا صنعت وما هذه الهفوة التي هفوتها

فوثب عند ذلك من سريره اليها وركع امامها فجعل يقبل يديها

ويقول ما انت لبشر يا سيدتي ان انت الا ملك كريم

اما الكونتس فانها ابعدته عنها برفق وغمامت وجهها بيديها فقالت ماذا صنعت بي وما عسى ان يكون مصيري

وكان قيصر قد حلم طول ليله ان الكونتس كانت من حظاياه فلم يبق لديه شك ان الحلم كان حقيقة وانها كانت له في اليقظة لا في المنام

ومما زاده يقينا بكاء الكونتس ذلولم يكن الامر كذلك فما يدعوها الى البكاء

وعند ذلك راى انه يكاد يكون عاريا فخجل واسرع فلبس رداء كبيرا وعاد اليها يقبل يدها ويناجيها الطف مناجاه

اما الكونتس فانها مسحت دموعها وقالت له رباه ما عسى ان يحل بي

فلم يجبها على كلامها وقال لها بالف احبك

قالت لا انكر ذلك ولكن كيف يتيسر لي الخروج من هنا قبل الليل

قال تبقين

قالت وامك

قال ان امي لا تاتي ابدا الى غرفتي

قالت والخادما

قال اني امنعهن عن الدخول اليها

فتظاهرت الكونتس كأنها قد اطمأنت فتمت خطة نوان على ما وضعتها فان الكونتس انفذتها بالتدقيق

اما قيصر فانه شعر انه بات للكونتس نفوذ عظيم عليه فكانت تعبث به كما تشاء وهو طائع راض يوافقها في كل ما تريد

وعند الظهر صعد الى امه لمناولة الطعام معها واكتفت الكونتس بما بقي من فضلات العشاء

وكانت قد دعت الخادمة لاصلاح المنزل فقال لها من داخل الغرفة انه يقرأ رواية تشوقه ولا يجب ان تزعجه بدخولها

وقد حاول مرارا ان يعيد حلم الليل ولكن الكونتس كانت تقول له ان الاحلام لا تكون الا في الليل.

وعند المساء قالت له يجب ان تتعشى مع امك

بل كما تشائين

قالت ثم تذهب حسب عادتك الى قهوة ملك بروسيا

فنظر اليها نظرة حنو وقال لماذا تريدين ابعادي

قالت هذا الذي اريده وفوق ذلك فان وصيفتي ستعود الى عند منتصف الليل اي حين عودتك تتسير بي الى القصر

فنهد قيصر وقال كيف ذلك يا سيدتي الا تبيتين هنا الليلة

فضحكت الكونتس وقالت اني لا استطيع ان ابقى اسيرة هنا

فلم يعترضها وصعد الى منزل امه فتعشى معها فلا هي سألته عن عشيقته ولا هو سألها عن مطامعها براوول

كتب على احدى فوائدها معظم رسائله المشهورة الى فريدريك الكبير ملك بروسيا فدعيت القهوة باسم ملك بروسيا اشارة الى رسائل هذا الفيلسوف لشدة اعجاب الناس به في ذلك العهد

فكان المعجبون بهذا الشاعر الكبير والفيلسوف المصلح يجتمعون كل ليله في هذه القهوة فتدور مباحثهم على الدين وابرائه ورجاله فيغتدون بهذا المنتقد الملحد بالتهكم على الدين واهله والحملات على الكنيسة حملات منكرة

وكان اشدهم تحمسا في هذا الاتجاه فتى صيدلى هذب عقله العلم وافسدت نفسه تعاليم فولتير فكان له في كل يوم نادرة وفي كل جلسة خطاب فلا يجد بين زبائن القهوة غير الاعجاب لاجماعهم على هذه المبادىء

وكان يدعى شوبوردين فلما راى اعجاب الناس باقواله جعل يتخذها سبيلا للكسب فيبالغ فيها ولا يرى بعدها غير اقبال الناس على صيدليته على انه على تطرفه بهذه المبادىء كان مزاحا كثير التهكم وكان اكثر تهكمه على قيصر لما كان يراه من بساطة اخلاقه وتشيعه للملكية على اجماع الباريسيين على السعي في نقضها

ولكن هذه العهدة على اتفاق معظم زبائنها على تلك المبادىء لم تكن تخلو من المتشيعين للملكية وبينهم اربعة من الضباط المتقاعدين كانوا يترددون على القهوة ويلعبون فيها بالشطرنج

وقد اتفق مرة ان احدهم استاء من مبالغة الصيدلي بتهكمه فترك

ولما فرغ من العشاء اخبرها انه ذاهب الى القهوة فنزل الى غرفته حيث كانت الكونتس فودعها وانصرف

اما الكونتس فانها وقفت في النافذة تنظر عودة تنوان بفارغ الصبر

وفي الساعة العاشرة رات ان الانوار قد اطفئت في المنزل فايقنت ان والدة لوسيان قد نامت

ففتحت عند ذلك النافذة التماسا للهواء وجعلت تراقب قدوم تنوان مطمأنة فان قبصر وعدها انه لا يعود قبل انتصاف الليل

وبعد هنيهة رات تنوان خارجة من باب القصر فان النورية كانت تراقب المنزل حتى اذا رات القصر قد خرج منه والانوار انطفأت فيه ايقنت ان والدته نامت فخرجت من القصر

فلما راتها الكونتس خفق قلبها سرورا وقالت لها بالاشارة انها نازلة لتفتح لها الباب

ثم اخذت مصباحها بيدها ونزلت الى باب المنزل الخارجي

٢١

ان هذه القهوة التي يدعونها قهوة ملك بروسيا والتي كان يذهب اليها قيصر كل ليلة كان يختلف اليها اصحاب المبادىء الحرة في ذلك الشارع من طلاب الدستور

ولاسم هذه القهوة سبب قديم وهو انهم رووا ان فولتير الفيلسوف الشهير وموسس الثورة الفرنساوية كان يتردد على هذه القهوة وقد

الشطرنج وجاء اليه وهو يخاطب بين رفاقه فقال له اننا لسنا في عهد الصبي ولكن لا يزال لنا من القوة ما يعيننا على اقتلاع اذنك اذ عدت الى التهكم والهزء بالملك والملكة

فخاف الصيدلي وانقطع عن الهزء بالملك فانصرف الى التهكم على الكنيسة والقديسين وفي نفسه من التهكم على الملكة اشياء يحول دون اظهارها وجود هؤلاء الضباط

وقد اتفق في تلك الليلة التي امتثل فيها قيصر للكونتس وترك المنزل فجاء الى القهوة ان الضباط لم يحضروا ولم يحضر احد من المعجبين بذلك الصيدلي واصدقائه سوى قيصر

وقد جاء قيصر والصيدلي كاد يقتله الملل والوحدة

اما قيصر فانه كان باش الوجه مبتسم الثغر وقد دخل الى القهوة وعلائم الاعجاب بنفسه بادية في وجهه فلم يجلس حيث كان يجلس عادة في الحلقة العامة بل ذهب الى مائدة معتزله وجلس حولها كانه يريد الخلوة بمناجاة من يحب والتلذذ بذكر ما مضى من امانيه غرامه

غير ان الصيدلي قطع عليه هذه التصورات فانه دنا منه وحياه وقال له بلهجة الاستخفاف حسب عادته اراك شديد الاعجاب كثير التيه

فاجابه قيصر بجفاء لقد خدعتك عيناك فانا انا لم اتغير

على ان هذا الجفاء لم يؤثر بالصيدلي فانه رجع الى مائدته فاخذ كاس الشراب الذي كان عليها وعاد الى قيصر فجلس قربه وقال له اتعلم ايها الصديق ان ملامحك تدل على امور خفية يشوقني الاطلاع عليها

وارتعش قيصر وقال له كيف ذلك

قال ذلك ان هذا الغبير الذي طرأ عليك لم يبدأ الليلة وهو طاري عليك منذ امس

قال لقد قلت لك انك مخطيء

قال وانا اقول لك اني غير مخطيء فان هيئتك تدل على تيه عظيم كان الملك قد عينك مارشال القصر او كانك اشتريت باريس

قال ما هذا المزاح ايها الصديق

قال اني لا امازحك ثم غمز بعينه وقال الم يرد اليك امس كتاب الى هذه القهوة ولم تكن ترد رسائلك اليها من قبل

قال وماذا يهمك ذلك

فلم يحفل الصيدلي بهذا الاعتراض وقال انه كتاب غرام دون ذلك

فاحمر وجه قيصر وقال هب ان ذلك كان اكيدا فانه من شاني وليس من شؤونك في شيء

فغمز الصيدلي ايضا بعينه وقال له من يعلم ثم ابتسم له وقال لا تكتم عني امورك يا قيصر فما تعودت معي الكتمان وفوق ذلك فقد اكون عارفا اكثر ما تعرف

فزاد اضطراب قيصر لهذه الكلمات وهاجت منه عاطفة الغيلاء فقال له ما الذي تعلمه

قال اني مثلك من اهل هذا الحي ايها الصديق

قال ماذا تريد بذلك

قال اريد به انك من العشاق وان الكتاب الذي ورد اليك امس كان كتاب لقاء

فابتسم قيصر وقد هاجت به عوامل الكبرياء فلم يجب

فقال له الصيدلي وقد كان غلاف الكتاب مختوما بالشمع وعليه شارة النبلاء

قال انك حديد النظر كما يظهر

قال كلا ولكن هذا الكتاب قبل ان يرد اليك ورد الي

فانذهل قيصر انذهالا شديدا . قال كيف ذلك

قال ان امرأة تدل هيئتها انها من قبائل النور ولها عينان كانهما تتقدان بانوار الكهرباء جاءت الى صيدليتي في صباح امس واشترت فيونا وسالتني اين يوجد صندوق البريد

وكان الكتاب بيدها فنظرت الى غلافه عرضا

قال ارايت اسمي مكتوبا عليه

قال كلا بل رايت الختم الشمعي ورايت شارة النبلاء ولكني عرفت ذلك الكتاب حين جاءك به موزع البريد في المساء

وكان هذا السر قد ضاق به صدر قيصر فبات يتمنى ان يبوح به لمن يا تمنه بالرغم عما وعد به من الكتمان فان ما لقيه من السعادة بقرب الكونتس كير عليه حتى كاد يفجر في فؤاده فنظر الى الصيدلي وقد ابتسم له ابتسامة تشف عن موافقته وقال له اراك كثير الفضول يا شهبوددين

قال اني كذلك مع المخلصين من خواني

قال ولكني اخاف ان تكون شديد الخطر

قال اني ما بحت بسر كاشفني به صديق فاذ اشتهرت بالفضول وقد اشتهرت ايضا بالكتمان ودليل ذلك اني لم اخبر احدا من الاصدقاء بشيء من هذا الكتاب

قال احق ما تقول

قال اقسم لك بشرفي

فزاد تيه قيصر واشتد عجبه بنفسه فقال اني ايها الصديق لا ازال في مقتبل الشباب ولا حرج على اهل الصبى اذا تنعموا بالحياة

قال هو ذاك فان الشباب لا يرد

قال وان من كان له مثل مولدي يانف عشرة لمبتذلات من النساء ولا تطمح نفسه الا الى النبيلات

فقال له الصيدلي يظهر ايها الصديق انك نبيل حتى في غرامك

فابتسم قيصر وقد اهتز تيها وقال لقد اصبت

قال العالما من النبيلات

قال هو ذاك

قال وقد تكون من اهل البلاط

قال ربما

قال اذن ارو لي حكايتك معها فقد زدتني شوقا الى معرفتها

قال معاذ الله اني شريف والشريف لا يهتك اسرار النساء

ق ولكن الشريف لا يهتك سر المرأة التي يهواها الا حين يبوح باسمها

قال اتظن ذلك

قال بل اؤكده فعليك ان تكتم اسمها بل يجب ان تبالغ في كتمانه ولكنك اذا رويت لي ما جرى لك معها دون ان تذكر اسمها كنت كمن يقص رواية قرأها في كتاب واذا عرفت حكايتك معها دون ان اعرف اسمها فكاني لم اعرف شيئا

وقد افحم هذا البرهان قيصر ولكنه بقي مترددا كي يلح عليه الصيدلي بالاباحة فيجد عذرا لنفسه من هذا الالحاح فانه كان يود ان يبوح بسره للصيدلي اكثر مما كان الصيدلي يود الوقوف عليه

وادرك الصيدلي قصده فجعل يلح عليه ويقنعه بالبراهين حتى كاد السر ينفجر بصدر قيصر وهم ان يبوح بكل ما جرى له لو لم يحل دون ذلك دخول رجل الى القهوة ولم يكن من زبائنها ولم يكن دخل اليها من قبل

وكان هذا الرجل طويل القامة ابيض الشعر لابسا ملابس السفر وكان على صدره وسام الشرف وعلى جنبه حسام طويل

فدنا من صاحب القهوة حين دخوله فحياه وقال له ارجو لك ان تعذر رجلا عاد الى باريس بعد ان ودعها اعواما طويلة فقد كنت قديما من زبائن هذه القهوة وارى ان كل شيء باق على حاله ما عدا صاحبها فقد تغير

قال هو ذاك اني قد اشتريت منه القهوة

قال لقد كان لي بين زبائنها اصدقاء من الاخوان بالسلاح منهم اربعة ضباط كانوا يأتون الى هذه القهوة للعب بالشطرنج .

قال انهم لا يزالون يترددون كما كانوا من قبل

قال اتعرف بينهم ضابطا يدعى اورميزور ؟

قال اني اعرفهم جميعا

قال متى يأتون عادة

قال بين الساعة العاشرة والحادية عشرة فاذا شئت ان تنتظرهم فقد دنا موعد قدومهم

قال سأنتظرهم فارسل لي كاسا من جيد الخمر وجريدة اطالع فيها الى ان يحضروا

ثم تركه وذهب الى مائدة بجوار المائدة التي كان عليها قيصر والصيدلي اخذ الجريدة فجعل يقرأ فيها بالظاهر ولكن فكره كان منصرفا الى غير القراءة

اما قيصر والصيدلي فقد كانا توقفا عن الحديث حين دخل هذا الرجل فلما رأياه جلس يقرأ عادا الى الحديث فقال الصيدلي اني انتظر ان تحدثني بامرك فلم يبق سبيل للكتمان بعد ان اوضحت لك اخلاصي بالبرهان

قال اتعدني بكتمان ما احدثك به

قال اني اعدك وعد صادق لا يحنث بما وعد

قال اذن سوف تعلم انى نبيل حقيقة اذ لو لم اكن شريف المولد لما استطعت ان اظفر بحب شريفة

فاضطرب الرجل الجالس بجوارهما عند ما سمع هذا القول وستر وجهه بالجريدة واصغى الى الحديث كل الاصغاء

٢٢

كان وجه هذا الرجل مستترا بالجريدة فلم ينتبه المتحدثان لاصغائه ولم يريا اضطرابه حين بدا قيصر الحديث

اما الصيدلي فانه قال لقيصر حق ما قلته ان التي احببتك شهيرة من الاعيان

قال بل هي من صفوة الاشراف

قال اذن حدثني بكل ما جرى

قال اني اول امس . . . وهنا توقف فجاءة عن الكلام وظهرت عليه ملامح التردد

فقال له الصيدلي مالك توقفت عن الحديث

قال ذلك لانى لم افطن لامر

قال ما هو

قال هو اني لا استطيع ان اخبرك بامرها

قال ولماذا لم تتفق على كتمان اسم السيده

قال هو ذلك لكني اذا ذكرت لك الحكاية اضطر الى اخبارك انها تقيم في شارع اباي

قال ان الشارع طويل

فاجابه بملء البساطة هو ذاك ولكنها تقيم تجاه منزلي

فضحك الصيدلي وقال انك بحت لي بكل شيء وانت تتوهم انك لم تبح بشيء

قال كيف ذلك

قال اولا اخبرتني ان هذه السيدة تحبك وانك سعيد بحبها ثم اخبرتني ان منزلها مقابل لمنزلك

فعض قيصر شفته اذ ادرك خطاءه ولم يجب

فقال له الصيدلي اما وقد عرفت الآن ما عرفته اتفاقا فاني استطيع لو شئت ان اروي هذا الخبر كما اشاء لانك لم تبح لي انت بشيء وما انا مدين لك بالكتمان

فاضطرب قيصر وقال ولكنك ان تفعل هذا المنكر فانك تهتك ستر سيدة شريفة

قال اني لا اكون مسئولا عن ذلك الا اذا بحت لي بسرك وحلفني بشرفي ان لا ابوح به لاحد فلا اجد عند ذلك بدا من الكتمان

فتنهد قيصر وقال اذن سابوح لك بكل شيء

قال لقد احسنت ايها الصديق فان الاسرار تدفن بصدري فلا تخرج منه الا مع الروح

فاستوثق قيصر منه وقال له اذن فاسمع اني كنت صباح اول امس واقفا في نافذة غرفتي اتنشق نسيم الصباح فرايت في فناء القصر

المقابل لمنزلي مركبة فدهشت لذلك لان هذا القصر هجره اهله منذ خمسة عشر عاما فلم يات اليه احد

قال العل اصحاب القصر عادوا اليه

قال هو ذلك فاني بعد ذلك بنيهة رايت امراة برزت من النافذة القصر وهي سمراء الوجه لها نظرات تخترق القلوب

فقال الصديقي انها لمرة التي رايتها دون شك

قال ربما وقد وقفت تلك المراة هنيهة في النافذة ثم احتجبت فقتحت النافذة في غرفة اخرى فظهرت منها امراة بلغت من الحسن ابعد غاياته حتى كانها خلقت كما اشتهت

قال فعلقت بغرامها لاول وهلة

قال هو ذاك فوالله لو ابصرها الناسك لهام فان الشاعر العربي كانما قد عناها بقوله

اذا ابصرها قلباً خلياً من الهوى تقول له كن مغرماً فيكون

ولكن يظهر اني قد اثرت فيها كما اثرت علي وتلاقت النظرتان ورسولي غرامنا فكانيا الى قلبنا

فقال له الصديقي لا انكر انك قادر بجمالك على اجتذاب القلوب ولكن كيف عرفت انها هامت بك هيامك بها

قال ذلك اني في المساء شعرت بيد قد لمست كتفي

وكنت وفتحت نافذتها انظر اليها بعين الخيال وارجو ان تشرف علي من خلال ستائر النافذة كما يشرف القمر من خلال السحاب فاراها حقيقة واتمتع الطرف بذلك الجمال الفتان

فالفت حين شعرت بتلك اليد التي وضعت على كتفي فرايت تلك الراة السمراء التي رايتها اول مرة

فدهشت لرويتها وحييتها اجمل تحية فقالت لي املك من اهل الكتمان ايها الفتى الجميل

قلت دون شك

قال لا تخبر احدا بامرك واذهب الان في شأنك فسيرد اليك غدا كتاب الى قهوة ملك بروسيا التي تتردد اليها

فقال له الصيدلي اذن لقد امتنعت عن مجالسة اصحابك لانتظارك هذا الكتاب

قال هو ذلك فاني لبثت انتظره الى المساء حتى جاء به موزع البريد فكان الرجل القادم من السفر يزيح الجريدة عن وجهه من حين الى حين وينظر الى قيصر ولكن قيصر كان منهمكا في حكايته فلم ينتبه اليه

فقال له الصيدلي اذن لقد كان هذا الكتاب الذي ورد اليك نفس الكتاب التي رايته مع المرأة السمراء حين جاءت الي تشتري مقدارا من لافيون لسيدتها كما قلت .. اتم حديثك ايها الصديق فاني اراه عجبا

قال اني فتحت الكتاب فكان اول ما تلوت به توصيتي بالكتمان ثم تكليفي بشراء عشاء وخمر واحضارهما الي غرفتي في منزلي عند انتصاف

الليل وان تلك الحسناء تأتي الي في ذلك الحين

قال وهل اتت في الموعد المعين

قال دون شك

قال اذن كنت من اسعد الناس

فحول قيصر ان يجيب ، لكنه توقف لحظة فقال له الصيدلي ماذا اصابك

قال لاشيء ولكن هذا الافيون قد شغل بالي

قال ي افيون واية علاقة له بحديثك

قال الم تقل لي ان تلك المرأة السمراء قد اشترت منك اديوما

قال نعم

قال لماذا اشترت الافيون

قال لتسكين الام سيدتها العصبية كما تقول

فظهرت علائم الانقباض والحزن على وجه قيصر وقال ان استشارة اهل العقول من خير الامور وانا غير نادم الان على الاباحة لك بسري ايها الصديق

قال ماذا تعني بذلك فاني لم اشر عليك بشيء بعد

قال اسمع بقية حديثي فاني بعد ما تحدثت مع تلك الحسناء سكرت ونمت فلما صحوت ....

فقاطعه الصيدلي وقال ارايتها برحت المنزل

قال كلا بل رايتها جالسة فوق مقعد وهي منبوشة الشعر وعيناها

غارقتان بالدموع في حين اني كنت في سريري في غرفة رقدتي وانا
سكرت في غرفة الطعام اريد بذلك اني لم اذكر شيئاً مما جرى ولكني وثقت
بما قالت لي

فضحك الصيدلي ضحكاً شديداً وقال يظهر انك انت الذي شربت
الافيون وليس هي

فقطب قيصر حاجبيه وقال اذا كان ذلك قد اتفق كما تقول علويل لها
وكان المسافر مصغياً كل الاصغاء الى الحديث فلم تفته كلمة منه

اما الصيدلي فانه جعل يضحك عليه ويقول له ارى انها كانت تهزأ
بك ايها الصديق

قال ولكنها كانت تبكي

قال ذلك انها كانت تتم تمثيل دورها

قال لو كان ذلك كما تقول لكانت برحت منزلي ولم تنتظرني فيه حتى
صحوت

قال كيف ذلك هي الان في منزلك

قال هو ذاك

قال انتظرك الليله

قال دون شك

قال اذن لقد اشكل علي الامر فاني لا افهم شيئاً مما تقول وقد سرني
منك محافظتك على كتمان اسمها

قال الحقيقة ايها الصديق اني لا اعرفه

قال ولكني انا اعرفه

فانذهل قيصر وقال له انت

قال نعم فان هذا القصر الذي ذكرته لي لصاحبته الكونتس دي مازير

فلما ذكر الصيدلي هذا الاسم رمى الرجل الذي كان يسمع حديثهما الجريدة فجاءة وقام الى قيصر فوضع يده على كتفه

وكان الصيدلي يحتقر رجال السيف كل الاحتقار ولا يبالي بهم غير انه حين راى ذلك الرجل دنا من قيصر ووضع يده على كتفه هلع قلبه وخشي ان يكون هذا الضابط من اقرباء الكونتس وتوقع خصاما وخيم العاقبة

فراى ان الحكمة ان يدعه مع قيصر ويبتعد

اما الرجل فانه قال لقيصر بلطف انى سمعت هذا الفتى الذي كان معك يذكر اسمك في عرض الحديث فهل انت هو قيصر بيزنت المقيم في شارع اباي مع امك ابنة دي خدكرسون

قال هو ذاك يا سيدي

قال لا بد ان تكون امك حدثتك عن سابط هدسم يدعى الشفالييه دول دي مولبير وانه كتب لها من الهند

قال هو ذاك يا سيدي ايضا فان امي تنتظر قدومه بعد ثمانية ايام

قال انا هو الذي تنتظره امك فقد كتبت لها انى اعود بعد اسبوع لاني كنت عازما على السفر الى نورماندیا ولكني رجعت عن السفر ووصلت في هذا المساء الى باريس وقد وصلت متأخراً ونزلت في فندق

على ان زوركم في الصباح

وكان قيصر قد خاف من راوول في البدء نفس خوف الصيدلي لانه ظن ظنه ولكنه ذهب خوفه حين عرفه فجعل يلاطفه ودعاه الى الجلوس معه

اما راوول فانه قال له بصوت منخفض يرتجف من الاضطراب كلا يا بني اني لا استطيع الجلوس فهلم معي الى الخروج من هذه القهوة فاني احب احدثك بامور خطيرة

فعاود قيصر الاضطراب ولكن راوول اخذه بيده وخرج به من القهوة دون ان يعترض فتابط ذراعه وسار واياه

فلما صارا في الشارع قال له راوول الا تزال مع امك مقيمين في المنزل نفسه

قال نعم

قال في اي دور تقيم انت من هذا المنزل

قال في الدور الثاني

قال وفي اية غرفة تنام

قال في الغرفة الصفراء

فاضطرب راوول اضطرابا شديدا وقال اسي في هذه الغرفة تركت الكونتس دي مازير

فرجع قيصر متذعرا خطوت لي الوراء وقال الملك سمعت الحديث

قال سمعت كل شيء فلنذهب ركضا الى المنزل

فتوقف قيصر وقال ولكني لم افهم شيئاً مما تقول

فقال له راوول ان الوقت غير متسع لافهامك كل شيء فاقتصر على القول ان هذه الكونتس سارقة سفاكة

فصاح قيصر صيحة دهش ولكن راوول اخذ بيده وسار به مسرعا فتبعه قيصر دون ان يتردد حتى اذا وصلا الى المنزل راى راوول النور ينبعث من غرفة قيصر فقال له اسرع وافتح الباب فان هذه الحية لا تزال في الغرفة والحمد لله اليس لديك مفتاح

قال دون شك

قال اذن اسرع وافتحه

فاخذ قيصر المفتاح وحاول فتح الباب ولكنه وجده مفتوحا

فلما راى راوول ان الباب مفتوح جمد الدم في عروقه وصعد مسرعا الى السلم مع قيصر حتى اذا وصلا الى المنزل اسرع راوول الى الغرفة الصفراء وفتح بابها بيد ترتجف فلم ير فيها احدا ولكنه لم يلبث ان نظر نظرة الى المستورمند حتى صاح صيحة رعب ووضع يديه على راسه كانه خشي ان يذهب صوابه

ذلك انه راى حجرا ساقطا من الجدار وراى سلاسل الحديد مقطوعة والخزانة الفولاذية مفتوحة فايقن ان الكونتس قد سرقت الصندوق

٣٣

اما قيصر فانه وقف جامدا مبهوتا لا يفهم شيئا مما راه فقد راى

حجرا منتزعا من الجدار عند المستوقد وراى داخل ذلك الجدار سلاسل من الحديد مقطوعة وراى وراءها خزانة من الفولاذ فراعه كل ذلك لا سيما ما راه من ياس راوول

واما راوول فانه اصيب بالبدء بدوار شديد حتى انه كاد ان يسقط. ولكن ذلك لم يطل فانه ما لبث ان زال الدوار تا حتى اقترب من المستوقد وفحص الخزانة فوجد المفتاح لا يزال في قفلها وهو ذلك المفتاح الذي صنعه تنوان بعد ان بصمت القفل بالشمع كما قدمناه

فمد يدا ترتجف من التاثير وفتح ذلك الباب فلم يجد في الخزانه اثرا للصندوق

وفيما هو ينظر الى ما حوله راى على مائدة كتابا مختوما فنظر فيه فراى عن غلافه اسم قيصر فدفعه اليه وقال له لقد أتما كتبته لك هذه الافعى

وترك يقرأ الكتاب وذهب الى النافذة فجعل ينظر الى قصر الكونتس وقد راى نورا ينبعث من نوافذه فاستبشر اذ كان ذلك دليلا على ان الكونتس لم تهرب بعد بالصندوق وانها غير خائفه من قيصر

اما قيصر فانه فتح الكتاب وقرأ ما ياتي

الى قيصري العزيز

الحق انك اجمل ابله عرفته في حياتي فقد مضى بك يوم وليلة وانت تعتقد اني حظية لك واني فتنت بجمالك

ويسؤني ان اعترف لك بالحقيقة ولكني لا اجد بدا من هذ

الاعتراف

فالم الان اني احببت فيما مضى شابا نبيلا والحب والحكمه لا يجتمعان
بكتبت في ذلك العهد رسائل كثيرة الي من احب ثم انقشعت غمامة
هذا الغرام وعلمت اني اخطأت خطاء لا يغتفر بكتابة هذه الرسائل بل
خاطرت بنفسي خطرا شديدا اذ لو اطلع عليها من يغار علي لما كان نصيبي
غير الموت

وقد علمت منذ اسبوع ان هذه الرسائل مودعة في صندوق وان
هذا الصندوق مودع في خزانة من الفولاذ وهذه الخزانة في داخل
الجدار عند المستوقد في غرفتك كما تراه حين تنظر الى ما وراء المستوقد

اما السبب بوجودها في غرفتك فهو ان هذا الرجل الذي كنت
اهواه وهو قد مات كان يقيم في تلك الغرفة التي تبيت فيها انت الان
حين كانت امك تؤجر الغرف في منزلها ولا تطمح نفسها الى مقام
النبلاء

ولا بد الان ان تكون علمت السبب في دخولي الى غرفتك واحتيالي
في سبيل الحصول على هذه الرسائل فقد سقيتك امس مخدرا وبينما كنت
نائما تحلم ان النعيم قد فتحت لك ابوابه كنت مع وصيفتي نبحث عن الرسائل
في الجدار

والان استودعك الله ايها الصديق واسدي لك نصيحة تفيدك ولا بد
من اسدائها

وهي اني في منزلة عالية فلا يناالني غضبك ولا يصل الي انتقامك اذا

خطر لك الانتقام

ونصيحتي اليك ان تكتم ما جرى لك واذا كان لا بد لك ان تعشق فلا تطمع بغير امثالك

على انه اذا خطر لك ان تبوح بهذا السر او حملك الغضب لاول وهلة على ان تطرق باب منزلي فاعلم انك تنال من العقاب ما لا ينفع فيه الندم

واذا انتصحت بنصحي فكتمت ما جرى توانيك بحمايتي وساعدتك لدى ارباب السلطة بتحويل اسمك الى اسم عائلة امك وقد اعذر من انذر والسلام

التوقيع

خادمتك المجهولة

فلما اتم قيصر تلاوة هذا الكتاب القاه الى الارض مغضبا وقال تبا لك من شقية محتالة.

اما راوول فانه كان قد عادت اليه سكينته بينما كان قيصر يقرأ الكتاب فدنا من قيصر وقال له اصغ الي ايها الصديق

قال تكلم

قال ان هذه المرأة التي تظاهرت لك بالغرام انما هي كاذبة محتالة.

قال لم يبق لدي ريب بعد هذا الكتاب

قال له وان ما رويته عن هذه الرسائل التي ادعت انها جاءت للحصول عليها انما هو حديث مختلق لا اثر له من الصحة

قال كيف ذلك لم يكن في هذه الخزانة صندوق

قال نعم ولكن الصندوق لم يكن فيه رسائل غرام بل كان فيه مبلغ جسيم من الاوراق المالية تعادل قيمتها مليوني جنيه

فذعر قيصر لهذا المبلغ الطائل وقال امكن ذلك ان يكون

قال ذلك اكيد فاني انا الذي خبأت هذا المال في هذا الموضع وقد برحت فرنسا وما كتبت الى املك ان تعد لي هذه الغرفة الا بغية ارجاع لوديعة

قال لقد فهمت كل شيء

قال كلا لم تفهم بعد فان هذا المال ليس لي ولكنه مهر ابنة يتيمة قالت هذه المرة السفاكة امرها بالسم

فذعر قيصر ذعرا شديدا وقال يا للهول اقدم النساء على هذه الجرائم

قال ان هذه المراة ليست من النساء بل من الابالسة

قال والان ماذا تصنع

قال اريد قبل كل شيء ان اطلب اليك مساعدتي في استرجاع الصندوق فقد كنت السبب في سرقته دون ان تريد

فاضطرب قيصر وقال مر ياسيدي بما تشاء فاني افعل كل ما تريد

قال اذن اصغ الي فان هاتين المراتين خرجتا من منزلك وعادتا مطمئنتين الى القصر

قال دون شك فاني اري النور ينبعث من غرفة الكونتس

قال وان هذا الكتاب الذي كتبته اليك يدل على انها مرتاحة البال وهي مصيبة في اطمئنانها فاني لو لم اخبرتك الحقيقة عن هذا الصندوق لما خطر لك في بال انه يحتوي على هذا المبلغ الجسيم من المال ولوثقت بما كتبته لك كل الوثوق

قال هذا لا ريب فيه

قال ثم انها لا تعلم بعودتي وربما كانت تعتقداني بت من الاموات ولذلك فهي تنام مطمئنة كانها لم تقدم على جريمه بل كانها اتت عملا صالحا وعلى ذلك فلا يجب ان نضيع دقيقة عبثا في سبيل استرجاع الصندوق

فقال له قيصر بمل، البساطة ولكن كيف السبيل الى الوصول اليها فاننا لو طرقنا بابها الى الصباح لما فتحت لنا

فاجابه راوول بيرود و لكننا لا ندخل من الباب ايها الصديق

قال اذن من ان ندخل

قال اني تركت باريس من امد بعيد ولكني لا ازال اذكر شوارعها ومما اذكره انه يوجد زقاق طويل يتفرع من هذا الشارع

قال هو ذاك

قال وان حديقة القصر تشرف على هذا الزقاق الا اذا كان قد تغير في مدة غيابي وبنيت الابنية فيه

قال كلا فانه باق على حاله

قال اذن سندخل الى القصر من هذا الزقاق

قال كيف ذلك أتسلق الجدار

قال نعم

وكان قيصر يلتهب حقدا على الكونتس بعد ان سحقت كبرياءه بحيث بات يود الانتقام منها فقال له اني طوع امرك في كل ما تريد

قال اذن هلم بنا فان الدقائق الآن تعد بالاعمار

ثم فتح سترة وارى قيصر غدارتين فقال له ان كل غدارة منهما ذات طلقين فتسلح بواحدة اذ قد تضطر الى اطلاق اخرى عند الحاجة

قال انطلق لرصاص على النساء

قال انها ليست من النساء كما قلت لك بل هي من الوحوش الكاسرة

قال انه قيصر سافعل ما تشاء ولكن كيف نتسلق الجدار وهو عالي السور

قال الا تستطيع ان تجد سلما

قال دون شك فانه يوجد عادتا في الحديقة سلم

قال اذن هلم بنا رخف الوطء كي لا يستيقظ النيام

فخرج قيصر امامه وهو يحمل باحدى يديه مصباحا وبالثانية غدارة وقد تبعه راوول وهو يقول في نفسه ترى كيف عرفت الكونتس موضع الصندوق انها جاءت الى باريس خصيصا لهذه المهمة ولم تصحب معها غير تلك النوبية دون شك ورجائي ان لا ارى عندها من يحول دون مارمي

وسار الاثنان في الحديقة الى حيث كان السلم فتعاونا على حمله لثقله

وبعد هنيهة كان الاثنان يسيران في شرع اباي بذلك السلم وكان الليل حالكا والشارع مقفرا فدخلا الى الزقاق دون ان يراهما احد

وعند ذلك وضعا السلم على الجدار وصعد راوول فركب فوق الجدار ثم صعد قيصر فركب مثله واصعدا السلم فوضعاه في الحديقة ونزلا عليه

ثم تقدم راوول قيصر وهو يقول له لقد آن لهذه الافعى ان تسحق فتبعه قيصر وجعل الاثنان يسيران في الحديقة سير اللصوص

٢٤

وانتقل الان الى الكونتس دي مازير حيث تركناها نازلة من غرفة قيصر كي تفتح الباب لتنوان

فان تنوان كانت قادمة اليها بذلك المفتاح الذي صنعته في النهار عند صانع الاقفال وقد احضرت معها آلات متينة من قبيل الاحتياط حتى اذا لم تستطع فتح الخزانة بالمفتاح كسرتها بتلك الآلات

وبعد هنيهة كانت الاثنتان في غرفة قيصر وقد قفلتا الباب من الداخل وشرعت تنوان بمعالجة الخزانة فوضعت المفتاح في قفل الصولاذي فدخل ولكنها حين حاولت ان تديره لم يدر

فاضطربت الكونتس وخشيت الفشل غير ان تنوان اخرجت المفتاح وبردته بالمبرد ثم عادت الى فتح الخزانة به فلم تفتح ولكنها شعرت انه

بدا يدور في القفل وانه محتاج الى القليل من الاصلاح فعدت الى اصلاحه وبرده

وبعد هنيهة سمعت الكونتس صريره في القفل فظهرت على وجهها علائم الفرح والاستبشار واسرعت الى الخزانة بعد فتح بابها لترى ذلك الصندوق

وكان يبلغ عمق هذه الخزانة ثلاثة اقدام فوجدت في اسفلها صندوقا صغيرا من الفولاذ فمدت اليه يدا ترتجف من الاضطراب وانتشلته

وعند ذلك جعلت المرأتان تفحصانه فوجدتا انه مقفل ولا سبيل الى فتحه ثم وجدت النورية انه ثقيل الوزن فقالت لا بد ان يكون فيه غير الاوراق المالية كثير من المجوهرات والاحجار الكريمة

فقالت الكونتس ان فتح هذا الصندوق لا يتيسر الا بكسره فلنسرع الان بالعودة الى القصر فاني اخشى ان يثور الغرام في قلب قيصر فيعود قبل الاوان

قالت ولكن اندع هذه الخزانة مفتوحة ونبقي هذا الحجر الذي انتزعناه من الجدار على حاله

قالت دون شك فان اصلاحها يقتضي له زمن طويل

قالت ولكن ماذا يكون من قيصر متى عاد ورأى غرفته على هذه الحالة ثم تريدين اننا نسافر هذه الليلة قبل ان نعود

قالت لا هذا ولا ذاك بل يجب ان نبقي الحالة على ما هي وان نقنعه باننا لم نفتح الخزانة الا لغرض نبيل

قالت ما هو هذا الغرض النبيل

قالت الا تجدين على هذه المائدة كل ادوات الكتابة

قالت نعم

قالت اذن اجلسي واكتبي ما أمليه عليك

قالت لمن

قالت لقيصر

فامتثلت الكونتس وهي لا تعلم ما تريد وأملت عليها النورية ذلك الكتاب الذي قراءة قيصر كما تقدم في الفصل السابق

وبعد ان فرغت من كتابته حملت النورية الصندوق واسرعت تتقدم الكونتس فخرجتا من المنزل ودخلتا الى قصر فاحكمتا اقفال الباب الخارجي

وعند ذلك قالت الكونتس للبواب لا تفتح الباب لاحد الليلة .

فاعترضت النورية وقالت لذلك البواب الا اذا كان القادم الكونت لوسيان .

فذهلت الكونتس وقالت ولدي

فابتسمت النورية وقالت نعم ثم اخذت بيدها ودخلت الى القصر وهي تقول نعم فان ولدك قد يعود اليك هذه الليلة فتظفرين بغنيمتين .

قالت ولكن كيف اتفق ذلك

قالت اني رأيته في الساعة الخامسة من مساء اليوم حين عودتي بالمفتاح من دكان صانع الاقفال

قالت ولكنك قلت لي انه في فرساليا فهل عاد الى باريس

قالت نعم وهو الآن يود ان يطرح على قدميك رسالة الغفران

قالت ماذا فعلت معه وكيف تمكنت من اقناعه

قالت انه ذهب الى فرسايليا فتشرف بمقابلة الملك فمنحه وظيفة قائد في حامية بوفوا ولذلك عاد الى باريس على نية السفر في الليلة القادمة الى مركز منصبه الجديد فلقيته لفاقة

قالت وكيف كانت مقابلته لك

قالت انه حين لقيني وقف كانه ذعر لرؤيتي وقد اصفر وجهه اصفرارا شديدا ثم حاول ان يجتنبني ويسير في طريق اخر ولكني اسرعت اليه فاخذت بيده وقلت له اني التمس منك ان تصغي الي

فنظر الي بعظمة وقال ماذا تريدين .

قلت اني ممثلة لك يا سيدي الكونت افظع تمثيل فانت تحسبني قاتلة سفاكة فأنف ان تنظر الي ولا تتداني الى محادثتي .

على اني لا بالي بذلك فاني اعلم من نفسي اني طاهرة الذيل واكتفي بحكم ضميري ولكني ابحث عنك منذ ثلاثة ايام بحثا مستمراً لتبرئة سواي

قال من هو سواك .

قلت امك يا سيدي الكونت فانا ابحث عنك لاخبرك الحقيقة فقد ظلمت امك ظلماً لا تحتمله نفسها بما اتهمتها به وهي بريئة من هذه التهمة الفظيعة

وثر عليه هذا الكلام شد تاثير ولكنه بدرت منه اشارة تدل على الانفة والاشمئزاز وقال لا حاجة بي الى البراهين فقد علمت ما علمت

وكان الليل قد اقبل ونحن واقفان على الجسر والامواج تهر السين هدير تحت اقدامنا فقلت له اتوسل اليك ياسيدي ان تكون ان تصغي الى ما اقول فاذا لم تقنعك براهيني عن تبرئة امك التفي من هذا النهر فتبتلعني امواجه

وعند ذلك شرحت له كيف ماتت كرينتن شرحا مسهبا اثبت في خلاله براءتك بشكل لا ينقض والقيت كل التبعة في موتها على والد اورور

ثم بسطت له امرك وما تجدينه بفراقه من التاثير الذي قد يفضي الى اليأس وكنت ابالغ في كل ذلك واحدثه بلهجة ملؤها الحزن والاضطراب حتى افضى به الامر الى البكاء والندم توجعا لما اصابك فقال لي اني اود لو كان لي اجنحة طائر لاطير بهما الى بوربيير والتمس الغفران من امي عن اساءتي اليها

فقلت له لا حاجة بك الى السفر فان امك هنا

فكاد يجن من سروره وقال لي هلم بنا اليها في الحال

فقلت له لا يمكن ان تراها الان فانها علمت انك في فرسايل فسافرت اليها كي تراك ولكنها ستعود دون شك عند انتصاف الليل

ثم طلبت اليه ان يذهب الى فندقه وان ياتي اليك في الصباح او

عند انتصاف الليل ولدلك اتوقع ان يحضر الليلة و... اضطرب بك بيت شديد

فمسحت الكونتس تنوان ودموع الفرح تذرف من عينيها وقالت لها اني لا انسى احسانك الي فقد رددت الي في يوم واحد لدي وتلك الثروة الطائلة التي طالما طمعت فيها فهلم لاذ الى فتح الصندوق

ولم يكن في ذلك القصر غير الكونتس وتم دوكابوا بحيث كانتا تستطيعان كسر الصندوق دون ان تبالا بما يحدثه من الدوي

وقد اخذت تنوان الصندوق وجعلت تفحصه فحص امدة فافاد ت سبيلا لفتحه بغير الكسر فوضعته على الارض واخذت مطرقة ضخمة من الحديد وضربته ضربة شديدة فرن رنين الاجراس ولم تحدث المطرقة به ادنى تاثير

فهزت تنوان راسها وقالت ان المطرقة تعمل بهذا القفل لاذ القوي فلا بد لنا من برده

فقالت لها الكونتس ايستغرق ذلك زمنا طويلا

قالت ساعة على الاقل

قالت اذن ابداي العمل فان الوقت متسع لدينا

فاخذت تنوان المبرد وهمت بالعمل ثم خطر لها خاطر فقامت الى النافذة واطلت منها ناظرة الى منزل قيصر فرات خيالا من وراء ستائر غرفته

فعادت الى الكونتس وقالت لها يظهر ان قيصر قد عاد الى

المنزل

قالت ارجو ان يكون قرأ كتابي وتمعن فيه فلا يدفعه الطيش الى القدوم الينا

قالت هذا ما اتوقعه وفرق ذلك فلا سبيل الى وصوله الينا فان الباب محكم الاقفال

ثم وضعت الصندوق بجانبها وملت تحاول فتحه لبرد

وبعد ربع ساعة ظهرت علائم الفوز فبرقت اسرة الكونتس وتركت تنوان دائمة في محاولة فتح الصندوق فذهبت الى الغرفة فرأت ان النور لا يزال منيرا في غرفة قيصر ولكنها لم ترى قيصر فيها

فعادت الى تنوان وهي تقول في نفسها لا شك ان خادم الغرفة بعد ان قرأ كتابي وعول على الرقاد

اما تنوان فانها لبثت تبرد الصندوق بكل الجهد والسكينة

وفيما هي تشتغل ارتعشت وتوقفت فجاءة عن العمل

فذهلت الكونتس وقالت لها ماذا اصابك

قالت الا تسمعين وقع اقدام

قالت اين

قالت في الفناء

قالت ما هذا الجنون عني لا اسمع شيئاً

فذهبت الى غرفة مجاورة تشرف بنوافذها على الفناء فاطلت منها وكان الظلام حالكا والسكينة سائدة فعادت الى تنوان وقالت اني لم

اري احدا ولم اسمع حسا ولا شك ان الخوف قد حملك على ان تسمعي ما سمعت

فعادت تنوان الى العمل ولا تزال على وجهها علائم الشك ولم تشتغل هنيهة حتى توقفت ايضا وقالت ليس الان ما اسمعه وهما بل حقيقة راهنة

فاضطربت الكونتس اذ لم تكن تريد الاهتمام الا بالصندوق وقالت لها ماذا تسمعين

قالت اني اسمع وقع اقدام على السلم

قالت ربما كان القادم لوسيان

قالت كلا فاني اسمع وقع اقدام كثيرة

وكانت تنوان تقول هذا القول بصوت مختنق فلم تكد تتم قولها حتى سمعت ان الصوت قد انقطع عند باب الغرفة التي كانت فيها ثم سمعتا كلتاهما دويا شديدا اضطربت له اعضاؤهما فان باب الغرفة كسر فجاءة فصاحتا صيحة ذعر شديد ذلك انهما رتا راوول دخل الى الغرفة والسيف مشهر بيده وراتا قيصر بصحبه وهو وقف على عتبة الباب

وكانت الكونتس لم ترى راوول منذ عشرين عاما ولكنها عرفته حين راته فكان اول ما صنعته انها اكبت على الصندوق وسترته بجسمها كانها تريد ان تفديه بالحياة

٣٥

مر على هذا الموقف الشديد عشر ثوان لم ينطق في خلالها احد ببنت شفة

وكانت الكونتس تغطي الصندوق بجسمها لتحميه وتنوان خائفة منذعرة تنظر الى هذين الرجلين نظرات تكشف عما داخل قلبها من الخوف

وقد كان اول من افتتح الحديث بعد هذا السكوت الهائل الكونتس فانها نظرت الى راوول نظرة مفهومها الذعر وقالت كانما تخاطب نفسها ماذا ارى الشر عن في قلبو

هذا عند ذلك راوول منها وقال نعم ياسيدتي الكونتس ان الاموات يحشرون ويبعثون بل ان الغائبين يعودون من وراء البحار لتعذيب اللصوص السفاكين

فاصفر وجه الكونتس وضغطت يدها على الصندوق كما يضغط النمر على فريسته ونظرت الى راوول نظرة تدل على انها تريد مقاومته دون ان تخشاه ثم قالت له ان اللصوص ايها الرجل هم الذين يدخلون المنازل في ظلام الليل من غير ابوابها . اما القتلة السفاكون الذين اشرت اليهم في كلامك فلا اعلم من تعني بهم

وقد زاد هذا الغضب المرأة جمالا في عيني فيصر فشعر انها عادت الى التأثير على فؤاده وهو انما جاء مع راوول لقتلها اذا مست الحاجة الى القتل

اما راوول فانه دنا ايضا من الكونتس وقال لها اني اريد بقولي

القتله السفاكين اولئك الذين يقتلون الابرياء من عباد الله بالسموم ولا بد ان تكوني اهمت الذي اعنيه . واما اللصوص

فقاطعته الكونتس قائله ان هم

فمد راوول يده يشير اليها والى تنوان دون ان يجيب

ولم تكن النورية قد تداخلت في شيء الى الان لما تولاها في البدء من الاضطراب ولكنها لم تلبث ان عادت اليها سكنتها العادية وعادت قريحتها الجهنمية الى الاشتغال فاقبلت لمساعدة الكونتس

وكان اول ما فعلت انها ضحكت ضحكا عاليا وقالت للكونتس اظن ان هذا الرجل الذي لا نعرفه والذي دخل الينا والسيف مشهر بيده لا بد له ان يوضح لنا ما اشكل علينا امره

اما راوول فانه كان محافظا على سكينته اذ كان مسلحا واثقا من مقدرته على هاتين المرأتين فانف من مجاوبة تنوان ونظر الى الكونتس فقال اني يا سيدي لم ادخل الى منزلك مع رفيقي هذا من الباب بل وصعنا سلما على الجدار وتسلقناه فاكون حسب الظاهر لصا لاني دخلت المنازل من غير ابوابها كما قلت

فنظرت تنوان عند ذلك نظرة ادركت الكونتس معناها وهو اننا قد نستطيع النجاة من هذه الشدة اذا تمكنا من اطالة زمن المناقشات

وعاد راوول الى الحديث فقال ولكني لست انا اللص بل انت كما تعلمين

فقالت بلهجة الساخر احق ما تقول

قال ان هذا الصندوق خير شاهد

ثم دنا من الصندوق فوضع يده عليه وقال لها اعطني هذا الصندوق كي اردّه الى اصحابه فاعود من حيث اتيت ولا يعلم احدا بما كان

وكان قيصر لا يزال واقفا في الباب لم وهو ينتظر اوامر راوول

اما راوول فقد كان ناويا ان يستعمل ابعد غايات العنف في سبيل استرجاع الصندوق

ومع ذلك لم ينتزعه من يد الكونتس فانه كان واثقا من اخذه اغتصابا حين يريد فآثر استرداده باللين والمعروف فقال لها انك يا سيدتي دخلت الي منزل هذا الرجل واشار الى قيصر

قالت هو ذاك وبعد ذلك

قال وقد نزعت حجرا من الجدار في غرفته وقطعت سلاسل من الحديد وفتحت خزانة من الفولاذ فاخذت هذا الصندوق الذي كان فيها

فاجابته بملء السكينة هذا اكيد

قال ولكن هذا الصندوق لي

قالت هذا غير صحيح

قال بل هي الحقيقة بعينها

قالت بل هو صندوقي وهو يحتوي على رسائل مني تشبه الرسالة التي كتبتها الى هذا الرجل الذي جاء معك وقد نظرت الى قيصر حين قالت هذا القول نظرة استعطاف فاطرق قيصر براسه الى الارض

وقالت في نفسها اني لم اعد اخاف هذا الرجل فلننظر في امر الاخر

فقال لها راوول يعز علي يا سيدتي ان امد يدي الى سيدة وان اعاملها بالعنف والقوة كما يسوغني ان استخدم سلاحي ضد من لا سلاح له فهل تردين لي هذا الصندوق

فاجابته ببرود اني ارده دون شك متى اثبت لي انه لك

فسقط راوول في الفخ وقال لها ان هذا الصندوق قد ائتمنني عليه الكونت دي مازير شقيق زوجك قبيل وفاته

قالت احق ما تقول

قال وانت تعلمين ما فيه كما اعلم

قالت اتظن

قالت بل اوءكد ودليلي على ذلك انك دخلت الى غرفة هذا الرجل كي تسرقيه ليقينك اني كنت انام في هذه الغرفة حين كنت اقيم في باريس واني خبأته فيها منذ عشرين عاما

والان فاني لا اعلم كيف عرفت هذا السر ولكني اعلم ان الصندوق عندك ولا بد لي من استرجاعه

قالت اني ضعيفة يا سيدي وانت قوي فانت قادر على ان تنهج معي مناهج الشدة وتاخذ الصندوق بالقوة متى اردت ولكني لا ازال ارجو ان تسلك معي مسالك الاشراف لانك منهم وتناقشني الحساب في حق ملكية هذا الصندوق الذي تدعي الحق باسترداده

وكانت تنوان قد غمزت الكونتس مشيرة لها ان تطيل الحديث

قدر ما تستطيع فلم ينتبه راوول لهذه النظرة وقال للكونتس ليكن يا سيدتي ما تريدين

قالت اني اصدق كل ما تقوله يا سيدي فهل ائتمنت على هذا الصندوق كما قلت

قال نعم

قالت وهل الكونت دي مازير دفعه اليك قبل وفاته

قال نعم وكان ذلك قبل موته بليلة

قالت اذن لا بد ان تكون عارفا بما يحتويه الصندوق فقل ماذا يوجد فيه

قال ان هذا سر لا استطيع ان ابوح لك به

قالت لا باس ولكن اذا كنت مؤتمنا على هذا الصندوق كما تقول فلا بد ان يكون لديك مفتاحه

فارتعش راوول لهذا السؤال وقال كلا اني لا احمل مفتاحه معي ولكنه في غرفة المسيو بليزوت وقد خبأته في السقف

قالت لا يسعني الا تصديقك يا سيدي ولكني ارجوك ان تأذن لي باعتراض ابديه

قال تكلمي يا سيدتي

قالت انك لا تجهل يا سيدي ان ولدي له الحق بارث نصف ما تركه عمه

قال لا ريب في ما تقولين

قالت فاذا كان هذا الصندوق منه وجب ان يعود الي اي الى ولدي الا اذا كان هناك وصية خاصة لا علم لنا بها

قال ان الوصية موجودة يا سيدتي

قالت اين

قال في هذا الصندوق الذي بين يديك

قالت اسمح لنا باتمام كسره فنفتحه ونطلع على هذه الوصية

وعند ذلك نظرت الى تنوان كانها تقول لها لم يعد في وسعي اطالة الحديث اكثر مما اطلته فانظري في حيلة اخرى

فقالت لها النورية عند ذلك لا حاجة يا سيدتي إلى كسر الصندوق اذ يوجد طريقة اسهل

فاجابتها الكونتس ببساطة خدع بها راوول قائلة ما هي هذه الطريقة

قالت الم يقل هذا السيد ان المفتاح موجود في غرفة المسيو قيصر

فقال لها راوول نعم

قالت اذن تفضل يا سيدى بارشاده الى موضعه وهو يذهب الى غرفته ويأتينا به

فسر قيصر بهذه المهمة لانه كان واقفا وقوف الصنم لا يدري ماذا يصنع وقال حبا وكرامة

فقال لها راوول سافعل ماتشائين بشرط ان يبقى الصندوق في موضعه

فقالت له الكونتس اي امراة يا سيدي وانت رجل وانت لديك سلاح وانا لا سلاح لي فلا سبيل الى الخوف على الصندوق ولا سبيل الى الفرار به

فالتفت عند ذلك راوول الى قيصر وقال له ان هذا المفتاح موجودا في الجهة اليسرى من سقف الجدار فوق المستوقد وقد وضعته فوق رف عند الزاوية ولفتته بورق

فقال قيصر ساجده في مكانه واعود به في الحال

ثم هم بالذهاب فقالت له تنوان اني ساصحبك لقضاء هذه المهمة كي لا يريب البواب امرك فان خروجك من الباب اسلم عاقبة من تسلق الجدار

فلم يعترض راوول في ذلك لانه كان واثقا من ان المنزل ليس فيه غير هاتين المراتين وهما لا تستطيعان مقاومة رجل مسلح

ثم ان احدى هاتين المراتين ستذهب مع قيصر وتعود معه ولذلك رضي بما اقترحته تنوان وقال للكونتس ليكن ما تريدين ولكن بشرط ان تضعي الصندوق على هذه المائدة وان لا تمدي يدك اليه

فامتثلت الكونتس ووضعت الصندوق على المائدة وهي واثقة من دهاء ام روكامبول

اما تنوان فانها خرجت مع قيصر وبقيت الكونتس مع راوول ينتظران عودة قيصر بالمفتاح وهما على احر من الجمر

غير ان قيصر سقط بين مخالب تلك الداهية فانها اخذت بيده وقالت

له وهي تنزل به السلم توكا علي يا سيدي واحذر ان تزل بك القدم

فسار قيصر معها حتى اذا وصلا الى منتصف السلم وقفت فقال لها ماذا تصنع ،

قالت سوف ترى ايها الاله

ثم استلت خنجرا واغمدته في عنق هذا المنكود قبل ان يجد متسعا للكلام فسقط على درجات السلم مضرجا بدمه دون ان يصيح

٣٦

ان تنوان لم تطعن قيصر هذه الطعنة النجلاء بغية قتله لمجرد التخلص منه فانه لم يكن مخطرا الى الحد الذي يحملها على قتله

ولكنها انما ارادت اراقة دم هذا المنكود لتنفيذ خطة رسمتها لنفسها بغية انقاذ الصندوق من قبضة الذين حاولوا اغتصابه

ومن المحتمل بل المرجح ان الكونتس دي مازير لم تدرك خطة تنوان بجملتها ولكنها ادركت دون شك ان النورية ارادت بذهابها مع قيصر ان تخلص منه وان تعود اليها بمديقيها ويقي الصندوق

حتى انها خطر لها وهي في هذا الموقف الحرج ان ابنها لوسيان قد يحضر كما وعد فتكون على يده السلامة

اما تنوان فانها تركت قيصر صريعا مخضبا بدمائه على درجات السلم وعادت الى المنزل فاخذت مصباحا وجاءت به الى ذلك المكان

الذي غادرت فيه هذا المنكود و يث بيث دي فوكوسون النبيل

وكان قيصر لا يزال ينتعش ولكنه لم يكن يستطيع الكلام وكانت عيناه تدلان على النزع

فنظرت اليه تلك الداهية دون ان يتأثر قلبها الجهنمي وقالت في نفسها مهما يكن من الامر فان هذا الرجل لم يعد يخشى منه ان يقول الحقيقة

ثم جعلت تشاور نفسها فيما يجب ان تصنع فكان اول ما خطر لها الكونت لوسيان فقالت في نفسها ان هذا الفتى قد تمكنت من الفوز عليه باقناعه انه اساء الى امه وبات يود لو كان له اجنحة طائر فيأتي الى امه ليعتذر لها

ثم انى اخبرته ان امه ستعود من فرساليا عند منتصف الليل ونحن الان في هذا الوقت فلا بد اذن ان يحضر الى شارع اباي فاذا وجد النور في غرفة القصر علم ان امه قد عادت فيصعد اليها دون شك

ولكنه قد يتأخر عن الحضور بل انه قد لا يحضر الا عند الصباح فيكون الفوز مضمونا لراوول اذ انه يقنط من عودة قيصر فيستولى على الصندوق بالقوة فماذا اصنع في هذا الموقف

أأنتظر عودة لوسيان وهو ينتقم من راوول ولكنه قد لا يحضر ام اعود الى راورل فاقتله غدرا ان ذلك ممكن ولكني قد لا اتوفق الى غدره

ام اذهب الى البوليس وهو قريب من هنا . ان السلم المنصوب على جدار الحديقة وجثة قيصر وتلوث ثيابها بالدم كل ذلك يخدع البوليس

ويعتقد لاول وهلة ان راوول من اللصوص فيقبض عليه

ولكن انخداع البوليس لا يطول فان جمع اهل الشارع يعرفون قيصر حق العرفان ويشهدون له خير شهادة بحسن السلوك ثم ان راوول يوضح الامر في مثل ذلك الموقف ويثبت ان الكونتس قد سرقت الصندوق فيكون اول ما يجريه القاضي انه يضبط الصندوق، ويفتحه امام قاضي التحقيق

وعلى ذلك فان اخبار البوليس والاتجاه اليه خرق في الراي غير محمود العاقبة

ثم انه لا يوافق ايضا ايقاظ البواب فان هذا البواب قديم العهد في هذا القصر وهو يعرف قيصر كما يعرفه اهل الشارع فلا يخطر له في بال انه دخل الى قصر قصد السرقة

وعلى هذا فلا يوجد غير رجل واحد ينخدع قولها وهو الكونت لوسيان

وقد رددت تنوان هذه الافكار بمخيلتها بسرعه التصور ونظرت الى قيصر بملء السكينة كانها لم ترتكب منكرا فوجدته ضائعا عن الرشاد لفرط ما نزف من دمائه

وقبل ان تتم رسم خطتها التي صورتها في مخيلتها حين طعنته سمعت صوتا ارتجفت له ونظرت الى مصدره فان هذا الصوت كان رنين جرس باب القصر الخارجي

وانما ارتعشت سرورا واستبشارا فانها وثقت ان طارق الباب في

هذه الساعة لم يكن غير لوسيان

وعند ذلك اسرعت فوضعت عصبها على احدى درجات السلم فوق جثة قيصر ولم تنزل لاستقبال لوسيان بل ظلت واقفة قرب الجثة والخنجر مجرد في

ثم سمعت ان الباب قد فتح فاقفل وتلا ذلك حديث قصير بين الداخل وبين البواب تلاه وقع اقدام سريعة

فلم يبق لديها شيء من الشك بعد هذا وايقنت ان القادم هو لوسيان فان البواب لا يفتح الباب لسواه بعد ما صدرت اليه اوامر الكونتس

وعند ذلك تنهدت وقالت لقد سلمنا وسلم الصندوق بشرط ان اقنع الكونت ان راوول من اللصوص

وقد كان في ذلك العهد لص اشتهر في باريس شهرة عظيمه وقد عجز عنه البوليس وباتت العائلات تخشاه وتحترس من كيده كل الاحتراس

وان هذا اللص كان يدعو نفسه الشفاليه دي كبروز وقد شغلت احاديث جرائه الاندية وملأت الافواه فانه كان يدخل الى المنازل وهو بملابس كبار الضباط وعلى صدره وسامات الشرف فيبلغ من اموال تلك المنازل ما يزيد بجرأة جعلت لاسمه رهبة في القلوب

وهو مع ذلك قد تجاوز سن الكهولة وكذلك راوول وكان هذا الرجل يدخل الى المنازل بملابس الضباط وعلى صدره الوسامات وكذلك

راوول فانه كان يلابس الضبط وعلى صدره وسام ولا بد ان يكون لوسيان سمع بهذا اللص الذي لا يخفى امره عن احد من اهل باريس

وبينما كانت تنوان تحدث نفسها بهذه الاحاديث كان الكونت لوسيان قد تقدم في فناء القصر حتى وصل الى السلم وراى النور على السلم فنظر فلم ير في البدء غير النورية

وكانت تنوان منبوشة الشعر مضطربة الوجه وثيابها ملطخة بذلك الدم البريء الذي سفكه وهي تهز الخنجر بيدها

فلما رآها لوسيان حاول ان يصيح منذعرا ولكنه راى تنوان قد وضعت اصبعها فوق فمها تشير اليه بالسكوت فسكت

وكانت واقفة امام الجثة بحيث كانت الجثة وراءها فلم يرها لوسيان .

ولكنها مالت بعد ان اشارت اليه بالصمت فراى لوسيان تلك الجثة وجمد الدم في عروقه

وعند ذلك نزلت تنوان اليه فاخذت بيده وقالت له بصوت منخفض احذر ان ترفع . وتث فتعرض امك لاشد خطر

فنظر اليها لوسيان منذهلا وقال من هو هذا الرجل الصريع

قالت هو لص وقد قتلته كما ترى

فاضطرب لوسيان وقال وامي

قالت انها فوق .... في غرفتها تحت رحمة لص اخر

فوضع لوسيان يده على قبضة سيفه وهم ان يصعد درجات السلم

اربعا اربعا

غير ان تنوان اوقفته وقالت له بصوت مختنق اصغ الي

قال ماذا

قالت ان هذا اللص المنيم الان في غرفة امك هو الشفاليه دي كمبروز الشهير

فاصفر وجه لوسيان وقال كيف وصل اليكم

قالت انه تسلق سور الحديقة ولا بد ان تكون قد سمعت ان هذا اللص الشهير فاحذر ان تنخدع بتمويهاته وتصدق شيئا من اقواله وأنقض عليه وسيفك مشهر بيدك

قال اهذا كل ما تريدين قوله

قالت نعم

فتركها لوسيان وصعد السلم راكضا فكانت تنوان تتبعه على مهل اما الكونتس دي مازير فانها لم تدرك من غاية تنوان بذهابها مع قيصر غير انها تحاول التخلص منه والتماس نجدة

ولذلك رات انه يجب عليها ان تحتال بالحديث مع راوول كي تطيل زمن المحادثة والمناقشات الى ان تردتلك النجدة فان عيني راوول لم تكن تفارقان الصندوق

فلما ذهبت تنوان مع قيصر وبقيت وحدها مع راوول قالت له اننا سنفتح الصندوق يا سيدي فاذا كان موجودا فيه وصية بخط الكونت دي مازير يوصي فيها بان نسلمك الصندوق امتثلت لارادته اما ا

تكن موجوده . .

قال انها موجودة كما قلت لك

قالت اذن انت تعلم يقينا ما يوجد في الصندوق

قالت كما تعلمين انت

قالت . . اني لا اعلم شيئا من هذا

فهز راوول كتفيه دون ان يجيب

وعادت الكونتس الى الحديث فقالت لنفترض ان هذا الصندوق يحتوي على اموال فبأي حق يوصي لك الكونت بهذه الاموال

فارتعش راوول لهذا السؤال وقال ان الكونت حر يتصرف في ماله كيف يشاء

قالت تريد انه حر ان يجعلك قيما عليها

وقد قالت الكونتس هذا القول بلهجة تهكم لم تخفى على راوول فلم يبق لديه شك انها عارفة بكل شيء

اما الكونتس فانها ابتسمت وقالت له قل لي ياسيدي الم تمر في صباح يوم منذ خمسة عشر عاما بدير ابناء الله

فاصفر وجه راوول ولم يجب

قالت الم تضم فتاة صغيرة في منزل حداد يدعى داغوبير

فعلم راوول عند ذلك ان الكونتس واقفة على كل سره ورأى انه لم يعد بد من الجلاء والتصريح فقال لها هو ذاك يا سيدتي وهذا الصندوق لتلك الفتاة

فاجابته ببرود اني اعرف ذلك ولهذا اتيت خصيصا الى باريس بغية الاستيلاء على الصندوق وارجاعه اليها

فقال لها بلجة الانف من الكذب والنفاق انت تريدين ارجاعه اليها

وعند ذلك سمع دق جرس الباب الخارجي ثم سمعا صوت فتح الباب واقفاله فقال راوول في نفسه هوذا قيصر قد عاد بالمفتاح

وقالت الكونتس في نفسها هوذا ولدي لوسيان قد عاد

ثم التفتت الى راوول وقالت له نعم اني حاولت الاستيلاء على هذا الصندوق لرده اليها فان هذه الفتاة قد شبت وترعرعت فاحبها ولدي وهو يريد الزواج بها

فارتعد راوول وقال كلا ان هذا لن يكون

قالت ولماذا ان ولدي ظريف نبيل

قال ولكنه ولدك

وقبل ان يتم كلامه فتح الباب فجاءة بعنف شديد ودخل منه لوسيان والسيف مشهر بيده وهو يقول لقد اتيت ايها الشقي في حينه وقد هجم على راوول هجوما عنيفا وباغته بحيث لم يستطع الوقوف في موقف الحذر الا بعد الجهد الشديد

اما الكونتس فانها صاحت بصوت خنقه السرور لي يا ولدي الحبيب فقد اتيت في حين الاوان .. ان هذا الرجل لص سفاك

قال اني اعرف منه ما تعرفين يا اماه ثم انقض على راوول وعيناه

تتقدن بنار الغضب

وكان اوسيان في العشرين من عمره وقد تجاوز راوول الستين فكان احدهما في مقتبل الشباب وفي اشد حالات القوة والاخر مبيض الشعور وقد احدودب ظهره بحيث كان يبدو لاول وهلة ان هذا الفتى سيفوز على هذا الشيخ فوزا هينا

غير ان راوول كان جنديا قديما خدم الجندية اربعين عاما في اقاليم مختلفة وقد كان له شأن خطير في فرسايل في عهد المبارزات الشهيرة حتى انه نال شهرة بعيدة في فنون البراز

وكذلك اوسيان فانه كان على حداثة سنه من الماهرين في قتال السيف فلما التقى بالسيفان ادرك لاول وهلة ان خصمه شديد

اما الكونتس فقد رات ان الاغماء موافق في هذه الساعة فصاحت صيحة وسقطت على مقعد

وكانت تنوان قد دخلت الى الغرفة فاسرعت الى الصندوق فخبأته تحت ثيابها وهي توهم انها منهمكة باسعاف الكونتس

وكان الاثنان يتقاتلان دون ان يفوه راوول بكلمة الى ان بدأ راوول الحديث فقال له انك ترى يا سيدي انه لا يمكن قتلي بسهولة

قال اعلم انك بارع في القتال كما انت بارع في النصب

قال اني لم اكن في عمري من اهل النصب

قال بل انت لص يدعونه الشفاليه دي كمبزوز

وقال له راوول بل انت مجنون كما يظهر

ثم ضحك ضحكا عاليا وقال اري الان جليا ان هذه المراة النوريه بل هذه الحية القتالة قد لفقت لك ما لفقت اليست هي التي قالت لك اني ادعى الشماليه دي كمبروز

قال نعم وقد صدقتها

وعند ذلك انقض عليه وضربه بسيفه ضربة خالها القاضية

ولكن راوول خلا منها وكان لا يزال الى الان واقفا في موقف الدفاع وقال له اني يا سيدى ادعى الشماليه دي موربير من حراس الملك القدماء وانا الان قادم من اميركا اذ كنت فيها ضابطا بقيادة الجنرال لافايت

قال انى لا اصدق حرفا مما تقول

وكانت الغرفة ضيقة ولم يكن يريد راوول قتل لوسيان بل كان يريد ان يتولى خطة الدفاع الى ان يتمكن من اخباره عن السبب في قدومه الى هذا القصر

وكان في تلك الغرفة مائدة فما زال يحتال حتى جعل هذه المائدة بينه وبين خصمه بحيث كانت تقيه ضربات سيفه

فكانت تنوان تصيح صيحات مزعجة وهي تتظاهر بمحاولة ايقاظ الكونتس على علمها انه لم يكن مغميا عليها

اما راوول فانه لما امن لوسيان قال له انك يا سيدي سواء اعتبرتني الشماليه دي موليير وسواء كنت لديك من اللصوص او كنت من الاشراف فاني اقاتلك قتال النبلاء لاني تمكنت منك مرتين ولو شئت

قتلك قتلتك وفي مقابل ذلك يحق لي كما ارى ان تصغى الي

وكانت لهجة راوول تدل على الصدق وقد ايقن لوسيان انه وجد منه مقتلا مرتين وعفا عنه كما قال فكبرت عنده شهامته وخامر الشك قلبه بما رواه له النورية

ولكنه لبث يقاتل راوول قتالا عنيفا وهو يحاول الاسراع في انهاء هذه المبارزة

وعاد راوول راوول الى الحديث وهو يدافع فقال ايليق بنايا سيدي ان تتقاتل في هذه الغرفة الضيقة وامك امامنا مغمي عليها في حين انه يوجد حديقة متسعة تتبارز فيها على ما تريد

قال ليكن ما تريد فلنذهب الى الحديقة ولكن سر امامي اليها واحذر ان تهرب او قتلتك غيلة وغدرا

فمشى راوول امامه وتبعه لوسيان حتى خرجا من الغرفة فوجد لوسيان مصباحا في الرواق وهو المصباح الذي كان مع تنوان فاخذه وقال لراوول سر امامي فاني في اثرك

فسار راوول حتى انتهى من الرواق ونزل في السلم فلم يبلغ الى وسطه حتى وقف منذعرا وجمد الدم في عروقه اذ راى قيصر المنكود صريعا مخضبا بدمه!

فالتفت الى لوسيان وقال له ما هذا الذى فعلته وكيف قتلت هذا المنكود .

قال لست انا الذي قتلته بل تنوان وانما قتلته دفاعا عن نفسها فانه

لص مثلك

فاجفل راوول وقال له بلهجة القانط انهالم تقتله دفاعا عن نفسها بل انها اغتالته اغتيالا . . ان هذا الرجل ليس من اللصوص وهو ابن صاحبة هذا المنزل المقابل لقصركم فلتسقط تبعة دمه الزكي المسفوك علي رعليك اما علي فلاني كنت السبب في قتل هذا البريء دون ان اريد وانها عليك فلانك لا تريد ان تصدق ما اقول

ثم نزل السلم وهو يكاد يجن من يأسه حتى انتهى الى اخره وعطف الى الحديقة

وقد انقطع عن الكلام بعد ان راى فظاعة مقتل قيصر وكبرت عليه تلك الجريمة وانف شر الناس حتى انف الحياة فمشى توا الى حجرة فوقف في ظلالها وقال للوسيان اني رهن امرك

فوضع لوسيان المصباح فوق العشب فكان ينير ساحة القتال وبدأت المبارزة بين الاثنين

وطال البراز بينهما فكان العرق ينصب من جبين لوسيان وهو يرى ذلك الشيخ يدافع عن نفسه دفاع الابطال وينهج في حديثه رحركاته مناهج اهل الذوق والنبل

ثم انه كان يرى من عينيه ما يدل على السلامة وقد طبع اليأس على وجهه علائم الشهامة وارتسمت فوق جبينه مخائل النبل فاضطرب لوسيان في امره وقال في نفسه اما ان تكون تنوان منخدعة او هي كاذبة فلا يمكن ان يكون هذا الرجل من اللصوص .

غير ان لوسيان وجده عند امه في ظلام الليل وقد تسلق الجدار فبلغ الى غرفتها خلسة وسمع امه تستغيث به منه فعاد الى الحكم عليه بانه من اللصوص وجعل يهاجمه بملء العنف والشدة

وكذلك راوول فانه كان يدافع عن نفسه خير دفاع ولكنه لم يحاول ان يجرح خصمه

وطال القتال بينهما حتى يأس لوسيان وقال له يظهر انك لا تغلب

فاجابه راوول بلهجة دلت على سويدائه انى كما وصفت يا سيدي الكونت والفرق بيني وبينك بعيد فقد اصبت منك مقتلا عشر مرات على الاقل

قال ولماذا لم تقتلني

قال لاني غير حاقد عليك ولا اكرهك

قال ولكن لماذا اتيت الى هنا

قال الاستيلاء على حقي ومالي

قال انت لك هنا موال

قال نعم

قال اني لا افهم ما تقول.

قال انت حقيقة يا سيدي ابن مدام دي مازير

قال لقد سمعتها تدعوني بابنها فيما ظن

قال هو ذاك اذن فاعلم يا سيدي الكونت ان امك قد سرقت هذه

الليلة صندوقا

فهاج لوسيان وقد كبرت عليه اهانة امه فقال له بصوت مختنق لقد كذبت فدافع عن نفسك ان كل دمك لا يروي غليلي فقد اهنت امي

ثم انقض عليه انقضاض الكواسر وربما كان في قلبه صوت سري في ذلك الحين يقول له ان هذا الشيخ غير كاذب فيما قال ولكنه سمع اهانة امه باذنه فلم يعد يسمعه غير الانتقام

وعاد القتال بين الاثنين الى اشد ما كان عليه فكان لوسيان هائجا مغضبا لا ينفك عن الهجوم وكان راوول هادئا لا يتولى غير الدفاع ولا يحاول ان ينال لوسيان باذى حتى تأثر لوسيان من هذه المروءة الظاهرة فلم يرجع عن خطة الهجوم

وكانا يتقابلان في الحديقة وفي ارضها كثير من الحجارة فاتفق ان رجل راوول عثرت بحجر فالتوى جسمه و تكشف لخصمه

وكان لوسيان قد طعنه في ذلك الحين قبل ان يرى عثرته فاختبر سيفه صدر راوول فصاح هذا الشيخ الكريم صيحة الم وهوى الى الارض

فوقف لوسيان وقفة المضطرب وقد ذعر لهذا الانتصار الذي لم ينله الا بالصدفة والاتفاق

ثم هبت فيه عاطفة المروءة والكرم ورجا ان لا يكون قد قتل هذا الشيخ الذي عف عنه مرارا بعد المقدرة فاخذ المصباح واسرع الى خصمه يفحص جرحه فوجده لا يزال يتنفس ولكن الدم قد تدفق من

فـه

وقد كاد يجن لياسه فطرح سيفه بعيدا وحمل الشيخ بين ذراعيه وجعل يناديه باعذب الالفاظ ويلتمس منه العفو والغفران

ثم حمله وسار به الى اقرب شجرة فاسنده عليها

ولم يكن راوول قد مات ولكن الدم كان لا يزال يتدفق من فمه وكان ينظر الى لوسيان نظرة حنان كانه يقول له ان القضاء قد قضى فلك ما طلبته من السماح

ثم رفع يده ووضعها على صدره فادرك لوسيان قصده واسرع الى فك ازرار ثوبه فانكشف موضع الجرح ورأى لوسيان مدالية معلقة في عنقه تنتهي عند الجرح

فنظر لوسيان الى هذه المدالية على نور الصباح فراى فيها رسما يشبه ذلك الرسم الذي وجدته اورور حين بحثت في اوراق امها وهو رسم المنكودة كريتشن التي هام بها راوول والاب جيروم وهذه الصورة كتلك تشبه حنة زيبة الدير شبها عجيبا

فذعر لوسيان حين راى تلك الصورة ذعرا شديدا وتوهم انه قتل والدة حنة وانه بات بينه وبينها هوة عميقة لا يدرك لها غور

٣٧

بينما كانت الكونتس دي مازير وتوان النورية تشتغلان في سرقة

الصندوق وبينما كان ذلك المنكود راوول قد عاد الى فرساي وقد كتب له في لوح المقدور ان يسقط صريعا بسيف لوسيان كانت حوادث اخرى تجري في تلك الغابة التي افتتحنا بحوادثها هذه الرواية

ذلك ان سكان القرية المجاورة لتلك الغابة بلغ منهم الانذهال مبلغا شديدا حين علموا ان جثة تلك الفتاة التي كانوا يلقبونها بريبة الدير قد غادرت منزل داغوبير الحداد

وكان الجميع يهزون رؤوسهم حين يتحدثون بامرها اشارة الى الريب لا سيما حين علموا ان هذه الفقيرة قد انتقلت الى قصر بباليدير عند والد الكونتس اورور وان هذه الكونتس كانت تناديها باختها

ثم اخذت هذه الاشاعة تذيع في القرية حتى صدقها الاكثرون وايقنوا ان جنة اخت اورور حقيقة

وقد اتفق في ليلة احد ان زعيم الفلاحين في تلك القرية وهو ذلك القروي الذي قتل ايل الكونتس اورور فاختصمت بسببه مع ابن عمها لوسيان كان مجتمعا في خمارة مع بنوات الاحدب وقد تقدم لنا وصفهما في الجزء الاول من هذه الرواية فكانا يتحدثان بما ياتي

قال القروي اذا كان كل ما رويته لي اكيدا يا بنوات فلا شك ان البلاء بدا الخوف يسري الى قلوبهم

فقال له الاحدب ببساطة مما يخافون

قال يخافون من الشعب

قال اني لا افهم كنه ما قلتماها الصديق ولكن الذي قلته لك

اكيد لا ريب فيه

قال احق ما تقول

قال دون شك فان الشفاليه دي مازير قد تغير تغيرا عظيما وانت تعلم انه كان منذ شهر في اشد حالات المرض بل كان مشرفا على الموت

فهز القروي راسه وقال امثل هؤلاء الناس يموتون انهم لا يستحقون الموت بل القتل

قال انك مخطيء ايها الصديق فقد قال عنه الطبيب حين اشتداد الازمة انه سيموت قبل الفجر

قال ولكن الطبيب كان مخطئا كما ترى

قال هو ذاك غير ان الشفاليه حين بلغ هذا المبلغ من الخطر دعا اليه الكاهن فاعترف بذنوبه واحله الكاهن منها

قال ان المهم انه لم يمت

قال بل المهم انه ندم وتاب فاصبح على عكس ما كان عليه من قبل وبات من اهل الشفقة والاحسان بعد ان كان لا يريد خيرا لانسان ودليل ذلك انه تبرع على فقراء القرية بخمسمائة جنيه

قال ولكن ذلك لا يمنع الفلاحين متى نضجت ثورتهم واحرقوا قصور النبلاء ان لا يبقوا على قصر هذا التائب

فلم يحفل الاحدب بهذا الانذار ومضى في حديثه فقال وان ابتسم اورور قد اقتدت به وتابت توبته فباتت من اهل الخير والمعروف.

فدهش القروي لقوله وقال ايمكن ان تكون كما وصفت.

قال هي الحقيقة رميتها لك فانها رجعت عن الصيد وامتهان الفلاحين فصارت لا تخرج للنزهة الا مع اختها حنه وبات احب امر لديها الاحسان الى الفلاحين ومؤانستهم بعد ذلك الصاف والامتهان

قال احق ان ربيبة الدير اختها

قال لم يبق في ذلك شك

فشرب القروي جرعة من كاسه وقال اني لا افهم شيئا من هذه الالغاز ثم خفض صوته وقال اذا كان ذلك فان الله قد انعم عليهما بهذا الانقلاب لحسن حظهما وان حظهما يشبه حظك

فارتعش الاحدب وقال كيف ذلك

قال ان ما اتفق لك لو كان قد حدث منذ عشرة اعوام لكانوا شنقوك دون محاكمة ولكن العهد قد تغير بحمد الله

فاضطرب بنوات وقال له اخفض صوتك

قال ليس من يسمعنا وفوق ذلك فلو سمعوا ما اقوله عنك فلا تجد هنا من يخونك اذ ليس بيننا من يكرهك ويريد لك الشر

فزاد اضطراب الاحدب وقال له مهما يكن من الامر فاخفض صوتك

فامتثل القروي وقال انك اخذت بندقية في ليلة واطلقتها على الشفاليه دي فولون ونعم انك لم تقتله ولكن ذلك لم يكن خطاء منك او سوء ارادة

فقال له الأحدب بلهجة المتوسل ارجوك ايها الصديق ان تنقطع

هذا الحديث

غير ان القروي مضى في حديثه فقال انهم حملوا الشفاليه في البدء الى قصر دي بوربيير ثم نقلوه الى منزله .

وفي خلال ذلك اجرى رجال الحكومة التحقيق فوجدوا خادمي الشفاليه قتيلين في قبو القصر ووجدوا القصر مسروقا

ثم وجدوا السرقة مع الخادمين فاستنتجوا من ذلك انهما قتلا سيدهما ونهبا القصر ثم اختلفا على المسروق فقتل كلا منهما الاخر

فقال له الاحدب بلهجة المضطرب لقد اصاب رجال الحكومة اذ هذه هي الحقيقه

فابتسم القروي وقال اننا لو كنا في غير هذا العهد لتوسم رجال الحكومة بالتحقيق فاتضح لهم انك انت القاتل فشنقوك على الفور ايها الصديق وجمعنا فيك ولكن اليوم غير الامس وقد تغير كل شيء حتى بات النبلاء يخشوننا كما كنا نخشاهم وبات دم النبيل يذهب هدرا كما كانت تذهب دماءنا اذ قد دالت دولتهم وقامت دولتنا نحن الفقراء

فلم يجبه بنوات ولم يشاركه بهذا الراي

وعاد القروي الى قصة حنه فقال اذن لقد بات داغوبير وحده الان

قال نعم ولكنه غير مسرور بهذه الوحدة

قال لماذا

قال لانهم سلبوه حنة

قال ولكن له عليها حق التربية

قال هو ذلك فانهم طلبوا اليه في البدء ان يقفل دكانه ويعيش بينهم مع حنة وقد توسلوا اليه حتى ان حنة عانقته وطلبت اليه ان لا ينفصل عنها والدموع تذرف من عينيها فقبل بذلك

قال احق ما تقول

قال ولكنه لم يقم في قصر بلياردير غير ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع لم يجدوه

قال ماذا صنع اعاد الى دكانه

قال انه عاد توا اليها وهو من ذلك العهد يشتغل الليل والنهار بهمة ولدها الياس وانقطع عن الغناء فقد كان صوت غنائه من قبل يرتفع على صوت مطرقته

قال وماذا اصاب هذا المسكين

قال انه انقلب فجاءة اتم الانقلاب واستحالت اخلاقه الى ضدها فبعدفانه ان كان لا يلقى غير باش الوجه طلق المحيا حلو المنادمة بات منقبض الصدر مقطب الجبين لا تعرف شفتاه الضحك ولا ينطق لسانه الا بالكلام الوجيز كانما قد اصابه مس من الجنون بعد عودته من قصر بلياردير

قال اتظن ان ذلك لسبب فراقه حنة

قال هذا ما يتبادر الى الاذهان واما انا فارى لانقباضه سببا اخر

قال ما هو

قال هو ان قلبه قد ملىء غراما

قال الا يحب حنة

قال كلا

قال بمن اذن هام هذا الهيام

فدنا الاحدب من القروي وقال له هامسا في اذنه اظنه هائما بالكونتس اورور

فدهش القروي وقال ما هذه الظنون ان ذلك يستحيل ان يكون

قال لماذا تراه مستحيلا

قل لاني حادثت داغوبير مرات كثيرة فما جرى بيننا مرة ذكر هذه الكونتس حتى اظهر لي من كبريائها وشدتها على الفقراء ما يدل دلالة صريحة على كرهه اياها فكيف يعشقها بعد ذلك الكره

قال لا انكر انه يكرهها بل كان يحتقرها

قال ارايت كيف انك توافقني على ما اقول

قال هو ذلك ولكن الكونتس اورور قد تغيرت الان وهو انما كان يكرهها بسبب اخلاقها قبل ان تتغير

وقبل ان يتمكن الاحدب من اتمام رايه فتح باب الخمارة ودخل منه داغوبير

وقد كان داغوبير مقطب الوجه منقبض الصدر تظهر عليه علائم التفكير والانشغال حتى انه لم ينتبه لصديقيه الاحدب والقروي فجلس

حول مائدة معتزلة وضرب الطاوله بيده يستدعي صاحبة الخمارة

فاسرعت اليه صاحبة الخمارة وقالت له ماذا تريد ان تشرب يا داغوبير

اتريد خمرا

قال كلا بل اريد عرقا

ثم وضع راسه بين يديه وتاه في مهامه التفكير

فقال بنوات للقروي نصوت منخفض ارايت هذا النكود كيف تغير

فان الدمع يكاد يجول في عينيه

غير ان داغوبير لم يرهما ولم يسمع حديثهما فظل شرب الكاس

تلو الكاس كمن يشرب ليتداوى بالخمر من همه لا كمن يشرب ليطرب

وقد اقام في تلك الخمارة نحو ساعة لا ينظر الى احد من الناس وهو

اذا فرغ الكاس ملاه واذا امتلاء شربه وكان كلما شرب زاد تقباضا

ثم دفع على المائدة التي كان عليها ثمن الشراب وخرج من الخمارة

دون ان يحيي احدا من الذين كانوا فيها

وكان جمع اصحابه يرون انكماشه ويحسبون ان السبب هو بعده

عن ربيبة الدير فلم يجسر احد على محادثته او سؤاله الى اين ذاهب

اما الاحدب فانه حين رآه خرج من الخمارة ودع رفيقه القروي

وهم بالانصراف

فقال له القروي الى اين انت ذاهب

قال اني ذاهب لانام فقد دنت ساعة الرقاد ثم تركه وانصرف

وكانت الليلة ممطرة مظلمة غير ان الاحدب كان يرى خيال

داغوبير يبتعد

وما زال في أثره حتى راه يسير في طريق مناقض لطريق منزله فعجب لامره وقال في نفسه الى اين يذهب في هذا الظلام فلا بد ان يكون له مارب خفي ولعلي اقف على سبب انقباضه اذا تعقبته

ولم يكن يجسر ان يستوقفه وينابيه حذرا من ان غضبه مما رأى من ظواهر يأسه فجعل يسير في اثره على مسافة قريبة بحيث كان يراه وداغوبير يسير دون ان يلتفت الى ورائه فلم يخطر له ان صديقه الاحدب سيفي أثره .

وما زال داغوبير سائرا حتى وصل الى منزل في آخر طريق صول فوقف عنده

وكان هذا المنزل لرجل يدعى فريمون وهو التاجر الوحيد في قرية صولي وجميع ضواحيها فكان منزله اودكانه يشبه المعرض الكثرة ما فيه من البضائع المختلفة من كل ما يحتاج اليه سكان تلك النواحي فكان فيها القماش على اختلافها والخيوط والابر وما يكثر من الطعام والحبال وادوات الصنائع الى غير ذلك من كل ما يحتاج اليه القرويون

فلما راه الاحدب وقف عند بابه قال في نفسه لا شك انه محتاج الى مسامير .

ثم اختباء وراء شجرة كي يرى ما يكون منه

ولم يكن فريمون قد نام بعد ففتح باب دكانه لداغوبير والمصباح بيده فاصاب نور المصباح وجه داغوبير ونظر اليه الاحدب فراى انه يشبهه

وجوه الاموات

وقد دخل داغوبير الى الدكان واقفل بابها فلم يعد يرى الاحدب شيئاً .

ولكن الفضول دفعه الي التجسس فدنا من احدى نوافذ الدكان وقد كان زجاجها مكسورا وقد وضع في محله قطعة من الورق المغموس بالزيت

فاصغى الى ما دار بين الاثنين من الحديث فسمع الرجل المجوز صاحب الدكان يقول لداغوبير ماذا تريد يا بني العملك في حاجة الى مسامير وكم اقة تريد .

قال له داغوبير كلا لست في حاجة الى مسامير .

قال اذن ماذا تريد

قال اريد حبلا

فدهش صاحب الدكان وقال له ما عسى يصنع البطري بالحبل

قال ان حبل المنفخ قد انقطع وهرأ فاردت استبداله بسواه

قال كم تريد ان يكون طول الحبل

قال من ستة الى ثمانية اقدام

قال ولكن ذلك اكثر مما تحتاج اليه

قال لا باس فاعطني ما طلبته اليك

فجاءه الرجل بالحبل وفحص داغوبير ثمنه وناوله قال له اقطع لي القدر المطلوب

فقطع له ما طلب فلف داغوبير الحبل ووضعه في جيبه

فقال له صاحب الدكان اهذا كل ما تريده يا بني

قال اريد ايضا قطعة من الصابون

قال العلك تتولى انت غسل ثيابك بعد ان بت وحدك

فاجابه داغوبير بصوت مختنق نعم

فاعطاه ما طلب ودفع له داغوبير الثمن ثم خرج من الدكان وقال لصاحبها الوداع يا سيدي فريمون

فاجابه فريمون الى اللقاء

قال لا لقاء بعد هذا الوداع ثم خرج دون ان يسمع الرجل كلماته الاخيرة ومشى بخطوات غير موزونه لفرط اضطرابه فمر بالاحدب دون ان يراه

اما الاحدب فقد عجب لشرائه الحبل وصابون وزاد في عجبه انه بدلا من ان يعود الى منزله توغل في طريق الغابة

فقال الاحدب في نفسه لابد لي ان اعلم قصده ولو اضطررت الى السير كل الليل

وجعل داغوبير يوسع الخطى فكان الاحدب يقتدي به كي لا يفوته اثره ولكنه كان يسير في جهة منحرفة عن الطريق متواريا بين الاشجار حتى اذا التفت داغوبير لا يستطيع ان يراه

ولبث داغوبير يسير نحو ربع ساعة حتى وصل الى منعطف في الغابة يندر دخول الناس اليه لانحرافه عن الطريق العام فدخل فيه وتوغل

في الغابة

وكان الاحدب مجدا في اثره فاذا اوقف توقف وتراءى بين الاشجار واذا مشى سار في اثره

غير ان داغوبير كان شديد الانشغال بنفسه حتى انه لو اطلقت البنادق من ورائه لما التفت

ولبث سائرا وهو يحسب نفسه وحيدا في الغابة حتى انتهى الى شجرة متطوحة بقي بعضها في الارض وكان شبه كرسي وقد كانت الليلة ممطرة كما قدمناه وقد تجمعت الامطار في كثير من الحفر والاراضي المنخفضة في الغابة فكانت تشبه البحيرات

فجلس داغوبير فوق جزع الشجرة المقطوعة فجعل الاحدب يراقبه فراى ما دهش له وهو انه اخرج الحبل من جيبه فحله وعقده عند طرفه

ثم اخرج قطعة الصابون فبلها بالماء وجعل يقربها على الحبل

فجمد الدم في عروق الاحدب اذ ادرك بغية داغوبير ولكنه بقي واقفا في موضعه لا يتحرك

اما داغوبير فلما تم عمله جعل ينظر الى ما حواليه نظرة المراقب فلم ير الاحدب لاختبائه

اما الاحدب فكان يرى كل ما يصنعه داغوبير فانه لما رآه وقف هنيهة موقف المتردد ثم ظهرت عليه علائم العزم الاكيد فمشى والحبل بيده الى شجرة عالية كثرت اغصانها فتسلق تلك الشجرة حتى بلغ الى اعلاها فركب

فوق غصن غليظ من غصونها

ثم ربط احد طرفي الحبل بذلك الغصن الذي كان يتعلقه والف الطرف الآخر المعقود حول عنقه

وكان الاحدب قد دنا حتى صار عند اسفل الشجرة فسمعه يقول الوداع يا حنة . انك غير محتاجة الي الآن فليس ما يمنعني عن الموت

ثم ترك داغوبير الغصن وبقي معلقا فيه بيد احدة والحبل في عنقه بحيث انه اذا افلت الغصن الف الحبل على عنقه وبات معلقا في الفضاء

ولكنه قبل ان يفلت الغصن مع صوتا بناديه فيقول اي داغوبير انك تريد الانتحار شنقا ولكني سادركك قبل اتمام قصدك و قطع الحبل

وعند ذلك وثب الاحدب وتسلق الشجرة بخفة النمر وقد وضع السكين في حزامه كي لا يعيقه حملها عن التسلق

فذهل داغوبير لما سمعه وبقيت يده ماسكة بالغصن

٣٨

ان المرء مهما اشتدت عزيمته على الانتحار ومهما بلغ من صدق نيته فيه و رغبته عليه فانه لا يلبث ان يتردد فيه حين يجد شاهدا عليه يباغته عند الانتحار كما باغت داغوبير صديقه الاحدب

ولذلك توقف داغوبير عن افلات الغصن حين سمع صوت الاحدب وقد كاد يهم بافلاته

اما الاحدب فكان يتسلق الشجرة ويتكلم في حين واحد كي يشغل

داغوبير بحديثه فكان يقول له اقسم بالله انه لو قيل لي منذ ساعة انك تحاول الانتحار لما صدقت . ويحك يا داغوبير اهلك جننت

فزاد ضغط داغوبير على الغصن

وعاد بنوات الى الحديث فقال ما هذا الذي تفعله يا داغوبير اهلك تتحر وقد عرفت بالبسالة والصبر على الشدائد واي فضل لك اذا عجزت عن تحمل نكبة وارت التخلص منها بالانتحار بل اية ثقة بقيت لك بالله

وكان يقول هذا القول وهو يتسلق الشجرة حتى وصل الى الغصن الذي كان معلقا فيه الحبل فاسرع الى خنجره فاستله وقطع به الحبل بسرعة التصور

وعند ذلك تنفس داغوبير تنفس الارتياح كانما مداخلة بنوات ذكرته بالحياة فتمسك فيها

ولما راى بنوات قطع الحبل اقلت هو الغصن الذي كان متمسكا به فسقط الى الارض ولم يصب باذى فان الارض كانت رطبة لسيل الامطار وكثرة العشب فيها

اما الاحدب فانه القى بنفسه على الفور ايضا فادرك داغوبير قبل ان ينهض من سقوطه

فجلس بقربه وقال له بلهجة الحنو الصادق يظهر يا داغوبير ان حزنك شديد حملك على هذه الجريمة

فلم يجبه داغوبير بل ستر وجهه بيديه وجعل يبكي بكاء الاطفال

فسر الاحدب لبكائه فان الدموع تذهب البأس وقل له ماذا اصابك ايها الحبيب العلك قانط لفراق حنة

قال كلا فاني استطيع ان اراها متى شئت حتى اني استطيع ان اترك عملي واقيم معها بقية العمر في بلياردير

قال تعال معي يا داغوبير تجلس في ظل هذه الشجرة ونتحدث قليلا فان نصائحي قد تفيدك

ثم اخذ بيده وسار به الى جذع الشجرة الذي جلس عليه دغوبير حين دخوله الى الغابة فجلس واياه عليه وقال له اني اعلم يقيناً ما اصابك واعرف ما يثور في قلبك من العواصف

فقال له بصوت اجش استحلفك بالله ان لا تحدثني بشيء عن هذا

قال بل يجب ان احدثك كي ابرهن لك انه لا يجب ان تموت

فهز دغوبير راسه وقال ماذا تريد ان يصنع فتير . اني كتب له في لوح المقدور ان يحب ابنة نبيلة يرح به الهوى وهو لا يستطيع ان يتزوجها

قال ان هذا يتفق لكثير من الناس ولكنه ليس بالسبب الداعي الى الانتحار . انك تكاتمت الان عن الله وانه قدر لك ان تصاب بهذا الغرام الا تعلم ان الله اراد ان يجرب بسالتك

قال لم يبق لي بسالة ولا اقدام بعد هذا الغرام

قال اصغ الي يا داغوبير فانك اذا اتبعت نصحي قد تستريح مما

انت فيه

وكان داغوبير لا يزال يبكي فمسح عينيه وقال الاحدب اي نصح تعني وماذا تريد ان اصنع

قال اريد ان تذهب الى الاب جيروم

فارتعش داغوبير لهذا الاسم ونهض فجاءة من موضعه دون قصد كانما هذا الاسم قد ذكره ما كان ناسيا فانه كان قد انقطع عن العمل ولم يعد يكترث للزبائن وبات يهرب من دكانه فيهيم في الغابة ولذلك احتجب عن الاب جيروم فلم يعد يراه

ورأى الاحدب ان اسم الاب جيروم وقد اثر عليه تاثيرا حسنا فقال له نعم يجب ان تذهب الى هذا الراهب الجليل وتعترف له بامرك وتسترشده فعساه يعينك برأي يكون فيه السداد

فتفكر داغوبير هنيهة ثم قال لقد اصبت يا بنوات وساذهب اليه

قال هذا ما كنت ارجوه منك ايها الصديق فان من كان اعقل وحزمك لا يرتكب ما ارتكبته من الخطاء ولكني لا اخفي عنك الان فاني اخشى ان يعود الى قلبك ذلك اليأس

وعند ذلك اخذ الاحدب الحبل الذي كان لا يزال على عنق داغوبير ورماه بعيدا ثم تابط ذراعه وقال له هلم بنا نبرح هذا المكان فان تذكاره بات يؤلم نفسي

فسار داغوبير معه دون مقاومة كالطفل وقال له الى اين تريد ان نسير

قال الى الدير اذ لا ارى بدا من مقابلة الاب جيروم ويقيني انك تجد في مقابلته كل الخير

وقد علم الاحدب انه لا يضر داغوبير في هذه الحالة مثل السكوت فجعل يحتال عليه بالكلام وينتقل معه من حديث الى حديث الى ان انتهى الى ذكر الاسفار فقال له الم تكن عازما على السفر مع الاب جيروم

فتنبه داغوبير من غفلته عند هذا السؤال وقال له نعم

قال ولكنك لم تسافر

قال هذا اكيد

قال لماذا

قال لا اعلم فاننا قررنا في ليلة ان نسافر في صباحها الى باريس ولكن جاء في تلك الليلة رسول الى الاب جيروم يخبره ان الشفاليه دي مزير مشرف على الموت وانه يريد الاعتراف فلم يجد بدا من الذهاب اليه .

وقد بقي هذا الشفاليه ثمانية ايام يحسب من حوله انه في حالة النزع فكان الاب جيروم مضطرا الى عيادته .

فقال له اذن لقد اتضح السبب فان الاب جيروم اضطر الى تأجيل السفر غير ان الشفاليه قد شفي من دائه بعد ذلك .

فلم يجبه داغوبير .

فقال الاحدب الم يكن هذا السفر الى باريس من اجل حنة

قال نعم وكيف عرفت ذلك

فابتسم الاحدب وقال اني اعرف كل شيء

فقال داغوبير ان الاب جيروم لم يقل لي شيئاً بعد ذلك عن هذا السفر ولكني اظن انه لم يبق حاجة اليه بعد ان باتت حنة تقيم في قصر بلياردير

وابث الاثنان يسيران وهما يتحدثان حتى وصلا الى الدير

وكانت السماء مقتمة والنجوم محجبة بالضباب فقال بنوات نحن لا نستطيع معرفة الوقت الان من النجوم ولكنني اظن اننا في منتصف الليل

ثم نظر الى الدير وقال اني ارى نوراً في احدى غرفه اما هي غرفة الاب جيروم

قال دون شك فان هذا الاب الصالح يحيي كل ليلة بالصلاة

قال اذن اطرق باب الدير وادخل اليه فانهم يؤذنون لك بالدخول متى اردت

قال وانت ماذا تصنع

قال اعطني مفتاح دكانك فانتظرك فيها

قال انه تحت العتبة في موضعه الذي تعرفه

وهنا افترقا فذهب الاحدب الى دكان داغوبير وذهب داغوبير الى باب الدير فطرقه فانتبه البواب منذعراً وقال من الطارق

قال انا دغوبير

قال ماذا تريد في هذه الساعة

قال اريد ان ارى الاب جيروم في الحال لشان خطير

فامشى البواب وفتح له فدخل داغوبير وصعد توا الى غرفة الاب جيروم فالفيه راكعا عند سريره وكتاب الصلاة بيده

اما الاب جيروم فانه حين راى اصفرار وجه داغوبير اضطرابه وشيبه للوثة بالوحل ايقن بحدوث مصاب

واما داغوبير فانه ركع امام الاب جيروم وقال له انك تنظر الان يا سيدي الى رجل مجرم اثيم فاني اوشكت ان اقتل نفسي منذ ساعة وقد جئتك اتوسل اليك ان تسمع اعترافي

٣٠

عندما امر الاب جيروم داغوبير ان ينهض وقال له اني احلك من الخطيئة التي ارتكبتها كان داغوبير يبكي امامه بكاء الاطفال

فقال له الاب جيروم ان الله يا بني قد اراد لك ما اراد فقد خلق الانسان عرضة للمصائب وجربه بانواع البليات.

ولكنه جعل لكل شقاء دواء ودواء الاشقياء قضاء واحب ذا عدوه مقدسا ووفوا به هان عندهم كل ما يجدونه من الشقاء

اما واجبك انت فهو خدمة حنة والحرص عليها ورد الكيد عنها

اما انا فلا يسعني بصفتي كاهنا ان اشك بصدق ندامة هذا الرجل الذي دعيت اليه لاسمع اعترافه الاخير وهو الشفاليه دي مازير

ولكن لرجل بصفته انسانا لايخلو قلبه من الشك في هذه المواقف ولقد يخطر لي بعض الاحيان انا الخطأنا خطاء لا يغتفر بارسال حنة الى الشفاليه دي مازير فاننا قد راياه يحتضر دون شك ولكنه لم يمت بل انه سيعيش عمرا طويلا

فنظر داغوبير الى الاب بيروم نظرة شفت عما داخل قلبه من الحزن والشك وقال ماذا تريد بذلك يا ابي

قال ان المرء حين يرى نفسه على ابواب الابدية يندم ندامة صادقة ويتوب توبة لا ريب فيها ولكنه حين يتماثل ويتعافى وتعود اليه الصحة تعود اليه المطامع التي ولدتها في نفسه الفطرة وينسى انه تاب واستغفر

اما انا فلا انسى الشفاليه دي مازير قاتل والدة حنة

فضم داغوبير قبضتيه مهددا وقال الويل لهذا السفاك اذا خطر له ان ينال حنة بسوء

قال وهذا ما اريده منك يا بني فاني اصبحت شيخا وباتت ايامي معدودة في هذا الوجود فاذا مت فانت المسئول امام الله عن هذه الفتاة

فوضع داغوبير يده على جبينه كانه يريد ان يطرد تذكارا مؤلما وقال اذن لقد كنت مجنونا بل كنت من الاشرار

قال كلا يا بني بل كنت ضعيفا واي انسان لا يضعف فيما يمر به

عن المصاب فلا يلومك على ضعفك غير الذين لم يعرفوا الشقاء

فاخذ داغوبير يد الكاهن فقبلها

وبعد هنيهة قال له فجاءة الا تسافر يا ابي الى باريس كما اتفقنا من قبل.

قال كلا يا بني

قال ولكنك تعلم ان الخاتم قد سرق مني

قال الا تزال تفتكر بثروة حنة

قال نعم.

فابتسم الاب جيروم وقال له اصغ الي يا بني الا تذكر في اليوم الذي تلا ذهابي الى الشماليه دي مازير لاول مرة حين كنا ننتظر وفاته للسفر الي باريس ان موزع بريد اورليان طرق باب الدير

قال نعم اذكر ذلك لا سيما واني لم ار هذا الموزع منذ خلقت جاء قبل هذه المرة

قال ذلك لان موزع هذا البريد لا شان له مع رهبان هذا الدير لانقطاعهم عن العالم فلا يردنا غير بريد الادبرة

ولكن هذا الموزع جاءني بكتاب ساطلعك عليه فاذا قراته عرفت السبب الذي امتنعت لاجله عن السفر

ثم قام الى درج ففتحه واخذ منه ذلك الكتاب فقال لداغوبير انه ورد الي من ذلك الرجل الذي سلمك حنة

قال من اهو راوول الذي كنا نعتقد انه مات

قال نعم فخذ واقرأ

فاخذ داغوبير الكتاب وقرأ ما ياتي

ايها الصديق القديم

اني دخلت الى فرنسا منذ ساعة بعد ان هجرتها خمسة عشر عاما في البلاد الاميركية فكان اول ما بدات به كتابتي اليك

ولا اعلم اذا كنت باقيا في قيد الحياة واذا كانت ابنة كريستين لاتزال بحراستك

ان هذين الامرين يقطعان قلبي ولكني لا ازال ارجو ان تكون حيا فاني لقيت من العناء والشدائد ما لا تحتمله الاجسام ومع ذلك لا ازال شديدا ورجائي ان تكون مثلي في ذلك الدير الذي تقيم فيه منذ دهر طويل بعيدا عن مكايد الانسان

ثم ارى بعين الخيال تلك الطفلة التي تركتها نائمة في دكان الحداد قد شبت واصبحت فتاة جميلة وان لله قد وهبها من السعادة والهناء ما يعادل ما لقيته امها من المصائب والشقاء

اني ساصل الى باريس بعد بضعة ايام وستراني بعد ذلك اقرع باب ديرك

وانك لا بد ان تكون عرفت ذلك الخاتم وقرأت الورقة التي فيه وعرفت موضع الصندوق الذي ائتمنني عليه الكونت دي مازير

ولكني لا اعلم اذا كنت احضرت هذا الصندوق او انك لا تزال تنتظر رجوعي

على انه في كل حال يستحيل على سوانا ان يعلم موضع الصندوق وساعرف كل ذلك حين وصولي الى باريس

وقد كتبت ايضا الى تلك المراة التي كنا نقيم عندها وهي مدام بلنزوت وسالتها ان تخصص لي تلك الغرفة التي كنا نقيم فيها ورجائي ان تكون باقية في ذلك المنزل

الى اللقاء القريب ايها الصديق فاني ساعود اليك بعد ان اعثر بالصندوق

اخوك القديم السلاح

راوول دي مورلبير

وما قرأ داعوبير هذا الكتاب رده لى الاب جيروم وقال له ان هذا الكتاب قد ورد اليك منذ شهر

قال هو ذاك

قال وفي خلال هذا الشهر

قال اني لا ازال انتظر راوول

قال انى اخشى ان يكون اصيب بمكروه والا فما علة هذا الابطاء

فتنهد الاب جيروم وقال لقد خطر لي مثلك هذا الخاطر ولكن خطر لي ان راوول قد عاد من الحرب في اميركا ولا بد ان يكون قد جاء من غير مال وانه كتب الى احد اصدقائه في باريس يطلب منه ما يحتاج اليه من المال لاتمام سفره فاطمئن وقد يكون اقام بضعة ايام في فرساليا بغية مقابلة الملك فان معظم الضباط الذين عادوا من هذه الحرب قابلوه

قال اذن الا ترجح انه اصيب بمكروه

قال انه اذا لم يمت موتا فجائيا فاى مكروه يصيبه

قال اما انا فاني خائف

قال من اي شيء

قال الا تعلم يا ابي ان الكونت لوسيان قد سافر الى باريس

قال نعم وماذا علينا من سفره

قال ولكن امه قد سافرت في اثره

قال واذا سافرت ايضا فما تخاف

قال كيف ذلك يا سيدي الا تذكر ان الخاتم ما فقد مني الا في تلك الليله التي نصب لي فيها الشمالية دي فولون ذلك الفخ

قال نعم اذكر ذلك

قال الا يمكن ان يكون الذين سرقوا هذا الخاتم اعطوه للوسيان فاجابه الاب اجيروم كل ذلك ممكن

قال اتك يا سيدى عهدت الي بحراسة حنة وقلت لي انه واجب مقدس يجب علي ان اقضيه اذن فاعلم انه يجب ان نسافر الى باريس فان قلبي يحدثني ان حنة في خطر اشد مما هي فيه الان

وكان داغوبير يتكلم بلهجة الواثق كانما هذا الوحي قد هبط عليه من السماء وكان الاب جيروم ينظر اليه منذعرا وقد خاف على الفتاة خوف داغوبير

٣٢

اما بنوات فانه لم يدخل الى الدير كما قدمناه ولم يذهب الى دكان داغوبير ولكنه جلس على حجر ضخم عند باب الدير كان يجلس عليه الفقراء الذين يقدمون اليه لالتماس الصدقات

وقد مرت به ساعتان دون ان يعود داغوبير فاضطرب في امره وقال في نفسه ما هذا الابطاء في الرجوع انه لا يمكن ان يكون قد عاوده اليأس ولو اتفق ذلك فانه لا يجد سبيلا الانتحار في داخل الدير بقي ان الاب جيروم يحادثه ولكن الحديث قد طال فما هذا الحديث

ثم سمع ناقوس الدير بدأ يدق داعيا الى صلاة الفجر فقال في نفسه لابد له الان ان يخرج فان الاب جيروم سيحضر الصلاة مع الرهبان

وبعد هنيهة راى باب الدير قد فتح وخرج منه داغوبير

فاسرع اليه الاحدب وقال له ما هذا الابطاء فقد شغلت بالي

فدهش داغوبير حين رآه وقال له كيف ذلك الا تزال هنا تحت المطر

قال اني انتظرك

قال وانا كنت احسب انك دخلت الى الدكان وانك نائم في سريري

قال لم أنم لاني لست نعسان

وكان يحدد نظره به بالرغم عن الظلام كي يعلم من ملامح وجهه

تأثير نصائح الاب جيروم عليه

ولم يستطع ان يرى شيئا يستدل به ولكنه سمع صوت داغوبير فاستدل منه ن السكينة قد عادت الى قلبه وقال في نفسه لقد احسنت كل الاحسان بنصحي له ان يلجأ الى الاب جيروم

اما داغوبير فانه اخذ بيد الاحدب وقال له اذن نت غير نعسان في هذه الليلة

قال بل في كل ليلة فالمي اشبه الحيوانات الضارية فاوثر النوم في النهار والتنقل من غابة الى غابة في الليل

قال تذهب الى قصر بوربيير اي قصر لوسيان

فارتعش الاحدب لهذا الاسم وقال مسكين لوسيان فانه كان من خير الناس قبل ان يعاشر هذا الشقي الشقالبه دي فولون

وكان داغوبير لم ينس بعد اساءة لوسيان اليه فقال له بلهجة شفت عن الحقد اراك بت مشفقا عليه الان

قال انه اذا كان من النبلاء فلا يدعو ذلك لاحتقاره اذ يوجد بينهم رجال خير

فهز داغوبير كتفيه وقال اني لا اريد ارسالك الى هذا القصر من اجل لوسيان

قال دون شك فانه مسافر ثم تنهد وقال بل انه لا يعود وقلبي يحدثني انه سيصاب بمكروه في سبيل حنة فانه يحبها حبا لا يوصف

فقاطعه داغوبير بجفاء وقال له قل الان اتريد الذهاب الى القصر

قال دون شك

قال ان المحاباه ليسوا فيه

قال انك مخطيء ايها الصديق فان لوسيان لم يعد واما والدته الكونتس فقد عادت منذ ثمانية ايام

قال احق ما تقول!

قال دون شك فقد رايتها

قال اذا كان ذلك فلا بد اذن من ذهابك الى القصر

قال ماذا اصنع فيه

قال انك تعودت التردد على هذا القصر فلا يعجبون اذا راوك فيه

قال هو ذلك

قال وانك كثير الحيلة فلا يصعب عليك تجسس الاخبار والتقاطها من الخدم

قال ان ذلك قد يكون

قال اني منذ هنيهة كنت اريد ارسالك الى قصر بوديير كي تعلم الى اين ذهبت الكونتس

قال انها ذهبت في اثر ابنها للبحث عنه

قال واما الان فاني اتولى ذلك دون ان تذهب الى القصر فقد اخبرني البستاني

قال ماذا اخبرك

قال اخبرني انها ذهبت الى باريس لارجاع ولدها فوجدته قد انتظم

في سلك حراس الملك ولا يستطيع الرجوع

قال اري ايها الصديق انه يجب ان اخبرك بكل شيء اذا كنت تريد ان تنفعني وتنفع حنة والاب جيروم

قال اذن قل ما تشا

قال اتذكر انه كان يوجد في اصبعي خاتم غليظ

قال نعم

قال اني فقدت هذا الخاتم في تلك الليلة التي اراد بها صديقك الكونت لوسيان والشفاليه دي فولون قتلي واظن انهما سارقا الخاتم

قال ترجح ذلك

قال المهم ان الخاتم فقد مني وارجح انه بات عند لوسيان او عند امه

قال اذن تريد ان تسترجع الخاتم

قال اننا لا نهتم بالخاتم نفسه بل بالسر الذي يحتويه

فعجب بنوات وقال اي سر يتضمن

قال ان فيه ورقة تشير الى موضع خبيء فيه صندوق يحتوي على ثروة طائلة

قال ولمن هذه الثروة

قال لحنة

قال واذا عثرت الكونتس بهذا الخاتم

فاجابه بصوت ابح انها تعرف موضع الصندوق وتريدان تختلسه وهي لم تسافر الى باريس للبحث عن ابنها بل للبحث عن هذا الصندوق اعلمت الان

فزاد اندهال الاحدب وقال أأنت واثق مما تقول يا داغوبير

قال اقسم لك بحياتي ان ما قلته لك لا ريب فيه

قال اذا كان ذلك كذلك كان الصندوق في قصر بوربير فاني ساقف على اخباره

قال اذن اتذهب الى القصر

قال اني ذاهب الفوري

ثم نظر الى السماء وقد كانت منذ حين ممطرة ملبدة بالغيوم فراى ان الهواء قد بدد الضباب وانقطع المطر فقال لداغوبير كن مطمئنا ايها الصديق فاني ذاهب في الحال وثق اني لا اعود اليك الا بالخبر اليقين

وهنا صافح داغوبير بيده وافترقا عنه فسار بضع خطوات وعاد اليه فقال اكان جميع ما قلته لي صدقا

قال ولماذ اكذب عليك

قال لتتخلص مني فقد يكون اليأس عاد الى قلبك وعادت اليك افكار الانتحار

قال كلا ايها الصديق الصادق فقد اعترفت بضعفي اللاب جيرهي فجرأني على احتمال الشدائد وقد زادت واجباتي بعد هذه المقابلة ووم مقدسة عندي فلا بد لي من الحياة لقضائها

فوثق الاحدب بقوله وذهب مطمئنا اليه فسار في البدء بطريق الحقول ثم دخل الى الغابه حتى وصل الى قصر بوربير وقد استنارت السماء باشعة الفجر

وكانت الساعة الخامسة من الصباح وجميع من في القصر نيام على ان بنوات نظر اليه فراى نور مصباح ينبعث من نافذة الدور الاول

وكان الاحدب يعرف جميع غرف القصر فعلم ان نور هذا المصباح منبعث من غرفة تنوان النورية وقد عرف القراء انها تقيم في غرفة ملاصقة لغرفة الكونتس

فقال الاحدب في نفسه لا شك انها مبكرة هذا التبكير لشأن هام اذا كانت نائمة وقد نسيت ان تطفىء المصباح

فدخل عند ذلك الاحدب الى فناء القصر فلم تنبح عليه كلابه لانها كانت تعرفه بل جعلت تلاعبه فرحة به

وكان لهذا الاحدب شرفة بارزة تطوقه من كل صوب وتحدق به كالنطاق

فقال الاحدب في نفسه اني اذا تمكنت من البلوغ الى هذه الشرفه فقد اعرف ما يجري داخل غرفة تنوان

ولو خطر هذا الخاطر لغير بنوات لعده مستحيلا غير ان هذا الاحدب كان كما وصفناه بعيد الهمة خفيف الحركات الف الغابات حتى اصبح كحيواناتها خفة ونشاطا

وكان في الجدار ميزاب ممتد من الارض الى فوق الشرفة تنزل منه مياه الامطار المتجمعة فوق السطح

فتسلق الاحدب هذا الميزاب بخمة القطط وهو عرضة في كل حين للسقوط

ولكنه وصل بعد الجهد الشديد سالما الى الشرفة

وكانت الشرفة فوق النافذة فنبطح بنوات على ارضها وادلى راسه الى النافذة فراى من خلال زجاجها الملون ان تنوان لم تكن وحدها في تلك الغرفة بل كانت معها الكونتس دي مازير

ولم يكن الاحدب يستطيع ان يسمع كلمة من حديثهما لبعد المسافة بينه وبينهما فانهما كانتا بالستين قرب المستوقد ولاقفال النافذة فلم يكن يصل اليه الصوت

غير ان الذي شغل الاحدب انه راى تنوان ماسكة بيدها جريدة تقرأ فيها بملء الاهتمام والكونتس جالسة بجانبها تصغي اليها كل الاصغاء

فتنبهت فيه عاطفة الفضول وقال في نفسه لا بد لي ان اعلم ما تحتويه هذه الجريدة

٣٣

ان بنوات ولد في الغابة ونشأ وعاش فيها فكان يالف الحيوانات اكثر مما يالف الانسان ولكنه كان مع ذلك يعرف القراءة

وكانت معرفة القراءة نادرة في ذلك العهد لدى الفلاحين ولا سيما من كان يعيش بينهم عيشة همجية كهذا الاحدب

اما كيفية تلقيه التعليم فهي انه حين كان في الثانية عشرة من عمره كان من مشاهير صيادي القرقدان

وكان في قرية انغرام كاهن جليل يخرج كل يوم متنزها الى الغابة وكتاب الصلاة في يده

فكان اذا راى الاحدب في الغابة اشفق عليه فاعطاه بعض دريهمات او ذهب به الى منزله فاطعمه

وكان الاحدب همجيا كما تقدم ولكن احسان هذا الكاهن اثر فيه اجمل تاثير ولم يكن يهتم الا بمكافأته عن جميله

فاتفق يوما انه اصطاد قرندانا جميلا دون ان يقتله فاسرع به الى الكاهن واهداه اليه

فسر به الكاهن ووضعه في قفص جميل

غير ان القرقدان لم يطل عهد حبسه حتى بدأ يخل ويرق فاشفق عليه الكاهن واستشار الاحدب في امره فقال له ان السبب في خوله عزلته ولو كانت معه انثى في قفصه لتعزى بقربها عما يجده من الهم في السجن

ومن ذلك الحين جعل الاحدب يبحث عن انثى يقيمها مع هذا القرقدان

وقد اتفق له انه بينما كان يطارد تلك الانثى وقد تسلق شجرة في اثرها

وقف على غصن ضعيف فانكسر وسقط على الارض فكسرت رجله

فرآه الحطابون وحملوه الى منزل كاهن القرية فلما علم الكاهن انه كسر رجله بسببه جعل يهتم به اهتمام الاب باولاده واقام في منزله ثلاثة اشهر لا يستطيع الخروج فعلمه الكاهن في خلالها القراءة وقد تعلمها بهذا الوقت القصير لذكائه

فلما رأى بوات ان تنوان النورية تقرأ في الجريدة كما تقدم وصفه من الاهتمام قال في نفسه لا شك ان الامر خطير ولا بد لي من الاستيلاء على هذه الجريدة

وكان يتوق ايضا الى سماع ما تتحدث به فخطر له ان يصعد الى السطح حين رأى ان السماع متعذر من الشرفة فتسلق الميزاب المتصل من الشرفة الى السطح حتى اذا وصل اليه خطر له خاطر وهو انه رأى مدخنة المستوقد فعلم انها متصلة بمستوقد غرفة تنوان

وكان يعلم انه كلما سكن الهواء زاد اتصال الصوت وان في المستوقد بقية من نار تجذب الهواء الى الداخل فيذهب الصوت صعدا

فدنا عند ذلك من المدخنة ووضع اذنه فوقها فسمع صوت تنوان باتم جلاء

وقد علم عند ذلك انها فرغت من قراءة الجريدة فاصغى اصغاء تاما وسمع ما يأتي

قالت الكونتس ان كل ما فعلناه حسن وقد فزنا بكل ما نريد ولكنني كنت اود ان لا نفوز هذا الفوز فقد ابعدني ولدي وبات يحتقرني

قالت تنوان لك مخطئة فان لوسيان لم يعلم شيئا مما كان

قالت كيف لا يعلم شيئا

قالت اريد انه لم يعلم بسر الصندوق

قالت ولكنه يعلم غير ذلك

قالت انه يظن ان راوول والد هنة وهذا كل ما يعلمه وقد قال لك انه يلمنك ويحتقرك ولا يعتبرك امه ولكن لم يذهبه الى هذا القول غير الياس ولا بد ان يسكن لاعج غرامه فيعود الى امه

اما نحن فقد ظفرنا بالملايين وهذا المهم في كل ما جرى

ثم الم امل لك يا سيدتي الحيلة مرارا انك لا تزالين في ابان جمالك كانك في نضارة الصبى وما يمنعك الان بعد ان ظفرت بهذه الملايين عن التمتع بملاذ الحياة

هلمي بنا نسافر الى ايطاليا فنشتري قصرا على ضفاف رنو قرب فلورنسا ونعيش فيه عيش سعه فلا يمر بك شهر حتى تجدي اصحاب التجار عند قدميك

قالت لقد جننت يا تنوان فاني قد تجاوزت عهد الصبى

قالت ولكنك لا تزالين حسناء

فلم يفهم بنوات شيئا من هذا الحديث سوى ان لوسيان قد هجر امه وان الكونتس حزينة لبعد ولدها وانها باتت كثيرة الملايين وان تنوان تشير عليها بمبارحة فرنسا

فلم يشغل فكره باستخراج النتائج مما سمع وقال في نفسه يجب علي

ان احفظ كل ما اسمعه من حديثهما ونقله كما سمعته الى داغوبرو لاب حيروم وعليهما ان يستنتجا منه ما يشاءان

وساد الصمت هنيهة بين الكونتس وتوان ثم عادت الكونتس الى الحديث فقالت ان هذه الجريدة قد نقلت الحادثة بشكل لا يستطيع رئيس البوليس نفسه ان يفهم منها شيئا ولا شك انك من البارعات في الانشاء

فقالت لها توان بلهجة الساخر لقد تعلمت الصحافة في مدرستك

قالت اتظنين ان راوول قد مات

قالت اذا لم يكن قد مات فهو يحتضر

قالت احق ما تقولين

قالت دون شك فانه مات او سيموت دون ان يستطيع الاباحة بحرف لانه كان في حالة النزع منذ اصيب وعلى ذلك اجو ان توافقني على السفر الى ايطاليا

قالت أسافر قبل ان نقف على اخبار لدي

قالت سنقف على اخباره متى شئنا وسوف ترين انه يعود اليك فان المال لا بد ان يجذبه

فتنهدت توان من هذه المحادثة الجديدة اذ علمت ان الجريدة التي كانت تقرأها تزان متضمنة تفصيل حادثة سرية اشتركت فيها المرأتان فزادت رغبته بالاستيلاء على هذه الجريدة ولكنه لم يجد طريقة تمكنه منها

وفيما هو يصغي سمع الكونتس تقول ان الساعة بلغت الخامسة لان ولم تنم بعد

قالت انا في كل يوم تحيي الليل بالسهر وذلك يضنيك اذا طال

قالت اذن تعالي معي الى غرفتي واعدي لي ملابس النوم فقد عزمت على الرقاد

ثم سمع بنوات وقع اقدامهما فايقن انهما دخلتا الى غرفة الكونتس وان لا بد ان تكون تركت الجريدة التي كانت تقرأ فيها على مقعد او على كرسي في غرفتها

وعند ذلك عول على امر لا يقدم عليه سواه وهو انه صعد الى المدخنة ودخل في جوفها ثم ترك نفسه يهوي فسقط في المستوقد ولم يسمع بسقوطه صوت فانه سقط فوق الرماد

وقد اصاب بنوات فيما توقعه فان تنوان كانت في غرفة الكونتس وقد تركت الجريدة فوق كرسي

فاخذ الجريدة فوضعها في جيبه ثم عاد الى المستوقد فخرج منه الى السطح من المدخنة كما نزل

وكان الفجر قد أبشق ولكن جميع من في القصر نياما فنزل بنوات على الميازيب الى البستان وتسلق السور فخرج منه الى الشارع دون ان يراه احد

وبعد ربع ساعة كان يعدو في تلك الغابة المتسعة وفي جيبه تلك الجريدة التي كان يرجو ان يقف منها على سر المراتين

٣٤

يوجد بين قصر بوربير الذي كان عائدا منه بنوات وبين داغوبير غابة متسعة تدعى مزيك

وبينما كان بنوات يجتاز تلك الغابة ركضا رأى نورا ينبعث من خلال الاشجار فايقن انه منبعث من خيمة يقيم تحتها الحطابون

وقد هاجت عند ذلك رغبته بقراءة الجريدة التي سرقها من غرفة بنوان حتى انه لم يطق الصبر الى ان يصل الى دكان داغوبير بعد ما رأى ذلك النور

ولذلك ذهب توا الى تلك الخيمة فوجد فيها جماعة من الحطابين يطبخون طعامهم ويتنظرون طلوع الشمس ليبدأوا بالاحتطاب

وكان جميع اولئك الحطابين يعرفونه ويعرفون عاداته فلم يندهشوا بقدومه وقالوا له العلك قادم للصيد يا بنوات

قال هو ذاك ولكن البرد شديد في هذه الليلة

قال تعال واصطلي فان النار موقدة

وقال له اخر وستاكل معنا متى نجز الطعام

فشكرهم بنوات وجلس قرب النار ثم اخرج من جيبه الجريدة

فعجب الحطابون منه وقال له احدهم العلك تعرف القراءة يا بنوات

قال نعم فقد تلقيتها عن كاهن القرية

قال اذن انك سعيد وستتسلى بقراءة هذه الجريدة

قال اني لا اقرأها للتسلية ولكن قيل لي ان اسمار علف قد تصاعدت فاحببت ان اعلم الحقيقة

ثم فتح الجريدة وجعل ينظر في موادها

ولم تكن الجرائد في ذلك العهد كما هي الان فان الجريدة من جرائد اليوم تتضمن مواد كتاب بجملته اما جرائد ذلك العهد فلم تكن تتضمن غير اليسير من الاخبار بحيث يستطيع مطالعها ان يتصفح كل ما فيها بمدة لا تزيد عن ربع ساعة

وبعد ان قرأ بنوات بخاطر سفيا لم يفهمه واخبار ذهاب الملك والملكة الى كنيسة فرسايل وغير ذلك من الاخبار التي لم يكترث لها قراءه وهو يرتعش هذا الفصل الاتي

« ساد الرعب والقلق في حي سانت جرمين في باريس فانهم يبحثون منذ ثلاثة ايام في حادثة دموية جرت في شارع اباي »

وكان بنوات لزم سكان قصر بوربير زمنا طويلا فعلم ان لوالدة لوسيان قصرا في شارع اباي في باريس فلم يبق لديه شك ان المقالة التي كانت تقرأها نوان هي هذه المقالة

فاخذ عند ذلك يقرأ بملء الامعان فقرا ما ياتي

« واليك تفصيل الحادثة

(يوجد في شارع اباي قصر كان من قبل لاميره المانية تدعى البرنسس

هيلانه دى كارلوتيبرج

وكان يتولى حراسة هذا القصر خادم من اهالي سويسرا وزوجته فاقاما في هذا القصر خمسة عشر عاما دون ان يأتي اصحابه اليه

فمنذ يومين راى سكان ذلك الشارع نورا ينبعث من غرف هذا القصر فاستدلوا من ذلك على ان سكانه قد عادوا اليه وانه يوجد تجاه هذا القصر منزل تقيم فيه امراة فاضلة مع ولدها وهي تدعى مدام بلنزوت

فبينما كانت تلك السيدة نائمة صحت لوقع اقدام في غرفة ابنها فرابها ذلك ونزلت الى غرفة ابنها فلم تجده فيها ولكنها وجدت الغرفة مبعثرة الاثاث ورات ان الجدار وراء المستوفى منقوب وقد نزعت منه الحجارة فانكشفت عن خزانة من الفولاذ في داخل الجدار

وقد عاشت تلك السيدة زمنا طويلا في ذلك المنزل فلم تكن تعلم شيئا من امر هذه الخزانة

فاقامت تنتظر عودة ولدها على احر من الجمر فاشرقت الشمس دون ان يعود ولدها

وفي الساعة السابعة من الصباح راى البوليس سلما منصوبا على سور حديقة القصر فايقن ان اللصوص قد وضعوه فصعد مع رجاله ذلك السلم وهبط منه الى البستان

وكان بواب القصر وامراته لا يزالان نائمين او هما يتظاهران بالنوم

فتى رجال البوليس بضع خطوات في البستان فراوا فتى راكعا في ظل شجرة يعالج رجلا شيخا كان مضرجا بدمه وعليه ملامح الاحتضار

وقد راوا قربهما سيفين يدلان على حدوث مبارزة بين الرجلين وكان صدر الشيخ مخروقا وقد نفذ فيه سيف خصمه فاخترقه

ثم انهم وجدوا عند منتصف السلم جثة وكانت جثة ابن مدام بايزوت فكان هذا المنكود مصابا بجرح في عنقه ولم يعلم اذا كان جرح خنجر او جرح سيف اي اذا كان مات من يد اثيمه او على اثر مبارزة

فلما سئل البواب وامراته قالا ان اصحاب القصر قد سافروا في الليل

اما ذلك الفتى الذي كان يعالج الشيخ فقد ابى ان يقول عن اسمه وقال البواب وامراته انهما لا يعرفانه

وقد جاءت مدام بايزوت فعرفت جثة ولدها وكانت تقطع القلوب من الاشفاق ثم سئلت عن الشيخ الجريح فقالت انها تعرفه وانه يدعى الشفاليه اوول دي مورليير وانه كان يقيم عندها منذ عهد طويل وقد كتب اليها من الهافر

فنقل الشيخ الى مستشفى قريب اما الفتى فلم يعرفه احد لانه ابى التصريح باسمه فقبض عليه وسيق الى السجن

وكان يقول انه تبارز مع الشيخ مبارزة قانونية وعلائم اليأس بادية بين عينيه

فلما سير به الى قاضي التحقيق استنطقه في جلسة سرية ثم امر باطلاق

سراحه

ولا يزال الناس يعجبون كيف ان ابن بلزوت جاء الى هذا القصر ولقى حتفه فيه وكيف وجدت خزانة المولاذ في جدار غرفته

ان هذا السر لا يستطيع ايضاحه الا راوول دي مورلير ولكنه في حالة تحمل على اليأس فانه لا يزال منذ دخل الى المستشفى ضائع الرشاد لا يتكلم

حتى لقد قال بعضهم ان رئيس البوليس واقف على حقيقة هذا السر الغامض ولكنه لا يبوح به لاسباب سرية ايضا فعسى ان نجلي هذه الغوامض فنبسطها للقراء)

وهنا انتهت مقالة الجريدة ولكن بنوات لم يفهم منها غير امر واحد وهو ان خزانة المولاذ قد تكون تلك الخزانة التي اودعت فيها ثروة حنة ربيبة الدير

وكان بنوات يقرأ والخطابون ينظرون اليه نظرات اعجاب فلما انتهى من قراءته قال له احدهم لا بد ان يكون في هذه الجريدة امور خطيرة كما يدل اهتمامك

فاجابه الاحدب بجفاء قائلا نعم ثم وضع الجريدة في جيبه دون ان يزيد شيئا على ما قال

وكان الطعام قد نجز فدعوه اليه غير ان الاحدب شكرهم معتذرا وقال لهم اني كنت شديد الحاجة الى الدفء وقد دفئت بفضلكم ولست بجائع

ثم تركهم وسار يقطع الارض تهابا بغية الوصول الى دغوبير فقد كان يعلم انه ينتظره على احر من الجمر

٣٥

والان فلندع بنوات يعدو عدو الظبي النافرة في تلك الغابة للاجتماع بداغوبير ولنعد الى قصر بليا دير لنرى ماذا جرى فيه بعد ان ذهبت الكونتس اورور باختها حنة الى ذلك القصر

عرف القراء مما بسطناه من حوادث الكونتس اورور انها كانت فتاة حازمة فقد قطعت علائقها مع ابن عمها لوسيان دون ان تستشير اباها وتولت حماية اختها حنة وقد اقسمت ان تسهر على مراقبتها الليل والنهار

وقد مضى اسبوعان والشفاليه دي مازير اي والد اورور عاكف على الخديمة يظهر للناس انه بين الموت والحياة ويمثل دور الاحتضار ابرع تمثيل حتى ان الاب جيروم نفسه خدع به

اما اورور فقد رثت اباها يبكي وسمعت حديثه الملفق وهو مشرف على الموت فوثقت بصدق توبته وتدمه وذهبت دموعه بما خلفت رسالة امها في قلبها من الاثار

غير ان للنساء نظرا في مثل هذه الشؤون ابعد من نظر الرجال فانه حين اخذ الشفاليه دي مازير يتماثل وقد امن الخطر قال طبيب القريه انه لم يشف الا بفضل دوائه وقال الاب جيروم ان شفاءه عجيبة من

عجائب لله

اما اورور فقد رات ان هذا الشفاء الفجائي بعد ذلك النزع فوق حدود الطبيعه فلما تمثل ابوها عادت الى ذكر ما حدثها به بنيامين ذلك الخادم الامين الذي قتله الشفاليه بالسم وعادت ايضا الى ذكر رسائل امها وهي تلك الرسائل التي كتبتها وهي مشرفة على الموت تتهم زوجها فيها تلك التهم الهائلة

وقد حاولت مرارا ان تطرد هذه الذكرى من مخيلتها وتعود الى تصديق ابيها ونفي التهمة عنه ولكن الشك كان يخامر قلبها في كل حين فلا تجد الى طرده سبيلا

اما الشفاليه فكان يلاطف حنة ويجاملها كل المجاملة

غير ان اورور كانت تشك في كل ما يبدر منه لا سيما وقد علمت انه يوجد صندوق مخبوء يحتوي على اوراق مالية : ن هذا المال مهر حنة فكانت تقول في نفسها الا يمكن ان يكون ابي عالما بهذا الصندوق

وكانت كلما زاد ابوها في ملاطفة اختها زادت هي ريبا به وخشيت ان يكون كل ذلك خديعة منه لا يريد بها غير سلب تلك الاموال

ثم تتجسم لديها رسائل امها واقوال بنيامين فيصبح ريبها يقينا وتعود الى كره ذلك الاب والحذر منه

اما الشفاليه فقد كان من اهل الدهاء والصبر والحيلة فلم يقل كلمة تشير الى انه يعرف شيئاً من امر هذا الصندوق

وقد كانت مطمئنة خلال مرضه فلم تدفع الاب جيروم الى السفر

للبحث عن الصندوق

فلما تعافى ظهر انه يريد ان يغير نظام معيشته ولم يكن يتحدث الا بامر بغية السفر الى باريس والاقامة فيها مع البنتين

فزاد قلق اورور واستنتجت من الحاحه على السفر الى باريس انه عارف بسر الصندوق وانه لا يريد بالسفر الى تلك العاصمة الا الاستيلاء على الصندوق فجعلت تفتكر بطريقة تقي اموال اختها من الاختلاس

وقد نهضت يوما من رقادها بهذا الخاطر كل الاهتمام فامتطت جوادها وذهبت توا الى الدير

فلما وصلت كان داغوبير لا يزال في دكانه فاضطرب اضطرابا عظيما حين رآها خارجة من الغابة حتى انه اقفل باب دكانه وصعد الى منزله

وقد رات اورور ان باب دكانه مقفل فارتبكت لاعتقادها انه غائب وان النساء لا يستطعن دخول الدير

ولكنها رات راهبا كان عائدا من الحقول الى الدير فحياها اذ عرفها فسالته ان يخبر الاب جيروم انها في حاجة شديدة الى ان تراه

فابلغه الراهب الرسالة وبعد هنيهة اقبل الاب جيروم للقائها فقالت له اني تمكنت من مغادرة ابي لانه شفي من علته وجئت ارجوك ان تهتم للسفر الى باريس للبحث عن الصندوق فقد آن الاوان فيما اراه

فابتسم الاب جيروم وقال لها اظن انه لم يبق حاجة الى السفر

ثم اراها ذلك الكتاب الذي ارسله اليه راوول من الهافر فعادت اورور الى قصر ابيها وهي امنة مطمئنة

ومن الغريب انها لم تسيء الظن الا بابيها فلم تخطر لها الكونتس دي ماريز والدة لوسيان ببال مع انها كانت قد سافرت الى باريس اذ كانت تعتقد انها سافرت لارجاع ابنها كما تبادر الى جميع الاذهان وان هذه الكونتس اوهمت جميع معارفها ان ابنها ياس لاختصامه مع ابنة عمه فسافر الى باريس دون ان يعلم احد بقصده

اما ابوها فكان يخاف تلك الكونتس ويحذرها حذرا شديدا وقد اتفق يوما انه سمع خادمين يتحدثان بسفر الكونتس وابنها لوسيان الى باريس وتنبه لامرها وبدأ ريبه منذ ذلك اليوم

ولم يكن هو نفسه يعلم اين توجد اموال حنة ولكنه كان واثقا من وجود هذه الاموال

ولذلك كان يرجو من وجود حنة في منزله ان يقف يوما على هذا السر فيستولي على الاموال

وكان مطمئنا صابرا الى ان علم بسفر الكونتس الى باريس فجاءة فتولد في نفسه الشك وخشي ان تكون عارفة بموضع الصندوق

ولذلك لم يعد يجد بدا من الشفاء العاجل فتظاهر انه دخل في دور النقاهة

وفي اليوم التالي برأ فجأة من علته وجعل يطوف متجولا في القصر وفي اليوم الثالث امتطى جواده وسار عليه متنزها في الضواحي ثم جعل يذكر امام ابنته عزمه على تمضية الشتاء في باريس

وكان في كل يوم يركب جواده ويسير الى الضواحي يتبعه خادمه

حتى يصل الى قصر بوربيير فيسال هناك الملاحين عن الكونتس وعما يعلمونه من امر رجوعها

ففي ذلك اليوم الذي راينا فيه دغوبير خارجا من الحمارة بنوي الانتحار كان الشفاليه دي مازبر خرج من قصره حسب عادته واتجه الى نواحي قصر بوربيير

فكان اليوم يوم احد وقد لبس الفلاحون ملابس الاعياد وذهبوا الى الكنيسه فكان الشفاليه يراهم في طريقه افواجا

وقد اتفق انه لقي بستاني قصر بوربيير وهو رجل ساذج القلب بسيط الاخلاق وكان هذا البستاني يعرف الشفاليه حق العرفان لان لوسيان كان يبعثه برسائل الى اورور فعرف القصر وسكانه

فلما راى الشفاليه حياه بملء الاحترام فقال له والد اورور العلك ذاهب الى الكنيسة

قال نعم يا سيدي ولو لم يكن امتناعي عن الذهاب خطيئة لما ذهبت

قال لماذا يا بني

قال لاني مشغول جدا في القصر فان سيدتي الكرنتس قد عادت من السفر

فارتعش الشفاليه وقال اعادت مع ابنها

قال كلا فانه بقي في باريس حتى اني سمعت تنوان تقول اليوم لخادم الصيد لم تبق حاجة اليك فان الكونت لوسيان لا يعود

قال اذن لا بد ان تكون الكونتس حزينة

قال كلا يا سيدي ما رايت عليها شيئا من ملامح الحزن

قال احق ما تقول

قال بل اني رايتها اليوم مع تنوان وعليهما مظاهر الفرح الشديد

فتولد الشك في قلب الشفالية وترك ذلك البستاني فدفع جواده ولكنه بدلا من ان يتم نزهته عاد الى قصره

وكان اضطرابه شديدا اذ بات مرتابا ان الكونتس قد استولت على الصندوق

فلما وصل الى قصره دخل الى غرفته واخذ فيها يمعن الفكرة في طريقة تمكنه من الاجتماع بالكونتس والوقوف على هذا السر

على ان الصدفه خدمته فأنه كان مشتركا بتلك الجريدة التي قراتها تنوان وسرقها بنوات الاحدب فان جميع نبلاء الريف كانوا مشتركين بها في ذلك العهد

وقد جاء موزع البريد بذلك العدد الذي قراه الاحدب ففتحه الشفاليه دون اكتراث وجعل يقرأ ما فيه وهو يفكر بطريقة تمكنه من من مصالحة الكونتس دى مازير

وفيما هو يقرأ دون عناية بدرت منه بادرة تذهال اذ قرأ شارع اباي فاستلفت ذلك نظره وقرأ جميع تلك المقالة التي تقدم لنا ذكرها عن تلك الحادثة التي جرت في قصر الاميرة هيلانة في شارع اباي

فتمزق حجاب شكه وعلم للفور كل ما جرى فايقن ان الصندوق

بات في قبضة الكونتس دي مازير

وعند ذلك طرح الجريدة في النار حذراً من ان تطلع عليها بنته وغضب غضباً شديداً فقال الويل لك ايتها الكونتس وسوف ترين لمن يكون المال

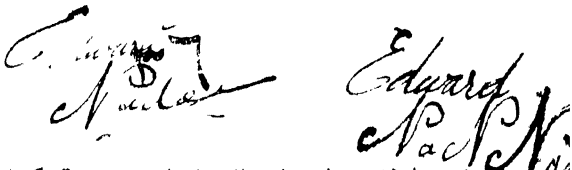

ولنعد الان خطوة الى الوراء الى حيث تركنا الاحدب نازلاً من المدخنة الى المستوقد كي يصل الى غرفة تنوان ويسرق الجريدة

ويذكر القراء ان تنوان قد دخلت في تلك الساعة مع الكونتس الى غرفتها كي تعينها على خلع ملابسها اذ كانت عازمة على النوم

وكان بنوات في خلال ذلك قد سرق الجريدة وعاد من حيث اتى

اما تنوان فانها عادت الى محادثة الكونتس بذلك الحديث الذي سمعه الاحدب فقالت لها اننا لم نجهد هذا الجهد منذ اعوام في سبيل الحصول على الثروة كي نخزنها بل لنتمتع بها فانك ضحيت كل نفيس في هذا السبيل حتى محبة ولدك لوسيان

فتنهدت الكونتس وقالت انها تضيحة لا يعادلها مال

قالت اننا لم نفعل كل ذلك كي نعيش هذا العيش

قالت ماذا تريدين ان اصنع

فالت الم تتفق على السفر

قال نعم.

قالت اننا مسافر الى ايطاليا فتشتري قصرا في فنيسيا على تلك الترعة العظيمة تكون مبنية بالمرمر موشاة بالذهب ونضع فيها من النقوش و ثار كبار المصورين ما يعادل الملايين ونقيم الحفلات كل ليلة في هذا القصر فيتزاحم عليك اهل الجاه والجمال لانك لا تزالين في نضارة الجمال

فابتسمت الكونتس ابتسامة حزن وكبرياء وقالت اني افضل ان يحبني ولدي

فاجابتها النورية بجفاء ان المرء لا يستطيع ان ينال كل امانيه في هذا الوجود

فقالت لها الكونتس اذهبي عني الان ياتنوان ودعيني انم فان نفسي حزينة حتى اني اود البكاء

فانارت لها تنوان مصباح الزيت وهي تقول الى اللقاء يا سيدتي وغدا نهتم باعداد معدات السفر

وكان الاحدب قد خرج من الغرفة وبات خارج القصر فلم يدع من اثار قدومه الى الغرفة غير سرقة الجريدة

ولكن تنوان لم تعد تكترث لتلك الجريدة بعد ان قرائتها فلم تنتبه لاختفائها لا سيما وانها كانت مهتمة في غير ذلك من المشاغل

وكان الفجر قد بدأ ينبثق ولكن السماء لم تزل مظلمة متجهمة

وقفت تنوان في شرفة غرفتها المشرفة على البستان وجعلت تناجي نفسها فتقول

كنت في ماضي من عهدي شريدة طريدة ارتزق بالتمويه على العقول الساذجة وتضليل البسطاء من الناس الى ان تحت لي الاقدار الالتصاق بهذه الكونتس ولقيت منها روحا ماثلة الى الشر فنفخت فيها من روحي وملكت قيادها بما قيدتها به من الاثام وصبرت على عشرتها وكبريائها صبر الشهداء الى ان ظفرت بهذا المال بفضل دهائي وحسن حيلتي واراها الان تحسب انها صاحبة الحق بهذا المال لا شريك لها به ونعم انها باتت تركن الي كل الركون وتحبني حبا صادقا ولكني ما صبرت هذا الصبر الشديد لبلوغ هذا الحب وهذا الخلوص بل للظفر بهذا المال

ان هذه الكونتس قد تنعم علي ببعض المال مكافاة لي عن خدمتي ولكني لا اريد البعض بل اريد الكل وهي قد وقعت الان في الشرك الذي نصبته لها ورضيت بالسفر معي الى ايطاليا وهي غريبة عنها لا تعرف احدا من قومها فاذا تمذر علي نيل المال في قصرها بين قومها وخدمها فاعدم وسيلة لنيله في تلك البلاد

وجعلت عند ذلك تفكر في انجع الوسائل المؤدية الى ادراك بغيتها فكان وجهها يستنير بنور الامل من حين الى حين مما يدل على وثوقها من الفوز وانها وجدت تلك الحيلة

وما زالت على ذلك وهي تائهة في مهامه التفكير حتى طلعت الشمس وتعالت فانتبهت من تفكيرها حين سمعت وقع اقدام في البستان

فرات ذلك البستاني الذي راه الشفاليه دي مازير وسأله عن الكونتس

اما ذلك البستاني فانه دنا حتى صار تحت شرفة تنوان فناداها وقال لها تريدين يا سيدتي ان تنزلي الى البستان

فعجبت تنوان لامره وقالت له لماذا

قال لدى رسالة اليك

قالت ممن

قال من الشفاليه دي مازير والد اوروز

فاضطربت تنوان وقالت في نفسها ما عسى يريد مني

ثم نزلت الى البستان وهي تقول اني اعرف هذا الرجل حق المعرفة فانه من اشد الناس اقدامًا على الشر ولعل جهنم ارسله معينًا لي في ما ابتغيه

فلما وصلت الى البستاني قال لها اني ذهبت اليوم الى الكنيسة فلقيني الشفاليه في الطريق وسألني عن الكونتس وابنها

قالت وما اجبته

قال قلت ان الكونتس عادت الى القصر وان ابنها بقي في باريس

قالت وبعد ذلك

قال لم يقل لي شيئًا بل تركني وانصرف فذهبت الى الكنيسة ولما انتهى القداس وجدت عند باب الكنيسة احد خدم الشفاليه

فقال لي ان الشفاليه محتاج اليك فاذهب اليه في قصره فذهبت فوجدته في الحديقة ينتظرني فقال لي ماذا تؤثر ديناران تقبضهما ام عشرة

سياط بجلادها

فضحكت وقلت اني اوثر الدينارين دون شك

قال اذن اني ساعهد اليك بايصال هذه الرسالة الى تنوان بشرط ان لا يراك احد فاذا فعلت نلت الدينارين واذا بحت بما قلته لك لاحد من الناس فلا تنال غير السياط

ثم اخرج البستاني الرسالة من جيبه ودفعها لتنوان ففضتها وقرأت ما ياتي

« قابليني في الساعة التاسعة صباحا في الغابة عند ابار الملوك

« ان الامر خطير يتعلق بحنة واعطي حامل رسالتي دينارين اردهما لك حين المقابلة »

ولم يكن الشفاليه قد وقع على الرسالة غير ان تنوان كانت تعرف خطه فنظرت الى البستاني وقالت له الم يطلع احد على هذه الرسالة

قال كلا يا سيدتي

قالت الم تقل لاحد انك لقيت الشفاليه دي مازير

قال كلا

فاخرجت تنوان الدينارين من جيبها فدفعتهما اليه وقالت له اريد المحافظة على مركزك في القصر

قال دون شك يا سيدتي

قالت اذن فاعلم انك اذا فهت بحرف مما جرى لاي كان رجوت الكونتس فطردتك اقبح طرد واذا حافظت على الكتمان اعطيتك دينارين

ايضـا

قال سافعل يا سيدتي كل ما تامرين به

ثم افترقا فذهب البستاني في شانه وعادت تنوان الى غرفتها فجعلت تفتكر في سبب هذه المقابلة

وقد خطر لها خاطران احدهما ان الشفاليه عرف سر سفر الكونتس الى باريس وهو يريد قسمه من الغنيمة

والثاني وهو الذي رجحته ان هذا الشفاليه يريد قتل حنة والاستعانة بالكونتس وتنوان على ذلك كما استعان بهما من قبل على قتل امها

فقالت في نفسها انه في كل حال يجب ان اكتم ذلك عن الكونتس الى ان ارى ما يكون

وفي الموعد المعين خرجت من القصر وسارت في الغابة حتى وصلت الى آبار الملوك

وكان يوجد هناك منزل مقفر فراته تنوان جوادا مربوطا عند الباب فايقنت ان الشفاليه قد سبقها مع انها اتت قبل موعد اللقاء المعين

فدخلت الى المنزل فوجدت الشفاليه فيه فاستقبلها خير استقبال وحياها كما يحيي كبار السيدات ثم اخذ بيدها فاجلسها بجانبه وقال لها كيف حال الكونتس

قالت لقد تركتها نائمة

قال اعلمت انك اتيت لمقابلتي

فحدقت تنوان به تحديق الفحص وقالت له لقد علمت انك لا

يريد ان تعلم فما اخبرتها

قال لا شك عندي انك من اهل الذكاء والان فلتحدث

قالت كما تريد .

فشد الشفاليه على يدها وقال لها تنوان اني قد ملات وقد خطر لي خاطر غريب

فتظاهرت بالانذهال وقالت له ما هذا الخاطر

قال انه لو تيسر لي الزواج لما احجمت عنه .

فابتسمت وقالت له ماذا يمنعك عن الزواج

قال اذني متى يا تنوان كي اخبرك بالسر

وكانت يده لا تزال في يدها فجذبها اليه وقال لها اني اتزوج بملء الرضى فتاة ذكية الفؤاد تأتيني بمهر جزيل

فضحكت تنوان وقالت احق ما تقول

قال نعم ولاسيما اذا كان هذا المهر مودعا في صندوق

فارتعشت تنوان وقالت ماذا تعني بما تقول

قال اصغي الي يا تنوان فان كلا منا يعرف الاخر منذ عهد بعيد بحيث بتنا نفهم مرادنا بالاشارة

قالت هذا لا ريب فيه

قال انك ذهبت مع الكونتس الى باريس

قالت اننا ذهبنا للبحث عن لوسيان

قال بل لسرقة الصندوق الذي ظلما بحثنا عنه منذ خمسة عشر عاما

والان فاعلمي اني قرأت الجريدة التي نقلت تلك الحادثة الدموية التي جرت في شارع اباي

فاضطربت تنوان قالت اتعرف ذلك

قال نعم فلتتكلم الان بجلاء

قالت هذا الذي اريده

قال هل اعطتك الكونتس حصتك من الغنيمة

فابتسمت تنوان ابتسام تهكم وقالت اية حصة لي في ثروتها فان الكونتس تعتبرني خادمة مخلصة لها ويكفيني منها برهاني

قال اني كنت اتوقع منك هذا الجواب يا تنوان فاني اعلم انك من اهل الذكاء ولا ارتاب بما تقولينه عن اخلاصك للكونتس بل انك تكرهينها اشد الكره

قالت هو ذاك فان الملتحين تدخل الاحقاد الى قلوبهم اثر النصر

قال أتريدين اذن ان تصبحي مدام دي مازير

قالت ايكون ذلك مقابل سرقة الصندوق مرة ثانية

قال دون شك

قالت اني اقبل وارفض

قال ما هذا الجواب المبهم

قالت بل هو في اتم الوضوح كما سيظهر لك فاني من اهل التشاؤم والتفاؤل كما تعلم فانا اعتقد اني اذا اسأت اقل اساءة الى الكونتس لا

يكون لي بعد ذلك غير الشقاء ولكني ادعك تفعل

قال كيف ذلك

قالت انك اذا تزوجتني كما تقول فلا نقيم في هذه البلاد كما اظن

قال دون شك فاننا نذهب الى المانيا او الى ايطاليا

قالت اذن افترض اني اقول لك (ان الكونتس تنام وتضع الصندوق تحت مخدتها في سريرها فلا يمكن الحصول عليه الا بعد قتلها ولكن ذلك ليس صعباً ما زال الدخول الى غرفتها متمكناً من غرفتي التي ابوابها مفتوحة) فاني مهملة في بعض الاحيان

فعانقها الشفاليه بملء الحنو وقال ولكنك ذكية على الدوام

بعد ذلك بساعة عادت تنوان الى القصر بينما كان الشفاليه في الغابة وكانت تحدث نفسها فتقول ان الشفاليه من اعظم الدهاة دون شك ولكني سأصرعه هذه المرة ... اني لا اريد ان اكون مدام دي مازير بل اريد ان اكون صاحبة تلك الملايين ان يكون الصندوق لي وحدي

وكانت الكونتس لا تزال نائمة فلم يعلم احد بخروج تنوان من القصر غير البستاني

٣٧

لم يكن الشفاليه دي مازير وحده قد عرف بسر الصندوق فانه حين

كان مختليا مع تنون كما تقدم كان الاب جيروم يقرأ مع داغوبير الجريدة التي سرقها الاحدب من غرفة تنون

وقد علم كل شيء فايقن ان هذا الشيخ الذي جرح جرحا قاتلا في المبارزة لم يكن الا راوول وان خزانة الفولاذ التي وجدت مفتوحة في الجدار لم يكن فيها غير الصندوق

وزاده وثوقا بصحة اعتقاده ما رواه له الاحدب من حديث الكونتس وتنون فتولاه اليأس اذ فقد صديقا مخلصا وسرقت ثروة تلك الفتاة التي كان وصيا عليها

اما داغوبير فانه كاد يجن وقال ان هذه السارقة لم تحذرني ولكنني سأحرق القصر بساكنيه او ترد المال المسروق

فقال له الاحدب بل انا اوصلك الى القصر ولا ادع احدا يراك ثم بسط له مشروعه وهو انه يذهب به في الليلة القادمة الى قصر بوربيير فيتسلق الاحدب الميازيب الى الشرف المحيطة بالقصر وهناك لا بد ان يجد نافذة مفتوحة فيدخل منها اليه ثم ينزل فيفتح الباب لداغوبير فيصعد الاثنان الى غرفة تنون فيقيدانها ويكممانها ويفعلان بالكونتس كما فعلا بتنون او يقتلانهما عند الاقتضاء ثم يعودان بالصندوق

غير ان الاب جيروم لم يوافق على هذه الخطة وقال لا يذهب احد منا الى قصر بوبيير بل تذهب الكونتس اورور

وقد فكر الاب جيروم عند ذكر اورور بابيها الشمالية وعاوده الشك بصدق توبته ولكنه قال في نفسه ان هذا الشمالية يوثر ان تعود الثروة

الى حنه وهي مقيمة عنده على ان تكون بيد الكونتس ثم انه يحب ابنه اكرور حبا بالغا وهي قد تولت حماية اخيها فلا يخالف لها ما تريد

وعند ذلك خرج من الدير فامتطى جواده وسار الى قصر بلياردر فوصل اليه بعد ان ذهب الشفاليه الى ابار الملوك لمقابلة تنوان

وقد دامت محادثتهما نحو ساعة فاتفقا على خطة عجب بها الشفاليه كل الاعجاب ووثق باخلاص تنوان

اما هذه الخطة فهي ان الشفاليه يحضر في الساعة التاسعة من المساء بعد ان تدخل حنة واكرور الى غرفتهما وتنوان تتفق مع البستاني فيه د الخف مركبات القصر واسرع جواده وينتظر بهما عند آبار الملوك ثم ان الشفاليه يدع جواده مع البستاني ويأتي الى تنوان فتذهب به الى غرفتها وتخبئه بها الى ان يحين زمن الذي يجب ان يدخل فيه الى غرفة الكونتس

وبعد ان يقتل الكونتس ويستولي على الصندوق يسرعان ركضا الى آبار الملوك وهناك يركبان المركبة ويسيران بها في اقرب طرق الغابة الى بتهانر فيصلان اليها قبل طلوع الفجر

وعند ذلك يستأجران مركبة من مركبات البريد ويسافران توا الى باريس

وفي باريس يختبئان بضعة ايام ثم يأخذ الشفاليه جوازا للمانيا ويسافر مع تنوان بالثروة المسروقة

والغريب في امرهما ان تنوان كانت تنوي الفتك بالشفاليه واستخدامه

له في سبيل بلها الصندوق وكذلك الشمالية فانه كان ينوي الذهاب بها الى ايطاليا والزواج بها اذا اضطر الى الزواج ولكنه كان مصمما على قتلها بعد ادراك بنته كل التصميم

وقد كان عازما على ان يدع كتابا لابنته اورور قبل سفره يتحل فيه عذرا شريفا وهو انه مسافر للانتقام لامها وكان واثقا انها تصدق هذا العذر لاعتقاده انها تجهل امر الصندوق فلا يخطر لاحد في بال انه ذهب الى فينيس للزواج بتنوان

وكان الشمالية قد تصور هذه المشروعات وهو عائد من مقابلة تنوان الى قصره فما وصل الى القصر رأى عند بابه جوادا عليه سرج ضخم وكان هذا الجواد جواد الاب جيروم

فلما دخل الى المنزل جاءه خادم وخبره ان ابنته اورور تنتظره في القاعة فذهب اليها فاندهش اندهاشا عظيما حين رأى معها في تلك القاعة داغوبير والاب جيروم

فقالت له اورور بعد ان حيى ضيفه انك تحب اختي حنه يا ابي اليس كذلك

قال اليك شك في ذلك يا اورور اني احبها كما احبك ولا فرق عندي بينها وبينك حتى اني عزمت على قسمة ثروتي بينك وبينها على السواء

فقالت له اذا كان ذلك فاعلم اذن يا ابي ان حنة كان لها ثروة طائلة منذ شهر

فتظاهر الشفاليه بالانذهال العظيم وقال لها كيف ذلك . ثم اضطرب وقال في نفسه يظهر انهم عارفون بسر الصندوق

فقالت له ولكن هذه الثروة كانت شبيهة بالحلم وقد سرقت منها

قال ولكن ما هذه الثروة التي تكلميني عنها فاني لا افهم شيئا من هذه الالغاز

فتولى الكلام عند ذلك الاب جيروم فقص عليه حكاية الصندوق حتى اذا انهاها اراه الجريدة التي كتبت تفصيل الجريمة فيها

ولما قراها قالت له اورور لا يستطيع احد سواك يا ابي ان يرد هذا المال لحنة

فقال لها لقد اصبت يا اورور فانا وحدي استطيع ردها اذ يوجد بيني وبين الكونتس اسرار تجعلني الحاكم المطاق عليها ثم قال للاب جيروم اني اتعهد بارجاع هذا الصندوق على شرط ان اتصرف كما اشاء ولا يعترضني احد فيما افعل .

فقالت اورور ماذا عزمت ان تصنع

قال اني ساذهب الليلة الى قصر بوربير

قالت اتذهب وحدك

فابتسم وقال نعم وحدي فاطمئني اذ لا خطر علي مع الكونتس فانها تضطرب امامي اضطراب العصفور امام البازي

قالت ولكن لديها امراة داهية جديرة بالاقدام على كل جريمة

قالت اتريدين بها تنوان

قالت نعم

قال انى لا اخشاها وهي تخافني ايضا كما تخافني سيدتها فاعلمي الان اني لا اعود هذه الليلة

قالت لماذا

قال لي بذلك مأرب وبغيره لا استطيع الحصول على الصندوق فسانام في قصر بوربير واقضي فيه ايضا كل النهار

قالت اتبقى الى المساء

قال نعم ثم رفع عينيه الى السماء وقال ارجو ان يغفر لي الله ما اعتي الى كريشن بما ساصنعه في سبيل خدمة بنتها

وكان يقول هذا القول بلهجة تدل على تأثر شديد حتى ان الدموع سالت من عينيه

وفي الساعة التاسعة من المساء برح الشفاليه القصر بعد ان ودع بنته وقبلها بملء الحنان ثم انصرف وهو يقول عدمت هذا الكاهن ومذا البيطري ان كنت اعلم ايهما الابله

٣٧

اما تنوان فانها بعد ان عزمت عزمها الاكيد على الاستئثار بالصندوق ومهدت له الحيله تولد في قلبها كبر شديد لهذه الكونتس لا سيما وقد رات انها استبدت بالمال وهي التي كانت يدها اليمنى في نبله ولم تجد عليها بشيء منه بل ان هذه الثروة الجديدة اعادت اليها كبرياءها القديمة فنسيت ان تنوان قد نعمت بها عليها وباتت تعاملها معاملة الوصائف بعد تلك الصداقة

فعولت على الانتقام منها انتقاما يشفي ذلك الحقد الكامن في قلبها واعدت خطة هائلة لا تدور الا في مخيلة من بلغ مبلغها من الشر

وقد كان خطر لها في البدء ان تقتلها وتسرق الصندوق وتفر به غير انها رات في ذلك خطرا لا تحمد عاقبته فاقنعتها على السفر الى ايطاليا كي تبلغ هناك مارمها منها كما تشاء

ثم تعرض لها الشفاليه دي مازير فادركت قصده وايقنت انه اذا تركته وشانه استولى على الصندوق ذهبت امانيها ادراج الرياح فخطت لها قريحتها الجهنمية خطة هائلة تبلغها مرادها من الاثنين فتظفر بالصندوق وتفر به امنة

ففي اليوم الذي اتفقت فيه مع الشفاليه على الزواج وسرقة الصندوق خدعت ذلك البستاني الساذج بدهائها المعروف وارسلته بمركبة الى ابار الملوك فامرته ان ينتظرها الى ان تعود

ثم عادت الى القصر فجعلت تنادم الكونتس وتفتح لها ابواب الامالي وقد جلستا على المائدة فجعلت تسقيها من افخر الخمور وتحدثها باطيب الاحاديث والكونتس تبتسم لها ابتسام سويداء تشف عما داخل نفسها من الانقباض لفراق ولدها

غير ان تنوان ما زالت تستعين عليها بالخمر وبالحديث حتى ذهب عنها الانقباض وعادت الى البشاشة والتعلل بما ستلقاه من غبطة العيش في البلاد الايطاليه

وكانت تنوان تسقيها الخمر بيدها وقد وضعت فيه ذلك المخدر الذي

سفته في باريس لقيصر ذلك الفتى المكود الذي فلته دها الاثيمة

لما فرغتا من انشاء تلك عنا الكونتس ثم سقطت على الارض لا حراك فيها فضحكت تنوان ضحك الابالسة وقالت لقد تم الفصل لاول من هذه الرواية وباتت هذه الكونتس في حالة لا تستطيع معها مقاومة الشفاليه

وعند ذلك حملت الكونتس الى سريرها ووضعتها فيه وضع النائم نومه طبيعي ثم اخذت الصندوق وعادت في عنق الكونتس مفتاحا صغيرا لازم كانت في تلك الغرفة

وكانت الساعة قد بلغت التاسعة فعادت تنوان الى غرفتها فاخرجت جميع ما كان في الصندوق من الاوراق المالية والمجوهرات النفيسة فوضعها في جيوبها ونزلت الى البستان

وكان في ذلك البستان عدا عن كلاب الصيد كلب ضخم الهيئة هائل الخلقة يفعل فعل الوحوش الضواري فكان هذا الكلب اعظم حارس للقصر وقد تعودوا ان يطلقوه في الليل داخل البستان فلا يجسر احد على الدخول اليه الا اذا كان هذا الحارس الهائل راضيا عنه

فناداته تنوان باسمه فاسرع اليها يداعبها ويلاعبها فسارت به الى مربضه وقيدته فيه ثم خرجت من البستان لمقابلة الشفاليه

وكان الشفاليه قد واعدها على اللقاء قرب ابار الملوك فجاء قبل الموعد المعين واقام ينتظر تنوان على احر من الجمر وقد اعد خنجرا مرهف الحد للفتك بالكونتس ومهد لنفسه سبيل الغدر بتنوان وهو آمن مطمئن

لا يعلم ما كتب له الدهر في لوح مقدوره

وصلت تنوان فوجدته ينتظرها فحياها تحية الشاق وضمها الى صدره فقبلها قبلة حنو ثم سألها عما حدث فقالت له لقد اعددت كل شيء فقد ربطت الكلب في مربطه كي لا يوقظ النائمين بنباحه وتركت الباب الموصل بين غرفتي وغرفة الكونتس مفتوحا وعرفت موضع الصندوق

قال وانا قد اعددت الخنجر فهلمي بنا

خافت فتظاهرت تنوان بالاضطراب وقالت له بلسان يتلعثم اني لا ازال

قال مما الخوف ايتها الحبيبة

قالت اني اخشى ان تغدرني متى استوليت على الصندوق وترجع عما وعدتني به من الزواج

قال معاذ الله ان احنث بوعد تعلمين اني من النساء والاشراف يا تنوان وفوق ذلك فاني احبك

فضحكت تنوان في سرها لهذا الشرف ولهذا الحب وقالت انك ما تقول

قال اقسم لك بشرفي انك ستصبحين زوجتي وتكونين من اسعد الزوجات

وكانا يتكلمان وهما يسيران الى القصر فتوقفت تنوان فجأة وقالت ويلاه ماذا اصابني اني كنت في هذا الصباح اكره سيدتي الكونتس اشد الكره ولكني اشعر الان اني احبها قال ما هذا الجنون يا تنوان

فعادت تنوان الى الاضطراب كانما صوت ضميرها يوبخها فاستغفل

الشفاليه عند ذلك كل ما لديه من فنون الفصاحة ووسائل الاقناع حتى اقنعها ان قتل الكونتس لا بد منه وانه عمل محمود وان قتل هذه المرأة الناكرة الجميل لا يحمل على الندم

فلم تجبه تنون فاستدل من سكوتها على اقتناعها وسارا حتى وصلا الى القصر فصعدت به تنوا الى غرفتها

وعند ذلك دنت وهي تضطرب من باب غرفة الكونتس فدنت راسها من الباب واصغت هنيهة وعادت الى الشفاليه فقالت له همسا انها نائمة قال اذن لقد آن الاوان

ثم استل خنجره وحاول الدخول فقالت له صبرا الى ان ادلك فان الكونتس معلقة في عنقها مفتاح خزانة تجدها في الغرفة تجاه السرير وقد وضعت اليوم الصندوق في هذه الخزانة

فانقدت عينا الشفاليه وهز الخنجر بيده فذعرت تنون ذعرا شديدا وتعلقت بعنقه فقالت له بربك اصبر فاني خائفة

قال ماذا يفيد الصبر

قال اذن بقي لي ملتمس ارجوك ان تجيبني اليه قال ما هو

قالت هو ان تدعني اخرج من هنا فأنزل الى البستان وابتعد عنك حتى اذا ضربت هذه المنكودة الضربة القاضية وصاحت متالمة لا يصل صوت تالمها الى مسمعي

قال ولكني لا ادعها تصيح فاني ساطعنها بالقلب

قالت مهما يكن من ذلك فاني احب ان اكون بعيدة

ام دوكامبول تحتال على داغوبير

رواية
ام
روكامبول ٣

الجزء الثالث

نكبة النبلاء

تأليف

بونسون دي تيرايل

تعريب

طانيوس عبده

احد صاحبي جريدة الشرق

ورئيس تحريرها

(ثمنها ثمانية غروش صاغ)

المطبعة التجارية لجريدة الشرق سنة ١٩٠٦

رواية

ام روكامبول

الجزء الثالث

نكبة النبلاء

١

مالت الشمس للغروب واشتد البرد في يوم من ايام يناير وبدد الهواء ضباب السماء المتكاثف فانقشعت الغيوم وقد تساقطت اوراق الشجر وفرشت الارض بالثلوج الناصعة البياض فكان فصل الشتاء يظهر بكل جلاله

وان رجلا وامرأتين كانوا يسيرون في طريق اتمب الى باريس وقد تجاوزوا مونماري وبلغوا ابواب انطرنى وهي قرية جميلة الرواء في الصيف كريهة المنظر في الشتاء لتحلها واستبدالها العشب الاخضر بالثلج المتكاثف

وكان ذلك الرجل فتى والمرأتان في مقتبل الشباب بل هما فتاتان فكانوا جميعهم يسيرون وهم بملابس الفلاحين وقد بدت عليهم ملامح الجهد والتعب

الشديد مما يدل على انهم يمشون منذ ايام

وكان هذا الشاب ينظر من حين الى حين نظرات حنو الى الفتاتين وكلما راى عن بعد منزلا يقول لهما هوذا قد وصلنا وسنستريح

ولكنه حين يصل الى ذلك البيت الذي رآه يقول لهما لنواصل السير فيمشون وهو يتنهد وهما يتظاهران بالصبر على المشاق وقد اعياهما التعب

ذلك انهم كانوا في زمن صعب نزعت فيه الرحمة من القلوب فمات الاخ لا يثق باخيه الاب لا يعتمد على بنيه فان العاصفة التي كانت تنذر فرنسا في بدء هذه الرواية قد ثارت وعوت في ارجائها فزعزعت اركانها واضطربت نار الثورة فاحرقت القصور واعدم النبلاء واقفلت الكنائس وسقط مقام النبلاء وديس بالاقدام كما يسقط الخريف اوراق الشجر

اما هؤلاء المشاة الثلاثة فقد عرفهم القراء في اجزاء هذه الرواية السابقة فان الفتى كان بنوات الاحدب والفتاتين كانتا اورور ابنة الشفالية دي مازير وحنة ربيبة الدير او ربيبة داغوبير البيطري

اما الشفاليه دي مازير والد اورور فقد اختفى في تلك الليلة التي هربت فيها ام روكامبول باموال حنة ابنة كريشن وعبثت بذلك الرجل الذي اراد ان يخدعها فكانت السابقة الى خداعه وقد خفي امره عن جميع الناس حتى عن ابنته اورور

وقد حدث انه في اليوم التالي لفرار روكامبول وجدوا الكونتس دي مازير والدة لوسياز غارقة في دمائها وهي في سريرها وقد طعن

صدرها يخنجر الشفاليه خمس طعنات قاتلة ماتت دون ان تفوه بكلمة او تصيح صيحة بل ماتت دون ان تستفيق للطعنات فان النورية كانت قد خدرتها كما تقدم

وقد وجدوا بعد التحقيق ان جميع مجوهرات الكونتس مفقودة وتنوان هاربة فايقنوا انها قتلت سيدتها بغية سرقتها واركنت الى الفرار

واما الشفاليه القاتل الحقيقي فلم يذكره احد بلسان ولم يخطر في بال احد

وقد عاد لوسيان الى قصره بعد ان علم بمقتل امه فباع القصر وسافر دون ان يرى حنة اورور فاختلفت الاقوال فيه من قائل انه عاد الى باريس وقائل انه سافر الى البلاد الاميركيه

وبعد ذلك بعام نشبت تلك الثورة الهائلة التي حل بعدها الدستور محل الحكم المطلق ووقف العدل والحرية موقف الرق والاستبداد

وكانت اورور تقيم في قصر ابيها مع اختها بحماية الاب جيروم

ثم ثار الشعب على الاديرة فاحرقوا دير الاب جيروم وتفرق رهبانه فلجأوا الى اهلهم واصدقائهم وبقي الاب جيروم عند اورور

وقد بقي من رجال قصتنا داغوبير فانه برح ايضا منزله الذي ولد فيه ولم يكن ذلك لخوفه من الثورة فان ابن الشعب لا يخاف هياج الشعب ولكن الذي حمله على مهاجرة وطنه يأسه من الحياة فانه حين تفتحت ابواق تلك الثورة الهائلة وصاح رجالها يقولون ان الوطن في خطر ذهب وانضم تحت لواء الجمهورية وهو يقول اما لاقي الموت

فاستريح او اغدو يوما من كبار القواد

ثم اشتد ضرام الثورة فجاء يوما رجال البلدية الى الاب جيروم وقادوه دون ان يقولوا له الى اين يذهبون به

ولكنه ايقن انه ذاهب الى ساحة الاعدام فتمكن قبل الذهاب معهم من مقابلة بنوات الاحدب فحثه على حماية اورور وحنة واستوثق من وفائه فسار آمنا الى الموت

وفي اليوم التالي راى بنوات ان الفتاتين في خطر فسار بهما هاربا الى باريس كما راياه

وانما سار بهما الى باريس لان الثورة قد بدأ نشوبها من تلك العاصمة وانه ليس فيها من يعرف البنتين فكان يرجو ان يتمكن من اخفائهما فيها الى ان تنتهي هذه الفتن

وكانتا تلبسان ملابس الفلاحين مثله فكان من يراهما يحسب انهما اخته

وقد اجتاز مقاطعة اورليان وغاباتها وسهولها دون ان يلاقي شيئا من الخطر حتى اذا دنا من باريس باث قلقه شديدا وجعل يسير بهما بكل الحذر والحكمة

وكان يحمل بين كتفيه عصا طويلة ضخمة وفي طرفها صرة ملابس فاذا نزع الصرة كانت العصا خير سلاح لضخامتها

وقد سترتحت ملابسه غدارتين محشوتين وتمنطق بحزام حشوه الدنانير

لما وصل بالبنين الى قرية انطوني قال اني حذرتن هذه القرية واهلها واخاف المبيت فيها

فقالت له اورور ولكن حنة قد اعياها التعب ولا اراها تطيق مواصلة السير

فاعترضتها حنة قائلة بل امشي

فقالت اورور ولكن لا بد لنا من الوقوف والمبيت

قال دون شك ولكننا قد نجد خيرا من هذا المنزل فان هيئة اهله لم ترق لي

قالت كما تريد

ثم دار بهما دورة عظيمة في الحقول حتى انتهى الى فندق رأى مكتوبا على بابه (هنا ماوى الوطنيين)

وقد كانت امراة عجوز واقفة على عتبة الباب غير مكترثة للبرد فتكاثف بنوات هيئة البساطة التامة وقال لها اكيف المبيت عندكم غاليا يا اماه

قالت ان هيئتكم يا بني لا تدل على انكم من اهل اليسار

قال هو ذاك فاننا من اشقى الفلاحين حالا

قالت من هما هاتان البنتان

قال انهما اختاي

قالت ارى ان البرد قد اثر بهما تاثيرا شديدا فادخل بهما يا بني فنكم ستاكلون وتبيتون وتدفعون قدر ما تستطيعون

قال انك من خير النساء ايتها الوطنية الصادقة

فضحكت العجوز وقالت لقد تغير كل شيء حتى لم يعد لنا اسماء فبات الرجل يدعى بالوطني والمراة بالوطنية . لا باس فان زوجي يريد ايضا ان ادعى بهذا الاسم الجديد وهو لا شك معتوه

فدخل بنوت بها الى خمارة وهو يحسب انه داخل الى فندق

٢

كان الملاحون يختفون كثيرا الى هذه الخمارة غير ان بنوات لم يجد فيها احدا عند دخوله اليها وذلك لان صاحبها كان غائبا في ذلك اليوم

وكان صاحب هذه الخمارة يدعى كوكليس خدم في بدء عهده سائقا عند الدوقة دي مونتبازون وكانت امراته احدى خادمات الدوقة دي فيلروا فلما نشبت الثورة انضم الزوج الى حزب الثائرين وبقيت المراة بالسر من حزب النبلاء

غير انها على شدة تكتمها كانت تبدو منها احيانا بوادر تدل على تشيعها للاعيان فكان الثائرون يعفون عنها مراعاة لزوجها

وكانوا حين يعترضونه يقول لهم لا انكر ان امراتي ليست صادقة في وطنيتها مثلي ومثلكم غير ان لها كثيرا من الصفات الحميدة فلا اسمح لاحد بان يمالها بسوء

وكان كوكليس هذا جبارا شديد البطش يخافه جميع اهل تلك القرية فكان يذهب في كل اسبوع الى باريس فيعود منها الى خمارته ببعض الثائرين الاشداء ويملأون تلك النواحي ذعرا

فلما دخل بنوات بالبنتين الى الخمارة تبعتهم العجوز وجعلت تلاطفهم وتوانسهم خير مؤانسة حتى ازالت ما كان لدى بنوات من الشك

وبعد ان تدفأ قالت العجوز لبنوات هل انتم قادمون من مكان بعيد

قال من مسافة تبعد عن هذه القرية خمسا وعشرين مرحلة

قالت العلكم ذاهبون الى باريس

قال نعم فقد تعذرت الاعمال في قريتنا ولا بد لنا من العمل لنعيش

فهزت العجوز راسها وقالت احذر يا بني ان يكون ذهابكم الى باريس لغير هذا الغرض

قال بماذا تريدين بذلك يا خالتاه

قالت ان الاعمال قد تعذرت ايضا في باريس بعد ان نزع الحكم من يد الملك وبات في يد الشعب فهل الفتاتان اختاك كما قلت

قال نعم

قال وماذا تطمعان ان تشتغلا في العاصمة

فقالت اورور اما انا فلا اعرف شيئا من الاشغال وارجو ان اخدم في احد المنازل غير ان اختي ماهرة بالخياطة وهي لا بد ان تجد عملا

فنظرت العجوز الى اورور نظرة الفاحص وقالت ان يديك جميلتان

ناعمتان لا تحتملان مشاق الاعمال

فارتمش بنوات وجعل العرق البارد ينصب من جبينه

وكانت العجوز تكلمهم وهي تعد لهم مائدة الطعام غير ان اوروز وحنة ذعرتا لملاحظة العجوز حتى انهما لم تستطيعا طعاما

واما بنوات فانه قال للعجوز هل تعدين هذه الخمارة لمبيت المسافرين

قالت ان ذلك يتعلق بحاله المسافرين

قال ولكن اختي قد اضنكهما التعب ولا تستطيعا مواصلة السير الى الى باريس دون ان تستريحا

فاجابته بلهجة المضطرب انه ليس لدي غير غرفة واحدة في الدور الاول وسرير واحد

قال انهما ينامان فيها واما انا فانام على هذا الكرسي

فقالت العجوز ولكن زوجي سيعود الليلة من باريس وهو لا يعود وحده دون شك

ثم نظر نظرة مضطربة الي ساعة معلقة بالجدار فرات ان الساعة قد بلغت السابعة فوقفت هنيهة موقف المتردد ثم زال ترددها كانها وجدت احلا لهذه المشكلة فقالت اصغ الي يا بني اني ساصعد بكم بعد العشاء الى تلك الغرفة فتنام الاختان في السرير وتنام انت على كرسي ولكني نصحك ان تسافر بعد ان تناموا ثلاث او اربع ساعات اي عند انتصاف الليل

فعاود الشك قلب بنوات وعادت العجوز الى الحديث فقالت ان زوجي ليس من اهل الشر ولكنه حين يعود في الليل من باريس يأتي معه جماعة من زعانف تلك العاصمة فيسكرون ويعربدون ويقدمون على كل منكر

فنظرت حنة الى اختها نظرة ملؤها الذعر وتمت العجوز حديثها فقالت ان زوجي وهؤلاء السكارى يرون جميع الناس من النبلاء حين تدب الخمر في رؤوسهم ولا شك ان ظواهركم تدل على انكم فقراء مثلنا ولكن السكر قد يمثلكم لهم اغنياء نبلاء فلا تجدون حيلة لاتقاء شرهم

فقال لها بنوات ولكن الدخول الى باريس في الليل محال

قالت انه محال على من كانت له ظواهر الغنى والنبل واما من كان مثلكم فانه يدخل اليها آمنا دون ان يعترضه احد

قال اتعرفين الطريق الى باريس

قالت لا يمكن ان تضل عنها فاذا سرت دون ان تعطف بلغت اليها اربع ساعات

قال اشكرك يا اماه وسانتصح بنصحك فنسافر بعد ان تستريح اختاى بعض الاستراحة

فتنهدت العجوز كانها فرجت من ضيق وقالت حسنا تفعل يا بني

وفيما هم على العشاء واعين حنة وادور لا تكاد تفتح من النعاس سمعت صيحة من الخارج فذعرت الاختان وقطب الاحدب حاجبيه

وقامت العجوز الى الباب ففتحته لتنظر من القادم

وكان الليل قد ارخى سدوله فلم ترى احدا ولكنها كانت تسمع اصوات جماعة ينشدون نشيد الثورة وتعلم من اصواتهم انهم قادمون الى الخمارة فايقنت العجوز انهم زوجها ورفاقه وقالت في نفسها انهم جاوءا مبكرين وسيشربون كل ما عندي من الخمر هذه الليلة ثم نظرت الى الاحدب والبنتين نظرة تشف عن القلق

٣

وقد خطر لها عند ذلك ان تفتح بابا في الخمارة يشرف على الحديقة وان تشير على ضيوفها بالفرار منه الى الحقول غير ان زوجها ورفاقه كانوا قد دنوا من المنزل وكانت الصحون على المائدة فلا تستطيع كتمان امرهم فيدركونهم ويكون فرارهم شرا من بقائهم

اما بنوات فانه سمع اناشيدهم فايقن بقرب الخطر ووضع يده على عدارته واما اورور فقد كانت باسلة فانها نظرت الى بنوات نظرة تفيد اننا سندافع عن حتة الى الموت

غير ان قلق العجوز لم يطل فانها عادت اليهم فقالت لهم كلوا مريئا فان زوجي يعربد حين الشرب ولكنه ليس من اهل الشر كما قلت لكم

وبعد هنيهة وصل الثائرون الى الخمارة ودخلوا اليها دخول الفاتحين يتقدمهم كوكاليس زوج العجوز

وكان يصحبه ثرثة فنيان يدعى اكبرهم بوليت والاثنان الاخران اخوان وكلا الثلاثة من شارع انطوان في باريس وهم من الذين اشتركوا في الغارة على سجن الباستيل والتغلب عليه

وكان بوليت هذا يقضي بعض ليله في التجول ويذهب في الصباح الى ساحه الاعدام فيمتع نظره بقتل النبلاء ويهتف الجلاد مع الهاتفين ويقضي بقية اوقاته في الحانات

واما الاخوان فقد استبدلا اسميهما باسمين رومانيين كما فعل صاحب الخمارة ولم يبق بينهم من احتفظ باسمه غير بوليت

وكان كوكليس صاحب الخماره يظهر كانه والد اولئك الثلاثة فان اكبرهم لم يكن يتجاوز خمسة وعشرين عاماً

وكانوا كلهم يتباخرون بما يرتكبون من الشرور فان بوليت كان يقول معجباً انه من اصدقاء الجلاد وكان الاخوان يذكرون مفتخرين انهم قتلوا عشرة كهنه وعشرين نبيلا من كونت ومركيز

وكان السبب في مودتهم لكوكليس انهم جاءوا يوما الى خمارته وهم سكارى فطردتهم امرأته فاتهموها انها من حزب الاعيان وتوعدوها بالقتل فانتصر لها زوجها وحدث بين الفريقين معركة هائله كان الفوز فيها لكوكليس فعفا عنهم بعد المقدرة وسامحهم على برميل من الخمر شربوه في خمارته فعقدت الخمر بينهم صلة الحب ولم يفترقوا بعد ذلك الحين

فلما دخل كوكليس في مقدمة اولئك الرفاق قال لامرأته ارى عندنا اضيافا فمن هم

فالت انهم فقراء اعياهم التعب والبرد والجوع فدخلوا كي ياكلوا ويستريحوا

فدنا بوليت من الاحدب وقال له اري لصاحبنا حدبة

وقال احد الاخوين انها حدبة جميله فجعل الجميع يضحكون بملء اشدقهم

اما بنوات فانه لم يغضب لهذا المزح وقال لهم ليس الذنب ذنبي في هذه الحدبة ولو خلقت نفسي لجعلتها كما اشتهي وتشتهون

فقال له بوليت لقد سرني منك هذا الجواب فهو يدل انك لست حيوانا ثم نظر الى البنتين فاعجب بجمالهما وقال اذا كنت قد عجزت عن ان تخلق نفسك فهذه الحسناء قد خلقت نفسها كما اشتهت

وقد اشار الى الدرور ونظر اليها نظرة منكرة فارتعش قلبها واصفر وجهها من الخوف

ثم عاد بوليت الى الاحدب فقال له اني اخاف ان تكونوا من الاعيان فان جمال هاتين البنتين لا تشفع بهما

فضحك الاحدب وكشف عن ساعده فقال ايكون لي مثل هذا الساعد واتهم اني من النبلاء

قال لقد اصبت ولا شك انك فلاح

قال اني افتخر بذلك

قال من اين انت قادم

قال اني قادم من محل بعيد مع اختي

قال اهما اختاك

قال نعم

قال اذن لاشك انكم لستم من اب واحد فان من يلد هذا القرد لا يلد هذين الملاكين

قال لقد قال لي غيرك هذا القول ولكن ما قلته لك هو الحقيقة وساوضح لك السبب في ذلك اذا سقيتني كاسا من الخمر

وقد سرت العجوز مما سمعته وراته فقد رات ان زوجها رضي الاخلاق وان الثلاثة الذين معه لا يقصدون غير الهزء بالاحدب فاطمأنت

اما بولیت فانه جلس مع رفاقه حول المائدة فصب للاحدب خمرا في كاسه وقال له حدثنا الان بقصتك

فشرب بنوات الكاس جرعة واحدة وقال ان امي ولدت في قرية من اعمال لوار عند غابات اورليان

قال اهذا هو السبب في كرنك خلقت احدبا

قال كلا ايها المواطن العزيز فانك اذا اصررت على مقاطعتي في حديثي لاتعلم كيف خلقت قبيحا وكيف خلقت اختاي جميلتين

قال اذن قل فاني مصغ اليك

قال ان كل انسان في هذا الوجود يحتال على الارتزاق بما يستطيع فان امي كانت تسرق الاخشاب من قصور الاعيان وكان بي يسرق البرانيس

فضرب بوليث المائدة بيده طربا وقال ان حديثك يعجبني ايها الاحدب فامض به

قال ولقد كنت جنينا في بطن امي فرآها ابي قبل ان اولد عاكفة على منكر مع باكيليت

قال من هو هذا الرجل

قال هو احد حراس الغابة وكان احدبا مثلي فجئت احدبا مثله

قال وابوك ماذا صنع

قال انه اشبع امي ضربا ثم قادها الى المحبس فولدت في السجن وكان ابي قد شنق في خلال سجنها لارتكابه جريمة قتل فلما خرجت امي من السجن تزوجت بي جميلا فولدت منه هاتين البنتين

قال وانت ذاهب بهما الى باريس

قال نعم فاني ارجو ان اجد فيها وظيفة سائس في الاصطبلات

قال واختاك

قال ان احداهما تشتغل بمهنة الخياطة والثانية لا حرفة لها فهي تستخدم في احد المنازل

وعند ذلك نادى بنوات العجوز وكانوا قد فرغوا من الطعام فقال لهاكم بلغ حسابنا

ثم اخرج من جيبه كيسا من الجلد فيه بعض قطع من النقود النحاسية فاعترضه كوكاپس وقال له ابق نقودك في كيسك فانكم فقراء وانتم اضيافي فانكم لا تستطيعون السفر هذه الليلة

فاضطرب بنوات اذ كان يريد التخلص منهم وقال له لماذا

قال لان الليلة حالكة السواد

قال ذلك عندي سيان فقد الفت السير في الظلما ـ

قل ثم ن البرد شديد ،

قال اذا نمشي مسرعين فيخف الم البرد

قال وفوق ذلك فانكم لا تستطيعون الدخول الى باريس فان ابوابها لا تفتح في الليل

فاعترضته العجوز وقالت كلا بل انها تفتح للفقراء

قال ولكن لماذا لا يبيتون هنا ويسافرون في الصباح ثم نظر الى امرته فراى علائم القلق قد ارتسمت على وجهها

اما بنوات فانه نظر الى حنة نظر المشفق فانه راى ان التعب قد انهكها بحيث لم تعد تستطيع الوقوف

٤

وكذلك العجوز قد اشفقت على البنتين وقالت للاحدب ارى ان يبيتوا هنا يا بني فلا طاقة لاختيك على تحمل السير

وكانت قد اطمأنت اذ تبودلت بينها وبين زوجها نظرة دعتها الى الاطمئنان فقالت للاحدب لقد اصاب زوجي بدعوتكم الى المبيت هنا الليلة فاصعدوا الى الغرفة التي اخبرتكم عنها وناموا فيها الى الصباح

فنظر الاحدب اليها نظر الفاحص فراى علائم الاطمئنان بادية بين عينيها

اما رفاق كوكليس فقد كانوا يشربون حتى بلغوا بشربهم الى حد لا يمكن التفريق فيه بين جيد الخمر وفاسده

واستانفت العجوز حديثها فقالت انكم اذا بتم الى الصباح رافقتكم الى باريس فيركب اختاك معي في مركبتي وتسير انت ماشيا لان المركبة لا تسع اكثر من ثلاثة وفي ذلك راحة لاختيك فقد يرح بهما التعب

وكان بنوات مترددا في البقاء غير انه راى من لهجة العجوز واطمئنانها ما حمله على قبول الدعوة فقبلها شاكرا

وعند ذلك اشارت العجوز شمعة وقالت لهم اتبعوني وقد تبادلت نظرة اخرى مع زوجها فنزل الزوج الى القبو لاحضار النبيذ وصعدت العجوز سلما الى الغرفة العليا فتبعها الاحدب والاختان

ولم يكن في تلك الغرفة غير سرير واحد ومائدة حولها ثلاثة كراسي فوضعت الشمعدان على المائدة وقالت لهم اننا في زمن يجب فيه الحذر الشديد فان زوجي لو كان سكران لمهدت لكم سبيل الانصراف غير انه من اهل الوفاء وقد اشار الي اشارة حملتني على الاطمئنان فلم اعد اخشى رفاقه الاشرار وفوق ذلك فانهم قد افرطوا في الشرب ولا يمضي ربع ساعة حتى تصرعهم المدام فناموا اذن مطمئنين الا اذا كنتم من الاعيان فاني لا اضمن لكم السلامة

فذعرت اورور واختها وعادت العجوز الى الحديث فقالت اني لا احب الجمهورية ولكني لا استطيع المجاهرة بافكاري وكذلك زوجي فانه قد يكون ميالا الى الملكية ولكنه يخشى التصريح! اما انتم فكونوا كما

شاؤمن ولكن احذروا ان يبدر منكم بادرة تدل على انكم من الاعيان وهنا ودعتهم وانصرفت فلما خلا بنوات بالاختين جعل كل منهم ينظر الى الاخر فقالت حنه رباه اني خائفة فاصابتها اورور على ما الخوف اننا لاخطر علينا الا من رفاق صاحب الحمارة واما كوكليس وامراته فهما من انصارنا فاذا خطر لهم ان ينالونا بسوء تالبنا عليهم ونحن اكثر منهم عددا

وفتح بنوات سترته واري حنة الغدارتين فقال لها انهما تضمنان قتل الخوين ثم اخرج خنجرا وقال هذا الخنجر يكفي لقتل بوليت

فقالت له اورور ان هذا الرجل الذى تدعوه بوليت هو الوحيد الذي خفته بين الجماعة

قال لماذا

قالت لانه لم يكن ينفك عن النظر الي فان هؤلاء المواطنين كما يدعونهم لا يحجمون عن ارسالنا الى المشنقة ولكنهم لا يالفون قبيل ذلك من حبنا

وكان لباب الغرفة قفل من الداخل فاحكم بنوات ايصاده ثم وضع الطاولة وراء الباب مبالغة في الحذر وصعد عليها فاضطجع وقال هذا سريري

وقد اخرج الغدارتين والخنجر فوضعها قربه وادار ظهره كي تصعد الاخمان الى السرير دون ان يراهما

فشكرته حنه لاخلاصه ودموع الا تتان تجول في عينيها فقال لها لاتشكريني يا سيدتي ان شكرك يخجلني فاني لم اسفك شيئا من دمي

بعد في سبيل خدمتكما

اما كوكليس فقد كان جالسا في الخمارة يشرب مع رفاقه فكان يشرب قليلا ويترع لهم الكوءوس حتى دارت الخمرة في رؤوسهم ما خلا بوليت فانه لم يشمل وظهرت عليه علائم التفكير

وكان احد الاخوين قد بلغ منه السكر ورابه امر الاختين فقال لكوكليس لرى ان هاتين الاختين من النبيلات وقد تنكرتا بملابس القرويات اخفاء لحالتهما الا ترون انه يجب ان اخبر البوليس بشانهما

فقال له كوكليس اذا اردت ان اقتلك فافعل

فعجب السكير مما سمعه وقال أنت يا كوكليس المدافع عن الاغنياء

قال كلا فاني اصدق منك وطنية وميلا الى الفتك باولئك النبلاء

قال اذا كان ذلك كما تقول فدعني ابلغ البوليس

فقال له بوليت لقد بلغ منك السكر اقصى غاياته فمن يحملك اذا اردت الذهاب الى البوليس

قال اني احمل نفسي فالمكان قريب

ثم حاول الوقوف فلم يستطع المشي فقال له كوكليس اذهب ونم اتريد ان تحدث لي مشاكل مع البوليس

قال اية مشاكل هذه ما زالت الاختان من النبلاء

قال لقد قلت لك انهما قرويتان حقيقة وفي كل حال فان دخول الجنود الى خمارتي يمس بسمعتها ويتوهم الناس اني حليف النبلاء وموضع

الشبهات فاذا كنت قادما على الشرب فاشرب او فاذهب فم

فقال له بوليت لقد اصاب كوكليس ايها الصديق ومهما يكن من الامر فلا يخلق بنا ان ندع الجنود تدخل الى خمارته

وكانما السكران قد اقتنع فقال لكوكليس ايوجد قش في الاصطبل اذام فوقه

قال دون شك

قال اذن انا ذاهب فاشربوا عني فلا اطيق الشراب

وقال بوليت وانا ذاهب معك فقد شاتت عيناي

فقام كوكليس ففتح لهم الباب وخرج الثلاثة الى الاصطبل فاوصلهم كوكليس اليه وبسط لهم اسرة من القش والتبن ينامون عليها

وبعد هنيهة عاد الى امراته وهو مجهم الوجه مقطب الحاجبين فقال لها ماذا صنعت بي ايتها العجوز

قالت ماذا صنعت بك

قال اني ليس لي غير عين واحدة ولكن العين الباقية قوية البصر

قالت ماذا تريد بذلك

قال اريد اني انظر الاشياء كما هي

قالت اهنئك بسلامة نظرك

قال بل يجب ان تعزيني فاني لم انخدع ويحك اتدخلين النبلاء الى خمارتنا الا تعلمين انه لا يكون انا بعد ذلك غير الشنق

قالت كذلك مشفقة ولا تعترضني فيما افعل فان الامر على غير

ما تظن

قال بل اني واثق من ظني واحب لمحافظة على حياتي ولذلك يجب ان يسافر الاختان قبل الفجر مع هذا الرجل الذي يحميهما

وقبل ان يتم جملته فتح الباب ودخل بوليت فقال ان الاخوين قد ناما فلا توقظهما اصوات المدافع اما انا فاني لم استطع الرقاد فعدت اليكما كي نتحدث قليلا

وكان يقول هذا القول وهو يبتسم ابتساما يدل على مقصد سيء اجفل له كوكليس وامرأته

٥

كان كوكليس هذا ميالا كامرأته الى النبلاء لفرط اتصاله بهم قبل عهد الثورة غير انه كان يتظاهر بالميل الى الشعب وينضم الى الثائرين حذرا من العاقبة فكان اذا انشد معهم الاناشيد الثورية اوحضر مقتل نبيل عاد مصفر الوجه وقد بلغ منه التأثر اشد مبلغ

ولا ندري اذا كان قد عفا عن اورور واختها من قبيل الاشفاق عليهما اومن قبيل المراعاة لامرأته غير انه نظر الى امرأته حين دخول بوليت نظرة تدل على صدق عزيمته في حماية الاختين

فلما دخل بوليت وقال له انه عائد لمحادثته ومنادمته قال له اتريد نعود الى الشراب

قال كلا فلا جد مع الشراب وقد انقدت عينه ببارق نفذ لى قلب كوكليس

وقد كان هذا الفتى في مقتبل العمر وهو جميل الوجه خفيف الحركات غير ان الخمول والسكر قد اثرا في وجهه فانقلب جماله الى قبح وبقيت له همة الفتيان

وكانت الجرأة بادية بين عينيه وعلائم الغلظة ظاهرة فيه ولذلك كان يفتخر بقتل النبلاء والاجهاز على الجرحى كأنه قد اتى امرا محمودا

اما كوكليس فقد عجب لامره لا سيما لرفضه الشراب والعهد به انه يصل الليل بالنهار على مائدة المدام

قال له كيف ذلك تابى الشراب

قال نعم

قال ولكني اذا فلت كلمة طابت من تلقاء نفسك

قال ما هي

قال هي انه وردني برميل من افضل خمور نورماندیا لم يشرب منه احد من زبائني بعد ثم اشار لى امراته ان تحضر زجاجة من هذا الخمر فاسرعت الى تلبيته

اما بوليت فانه جلس بازائه حول المائدة وقال له اني اريد ان احدثك بامر ذي شان

فذهل كوكليس وقال بماذا يتعلق هذا الحديث

قال بمصلحة الجمهورية

فصاح كوكليس قائلا لتحيى الجمهورية ولتسقط الملكية

قال هو قول تقوله وانما العبرة بالاعمال ايها الصديق

قد ماذا تريد بذلك

وكانت امراة كوكليس قد عادت بالزجاجة فقال بوليت اني لا احب التحدث بالامور الخطيرة امام النساء فاصرف امرأتك عنا

فقال كوكليس لامرأته لقد تقدم الليل اتهـا الحبيبة فاذهبي الى مضجعك واشار اليها اشارة لم ينظرهـا بوليت ثم قال لها احذري السلم

فانصرفت العجوز وهي تقول لا تخف فقـد اصلحت الدرجة الساقطة

فلم ينتبه بوليت لهذه الكلمات التي تبودلت بين الزوج والزوجـة ولما خلا المكان بالاثنين شرب بوليت كاسا من الخمر وقال لكوكليس لقد اصبحنا وحدنا الان فلنتحدث

قال ليكن ما تريد

فقال له بجفاء انك يا كوكليس تخون الجمهورية وهي خيانة لا ارضاها لك ولا يسعني الاغضاء عنها

فتظاهر كوكليس بالاندهال العظيم وقال انا اخدع الجمهورية

قال نعم فان تاوي النبلاء في منزلك

قال ومن اوحى لك هذا النبأ الغريب

قال لا تتكلف خدمتي يا كركليس واعلم اني مننت عليك الان منة عظيمة ومنحت صديقنا على ان يبلغ خبر الاختين الى الجنود

فبقي كوكليس على تكلفه الانذهال وقال له لماذا تريد ان يبلغ الجنود امرهما

قال للقبض عليهما

قال القبض البوليس على اختي الاحدب

فهز بوليت كتفيه وقال ان هذا الاحدب خادم الاختين واما الاختان فهما من النبلاء

فقال الحق ان ذلك لم يخطر لي بال

قال بل انك تعلم ذلك كما اعلمه . لكنك اردت مراعاة امر اتك

قال انك مخطىء يا بوليت

قال كلا وفوق ذلك فقد راق لك جمال البنتين

قال ما هذا الغرور

قال ليس هنا غرور بل حقيقة فقد راق لك جمالهما كما راق لي ولا سيما احداهن ذات العينين الزرقاوين والشعر الاسود وقد خطر لي بشأنها خاطر

قال ما هو

قال هو ان المراة تكون كما يريد الرجل ان تكون

قال كيف ذلك

قال ذلك اننا نستطيع ان نجعل النبيلة وطنية فقد قلت في البدء شيئ

نفسي اني اذا تركت صديقنا يبلغ ابوليس امر البنتين لا يمضي ثلاثة ايام حتى تشنقا غير اني تمهلت في الامر فخطر لي خاطر دعاني الى ان امانع في تنفيذ هذا القصد

قال ما هو هذا الخاطر

قال هو اني اريد ان اجعل الصبية مدام بوليت

قال احق ما تقول

قال نعم وانما اريد مساعدتك

قال كيف تريد ان اساعدك

قال اننا نصعد معا الى الغرفة التي تبيت فيها

قال وبعد ذلك [redacted]

قال ندخل تلك الغرفة ونبدأ بالقاء الاحدب من النافذة وبعد ذلك يسهل الامر فتختطف انت الصبية الشقراء وانا اختطف السمراء فقد راق لي جمالها

قال ولكن اذا لم تكونا من الاعيان كما توهمت

قال اني واثق مما اقول

قال ما هو برهانك

قال الم تر ايديهما الناعمة ومتى كان لايدي القرويات هذه النعومة

قال ليس هذا ببرهان

قال انه يقنعني على ان هذه الفتاة سواء كانت من النبيلات او القرويات فقد حسنت في عيني واريد ان اتزوجها واجعلها من خير الوطنيات

فظهرت على كوكليس علائم التردد فقال له انك صديقي ولا احب ان اكدرك

قال يسرني اذعانك ايها الصديق فان مثالنا لا يختلفون

قال هو ذاك غير اني اود ان تفعل ما تريد فعله دون مساعدتي

قال كيف ذلك

قال ذلك انه لا حاجة بك الى مساعدتي فان هذا الاحدب ضعيف هزيل تستطيع القاءه من النافذة دون مساعدتي

قال اذن لا تريد ان تشترك معي

قال كلا ولكني لا اعترضك وهذا السلم امامك فاصعد اليها متى شئت وانا اتعاهم عنك

قال وامراتك

قال اني اضمن لك ايضا سكوت امراتي

فاخذ بوليت خنجره وقال ان هذا الخنجر لقتل الاحدب

فقال له اتعرف الغرفه وكيف تصل اليها

قال نعم

قال اذن اذهب في شانك وافعل ما تشا

ثم سكب خمرا في كاسه وقال وهو يضحك اني احب ان ارى رايك بالتمثيلات بعد ظفرك بهذه الحسناء

فلم يجبه بوليت وصعد السلم وهو يمايل لسكره وجعل يصعد درجاته ببطء

اما كوكليس فقد اصفر وجهه ووقف يصغي الى وقع اقدامه فكان يسمع ليعلم ان بوليت يصعد درجة فدرجة ثم سمع فجاءة صوتا هائلا تلاه صوت سقوط جسم فظهرت علائم البشر على وجهه وقال لقد نجحت المكيدة وادركت امراتي ما ارادت

٦

ولقد اصاب كوكليس فان بوليت سقط في فخ اوقعه فيه الطيش والغرور

ذلك انه كان يوجد في تلك الخمارة سلم يصعد به الى الغرفة التي باتت فيها اورور واختها وكان القبو تحت هذا السلم ولاحدى درجاته لولب اذا ادير انزاحت الدرجة وانكشفت عن هوة عميقة تنتهي عند ارض القبو

وحكاية هذا البيت انه كان يسكنه قبل كوكليس جماعة من اللصوص جعلوه فندقا فوضعوا هذا اللولب واستنبطوا هذه الحيلة كي يغتالوا بها من يقع في اشراكهم

وقد اشتراه كوكليس حين بدات الثورة ووقف على سر هذا اللولب مع امراته فابقياه على ما كان عليه ليس لاستخدامه في ما كان يستخدمه اللصوص بل ليجعلاه سبيلا للدفاع عند الاقتضاء

وقد كان كوكليس عول على حماية الاختين في تلك الليلة بعد ما راه

من ميل امراته اليهما فحمل بالشراب على رفاقه الثلاثة حتى اسكرهم وتوهم انه اكتفى شرهم

غير انه راى ان بوليث عاد اليه ولاحظ انه لا يريد الشراب وانه يان يوهمه أنه يشرب ويصب ما في كاسه خلسة على الارض فاوجس منه شرا وادرك مقاصده السافلة حين باح له بافتتانه باورور

فلما راى ذلك منه وراى امراته تنظر اليه نظرة المتوسل عزم عزما اكيدا على قتله لوقاية المتين

ثم ان كوكليس كان حاقدا على هذا الفتى يخشى كيده في كل حين فانه قال له مرة اني اعلم يقينا انك من حزب النبلاء وانك تتظاهر مظاهرة كاذبة بالانضمام الينا غير اني اعفو عنك لما بيننا من الصداقه ولا ابوح بامرك للجنود ما زلت تسقيني ما اشاء من الخمر وتعطيني ما احتاج اليه من النقود

فوجد كوكليس انه لم يبق له بد من اغتيال هذا العدو المتلبس بلباس الصديق وجعل يترقب الفرص حتى حدثت حادثة الاختين فراها خير فرصة تغتنم لبلوغ ماربه من الانتقام وامن الاخطار

فلما ذهبت امراته لتنام قال لها احذري السقوط عند صعودك السلم وغمزها بعينه فادركت قصده وقالت له لقد اصابت الدرجة فلم يبق ثمت مجال للخوف فعلم كوكليس ان امراته ادركت قصده واجابته بمثل كلامه المعمى ولم يدرك بوليث شيئا من مقصدهما

اما العجوز فانها صعدت السلم حتى وصلت الى الدرجة التي كان

تحتها الانولب ودارته بحيث فتحت الدرجه وصعدت العجوز

فلما سمع كوكاييس صيحة بوليت ايقن انه سقط الى الهوة واسرع للاستكشاف فراى امراته واقفة عند تلك الدرجة وهي مصفرة الوجه اذ لم تكن من نساء الشر ولكنها كانت تبتسم لاعتقادها انه ما وراء هذا الا الخير وان وقاية الاختين خير شفيع عند ضميرها لدى هذه الجناية

فقال لها كوكاييس اتظنين انه مات

قالت اني لا اسمع له حسا

قال الا انزل الى القبو فارى ما كان منه

قالت سننقذه بعد سفر الاختين فاني اخشى ان يستفيق هو والعسكري فنلقى خطرا جديدا

قال لقد اصبت ولكن الم تقولي انك ستذهبين بهما في المركبة الى باريس

قالت هو ذاك غير اني اوثر ان تذهب انت فان حراس ابواب المدينة يعرفونك وفوق ذلك فان رفيقي بوليت متى صحوا ولم يجدك ايقنا انك ذهبت مع رفيقهما ولم يبق مجال للظنون

قال لقد اصبت فاصعدي الى غرفة الاختين وانا ذاهب لاعداد المركبة

فصعدت العجوز الى الغرفة فقرعت بابها وقالت لهما قوما فاني من الاصدقاء

وكان بنوات لم ينم لفرط حذره وقد سمع كل ما دار من الحديث

بين الزوجين

وكذلك اورور فانها لم تنم لاشفاقها على اختها فان التعب اعياها حتى انها نامت بالرغم عن مخاوفها

فلما سمع بنيامين صوت العجوز ازاح الطاولة وفتح الباب فقالت لقد نجوتم باذن الله من خطر شديد فاسرعوا بالسفر فان الخطر لا يزال محدقا بكم

فقال لها بنوات ما هذه الصيحة التي سمعناها

قالت انها صيحة ذلك الرجل الذي كان يريد التنكيل بكم فاسرعوا فان زوجي ذهب ليعد المركبة

فقامت اورور وايقظت اختها فقالت لهما العجوز لقد اتضح لكما الان اني عارفة حقيقة اصلكما وانكما ذاهبتان الى باريس للاحتماء بها ولكن يجب ان تسودا ايديكما دلالة على انكما من العاملات ثم ان هيئتكما لا تدل على انكما من القرويات واخاف ان يفتضح امركما في باريس فهل تعرفان احدا فيها

فقال لها بنوات كلا

ففكرت العجوز هنيهة ثم قالت ان لي اختا في باريس تكره مثلي هذه الثورة وتميل الى الملكية غير ان الثائرين لا يشككون بها لانها تتظاهر مثلنا بالانتصار للجمهورية فهل تريدون ان تقيموا عندها

فتشاورت اورور واختها بالنظر ثم قالت للعجوز اننا نقبل منك بالشكر فان ثقتنا بك عظيمة

وعند ذلك سمعوا صفيرا خارج المنزل فقالت العجوز ان هذا الصفير اشاره من زوجي الى ان المركبة قد اعدت وانه بانتظاركم فهاموا بنا

فخرج لاربعة عند ذلك من الغرفة وخرجوا من الخمارة الى حيث كان كوكليس بمركبته فقالت له امراته ارجوك ان تذهب بهم الى منزل اختي

قال لقد احسنت فانهم سيكونون عندها بمأمن

فصعدت الاختان الى المركبة ودعوا بنوات الى الصعود فابى وفضل السير على الاقدام

وعند ذلك جلد كوكليس حمار المركبة بسوطه فسارت بهم في طريق باريس وعادت العجوز الي المنزل وهي تبكي حنوا على الاختين

٤

ولما عادت العجوز لى منزلها اقفلت الباب من الداخل واحكمت ايصاده ثم خطر لها ان تنزل الى القبو كي ترى ما جرى لبوليت غير انها لم تجسر على ذلك فان المراة مهما بلغت من الجراة لا تجسر على ان ترى جثة قتيل

فوقفت فوق الهوة وجعلت تصغي فلم تسمع شيئا فقالت في نفسها انه مات دون شك ولو بقي حيا لسمعت انينه ومتي عاد زوجي من باريس يدفنه

وعند ذلك تنهدت لانها لم تقدم غير مكرهة على هذا الفتى وصعدت الى سريرها كي تنام ولكن الرقاد لم يجد سبيلا الى عينيها فانها كانت تفكر تارة ببوليت وتارة بالاختين فتخشى ان يشي بهما واش فيحكم عليهما بالاعدام

ولبثت على ذلك الى ان شرق الصباح

ما الاخوان اللذان كانا نائمين في الاصطبل فانهما استيقظا عند بزوغ الفجر فتعجبا في البدء كيف ان بوليت لم يكن معهما ثم رايا ان الحمار غير موجود في الاصطبل فذكرا البنتين وما جرى لهم في جلسة المساء فقال احدهما اظن ان بوليت قد عبث بنا

فقال له اخوه كيف ذلك

قال اذكر ان بوليت كان نائما امس لقربي وقد انسل وانصرف

فحرك اخوه عينيه وقال ماذا تستنتج من ذلك

قال استنتج ان بوليت ذهب لمقابلة كوكليس

قال وبعد ذلك

قال ان الاثنين قد اتفقا على القسمة

قال اني لم افهم شيئا مما تقول

قال وان الحمار غير موجود فجميع ذلك يدل على ان بوليت وكوكليس قد سافرا بالبنتين الى باريس

قال اي غرض لهما بذلك

قال انهما يقتلان الاحدب على الطريق ويتمتعان بالبنتين ثم يدفعا

بهما الى الجنود لانهما من الاعيان

قال واذا كانا قد فعلا ذلك

فال يكون كوكليس قد خاننا وليس هذا من شروط الرفاق وعلى ذلك فلا بد لي من فضيحة امرة فانه من اعظم انصار النبلاء

فتقدمت عينا اخيه ببارق من الفرح الوحشي وقال انه خبر انتة ام وسنشنق الاربعة

قال هلم بنا الى الخمارة انرى ماذا حدث عسانا نقف على الحقيقة

فخرج الاثنان من الاصطبل ودخلا الى الخمارة فلقيا العجوز فيها وسالاها عن بوليت فقالت لهما انه سافر مع زوجها الى باريس

قال احدهما وماذا جرى للبنتين النبيلتين

قالت اي نبيلتين

قال البنتان اللتان كانتا هنا بالامس

قالت انهما ذهبتا مع زوجي وبوليت

فالتفت الفتى الى اخيه وقال الم اقل لك انهما خدعانا ولكني سانتقم منهما شر انتقام

ثم التفت الى العجوز فقال لها متى سافروا

قالت منذ ربع ساعة

قال اذن اذا اسرعنا ندركهم في الطريق

قالت دون شك فانهم سافروا بمركبة يجرها حمار

فتركها الاخوان وهرولا مسرعين في اثر بوليت وكوكليس والاختين

وهما لا يعلمان ان العجوز قد خدعتهما بقولها انهم سافروا منذ ربع ساعة بغية ابعادهما في حين انهم كانوا في باريس عند بزوغ الفجر

اما كوكليس فانه سار بالاحدب والبنتين الى باريس، فلم يعترضهم حراسها وذهب بهم الى اخت امرأته فاوصاها بهم خيرا واقام يومه في باريس ثم عاد الى امرأته فاخبرها بما صنع فاطمأنت على الاختين وشكرت زوجها اجمل شكر

وبعد ذلك عاد الى البحث عن شأن بوليت اذ كانا يعتقدان انهما سيجدان بوليت محطما

وكان يحمل مصباحا فما لبث ان دخل الى هذا القبو الضيق ونظر فيه نظرة الفاحص حتى صاح صيحة منكرة وجف لها قلب امرأته وقالت له ماذا جرى

قال انظري كما نظرت

فنظرت العجوز فعلمت السبب في ذعر زوجها لانها لم تجد في ذلك القبو اثرا لبوليت

اما كوكليس فانه اوشك ان يجن من رعبه فقال انه لم يمت . . انه نجا . . ايتها المرأة الفرار الفرار فاذا بقينا يوما في هذا المنزل قضي علينا بالهلاك

٨

وعلى ذلك فان بوليت لم يمت كما كان يتوهم الزوجان مع انه سقط من علو شاهق يبلغ خمسة وعشرين قدما

وذلك انه حين سقط خطر له خاطر سريع وهو يهوي الى الارض فبسط يده فعلقت بحديد النافذة قبل ان يبلغ الارض ولكنه لم يستطع الامساك بها فسقط الى ارض القبو وقد نجاه من الموت علوق يده في تلك النافذة بحيث بات سقوطه يعتبر من النافذة لا من على الهوة

ولكنه مع ذلك اغمى عليه وجرح راسه وصدمت رجله

وقد طال اغماؤه ساعتين ثم صحا لشدة البرد ونفوذ الهواء الى القبو من النافذة فوجد الظلمات حالكة تكتنفه من كل صوب وعاد اليه رشده فذكر كل ما مر به وايقن ان كوكليس قد نصب له هذا الفخ ليخلص منه

ثم حاول الوقوف فصاح صيحة الم شديد لم يصل الى مسمع العجوز فعلم ان رجله مصدوعة وشعر بمادة تسيل على وجهه فوضع يده على راسه فعلم انه جريح

وعند ذلك فكر في امره وانقطع عن الانين اذ قال في نفسه (ان كوكليس اراد قتلي والتخلص مني فهو الان يعتقد اني ميت فاذا صحت او وصل اليه صوت انيني اسرع الى القبو واجهز علي ولا يستطيع صديقي نجدتي لان السكر قد بلغ منهما اشد مبلغ ولذلك يجب ان اسعى الى الخروج من هذا القبو وابتعد عن هذا المنزل وسيرى هذا الرجل وامراته ما يكون مني

وقد عزم عزما اكيدا على البطش بهما واعدامهما شنقا فلما اعدوسائل انتقامه جعل يفكر في طريقة الخروج من ذلك القبو فذهب الى بابه فوجده

مقفلا من الخارج ولا سبيل الى فتحه ولكنه شعر بالهواء البارد يسري اليه من النافذة

ولم تكن النافذة عالية ولكنه يستطيع الوصول اليها لانها كانت ارفع من قامته فوضع برميلا كبيرا من براميل الخمر تحتها وصعد فوق البرميل بالرغم عن انصداع رجله ومد يده فبلغت الى حديد النافذة

وكان الغبو قديم البناء وقد تخلخلت النافذة اتدم عهدها وكاد الصداء ياكل حديدها ولم يكن فيها غير قضيبين رفيعين ما زال يعالجهما حتى ظفر بكسرهما ففتح له ممر من النافذة

وعند ذلك تسلق اليها فتدلى منها والقي بنفسه الى الارض فشعر الم شديد لانصداع رجله ولكنه تجلد وعض على شفته فادماها كي لا لا يصيح صيحة الم تفضح امره

ثم نهض وقد اصبح حرا مطلقا فكان اول ما نظر اليه نافذة الغرفة التي باتت فيها الاختان فراها مفتوحة فايقن انهما برحتا المنزل

فسار الى جهة الاصطبل حيث بات صديقاه فسمع غطيطهما وخطر له في البدء ان يوقظهما ويستعين بهما ولكنه خشي ان يستيقظ كوكايس فيسرع ويجهز عليه وهو لا يستطيع الدفاع عن نفسه لانصداع رجله ولكنه كان موقنا ان السكر قد بلغ من صديقيه اشد مبالغه فلا رجاء بهما

وعند ذلك عول على الفرار حذرا من العاقبة وارجأ الانتقام الى زمن اخر

وكان الم رجله قد اشتد بحيث لم يعد يستطيع الوقوف ولا المشي

فجلس على الارض وجعل يزحف زحفا ويسير سير المقعدين حتى ابتعد عن المنزل

وفيما هو يزحف عثرت يده بمادة قاسية باردة فحسب في اليده انها قطعة نقود لانها كانت مستديرة فجعل يفحصها باللمس لشدة الظلام فعلم انها مدالية فوضعها بجيبه وعاد الى الزحف

فسار نحو ساعة وهو يزحف ويتجلد على الالم حتى خانته قواه فاغمى عليه مرة ثانية

ولكن اغماءه لم يطل هذه المرة اذ كان معرضا للهواء المطلق فلما صحا عاد الي الزحف حتى وصل لى حفرة تجمعت فيها مياه الامطار فغسل جرحه بهذه المياه وشرب بعد ن كاد يقتله الظمأ فاستراح بعض الراحة وعاد الى الزحف

وفيما هو يزحف في طريق ضيق سمع صوت مركبة قادمة من ورائه فصاح صيحة خوف بلغت الى مسمع سائق المركبة فصاح به يقول احذر

غير ان بوليت لم يستطع الانحراف عن الطريق فاضطر السائق الى ايقاف المركبة فجاة حذرا من ان يدهسه

وكان في هذه المركبة امراة فاطلت منها وقالت بلهجة تدل على الرعب ماذا حدث ولماذا اوقفت المركبة

فقال لها السائق ان رجلا سكران قد اعترضنا في الطريق

فصاح بوليت بلهجة القنوط كلا انا جريح

ففتحت المراة باب المركبة واسرعت الى بوليت

فلما راها بوليت قادمة اليه قال لها ارحمي بنا لوطنيه وطنيا صادقا كسرت رجله وجرح راسه في خدمة الوطن وهو لا يستطيع المسير

وقد كانت المراة مراة كانت معها في المركبة وهي خادمتها غير انها كانت تخدمها بقلب لوطنية اذ منعت الجمهورية في تلك الثورة استخدام الناس واعتبار الشعب بجملته اخوانا في الانسانية فكان من حق خادما تتخذ بصفة صديق

فحملت المراتان بوليت الى المركبة

وعند ذلك قالت لها الخادمة الى اين تسير به

قالت نذهب به في البدء الى المنزل

فشكرها بوليت وامرت المراة السائق فدفع الجياد

وكان نور المصباح يصل الى المركبة فاخرج بوليت من جيبه المدية التي القيها وجعل يتمعن فيها

وكانت هذه المدالية قد سقطت من اورور حين فرارها مع كوكليس وهي تلك المدالية التي رسمت فيها صورة لمها كما يتشن على ما تقدم في الجزء السابق

اما المراة فانها اخذت تلك المدالية من يد بوليت لما تلك فرات الرسم المنقوش حتى صاحت صيحة دهش ونظرت الى بوليت نظر الفاحص

٩

جرت هذه الحادثة قبل قتل الملك بشهراي حين كانت الثورة في اشد حالاتها وكان كل فرنساوي يضطرب خوفا ويخشى ان يشيء به احد اعدائه فيتهمه انه من الاعيان اذ لم يكن يعد هذه التهمة غير الشنق

فكان كل غني يخفي غناه وكل ذي نعمة يتنكر بزي اهل الفقر خلافا لهذه المراة التي حملت بوليت الى مركبتها فانها كانت في حالة تدل على انها من كبار اهل الثروة والجاه فقد كانت مركبتها من افخر المركبات وجيادها من اجمل الجياد حتى ان كل من راها كان يتساءل كيف يمكن ان تطوف مثل هذه المركبة الدالة على نبل اصحابها في الشوارع العامة

غير ان هذه المراة لم يكن يبدو عليها شيء من علائم القلق كانها لم تكن تكترث بشيء من هذه الاخطار التي كانت تراها تنعث شررا من اعين الناظرين

وكانت بين العمرين غير انها كانت اقرب الى الكهولة منها الى الصبى وهي قصيرة القامة سمراء الوجه سوداء الشعر ولها عينان براقتان تدلان على مزيج من اللين والشدة والظرف والقسوة والسكينة والخداع

وقد لبست في اذنيها قرطين من افخر انواع الماس كانا يضيئان في الليل كالنجوم وتختمت باخوانم من انفس الحجارة الكريمة ولبست ثوبا من الحرير يدل على الثروة والسعة واظهرت للناس انها دون شك من اولئك النبلاء الذين قامت عليهم قيامة الشعب ونكبوهم نكبة لا تذكر

معها نكبة البراهكة

مما يزيد الناس عجبا بهذه المراة انها حين ارادت الخروج من باب وباريس طلب السائق الى الجنود ان يفتحوا الباب بلهجة ملوءها الفخر والاستصغار لشأن هولاء الجنود

فخرج ضابطهم وهو مقطب الحاجبين حين راى هذه الركبة الفخيمة وحاول تفتيشها وايقاف صاحبتها واستنطاقها غير ان هذه المراة سخرت به وقالت له يسوءني ايها الضابط انك تجهلني وتقدم على تفتيش مركبتي على ان جهلك هذا خير شفيع لك ثم اخرجت من جيبها ورقه مكتوبة عليها ختم كبير وارته اياه فلم يكد الضابط يراها حتى اضطرب وتلعثم لسانه فلم يعد يعلم كيف يعتذر ولكنه اسرع الى الباب ففتح مصراعيه بنفسه وعاد الى تلك المراة القادرة يلتمس منها العفو ويسالها ان يرسل معها حراسا

فقهقهت المراة ضاحكة وقالت له لا حاجة الى ذلك فاني لا اخاف احدا وفوق ذلك فاني ذاهبة الى قصري في بلازو وهو قريب من هنا فعد يا بني الى مركزك فان البرد يوءذيك

فواصلت المراة سيرها مع وصيفتها حتى وصلت الى ذلك المكان الذي لقيت به بوليت

ولنعد الان الى سياق الحديث فلقد تركنا بوليت تتمعن في تلك المدالية التي لقيها في الطريق وهي تمثل رسم كريتشن والدة حنة واورور

ويذكر القراء في ما بسطناه في الجزء السابق ان حنة كانت تشبه

امها شبهاً عجيبا حتى ان اوروز نفسها حين وجدت هذا الرسم في الصندوق الذي خلفته لها امها لم تشكك ان هذه الصورة صورة حنة الملقبة بربيبة الدير.

فبينما كان بوليت منشغلا بالنظر الى هذه المداليه عن شكر تلك المرأة انقذته اخذت المدالية من يده وقالت له ما هذا.

قال انها مدالية لقيتها في الطريق ولكني اعلم من اضاعها

فاضطربت المرأة وقالت كيف تعلم

قال نعم انها صورة احدى الاختين

فزاد اضطراب المراة وقالت من هما هاتان الاختان

قال انهما فتاتان من اهل النبل انقذهما كوكليس ولكنه لا يستطيع ان يتمتع بانقاذهما مليا وانا في اثره

وكانما تلك المراة قد اهتمت اهتماما عظيما لهذه الحكاية فاخرجت دينارين من جيبها فدفعتهما الي بوليت وقالت له صف لي هاتين البنتين

قال ان احداهما تجدين رسمها في هذه المدالية وقد سقطت منها دون شك او من اختها حين فرارهما فلقيتها في الطريق واما الثانية فهي سوداء الشعر كبيرة العينين لها جمال فضاح ولولا هذا النذل كوكليس لجعلتها مدام بوليت

فابتسمت له المراة وقالت قل لي في البدء من هو كوكليس هذا

قال هو صاحب هذه الخمارة القريبة منا وقد كانت الاختان عنده فكان يصحبهما فتى احدب يدعي انهما اختاه ولكني لم اخدع بهذا القول

اذ قد علمت لفوري ان النتين من النبلاء ولو لم ترق لي احداهما لما اعترضت صديقي في تسليمهما الى الجنود

ثم قص جميع ما جرى له في تلك الخمارة على ما عرفه القراء فلما اتم حديثه قالت له تلك المراة انك سعيد البخت دون شك لاني عثرت بك وساغنيك

فرش بوليت لقولها وحملق بعينيه فقالت له نعم ساذهب بك الان الى قصري فتعالج فيه حتى يتم شفاؤك

فقال لها بوليت وقد حسب ان كل الثروة بهذا الشفاء وبعد ذلك

قالت وبعد ذلك اخبرك بما يجب ان تصنع لترضيني فاكافئك بما يرضيك

ثم كانها ارادت ان تؤكد له صدق ما قالت فاخرجت من جيبها دينارين اخرين ودفعتهما اليه

فكاد بوليت يطير سرورا بما ناله من اعانها فقال لها انك خير من رايت من النساء وقد ملك اليك كل املي حتى انك لو كنت من النبيلات كما تدل ظواهرك لما بحت بامرك لاحد

فابتسمت المراة وقالت اني لو كنت نبيلة لكنت تنكر او اختشي

قال لقد اصبت فهو برهان سديد

وبعد ان سكتت المراة هنيهة قالت له فجاءة ماذا تريد ان تصنع بهذه المدالية

قال اني ابيعها من احد الجوهريين فهي تساوي عشرين فرنكا على الاقل

قالت واذا اعطيتك اربعين

قال اني اقبل بالبيع شاكرا ثم اخذ المدالية منها وعاد الى فحصها فقال لها ارى انها مرصعة بالماس فهي تسوى اكثر من ذلك

قالت اذا كان ذلك فخذ ثمانين فرنكا

ثم دفعت اليه المال فاخذه شاكرا ممتنا واضافه الى ما قبضه منها قبلا وبات يعد نفسه من اعظم الاغنياء اذ لم ينل مثل هذا المبلغ في عمره

وجعل يتامل تلك المراة الغريبة الاطوار فقال لها اني ارى لك جراة نادرة لم تعهد بالنساء

قالت لماذا

قال لانك تسيرين في مركبتك دون حراس وانت لابسة من الحلى ما يسوى مليونا الا تخشين اللصوص

فاجابته بلهجة شفت عن الاحتقار ولماذا اخافهم

قال انهم شنقوا امراة في الاسبوع الماضي لسبب اوهى من هذا السبب

قالت من هي هذه المراة وكيف كان ذلك

قال انها امراة نجار رآها المواطنون في شارع سانت جرمين وهي لابسة قرطين من الماس فقالوا ان امراة نجار لا يكون لها مثل هذين القرطين وهي لا شك قد آوت عندها احدى النبيلات فوهبتها القرطين

ولذلك قبضوا عليها وحسبوها من اعداء الجمهورية

قالت وهل اعدموها

قال دون شك فان وجود القرطين في اذنها كان خير دليل على صحة التهمة . ثم جعل يضحك ضحكا عاليا كانما ذكر الاعدام هاج فيه عوامل الضحك

وليث يتحدثان والمركبة سائرة بهما حتى وصلت الى القصر فوقفت وخرجت لمراة بملء الجلال من تلك المركبة فراى بوليت ان الخدم قد اصطفوا صفين لاستقبالها وهم وقوف بملء الاحترام

فقالت لهم خذوا هذا الفتى من المركبة الى احدى الغرف وعالجوه فهو جريح ثم مرت بينهم مرور الملكات وصعدت الى القصر

١٠

وكان هذا القصر بديعا مفروشا باجمل الرياش فصعدت المراة الى قاعة الاستقبال وقالت لوصيفتها تعالي واعدي لي ملابسي فنحن الان في انتصاف الليل وقد دنا حضور اصحابي ولكن اذهبي في البدء الى رئيس الطباخين وانظري اذا كان كل شيء قد اعد كما ينبغي

وكانت الوصيفة صبية بارعة بالجمال فانحنت امام سيدتها وانصرفت اما المراة فانها وقفت امام مرآة فنظرت اليها نظرة رضى وقالت اني وان كنت سمراء اللون وقد تجاوزت الاربعين فاني لا ازال جميلة وقد اكد لي عشيقي اني جميلة في جميع العيون لا في عينيه وماذا يعوزني بعد ذلك

وقد كانت هذه المراة عائدة من لاوبرا وهي تنتظر اضيافها للعشاء في قصرها ولكننا قبل ان نذكر شيئا عن هؤلاء الاضياف نذكر ما يتوق القراء الى الوقوف عليه من شان هذه المراة

انه قبل هذه الليلة بثلاثة اشهر ورد الى المحامي الشهير د وهو الصديق الحميم لرولبسبير هذا الكتاب الاتي

« تقبضوا امس على امرة فاضلة من ايطاليا ليس لها وراق حوز ولكن لديها اموال كثيرة من نقد واوراق مالية تساوي وهي تابى ان تذكر اسمها الا للمحامي د.

ثم انها تدعي انها ليست فقط غير عدوة للشعب بل انها تستطيع خدمة الجمهورية خدمات جليله »

اما هذا المحامي فقد كان من اشد الناس نفوذا في ذلك العهد لشدة اتصاله بروبسبير ولما اشتهر به من الزلافة والصدق في خدمة الجمهورية

واصله قروي قدم الى باريس فعلقت به المركزة دي ب . وفتنت بجماله فانفقت عليه كل ما لها حتى اذا شبت نار الثورة وهي من الاعيان اضطرت الى الفرار

وكان هذا المامي كثير الانفاق كثرة ميله الى الملاهي ولشدة افراطه في الملاذ ولكنه كان مع هذه العيوب قوي العارضة زلق اللسان شديد الحجة فكثرت ديونه بقدر ما زاد احترامه في النفوس ولكنه كان يخشى افتضاح امره لكثرة ما تراكم عليه من الديون

فلما قرأ هذه الرسالة الواردة اليه وعلم ان هذه المراة التي تدعوه

اليه كثيرة المال اسرع اليها وقد ملء قلبه املا

وقد خطر له في البدء ان هذه المراة هي المركيزة فما وصل اليها دهش دهشة عظيمة اذ راى انه لا يعرف هذه المراة التي لا تريد ان تبوح باسمها الا له

اما المراة فانها بادرته بقولها له دعني اخبرك اولا كيف عرفت اسمك فاني كنت في برلين وعرفت فيها المركيزة دي ب . وهي التي اشارت علي ان الجأ اليك اذا اتيت الى باريس واصبت فيها بنكبة

فكانها اخبرته بهذا القول انها تعرف جميع ما جرى له مع تلك المركيزة

ثم قالت له والان ارجوك ان تاذن لي بمحادثتك فاني محدثتك بشؤون خطيرة والحديث يطول

قال تكلمي فاني مصغ اليك

قالت ان اسمي لا يفيدك شيئا فلنفترض اني ادعى نطونيا ولنبحث في شؤون اخرى

قال وبعد ذلك

قالت ان لي دخلا سنويا يبلغ مئتي الف جنيه في العام

فلم يهتز المحامي لهذه الثروة الطائلة ولبث مصغيا اليها كانها تحدثه بامور عادية فقالت المراة اسكينته ثم عادتها السكينة فقالت انهم قد يحكمون علي بالاعدام ولكن الجمهورية لا ترث مني شيئا فان جميع ثروتي في الامبراطورية النمساوية وليس لدي الان غير قليل من المال فذا

اردتم قتلي فافعلوا

فاضطرب المحامي لما راه من قوتها وايقن انها شديدة المعارضة وانه قد يستفيد من مالها قدر ما يستفيد من ذكائها اذا احسن التصرف ولذلك نظر اليها نظرة الفاحص وقال لها الم تقولي انك تستطيعين نفع الجمهورية

قالت نعم ولا ازال اقول

قال بماذا تنفعينها

قالت اني استطيع ان اخبركم بكل ما يفعله الهاربون في النمسا والمانيا

ثم ابتسمت ابتسامة شفت عن قصدها كانها تقول له لقد وجدنا سببا فلتتخذه ذريعة للاتفاق ولنعمل يدا واحدة

فادرك المحامي مرادها واجابها بمثل ابتسامها ثم خلا بها نحو ساعة فلم يعلم احد على اي محور دار بينهما الحديث غير انه بعد ان فارقها اطلق سراحها وفي اليوم التالي عرفها المحامي ببروسبير وهو رئيس الحكومة في ذلك العهد

وكان بروسبير يود الوقوف على ما يفعله احزاب الملكية في البلاد الخارجية فكتب ثلاثة سطور على ورقة ودفعها لهذه المراة وهي كما ياتي

(ان المواطنة انطونيا من اصدق الفرنساويين وطنية فعلى كل الجنود

(ورجال الحفظ ان يعتبروا هذه السطور جوازا قانونيا وان يساعدوها

(في كل ما تريده عند الاقتضاء

مكيسميليان روبرسبير

وبعد ذلك ببضعة اسابيع كان الناس يرون هذه المراة في الاوبرا وفي تياترو الجمهورية وفي المتنزهات والشوارع تركب افخر المركبات وتتزين بابدع لمجوهرات فاذا حاول احدهم الاعتراض يهمسون في اذنه قائلين انها خالة المحامي د. صديق بروسبير وان بروسبير نفسه يزورها في منزلها فيذعر المعترض ويخشى عاقبة فضوله

ففي تلك الليلة التي لقيت فيها بوليت في الطريق كانت قد دعت بعض رجال السياسة الى العشاء عندها

وبينما كانت وصيفتها مهتمة بمراقبة الطعام اخرجت من جيبها تلك المدالية التي اشترتها من بوليت وهي التي تمثل صورة كريشن فنظرت اليها وابتسمت ابتسام الابالسة ثم قالت ان الشبه يبعد في بعض الاحيان فان هذه الصورة ترشدنا الى حنة ومتى وجدنا حنة وجدنا اورور ثم نبحث عن الشفاليه راوول اذ لا يهدأ لي بال الا بعد ان اقضي عليهم جميعا

وعند ذلك اعادت المداليه الى جيبها وقالت ان الكونتس دي مازير المنكودة لو قامت من قبرها لجنت من دهشتها حين تراني وانا خادمتها ام روكامبول قد صرت اديرة فرنسا بيدي

وفيما هي تناجي نفسها هذه المناجاة وتبسم ابتسام الظافر سمعت وقوف مركبات عند باب قصرها وبعد حين رات المحامي د. دخل الى غرفة زينتها دون كلفة فبادرته بقولها ايها الصديق ان الاعمال قبل كل شيء

فاستاء المحامي وقال قبحت هذه الاعمال فاني وقفت اليوم ادافع ست

ساعات متوالية حتى سئمت الحياة

قالت ولكن الشأن الذي ساحدثك به خطير فان البنتين جاءتا اليوم الى باريس من فينا وهما خادمتان لمخابرة اللجنة الملكية بمهمة سرية

قل اذا كان ذلك فقد اصبت فان الامر خطير

قالت وهذه صورة احداهما ثم اخرجت من جيبها رسم كريستين الذي يشبه حنة وارته اياه

وقد عرف القراء الان ان هذه المراة هي النورية ام روكامبول التي عبثت بالشفاليه دي مازير فحملته على قتل سيدتها الكونتس واختلست تلك الاموال الطائله وفرت بها كما تقدم في الجزء السابق

١١

وفي شارع من شوارع باريس الضيقة كان يدعى في ذلك العهد شارع بتي كارو وهو يدعى اليوم شارع موانجر بل يوجد دكان غساله

ففي الساعة مسادسة من الصباح اي قبل ان يشرق الصباح فتح باب هذا الدكان واخذت صاحبتها تشعل النار ثم حملت تغسل الملابس بملء الجد و نشاط

و كانت تشتغل وحدها حتى اذا اشرقت الشمس اقبلت لمساعدتها فتاة تبلغ الخامسة عشرة من العمر

وكان في هذا الوقت يصحو زوج هذه المراة وهو من عمال الميناء

فيبدأ حين يفتح عينيه بالصياح تحيى الجمهورية ثم يخرج الى حانة خمار قرب الدكان فيشرب كاسا من الخمر ينتقل منه يشتم النبلاء واسقاط الملكية وادعاء للجمهورية ثم ينصرف الى عمله

وكانت مراته تدعى الموطنة جوزفين ومهنتها غسالة وهي اخت امراة كوكليس التي جاء زوجها الى باورود وحدة

وقد كانت هذه المراة على سوء أخلاقها تأسف لسقوط الملكية والنكبة بالاشراف اذا سمعت زوجها يدعو للجمهورية ويشتم الاعيان ابتسمت اذ كانت تعلم ان زوجها ملكي ولكنه يظاهر بالانتصار للجمهورية لخوفه من شرين

ففي ذلك اليوم الذي صل فيه كوكليس بالاختين الى باريس ومعهما الاحدب وصل الى تلك الدكان والفجر لم ينشق بعد

فذعرت الغسالة حين رأتهم وكان زوجها والخادمة لم يصحوا بعد

فدخل كوكليس الى الدكان وكلم جوزفين فظهرت عليها علائم الرعب ولكنها حين رأت الاختين انقلب رعبها الى تأثر واشفاق وقالت لكوكليس انك رجل شريف وما صنع ما طلبت الي ولكني لا اعلم كيف اكتم امر هذين الملاكين فان من يراهما في دكاني الحقير يعلم لاول وهلة انهما من الاعيان

وكان زوجها فوق مرتفع من الخشب في الدكان فصحا لحديثهما وبدأ بالصياح قائلا لتحيى الجمهورية

فقالت له امراته اسكت واحذر ان توقظ البومة فاني لا اثق بها

والبومة لقب كانت تطلقه على الخادمه التي كانت عندها

فلما سمع امراته تكلمه بهذه اللهجة علم ان الامر خطير فنزل عن المرتفع دون ان يفوه بكلمة فلما راى الاختين وراى الاحدب قطب حاجبيه وقال ما هذا يا جوزفين اتريدين ارسالنا الى المشنقه

قالت اني خفت نفس خوفك ومع ذلك لم اتردد

وكان لكوكليس تاثير عليه فطمأنه بكلمة ولكنه اعترضه قائلا اننا فقراء حتى اننا قد نبيت على الطوى في بعض الايام

قال ان لدي البنتين كثيرا من المال

فقالت جوزفين ليفعل الله ما يشاء فان المرء لا يموت مرتين

. . . . . .

ولما صحت البومه رات اوروز وحنة في الدكان وهما تشتغلان بالخياطة فنظرت اليهما نظرات ملوءها الحسد

فقالت لها جوزفين انهما بنتا اختي جاءتا لزيارتي من الريف

فلم تجبها البومة بحرف ولكنها شعرت لاول نظرة بعاطفه كره وحسد ملأت قلبها حقدا على الاختين فقد كانت هذه الفتاة شريرة الطبع عثرت بها جوزفين شريدة في الشوارع فاشفقت عليها وجاءت بها الى دكانها فربتها ثم جعلت تستعين بها على الخدمة والغسيل

وكانت كاذبة سارقة وهي على حداثة سنها شديدة المكر والحيلة فكانت جوزفين تؤدبها بالضرب وكان زوجها يحاول طردها فتحول امراته دون قصده اشفاقا عليها فينصرف مغضبا وهو يقول ستكون هذه الفتاة

شؤونها لنا

وكانت البوسة تتولى ارسال الملابس المغسولة الى اصحابها وتخدم وتغسل وتشتري الطعام فكانت تختلط بالناس وتسمع احاديث الثورة دون ان تفهم معناها

وقد كانت تسمع الناس يتحدثون عن النبلاء وتسمع الجمهوريين يصيحون احيى الجمهورية وليسقط الظالمون فلم تعلم حقيقة المراد من هذه الاقوال ولكنها كانت تسمع كل يوم باخبار اعدام النبلاء فكانت ترجو ان تشفق الاختين كما كانت تشفق اولئك الاعيان اذ كانت تعتقد في نفسها الصغيرة ان هاتين الاختين ستتسمان زادها وتزاحمانها على عيشها

ولقد بالغ التاريخ في وصف تلك الثورة الهائلة التي كانت نائبة في ذلك العهد مبالغته في عدد قتلاها والحقيقة على ما رواه اتقياه ان عدد الذين قطعت رؤوسهم من النبلاء فيها لم يتجاوز ثمانية عشر في جميع فرنسا ولم يكونوا يقتلون النبلاء لمجرد لوشاية بهم كما كانوا يصنعون وبعد التثبت والبرهان على النبلاء او اتصافهم بالنبلاء

وكان الشارع الذي تقيم فيه الغسالة لا يسكنه غير الفقراء فلم يتهم احد قومه بالتشيع للملكيه ولا سيما زوج جوزفين فقد كان يهتف بالدعاء للجمهورية اينما وجد ولذلك لم يخطر لاحد في بال ان اورور وحنة من النبيلات وصدق الجيران قولها لهم انهما بنتا اختها

في مساء اليوم الذي جاءتا فيه ذهب زوج الغسالة بالاحذب وطاف به جميع حانات الشارع فعرفه باصحابه ووثق الجميع انه من اهله

وكانت اوروز وحدها بين ملابس المرويا فلم يرض الظن احدهما حتى البومه

غير ان هذه البومة حقدت عليهما حقدا عظيما وساعدها الاتفاق على الانتقام كما سيجيء.

وفي اليوم التالي امرت موزفين البومة ان تذهب الى امرأة صاحبة حانة بثيابها المغسولة فاخذت البومة الثياب وذهبت بها

وكان يجتمع في هذه الحانة اكثر اهل الشارع ولا يتحدثون ليلهم الا باحاديث السياسة واخبار الثورة

فلما وصلت البومة بالملابس كان احد زبائن الخمارة يحدث الحاضرين بحديث امرأة سيئة تقطعوا راسها في ذلك اليوم

وكان يصف مقتلها وصفاً مؤثرا وجميع الحضور مصغين اليه تم لاصغاء فاشارت صاحبة الخمارة الى البومة ان تضع الملابس وتنتظر الى ان يفرغ الرجل من قصته فسمعت البومة جميع القصة

وكان مما سمعته ان احد المعترضين قال للراوي لقد قلت ان هذه المرأة كانت منكرة بملابس العاملات فكيف عرفوها.

قال عرفوها من نعومة يديها فان هذه النعومة لم تكن تتفق مع المهنة التي كانت تتظاهر انها تشتغل فيها

فارتعشت البومة وقالت في نفسها لا بد لي من ان افحص ايدي الاختين

١٢

وعادت البومة هي مفكرة مهمومة وقد استثار ذهنها ما سمعته من الحديث فجعلت تحدث نفسها قائلة من هو النبيل ؟ انه الذي يحكم عليه بالاعدام وكيف يعرفونه ؟ انهم يعرفونه من نعومة الايدي وعلى ذلك اذا كانت يدي الاختين مترفة ناعمة فهما من النبلات وسيقطعون راسيهما دون شك فاغدو بالدكان وحدي كما كنت

ولما وصلت الى الدكان كانت جوزفين تغسل والاختان تعدان الطعام فوبختها بقسالة لطول غيابها وضربتها فجعلت تبكي وهي تنظر الى الاختين نظرات ملوءها الحقد والضغينة

وعند المساء صعدت الى المرتفع لتنام وقد كانوا قسموه الى قسمين حين جاءت حنة وارور فجعلوا قسما خاصا بالزوج وامراته وقسما بالاختين والبومة اما الاحدب فكان ينام على طاولة الدكان

وقد هاج غضب البومة حين رات ان الاختين تتامران معها بعد ان كانت مستقلة بذلك القسم فاعتبرت نومها فيه احجافا بحقوقها

فصعدت الى فراشها وهي تكتم غضبها وتقول في نفسها لقد رايت ايديهما وهي ناعمة بيضاء فلا بد اذن من اعدامهما ولكنها لم تكن تعرف وسيلة التنكيل بهما فجعلت تمعن الفكرة في التماس معين

وكان يوجد بجوار الدكان رجل يدعى بيبي يقيم في منزله وحده ولا يعلم الناس شيئا من امره لانه لم يكن يشتغل شغلا معروفا ولذلك اختلفت الاقوال فيه

غير انهم كانوا متفقين على القول انه من انصار الجمهورية وانه كان يذهب كل يوم الى ساحة الاعدام فيتم الطرف بقتل النبلاء

وكان هذا الرجل يحسن الى البومة وهي صغيرة اذ كان يراها كل يوم فيشفق عليها فذكرت البومة هذا الرجل وذهبت اليه وقد ايقنت انه في منزله

فدهش بيبي حين راها وقال لها ماذا تريدين يا ابنتي

قالت اريد ان اكلمك

قال انعك قادمة من قبل غسالة

قالت كلا فقد تظاهرت اني مريضة وانسليت من الفراش اليك وهي تحسبني نائمة

فاقفل الرجل باب الغرفة وقد عجب لامرها فقال لها قولي ماذا تريدين

قالت بيبت ارجوك ان تاذن لي بالذهاب معك في الصباح فلا ادع احدا يراني و تنظرك في عطفة الشارع

قال ولكن الى اين تريدين الذهاب معي

قالت الى حيث تذهب كل يوم

فارتاش الرجل وقال الى اين اذهب العلك تعلمين

قالت نعم فانك تذهب الى ساحة الاعدام

قال وماذا تريدين ان تصنعي هناك

قالت اني ابوح لك بكل شيء بشرط ان لا تخونني

فزاد عجب الرجل منها وتاق الى الوقوف على سرها فقال لها قولي يا ابنتي ما تشائين فاني لم اخن احدا

قالت الا تخبر الغسالة اني آتيك اليك ولا تحدثها بشيء مما ساقوله

قال كلا

قالت اذن فاسمع الا تعلم ان سيدتي لديها الان عاملتان غيري

قال كلا

قالت ان لديها عاملتين تدعي انهما بنتا اختها وانهما جاءتا من الريف وانا اكرههما اشد كره

قال لماذا

قالت لا اعلم ولكني اكرههما كرها عظيما

قال حسنا وبعد ذلك

قالت اني ذهبت صباح اليوم بالملابس المغسولة فسمعت الناس يتحدثون عن نبيله متنكرة عرفوها من يديها الناعمتين فلما عدت الى الدكان نظرت في ايدي العاملتين فوجدتها ناعمة بيضاء غير اني لم ار بعد تلك المقصله التي تقتلون فيها الاعيان فهل يشعرون بالم شديد

قال دون شك

قالت ومن يقتل بها يعود

قال كيف يعود بعد ان يموت

قالت هذا الذي اتمناه ولكني احب ان ارى نبيلا يقتل فاصحبني غدا عند ذهابك الى ساحة الاعدام

قال لقد اخطأ يا ابتي من قال لك انى اذهب الى هذه الساعة الان قولي لي متى أتت البنتان الى دكانكم

قلت في فجر اول امس

قال اجاءتا في مركبة

قال لا اعلم فاني كنت نائمة وعند ما صحوت رايتهما في الدكان

قال واين تناما ن

قالت معي فوق المرتفع

قال اتظنين انهما نبيلتان

قالت دون شك، مازالت اياديهما ناعمة

قال ان هذا البرهان لا يكفي لاثبات نبلهما

قالت اذن كيف يعلمون ايوجد غير هذه الطريقة للاستدلال

قال لو كنت كتومة لكنت اخبرك

قالت قل ما تشاء يا سيدي فانى لا ابوح بشيء مما تريد ان تكتمه

قال انهما تناما ن معك

قالت نعم

قال اتنامون في فراش واحد

قالت كلا

قال اذن اجتهدي هذه الليلة ان لا تغفي قبلهما ولكن تظاهري امامهما بالنوم

قالت وبعد ذلك

قال تصغي الى حديثهما وتاتين الي غدا وتخبريني بما كانتا تتحدثان

قالت وعند ذلك تعلم اذا كانتا من النبلاء وتخبرني

قال دون شك

قالت فاذا ثبت لك انهما نبيلتان تخبرني بماذا يجب ان اصنع

قال لماذا

قالت لاقودهما الى ساحة الاعدام

قال سارشدك الى الطريقة ولكن بشرط ان لا تخبري سيدتك بشيء

قالت كيف اخبرها وهي تاويهما

قال هو ذلك واحذري ايضا ان تراك داخلة الى منزلي

قالت ساكلمك في الشارع حين خروجك من المنزل

قال في اية ساعة تخرجين من الدكان لارسال الملابس الى اصحابها

قالت في الساعه العاشرة

قال اذن انتظرك في عطفة الشارع

قالت هو ذاك ثم انصرفت عنه وقلبها موجب املا بقتل الاختين فنسلت من سلم المنزل الى نافذة الدكان ودخلت منها الى المرتفع الخشبي كما خرجت ونامت في فراشها دون ان يراها احد

١٣

كان بيبي هذا معروفا لدى جميع اهل الشارع لطول اقامته فيه وهو محترم من الجميع للطفه وحسن سمعته

وقد كانوا يعلمون انه يعيش من ايراد امواله ولكن لم يعلم احد منهم من اين جاء بهذه الاموال

فبعد ان خرجت البومة من عنده خرج في اثرها فاجتاز الشارع التي تقيم فيه وجعل يسير من شارع الى شارع حتى انتهى الى منزل في شارع بعيد بعيدا شاسعا عن منزله فوقف ايراقب الناس كي يعلم اذا كان يوجد بين المارة من يعرفه فلما وثق انه لا يوجد من يتنبه اليه اخرج مفتاحا من جيبه وفتح به الباب ودخل فصعد سلما انتهى منه الى رواق طويل مشى حتى وصل منه الى غرفة فقرع بابها ثلاثا ففتح ودخل فوجد رجلا جالسا عند مائدة عليها كثير من الاوراق

وكان هذا الرجل في الخامسة والاربعين من عمره مثل بيير فلما راه داخلا اليه بادره بقوله احدث امر جديد

قال لم يحدث شيء بعد قبضنا على المركيز دي بريفات

قال ولكن يوجد كثير من النبلاء في باريس

قال هو ذلك ولكن لا يوجد احد في شارعي وانت هل حدث عندك امر جديد .

قال كلا غير ان المحامي د . بروسبير زارني في هذا الصباح

قال ماذا يريد .

قال يريد رجلا حازما عاقلا لشأن خطير دقيق فاخترتك لهذه المهمة فهل تعرف هذا الرجل

قال اني اعرفه كما يعرف نفسه فهو مثقل بالديون لا اجد فائدة من

خدمته

قال انك مخطىء فان الذهب يمطر من يديه كالسحاب

قال ومتى فاجأته هذه الثروة

قال لا اعلم وفوق ذلك فانه يدفع مقدما فقد دفع القسط الاول)

قال اين

قال هنا فانه دفع لي الفي فرنك مالا نقدا نقتسمه متى شئت

قال اذا كان ذلك فلا بد لي من خدمته فقل ماذا يريد .

قال لا اعلم ولكنه يخبرك عن المهمة

قال اين اجده

قال في منزله في شارع سانت اونوريه نمره ٢٤٣

قال في اية ساعة

قال الان فانه ينتظرك

قال اذن سأذهب

قال اتريد حصتك من المال الان

قال كلا فساقبضها غدا

قال كما تريد فان لك في الصندوق الف فرنك

ثم عاد الرجل الى فحص اوراقه وخرج بيبي فسار توا الى شارع اونوريه وانما قلنا شارع اونوريه لاسانت اونوريه كما كان يدعى لان الباريسيين في عهد الثورة نقموا على لدين واهله كما نقموا على النبلاء فحذفوا من اسماء الشوارع ما كان يضاف اليها من اسماء القديسين

فلما وصل الى هذا المنزل دخل اليه فاستقبله المحامي د . وهو لا يعرفه وسأله عما يريد

فقال له اني انا الرجل الذى تنتظره

قال من ارسلك

قال المواطن بول

قال اذن اجلس بجانبي وتحدث

فلما خلوا قال له المحامي اتعرف المواطنة انطونا

قال كيف لا اعرفها وانا الذي وقفتها حين قدومها من ايطاليا وقد اطلقتم سراحها لسبب لا اعلمه ولم ابحث عنه لانه لا يعنيني

فاجابه المحامي ببرود اننا اطلقنا سراحها لانها تخدم الجمهورية اجل خدمة

قال اذ كان ذلك فقد اصبتم

قال ما زلت تعرفها فأعلم انها هي المحتاجة اليك

قال فاذهب اليها فاين تقيم

قال في بليزو فاذهب اليها الان في الحال وانا اضمن لك انك لا تكون من الخاسرين فانها لا تقتصد في المكافآت ومتى وصلت الى بليزو يا لك جميع الناس على منزلها .

قال حسنا ولكن الا يمكن ان اعلم شيئا من هذه المهمة

قال هي مهمة القبض على امرأتين متهمتين بالتجسس والعلائق مع جيش كوندية وقد جاءتا الى باريس بمهمة سرية الى اللجنة الملكية اما بقية

التعليمات فان المواطنة انطونيا تخبرك عنها ولكن يجب ان تذهب اليها في الحال

قال ان المراتين اذا كانتا في باريس قبضت عليهما ان كانتا ولكن لا اجد سببا يدعو الى سرعة الذهاب

قال لماذا

قال لاني اخدم البوليس منذ عشرين عاما ولم يشك بي احد الى الان وجميع الناس يعتقدون اني اعيش من ايراد اموالي. ثم اني اقيم منذ عشرين عاما في منزل واحد في شارع واحد وقد تعود سكانه ان يروني في ساعات معينة من كل يوم فاذا لم اتعشى في الخمارة التي تعودت العشاء فيها اولوا غيابي تاويلات مختلفة

قال ولكن يجب ان ترى انطونيا

ال سارها

قال متى

قال في هذه الليلة بين تقفل دكاكين الشارع وينام قومه

قال افعل ما تشاء فانك تجد انطونيا تنتظرك في اية ساعة ذهبت اليها من الليل لاني سأخبرها

فتركه بيبي وانصرف وهو يقول في نفسه اذا كانت الآن نسر البنتين اللتين اخبرتني عنهما البومة كان ذلك من غرائب الاتفاق وكان التوفيق من خدمي

١٤

وعاد بيبي الى منزله فرر بدكان الغسالة وكانت لاتزال مفتوحة وجوزفين تشتغل فيها فحياها اذ هي جارته ورأى اورور وحنة معها

وكان هذا الرجل على ظواهر بساطته التي كان يخدع بها اهل الحي من احذق رجال البوليس وابعدهم همة ومن صفاته انه اذا رأى انسانا لحظة واحدة طبعت صورته في مخيلته حتى انه ليعرفه بعد اعوام

فارتسم وجها الاختين في ضميره وعجب لجمالهما فقال في نفسه لا شك ان البومة مصيبة بقولها انهما بريئتان

ثم صعد الى منزله فاقام فيه الى الساعة العاشرة ولما ايقن ان جميع اهل الحي باتوا نياما خرج من المنزل وقد لبس شعرا مستعارا بغية التنكر فركب مركبة وسار بها الى منزل ام روكامبول

وهناك وجد ان المحامي د . قد سبقه فادخلوه الى حيث كانت تنوان

اما تنوان فانها عرفته للحال فقالت له انك انت هو الذي قبضت علي يوم وصولي الى باريس ولكني غير حاقدة عليك بل اني احترمك بل اراك من حذاق الرجال وهذا الذي حدا بي الى الالتجاء اليك في قضاء مهمة

فانحنى بيبي امامها وقال لها مري يا سيدتي ما تشائين

قالت اريد ان تبحث في باريس عن فتاتين هما جاسوستان لانصار الملكية

فاجابها ببرود سافعل

قالت انهما كانتا منذ ثلاثة ايام في قرية قريبة من هنا تدعى قربة انطوني وقد نزلتا في خمارة رجل يدعى كوكليس

قال اتعلمين يا سيدتي اوصافهما

قالت نعم فان احداهما شقراء والثانية سمراء وقد برحتا الخمارة في الليل بصحبهما فتى احدب

فاخذ بيبي دفترا من جيبه وكتب فيه ما قالت له عنهما

ولما اتم كتابته قال له انى ساصف لك احداهما وصفا يسهل عليك اكتشافها واريك صورة الثانية

قال تفضلي يا سيدتي فاني مصغ اليك

قالت اما السمراء فهي ممشوقة القد زرقاء العينين تدل هيئتها على العظمة والجلال ولها يدان صغيرتان وهي في مقتبل الشباب وأما الثانية فهذه صورتها فقد ارسلوها الى من فينا

وعند ذاك اخرجت من جيبها تلك الدالية التي وجدها بوليت في الطريق وهي تمثل كريشن والدة حنة واورور غير انها تشبه حنة شبها غريبا كما تقدم

فلم يكد بيبي ينظر الى الصورة حتى عرف لفوره ان هذا الرسم رسم احدى البنتين اللتين راهما عند الغسالة

ولو كان غيره في موقفه لصاح صيحة دهش او ابدى شيئا من اشارات الاندهال غير انه تجلد وتظاهر كانه لم يكن يعرف صاحبة

الصورة

فقالت له تتوان اتظن انك تستطيع الظفر بهما

قال دون شك

قالت كم ينبغي لك من الزمن

قال يومان على الاقل واربعة على الاكثر

قالت اذا ظفرت بهما بعد يومين اكافئك بستة الاف فرنك تقبضها نقدا

فقالت سأتهدان افعل ما تريدين ثم وضع المداليه في جيبه

بينما كان يبني خارجا من منزله للذهاب الى منزل تتوان كانت البومة متناومة في فراشها تنتظر صعود اورور وحنة كي تسمع ما تتحدثان به وتنقل حديثهما الى بيي كما اوصاها

وبعد حين صعدت اورور وحنه واضطجعتا في فراشهما فساد السكوت هنيهة بينهما ثم تنهدت اورور

فقالت لها حنة بلهجة المشفق لماذا تتنهدين يا اختي

قالت اني افكر في ما يحدق بنا من الاخطار ولست خائفة على نفسي بل عليك

قالت اني بالة اكثر مما تظنين وفوق ذلك فان هذه الثورة الممقوتة لا يطول امرها ولا بد ان تعود الامور الى مجاريها

فتنهدت اورور ايضا وقالت من يعلم

قالت اني كنت خائفة حين كنا في تلك الخانة واما هنا فان قلبي

مطمئن هؤلاء فان هذين خباونا من اهل الخير كما يظهر من وجوههم

فتنهدت اورور ايضا ولم تجب

وعادت حنة الى الحديث فقالت اننا حين كنا في تلك الخمارة لم اكن خائفه الا عليك من هذا الرجل الذي كان ينظر اليك تحمل نظرات على الرعب فقد رقت في عين هذا الشقي

قالت ولكننا لم نصل الى هنا الا بفضله فانه لو لم يحاول الدخول الى غرفتنا بالكره لما تولى كوكاس حمايتنا

قالت ولكن لماذا اتينا الى باريس يا اخي الم نكن في مانقصرنا حيث كنا فان جميع اهل القرية يحبوننا

قالت ولكن الم يدمروا الدير ويقبضوا على الاب جيروم نصيرنا الوحيد

قالت هذا اكيد فاني لا افتكر به حتى يرتجف قلبي ومن يعلم ما اصابه ولكنهم قبضوا على جميع النبلاء في صولي واحرقوا قصورهم وضبطوا املاكهم ولم يصبنا احد منهم بسوء الا تذكرين ان جاك بربرو هو زعيم الثائرين في تلك القرية قال لنا انه لا خوف علينا وانه يحمينا

قالت هو ذاك

قالت اذن لماذا اثرت المجيء الى باريس

قالت على رجاء ان نجد ابن عمنا لوسيان ثم تنهدت ايضا

فذعرت حنة لكثرة تنهدها وقالت لها ان لديك سرايا اورور تكتمينه عني

فلم يجب اورور بشيء وانقطعت حنة عن الحديث فلم تمض بهما هنيهة حتى نامتا

اما البومة فانها سمعت كل ما دار بينهما من الحديث وقد استنتجت منه ثلاثة اشياء اولها ان الاختين ليستا بنتي اخت الغسالة والثاني انهما لقيتا خطرا عظيما في الطريق انقذهما منه كوكليس وهي تعلم انه قريب الغسالة والثالث ان البنتين تحدثتا عن قصرهما واقبال الناس على احترامهما وحمايتهما وفي ذلك اعظم دليل انهما نبيلتان.

فاطمأنت عند ذلك ووثقت انها باتت قادرة على ارسال البنتين الى ساحة الاعدام فيخلو لها الجو وعند ذلك نامت مطمئنة وهي تحلم بالانتقام

وفي الساعة الخامسة من الصباح صحت الغسالة حسب عادتها وفتحت باب الدكان فصحت حنة واورو لصوت الباب وصحت البومة ايضاً ولكنهم لم تتحرك

وجعلت حنه واورور تلبسان ثيابهما وتتحدثان فقالت اورور اني منذ يومين مهمومة هما عظيما لا اجسر ان اخبرك به فقد اصبنا بنكبة اعدها فادحة

فذعرت حنة وقالت ماذا حدث

قالت لقد ضاعت المدالية

قالت صورة امنا

قالت نعم يا اسفاه فقد بحثت عنها بحثا طويلا فلم اجدها وكمنت

رجوت ان اكون فقدتها في الحجرة التي كنا فيها فاخبرت كوكايس عنها فبحث بحثا مستفيضا وعاد امس فاخبرني انه لم يجدها

قالت اخبرت بنوات بضياعها

قالت كلا

قالت اذن سليه فربما كانت معه

قالت لو كانت معه لكان اخبرنا

قالت الا تذكرين يا اختي ما قاله لك مرة وهو انك تخطئين بحمل هذه المدالية فانهم اذا قبضوا علينا ووجدوها معك فضحت امرنا واظن انه اخذها وخبأها

قالت حبذا لو كان ذلك

وفرغت الاختان عند ذلك من لبس ثيابهما ونزلتا الى لان.

اما البومة فانها انسلت من فراشها ودنت من حافة المرتفع المشرف على الدكان وجعلت تصغي الى الحديث

وكان الاحدب قد صحا ايضا واقبلت اورور تسأله فراته البومة قد رفع قبعته ووقف امامها بملء الاحترام

ثم سمعت اورور تقول له ارجوك يا بنوات ان تخبرني الحقيقة فهل المدالية معك

قال اقسم لك يا سيدتي اني لم ارها

فلما سمعته البومة يقول لها سيدتي استنتجت استنتاجا رابعا وهو

ان الاحدب ليس باخيها ولو كان اخاها لما لقبها بالقاب السيادة

واقامت البومة ساعة في فراشها ثم نزلت الى الدكان فسالتها حوزفين عن صحتها فقالت لها اني اصبحت اليوم في عافيه استطيع العمل

قالت كلا لا تعملي اليوم و قتصري على ارسال الملابس لاصحابها

قالت متى

قالت في الساعة العاشرة

ففرحت البومة فرحا لا يوصف لان هذه الساعة كانت نفس الساعة التي واعدت بيسي على الالتقاء بها

١٥

ولنعد الان الى بيسي فقد كان هذا الرجل ذكي الفؤاد شديد المقدرة على اخفاء ما يجول في ضميره حين الاضطراب والمظاهرة في ايه حالة رادها

فلما اخذ المدالية من يد تنوان وعلم ان الصورة المرسومة فيها هي صورة احدى الاختين لم يظهر عليه شيء من تاثر الفرح بهذه اللقيا بل اخذ المدالية ووضعها في جيبه بملء السكينة

ولو اتفق ذلك لغيره لقال لفوره اني اعرف موضع هذه الفتاة واستطيع ان اسلمها لك متى شئت

غير انه ادرك لذكائه ان لتنوان ماربا خفيا في القبض على البنتين غير ماربه خدمة الجمهورية فخطر له ان يستفيد من هذه الحادثة

وقد قال في نفسه ان هذه لمراة غنية فاذا صدقت ظنوني يكون لها غاية شخصية من قتل البنتين نالت منها اضعاف ما وعدتني به

ولذلك اخذ المدالية وانصرف

وجعل يفكر وهو سائر في الطريق في ما عسى ان تكون غاية تنوان من قتل البنتين

وكان هذا الرجل في خدمة ابوليس السري منذ عشرين عاما عرف في خلالها جميع العظماء في ذلك العهد حق العرفان فكان يقول في نفسه عن المحامي دي اتي حين قبضت على هذه المراة يوم قدمتها الى بارس اطلق هذا المحامي سراحها وفي ذلك ما يدل على انها رشته بالمال وقد رايته يشتغل عندها بعد انتصاف الليل وذلك يدل على انه عشيقها

ثم ان هذا الرجل الداهية كان يعرف خلاق النساء كما يعرف اخلاق الرجال ويستدل بظواهرهن على البواطن

وقد راى تباينا عظيما في الحقة بين تنوان المحامي فايقن انها مجنونة بهواه وانها تتعلق عليه بملء السخاء

ثم راى من بسطة يدها وظواهر ثيابها ما لا يتطبق على اخلاقها ويدل على انها محدثة النعمة فاستنتج من ذلك ان هذه المراة كانت خادمة غرفة في بيت احد التبلاء فاختلست اموالها ثم استطرد من ذلك الى ان هاتين البنتين قد تكونان سيدتي هذه المراة التي اختلست اموالهما وانها تريد قتلهما اخفاء لاثر الجريمة

ولما انتهى بتصوره الى هذا الحد قال في نفسه ان هذه المراة غنية ذوو

شك وان البنتين فقيرتان بعد ان اختلست اموالهما فخدمة تنوان افضل من خدمة البنتين

ثم سار حتى بلغ الى منزله فخلع ملابسه وصعد الى سريره وهو لا يزال يفكر في امر البنتين فكان يقول في نفسه انى لا اغير شيئا من عادتي غدا فاخرج من المنزل في الساعة العاشرة واعطف في منتصف الشارع كي ارى البومة واسمع ما تقوله لي عن الاختين ثم اعود الى منزلي عند الظهر حسب العاده فاغير ملابسي وابرحه ولكنني لا اذهب الى ساحة الاعدام بل ازور المواطن بول

ولنذكر الان بالايجاز من هو بول هذا لشدة علاقته بسياق الحديث فنقول

انه في بدء الثورة اي حين كان الناس جميعهم يبحثون عن النبلاء في كل مكان لتسليمهم الى الجلاد جاء الى ناظر الحانيه رجل تجاوز حد الكهولة ولكن لا يزال في عينيه بريق يدل على ان له همة الفتيان فقال له اني رجل من النبلاء ولكني نبيل فقير لا قصور لي ولا ارض ولا عائله وقد جئت اخيرك بين امرين وهما اما ان تسلمني الى الجلاد فيقطع راسي ويريحني من كل هم او تستخدمني فاخدم الجمهورية خدمات جليلة

فعجب الناظر لهذا الحديث الغريب وقال له كيف تستطيع خدمة الجمهورية

قال بكرهي للنبل والنبلاء فان سقوط الملكية احب ما اشتهيه ولا تسلني عن سبب هذا الكره فهو سر لا استطيع ان ابوح به

فقال له الناظر ماذا تريد ان تكون كي تستطيع الوفاء بهذه الخدمة قال من عمال البوليس

فظهرت على الناظر علائم الاشمئزاز غير ان بول لم يعبأ به وقال له اني اريد ان ادخر في سلك البوليس السري في مثل هذه الظروف لمجرد الانتقام ولا اسألك ان تحترمني بعد ان بت لا احترم نفسي فقل اتريد ان تعينني في البوليس فاخدم الجمهورية اجل خدمة ام تريد القبض علي ومحاكمتي . انك اذا قبضت على اظهر للقضاة حقيقة السبب بشكل جلي ثابت لا يحتمل الشك

ففبل الناظر خدمة هذا الرجل المجهول الذي ابى ان يصرح باسمه وعينه في البوليس السري

ولم يمر به شهر في الخدمة حتى قبض على نحو ثلاثين نبيلا معظمهم من اورليان ثم توفق بدهائه الى اكتشاف مواصرة الشفاليه دي فومبرن الذي قدم الى باريس والف لجنة ملكية وكاد يفوز بانقاذ الملك لويس السادس عشر لولا بول

فكبر امر بول عند الناظر وجلت خدمته فعينه رئيسا للبوليس وقد اتصل حين كان بوليسا بزميله بيبي وكان بين الاثنين صداقة عظيمة

غير ان بيبي لم يكن من اهل الطمع فلما ارتقى زميله الى منصب الرئاسة وبات خاضعا له لم يحسده على هذه النعمة بل هنأه بمل الاخلاص وبات الاثنان يعملان يدا واحده في خدمة الجمهورية وكلاهما كان لها

اء كانا يعملان ليعيشا في ذلك العهد المضطرب الذي سدت به ابواب الارتزاق

ولنعد الآن الى بيبي فانه اتبع الخطة التي رسمها لنفسه فخرج في الساعة العاشرة من منزله وانتظر البومة في المطفة التي وافقها عليها

فلما حانت الساعة العاشرة اقبلت البومة تحمل الملابس المغسولة فلما رأت بيبي ينتظرها اسرعت اليه فقالت له بلهجة دلت على سرورها انهما تبيلتان دون سك

قال كيف عرفت ذلك

فقصت عليه جميع ما سمعته من حديث اودر وحنة في الليل وفي الصباح

وكان بيبي جيد الذاكرة غير انه اخرج دفتره وكتب فيه بعض مذكرات فقالت له البومه بعد ان فرغت من حكايتها الا تظن ان هذه البراهين كافية

قال كافية لماذا

قال لقطع راسيهما

فابتسم بيبي وقال هذا منوط بك

فعجبت البومة وقالت بي انا

قال نعم يا ابنتي

قالت قل ماذا يجب ان اصنع افعل في الحال ما تريده

قال لا اريد ان تصنعي شيئا بل اريد ان لا تقولي كلمة لاحد اليوم

وغدا عن الاختين

قال واذا كتمت هذا الامر

قال اضمن لك قتل البنتين

قالت احق ما تقول

قال دون شك ولكن اذا بحث بكلمة فسد الامر ولا اتعهد بشيء

قالت اكتم امرهما كل الكتمان حتى اني لا احدث بشانهما نفسي

ثم تركته وانصرفت فذهب بيبي وهو معكر الى رئيسه بول

١٦

فاستقبله بول خير استقبال وقال له ارايت المحامي

قال نعم

قال وانطونيا

قال رايتها ايضا

قال قل لي اذن ما هي هذه المهمة

قال مهمة القبض على بنتين لا يزيد عمر لواحدة منهما على عشرين عاما

قال هما اختان

قال هذا ما ارجحه

قال اذن يجب ان نبحث عنهما

قال لقد بحثت

قال العلك فيضت عليهما

قال كلا ولكنهما لا تستطيعان الافلات من يدي انما يجب ان احتال على انطونيا فانال منها اضعاف ما عرضته علي من الجزاء فانها كثيرة المال .

قال لقد فهمت قصدك فاين هما البنتان

قال في دكان غسالة مجاورة لمنزلي

وعند ذلك قص على رئيسه جميع ما اتفق له وجميع ما سمعه من البومة وعن المدالية التي اعطاه اياها ام روكامبرل فكان بول يصغي اليه كل الاصغاء .

غير ان بيبي كان يلاحظ ان بول يضطرب حين كان يقص عليه حكاية البنتين وحينما اخبره ان مع البنتين فتى احدب يظهر انه خادمهما قاطعه بول وقال له بلهجة اضطراب ظاهرة العل هذه المدالية لا تزال معك

قال نعم وهذه هي

ثم اراه اياها فلم يكد بول ينظر اليها حتى صاح صيحة ذعر لها بيبي وتراجع الى الوراء .

فقال له بيبي العلك رف هذه الفتاة

فلم يجبه بول على سؤاله وقال له صف لي الفتاة الثانية .

قال انها سمراء زرقاء العينين سوداء الشعر طويلة القامة

فصاح بول قائلا اورور

فعجب بيبي لامره وقال نعم انها تدعى اورور فهل تعرفها

فوقف بول يتهدد السماء بقبضتيه وقال انها بنتي فلا تنالها يد الجمهورية

وقد غضب غضبا شديدا وجحظت عيناه حتى ان بيبي تراجع عنه دون ان يريد لخوفه من هذه الظواهر

وقد اشكل عليه هذا الاتفاق فان بول كان يخبره انه ليس له اهل ونسب لو كان له اهل لسلمهم الى الجلاد

وكان بيبي خبيرا باخلاق الناس فكان يعلم ان الاب قد ينكر بنيه في بعض الاحوال يدعو اليها القنوط ولكنه على يأسه يبقى في زاوية من قلبه اثر من الحنو على اولئك البنين ولا يفتأ يذكرهم من حين الى حين خلافا لبول فانه لم يذكر كلمة امامه تدل على ان له فتاة ولذلك اشكل عليه فهم هذا السر

غير ان بول اسرع الى كشف غوامضه فوقف وجعل يمشي في تلك الغرفة المخلوات غير موزونة مشية المضطرب ثم دنا فجاءة من بيبي فضغط على يده بعنف وقال له اصغ الي

وكان هذا الرجل من طبعه خشن اللهجة فظ التعبير يدل حديثه على القسوة والغلظة غير انه في هذه المرة جعل يحدث بيبي بلهجة ملوءها الرقة والحنان فقال له والدمع يجول في عينيه اصغ الي يا بيبي فانت اول واخر انسان سيقف على سري فاعلم ان جميع من عرفتهم من اهل الشر لم يكونوا الا ملائكة اطهارا بالقياس الى ما ارتكبته من الاثام

فقد كنت زوجا فقتلت امراتي وكنت سيدا فقتلت خادمي الشيخ

وكنت شرها الى المال فقتلت امرأة لسلب مالها وكنت سبلا فوشيت بجميع اخواني النبلاء وسلمتهم الى يد الجلاد

غير ان هذا القلب الوحشي لا يزال فيه بقية من عواطف الانسان فقد تركت ابنتي وهي تحسبني ميتا ولكني احب ابنتي واريد انقاذها من الموت

وعند ذلك جعل الزبد يخرج من شدقيه وكادت عيناه تنفران من وجهه فكان يسبه الابوة في موقف الدفاع عن اشباهها

وقد عرف القراء دون شك ان هذا الرجل الذي تولى رئاسة البوليس السري في عهد لم يفز فيه غير اهل الفظاظة والشر لم يكن الا الشنايه دي مازير والد اورور ذلك الرجل الذي نال مراتب كريتشن وخادمه بنيامين بالسم وقتل والدة لوسيان بالخنجر

اما بيير فانه توجع لتكبته فدنا منه وقال له بلهجة شفت عن اخلاصه سكن روعك ايها الصديق فان هذه الاثام التي ارتكبتها لا تحول دون ما بيننا من الصداقة واني لا اشك الان ان اورور بنتك فلا حاجة الى القول بوجوب انقاذها ولكنك اخبرتني بشيء من سرك فلماذا لا تطلعني عليه بجملته

قال ماذا تريدان تعلم بعد

قال ان هذه المدالية التي اريتك اياها تمثل رسما غير رسم بنتك

قال نعم انه رسم كريتشن

قال ولكني علمت ان صاحبته تدعى حنة

قال لقد خدعتك المشابهة فانها صورة تمر والشبه بينهما عجيب

قال اذن ليست هي اخت اورور

قال بل هي اختها

قال اني لا افهم ما تقول

قال ان كريتشن كانت امرأتي وهي والدة اورور كما انها والدة حنة ايضا ولكني لست والد حنة اعلمت الان

وقد اتقدت عيناه ببارق من الحقد حين قال هذا القول فقال له بيبي لقد فهمت كل شيء ايها الصديق وعلى ذلك فان حنة ليست ابنتك

قال كلا

قال وانك تكرهها

قال دون شك

قال لو سلمتها الى انطونيا لما ساءك ذلك

قال بل اسر

قال اذن لقد هان الامر وسهل الاتفاق

قال كيف ذلك

قال انا ننقذ ابنتك ونرسلها الى الخارج

قال وبعد ذلك

قال نقبض على الفانية ونسلمها الى الجلاد فتكون انت قد انتقمت شرفك المهان وانا ارضيت انطونيا

فانتفض بول فجاءة وقال ولكن من هي هذه المراة التي تريد قتل

ابنتي

قال انها خليلة المحامي د .

قال لماذا تريد قتل ابنتي

قال لا اعلم

فقال كانه يخاطب نفسه ما عسى تريد هذه المراه و بماذا اساءت اليها اورور و كيف عرفتها

فاجابه بيبي اني لم اعرف الى الان ولكن لا بد لي من ان اعرف

فجعل الشفاليه يمازح بيبي في الغرفة ذهابا راياباً ثم خطر خاطر فجأني فالتفت الى بيبي وقال له العل هذه المراة جميلة

قال كلا

قال وهل المحامي يحبها

قال انه يحب مالها وهي تحبه

قال اذن هي غنية

قال ان لها ثروة طائله

قال صفها لي

قال ان لها حدبة صغيرة وهي تشبه نساء النور ولعلها منهم

قال اهي سمراء

قال لقد اصبت

فاهتز الشفاليه وقال انها تتوان دون شك

فقال له بيبي من هي تتوان هذه

فقال انها امراة نورية عبثت بي وحملتني على قتل الكونتس مازبر كي تختلس المال . ويل لها من شقية انها خشيت ان تعود الملكية فارادت قتل ابنتي كي لا يبقى من يطالبها بالمال المسروق اذ تعتقد اني ميت

وكان يقول هذا القول بلهجة القنوط فقال له بيبي سكن روعك ايها الصديق واكشف لي كل شيء فان من كان مثلنا لا تروعه مثل هذه الامور واعلم اني اك من الاصدقاء ثم اخذ بيده وقال له قل ايها الصديق وابسط لي كل الامر

١٧

ان من كانت له نفس هذا الشفاليه لا يسترسل مليا الى الغضب ولا يلبث بعد حدته ان يعود الى السكينة والتفكير بما يخرجه مما دعاه الى الغضب

وكان بيبي خبيرا باخلاقه فلما ساله ان يخبره بامره لم يجبه فلم يعد بيبي الى الحديث وصبر عليه الى ان تذهب حدة غضبه

اما الشفاليه فانه بعد ان مشى ذهابا وايابا نحو ربع ساعة في تلك الغرفة وقف امام بيبي وقال له اعرف احد سواك ما قلته لي الان

قال كلا

قال اذن انت وحدك تعرف ان تقيم الاختان

قال انا والبومة غير ان هذه التأة تطيعني ولا تفعل الا ما أأمرها بفعله

قال تريد انهما في امان

قال دون شك

فقال له بيرود اذن لتتحدث

قال تكلم فاني مصغ اليك

قال ان هذه المراة التي يدعونها الآن انطونيا واصل اسمها ثيوان كانت خادمة غرفة وقد سرقت ثروة طائلة وحق هذه الثروة ان تعود الي وعلى الاخص لبنتي اورور واختها حنة

وقد عرف القراء في ما تقدم من الاجزاء ان هذه الثروة لحنة وحدها غير ان الشفاليه ابى ان يقول لبيبي الحقيقة بجملتها

فقال له بيبي حسنا وبعد ذلك

قال اما وقد عرفت هذا فلتتحدث الآن فيما يختص بك

فعجب بيبي وقال بي انا

قال دون شك وسوف ترى فهل لي الآن كم بقي لك في خدمة البوليس

قال من عهد صباي

قال اذن قد خدمت في عهد الملكية فهل اقتصدت شيئا من المال مدة خدمتك الطويلة

قال الحق ان الحكومة تقتصد في الانفاق علينا ومع ذلك فقد اقتصدت بضعة مئات من الدنانير

قال الملك فكرت باس

قال ما هو

قال بهذه الجمهورية فانها اوسعت الخطى ولا بد لدولتها ان تدول

قال هذا لا ريب فيه عندي

قال اذن اتظن ان دولة الظالمين تعود

قال بعد شهرين على الاكثر

قال اتظن انك تبقى في منصبك متى عادت الملكية

قال دون شك

قال انك اخطأت ايها الصديق فانك في عهد الملكية لم تكن تكشف للحكومة غير خفايا الاثام ولا تدفع اليها غير اللصوص والسفاكين واما في هذا العهد فانك لا تدفع اليها غير اهل النبل

قال هذا لا ريب فيه

قال ما زلت واثقاً فاعلم انه متى عادت سلطة النبلاء خسرت منصبك والان فلنفترض ان دولة الملكية قد عادت واني لا العربق بالنبل الذي لا اذكر اسمي لاحد الان قابلت الملك في فرسايل فلو كنت غنيا

قال اتطمع ان تكون من اهل الثروة

قال نعم اني ابغي استرجاع الثروة التي سرقتها ثنوان واعطائك قسما منها افهمت الان فاذا كنت لا تثق بكلامي تعهدت لك كتابة

قال اني اثق بك كل الوثوق وان يكن الخط خيرا من الكلام غير اني اذا كنت ارى الخطة حسنة فان ثنوان قد اتخذت احتياطها لوقاية الثروة التي سرقتها

قال كيف ذلك

قال انها اودعت اموالها في البلاد الخارجية

قال هذا كل ما نعترض به

قال نوان المحامي د . عشيقها فهي به شديدة الطول

قال اني اعرف ذلك

قال اذا كنت تعرفه فكيف تستطيع استرجاع المال

فضحك الشفاليه ضحك المتهكم وقال انك تمتهن مهنة البوليس منذ عشرين عاما في حين اني ما توليتها غير ستة اشهر ولكن اصغ لما اقول تعلم اني ما غدوت رئيسا عليك عبثا

قال اني مصغ اليك

قال ان هذا المحامي الذي تنتزع بقوته تنوان هو صديق روبسبير ولا قوة له الا من هذا الزعيم فاذا افترضنا ان سقوط الجمهورية يكون بعد شهرين فلا بد من سقوط روبسبير بسقوطها وسقوط المحامي بسقوط صديقه

قال هذا لاريب فيه

قال وعند ذلك لا يبقى لتنوان غير رجاء واحد للنجاه وهو الحصول على جواز سفر والهرب الى البلاد الخارجيه

قال وبعد ذلك

قال نعطيها هذا الجواز بل نرافقها في سفرها

قال اني لم افهم بعد مرادك

قال افترض انك ازمت هذه المراة من الان الى سقوط الجمهورية وانها باتت تثق بك

قال هذا ممكن

قال انك في خلال هذه المدة تستطيع ان تعرف البلد الذي وضعت فيه اموالها

قال وهذ ممكن ايضا

قال وافترض ايضا ان لديها ورقة مكتوبة بلغة النور وني تحصلت على هذه الورقة

قال ما هي هذه الورقة

قال لا حاجة الى ان تعرفها الان فافترض ايضا اننا تحصلنا على هذه ارلوقة وعرفنا موضع المال

قال افترضت

قال وعند ذلك نهرب معها الى الخارج ولكننا نسلمها الى اللجنة الثورية قبل ان نجتاز الحدود فندفعها الى الجلاد

قال والثروة

قال اقبضها حين اشاء بواسطة تلك الورقة ولا يسعني الان ان اوضح لك كل هذا اذ يقتضي له الوقت الطويل فقل لي اذا كان هذا المشروع يوافقك

قال اني اوافق عليه مبدأيا غير اني لا استطيع نيل ثقة تنوان الا اذا خدمتها وقضيت اغراضها

قال لا قد اصبت

قال ولا استطيع ان اسلمها اورور بنك

فانقدت عينا الشفاليه وقال كلا فانى افديها بنفسي

قال ولكن حنة

فارتعش الشفاليه وقطب حاجبيه دون ان يجيب

فقال له بيبي تامل ايها الصديق انها بنت الغرام وفوق ذلك فان لها نصف الثروة كما تقول

قال هذا اكيد

قال ذن لا يخلق بك الاعتراض على تسليمها فان لك في التخلص منها فائدتين فائدة الانتقام وفائدة الاستئثار بالمال

فاجابه الشفاليه ببرود ليس ما يعزيني على نذالتي غير امر واحد

قال ما هو

قال هو انك اشد نذالة مني

فقال له بيبي اننا فرسا رهان في هذا المضمار فاعلم الان انك اذا اذنت لي بتسليم حنه ظفرت بثقة تتوان بعد اسبوع

قال انى اتخلى لك عنها اذا كنت تتعهد لي بسلامه بنتي

قال انى اتعهد لك

قال ولكن كيف تفرقهما

قال ذلك سهل علي

قال اذن لتسقط تبعة دمها على راسك وانا بريء من دمها

ثم افترقا على هذا الاتفاق وقد قضي على جنة القضاء بالموت

وفي المساء تمكن بيبي من الاختلاء بالبومة ومحادثتها فقال لها ان غدا موعد الاحتفال الوطني تستغل سيدتك غدا

قال كلا فانها تخشى ان تشتغل في هذا اليوم حذرا من ان يشوبها

قال اذن ماذا تصنع

قالت تخرج للتنزه

قال اتعودت ان تصحبك معها

قالت بعض الاحيان

قال اذا دعتك غدا الى التنزه معها فظاهري بانك مريضة

قالت لماذا

قال كي تستطيعي الحضور الي فاني محتاج اليك لمحادثتك

قالت اتريد محادثتي فيما وعدتني به بشأن البنتين

قال دون شك

قال الملك فزت بالمراد

قال اني على وشك الفوز فاطمئني واعملي بما اوصيتك به

ثم تركها وصعد الى منزله فنام تلك الليلة نوما هادئا وهو يحلم بملايين ام روكامبول

١٨

تطرف الفرنساويون في خلال ثورتهم تطرفا عظيما فمحوا اثار الدين من البلاد وكان اشد نقمتهم عليه حتى انهم غيروا اسماء الشهور واستبدلوا نظام الاسبوع فجعلوا ايامه عشرة ايام ثم جعلوا اليوم الاخير من اسبوعهم يوم عيد يعتزلون فيه الاشغال ويقفلون الحوانيت كما كانوا يفعلون في ايام الاحاد في عهد الملكية والويل لمن كان يجسر على العمل او على فتح دكانه في ذلك اليوم فانهم كانوا يتهمونه بالمروق من الوطنية والزيغ عن مبدأ الجمهورية فلا يكون نصيبه غير الاعدام

ولذلك كان هذا اليوم في فرنسا يشبه ايام الاعياد الكبرى في لندرا فلا يبقى في منزله غير العليل ويخرج الناس افواجا الى المتنزهات يهنيء بعضهم بعضا بما نالوه من نعمة المساواة والحرية

ففي ذلك اليوم تاهبت جوزفين الفسالة وزوجها للخروج الى النزهة بالاحدب والاختين وامرت جوزفين خادمتها البومة ان تسير معهم فتمارضت كما ارشدها بيبي وابت الخروج معهم

فنصحتها جوزفين قائلة انك اذا بقيت في الدكان اعدموك

قالت لا خوف علي فاني سالزم الفراش الى ان تعودوا

قالت ولكن احذري من تفتحي باب الدكان واذا اردت الخروج فاخرجي من النافذة

ثم ذهبوا فتأبط الاحدب ذراع اورور وزوج جوزفين ذراع حنة

وسارت جوزفين وراءهم

اما البومة فانها لم تكد تراهم قد انصرفوا حتى اسرعت الى نافذه ووقفت تنظر منها الى منزل بيبي

فلم يطل انتظارها فان بيبي ظهر من نافذة غرفته وراها فاشار لها ان تحضر اليه

وبعد هنيهة كانت عنده فقال لها الا يوجد احد الان في الدكان

قالت كلا

قال الديك مفتاحها

قالت انها مفتوحة

قال حينما حضرت الاختان اليكم الم يكن معهما امتعة

قالت نعم فقد احضرت كل منهما حقيبه

قال اعرفت ما فيهما

قالت نعم فاني رايت في احداهما ثيابا ورسائل ولكني لسوء حظي ما تعلمت القراءة

قال ولكني اعرف القراءة استطيعين ادخالي الى الدكان

قالت دون شك

قال هل الحقيبتان مقفلتان

قالت كلا فانهما قديمتان وقد كسرت اقفالهما

قال اذن هلمي بنا

وعند ذلك خرج بيبي بها الى الدكان ففتحها ثم اقفلت ابها من الداخل

وصعدت به الى المرتفع الخشبي الموجودة فوقه الحقيبتان ففتحهما بيبي واخرج من احداهما ثلاث رسائل معنونة باسم بنوات ففتح الكتاب الاول فقرأ فيه مايأتي

(عزيزي بنوات

وصلت امس الى الفرقة وانتظمت في سلكها عند الظهر وقد ذهبنا الى جهة الرين . مثق ايها الصديق الوفي اني متأثر لفراقك وان بكاء حنة العزيزة ساعة فراقي اضعف عزيمتي حتى كدت ارجع عن السفر)

ولم يتم بيبي قراءة الكتاب بل اسرع الى النظر في الامضاء فقرأ هذ الاسم (داغوبير) يعطي سابقا)

وقد ورد في هذ الكتاب اسم حنة كثيرا ولم يقرأ فيه كلمة عن اورور ولكن بيبي لو عرف ان يقرأ بين سطوره لعلم ان دغوبير انما كان يحب حنة حب اخاء وانه يحب اورور بغير هذه العاطفة ولكنه استنتج من قراءته ان لحنة عشيقا وان عشيقها الجندي داغوبير

ثم فتح الكتاب الثاني وكان تاريخه بعد تاريخ الكتاب الاول بستة اشهر فعلم منه ان داغوبير الجندي بات قائدا وان معظم الكتاب كان عن حنة ولا كلمة فيه عن اورور

اما الكتاب الثالث فقد كان ملوءه الرجاء بالمستقبل فان داغوبير ذكر فيه بنوات بنبوة تنوان النورية حين قالت له انك ستلبس الثياب المذهبة وتكون من كبار الرجال

وكان هذا الكتاب كالكتابين السابقين لم يذكر فيه غير حنة فكيف

يخطر لقرائه ان داغوبير يحب اورور وانه لا يرجو ان يغدو حبيبا الا ارضاء لها

فلما اتم بيبي تلاوة هذه الرسائل الثلاث قال للبومة متى ترجع سيدتك فيما تظنين

قالت انهم لا يرجعون قبل الغروب

قال اذن اصغي الى ما اقول فاني اريد ان تبقي هنا

قالت سابقى

قال اتعديني انك لا تخرجين من الدكان وتنتظريني فيها

قالت كف ذاك العلك تريد الانصراف

قال كلا ولكني ذاهب الى غرفتي

وكان بيبي قد وضع الرسائل في جيبه فقالت له وهذه الرسائل

قال سارجعها لي موضعها عند عودتي

قالت العلك محتاج اليها

قال نعم فساستعين بها على قتل البنتين

فسرت البومة بذلك وامتنعت عن الاعتراض وعاد بيبي الى غرفته فجعل ينسخ هذه الرسائل نسخ المعلم حتى اتقن تقليد خط داغوبير

وعند ذلك نظر الى تقليده نظرة رضى وقال في نفسه لا شك عندي الان ان حنة وداغوبير متعاشقان وقد وعدته طريقة فصلها عن اختها اورور والقائها في قبضة النوريين ثم اقفل باب غرفته وعاد الى البومة وهي تنتظره بفارغ الصبر لتعلم متى يصدر الامر باعدام الاختين

١٩

وفي اليوم التالي لحفلة العيد ذهب بيبي الى المحامي د . فقال له لقد بانت احدى البنتين في قبضة يدي

قال والثانية

قال لا تغدو في قبضتنا الا بعد بضعة ايام

قال لماذا

قال لانها ليست في باريس ولا يسعني التصريح لك الان كيف انهما افترقتا بعد ان جاءتا معا ولكن ثق اني ساقبض على الثانية كما ظفرت بالاولى ومرني بماذا يجب ان اصنع بالتي ظفرت بها

قال ان ذلك منوط بالظنونيا

قال اذن انا ذاهب للقبض عليها

قال نعم وانما يجب القبض عليها في الحال

قال هو ذلك ولكن لا يمكن ذلك قبل الغد اذ يجب اتخاذ الاحتياطات اللازمة لاني منذ توليت خدمة البوليس السري لم افعل شيئا علنا ولم يعلم احد من الشعب الى الان اني من رجال البوليس الخفي فانا سأصدر الاوامر بالقبض على الصبية وسيكون الثمان شانكم بعد القبض عليها الان فاسمح لي ان اتكلم بجلاء

قال ماذا تعني

قال اني علمت بعد البحث ان البنتين لم تحضرا من الخارج كما قالت انطونيا وليس لهما اتصال باللجنة الملكية وليس لديهما اوراق تثبت التهمة عليهما

فظهرت على المحامي علائم الجزع وقال ولكننا نستدارك الامر ونجد براهين التهمة

قال ان ذلك شانكم لا شاني فعلي ان اقبض عليها وعليكم ان يتهموها بما تشاءون ثم تراجع بقصد الانصراف وعاد فقال لقد بقي امر فاتني ان اخبرك به وهو اني لا اتولى هذه الامور وحدي وهناك نفقات لابد لي من دفعها لرجالي

ففتح المحامي درجا وقال لقد توقعت انطونيا هذا الطلب فعهدت الي ان اعطيك ما تحتاج اليه من هذه النفقات ثم اعطاه قبضة من الذهب فوضعها ببيي بجيبه وانصرف

وقد ذهب من عند المحامي توا الى خمارة في ذلك الشارع لم يكن فيها غير نفر قليل بينهم رجال يلابس العمال فجلس ببيي وطلب كاسا من الخمر ثم نظر الى ذلك العامل واشار اليه اشارة فاسرع الى تلبيته وجلس بجانبه وجعلا يتحادثان

فقال له ببيي افعلت ما اوصيتك به

قال نعم فاني اشتغلت في رصيف القاعة في نفس المكان الذي يشتغل فيه زوج الفسالة

قال لوايت الاحدب

قال نعم ونحن الآن صديقان فهل ما كلمت سواه كل هذا اليوم فتغدينا وتعشينا وتنزهنا في المساء معا

قال اذن اصغ لما اقول فانك تجتمع به غدا فتخبره ان رجلا عسكريا يدعى داغوبير قصدك وسألك اذا كنت تعرف الاحدب الذي يشتغل في القلعة فلما اجبته بالايجاب اعطاك هذه الرسالة التي ساكتبها كي تدفعها اليه

وعند ذلك طلب ادوات الكتابة فجاءه بها فكتب سطرا خط داغوبير ما يأتي

(ايها الصديق بنوات

اعطيت اجازة ثمانية ايام فاحببت ان اذهب في خلالها الى قريتنا ولكني رايتك من نافذة غرفة الفندق الذي انا فيه مرارا فاسرعت بالخروج من فندق للاجتماع بك فلم استطع ادراكك ولكني لقيت هذا الرجل حامل كتابي وقد رايته يسير معك وهو لا يعرف ان قلبي غير انه يشتغل معك فعهدت اليه بحمل كتابي اليك

انك ما زلت في باريس يا بنوات فلا بد لاحتياجك ان تكونا معك وانك تعلم اني احب ان ارى احداهما وهي التي احبها ولا بد ان يدفعني غرامها في سبيل التقدم والارتقاء فاغدو حرا لا في اقرب حين فعجل ايها الصديق بها غدا مساء الى فندق شامبنيا في شارع سانت اونوريه نمرة ٦٥ واسأل عني عند القائد داغوبير فقد اصبحت الآن من القواد!

ولا تعجب ايها الصديق اذا كنت قد سألتك المجيء باحدى اختيك

دون اخرى فانتا في زمن يجب فيه الحذر شديد وهما جميلتان حتى ان النظر اليهما لا يصدق انهما من القرويات وذكرهما معا تهمهما بالنيل ولذلك ارجوك ان تاتيني غدا باحداهما وهي التي تعلم اني احبها وبعد غد تأتي باختها واسلم لصديقك القديم داغوبير)

ثم اعطاه الكتاب وقال له سلمه بيدك للاحدب وعند الظهر تظاهر انك مصاب بصداع اليم تتخذه حجة للخروج من المعمل ووافيني الى هذه الحارة حيث انتظرك في الساعة الرابعة

وعند ذلك افترقا وذهب كل في شانه

وفي اليوم التالي صدع الرجل بما اوصاه به بيبي ووضع الرسالة للاحدب بعد ان اتفق له ما علمه اياه بيبي عن التفاته بداغوبير

فاهتز الاحدب لهذا الكتاب وفتحه بيد تضطرب فوجد ان الخط خط داغوبير وسر سرورا عظيما لارتقاء صديقه الى مقام الوداد

ثم افترقا فعاد الاحدب الى عمله وهو يفكر في امر هذا الكتاب ويقول في نفسه انه لم يجسر على التصريح بحبه اورور الا بعد ارتقائه وهو يرجو الان ان يتزوجها لانه من بلغ هذا المقام لا يخيب اذا رغب بزواج اميرة فهنيئا له فقد برح الحب بهذا الباسل حتى انه اوشك ان يشنق نفسه لو لم ادركه

اما اورور فانها تحبه كما يحبها دون شك فاني اذكر حين كنا في القرية اني اخبرتها بورود كتاب من داغوبير فحمر وجهها احمرارا شديدا فضح امرها غير اني لا اعلم كيف انه طلب مقابلة اورور دون

اختها التي رباها واحبها كما يحب الاب بنته

ونعم انه وجد في الكتاب المزور ما يشير الى السبب في تجنبه مقابلة الاختين غير ان هذا السبب لم يقنع الاحدب وجعل ينتظر فرصة الفراغ من العمل كي يستشير زوج الغسالة

فلما اجتمعا اخبره بما خالجه من الريب فقال له اليس الخط خط داغوبير

قال دون شك

قال اذن لا سبيل الى الخوف والحذر واذا كان لا يريد مقابلة الاختين معا فلا بد ان يكون هناك سبب حمله على ذلك

قال قد تكون مصيبا ولكني ارجو ان تصحبني الى فندق سانت اونوريه فاني غريب عن باريس لا اعرف شوارعها

قال ماذا تريد ان تصنع في هذا الفندق

قال اريد ان استوثق من وجود داغوبير فيه فان الحذر محمود في كل حال

قال كما تشاء فهلم بنا

فسار الاثنان الى ذلك الفندق وسال بنوات بواب الفندق قائلا لا يوجد عندكم قائد

قال لدينا كثير من القواد فان اكثر القواد يقيمون في هذا الفندق

قال اني اسال عن قائد يدعى داغوبير وهو اسمر الوجه طويل القامة عريض المنكبين

الاختين غير ان هذا السبب لم يقنع الاحدب وجعل ينتظر فرصة الفراغ من العمل كي يستشير زوج الغسالة

فلما اجتمعا اخبره بما خالجه من الريب فقال له اليس الخط خط داغوبير

قال دون شك

قال اذن لا سبيل الى الخوف والحذر واذا كان لايريد مقابلة الاختين معا فلا بد ان يكون هنالك سبب حمله على ذلك

قال قد تكون مصيبا ولكني ارجو ان تصحبني الى فندق سانت اونوريه فاني غريب عن باريس لا اعرف شوارعها

قال ماذا تريد ان تصنع في هذا الفندق

قال اريد ان استوثق من وجود داغوبير فيه فان الحذر محمود في كل حال

قال كما تشاء فهلم بنا

فسار الاثنان الى ذلك الفندق وسال بنوات بواب الفندق قائلا الا يوجد عندكم قائد

قال لدينا كثير من القواد فان اكثر القواد يقيمون في هذا الفندق

قال اني سال عن قائد يدعى داغوبير وهو اسمر الوجه طويل القامة عريض المنكبين

وقد سمعه صاحبة الفندق فقربت منه وقالت من يسال عن القائد داغوبير قال انا قالت انه مقيم هنا ولكنه خرج منذ ساعة وربما تعشى مع

اركان الحرب

ثم نظرت اليه نظرة الفاحص وقالت له نت تدعى بنوات قال نعم قالت اذن فاعلم انه عهد الي ان اقول لك انه ينتظرك بين الساعة التاسعة والعاشرة فزال كل ريب من نفس بنوات وخرج من الفندق الى حيث كان ينتظره زوج الغسالة فسار واياه

٢٠

وفي الساعة السادسة ونصف صدرت جريدة المساء وانطلق الغلمان في الشوارع يبيعونها ويصيحون ذاكرين ما تتضمنه من المواد الخطيرة فكان احدهم يصيح قائلا اقرأوا النصر العظيم الذي نله الجنرال ليشاجري على النمساويين واخر يقول اشتروا هذ الجريدة واقرأوا تفصيل انتصار البطل داغوبير فانه دافع وحده عن جسر هاجمه الاعداء وصد هجماتهم

وقد كان يصيح هذا الصياح وهو مار بدكان الغسالة فسمعت اورور وحنة صياحه اما حنة فانها صاحت صيحة فرح واما اورور فان وجهها قد اصفر وخفق قلبها حتى خشيت ان تسقط على الارض وعند ذلك نادت حنة البومة وقالت لها اسرعي واشتري لنا عددا من هذه الجريدة

فخرجت البومة مكرهة ونظرت الغسالة الى الاختين وقد دهشت لاضطرابهما فقالت لهما ماذا حدث فقالت لها حنة يظهر انه حدثت معركة عظيمة وان داغوبير قد تكلل فيها باكليل المجد والانتصار

وكانت الغسالة قد عرفت داغوبير لكثرة ما كانوا يتحدثون عنه

امامها حتى ان البومة سألت مرة من هو داغوبير هذا فاجابها الاحدب انه ابن عمي وخطيب اختي اورور فاحمر وجه اورور ولم تعترض عليه

وبعد هنيهة عادت البومة بالجريدة فاخذتها حنة بيد ترتجف وقرأت تلك المقالة وهي تتضمن تقريرا ارسله الجنرال ليشابجري عن بسالة داغوبير النادرة وكيف انه صد وحده الاعداء عند مدخل جسر فكانت القنابل تتساقط حوله وهو واقف وقوف الجبال الرواسي لا يتزحزح عن مكانه

ولما اتمت حنة تلاوة المقالة نظرت الى اختها فرأتها تشبه الاموات لاصفرارها فالقت الجريدة وعانقتها وهي تقول ابلغ الحب منك هذا المبلغ فاحمر وجه اورور بعد الاصفرار وقالت لها اسكتي بالله

وفيما هما على ذلك دخل سيمون زوج الفساله والاحدب فقال لهم بنوات ماذا حدث ولمادا هذا العناق فاخذت حنه الجريدة وقالت له اقرأ تعلم

فقرأ بنوات المقالة فلما اتمها تنهد وقال لقد سهلت علي هـذه المقالة فاجيبكما بالخبر

قالت له حنة العلك عارف بخبر هذا الانتصار

قال اني لا اعني خبر الانتصار بل خبر وجود داغوبير في باريس وهو قائد حقيقة وسيرقي قريبا الى رتبة جنرال ثم اخذ من جيبه كتاب داغوبير المزور ودفعه الى حنة فلما قرأته ابتسمت وقالت اني موقنة من حبه لي ولكنه لا يعنيني بهذا الكتاب ثم دفعت الكتاب الى اختها اورور

فاخذته اورور وقراته ودنا منها بثوات وقال لها همسا كفى كيمانا يا سيدتي فانا واقفون على سرك منذ عهد بعيد وها هو الآن سيغدو جزءا

فقالت له بصوت مختنق كفى

قال سامتثل لما تريدين ولكنك ستذهبين معي اليه أليس كذلك

فسكتت اورور ولم تجب.

فقال لها اخاف اذا امتنعت عن الذهاب اليه ان يأسف لنجاته من معركة الجسر فاجابته بصوت يضطرب اني لا ادعه يأسف وساذهب واياك

وكانت علائم السرور بادية على وجوه الجميع ما خلا البومة فانها كانت تنظر الي اورور نظرات ملؤها الحقد وتقول في نفسها لا بد لي من اخبار بيمي بكل ما جرى فانهم يتحدثون عن قائد والقائد يستطيع انقاذها

ثم قاموا جميعهم الى العشاء وارسلت النساء البومة لشراء زيت فتمكنت اورور من اخفاء اضطرابها وقالت خفة والدموع تجول في عينيها لماذا لا يريد داغوبير ان يراني ايضا

فقال لها الاحدب انا اوضح لك السبب وهو ان شعر اختك اسود وشعرك اشقر لا يكون الا للنبيلات ولذلك خشي عليك

قال ولكني استطيع ستر شعري

فاعترضتها اورور قائله كلا يا اختي اذ يجب علينا ان نمنع ما يريده

داغوبير وسنعود به الى هنا اليس كذلك يا بنوات

قال دون شك فان القواد لا يعترضهم احد وهم يصحبون من يشاؤون

وعند ذلك عادت البومة بالزيت فقال لهم سيمون غيرو الحديث واحذروا فقد جاءت البومة

اما البومة فانها عادت وهي مفكرة مهمومة لانها كانت تخشى ان يفشل بيبي ويفوز النائد بانقاذ الاختين من الاعدام

واما بيبي فلم يضع الوقت عبثا فانه عاد الى المحامي دو فاخبره انه سيقبض في هذه الليلة على احدى البنين

فكتب المحامي الى المدعي العمومي يخبره انهم يقتفون اثر فتاة نبيلة وانصرف بيبي من عنده الى رئيسه بول اي الشفاليه دي ماريير

وكان الشفاليه ينتظره جازعا فقال له اني لم انم ليلة امس لخوفي على بنتي

قال اي خطر على بنتك

قال ولكن الاخرى

قال الم تاذن لي بالقبض عليها العلك بت تحبها

فتنهد الشفاليه وقال كلا ولكن بنتي تحبها واخاف ان تقتلها الحزن عليها

قال ان النساء لا يقتلهن الحزن فانهن يبكين والدموع كفيلة بطول العمر

نفسه ليبلغ ما يشاء من الرقي شرط ان لايحول دون القبض على الصبية ثم ذهب الى منزله فنام مطمئنا

٢١

اما بنوات واورور فانهما ذهبا الى دعوة المتنكر باسم داغوبير فكانت علائم لسرور بادية في محيا الاحدب خلافا لاورور فانها كانت مضطربة تقدم رجلا وتؤخر اخرى

ولم يكن اضطرابها لانها كانت تتوقع مصابا بل لانها نهجت مناهج الطيش والخفة بذهابها الى داغوبير وان ذهابها اليه في مثل هذه الدعوه يعد بمثابة اقرارها بحبه

ونعم انها كانت تهوى داغوبير على ما كان بينهما من تباين المقام فانها حين عشقته كانت في مقام النبيلات وكان بيطريا غير انه ارتقى بعد ذلك الى مقام القواد وهي منزلة تعادل منزلتها ولكنه ابن يومه في النبل وهي ابنة مئات من الاعوام

وللغرام سلطان جائر على القلوب فهو لا يرقى اليه على سلم الانساب فاندفعت اورور في حب داغوبير اندفاعا شديدا ولكنها عولت على دفن سرها في نفسها حتى انها كتمته عن اختها وقد وجدت الان ان صبرها خانهم وسارت الى لقاء داغوبير كانها تقول له لقد اتيت اليك لاني احبك

وكانت تمشي مشية المضطرب وهي تفكر في منهجها الى ان كبر عليها الامر فوقفت فقال لها بنوات ما بالك يا سيدتي قد امتنعت عن السير

قالت اني خائفة يا بنوات

قالت وانت يا سيدتي

فاضطرب بنوات وقال مما الخوف

قالت لا علم ولكن يا بنوات تجد من اللياقة وحسن السلوك ان اذهب الى داغوبير وعندي انه خير لنا ان تذهب انت الى القائه وتعود به الينا

قالت اما انا فاعود وحدي ولا اضل الطريق

ففكر الاحدب بما يكون من كدر صديقه داغوبير اذا راه قادما اليه وحده فقال لها اصغي الي ياسيدتي انك تعرفين حق العرفان ما يكنه قلب داغوبير من احترامك فلو لم يكن لديه سبب عظيم دفعه الى دعوتك لما دعاك ومن يعلم فقد يكون لديه سر يريد ان يبوح لك به دون ان تعلمه حتة ولا يسعنا استغراب منهجه في مثل هذا الزمن الذي نحن فيه

فلم تجد ادرور ما تدفع به برهان الاحدب وقالت له اذن هلم بنا فسار الاثنان وقلبها لا يزال يخفق خفوق اجنحة الطائر حتى وصلا الى الفندق المقيم فيه داغوبير

ولما وصلا اليه استقبلهما البواب وقال لهما انهما اللذان ينتظرهما القائد داغوبير

فقال له الاحدب نعم فهل القائد في غرفته

قال اصعدا الى الغرفة الثالثة

فصعدا حتى اذا وصلا اليها قرع الاحدب بابها فاجابه صوت من الداخل يقول ادخل

فارتعشت اورور وقالت ليس الصوت صوت داغوبير يابنوات وقد اخطأنا دون شك ثم همت بالرجوع لكن باب الغرفة فتح في الحال وبرز منها رجل بملابس الجنود فقال لهما تفضلا بالدخول

قال اننا نريدان نرى القائد داغوبير

قال هذه هي غرفته

فدخل الاثنان وسألاه عن داغوبير فقال لهما انه سيحضر في الحال وانصرف عنهما الى اقاد النار في المستوقد

غير انهما لم يطل قيامهما حتى فتح باب الغرفة دون استئذان ودخل منه رجل بملابس القواد فذعر بنوات اذ راي انه ليس داغوبير وذعرت اورور اذ ايقنت بحدوث مصاب

اما الجندي فانه التفت اليهما وقال لهما هذا هو قائدي

فجمد الدم في عروق الاحدب ودنت اورور من هذا القائد فقالت له يظهر ياسيدي انك مخطيء وانا مخطئان ايضا فاننا قادمان لزيارة القائد داغوبير

فابتسم القائد وقال لا حاجة الى فحص يديك ياسيدتي لمعرفة حقيقة مولدك فان لهجتك في حديثك تنم عليك وتثبت انك من النبيلات واعلى اذن ياسيدتي انك انت هي السيدة التي انتظرها

فنسيت اورور موقعها ونظرت اليه نظرة ملؤها الانفة والكبرياء وقالت تنتظرني انا

وضم بنوات قبضته ووقف وراءها كي يحميها وهو يحاول الموت في سبيلها

اما القائد المتنكر فانه ابتسم ايضاً وقال لها اسألك العفو يا سيدتي فاني لا ادعى داغوبير بل برنات وما انا من القواد لعامل من عمال البوليس افهمت الان .. انهم يا سيدتي قد نصبوا لك شركا فوقعت به ويسؤني ان اقبض عليك مكرهاً فانك اجمل من رايت بين النساء

فاصفر وجه حنة وقالت له انهم يا سيدي قد عهدوا اليك القبض علي ولكنهم لم يعهدوا اليك اهانتي

فصاح بنوات صيحة اجفل لها البوليس وقال وهو يتهدد البوليس بقبضتيه انهم يقبضون عليك بعد سفك دمي

ثم حاول ان يهجم عليه ولكنه قبل ان يصل اليه فتح الباب ودخل منه اربعة رجال مدججون بالسلاح فقال لهم البوليس اقبضوا على هذا الرجل وفتشوه

فهجموا عليه والقوه الى الارض فجردوه من سلاحه واوثقوه

اما اورور فانها كانت واقفة تنظر الى ما يجري حولها بملء العظمة ولم تقل غير كلمتين وهما . سكينة اختي

ولما فرغوا من تقييد الاحدب دنا منها البوليس وقال لها تفضلي يا سيدتي وتابطي ذراعي فاني لا احب ان تمسك ايدي رجالي

فقالت الى اين تذهب بي

قال الى الدير اى الى سجن النبلاء

قالت هلم بنا ثم تأبطت ذراعه وسارت معه وهي تكرر قولها .. سكينة اختي

وقد خرجت منه غير مكترثة لما تلاقيه فوضعوها مع الاحدب في مركبة فسارت بهما الى السجن .

وكان الاحدب بيّن انيناً مزعجاً وهو مقيد اليدين الرجلين مكموم الفم لا يستطيع الدفاع عن اورور فكان الجندي الجالس بجانب السائق يسمع انينه فيقول ان هذا الابله لا يعلم اننا سنطلق سراحه في الصباح وما راعني غير هذه الفتاة فان الجمهورية لم تقتل بعد اجمل منها وهي سائرة الى الموت سير الهادىء المطمئن كانها ذاهبة الى حفله راقصه

٢٢

ولنعد الان الى شخص من اعضاء هذه الرواية تركناه منذ حين وهو بوليت الذي اراد الاعتداء على اورور في خمارة كوكليس فسقط في القبو ثم هرب منه فلقيته ام روكامبول في الطريق واخذته بمركبتها الى منزلها

وقد تقدم لنا انها اشترت منه المدالية التي فقدتها اورور ولقيها وعلمت منه حديث الاختين كما انها علمت منه انه فتن باورور فقالت في نفسها ان الاحتفاظ بهذا الرجل ايفيدني فانه اذا كان يهوى اورور فلا بد له ان يجدها واذا ارسلت من يقفو اثرها علم موضع البنتين ولاجل هذا حفظته عندها

اما بوليت فانه اقام في منزلها نحو عشرين يوماً ففي صباح يوم طلب ان يرى تنوان فقابلها واخبرها انها اثقلت كاهله بجميلها وانه لم يعد له بد من الانصراف

اما تنوان فانها ادركت قصده فقالت له الحق انك لا تزال مفتوناً باورور وانك تريد البحث عنها

قال هو ذلك يا سيدتي ولا بد لي ان اجدها واجعلها امرة بوليت وان تكن من الاعيان

وكانت تنوان معتمدة عليه في اقتفاء آثار البنتين كما تقدم غير ان الحوادث اضعفت قوة اعتمادها فان المحامي دوسيبير اعتمد على بول اي على الشفاليه دي مازير بدلا من ان يعتمد على بوليت والشفاليه عهد الى بيبي بالبحث عن البنتين وبيبي تعهد بايجادهما بعد يومين فلم تبق حاجة الى بوليت

ولذلك نفحته تنوان بشيء من المال وقالت له ابق الان عندي فقد عهدت الى قوم اشداء حاذقين بالبحث عن البنتين وقد وعدوني بالمجيء الي حين يقفون على اثرهما فرضي بوليت بالبقاء مكرها

وفي المساء جاءها المحامي واخبرها ان البوليس ظفر باحدى البنتين وانه ان يدعي الاخرى ليست في باريس

قالت اي البنتين قبض

قال على الشقراء صاحبة الرسم

قالت ولكن كيف اتفق ان الثانية ليست في باريس

قال لست اعلم ولكن الذي اراه انه خاب سعيا في البحث عنها فادعى انها ليست في باريس

فافكرت عند ذلك ببوليت وقالت لدي مساعد يعينه على ايجادها

وفي اليوم التالي دعت بوليت اليها وقالت له انك تعرف باريس حق المعرفة واريد ان تشترك مع رجالي في البحث عن البنتين

قال كيف ذلك لم يجدوهما بعد

قالت لقد ظفروا بالمدعى وهي شقراء صاحبة الصورة

قال اذا كان ذلك فانا سأظفر بالثانية فانها التي اهواها

قالت هذا الذي خطر لي وساعطيك كتابا الى احد اعواني وهو يهديك الى الذي يبحث عن البنتين فتنضم اليه وتشتركان في البحث ثم كتبت الى المحامي ما يأتي

(اني مرسلة اليك غلاما من غلمان باريس فاستخدمه في البحث عن الفتاة واعلموا انه عاشق لها)

وبعد ان طوت الكتاب وختمته القته الى بوليت وامرته به الى المحامي فقراه المحامي ثم اعاد ختمه وارسله به الى بيير مدلان ارشده الى منزله وبعد الى دكان الغسالة فانهم صبروا الى منتصف الليل دون ان يقفوا لعدم عودة الاحدب وارورو لاعتقادهم ان داغوبير اخرهما عنده

ثم دقت الساعة الثانية ولم يحضر فاضطربت حنة واشتد قلق الغسالة وزوجها واتفقوا على ان يذهب زوج الغسالة الى الفندق يسأل عنهما فيه

فذهب سيمون الى الفندق وعاد بعد ساعة وهو مصفر الوجه مضطرب الحواس فاخبر امراته وحنة ان ابوليس قبض على اورور والاحدب وذهب بهما الى الدير

فقالت له حنة ما هذا الدير

قال ان الدير يا سيدتي سجن النبلاء

فذعرت حنة ذعرا شديدا في البدء ثم استرسلت الى البكاء والشهيق

وجعلت تصرخ وتنادي اختها فاضطروا الى قفل الدكان حذرا من ان يسمع الجيران صياحها فينفضح امرهم

وبقيت على ذلك الى الساعة الثامنة من الصباح فلما رأى سيمون انه لا حيلة له بها قال لها ان صياحك هذا يدفع بنا جميعنا الى المشنقة فهل تريدين ان تكوني السبب في اعدامنا فهدأت اثرها عند ذلك وكفت عن الصياح مقتصرة على البكاء والعويل

ولما رأت انفسها انه لم يبق خطر من صياحها فتحت الدكان وكانت الساعة قد بلغت التاسعة من الصباح فلم تمر بهم هنيهة حتى ابل الاحدب وهو يشبه المجانين لما اصابه من الاضطراب فحكى لهم جميع ما جرى

وكانت البومة قد رأت كل ما حدث وسمعت كل ما جرى فقالت في نفسها لاخبرن بيبي بكل ما اتفق عساه يستفيد من هذه الانباء ولذلك وقفت في النافذة تراقب منزله حتى ذهبت زوجته فطارت لها من نافذة غرفته نسلت اليه دون ان يراها احد فاستقبلها بيبي وقال لها لقد حدث عندكم حادث جديد اليس كذلك

فذهلت البومة وقالت له انك عالم بما حدث

قال الم اعدك بان ارضيك

قالت انت هو الذي قبض عليها

فابتسم بيبي وقال لها اخبريني بما حدث عندكم الا يزالون يكونون اخبرني بكل ما اتفق

قالت بدء الحكاية ان الاحدب جاءهم ليلة امس بكتاب

قال انا هو الذي كتب الكتاب

قالت كلا بل ارسله قائد يدعونه داغوبير فلما اطلعوا عليه سارت احدي البنتين مع الاحدب

قال البنت الشقراء اليس كذلك

قالت كلا بل السمراء

قال انك مجنونة دون شك فان التي ذهبت مع الاحدب ولم تعدهي اء لا السمراء

قالت لقد قلت لك انها السمراء

فصاح بيبي صيحة منكرة وقال ويحك اجننت

قالت كيف اكون جننت وانا اقول لك الحقيقة ان التي ذهبت ولم تعد هي السمراء التي يدعونها مدموازيل اورور وان الاخت الباقية تبكي في المكان هي الشقراء التي يدعونها مدموزيل جنة

فاصفر وجه بيبي حتى اوشك ان يسقط ثم دفع البومة فجاءة وخرج من غرفته خروج المجانين وهو يقول في نفسه ويلاه يا افظع هذا الخطاء انهم سيقطعون رأس ابنة صديقي بول

ثم سار ركضا الى مركز رئيسه بول اي الشفاليه دي مازير فصعد درجات السلم اربعا اربعا حتى اذا وصل الى مكتب رئيسه لم يجده فيه وذلك ان الساعة كانت السادسة وهو لا يحضر قبل السابعة

فكاد بيبي يجن من اشفاقة على اورور ولم يجد وسيلة للقاء الشفاليه كي يسعى في انقاذ ابنته قبل فوت الاوان فان هذا الشفاليه كان يبالغ في

التكلم حتى ان بيبي نفسه لم يكن يعرف منزله على ما بينهما من الصداقة فاضطر ان ينتظر في المكتب على احر من الجمر

وبعد هنيهة جاءه بريدات الذي قبض على اورور فاخبره بما فعله في الليل وكان بيبي لا يزال له امل ضعيف بان تكون البومة مخطئة غير ان بريدات وصف له الفتاة التي قبض عليها فزال من قلبه كل شك وايقن انها اورور

فنظر بيبي الى الساعة واقام ينتظر وهو يشبه المجانين ثم خرج ووقف في الشارع ينتظره حتى راه مقبلا فتصدى له ووقف امامه وقوف البله فاضطرب الشفاليه وقال له ماذا حدث

فاجابه بصوت مختنق اني شقي ابله لا عقل لي

قال ويحك كيف ذلك

قال اني اخطأت خطاء فاضحا . يجب الاسراع بانقاذها وعدم اهدار لحظة

قال من الذي تريد ان انقذها منه

قال كلا بل اورور بنتك

فرجع الشفاليه منذعراً الى الوراء كانه اصيب بسهم في صدره وقال ابنتي

قال نعم فقد قبض عليها خطاء بدلا من اختها ولا يجب ان نضيع دقيقة فان محاكمتها ستبدأ

غير ان بيبي لم يتم حديثه فان الشفاليه صعق وسقط على الارض

لا حراك فيه فبذل بيي جهده في سبيل ايقاظه فلم يفلح

فازدحم الناس حوله واسرع احدهم فنادى طبيبا فلما فحصه قال انه لم يمت ولكنه اصيب بسكتة دماغية

ثم جعل يفصده وفيما هو يفصده والناس من حوله شعر بيبي ان يدا تلمس كتفه فالتفت فراى رجلا من اهل الشارع وكانت علائم الياس بادية على وجه بيبي حزنا على صديقه فقال له الرجل ان هذا الذي تعالجونه وتشفقون عليه هذا الافاق رئيس البوليس السري

فانكر بيبي وقال له اني لا اعرف هذا الرجل

فقال له ايها المخادع لقد فضح امرك فلا تحاول الكتمان

فلم يكن وقع الصاعقة اشد على بيبي من افتضاح امره لدى سكان الشارع الذي يقيم فيه فنسي صديقه الشفاليه ونسي ابنته اورور وهرب من ذلك المكان وهو لا يلوي على احد

٢٣

ولنتبع الان اورور من حين ساروا بها في المركبة الى الدير فنقول. ان الاشراف في ذلك العهد كانوا يسجنون في دير حوله اهل الثورة بعد ان فتكوا برهبانه الى سجن فجعلوا يسجنون فيه كل من يعثرون به من النبلاء الى ان يحين موعد محاكمتهم فلا يخرجون منه الا الى ساحة الموت ومع ذلك فقد كانوا يضحكون فيه ويرقصون ويغنون كانهم في حفلة عد على عرفانهم بسوء مصيرهم

وكان في كل صباح يدخل السجان الى ذلك الدير وبيده قائمة باسماء

الذين دنت ساعة قتلهم من ارباك المسجونين فيتلوها عليهم وهم سكوت حتى اذا فرغ من تلاوتها خرج جميع الذين تليت اسماؤهم من صفوفهم فتبعوا السجان دون ان يتذمروا بكلمة بل كانوا يتبعونه مبتسمين وهم يعلمون انهم لا يرجعون فيضعهم في مركبة خاصة وتسير بهم الى ساحة الاعدام

وقد كان المسجونون يتألمون لمفارقة اخوانهم وتبدو عليهم علائم التأثر الشديد ولكنهم لا يلبثون ان يتوارروا عن انظارهم حتى يعودوا الى ما كانوا فيه من الضحك واللعب

وقد اتفق في يوم انهم كانوا يتحدثون وبينهم فتى يقص عليهم السير والاحاديث وهو غير مكترث لما يتوقعه من الموت فقال ضابط من حرس الملك ان الكونت لوسيان لا يهتم لامر كانما هو في مامن من الموت

فاجابه لوسيان وكان نفس الكونت لوسيان دي مازير ابن عم اورور من يخاف الموت ايها الصديق فانه الموت ومن يسام الحياة يحيى وقد كان هذا شأني حين قبض علي ودخلت الى هذا السجن فاني كنت اعتقد اني ساقتل بعد اسبوع وها قد مضت الاسابيع ولا ازال في قيد الحياة

قال اتظن انهم نسوك

قال كلا بل اظن بما تعهدوا به لي انهم وفوا

قال من تعني

قال الذين تعهدوا بانقاذي

فضحكت دوقة كانت تسمع الحديث وقالت ما هذا المزاح يا كونت

قال لست بمازح يا سيدتي الدوقة

قالت اذن كيف تكون من حزب الملكية وكيف تطمع ان ينقذوك

قال هي الحقيقة يا سيدتي

فالت اذن لا بد ان يكون لك اتصال باولئك الجمهوريين الثائرين واني وثر الف موت على ان يكون لي بهم اتصال

فقال لها لوسيان النمس من سيدتي ان تاذن لي بالتصريح فتعلم انها ظلمتني بشكواها وانا لا ازال اقول انهم وعدوني بالانقاذ

قالت الا تزال تتعرف

قال هو ذاك ولكني لم اقل ان الجمهوريين سينقذونني

فهزت الدوقة راسها وقالت ونحن ايضا وعدنا اصدقاؤنا بانقاذنا

فقاطعها لوسيان قائلا اني لم اقل ياسيدتي اني معتمد على اصدقاء

قال اذن انت معتمد على الاعداء اي على الجمهوريين

قال كلا ياسيدتي

قالت اذا كان الذين سينقذونك ليسوا باعداء ولا اصدقاء فمن هم اذن

قال انهم من التجار فقد تولت حمايتي شركة غايتها انقاذ كل نبيل يتهدده الموت وقد اندفعت بالقول فلم يبق بد من التصريح

فصاح الجميع قائلين تكلم تكلم واحتشدوا حوله يسمعون الحديث الغريب

فقال لهم لوسيان اريد منكم ان تتعهدوا لي بامرين قبل ان ابدء

الحديث احدهما ان اتكلم بصوت منخفض والاخر ان نمهلني بكتمان فعل الامر اذا اتيح لكم النجاة من هذا السجن

فقال له مركيز شينج تعهد لك بالنيابة عن الجميع اي امرنا

فبداء لوسيان حديثه فقال . تعلمون ايها السادة اني كنت من حراس الملك وقد جاولت مع رفاقي انقاذه من الموت فلم نفلح ففي يوم مقتله هرب جميع رفاقي الى البلاد الاجنبية اما انا فقضلت البقاء في باريس

وكنت اعرف حلاقا من اورليان فتنكرت بزي غلمان الحلاقين وبعلت اخدم في دكانه حقنا لدمي ففي مساء ذلك اليوم الذى امتهنت فيه هذه المهنة قال لى الحلاق هلم بنا الى قهوة لمساواة نشرب فيها كاسا من الخمر قبل الطعام فذهبت واياه وكانت تلك القهوة ملعبا للقمار فان الجمهورية اذنت لرعيتها ان يقامروا عملا بمبداء الحرية فوجدت هناك كثيرا من الناس يقامرون وقد ابيضت وجوه واسودت وجوه وباتت مائدة اللعب مغطاة بالذهب

وقد رايت بين هؤلاء اللاعبين ومعظمهم من العوام شابا يناهز الثلاثين من عمره يمتاز عن اولئك اللاعبين بالرشاقة ولطف السمة فكان يلعب بعنف لعب القانطين

فوقفت اتفرج عليه وقد راعتني خسارته وحسرته فما زال يقامر ويخسر حتى خسر اخر ليرة معه فرايته قد اضطرب اضطرابا شديدا وتجهم وجهه فنظر الى الذهب الملقى على المائدة نظرة وداع ثم تنهد تنهدا طويلا وخرج فجاءة من القاعة

وقد اثر بي منظره تأثيرا شديدا فتبعته وانا لا اعرفه ولا ادري ما يدعوني الى اتباعه فرايته جالساً على كرسي عند باب القهوة وقد وضع راسه بين يديه فخيل لي انه يبكي

فدنوت منه ولمست كتفه فالتفت ونظر الي نظرة قلقة وقال لي ماذا تريد مني اني لا اعرفك

قلت وانا لا اعرفك ايضا ولكني رايتك تلعب وعلمت ان خسارتك افضت بك الى اليأس

فاجابني بصوت اجش لقد اصبت

قلت اني حلاق فقير ولكني قبضت اجرة الشهر فهل تريد ان سلفك شيئا من مالي

فتقدت عيناه بشعاع الامل وبرقت الدموع منهما فقال لي انت تسلفني نقودك

قلت دون شك ثم اخرجت من جيبي قطعتين من الذهب ودفعتهما اليه فخطفهما بيد تكاد تشنج واسرع بها الى مائدة اللعب فاقتفيت اثره لاعلم ما يكون من امره

وهناك رايت عجائب الصدفة وغرائب القمار فان هذا الرجل وضع الليرتين دفعة واحدة وهو قانط فكسب فوضع الاربعة فربح فاخذ اثنتين ولعب بالستة فغنم فانتشت روحه وجعل يلعب لعب الواثق من حسن طالعه فما لعب مرة الا كان من الرابحين بحيث لم يمر به ربع ساعة حتى بات الذهب اكداسا امامه

فكنت انظر اليه نظرة لمشفق واقول في نفسه انه لا بد ان يخسر ما كسبه لفرط ما لقيت من اقدامه في المقامرة غير اني اخطات فانه نظر الى الذهب المتكدس امامه وحسب مقداره بوجه التقريب فنهض فجاءة فافرغ جميع ما كان امامه في قبعته وخرج من القاعة بعد ان اشار الى ان اتبعه فتبعته الى غرفة في القاعة فبسط الذهب على مائدة وقال لي هلم بنا نقتسم

قلت كلا ان هذا لا يكون فانت الربح ولمال مالك

قال كما تشاء ولكنك تمشي معي

وكان يتكلم بلهجة تدل على اضطراب شديد فدفعني الفضول الى معرفة امره وقبلت دعوته الى العشاء فذهبنا معه الى احد الفنادق وهناك حسب ما ربحه فبلغ ستماية ليرة فاشرق وجهه بنور البشر وقال لقد نلت اكثر مما احتاج اليه ثم نظر الي نظرة الفاحص وقال اراني من ملامحك ما يدل على انك لست من عوام الناس وانك لم تلجأ الى موسى الحلاق الا فرارا من موسى الجمهورية وغاية ما ارجوه منك ان تخبرني الحقيقة فاني انا ايضا من الاشراف ولاني اعيش الان بالجمهورية ورجالها فقد بات عندي ضعفا قيمة فديتي

فشككت في امر هذا الرجل وخشيت ان يكون هذا الربح الجزيل اضل صوابه وكانه ادرك سبب فاتسم وقال لي كلا ايها الصديق لست بمجنون كما توهمت فاصغ لي تعلم حقيقة امري اني ادعى المركيز دي بوبين ولا انكر عليك خوفي من ان تصيبني الجمهورية بما اصابت حولنا النبلاء فتتركت هربا من القتل وقد كان ياسي شديدا حين خسرت اخر ما

ما لدي ولولا هذا الربح لكنت خسرت في اول يوم يقبضون علي به

فهجت لامره وقلت له اترجو ان يحميك هذا المال من نقمة الجمهورية

قال دون شك والان توسل اليك ان تخبرني اذا كنت حقيقة من البلاء واذا كنت تخشى ان ينالك انتقام الثائرين

قلت ماذا يهمك ذلك

قال كيف لا يهمني وانا مدين لك بحياتي ويجب علي انقاذ حياتك

قلت بالله اسرع بالايضاح فاني لا افهم شيئا مما تقول

قال اذن فاسمع انه يوجد في باريس جمعية سرية تاسست في بدء الثورة وغايتها وقاية اعضائها من القتل فكل من دفع لها ستة الاف فرنك يكون من البلاء بمحل وسافر كيف شاء وهو في مأمن من القتل حتى انه قد يقبض عليه ويحاكم ويحكم عليه بالاعدام ولكن يد الجلاد لا تبلغ اليه

واني اعلم انك غير مصدق لما اقول ولكني اقسم لك اني لا اقول غير الحق واستطيع ان ابرهن لك على صدقي بان اصحبك فتحضر الجلسة التي يعقدها صاحب القناع الاحمر فان هذا اللقب لقب ايضا هذه الجمعية السرية وكل من اشترك بها تقنع بهذا القناع فتعال معي فاني ذاهب اليها لادفع قيمة اشتراكي لان المهلة التي منحوني اياها تنتهي اليوم فاذا تاخرت عن الدفع تخلوا عني

فزاد عجبي من هذه الالغاز وقلت هلم بنا

ولما فرغنا من العشاء ذهبت واياه الى منزل مظلم في شارع موانو فقرع بابه ثلاثا ففتح له فاخذ بيدي ودخلت واياه الى رواق مظلم انتهينا

منه الى باب اخر فقرعه ايضا قرعا خساصا ففتح رتاج الباب وظهر منه نور ثم سمعنا صوتا يقول من القادم فاجابه رفيقي قائلا (ان هذا اليوم يوم الدفع)

فقال له الصوت كم أحضرت من المال قال ستة الاف فرنك قال اذن انتظر فسافتح لك ثم اقفل الرتاج فاحتجب النور وساد الظلام

ولما بلغ الكونت لوسيان دى مازير في حكايته الى هذا الحد قاطعه لمركيز دى بلموزان فقال ايها السادة السيدات اني لا اصدق كلمة من حديث الكونت دي مازير ولكني اعترف انه حديث مفكه يشبه حكايات الف ليله وليلة ولعله مقتبس منها

فقال له لوسيان انت مخير ياحضرة المركيز في عدم تصديق ما ارويه ولكني ارجوك ان تدع الاخرين على اعتقادهم الى ان اتم حكايتي ثم مضي في حديثه فقال له انه حين اقفل ألرتاج وساد الظلام صبرنا عدة ثوان ثم فتح الباب فانكشف لنا عن رواق طويل ورايت على يمينه مكتبا يشبه مكاتب لبيع التذاكر في التياترات

وعند ذلك سمعت نفس الصوت الذي كلمنا من وراء الباب يقول مخاطبا المركيز ما هي نمرتك فاجابه لمركيز قائلا ١٠٩ ففتح الرجل دفترا ضخما فقلب اوراقه ثم قال بعد الفحص هو ذاك وانك مديون بستة الاف. قال لقد احضرت المال المطلوب قال لقد احسنت لانهم قرروا القبض عليك غدا اما وقد احضرت المال قبل فوت الاوان فلا خوف عليك

ثم رايت نافذة فتحت من ذلك المكتب وبرز منها رجل مقنع فاظهر

الدهشة حين رانا وقال كيف ذلك انت قادما وحدك . قال كلا فقد جئت بصديق يريد ان يكون من اعضاء الجمعية وهذه ستة الاف فرنك عنه قال ولكن هل لصديقك سبب خطير يدعوه الى الدخول في جمعيتنا فرايت علائم القلق قد بدت على محياه لانه لم يكن يعرف اسمي فاسرعت واجبته اني ادعى الكونت لوسيان دي مازير فقال لي الرجل المقنع الديك ما يثبت نبلك واسمك الذي تسميت به

وكانت صورة ابي معلقة في عنقي وقد نقشت تحت الرسم شارة اسرتنا فنزعتها من عنقي ودفعتها اليه فنظر الى الشارة ثم ردها الي وقال انك احوج الناس الى مساعدتنا يا سيدي

وكان المركيز في خلال ذلك اخرج الذهب من جيبه ووضعه على قطعة من البلاط صفوفا فعده الرجل المقنع وقبضه فوضعه في صندوق ضخم ثم كتب ما يأتي

(ان الكونت لوسيان دي مازير دفع ستة الاف فرنك اليوم في ٢١ (يناير عند منتصف الليل ونحن مسؤلون عنه مدة العام الحاضر)

وبعد ذلك اعطاني قناعا من المخمل الحمر مثل قناعه وقال لي اني انا وحدي اعرف اسمك واما بقية الاعضاء فلا يجب ان يعرفوا اسمك الا حين تكون معرضا للخطر وهذا نظام جمعيتنا فلا يعرف بعضنا بعضا وذلك لان اراءنا مختلفة فمنا الملكيون ومنا الجمهوريون ومنا المعتدلون بينهما

فدهشت لقوله وقلت ايوجد بينكم جمهوريون

قال دون شك فانهم يفيدوننا اعظم فائدة وليست جمعيتنا سياسية بل

هي جميعه غرضها التهوين على مهاوله هذه المشنقة التي باتت تندر الجميع ولو كانت سياسية لكنا انقذنا الملك من القتل

اما المركيز فانه قال لي تعال ايها الصديق فقد بدأت الجلسة فتقنعت بقناعي وسرت واياه في رواق كانت المصابيح معلقة في قبته حتى انتهينا الى باب قرعه المركيز ففتح له ونزلت منه الى قاعة تحت الارض كانت قبوا في ما مضى فوجد هناك منظرا ذعرت له وهو مشنقة اعتبروها مثالا لهم وفوقها مكتب الرئيس وهو مقنع كسائر الاعضاء

وقد افتتح الرئيس الجلسة فامر الرئيس ان يقرأ محضر الجلسة الماضية اما السكرتير فانه وقف وقال له يوجد امور خطيرة اولى من قراءة المحضر قال ما هي العل احد اعضائنا في خطر قال يوجد اثنان وهما نمرة ١٠٩ و ٧٠٥

ففتح الرئيس دفترا امامه وقال ان نمرة ١٠٩ لم يدفع فديته بعد فوقف الرجل الذي قبض المال من المركيز وقال انه دفع ما عليه منذ عشرة ايام قال حسنا ثم التفت الى السكرتير وقال له هل قبض عليه قال كلا قال هل هو بيننا فوقف فيقي المركيز وهو مقنع ايضا وقال نعم فقال له الرئيس اننا سنعطيك حوازا حين خروجك من هنا ونرسل معك من يصحبك الى الحدود

ثم فتح الرمل ايضا وقال ان نمره ٧٥ لم يدفع ما عليه فاجابه امين الصندوق هو ذاك وانه يطلب مهلة ثمانية ايام

قال اذن نقذه متى دفع قال ولكنه في السجن وقد يقطعون راسه غدا

قال ليس ذلك من شأننا فاننا لا ننقد غير من يدفع فديته

وعند ذلك اعترض لوسيان احد السامعين وقال هب اننا وثقنا بحديثك فهل تستطيع ان تثبت لنا ان هذه الجمعية انقذت احدا من الاعيان قال دون شك فانها انقذت المركيزي بومين وذلك انه بعد ثمانية ايام وردني كتاب من المانيا وكان هذا الكتاب من المركز

فقال له احد السامعين اتم حديثك يا سيدي الكونت فانه عجب ولكنه قبل ان يبدأ الحديث فتح باب السجن ودخل السجان يقود صبية فصاح الجميع صيحة دهش لما راوه من جمال تلك الفتاة اما لوسيان فانه صاح صيحة ذعر فقد وجد ان هذه الفتاة ابنة عمه الكونتس اورور فلما سمعت اورو صيحته دنت منه فقالت له انا يا ابن عمي العزيز على باب الابدية فارجو ان تنسى خصامنا العائلي وان تمد يدك لمصافحتي

٢٤

لقد قبض على اورور في منصب اللبل كما تقدم فسجنت في سجن البوليس مع الاحدب وعند الصباح اطلق سراح الاحدب وجيء بها الى الدير اي الى السجن الخاص بالنبلاء

وكان بنوات قد اعترض وتوسل الى الجنود ان يذهبوا به ايضا الى السجن وان يشنقوه معها ولكنهم طردوه واقبل قاضي التحقيق فسأل اورور عن حقيقة مولدها واسمها ومبداها فما انكرت شيئا واعترفت باسمها وبتمسكها بالملكية فكان من ذلك الاقرار الصريح انه صدر الامر بارسالها للغور الى السجن

وقال احد الجنود وقد اسفوا عليها لجمالها انها ستقتل بعد يومين فاجابه الاخر بل بعد ساعتين فان اقرارها صريح ولا سبيل بعده الى المحاكمة

اما اشراف السجن فانهم اعجبوا بجمالها وجعل الجميع يتوددون اليها بعد ان عرفوا اسمها وكلهم اسف عليها

وبعد حين خلت بابن عمها لوسيان فاخبرته بجميع ما عرفته من حنة ثم قالت له ان الشقاء يا ابن عمي العزيز قد قرب بيننا فان ابوينا حفرا بذنا هوة هائلة ولكني اتوسل اليك اذا اتيح لك الخروج من هنا ان تبحث عن حنة في منزل الغسالة التي ارشدتك اليها واني اصفح عنك باسم كريستين امي واسمها واذن لك ان تتزوجها فاخذ لوسيان يد ابنة عمه فقبلها وهو يضطرب اشفاقا على حنة وعند ذلك دخل السجان وبيده ورقة تتضمن اسماء الذين حكم عليهم بالاعدام فسكت الجمع بعد ضجكهم وبدت علائم الاضطراب واصغوا الى قراءة السجان وكل منهم يتوقع ان يكون اسمه بين تلك الاسماء فبدأ السجان بذكر اسم الدوقة شارلوت اكابيس فاصفر وجه هذه الدوقة الصبية وقالت كنت اظن انهم نسوني ولكن اضطرابها لم يطل فانها عادت الى التهكم فنظرت الى لوسيان وقالت له يا ليتني ضمنت نفسي مثلك

ثم ذكر السجان اسم المركيز شارل ليموزان فتبع الدوقة وهو يقول كنت اود ان اعيش الى ان اوقن من صدق ما رواه لوسيان عن جمعية القناع الاحمر ثم نادى غيره فانضم الى الاثنين ثم ذكر اسما اخر فصاح لوسيان صيحة منكرة واضطرب جميع الحضور اضطرابا عظيما ذلك ان

السجان قرأ اسم اورور فبكى لوسيان وسأل السجان قائلا وانا متى يأتي دوري فاجابه السجان ان اسمك غير موجود في القائمة

وعند ذلك دخل مدير السجن ودفع الى السجان قائمة اخرى اضافية تتضمن اربعة اسماء فقرأها السجان وكان في اخرها اسم لوسيان دي مازير فملت صيحة المعترضين وقالت تلك الدوقة التي كانت تعترض لوسيان يا خيبة الامل ويا ضيعة المال الذي دفعته لاولئك اللصوص المقنعين

اما لوسيان فانه عانق اورور وجعل يبكي ويقول مسكينة حنة

وبعد هنيهة صعد جميع الذين ذكرت اسماؤهم بتلك القائمة الهائلة الى مركبة تسير بهم الى محكمة الجمهورية حيث يتلقون صدور الحكم بالاعدام ويعدمون بعد سماع الحكم

وفيما هم يسيرون بهم الى المركبة تحيط بهم الجنود دنا رجل من لوسيان ولمس كتفه فنظر اليه لوسيان فلم يعرفه فقال له اظن انك مخطىء قال كلا فان نمرتك ١١٠ فارتعش لوسيان اذ كانت هذه النمرة نمرته التي سجلت في دفتر جمعية القناع الاحمر حين دفع المركيز عنه الفدية فقال له الرجل بصوت منخفض لا تخف فانهم سينقذونك فهز لوسيان راسه وقال لقد فات الاوان اما الرجل فانه ابتسم وقال له ان جمعيتنا لا تحنث بوعودها ثم تركه فاختلط بالناس وتوارى عن الانظار

ولنعد الان الى بولات فلقد تركناه وقد ارسله المحامي بكتاب انطوني الى بيتي بعد ان ارشده الى منزله فوصل الى ذلك المنزل ولم يجد بيتي فيه وعند انصرافه مر بدكان الغسالة فسمع بكاء وعويلا من ذلك الدكان فان

سروره اتفق حين كان الاحدب يقص على حنة كيف ان الجنود قبضوا عليه وعلى اورور ثم اطلقوا سراحه دونها وساقوها الى الدير

فدنا بوليت عند ذلك من الدكان فراى الاحدب ورات حنة بوليت فعرفته وصاحت صيحة ذعر

ولما راى زوج الغسالة ذعرها خرج الى بوليت وقد تهدده بقبضته وقال له ماذا تريد ايها الرجل

فلم يجبه بوليت ولكنه قال وقد راى الغسالة وحنة ارى اخت امراة كوكليس وقد كان يجب ان علم ان الاختين لجأتا الى دكانها

فقالت له الغسالة العلك تعرفني فاجابها بوليت بل كلم الاحدب فقال له ما سبب هذا البكاء وان الاخت الثانية فاجابه سيمون وهو لا يعلم اذا كان بوليت من الاصدقاء او الاعداء لقد قبضوا عليها

وكان بوليت يحب اورور حبا هم جيا فصاح صيحة خرجت من صدره كزئير الضواري ثم دنا من الاحدب فهز كتفيه وقال له قل لي ما حدث ولا تكتم عني امرا فانها لو كانت على المشنقة لانقذتها من يد الجلاد

فاسرعت حنة اليه والدموع تهطل من عينيها فقالت له انت تنقذها قال انكم لا تعرفونني بعد وقد قلت اني انقذها فلا بد من انقاذها ثم التفت الى الاحدب وسيمون وقال هاذا كنتما رجلين فاتبعاني فخرج من الدكان فخرج الاحدب وسيمون في اثره وركعت حنة والغسالة تضرعان الى الله ان يوفق هذا الرجل الى انقاذ اورور

ان يخبرني انهم قبضوا على اورور بل يجب ان اعلم متى واين

ومن الغريب ان هذا الرجل الذي ذعر منه الاحدب منذ عدة ايام قد اثرت عليه لهجته اليوم وبات يثق به فاخبره بجميع ما اتفق له ثم اخبره عن السجن الذي ذهبوا بها اليه فاجفل بوليت وقال ان هذا السجن يستحيل الفرار منه ولكنهم لا يحاكمونها قبل ثلاثة او اربعة ايام وفي كل حال فلنذهب اليه

فقال له الاحدب واية فائدة من الذهاب اليه اذا كنت لا تستطيع الدخول قال من يعلم فاتبعني

ثم سار مستعجلا والاثنان في اثره حتى وصلوا الى شارع السجن فوجدوا الناس محتشدين فقال بوليت انهم سائرون بالمحكوم عليهم من النبلاء الى الاعدام ولكن لا خوف من ان تكون الفتاة بينهم

وعند ذلك كثر احتشاد الناس فصعد بوليت الى راية كي يرى المحكوم عليهم فلم يكد يستقر عليها حتى صاح صيحة رعب واصفر وجهه ذلك انه راى السجان يدمع اورور الى الصعود الى المركبة فنزل من الراية واخترق صفوف الناس يتبعه الاحدب وسيمون حتى وصل الى حيث كانت المركبة واقفة امام باب المحكمة يطوقها الجند وراى الجنود يخرجون الاشراف من المحكمة ويصعدون بهم الى المركبة فنظر الى الاحدب وقال قلت لك سانقذها

فنظر زوج الغسالة الى الاحدب وقال لا شك انه مجنون

وكان بوليت هذا شريدا شقيا ولكنه كان من غلمان باريس الذين

تقدمون على كل صعب عند الاقتضاء فلم يكن يعلم كيف ينقذ اورور ولكنه كان معتمدا على نفسه واثقا بن الفوز

فلما خرج من الدكان عادت اليه سكينته فقال للاحدب انه لا يكفي فسمعه بوليت وقال كلا لست بمجنون ثم مزق كتف الاحدب وقال له قلت سانقذها فجال الدمع في عيني الاحدب وقال لقد فات الاوان والسفاه قال كلا فاتبعني حيث ذهبت وازحم الناس حتى تبلغ معي الى المشنقة واذا ابتعدت عني خطوة فسد الامر ولا اكون مسولا عن شيء

قال وبعد ذلك قال تقلدني في جميع ما افعل وتقول كل ما اقوله واذا اتخذتك شاهدا على امر فاحذر ان تكذبني واشهد على صدق ما اقول مهما بلغ قولي من الفظاعة

ولم يفهم الاحدب وسيمون شيئا مما كان يقوله غير انهما رايا على وجهه علائم الثقة فاطمانا

وعند ذلك قال لهما بوليت لا يجب ان نتبع المركبة بل يجب ان نتقدمها ونصل قبلها ثم اندفع يخترق صفوف الناس ويمرق بينهم مروق السهم يتبعه الاحدب وسيمون حتى وصلوا الى ساحة الاعدام قبل وصول المركبة وكانوا في طليعة المتفرجين الذين بلغ كره النبلاء مبلغا عظيما من نفوسهم فباتوا يلذون بمنظر القتل الفظيع

٢٥

اما المركبة التي كان فيها المحكوم فكانت تضطر مكرهة ان تسير سيرا متباطئا لفرط ازدحام الشعب من حولها واعتراضهم سبيلها

وكانت امراة عجوز ترحم الناس وتحاول الوصول الى المركبة فلا يعترضها احد لاشتهارها بالميل الى الجمهورية حتى اذا دنت من المركبة حاول احد الجنود ردها فاعترضتهم اعتراضا شديدا وجعلت تشتم الاشراف فساعدهم الناس واذن لها الجنود بالدنو من المركبة فجعلت تتهكم على من فيها تهكما مولما وترميهم بقوارص النكات الجارحة دون اشفاق فامن الجنود جانبها وتركوها وشانها مع اولئك المنكودين تتهكم عليهم كما تساء

وما زالت تتهكم على كل منهم بمفرده حتى وصلت الى لوسيان دي مازير فقالت له السلام عليك ايها الغلام الجميل . . حيف على راسك البديع ان تقطعه المقصلة ووالله لو كان لي فتاة لما زوجتها الاك فانك اجمل من رايت

فقال لها لوسيان بسكينة احق ما تقولين ياخالتاه ثم جعل ينظر الى تلك العجوز الشمطاء مبتسما وقد راق له مزاحها

قالت لقد اخطات ايها الفتى بكرهك الجمهورية

فابتسم لوسيان ابتسامة شفت عن الاحتقار وقال لماذا

قالت لانهم سيقطعون راسك اليس ذلك برهانا كافيا ولكن اشفاق عليك من البرد اشد من اشفاقي عليك من القتل فان البرد شديد فقل لي ايها الفتى الجميل ما هي نمرتك قال لا اعلم قالت ولكنهم يحكمون عليكم الواحد بعد الاخر وقد قلت لك اني اخشى عليك البرد ولا ينفذ فيك حكم الاعدام قبل ساعة فمتى وصلنا ساحة الاعدام اعطيتك غطائي فتدثرت به

فضحك لوسان ضحكا عاليا وشكرها اما العجوز فانها اغتنمت فرصة

غلة الجند عنها فغمزته بعينها وقالت اما انست الكونت لوسيان دي مازير قال نعم قالت اطمئن فسينقذونك

فانذهل لوسيان اذ سمع مثل هذا لوعدني مرتين ساعة واحدة من شخصين مختلفين واما العجوز فانها حين قالت له هذا القول تورد عن لانظار

ولنعد الان الى بوليت والاحدب وزوج الفسالة فانهم كانوا واقفين بالقرب من المقصلة (اله قطع الراس) وكان وجه الاحدب يشبه وجه الاموات لفرط اصفراره فقال له بوليت ما هذا الاصفرار يابنوت انك تعلم اني احبها ومع ذلك فاني غير مضطرب

فاطمأن الاحدب بعض الاطمئنان لما راى من ثقته بانقاذ سا وعند ذلك تصاعدت الاصوات ودوت في الفضاء دوي الرعد القاصف فان نحو عشرة الاف انسان صاحوا بصوت واحد قائلين هوذا المركبة

وكان بوليت لا يستطيع ان يرى المركبة ومن فيها لكثرة ازدحام الناس وراءه فقال لزوج الفسالة ثبت قدميك في الارض فاني صاعد فوق منكبيك ثم وثب الى ظهر سيمون وصعد الى كتفيه فوقف فوقهما وقال له امسك رجلي واجال نظره في المركبة ومن فيها فراى بينهم اورور تبسم غير مكترثة للموت فزادت الجرأة جمالها وكاد بوليت يجن من يأسه فقال لسيمون اطلق رجلي ثم نزل عن منكبيه وهو يقول كلا لا تقتل ثم صاح بنوات قائلا اتبعني وقل ما اقوله واحذر ان تبتعد عني او تخالفني فيما استشهدك به

فابه الاحدب بصوت مختنق سافعل كل ما تريد

وبعد هنيهة وصلت المركبة الى المقصلة فجعلوا يخرجون منها المحكوم عليهم كلا بدوره فكان اول من اخرج دوقة حـ ناء فصعـدت الى درج المقصلة وهي تبتسم فلما انتهت الى اخرها اشارت اشارة وداع الى رفاقها الاشراف وقالت بصوت مرتفع لقد مات الملك فليحيى الملك

وعند ذلك استلمها الجلاد ووضع عنقها تحت شفرة المقصلة الهائلة وضغط على لولب فهوت الشفرة وفصلت ذلك الراس الجميل

ثم جاء بعدها دور المركيز الشيخ فاجهز الجلاد عليه ومات بملء البسالة ثم جعلوا يأتون بالواحد بعد الاخر وكلهم يموتون باسمي الثغور داعين للملكية فكان الاحدب يغمض عينيه كلما قتلوا نبيلا حتى نادى السجان باسم اورور فاهتز الاحدب وتكهرب والتفت بوليت اليه وقال له تاهب فقد دنت ساعة الخلاص

اما اورور فانها لما سمعت اسمها صعدت درجات المقصلة باسمة غير مكترثة لما ستلقاه فهاجت جراتها اشفاق الالوف من الحاضرين وجاهروا بالاسف عليها لما راوا من جمالها ونضارة شبابها

حتى اذا وصلت الى موضع الشفرة صاح به يقول توقف ايها الجلاد وقف انها حبلى ثم هجم على درجة المشنقة وهو يصيح بملء صوته قائلا انها حبلى انها حبلى ...

وقد حال بينها وبين الجلاد وجعل يكرر ما قال

اما اورور فانها صاحت صيحة رعب وانفة ولبثت نحو عشرثوان

وهي لا تجد كلاما لانحباد لسانها ثم تورد وجهها فجاة بعد اصفراره وقالت لا تصدقوا هذا الشقي فهو من الكاذبين

غير ان الشعب كان قدملالتحمس سمعه من بوليت فهاج هياج البحر الذاخر وصاحوا جميعهم ينذرون الجلاد ويقولون توقف انها حبلى

اما الجلاد واعوانه فانهم ذعروا وخافوا عاقبة ذلك الهياج ثم صعد قائد الجند الى المقصلة وحاول انزال بوليت

فقال له بوليت بصوت سمعه الجميع انى وطنى جمهوري مثلكم وهي ملكية نبيلة ولكن ذلك لم تمنعها عن ان تحنى ولي على ما اقوله شهود .. انكم لا تريدون قتل ولدى وهو جنين انه سيكون مثلنا من الوطنيين

فصاحت اورور بالجلاد تقول اسرع واقطع راسي فان هذا الشقي نذل ساقل يريد تلطيخ شرفي قبل الموت وهو لم يتلطخ في الحياة

غير ان بوليت كان يكرر اقواله ويصيح بملء صوته اذا كنتم لا تصدقوني سلوا شاهدي .. تعال يا بنوات

فاسرع بنوات وقال امام الناس اشهد ان ما يقوله هذا الرجل صحيح وان هذه الفتاة حبلى

فلما رات اورور الاحدب وسمعته يؤيد قول وليت وفريته الشائنة شهقت وسقطت على درجات المقصلة مغميا عليها فصاح الناس قائلين هذا كيد انها حبلى .. لا يمكن ان تقتل . فامر القائد عند ذلك ان يعودوا بها مغميا عليها الى السجن اذ لا يستطيع مقاومة الشعب الثائر فنزل عند ذلك بوليت ودنا من الاحدب فقال له بلهجة الفائز لم اقل لك اني

سانقدها

اما الشعب فقد سكن ثائره حين اعادوا اوروز الى السجن ولكن هذه الشفقة لم تلبث ان ذهبت من نفوسهم بعد ذهابها ووقفوا ينتظرون اعدام بقية المحكوم عليهم

ولم يكن باقيا غير ثلاثة اخرهم لوسيان فاخرجوهم من المركبة واوقفوهم قرب المقصلة ثم اصعدوا اولهم فقتلوه وفيما هم يصعدون بالثاني التفت لوسيان فراى تلك العجوز التي عللته بالنجاة واقفة وراءه فقالت له بصوت منخفض انك سترى الان الشعب يهيج ويختلط الناس بالجند فثق انهم سينقذونك واخضع لما يقولونه لك قال من الذي ينقذني قال اعضاء الجمعية وان منهم فتجلد ولا تخف فعاد الرجاء الى قلب لوسيان ولكنه لم يهتد الى طريقة انقاذه

وعند ذلك وضعوا الرجل الذي صعدوا به الى المقصلة في موضع الاعدام ورفع الجلاد تلك الشفرة الهائلة بلواب ثم ادار اللولب الذي تهوى به فهوت ولكنها لم تبلغ الى عنق الرجل ووقفت في منتصف طريق فأن المنكود انينا مزعجا وصاح الشعب صيحات منكرة وقد وصلى الى مسامعهم ذلك الانين

فاعاد الجلاد الشفرة الى موضعها الاول وادار اللولب ثانية فهوت الشفرة و لكنها وقفت كما وقفت في المرة الاولى ولم تبلغ الى عنق الرجل فجعل يئن انينا يقطع القلوب من الاشفاق

وحاول الجلاد ان يعيد الشفرة غير ان الشعب لم يطق النظر الى هذه

النظاعه لمنكرة وهاج هياج الامواج لرخرة وهجم معظم لمرجير على تلك المقصله فلم يستطيع الجنود ردهم واختلطوا بهم اي اختلاط

وعند ذلك شعر لوسيان ان وشاح قد القي على كتفيه وقبعة باتت فوق راسه فالتفت فراى العجوز وهي التي البسته الوشاح وراى رجلا بجانبها البسه القبعة وقال له هلم بنا الى الفرار فان جمعية القناع الاحمر لا تمكث بعد فكاد لوسيان لا يصدق ما يرى وامتزج مع رفيقه بالناس ثم توارى معه عن الانظار ونجا من المقصلة

بينما كان الكونت لوسيان ينجو هاربا من الموت كان بوليت يسير مع الاحدب وزوج الغسالة فقال له الاحدب انهم عادوا بها الى السجن وغدا يعودون الى قتلها

قال كلا اذ لا بد لهم من التحقيق وذلك لا ينتهي قبل ثمانية ايام وفي خلال هذه المدة انقذهما كما سترى . وكان ينبغي ان يقول هذا القول معتمدا على تنبوءاته لما علم من نفوذها وهو لا يعلم انها هي التي تريد قتل اورور

٢٦

تقدم لنا القول ان الشفاليه دي مازير حين علم بالقبض على بنته اورور صعق وسقط على الطريق فازدحم عليه الناس وجاؤوا بطبيب وانه بينما كانوا ينقلونه الى صيدلية قريبة دنا رجل من بيبي وهو من اهل الحي الذي يسكنه فقال له انك تعين هذا الرجل وهو رئيس البوليس السري فلا شك انك من رجاله فذعر بيبي وترك صديقه الشفاليه واركن

الى المراد يلوي على احد فان هذا الرجل على كونه بوليسا سريا منذ عشرين عاما كان يحترس على سمعته كل الاحتراس ولا سيما في ذلك الشارع الذي كان يقيم فيه فلم يخطر في بال احد انه من البوليس ولذلك كبر عليه الامر واسرع الى منزله فاخذ ما كان فيه من المال فوضعه في حزام من جلد وتمنطق به وعول في البدء على الابتعاد عن باريس لشدة خوفه من افتضاح امره فركب مركبة وسار الى المحطة فركب مركبة بريد وسار فيها الى اول قرية من الضواحي

وقد بات تلك الليلة في فندق القرية وهو يفكر في اي شارع يقيم حين عودته الى باريس وفي اليوم التالي اقبل بعض المسافرين من باريس الى ذلك الفندق فسمعهم يتحدثون بحديث الفتاة التي انقذها الشعب من الاعدام لانها حبلى

فكان بعضهم يقولون انها حبلى حقيقة واخرون يقولون انها حيلة اختلقوها لانقاذها

فاشتبه بيبي بامر هذا الفتاة وسأل المتحدثين عن اسمها فقالوا له انهم سمعوا السجان يدعوها باسم اورور دي مازير فسر بيبي سروراً لا يوصف وعول على الاسراع بالرجوع للبحث عن وسيلة نقاذها اذن كان يعلم ان هذه الحيلة لا بد ان تنكشف بعد اسبوع فيعودون الى اعدامها

وكان امر انقاذها سهلا عليه لما لابيها من الخدمات الجليلة في عهد الجمهورية غير ان الصعب في ذلك انه يجب ان يصرح باسمه الحقيقي كي يعلم اولوا الامر انها بنته وفوت ذلك فان نفوذ تنوان اشد من نفوذه فهي

تعرقل مساعيه دون شك

وعند ذلك خطر له خاطر وهو ان داغوبير لا يحب حنة بل يحب اورور ولذلك ذهبت اليه اورو دون حنة فاذا كان ذلك فان داغوبير سيكون اعظم معين في سبيل انقاذها وهو دون شك اشد نفوذا من انطونيا ومن بول بعد انتصاراته الاخيرة فعول عند ذ ك على الرجوع الى باريس ومقابلة داغوبير

وفيما هم على الطعام دخل رجل بملابس الضباط وهو شاب عظيم الخلقة جميل الوجه اسود الشعر تدل هيأته على القوة وعيناه تدل على الدعة والسلام

نصبر بيبي الى ان اتم طعامه فدنا منه وبدأ معه الحديث فقال له الملك قادم من اراس

فاجابه الضابط كلا بل من محل ابعد

قال امن جيش سامبر ومييز

قال هو ذاك

قال يظهر ان جيوشنا الظافرة قد احدثت موقعة كبرى

قال قد كان ذلك منذ خمسة ايام

قال لقد كان النصر حليفنا كما تعودنا

قال دون شك

قال ارجوك المعذرة ايها المواطن العزيز فاني صادق الوطنية يهمني الوقوف على اخبار ابطالنا فهل تعرف بطلا لا تزال الجرائد تذكره منذ

ثلاثة ايام

قال من هو هذا البطل

قال هو قائد دافع وحده عن جسر وردعنه حملات الاعداء

فابتسم الضابط وقال ان النصر كان ممكنا دونه

قال لا باس ولكنه بطل فهل تعرفه

فابتسم الضابط ايضا وقال من هو هذا البطل

قال القائد داغوبير

فاجابه الضابط بملء السكينة هو انا

فاضطرب بيبي اضطرابا شديدا وكان يريد ان يقول له .. انك تحب وروز واوروز تحبك ولكنها في خطر الموت ولا يستطيع سواك ان ينقذها غير انه لم يقل له شيئا ولكنه حين صعد داغوبير الى مركبة البريد المسافرة الى باريس اسرع بيبي وجلس بجانبه وقد عول على ان لا يفارقه لحظة عين

وقد كان يحدثه في الطريق فقال له اين عزمت ان تقيم

قال ذلك سيان عندي فانزل في اول فندق اجده

قال انك بالاجازة فيما اظن

قال نعم فقد اعطيت اجازة اسبوعين

قال انك تغتنم هذه الفرصة دون شك لزيارة عائلتك

فابتسم داغوبير ابتسام الحزين وقال لا عائلة لي

قال اذن ستزور اصحابك

فتنهد د غوبير وقال هو ذاك ولكني لا اعلم اذا كنت اجدهم

قال لماذا تخاف ان لا تجدهم

قال اننا في زمن لا يضمن المرء فيه غده وأسفاه !

قال ذلك قاصر على النبلاء ثم ابتسم وقال له اظن انك من عامة الشعب

قال اني كنت بيطريا قبل ان انتظم في سلك الجندية

قال اذن لا بد ان يكون اصحابك مثلك فلا خوف عليهم فان هم العلم يبعدون عن باريس

قال اربعين مرحلة

قال اذن انهم يقيمون في اورليان

فارتعش داغوبير وقال كيف عرفت هذا

فابتسم بيبي وقال ان الناس لا يتحدثون الا بانتصارك في هذه الايام اتظن انهم يخفاهم خافية من امرك

قال ولكن كيف يعلمون اني ذاهب الى اورليان

قال لانهم يعلمون انها وطنك فقد بحثوا في جميع شؤونك حتى انهم كتبوا تاريخ حياتك

فقطب داغوبير حاجبيه وقال ايمكن هذا ان يكون

قال كل شيء ممكن ومتى صلنا اخبرك بامور كثيرة

قال ما يا تخبرني

فاخذ بيبي يده وقال له ليس الاتفاق وحده الذي دعاني الى صحبتك

قال ماذا تعني قال صبرا فستعلم كل شيء فان ما سا قوله لا يجب ان يسمعه احد فصبرا الى ان تقف المركبة

فاضطر داغوبير الى الصبر حتى اذا وقفت المركبة نزلا منها فسار به بيبي وقال له قبل ان اخبرك بما تود ان تعلمه يجب ان تثق انك بعد ما احرزته من النصر بت قادرا على نيل ما تشاؤه من الجمهورية

فزاد اندهال داغوبير من هذه الالفاظ وقال له ماذا تريد ان انال

قال انت حقيقة القائد داغوبير البيطري القديم الذي انتصر في المعركة الاخيرة

قال نعم انا هو

قال انك تحب فتاة نبيلة اليس كذلك

فاصفر وجه داغوبير وقال له بصوت يتهدج كيف عرفت ذلك

قال له وهذه الفتاة تدعى اورور ولها اخت تدعى حنة

فنظر داغوبير الى ما حوله نظرة الخائف وقال له اسكت

قال اذن فاعلم انه يجب انقاذها

فجمد الدم في عروق داغوبير واصفر وجهه حتى بات كالاموات وقال انقاذها

فشد بيبي على يده وقال له انك لم تضطرب امام المدافع اتضطرب امام القدر فاعلم انك حين لقيتني في الفندق كنت ذاهبا الى لقائك في المعسكر

قال من ارسلك الي

قال الذين يهتمون مثلك بامر الكونتس اورور

قال ولكن ماذا اصابها العلها في خطر . قال نعم وانك لا تستطيع الذهاب الى اورليان

فتورمت اوداج داعيربير وقال لماذا

قال لان الكونتس اورور في باريس

قال اهي في باريس

قال وقد سجنت في سجن النبلاء وحكم عليها بالاعدام

فبرقت عينا داغوبير فجاءة بعد ان كاد يسقط لاضطرابه وقال اني سفكت دمي في سبيل الجمهورية فهي لا تبخل علي باطلاق سراحها

قال ولاجل هذا حاولت ان اراك فانك الوحيد الذي يستطيع انقاذها

فاخذ داغوبير بيبي وقال له بملء السكينة قل لي الان اين هي اورور

قال بالدير اي بسجن النبلاء قال واختها حنة فارتعش بيبي لهذا السؤال وقال انها مطلقة السراح قال العلها في باريس ايضاً قال نعم قال في اي مكان قال ساقول لك بعد بضع ساعات قال لماذا لا تقول لي الان قال لاني لا اعلم موضعها ولكن لا بد لي ان اعلم

وقد ابى بيبي ان يخبره بشيء عن حنة قبل ان يرى الشفاليه دي مازير فقال له اشبر عليك ايها القائد ان تقيم في فندق سانت اونوريه حيث يقيم معظم القواد وسازورك في الساعة الحادية عشرة فاخبرك بما علمته ولا تسألني عن اسمي فهو لا يفيدك شيئاً

ثم ركب فجمة فسار داعوير بطريق الخندق وسار بيبي بطريق اخر وقد عاد اليه هواجسه في الطريق فقال في نفسه اني خدمت بول بايجاد منقذ لابنته ولكني ما خدمت نفسي في شيء فاني لا استطيع العودة الى منزلي بعد فتضاح امري في ذلك الشارع ولا بد لي من ايجاد هذا الرجل فاذا كان لم يزع امري في الحي فان الانفاق معه على الكتمان سهل ميسور

ولذلك ذهب توا الى دكان ذلك الرجل الذي اتهمه انه من رجال البوليس فخلا به خلوة طويله اظهر له في خلالها قوة البوليس السري ومقدرته على الايذاء في هذا الزمن الذي عمت فيه الفوضى وباتت كلمة البوليس نافذة لا ترد ثم انذره باتهامه انه يأوي النبلاء اذا باح بانه من رجال البوليس السري

وكان لهذا الرجل بنون صغار ليس لهم معين الا فخشي شره اشفاقا على بنيه وتعهد له بالكتمان فعاد بيبي الى منزله وقد عول على ان يغير لابسه ثم يذهب للبحث عن صديقه بول

ولم يكد يستقر في منزله حتى قرع بابه فتحه فراى البومة قادمة اليه فقالت له بعلائم الكدر ظاهرة عليها اني بحثت عنك كل يوم امس فلم اجدك

فدخل بها الى غرفته وقال لها اخبريني باذا حدث

قالت ان المصاب عظيم يا سيدي فان اورور لم تقتل ولولا وليت لكانوا قطعوا راسها

قال كيف ذلك ومن هو بوليت هذا

قالت هو صديق الاحدب فانه صعد الى المقصلة حين كانت اورور عليها وقبل ان يضرب الجلاد عنقها قال تولا للشعب لا ادري ما هو فهاج الناس هياجا عظيما واضطر الجنود الى ارجاعها الى السجن

قال واين هو بوليت الان

قالت انه في الدكان ولكنه عازم على الذهاب الى سيدة عظيمة تقول انها صديقة بروبسبير وانها ستنقذ اورور

فارتعش بيبي وافتكر تنوان ثم قال للبومة لا تخشي امرا فلا يستطيع احد انقاذها

قالت ايقاظونها

قال هي واختها فلا تجزعي واحذري ان يعلم احد انك تيت الي

فانصرفت البومة وبقي بيبي وحده فقال في نفسه لقد نجونا من خطر فوقعنا في اشد منه فان بوليت هذا هو الرجل الذي عالجته تنوان فاذا كان معتمدا عليها بانقاذ اورور فقد اخطأ واخشى ان تتنبه بعد ان علمت ما كان من محاولة الناس انقاذها فتسعى للاسراع باعدامها ولذلك يجب الاسراع بالعمل قبل فوت الاوان

وبعد هنيهة خرج من منزله وذهب تو الى دكان الغسالة قد كانوا يعرفونه لما بينهما من الجوار فوجد في تلك الدكان الغساله وزوجها والاحدب وحنة وبوليت فحياهم وقال لهم لقد علمت بما اصابكم فاتيت لاعرض عليكم مساعدتي فيما تريدون

فشكروه وقال له زوج الغسالة لا حاجة لنا بشيء ولكننا نشكرك جزيل الشكر

فقال له بيبي لقد علمت بما حدث لكم ولكن لا تخشوا فانا الذي نخونكم

وكان بوليت قد استقبل بيبي بغير اكتراث ولكنه سمع زوج الغسالة يناديه باسم بيبي فبرقت عيناه وقال له انت هو الذي يدعونه بيبي

قال نعم

قال اذا كان ذلك فاني احمل رسالة اليك

فجعل كل من وسيمون الاحدب ينظر الى الآخر نظرات قلق فقال لهما بوليت لا تخشيا فان بلواطن بيبي من الاصدقاء ولكني احب ان احدثه في بعض الشؤون

اما بيبي فانه انذهل لما سمعه وقال له ممن الرسالة

قال ساخبرك في منزلك فاذهب بي اليه

ولم يكن بيبي قد دخل الى دكان الغسالة الا ليمنع بوليت عن الذهاب الى تنوان فلم يعترض بوليت في ما اقترحه وتقدمه الى منزله حتى اذا وصلا اليه دخلا واقفلا بابه وجلسا يتحدثان فقال له بيبي العل حديثنا يطول

قال سوف ترى ثم اخرج من جيبه الكتاب الذي اعطاه اياه المحامي د . ودفعه اليه فقرأه بيبي ثم نظر الى بوليت وقال لقد اسعد الحظ كلينا يا الصديق

قال كيف ذلك

قال ذلك انك تحب اورور ولو كنت لقيتني امس لكانت الان من لاموات

قال العلك كنت تمنعني عن انقاذها

قال ربما

فاخرج بوليت مسدسا من جيبه وقال اني احب الصدق في الحديث فقل لي الحقيقة او اطلقت عليك هذا المسدس فقتلتك دون اشفاق

غير ان بيبي لم يرعه هذا الانذار فقال له لقد كان لدي امس اسباب تدفعني الى الرضى باعدام الفتاة

قال واليوم

قال واما اليوم فقد حدث لي اسباب اخرى تدعوني الى انقاذها واذ اخطات فذهبت الى انطونيا فسد الامر وقضي على الفتاة قضاء مبرما

قال اوضح ما تقول فاني لم افهم مرادك

قال بملء الرضى فاعلم اني انا الذي قبض على اورور ولكني اخطات فاني كنت اويد القبض على اختها لا عليها افهمت الان

قال كلا ولكني ارك تعترف انك من البوليس السري

قال انما اعترف لك بما اكتمه عن سائر الناس لانك بت من اعواني وكلانا يسعى الى غاية واحدة وهي انقاذ اورور ثم روى له بالتفصيل ذلك الخطاء الذي ارتكبه بالقبض على اورور وهو يحسب انه قبض على حنة وكان بوليت يصغي اليه كل الاصغاء فلما اتم حديثه قال له اية فائدة

لك من انقاذ الفتاة او ور قال لقد توقعت منك هذا السوال فاعلم انها بنت صديق من خير اصدقائي قال ولكن اختها ايضا بنته فكيف تريد قتلها وانقاذ اختها

قال انهما ليستا بنتي اب واحد قال ان ذلك مختلط على لا افهمه ولكني اعلم انهما اختان وان اورور تحب اختها كما ان اختها تحبها واذا انقذنا الواحدة فلا نعدم الاخرى قال هذا لا ريب فيه ولكن امرحنة غير منوط بي

فافقدت عينا بوليت وقال ولكنه منوط بي انا فاعلم انى لا افارقك لحظة بعد الان واذا وشيت بحنة فاني قاتلك لا محالة

قال اني اعدك بكتمان امرها فتعال معي

قال الى اين

قال للبحث عن والد اورور

وعند ذلك خرج الاثنان فذهب بيبى توا الى الصيدلية التي نقل اليها الشفاليه دى مازيز حين سقط على الارض لمعالجة المعالجة الاولى وسال الصيدلي عنه فقال له انه اصيب باضطراب بالدماغ فلم يمت ولكنه جن فارسل الى المستشفي

فذهب الاثنان الى المستشفي فوجدا بول اي الشفاليه دي مازيز في اشد حالات الجنون فجعل بيبى يحدثه مدة طويلة ولكنه كان ينظر اليه نظرات ساهيت وهو لا يعرفه فتنبه بيبى وقد ياس منه وقال لبوليت هلم بنا فلم يبق لنا امل بالاعتماد عليه في انقاذها

قال اننا نعتمد على نفسنا

قال وعلى داغوبير ايضا

٣٧

وأرجع الان خطوة الى الوراء فانه بينما كان الجنود عائدين بارورو الى السجن وقد نجت من قبضة الجلاد بحيلة بوليت كان ابن عمها الكونت لوسيان يسير هاربا وقد ساعده على الاختفاء ذلك الوشاح الذي البسته اياه العجوز والقبعة التي البسه اياه عضو جمعية القناع

ولم يكن يعلم ان يسير فانه حين قبض عليه اخذوا كل ما كان لديه من النقود ولكنه كان مودعا عند الحلاق الذي كان مختبئا عنده مبلغا عظيما ولكنه لم يكن يعلم ما حدث لهذا الحلاق بعد ان قبضوا عليه وقد خشي ان يكون اتهموه ايضا باتصاله بالاشراف وقبضوا عليه ومع ذلك فانه سار توا الى دلك الدكان كي يتقصى خبر الحلاق ويسترجع ماله فيفتديه به اورورو وحنة وقد قال في نفسه ان اورور قد اعادوها الى السجن ولكنهم لا يلبثون ان ياتوا بداية فتفحصها وتعلم انها عذراء فيعودون الى اعدامها

وقد بات رجاؤه وطيدا بجمعية القناع الاحمر ولكنه يجب لانقاذ الاختين عن يد الجمعية امران احدهما ان يدفع لها اثنى عشر الف فرنك ولا يستطيع دفع هذا المبلغ الا اذا لقي الحلاق والثاني ان يعرف مركز جمعية القناع الاحمر وهو لا يعلم اسم احد من اعضائها فانهم كانوا يتقنعون جميعهم فلا يعرف بعضهم بعضا وكانوا يجتمعون كل يوم في مكان

وبينما هو سائر الى دكان الحلاق شعر بيد قد لمست كتفه فالتفت فراى ذلك الرجل الذي انقذه ففرح فرحا لا يصفه قلم وقال له ما كنت اطمع ان اراك فقد اضعتك حين فراري

قال اما انا فلم اغفل عنك طرفة عين فاننا لا نتخلى عن الذين نتولى انقاذهم ومتى انقذنا نبيلا اعطيناه جواز وساعدناه على مبارحة الحدود واما انت فلا حاجة بك الى مبارحة باريس فعجب لوسيان وقال لماذا قال لاننا نحن الذين اوقفنا سير المقصلة اذ لدينا اعوان في كل مكان ولكنهم اصلحوها للفور وقتلوا بقية المحكوم عليهم فلم يتنبه احد لفرارك وحسبوك من الذين قتلوا فكتبوا اسمك في قائمة الذين نفذ فيهم الاعدام والان قل لي الديك نقود قال نعم بشرط ان يحد الحلاق ثم اخبره باموالة التي اودعها عند الحلاق وانه يريد ان يدفع للجمعية فدية الاختين فسار واياه الى ذلك الدكان فوجد الحلاق فيه يهتم بزبائنه

وقد دهش الحلاق حين راه دهشا عظيما لاعتقاده انه سجين ولكن لوسيان غمزه فانصرف الحلاق الى الاهتمام بزبائنه حتى فرغ منهم فقص لوسيان عند ذلك جميع ما جرى له وساله احضار المال فاحضره في الحال فدفع لعضو الجمعية اثنى عشر الاف فرنك عن اورور وحنة بعدان ارشده الى دكان الغسالة المقيمة عندها حنة فقال له العضو طب نفسا فلا خوف عليهما بعد الان وانت فاذهب حيث شئت فلا يتعرض لك احد

ولنعد الان الى داغوبير فقد تركناه سائرا الى الفندق الذي دله عليه بيبي ووعده ان يوافيه اليه في الساعة الحادية عشرة فلما وصل الى ذلك

الفندق صعد به الخادم الى حدى غرفه وانصرف عنه وسقط داغوبير على كرسي وهو يكاد يفقد رشاده ثم وضع راسه بين يديه وجعل يبكي بكاء الاطفال

وبعد هنيهة عاد اليه الخادم بسجل الفندق كي يكتب اسمه فيه فكتب داغوبير اسمه فلما قرأ الخادم اسمه انذهل وقال له انت هو القائد داغوبير قال نعم انا هو ولماذا الانذهال فتابع الخادم في البدء ثم اخبره بجميع ما حدث في ذلك الفندق وكيف ان البوليس انكر باسمه واحتال بهذا لتكر فقبض على اورور الى اخر ما يعلمه القراء مما بسطناه في حينه

ولما اتم حديثه ورأى ما كان من تأثره قال له اذا كنت انت يا سيدي نفس داغوبير الذي تكتب عنه الجرائد في هذه الايام فانك دون شك تستطيع انقاذ الصبية ولا سيما اذا كانت خطيبتك كما يقولون

وكان الخادم يكلمه وداغوبير ينظر الى سجل الفندق المفتوح امامه فقرأ اسما مكتوبا بجانب اسمه وهو اسم كامبيسات فارتعش وقال له الا يزال هذا الرجل عندكم واشار الى الاسم فقال له الخادم نعم قال صفه لي فان هذه العائلة كثيرة الاعضاء قال انه شاب لا يتجاوز الثلاثين وهو يلابس الضباط ويظهر ان رتبته عالية في الجيش

قال هو ذاك واني اريد ان اراه قال ولكنه نائم الان قال لا باس ارشدني الى غرفته فهو من اصدقائي المخلصين

قال ان غرفته في اخر هذا الرواق ونمرتها ١١

فخرج داغوبير من غرفته ومضى الى غرفة ذلك القائد فطرق بابها

فاجابه صوت من الداخل من انت دلني ان قائد داغوبير ايها الجنرال

فاسرع الجنرال الى فتح الباب فدخل داغوبير وصافح الجنرال وقال له الجنرال اني كنت اتوقع ان اراك هنا فان معظم الضباط القادمين الى باريس يختارون هذا الفندق

قال اني لم اقدم اليه خصيصا بل ان الصدفة قادتني اليه

قال ولكن وزير الحربية لا بد ان يكون قد كتب اليك كي تحضر ليقدمك الى مجلس الامة بعد انتصارك الاخيرة

فارتعش داغوبير وهطل الدمع من عينيه فذعر الجنرال لبكائه وقال له ماذا اصابك العلك متأثر من هذا النبأ السار

قال كلا ولكنه في الساعة التي يقدمني فيها الوزير الى مجلس الامة يقطع الجلاد رأس من احب ثم استرسل الى البكاء

فاشفق الجنرال لبكائه وكان يحبه حباً اكيدا وقال له كن واثقاً ان خطيبتك سيطلق سراحها قال ليست هي خطيبتي قال لا باس انك تحبها فقل امام المجلس انها خطيبتك قال ايطلقون سراحها قال دون شك فليس جميع رجال حكومتنا وحوشا كاسرة وسوف ترى فتنهد داغوبير وشعر ان الحياة قد عادت اليه بمساعدة هذا الصديق

٣٨

بينما ان داغوبير ينتظر بفارغ الصبر دنو الساعة للذهاب الى مجلس الامة كان بيبي وبوليت قادمين الى داغوبير بعد ان زار الشفاليه دي مازير وقنطا منه لاستحالال جنونه . وكان بوليت قد علم ان داغوبير يهوى

اورور فهاجت الغيرة في صدره وهاج البراكين وحقد حقدا عظيما على داغوبير فاخذ بيبي يسكن باشه فقال له لاشك بك انه لا عقل لشقي انك تحب اورور اليس كذلك قال نعم قال وداغوبير يحبها قال لقد قلت لك اني امتص دمه قال انك لا تمتص شيئا قال سوف ترى فابتسم بيبي وقال له يظهر انك لست من اهل الصيد فقال له بوليت مادخل الصيد شانا قال اني اضرب لك مثلا يشبه حالتيكما وهو كلبان يطاردان ارنبا فزالا يطاردانه يكونان متآلفين متفقين فاذا اعيى التعب الارنب او سقط في حفرة يصيح الكلبان عدوين ويختصمان على من يظفر بالارنب وهذا شانك الان مع داغوبير فانك واياه تحزن المتاة فاذا تركتماها تقتل فلا تدركان منها ماربا ولذلك يجب عليكما ان تقيديا بكلاب الصيد وان تتفقا على انقاذها قال وبعد ذلك قال تفعلان ايضا كالكلبين فتختصمان على الفريسة فيناالها اشد كما قال اني اقبله شرقتل قبل ان يتظر اليها قال افعل به ما تشاء واما الان فيجب ان تظهر له كل ولاء وتكون خير معين له انقاذها فاعجب بوليت بحكمة هذا المثل وقال سافعل ما اشرت علي به مكرها فابتسم بيبي وقال له اتعلم يا بوليت أنك من اهل الشر فضحك بوليت ضحك القانطين وقال له كيف تريد ان اكون من اهل الخير فقد ولدت لقيطا فما عرفت لي ابا وكنت انام في الازقة واتغذى بما يرميه الباعة من الخضر وفاسد الفاكهة فلما شببت حاولت ان اشتغل فكان رئيس العمال يسرق من اجرتي فرايت ان السرقة خير من العمل وتخذتها مهنة ثم حزن الثورة فكانت لي خير مورد للارتزاق وكانت الفرجة على اعوام البلاء من خير

ما اسلى به ما والا قال لقد بات الاعدام يروعني قال العلك احببت يا بوليت حبا خالصا قبل الان قال نعم فقد احببت امرأة تدعى كوزيتون وهي بواية احد المنازل فكانت تعولني في ايام ضعفي وتحسن الي كل الاحسان وهي المرأة الوحيدة التي احسنت الي في حياتي . ثم توقف قليلا وعاد فقال لا شك ان الغرام يضعف ذاكرتي فقد نسيت رجلا كان له علي فضل عظيم لا انساه ما حييت والحكاية ان الجنود كانوا في بدء الثورة يطاردون جميع الناس ويطلقون نيرانهم على الشعب المحتشد الثائر وكنت بين الشعب في ذلك اليوم وقد سرقت غدارة من دكان بائع سلاح واطلقتها على الجنود فهاجموني وقبضوا علي فاشككت بالموت وعند ذلك اسرع ضابط طويل القامة عريض المنكبين لا يزال وجهه مرتسما في مخيلتي فانتزعني من يد الجند قائلا اننا لا نريد الانتقام من الاطفال ثم قذف بي الى جهة الشعب فكنت اقل من جرادة الميار ولا انسى جميل هذا القائد في حياتي

قاله اما عرفت اسمه وما رايته بعد ذلك قال كلا فقد كانت تلك الحادثة اخر عهدي به

ولبث الاثنان سائرين يتحدثان حتى وصلا الى باب الفندق فقال له بيبي انك ستبقى الان داغوبير وانا اعيد ما اوصيتك به من التاني واللين كي تتمكن من انقاذ التي تحبها فضم بوليت قبضتيه مهددا وقال سافعل مكرها

ولما دخل الاثنان كان داغوبير وحده فسال بيبي قائلا من هذا

الرجل وقد اشار الى بوليت دلمن بوليت لم يدع و لا لبيه، فانه صح صيحة انذهال ثم قال لداغوبير اما عرفتني يا سيدي قال كلا فمن انت قال انا هو ذلك الغلام الذي انقذته من الجنود في بدء الثورة وقد اقسمت على ان اخدمك ما حييت ثم كب على يديه يقبلهما ودموع الامتنان تجول في عينيه وهو يقول من كان يخطر له اني كنت اريد قتل منقذي منذ حين

ولندع لان هؤلاء الثلاثة مجتمعين في غرفة د غوبير ولنعد الان الى ام روكامبول علة هذه النكبات ومثيرة هذه المصائب فان المحامي د . جاءها ليلة القبض على اورور واطلعها على قائمة الذين سيقتلون في الغد ففرحت فرحا لا يوصف اذ وجدت بين تلك الاسماء اسم لوسيان دي مازير واورور وهما اثنان من الثلاثة الذين يستطيعون ان يطالبوها بالثروة المسروقة اذا عاد زمن الملكية وقد رضيت عن المحامي اتم الرضى وكافأته خير مكافاة فانصرف من عندها على ان يعود اليها في الليلة القادمة

غير ان سرورها لم يطل فقد بادرها بالجرائد في اليوم التالي فقرات فيها حكاية اورور وعرفت من اوصاف الرجل الذي ادعى انها حبلى انه بوليت فلما عاد اليها المحامي في الليل اوسعته لوما وتعنيفا ولكنه طيب خاطرها وقال لها ان الامر بسيط فسنامر غدا بالتعجيل في فحصها ثم تقتل على الاثر بعد ان يظهر فساد الدعوى فطاب خاطرها واستوثقت منه انه سيبذل الجهد بالاسراع بقتلها

وفي صباح اليوم التالي بينما كانت تنوان في سريرها دخلت اليها خادمة غرفها وقالت لها ان المحامي د . يريد ان يراك فاجفلت تنوان لتكبيره

على غير عادة وامرأة الخادمة بادخاله فدخل وعليه علائم الانقباض فقالت له ما وراءك قال اقرأت جريدة الآب دوشين قالت قرأتها امس قال وعدد ول امس قالت لم اقرأه فاذا عساه يتضمن مما دعاك الى هذا الانقباض اقال ان داغوبير قد رقي رقيا عظيما في الجيش وسيقدمه الجنرال اليوم الى مجلس الامة قالت وماذا علينا من ذلك فقد صدقت نبوتي فيه قال ولكنه يحب اورور كما يقولون فهو قد يشفع بها لدى المجلس وينقذها قالت ولكنك تتمكن من اعدامها قبل قدومه الى باريس قال ولكنه في العاصمة منذ امس واخشى ان يكون علم بامر اورور فلا يطلب مكافأة عن خدماته غير انقاذها فذعرت تنوان ذعرا عظيما وقالت كيف عرفت ذلك قال عرفته بالصدفة فقد كنت في مجلس الامة فعلمت انهم سيقدمون داغوبير اليوم فاحفلت تنوان وقالت اتظن ان المجلس يجيبه الى طلبه فاطرق المحامي براسه دون ان يجيب وقالت له والا فكيف نصنع قال لا اعلم وكل ما اليه استطيعه اني قادر على تاجيل تقديمه الى مجلس الامة الى الغد

فهزت تنوان كتفيها وقد ايقنت انه لم يبق بد من مداخلتها فقالت له اجل تعلم على الاقل اين يقيم داغوبير قال في فندق سانت اونوريه قالت اذن تقديمه الى المجلس وهذا كل ما طلبه اليك فذهل المحامي للهجتهما وقال لها ان سكينتك تخيفني فنظرت اليه نظرة احتقار وقالت له اني ما نجحت في شان الا اذا توليته بنفسي وهذا ما اتفق لي اليوم

ثم قامت الى خزانة دون ان تزيد على ما قالت فاخرجت منها ثوبا احمر وقبعة من قبعات النور وآلة موسيقية من نوع الكمنجة فدهش المحامي

لامرها وقال لها ماذا تخرجين من هذه الخزانة قالت الملابس التي كنت البسها حين كنت نورية ستكشف الطوالع قال ولكن ماذا تريدين ان تصنعي بها قالت هذا سر لا استطيع ان ابوح لك به والان فاني اسالك قضاء مهمة يسيرة نهل لمركبة التي جئت الي بها تنتظرك قل انها على الباب قالت اذن اوصلني بها الى باريس فاني احب ان اتولى شاني بنفسي

ثم وضعت الملابس والكمنجه في صندوق وامرت احد الخدم بنقله الى المركبة وبعد هنيهة كانت لمركبة تسير بها في طريق باريس

٣٩

بينما كانت ام روكا بول سائرة في طريق باريس كان بيي وبوليت قد وصلا الى دغوبير فتحدثا معه حديثا طويلا و نقلب الرجلان بعده انقلابا فان بوليت بات يوم نفذ اورور من اجل داغوبير لا من اجله وقد اثر هذا الامتنان بيي على نفسه فبات يحب دغوبير وهو لا يحب احدا واثرت به عوتطفه الكريمة خير تاثير فاصبح ميالا الى الخير بعدان كان من افظع اهل الشر

وبعد حين جاء الجنرال وسار به الى مجلس الامة فطلب داغوبير الى بوليت وبيي ان ينتظراه في الفندق الى ان يعود فلم يتمكن وزير الحربية من تقديمه الى المجلس لانهماك المجلس في شؤون خطيرة وتاجلت المقابلة الى الغد

وكان الجنرال قد نصحه ان لا يقول شيئا عن اورور لوزير الحربية وان يعرض طلبه على المجلس فعاد داغوبير يتعثر باذياله وهو يكاد يجن اشفاقا

على اوروز لحذره من موت ا ن فاخبر بي وبوليت بما اتفق له فطيب بي خاطره وقال له ان لحكم عليها يمكن ان يكون قبل اسبوع ومع ذلك فاني ذاهب الى السجن فاقف على الخبر اليقين، اعود اليك فاخبرك فان السجان من خيرة اصحابي . ثم تركه وذهب مع بوليت الى السجن وبقي داغوبير وحده يتامل في ما صار اليه وقد عرضت له في تصوراته تلك النورية التي انبأته بمستقبله اي ام روكامبول واخبرته انه سيغدو من القواد العظام والاغنياء الكبار ويتزوج بمن يحب فقال في نفسه لقد صادقت هذه النورية بنصف نبوتها ولماذا لا تصدق في الثانية واذا كنت قد صرت من كبار القواد بعد ان كنت بيطريا حقيرا فما يمنع ان اتزوج بمن احب

وفيما هو يحدث نفسه بهذه الاحاديث نظر من النافذة فراى امراة لابسة ملابس النور تعزف على الكمنجة فعرفها لفوره انها تلك النورية نفسها التي تنبأت له عن مستقبله في دكانه القديم قرب الدير

وقد تنازعه عاملان حين راها عامل السذاجة الفطرية التي نشا عليها فبات ميالا الى تصديق هذه الخرافات وعامل الاكتساب العقلي الذي ستنار به بعد دخوله في سلك الجندية فبات يطرح هذه الخزعبلات ولكنه راى من صدق هذه النورية في نبوتها السابقه ما نوى في نفسه العامل الاول

وكانت ام روكامبول تسمر ذهابا وايابا تحت نوافذ الفندق وقد اتخذت الكمنجة ذريعة الاستلفات الانظار اليها فكانت تصيح من حين الى حين بما تصيح به اولئك النوتي يحترفن مهنة كشف الطوالع ومعرفة الغيب

فاطل داغوبير من النافذة ثم اشار اليها ان تصعد بسرعة الى تينه فخرجت بها في غرفته فقالت له تريد ان اكشف لك مستقبلك ياسيدي الجنرال

قال لست جنرالا بل انا قائد ثم نظر نظرة الفاحص فايقن انها هي التي جاءته الى دكانه وقال لها الم تعرفيني

فاجابته بملء البساطة كيف تريد ان اعرفك وانا لم اراك قبل الان

قال انك مخطئة فقد رايتني قبل هذه المرة

قالت اني رايت كثيرا من الناس لكثرة تجولي وفوق ذلك فاني لا اعرف الذين عرفتهم بالنظر الى وجوههم بل بالنظر الى ايديهم واستكشاف طوالعهم فهل استكشفت طالعك

قال نعم

قالت اذن ارني يدك اخبرك اين رايتك

فمد داغوبير يده فنظرت فيها وقالت نعم لقد ذكرتك الان فانت هو البيطري الذي كان قرب باب الدير كيف رايت الم تصدق كلامي فيك الم اقل انك ستلبس الثياب المذهبة

قال نعم ولكن ماذا قلت لي ايضا

قالت قلت لك انك ستغدو غنيا

قال ولكني لا ازال فقيرا

قالت لم يحن الوقت بعد وستغدو من الاغنياء وستتزوج بمن تحب كما قلت لك هات يدك الثانية فمد داغوبير يده فنظرت فيها هنيهة ثم قطب حاجبيها وقالت اري انك شديد الحزن الان

فاضطرب قلب داغوبير وقال لقد صدقت

قالت ان التي تحبها مسجونة

فذهل داغوبير وقال كيف عرفت ذلك

قالت عرفته من هذا الخط القصير ثم اري ايضا انها محكوم عليها بالاعدام

قال هو ذاك والسفاه

قالت ولكنك ستنقذها

فصاح داغوبير صيحة فرح وقال احق ما تقولين

قالت هذا لا ريب فيه ولكن اصبر قليلا لاري ثم عادت الى فحص يده فنظرت فيها مليا وقالت اني اري عجبا

فاضطرب المنكود وقال لها ماذا تري

قالت اري في وسط الخط صليبا وهو دليل النصر اي انك ستنقذ الفاة التي تحبها ولكن يوجد فيه زيغ مقطوع وهو يدل على انك ضللت السبيل

قال كيف ذلك

قالت ذلك انهم ينصحونك بغير الصواب

فاصفر وجه داغوبير وقال من الذي ينصحني

قالت اصحابك واني لا استطيع ان اعلم اليقين الا اذا نظرت في زجاجة ماء

فاسرع داغوبير و جاءها بزجاجة ماء فقالت له اقفل النافذة فان

انور الشديد لا يفيد فدب وقفل النافذة واغتنمت نورية فرصة غيابه فاخرجت باسرع من لمح البصر ورقة بيضاء رشاش ابيض فافرغته في الزجاجة دون ان يراها

ولما عاد داغوبير بعد اقفال النافذة نظرت في الزجاجة فقالت انهم يشيرون عليك ان تلجأ الى عفو القوم وتلتمس العفو عن الفتاة

قال هذا اكيد

قالت ولكنهم مخطئون

قال اذن كيف انقذها

قالت ساخبرك فاملأ قدحا من الزجاجة واشربه

قال لماذا تريدين ان اشرب قالت لان الماء يخفف هياج اعصابك فلا تضطرب يدك حين انظر اليها فشرب المنكود دون تحذير وعادت نورية الى النظر في يده وقد انقدت عيناها ببارق وحشي فقالت اصغ لنصحي ايها القائد واذهب في هذه الليلة الى الاوبرا فانك تجد فيها روبسبير فادخل اليه في لوجه وسله العفو عن خطيبتك يعف عنها في الحال فكاد داغوبير يجن من سروره وقد وثق لقولها كل الثقة اما نورية فانها قالت له اني لا ارى شيئا في يدك الان فوق ما ذكرته لك فاعمل بنصحي تكن من الفائزين ثم تركته وانصرفت مسرعة الى زاوية في الشارع حيث كان المحامي ينتظرها في مركبة فدخلت اليها وامرت السائق ان يعود مسرعا الى منزلها فقال لها المحامي ماذا فعلت قالت قضي الامر قال العلك قتلته قالت كلا بل سقيته شرابا يجن بعد شربه ثمانية ايام الا تكفيك هذه المهلة

نفس [illegible] من [illegible] كانت
له اني لو لم اكن كما وصفتني لما كنت اموك

٣٠

ولنعد الان الى ورور فانه بعد ان امر القائد بانزالها عن المقصلة انزلوها عنها وادخلوها الى المركبة كي يعودوا بها الى السجن بعد اتمام الاعدام فكانت تبكي بكاء اليما وتؤثر الموت الف مرة على الحياة بهذا العار

[illegible] من نفسها فلم تعد تتفوه بكلمة واقامت في المركبة تنظر الى [illegible] الى السجن فرات ما كان من هياج الشعب حين تنطيل المقصلة واختلاطهم بالجنود ورات جمع الدين اعدموا دون ابن عمها لوسيان فايقنت ان اعضاء الجمعية انقذوه حين اختلاط الناس وعادت المركبة بها الى السجن وهي مطمئنة على ابن عمها ولا تريد لنفسها الا الموت وهناك عادت الى انكار هذه التهمة الشنعاء وتوسلت الى السجان ان يأتيها بمقابلة لتحسها وتبرئها من هذه التهمة الشائنة فاجابها ان الامر غير منوط به اذ يجب عليه ان يرفع تقريرا الى النائب العمومي وهو يرفعه الى المحكمة والمحكمة ترفعه على مجلس الامة فانطرت اورور وقالت كم ينبغي لذلك من الزمن قال ثمانية ايام فكبر عليها الامر واسترسلت الى البكاء فقال لها السجان وقد اشفق عليها لا تيأسي ياسيدتي فقد تكون عائلتك ارسلت هذا الرجل يتهمك هذه التهمة بغية انقاذك

فلم تجبه اورور بشيء وانطرحت فوق سريرها بملابسها فنامت نوما متعبا ولم تستفق الا حين حيتها الشمس باشعتها فركعت وتوسلت الله ان

وصمة ذلك العيب الشائن ثم ذكرت ما قاله لها السجان من ان هذا الوعيد قد يكون آلة لانقاذها فتذكرت الاحدب وانه وافق بوليت على قوله فايقنت انهم يسعون لانقاذها وانه لا يزال لديها مهلة ثمانية ايام

وعند ذلك تعزت بعض العزاء ودخلت الى الساحة التي يجتمع فيها المسجونون فاستقبلوها خير استقبال وسعوا جميعهم بعزمها على هذه التهمة الشنعاء وقد اجمعوا على اعتبارها حيلة لانقاذها

وكان بين اولئك المسجونين رجل شيخ يدعى سارفيم اشكل امره على النبلاء فانه لم يكن منهم وهو في السجن منذ شهرين لم يحكم عليه بالاعدام فكان بعضهم يتهمونه انه جاسوس من قبل الجمهورية ويدفع هذه التهمة اخرون بقولهم ان الجمهورية غير محتاجة الى تجسس قوم ستعدمهم جميعهم والرجل يسمع احاديثهم واختلافهم في شانه ولا يجيب فلما دخلت اورور نظر اليها نظرة تدل على عدم الاكتراث ثم جعل ينظر الى اولئك الذين انتقلوا بها حين عودتها فيبتسم تارة وينجهم اخرى وفيما هو على ذلك جاء السجان وذكر اسمه بصوت مرتفع فصاح الحاضرون قائلين العله جاء دور هذا المنكود وقال كلا ولكن قريبا له سنال الاذن بمحادثته وقد قدم ليراه فخرج سارفيم مع السجان فاقام مع الرجل الذي زاره ربع ساعة وعاد الى الساحة التي كان فيها النبلاء فجعل يراقب اورور بعد عودته وينظر اليها باهتمام ويشير اليها كلما سنحت فرصة اشارات خفيه فعلمت اورور انه يريد محادثتها فصبرت الى ان دق جرس الطعام فذهب الجميع الى المائدة وجعلت مجلسها بجانب مجلس سارفيم فقال لها بصوت منخفض لدي نبأ

سار ياسيدي القيه اليك فعجبت اورور وقالت له اتعرفني وما هذا النبأ قال احذري ان تخبري احدا بما ساقوله لك فتفسدين ما اصحله ان عمك لوسيان قالت ابن عمي قال نعم فهو ساع لانقاذك ولا بد له من الفوز والان لا استطيع ان اوضح لك كل شيء فصبرا الى ان نفرغ من الطعام ويعود المسجونون الى رياضتهم والعابهم فنجتمع ونتحدث مليا

فوافقته اورور على ذلك ولم يسمع جديثهما احد وبعد ان غرغوا من الطعام عادوا الى العابهم في ساحة السجن فاغتنمت اورور هذه الفرصة وخلت بسارو فيم فقال لها ابدأ فاقول لك يا سيدتي ان ابن عمك لوسيان لم يمت وانه يهديك تحياته قالت لقد علمت انه لم يمت ولكن كيف أتصلت به وانت في هذا السجن منذ شهرين قال الا تذكرين ان السجان دعاني الى مقابلة قريب لي قالت نعم قال ان الذي زارني لم يكن قريبي ولكنه عضو من اعضاء جمعية القناع الاحمر وقد جاءني باوامر منها قالت اهي الجمعية التي انقذت ابن عمي قال هو ذاك وستنقذك انت ايضا فان ابن عمك دفع لها فديتك قالت انت من اعضاء هذه الجمعية قال نعم وانا عاملها في هذا السجن الذي يوجد فيه ايضا كثيرون من عماله من جمعيتنا لا يعلم بهم احد وسننقذك بدلا من رجل كان موعد انقاذه غدا ولكنه لم يدفع فديته فاعدم في هذا الصباح فاصفر وجه اورور وقالت يا للهول اتنقذونني بدلا من هذا المنكود قال هو ذاك فان جمعيتنا لم تؤسس لخدمة الانسانية المجردة فهي لا تنقذ الا من يدفع لها المال المعين ثم ان انقاذ الاسرى يقتضي له كثير من التدابير وسننقذك بهذه التدابير التي اتخذناها لانقاذ

ذلك الرجل فلا تجزعي بعد الان فقد تقرر نجاتك قالت ولكن كيف يكون انقاذي قال لا تهتمي بمعرفتها بل اعلمي انه يجب ان تعملي كل ما اقوله لك قالت اني لا اخالفك في شيء قال الم تري ذلك السجان الذي حادثك امس قالت نعم قال اذا سألك اليوم اذا كنت مرتاحة في غرفتك فقولي له انك توثرين غيرها قالت لماذا قال لان كل شيء قد تهيأ لانقاذك فيها

وعند ذلك افترق عنها وهو يقول لا احب ان يرانا احد نتحدث وقد فهمت ما قلته لك فلا تخالفيه ثم انصرف وبقيت اورور وحدها وهي تحسب انها حالمة

وفي المساء دق جرس السجن مؤذنا بدخول كل سجين الى غرفته فذهبت اورور الى غرفتها فقيها السجان وقال لها الملك مرتاحة في غرفتك ياسيدتي فارتعشت اورور وذكرت وصية سارا بيم فقال لها اظن ان غرفتك ضيقة وسانقلك الى خير منها فهلمي معي ثم تقدمها فتبعته اورور الى الغرفة التي كان فيها السجين الذي اعدم فنظرت اورور اليها وعلمت لاول وهلة ان غرفتها كانت افضل فايقنت ان وسائل الفرار قد اعدت في هذه الغرفة ما السجان فانه قال لها انك قد تسمعين ضجيجا في هذه الليلة فلا تجزعي ثم تركها وانصرف فلم يبق ثمة لدى اورور واقامت في غرفتها قسما عظيما من الليل دون ان تستطيع الرقاد ثم تغلب عليها النعاس ولكنها لم تكد تطبق عينيها حتى استفاقت مرعبة اذ سمعت صوت نقب في ارض الغرفة فاستوت جالسة في سريرها وذكرت ما قاله لها السجان فنزلت من سريرها وجعلت تصغي فايقنت انهم ينقبون ارض الغرفة لانقاذها وعند

ذلك ركمت وجعلت تصلي ليس من اجلها بل من اجل اولئك الذين قد يخاطرون بنفوسهم في سبيل انقاذها

وبعد هنيهة اشتد الصوت وكان معظمه تحت سريرها فاضاءت شمعتها وجعلت تنظر الى الجهة التي صدر منها الصوت فلم يطل مكثها حتى رات ان بلاطة قد رفعت من الارض تحت السرير وسمعت صوتا يقول لها ازيحي سريرك يا سيدتي الى الجهة الثانية

وقد تشجعت الفتاة لما كانت موقنة انه جميع ذلك لانقاذها فازاحت السرير وصعد رجل من ارض الغرفة اليها وهو مقنع بقناع احمر

وكان يحمل مبردا فاسرع الى نافذة الغرفة المشرفة على الطريق فكسر حديدها بالمبرد وعلق به حبلا طويلا واطلقه الى الخارج فقالت له اوزور العلنا نهرب من هذه النافذة قال كلا فان حراس السجن يرونا وانما كسرت الحديد وعلقت الحبل كي يتوهموا انك هربت من النافذة ولا يفطنوا لارض الغرفة فنستطيع لذلك ان ننقذ من نشاء مرة ثانية والان فانزلي من ذلك الثقب الذي فتحته تحت السرير وانتظريني فاني اريد ارجاع السرير الى موضعه ثلاثمئات اورور ونزلت من ذلك المنفذ فارجع الرجل المقنع السرير الى موضعه ثم نزل في اثرها واعاد البلاطة التي انتزعها الى ما كانت عليه بحيث لا يفطن لانتزاعها احد ثم اضاء شمعة فنظرت اورور على نورها هوة عميقة فرعبت وقالت له ما هذا قال لا تخشى يا سيدتي فهو بئر من آبار الدير لها منفذ من اسفلها الى الخارج وقد علقنا فيها سلما فتعلقي بعنقي فانزل بك السلم واغمضي عينيك كي لا تصابي

بالدوار لشدة عمق الهوة

فتعلقت اورور بعنقه ونزل بها استين درجة من درجات ذلك السلم الطويل حتى استقر بها على الارض فوجدت رجلين مقنعين بنفس قناعه يحملان مصباحا فعلمت انهما من اعوانه ولكنها نظرت الى الارض تراءى على نور ذلك المصباح كثيرا من العظام المجمعة فذعرت ذعرا عظيما وقالت ما هذا قال انها عظام بشر كانت الحكومة السابقة تلقيهم في هذه البئر اخفاء لامرهم ثم التفت الى رفيقيه وقال هلموا بنا الآن فان الساعة قد بلغت الثانية من الصباح فقالت له اورور الى اين قال الى حيث تضعك في محل امين قالت ولكن كيف نخرج من هذه البئر قال من منفذ يتصل بهذه السين ثم اشار الى رفيقيه ان يتقدما بالمصباح فسارا حتى وصلا الى منفذ البئر فدخلا منه يتبعهما اورور والرجل المقنع الى دهليز طويل انتهيا منه الى ضفة السين وكان هناك قارب ينتظرهم وفيه بحار فوقفت عند ذلك اورور وقالت لذلك الرجل المقنع لي يا سيدي في باريس اناس احبهم وهم يبكون لاسري وقرب اعدامي قال المعتقهم هم اختك ياسيدتي قالت الملك تعرفها قال كلا ولكن ابن عمك الكونت لوسيان قد دفع فدية لها للجمعية كما دفع فديتك فتعهدت الجمعية بحمايتها وهي الآن آمنة كل خطر وستجدينها حيث تذهب بك الآن فصاحت اورور صيحة فرح واسرعت بالوثوب الى القارب فسار القارب بهم يمخر في ذلك النهر الهادىء حتى بلغ الى شاطىء جزيرة بلكورت وهناك منزل صغير تضيء فيه الانوار فقال لها الرجل المقنع هذا هو المنزل الذي ستلجأين اليه قالت واختي

قال انك تجد منها فيه فركعت اورور في تقارب وبسطت يديها الى السماء فقالت رباه انك على فرط كرمك لا يزال بعض الجاحدين يشككون بعنايتك

٣١

ولنعد الان الى حنة فنذكر كيف انقذوها ذلك ان لوسيان بعد ان دفع للرجل المقنع فدية اورور وحنة ودله على المكان الذي تقيم فيه حنة قال له الرجل المقنع انتظرني عند هذا الحلاق حتى اعود اليك وادخل الى منزله كي لا يراك احد ثم تركه وانصرف وعاد اليه بعد اربع ساعات وهو يحمل ثيابا يلبسها عادة عمال الميناء فقال له ان اورور ستنقذها الليلة ولا حنة فستونى انقاذها انت قال كيف ذلك قال ذلك ان الحكومة تعتقد الان انك مقتول فلا يبحث عنك احد لان اسمك قد قيد في سجل الذين اعدموا ولكن الحكمة محمودة في كل حال فالبس هذا الشعر المستعار وهذا الثوب الذي جئتك به واذهب في الليل الى دكان الغسالة تجد قربها مركبة وامة فاذن منها وقل لسائقها ان مولاك ١٢٠ فلا يجيبك بشيء ولكنه يتبعك وعند ذلك تجد حنة فتصعد بها الى تلك المركبة وتدع السائق يذهب بكما الى حيث يشاء فقد اعطيناه التعليمات اللازمة قال واين اراك قال انك قد لا تراني ولكنك ترى احد رجال جمعيتنا دون شك وهو يمهد لكم جميعا سبيل الخروج من العاصمة ثم تركه وانصرف

وفي الليل ذهب لوسيان الى دكان الغسالة وكانت خلوة وحدها فيها فاخبرها لوسيان بجميع ما اتفق وان اختها قد انقذت وانه سيسير بها اليها فكادت تجن من فرحها لسلامة اختها وسلامة لوسيان الذي كانت تهواه ورضيت بالذهاب معه الى ان تعود الغسالة فقال لها لا سبيل الى الانتظار فان الموقف حرج قالت ولكن هذه المنكودة ستجن من قلقها اذا عادت ولم ترني قال لا باس فسارسل من يخبرها انك في مامن وسكانها خير مكافأة فلم تجد بدا من موافقته وذهبت معه الى تلك المركبة التي كانت تنتظرة فسارت بهما تنهب الارض وتسابق الرياح

وفي ذلك اليوم نفسه كان بوليت وبيي خرجا من غرفة داغوبير الى السجن كي يستعلما من السجان عن مصير اورور فقابله بيي السجان وعلم منه ان اعدامها لا يكون قبل اسبوع اذا ثبت انها غير حبلى

وكانت ام روكامبول قد جاءت الى داغوبير اثناء غيابهما وسقته ذلك الرشاش على ما تقدم فلما علم بيي ما اراد ان يعلمه عاد مع بوليت الى داغوبير وسال بواب الفندق عنه فقال له انه لا يزال في غرفته ولكن يظهر ان اخلاقه قد ساءت بعد خروج النورية من عنده قال اي نورية قال انها امراة تستكشف الطوالع ناداها داغوبير وهي واقفة تصيح تحت النوافذ فارتعش بيي وحدثه قلبه بمصاب فصعد السلم ركضا وامر بوليت ان يتبعه ففتح غرفة داغوبير ودخل اليه فوجده جالسا على كرسي وقد تغيرت سحنته واحمرت عيناه وتدلت شفتاه واضطرب نظره فوقف بيي باهتا عند عتبة الباب اما داغوبير فانه وقف حين راه وقال له السلام عليك يا

سيدي الجنرال فبهت بيبي وقال له ما بالك يا حضرة القائد فقال له داغوبير ما بالك يا سيدي الجنرال كي تخبرني اذا ستهاجم غدا طلائع النمساريين ليس كذلك اني مستعد يا حضرة الجنرال

فقال بيبي ويلاه انه مجنون ثم نظر الى بوليت فقال له ابق هنا ولا تفارقه لحظة فاني اخشى ان يلقي نفسه من النافذة ثم اسرع فخرج من تلك الغرفة وهو ضائع الصواب الى بواب الفندق وساله ان يصف له تلك الجارية فلما وصفها له قال في نفسه انها تتوان دون شك فان هذه الاوصاف تنطبق عليها كل الانطباق

ثم سار البواب قائلا الا يوجد طبيب قريب في هذا الشارع

فقال نعم وارشده الى منزله فهرول بيبي اليه وجاء به الى داغوبير فعصبه وقال ظن انه اصيب باضطراب في عقله على اثر خوف شديد غير ان بيبي دعا على المائدة زجاجة ماء وقد ازرق الماء فيها بحيث بات يشبه لون السماء وراق كاس ماء فرغ نصفه فاخذ الزجاجة وعرضها على الطبيب فمصه الطبيب وذاقه بلسانه ثم اعاده الى المائدة وقال لقد عرفت العلة فان احد اعداء هذا المنكود سقاه سما يذهب بالعقل ولكني عرفت السم وعرفت ترياقه وشافيه قال كم يقتضي لشفائه من الزمن قال اسبوعين فاضطرب بيبي لاعتقاده انهم سيعدون اوروز بعد ثلاثة او اربعة ايام وانه لا بد من اعدامها اذا لم يشف داغوبير قبل هذا الموعد غير انه لم يجد حيلة فقال للطبيب اترك يا سيدي ان تبذل عنايتك لشفائه فهو القائد داغوبير بطل المعارك الاخيرة ثم ترك الطبيب عنده واشار الى بوليت

ان يتبعه فلما صارا خارج الفندق قال له بوليت الى اين تذهب قال الى انطونيان فانها هي التي سقته هذا السم وهي التي كانت متنكرة بملابس النور قال ماذا تريد ان تصنع عندها قال سأخبرك حين نصل فقد خطر لي خاطر لم ينضج في مخيلتي بعد ولا بد لذلك ان يكون الاحدب معنا قال نجده عند الغساله قال هلم بنا اليها

ولنعد الآن الى البومة فانها حين علمت اورور ان نجت من الاعدام ورات ان حنة لم يقبض عليها ايقنت ان بيني يهزأ بها فعولت على ان تعمل لنفسها . وكان يوجد مركز للبوليس في الشارع الذي كانت فيه فلما ارسلتها الغسالة بالملابس الى اصحابها غنمت هذه الفرصة وذهبت توا الى مركز البوليس فدخلت الى المأمور وقالت له اني خادمة عند امراة سيمون الغسالة في هذا الشارع نمرة ٧ وقد ارسلتني اليك قال ماذا تريد مني قالت ان لديها فتاة من الاعيان وقد ارسلتني كي اخبرك بامرها فكتب المأمور كل ما قالته في سجل امامه وقال لها عودي الى سيدتك وقولي لها كوني مطمئنة فسنسلمها قريبا الى الجلاد فسرت البومة سرورا لا يوصف وقالت له متى يكون ذلك قال في الحال فانصرفت البومة وهي تقول في نفسها اذا انقذوا الواحدة فلا بد من قتل الاخرى

ولم تعد البومة توا الى الدكان بل ذهبت الى الزبائن لايصال الملابس الى اصحابها فلما عادت الى الدكان لم تجد حنة ولم تجد الغسالة فاضطرب قلبها وقالت في نفسها لقد قبضوا عليها دون شك ولكني كنت اود ان ارى

وبعد هنيهة دخلت الغسالة منذعرة فقالت لها مارايت حنة قالت كلا ففتحت الباب المؤدي من وراء الدكان الى الحوش وجعلت تنادي حنة بصوت مرتفع فاجابتها جارة لها وقالت لقد ذهبت منذ ساعة قالت الى اين قالت لا اعلم فاني رايتها متابطة ذراع رجل وقد ركبت معه مركبة وسارت بهما فصاحت الغسالة صيحة ذعر وعادت الى الدكان فانطرحت على كرسي واهية القوى

وبعد حين جاء زوجها والاحدب فلما راى الغسالة على ما كانت عليه من الاضطراب ولم ير حنة سال عنها فقالت له البومة انها سافرت وقد اختطفوها فأن الاحدب اين الموجع وحاول ان يخرج من الدكان وهو يقول من اي طريق ذهبوا بها غير ان بيبي وبوليت دخلا في ذلك الحين ففهم بيبي لفوره كل شيء وقال لهم ادخلوا جميعكم وانت يا بوليت اقفل الباب ولا تدع احدا يدخل وبعد ذلك دنا من الغسالة وقال لها اين الفتاة قالت انهم اختطفوها قال من الذي اختطفها قالت لا اعلم فان جارتي رات فتى ركب واياها مركبة قال كيف ذلك الم تكوني في الدكان قالت كلا فوضع بيبي يده على كتف البومة وقال لها وانت الا تعلمين شيئاً غير ذلك فاصفر وجه البومة وقالت له بلسان يتلعثم كلا فاخذ بيبي بيدها وادخلها الى المكان الذي يطبخون فيه من الدكان وقال للاحدب اتبعني فسنحملها على الكلام اما البومة فانها كانت ترتجف وتقول اني لا اعلم شيئاً فاخذ بيبي سكينا كبيرا كان المائدة فهزه بيده وقال لها اتقولين الحقيقة او اذبحك ذبح الشاة فجثت البومة على ركبتيها وقد رعبت لمنظر السكين فقالت

رحمك في قول كل شيء قال انت تي وسيد جنه قالت نعم قال متى قالت منذ ساعة قال لمن قالت للمامور البوليس في هذا الشارع

اما زوج الغسالة فانه حين رى البومة جثت على ركبتيها وسمع اقرارها اوشك ان يجن من ياسه فهم ان يخنقها ولكن بيبي حال بينه وبينها وقال له لا تجزع فان هذا المامور من اصدقائي وساسترد منه الفتاة فانتظروني حتى اعود وبينما هو يحاول الخروج سمع قرعا على باب الدكان وصوتا يقول افتحوا باسم الشرع فامر بيبي بوليث ان يفتح الباب ففتحه ودخل رجل يتبعه اثنان من البوليس السري فلما راى هذا البوليس بيبي رجع خطوة الى الوراء لان بيبي كان رئيسه فناداه باسمه وقال له ما اتيت تعمل هنا قال اتيت للقبض على فتاة من النبلاء فنظر بيبي الى من حواليه نظرة مفادها ان لا يجيب احد منكم بحرف ودعوني اتولى الكلام عنكم ثم نظر الى البوليس فقال له لقد تأخرت ايها الصديق فقد قبض عليها قال من اوقفها قال انا وذلك منذ ساعة فلما راى هذا البوليس رئيسه عند الغسالة لم يشك بحرف مما قاله فانحنى معتذرا وانصرف

اما بيبي فانه حار في امره بعد انصراف البوليس وقال اذا لم يكن قد قبضوا عليها فمن هذا الرجل الذي اختطفها . وعند ذلك قرع الباب ثانية ففتحه بوليث فدخل منه رجل وقال اهنا يقيم سيمون برجفين فاجابه سيمون نعم قال ان فتاة كانت سائرة في مركبة في شارع مونتمارتر كتبت هذه الرسالة وعهدت الي بايصالها اليك ففضها سيمون بيد ترتجف وقرأ فيها ما يأتي (لا تجزعوا فانا في امان تام وسيردكم كتاب غدا)

وكان هذه رسالة بتوميع منه وقد قرأها فاسيمون بصوت مرتفع فصاح الاحدب صيحة فرح ونظر الى الخط فقال انه خط حنة غير ان بيبي قطب حاجبيه وقال لا بد ان يكون في لامر سر ثم قال للاحدب انا في حاجة اليك فهلم معنا

وبعد هنيهة خرج بيبي وبوليت والاحدب اخذ سيمون البومة وقذف بها الى خارج الدكان وهو يقول لقد ربيناك ايتها الافعى فما جلبت لنا غير الويل فاذهبي وانفثي سمومك في غير هذا المكان لاردك الله اليه

٣٢

ولم يكن بيبي قد اخبر رفيقيه الى الان بشيء من قصده فسار بهما حتى لقي مركبة وامر سائق ان يسير الى بلازو اي الى منزل امروكامبول فساله الاحدب عند ذلك الى اين ذاهبون فقال له انى استطيع الان ان اخبرك بكل شيء فاني لم اثق برسالة حنة كل الثقة

قال ولكن الخط خطها

قال هو ذاك ولكنها قد تكون مكرهة على كتابة تلك الرسالة انما يجب ان نعرف هذا الرجل الذي اختطفها فقال له الاحدب الا يمكن ان يكون داغوبير

فهز بيبي راسه وقال ارى ايها الصديق انه يجب ان اوقفك على الحقيقة بجملتها فان هذا المنكود بات من المجانين

فدعر الاحداب ذعرا شديدا وقال داغوبير مجنون

قال نعم فقد جن في هذا الصباح وكان رجاءنا معقودا عليه بانقاذ البنتين فلم يبق لدي غير طريقة واحدة وهي اكراه انطونيا على انقاذهما ولهذا اردت الذهاب بكما الى منزلها لتعرف طريقة الدخول الى المنزل ويبت

قال دون شك فقد اقمت مدة طويلة في هذا المنزل فعرفت كل مداخله

قال كيف ندخل اليه

قال نبدأ بتسلق السور الى الحديقة ثم نلج منها الى المطبخ ومنه الى المنزل ولا يكلفنا ذلك عناء كبير غير ان العادة في هذا المنزل انهم ينامون في النهار ويسهرون في الليل

قال كم فيه من الخدم

قال لا يوجد فيه غير خادمتين وبستاني ولكن البستاني يبيت في منزله في القرية

قال انما نحن ثلاثة رجال نقوى على ثلاث نساء

قال هذا لا ريب فيه غير ان المحامي يزورها كل ليلة

قال ما عدا هذه الليلة فقد اختصما امس وعلمت اليوم انه مدعو الى العشاء مع روبسبير عند احدي السيدات

قال اذا كان ذلك فان الامر سهل ميسور ولكن ما عساك تصنع عند انطونيا

قال ساخبرها بين ان ترد لنا البنتين وبين ان تموت فهل لديكم سلاح

فقال بوليت انا لدى خنجر وقال الاحدب وانا كذلك فقال بيبي وانا لدى غدارتان وهذا السلاح كاف لحملها على الاذعان

ثم سار الثلاثة حتى انتهوا الى ذلك المنزل فنزلوا من المركبة واوقفوها في محل بعيد وتقدمهما بوليت فقال لهما اني سالج المنزل من القبو الى المطبخ فافتح لكما الباب فانتظراني عنده

ثم تركهما فتسلق الجدار وهبط من فوقه الى الحديقة فدخل الى القبو وصعد منه الى المطبخ دون ان يراه احد ثم خرج من المطبخ الى فسحة الدار ولم يكن يرى غير نور ضعيف ينبثق من غرفة تنوان فنزل من الفسحة سلما لينتهي الى الباب ولكنه لم يكد ينزل درجة حتى راى وصيفة تنوان قد خرجت الى الفسحة تحمل شمعة واتجهت الى السلم فانزوى الى الجدار مستترا غير ان لوصيفة رائه فذعرت وهمت ان تصيح فوثب عليها وثبة النمر المفترس فوضع خنجره فوق صدرها و قال لها اذا فهلت بكلمة اغمدت هذا الخنجر في صدرك

وقد قبض علي عنقها باحدي يديه فلم تستطع الوصيفة صياحا وسقطت الشمعة من يدها فانطفأت وسادت الظلمات

و نعد الان الى تنوان فلقد تركناها وقد خرجت من الفندق بعد ان رمت داغوبير بتلك النكبة وذهبت الى المركبة التي كان ينتظرها اليها المحامي فقالت له لقد قضي الامر

فسارت بهما المركبة حتي ابتعدت عن الفندق بعدا شاسعا فنظرت تنوان الى المحامي وقالت له فجاءة يجب ان نفترق اذ يجب عليك ان تذهب

الى مجلس الامه

قال ولكن الا تخبريني ماذا صنعت بذلك الفندق

قالت اني استكشفت طالع داغوبير ولم البس هذه الملابس الالهذا الغرض

قال ماذا تنبأت له

قالت صيرته مجنونا وسيدوم جنونه ثمانية ايام لا يستطيع في خلالها الياس العفو عن اورور

قال ولكن كيف صيرته مجنونا

قالت هذا سر من اسراري والان فانزل فقد آن الفراق

قال اذن الى اللقاء في هذا المساء

قالت لا لقاء بعد هذا الفراق الاحين يقطع راس الفتاة التي وعدتني بقتلها واخللت بما وعدت

قال وبعد ان تقتل

قال ربما عفوت عنك

فحاول ان يلثم يدها ولكنها دفعته بجفاء فنزل من المركبة وهو يتلظى غضبا فانه كان في اشد العوز الى المال ولا سبيل اليه الا من جيوب تنوان فذهب الى منزله بدلا من الذهاب الى مجلس الامة وهو عازم على ان يبذل مجهوده في سبيل اعدام اورور

وفيما هو سائر التقى بيبي وهما متفقان على اعدام الفتاة فتداولا بشانها واخبره المحامي بما كان من خصامه مع تنوان فضحك بيبي وقال

له انها سحابة صيف سوف تنقشع

ولبثا سائرين وهما يتحدثان حتى وصلا الى منزل المحامي فاعطاه بوب رسالة وقال له انها من روبسبيير فقرأها المحامي وقال لبيبي كن واثقا اني لا اذهب الى هذه المراة في هذه الليلة فاني مدعو الى العشاء مع روبسبيير فقال له بيبي وانت كن واثقا انك اذا لم تذهب اليها اتت اليك ثم افترقا وهما يضحكان وقد ايقن بيبي من المحامي انه لا يزور تنوان في هذه الليلة وايقن المحامي من بيبي انهم سيعدمون اودور بعد ثلاثة ايام

اما تنوان فانها عادت الى منزلها وهي مقبضة الصدر لانها كانت تحب المحامي حبا شديدا ولا صبر لها على فراقه ولكنها املت ان يعود اليها في تلك الليلة فقامت في سريرها تنتظر وهي لا يهدأ لها بال ولا يغمض لها جفن فلما سمعت وقع قدام في الحقيقة فنادت وصفتها وقالت لها اني اسمع وقع اقدام فانظري من القادم

فاخذت الوصيفة شمعة وخرجت الى الفسحة

وقد سمعت تنوان بعد خروجها وقع اقدام في الفسحة فاضطرب قلبها وقالت انه هو دون شك ولكنها لبثت في سريرها

وبعد هنيهة سمعت قرعا على باب غرفها فاذنت للطارق بالدخول ففتح الباب ونظرت تنوان فرات ان القادم لم يكن المحامي بل كان بيبي وبوليت

اما بيبي فانه وقف في الباب وهو يبتسم فذعرت تنوان وقالت له ماذا تريد

فاجابها بملء اللطف والتودد اني قادم ياسيدتي بانباء من المحامي د .
فقد رايته منذ حين ثم دخل الى الغرفة وتبعه بوليت فاقفل الباب

وكانت تنوان قد رات بيبي مرة واحدة واحسنت الية حين وعدها بالقبض على ادرور بل هو الذي قبض عليها فلم يكن هناك سبب يدعوها الى الخوف منه غير انها مع ذلك ذعرت لدخوله عليها ولا سيما حين رات بوليت قد دخل معه

وراى بيبي انها تجاهلت معرفته فقال لها اترى ان سيدتي لم تعرفني
قالت بل عرفتك فانت رجل البوليس ولكن لماذا اتيتني في هذه الساعة
قال لانى علمت انك لا تنامين باكرا
قالت اانت قادم من لدن المحامي د .
قال نعم ولا
قالت اني لم افهم ما تعنيه قال اني حين قلت لك اني قادم بانباء من المحامي لم اكن كاذبا فقد رايته اليوم وهو يتعشى مع روبسبير فلا يستطيع الحضور
قالت اهو ارسلك لتخبرني بذلك
قال كلا
قالت اذن ما اتيت تعمل هنا
قال جئت لاحدثك في بعض الشؤون
قالت وهذا الرجل الذي يصحبك
فدنا بوليت منها وقال لها ترى ان سيدتى لم تعرفني ايضا فانا الذي

انقذت اورور امس بادعائي انها حبلى

فاضطربت تنوان وقالت له ويحك ايها الشقي كيف جسرت على ذلك ثم نظرت الى بيبي وقالت له وانت ماذا تريد مني

فقال لها لا حاجة الى الغضب والشتم يا سيدتي فاذا اصغيت الي عرفت ما اريد

فمدت يدها الى جرس تريد مناداة خادمتها فاعترضها بيبي وقال لا حاجة الى ذلك ثم اخرج غدارته وقال لها اذا اردت الحياة فاحذري ان تستغيثي ثم صوب الغدارة اليها فذعرت تنوان ولزمت الصمت وعند ذلك قال لها بيبي انك اذا كنت عاقلة ونهجت مناهج الحكمة لا نسيء اليك بشيء

فظنت تنوان انهما يريدان سلبها فقالت لهما املكما تريدان مالا

فاجابها بيبي كلا بل نريد منك كتابا الى المحامي د. وانا امليه عليك ثم كشف ساعته وقال اني امهلك خمس دقائق للتفكير

قالت ولكن ماذا تريد ان اكتب ثم جعلت تجيل نظرها بين هذين الرجلين القابضين على حياتها فقال لها بيبي اجلسي على هذه المائدة واكتبي ما اميله عليك فقد مضى من المهلة دقيقتان

فقالت له ولكن قل لي ماذا تريد ان اكتب

قال انك اغلظت القول لهذا الفتى الجميل فمن العدل ان تكتبي اليه رسالة تودد تمسيه ذلك الجفاء ثم لا يخفاك يا سيدتي ان هذا المحامي على كثرة مكاسبه لا يزال محتاجا الى المال وهو الان محتاج الى عشرة الاف

فرنك

فابتسمت تنوان بتمام احتقار وقالت لقد فهمت كل شيء الآن فهو الذي ارسلك

قال لنفترض انك اصبت فخذي القلم واكتبي ما امليه عليك فلم تجد بدا من الامتثال وشرعت بالكتابة فأملى عليها يبيي ما يأتي

ايها الصديق الحبيب

(انى اغلظت لك القول في هذا الصباح)

فرفعت تنوان راسها وقالت كيف عرفت هذا فقال لها ان من يمتهن مهنتي يا سيدتي يجب عليه ان يعرف كل شيء ثم اعرف ايضا انك لبست ثوبك القديم قالت اعرفت هذا ايضا قال بل عرفت ان داغوبير المنكود قد ذهب عقله ولكن اتمي الآن كتابة ما امليه عليك فرعبت رعبا شديدا وعادت الى الكتابة فاملى عليها ما يأتي

(ومع ذلك فانى لا ازال اهواك ولا احب الي من ان اعفو عنك فانى اعلمت انك في حاجة الى المال وانه لا يسؤك قبض عشرين الف فرنك في هذه الظروف

« غير انه خطر لي خاطر احببت ان اكتب لك عنه حذرا من فوت « الاوان وهو انى في هذا الصباح كنت اطلب موت اورور اما الآن « فقد غيرت قصدي ولا اريد لها الا الحياة »

فرفعت تنوان راسها وقد اتقدت عيناها وقالت له ما هذا القول وماذا تريد مني ايها الرجل العمل المحامي الذي ...

فقاطعها بيبي بضحكة مرتفعة وقال لها لقد كنت اتوهم انك اشد ذكاء مما ارى الم تعلمي بعد ما نريده منك انا وهذا الفتى

قالت كلا لم افهم بعد

قل اذن فاعلمي اننا نريد انقاذ اورور واذا كان لا بد من اعدامها فانك لا تتنعمين بعدها بالحياة بل انك تموتين قبلها وغاية ما اسالك اياه الآن ان تعودي الى الكتابة قالت ماذا تريد ان اكتب قال اني موضح لك الحالة فاسمعي انك بالامس كنت تريدين اعدام اورور دي مازير قالت ولا ازال اريد اليوم قال كلا بل انك لا تريدينه لاني انا وبوليت لا نريد وانه لا بد لك من الامتثال

وكان يقول لها هذا القول وهو يعبث بنداراته غير ان تنوان بقيت مترددة فقال لها اني امهلك خمس دقائق اخرى فاعترضه بوليت وقال ان المهلة طويلة قال كلا فان بعض الناس يترددون في امورهم ومع ذلك فان هذه السيدة قد تكون تكره اورور كرها عظيما حتى بانت تؤثر الموت على ان تحيي اورور

فايقنت عند ذلك تنوان انه لا حيلة لها معهما وانهما يقتلانها دون شك اذا اصرت على المكابرة فسالت دمعة من عينها لقهرها ونظرت الى بيبي فقالت له املي ما تريد فاملي عليها ما ياتي

« لقد قلت لك ايها الصديق اني في هذا الصباح كنت اسالك اعدام اورور واما الآن فاني اسالك حياتها ولا اجد اسهل عليك من انقاذها فاستعن بروسبير فان هذا الرجل يحكم فرنسا وترتجف منه اوربا بكلمة منه

تفتح لك ابواب السجن واذا شئت اطلقت سراح اورور هذه الليلة والذلك ارجوك حين تطلق سراحها ان تسلمها الى بيبي حامل هذا الكتاب وهو يذهب بها الى حيث امرته ومتى فعلت ذلك فاسرع الي ايها الحبيب تجدني سعيدة بلقائك

(والان فانك قد تكون محتاجا الى المال والذلك اعطيت بيبي حوالة على البنك الذي اقبض منه ربع اموالي وهو يدفعها اليك . الى اللقاء ايها الحبيب فاني سانام الآن كي احلم بك »

ثم وقعت على هذا الكتاب والدموع تذرف من عينيها القهرها وقالت لبيبي انك فزت على اليوم وسافوز عليك في الغد ويكون انتقامي شديدا

فلم يجبها بيبي ولكنه نظر الى بوليت وقال له اني توسمت فيك الذكاء يا العتي واري انه يجب ان استشيرك في امر اشكل علي ذلك انه لنفترض ان المحامي قد داخله الريب وجاء الى هنا ليرى انطونيا فكيف تمنعه عن مقابلتها

قال نسجنها في غرفتها

قال ولكن ما تصنع بالخادمتين

قال اذن اقتلها

قال كلا اني لا اريد قتلها الآن فان حسابي معها لم ينته بعد

فذعرت تنوان ذعرا شديدا لقوله وقال بوليت اذن قل رايك فاني لا اعلم ماذا يجب ان اصنع

قال لقد خطر لي خاطر ان وهو نذهب بهذه السيدة الى باريس

قال ولكن ماذا نصنع بها في باريس

قال لقد اصبت يا بني وقد خطر لي خاطر آخر هو اني غير محتاج اليك والى الاحدب في باريس فابقيا هنا واسمع الان ما يجب ان تصنعه . ان هذه السيدة مصابة بصداع اليم وانت طبيبها

قال ولكن اذا جاء المحامي

قال يكون ذلك لنكد انطونيا وسوء طالعها

قال كيف ذلك

قال ذلك انك تغمد خنجرك في صدرها قبل ان يصل اليها

قال ووصيفتها

قال سيتولى الاحدب شانها وتكون مهمته معها كمهمتك مع هذه السيدة . ثم تركه وذهب الى الاحدب فوجده مشهرا خنجره على لوصيفه وهي تكاد تجن رعبا فقال له ارسلها يا اني الى سيدتها فانها محتاجة اليها واذا صاحت ضعف صيحة فاطعنها بخنجرك طعنة قاضية فدعها لي غرفة تتوان وتبعهما ببي فقال لبوليت افهمت ما اوصيتك به قال كما ينبغي قال اذن اوصي بتوات بما اوصيتك وانا ذاهب فخذا هاتين الغدارتين فانت محتاجا اليهما في باريس واعلم يقينا انه اذا اجتمع المحامي بهذه المرأة لا تنجو ورود من الاعدام

ثم تركهم وانصرف الى المركبة التي كانت تنتظره فسارت به وجعل يقول في نفسه لا بد ان اجد المحامي عند الفجر فان من تعطيه عشرين الف فرنك لا يسوءه ان توقظه مهما بكرت في ايقاظه

٣٣

وسارت به المركبة حتى بلغت الى منزله في الساعة الثالثة بعد نصف الليل فصعد اليه وغير ملابسه وتأنقا فيها وصبر الى ان دقت الساعة الخامسة فذهب الى منزل المحامي وطرق بابه ففتح له البواب وقال له لقد حسبتك سيدي المحامي قال كيف ذلك الم يعد بعد قال كلا فانه يقامر دون شك قال لا باس فاني انتظره

وبعد هنيهة اقبل المحامي وهو مقطب الجبين فسر بيبي لوثيرته من خسارته فاجتمع به المحامي وقال له اهذا انت ايضا اني اسأت اساءة عظيمة امس بالذهاب مع روبسبيير وكان ينبغي ان اذهب الى انطونيا

قال بل اصبت ياسيدي وسابرهن لك

فنظر اليه المحامي نظرة انذهال وقال كيف ذلك

قال ذلك ان انطونيا تعبدك عبادة فهل اصابك ما اساءك في ليلتك

قال اني لعبت وخسرت

فابتسم بيبي وقال العلك خسرت كثيرا

قال مائة ليرا

قال انه مبلغ زهيد لا يدعو الى الاستياء لا سيما واني محضر لك عشرة اضعافه

فذهل المحامي وقال عشرة اضعاف هذا المبلغ وممن

قال الم اقل لك ان انطونيا تعبدك عبادة واسمع الحكاية فاني ذهبت الى انطونيا في هذه الليلة فرايتها مضطربة اضطرابا شديدا لم اكن اتوقعه

فعلمت انه ورد اليها كتاب من المانيا لم اعلم ما يتضمنه ولكنه غير افكارها فانها بالامس كانت تسأل راس اورور واما اليوم فانها تسالك حياتها وحريتها

فاندهش المحامي اندهاشا عجيبا لغرابة هذا الطلب حتى خشي ان يكون بيي من المجانين ولكن بيي اسرع ودفع اليه الكتاب الذي املاه على تنوان فقراه المحامي وزاد اندهاله اذ لم يدرك القصد من هذا التغيير وقال ان الامر غريب فقال له بيي لا انكر غرابته ولكن لا سبيل الى الجدال معها بعد ان دفعت عشرين الف فرنك في هذا السبيل

قال اين المال

قال انه حوالة على مصرف شهير وهي معي

قال هاتها

قال كلا يا سيدي لم يحن الوقت بعد اذ عهدت الي ان لا اعطيك الحوالة الا حين تطلق سراح الفتاة

قال ساطلق سراحها ولكن هات الحوالة فاني مضطر الى دفع ما خسرته امس

قال ان دين القمار يدفع بعد اربع وعشرين ساعة ويمكن اطلاق سراح الفتاة قبل هذا الاجل

قال ولكن الامر غير سهل كما تظن قال بل اراه سهلا فان روبسبيير لا يرفض لك ملتمسا قال هو ذاك ولكن اظن ان لديه سلطة تخوله اطلاق النبلاء من السجون قال اعطني امرا منه باطلاق اورور وعلي

البقية قال و لكني لم اعلم السبب في انقلاب انطونيا قال ولا انا ولكني لو كنت في مكانك لبحثت عن هذا الامر وماذ يضرك اخراج هذه الفتاة من السجن لا سيما و انك ستقبض عشرين الف فرنك فان لقد اصبت ايها الصديق وساذهب الان الى روبسبيير قال اتريد ان اصحبك قال دون شك وسنبحث في الطريق عن حيلة نقنع بها روبسبيير على وجوب العفو عن الفتاة

ثم ذهب الاثنان الى منزل روبسبيير فقال لهما بيبي وهي الطريق كيف عزمت على مخابرة روبسبيير قال رايت ان اقول له بجلاء ان انطونيا ترغب اطلاق سراح الفتاة

فابتسم بيبي وقال انك ماهر ايها الصديق بالمحاماة ولكنك ضعيف بالسياسة فان روبسبيير يكره النساء فاذا قلت له ما اردت رفض طلبك دون شك

قال اذن ما اقول له

قال قل لي كيف تمكنت من اطلاق سراح انطونيا حين قبض عليها وهي قادمة الى باريس

قال ذلك اني اقنعت روبسبيير انها تخدم الجمهورية خدما جليلة بالنظر الى علائقها في المانيا

قال اذن قل له الان ان انطونيا آخذة باكتشاف مؤامره في المانيا وانها محتاجة الى فتاة مسجونة في الدير لاحباط مساعي المتآمرين

قال ولكن الفتاة نبيلة

قال انها تخدم الجمهورية التي تحتقرها دون ان تريد

قال اني لم افهم ما تعنيه

قال ارى ان تدعني اكلم روبسبير على ان توافقني على ما اقول قال ليكن ما تريد وسار الاثنان حتى وصلا الى منزل روبسبير فقدم له المحامي بيبي واخبره بالغرض من زيارته فتولى بيبي عند ذلك الكلام وقال له يوجد مؤامرة جديدة معقودة في المانيا قال اني ساسحق هؤلاء المتامرين كما سحقت سواهم قال هو ذاك ولكن يجب ان تعلم اسماءهم قال اتعرفهم قال كلا ولكني عرفت فتاة منهم تدعى اورور دي مازير وهي رسولهم في باريس قال اهي تلك الفتاة التي لم يعدموها لانها حبلى قال هي بعينها وانا و انطونيا نضمن القبض على المتامرين اذا اطلق سراح هذه الفتاة

فدهش روبسبير وقال لماذا يطلق سراحها قال لان انطونيا تريد ان تجعلها صنيعتها فتخبر انها سعت باقاذها لاتصالها بعائلتها ثم تعطيها جوازا تسافر به الى المانيا وترسل معها خادما يوصلها اليها

قال اني لم افهم بعد

قال ان هذا الخادم سيكون انا وساعرف بعد اتصالي بها جميع الذين يتآمرون معها

فقال المحامي انها خير حيلة لاكتشافهم وقال روبسبير اني واثق من ذكائك فقل الان اذا تريد قال سطرين تكتبهما الى مامور السجن فاخذ روبسبير قلما و كتب له ما يأتي (يطلب من مامور سجن الديران يسلم اورور اورور دي مازير في الحال الى بيبي مفتش البوليس السري لخدمة الجمهورية))

فاخذ بيبي الورقة ووضعها في جيبه ثم ودع روبسبير وانصرف فخرج المحامي في اثره وقال له والان الا تعطيني

قال دون شك فخذها ولكن لابد لك من الصبر ساعتين لتقبض فان المصرف لا يفتح قبل الساعة التاسعة

وعند ذلك ودع المحامي وسار مسرعا الى السجن فاجتمع بمأموره واعطاه امر روبسبير فقال له السجان لقد جئت بعد فوت الاوان ايها الصديق فاضطرب بيبي اضطرابا شديدا حتى اوشك ان يسقط وقال كيف ذلك اعدموها قال كلا ولكنها هربت من السجن في هذه الليلة قال ان هذا محال وكيف تستطيع الفرار قال تعال وانظر ثم ذهب به الى الغرفة التي كانت مسجونة فيها اورور فراى قضبان حديد النافذة مكسورة وقد تدلى حبل منها الى الخارج فاعتقد كما اعتقد المامور انها هربت من النافذة وخرج من السجن كالمجانين وهو يقول ترى من انقذها لقد حيرت في امري ولم اعد اعلم ما اعمل

٣٤

وسار بيبي وهو لا يدري ماذا يصنع واين يسير وقد راعه فرار اورور اذ كان يعلم انه لا يوجد من يحبها ويهتم لها غير داغوبير وهو مجنون

وقد خطر له خاطر رعب له وهو ان روبسبير على ما كان له من السلطة النافذة في تلك الحكومة كان يوجد فيها من هو اشد منه نفوذا وقد تعرضت اورور للشعب حين اصعدوها الى المقصلة فبهرت بجمالها الناس ولذلك قد يتفق ان احد ارباب النفوذ هام بها كما هام بها بوليت من

قبله فاختطفها من بين يديه بقوة وفرت هاربة فهد الخاطر لانه بات يحب اورور حبا ابويا فاشفق ان تكون هذه الزهرة الطاهرة بين مخالب اهل الدعارة والاثم

ثم خطر له خاطر آخر وهو ان جنة قد اختطفت ايضا وكان خاطفها مجهولا فقال في نفسه الا يمكن ان يكون خاطف جنة منقذ اورور وعند ذلك عول على ان يذهب الى دكان الغسالة علها يقف على ما يكشف له هذا اللغز اذ لم يكن يعلم ان يسير

وكانت الساعة الثامنة من الصباح فلم يكن يخشى كيد نسوان اذ كان يعلم ان المحامي لا يذهب اليها الا حين انتصاف النهار تقريبا ولذلك ذهب توا الى دكان الغسالة فاستقبلوه فيها وعلائم البشر والارتياح ظاهرة في وجوههم فدهش بيتي لهذه العلائم وقال لهم اعلكم مسرورون فاشار اليه زوج الغسالة اشارة خفية مفادها انه لا يستطيع الكلام امام البومة فانه بعد ان طردها في الليلة السابقة وجدها في الصباح نائمة على بلاط الشارع وقد هزأ البرد جسمها فاشفق عليها وردها الى المنزل ولكنه كان يحترس منها كل الاحتراس بعد ما ثبت له من خيانتها فخرج مع بيتي الى خارج الدكان وقال له اننا بتنا ليلة امس على احر من الجمر بعد انصرافك ببوليت والاحدب ولم تذق اجفاننا طعم الرقاد لاشفاقنا على البنتين فمتى الساعة السادسة من الصباح خرجت من الدكان لذهاب الى عملي فلم اسر بضع خطوات حتى سمعت رجلا ينادني فالتفت فاذا هو كوكليس زوج اخت امراتي وهو الذي جاءنا بالبنتين فقال لي اني انتظر خروجك منذ ساعة فقلت له انك

آت دون شك لسؤالي عن البنتين فقد قبض عليهما واسقاه قال لي انهما نجتا

فدهشت دهشا عظيما وكدت اسقط لساعتي فقلت له كيف عرفت ذلك قال بسرعة وخذ مني هذه الرسالة تعلم منها كل شيء

فاخذت منه الرسالة وفتحتها فقرات فيها ما يأتي

خالتي العزيزة

اكتب اليك لاخبرك اني خرجت من ذلك المنزل السيىء الذي كنت فيه على اسوأ حال دخلت في خدمة منزل خير وانتقلت اليه بحالة فلا يخفى بالك علينا يا خالتي انه ما كان احسن حال ولا اعلم هل نستطيع الخروج من المنزل قريبا فان الاشغال فيه كثيرة ولكنا سنزورك في اول يوم نتمكن لنا فيه زيارتك

ابنة اختك

اورور

فلما اطلع بيبي على هذا الكتاب قال له سيمون اننا ادركنا القصد منه على كوننا من العمال فان اورور دعت امراتي خالتها لان الناس كلهم يعلمون انها بنت اختها وقد فهمنا كنايتها بالخروج من منزل الى منزل

قال حسنا ولكن اعلمت كيف خرجت اورور من السجن

قال لقد حدثنا انك انت الذي انقذتها

قال كلا وأا سفاه

قال اذن داغوبير

قال ولا داغوبير

قال بقي ابن عمها الكونت لوسيان قد انقذها وربما هو نفسه الذي ذهب بجنة

قال لا هذا ولا ذاك فان هذا الكونت قد اعدم وقيد اسمه في سجل السجون بين المقتولين

قال ان المهم لدينا ان الاختين قد نجتا من القتل

وكان بيبي لا يزال مشككا في نجاتهما غير انه ابى ان يكدر صفو هذا الرجل واسرائه فلم يقل له شيئا بتركه وانصرف وهو لا يعلم اين يسير

وقد اضطرب في امره حتى انه خطر له ان يأخذ جوازا ويسافر الى البلاد الخارجية فيقيم فيها الى انتهاء الثورة فانه بات يخشى انتقام روبسبيير بعد تلك المكيدة التي كادها الكونت لاعتقاده ان المحامي لا يلبث ان يكشف امرها ولذلك قرر ان يأخذ جوازا ثم يذهب الى بوليت والاحدب فيطلق سراحهما ويسافر قبل المساء

وفيما هو ذاهب في طريق قلم الجوازات لقيه رجل فقال له انت هو بيبي المفتش في البوليس السري

قال اري انك عرفني اما انا فاني لا اعرفك

قال لا بأس ولكني ساقول لك ما صنعته منذ يومين فانك افرغت مجهودك في سبيل انقاذ اورور دي مازير وذهبت في الليلة الماضية الى محاكمة المحامي د. فاكرهتها على كتابة رسالة الى هذا المحامي

فدهش بيبي وقال اتعرف هذا ايضا

قال اني انهج معك نهج الايجاز لضيق المقام فاقول انك تحمل امرا من روبسبير ترجو به ان تنقذ انرور

قال ماذا اسمع املك من السحرة ايها الرجل

قال ربما

قال ولكن كيف عرفت كل هذه الامور

فلم يجبه الرجل على سؤله وقال له انك ذهبت الى السجن ولكن بعد فوت الاوان واصغ الي الان فاني صديق الكونتس اورور واختها حنة

قال انت

قال نعم ونحن الذين انقذنا الاخوين غير ان مهمتنا لم تنتهي بعد ونحن في حاجة اليك فانك ذاهب الى قلم الجوازات اليس كذلك

ازداد اندهال بيبي وقال له ولكن من اخبرك

قال لم يخبرني احد غير اني رايتك في طريق هذا القلم وانا اعلم انك محتاج الى الفرار فما شككت انك ذاهب اليه

قال حسنا وبعد ذلك

قال اريد ان تذهب الى قلم الجوازات وتاخذ جوازا باسمك وباسم عائلتك

قال عائلتي

قال نعم وهي مؤلفة من بنتي اخيك وخادمك اما علمت الان ان بنتي اخيك هما اورور وحنة وان خادمك هو بنوات الاجدب

[illegible] صنع هذا

[illegible] ركب مركبة [illegible] ب تجري به
[illegible] نزلت وعند المساء تنظر [illegible] معدات سفرك في محطة ايصاليا فتجد
[illegible] مركبة رتجد في المركبة الاختين وابن عمها الكونت لوسبان
[illegible] زير

قال ولكن هذا الكونت قد مات

قال انه مات لدى جميع الناس ما خلا انت ونحن

فدهش بيبي وقال ولكن من انتم الذين تحيون الموتى

قال انك الوحيد الذي بذلت من الغيرة في سبيل نقاذ اورور لو سالتني
[illegible] سؤال امس لما اجبتك عنه ما اليوم فنحن واثقون انك لا تقاوم
وسبيير فلا خوف علينا من الاباحة باسرارنا لك على اني اعجب كيف تجهل
امرنا وانت من رجال البوليس مع انهم اخبروك بامرنا ولكنك هززت
كتفيك وانكرت وجودنا

قال ولكن من انتم

قال نحن جمعية اقناع الاحمر والذهاب الى اللقاء في هذا المساء ثم تركه
وانصرف

فلبث بيبي هنيهة واقفا دون حراك ثم ذهب الى قلم الجوازات فاخذ
الجواز على ما اوصاه به الرجل وبعد ذلك ركب مركبة وسار بها الى
منزل تنوان فاوقف المركبة خارج الباب ودخل فوجد بوليت والاحدب
يتحدثان بصوت منخفض وعليهما علائم القلق الشديد فلما قال لهما بيبي

انها لجت اشرق وجه لاحدب واحمر وجه بوليت فقال بيبي في نفسه ان هذا الفتى يعشق اورور فلا يجب ان يعلم انها مسافرة الى الخارج ولا ينبغي ان يراها بل انى محتاج الى بقائه هنا كي يمنع تنوان من الاجتماع بالمحامي قبل ان اسافر ثم قال لهما بصوت مرتفع لا استطيع الان ان اخبركما بما حدث تفصيلا فاقتصر على القول ان اورور باتت بعيدة عن الخطر والان اخبراني بما حدث هنا

فقال له بوليت ان انطونيا نهجت مناهج الحكمة اذ كانت تعلم انه لو بدر منها اقل بادرة لاغمدت خنجري في صدرها

فتقدم بيبي عند ذلك وطرق باب غرفة تنوان فاذنت له بالدخول ودخل فلما راته نظرت اليه نظر الافعي وقالت له اعدت الي ايها الشقي فاجابها ببرود ارى ان الاجدر بك ان تصغي الي فتحدث بشؤوننا

قالت واي شان بقي لي معك

قال ابدأ فاقول لك ان المحامي سر سرورا عظيما من النقود التي رسلتها اليه وهو سيزورك في هذا المساء ليشكرك فابتسمت ابتسامة احتقارا

قال ثم اخبرك يا سيدتي ان اورور دي مازير قد اطلق سراحها امتثالا لامرك فان المحامي ذهب ابى الى روبسبيير فاعطاني الامر باطلاقها ونحن مسافرون الليلة ولذلك جئت لاودعك

فاوشكت تنوان ان تجن من غضبها ولكنها لم تجب فنادى عند ذلك بوليت وقال له اني محتاج الى بنوات اصحبه معي واما انت فستبقى هنا

قال ابقى للمهمة نفسها

قال دون شك فاذا بدر من انطونيا ما يريبك فان لديك خنجرا وغدارة فاقتلها بايهما شئت

قال حسنا فالى اية ساعة ابقى هنا

قال الى الساعة السادسة من المساء وبعد ذلك تبرح هذا المنزل وتدع انطونيا وشانها فيه

ثم تركه وانصرف فلقي الاحدب في الباب فقال هلم معي فان الوقت ضيق

قال الى اين

قال ساخبرك في المركبة

فذهب الاثنان ولما سارت بهما المركبة قال له بيبي انذا سنسير فرسخ او رور وحنة

قال وبوليت

قال لا حاجة لنا به

وبينما كان بيبي والاحدب سائرين في المركبة الى باريس كانت تنوان تنظر الى بوليت وتقول في نفسها اني اذا استطعت التخلص من هذا الفتى بمدة ساعة احبط جميع مساعيهم ونال ما اريد

٣٥

غير ان بين الارادة والقدرة بونا بعيدا فان تنوان عرضت كاسا من الخمر في الصباح على بوليت فقال لها انى تعودت العطش والجوع فبت صبورا عليهما ولذلك لا اشرب ولا اكل عندك ولو ملات جيوبي ذهبا

فكفت عند ذلك عن الافتكار بتسممه فان حبه لاورور خير رادع له عن الخيانة غير ان تنوان لم تقنط منه وقالت في نفسها اني قتلت كريتشن وقتلت مدام دي مازير وذهبت بعقل داغوبير فلا اعدم وسيلة للتخلص من هذا الابله

اما بوليت فانه اشهر خنجره وذهب فجلس عند باب الغرفة

وكانت الخادمة تذهب ويجيء الى الغرفة وتكلم سيدتها باللغة الالمانية فقال بوليت لتنوان كلمها باية لغة شئت ولتذهب وتجيء حيث تشاء ولكن كوني واثقة انه اذا دخل اليك احد سواها فانت قتيلة لا محالة

وقد كان حين تذهب الخادمة يدخل الى غرفة تنوان ويجلس بجانبها حتى اذا عادت الخادمة بالبستاني او سواه قتلها قبل ان يصل احد اليها

فعلمت تنوان ان التخلص من هذا الفتى غير سهل ولكنها لم تقنط ولم تنقطع عن التفكير لايجاد طريقة مضمونة فان فتيان باريس مشهورون بالحذق والتروي

وبينما كانت جالسة بجانبه وعليها علائم الهم والتفكير نظرت اليه وقالت له فجاءه انك لا تريد ان تاكل وتشرب عندي ولكنك لا تمنعني عن الاكل فيما اظن

قال دون شك فما امرت ان اقتلك جوعا

قالت اذن تاذن لي ان اتغذى

قال دون شك

ونادت عند ذلك تنوان وصيفتها وقالت لها هاتي الغداء وبعد ربع

ساعة مدت مائدة في عرفتها جمعت افخر ما طاب من شكال الطعام فتنهد وليت لان الجوع اضنكه فبدات تنوان با لطعام ثم قالت للوصيفة باللغة الالمانية اصغي الى حديثي كل الاصغاء كي لايفوتك منه حرف واهذبي الى المطبخ تجدي تحت خزانة الاشربة زجاجة من النبيذ عليها ورقة حمراء فانزعي الورقة عنها و ثنيني بها ثم اعلمي ان هـذه الزجاجة تحتوي على خمر ممزوج بالمخدر

فقالت لها العل سيدتي تريد ان تتخدر قالت ربما اضطررت الى ذلك لان من شرب من هذا الخمر يتخدر بعد ساعة ولا يستفيق الا بعد اثنتي عشرة ساعة وانا سا شرب هذا المخدر ورجائي ان يشرب منه هذا الفتى ايضا وبين يراني شربت منه ويثق انه غير مسموم فينام مثلي فقالت لها الفتاة حسنا ذلك ماذا اصنع قالت تجدين في درج الطاولة الصغيرة الكائنه في غرفة بنتي زجاجة صغيرة تحتوي على سائل اخضر فصبي بضع نقط منها في فمي استفيق للحال قالت لقد فهمت يا سيدتي كل شيء ثم انصرفت لتنفيذ ما امرتها به

وعند ذلك قالت تنوان لبوليت ارجوك معذرتي اذا كلمت خادمتي بلغة لا تفهمها فاني اكلمها بشؤون منزلية قال تكلمي اية لغة تريدينها بشرط ان لا يدخل احد غير الخادمة الى هذه الغرفة قالت اني اعلم انك لا تتوقف عن قتلي قال اذا خطر لك غير هذا الخاطر فانك مغفلة

فتنهدت تنوان ولم تجبه ثم جعلت تقطع دجاجة وتاكل منها وبوليت ينظر اليها والجوع يقطع احشاءه وعند ذلك جاءتها الوصيفة بزجاجة الخمر

فقضت ختمها وصبت منها في كاسها فشربت تنوان ما فيه ببرعة واحدة

وهنا سال لعاب بوليت ولم يعد يطيق صبرا على الجوع فهم على الزجاجة وصحن الدجاج هجوم المفترس فقالت له تنوان ما تصنع قال لقد قلت لك اني لا اكل ولا اشرب عندك لاني اخاف ان تدسي السم في الطعام والشراب اما وقد رايتك تشربين من هذه الخمر المتقة وتاكلين من هذه الدجاجة فلم يبق علي خطر من التسميم قالت اني لا امنعك عن ان تاكل من طعامي فما منعتك من قبل فاقبل بوليت على الدجاجة يزدردها ازدرادا ثم شرب كل ما في الزجاجة حتى روى اوامه وتنوان تنظر اليه وعيناها تتقدمن حين الى حين بما كان كان يضيء في صدرها من الامل حتى اذا فرغ قالت له اني نمت امس نوما مزعجا ولا اجد بدا الان من الرقاد قال ذلك الك فافعلي ما تشائين فقامت تنوان الى سريرها فاضطجعت عليه واشعل بوليت غليونه و بلس يدخن عند باب الغرفة

ولكنه لم يمر به نصف ساعة حتى شعر بدوار فخشي العاقبة ولكنه قال في نفسه ان الخمر لا يمكن ان تكون مسمومة فانها شربت منها ولم اذق من الطعام غير تلك الدجاجة التي اكلت منها

ثم قام وذهب الى النافذة ففتحها التماسا للهواء ولكن جليه كانتا تضطربان فعاد الى الجلوس وهو حائر في امره

وكان خنجره مشهرا في يده فسقط الخنجر فجاءه وسقط راسه الى الوراء وتمكن منه الخدر فاطبق عينيه ونام

وكانت الوصيفة تراقبه فلما رات ما كان منه جاءت اليه فنادته فلم يجب فهزته فلم يستفق فالتقطت ذلك الخنجر الذي طالما ارعبها والقته من النافذة واسرعت الى غرفة زبنة سيدتها ففتحت ذلك الدرج واخرجت منه الزجاجة فجاءت بها الى غرفة سيدتها

وكان المخدر قد اثر بتوان كما اثر ببوليت ولكنها لم تلبث ان اصبت الوصيفة بضع نقط من الزجاجة بين شفتيها حتى انتفضت كانها قد اهتزت بالكهربائية وفتحت عينيها فنظر في البدء الى ما حواليها نظرا تائها ثم قالت لقد ذكرت كل شيء فقالت لها ماذا جرى قالت قضي الامر فنظرت الى الساعة المعلقة في الجدار وقالت ان الظهر لم يحن بعد ولا يزال الوقت متسعا فاذهبي الى السائق فمريه ان يعد المركبة وعودي الي في الحال

فاشارت بيدها الى بوليت وقالت لها ماذا نصنع بهذا الفتى

فنظرت اليه نظرة شفت عن انتقامها وقالت مري البستاني ان يطرحه في البئر قالت ولكنه يغرق فيها فاجابتها بمل السكينة هذا ما ارجوه

ثم نصرفت الوصيفة وعادت تتوان الى غرفتها وهي تقول ان اور الجميلة لم تسترد في طريق المانيا واما هذا الشقي بيبي فسينال حظه من انتقامي قبل المساء

٣٦

ولنعد الان الى المحامي د. فانه في الساعة التاسعة قبض الحوالة وعاد الى منزله فدفع كل ما عليه لمدائنيه ولم يعد يكترث لتتوان فان جيبه كان محشوة بالدنانير وهذا كل ما كان يطمع فيه

وعند الظهر اخذ قبعته وحاول الذهاب الى مجلس الامة ولكنه قبل ان يخرج من غرفته سمع جرس الباب الخارجي يدق وكان قد ارسل البواب في بعض الشؤون فخرج وفتح الباب بنفسه فظهرت له تنوان وقد اصفر وجهها من الغضب وتطاير من عينيها بريق النار

فذعر المحامي وتراجع الى الوراء فقالت له بصوت يتهدج من الغضب رى انك لم تكن تتوقع زيارتي

قال هو ذاك و كنت عازما على الذهاب اليك في هذا المساء كما امرتني بكتابك

قالت ان الناس يحسبونك من اهل الشهرة والذكاء وانت في الحقيقة اله لا عقل لك ولو كنت على شيء من الذكاء لادركت انى لا اكتب مثل هذا الكتاب الا والخنجر مشهر علي

قال ويح لهذا الجاني فلا ينجو من انتقامي فاخبريني بما اتفق فاخبرته عند ذلك بجميع ما فعله بيي فاستغرب المحامي ما سمع وقال اية فائدة لهذا الرجل من انقاذ الفتاة وهو من رجال البوليس قالت لا اعلم والوقت يضيق من البحث انما يجب القبض على هذا الرجل قبل ان يبرح باريس ويجب ان يأمر روبسبيير ...

فقاطعها المحامي وقال ان روبسبيير اذا علم بما حدث لا يغفر لي هذه الزلة قالت انه لا يجب فقط ان يعلم ما جرى بل يجب ن يعلم ذ ك منك قال هذا محال قالت اذن انت نذل جبان وما اخطأت حزرتي فيك فاصفر وجه المحامي ولكنه هز راسه ولم يجب

اما انطونيا فانها هاجت في البدء هياج اللبوة ثم هدأ ثائرها وعادت سكينتها فتبسمت بتبسم حقارة وقالت اظن انك لا تزال محتاجا الى المال اليس كذلك ثم اخرجت من جيبها محفظة مملوءة الاوراق المالية فدفعتها اليه وقالت له خذ واطع فاطرق المحامي براسه وضحكت تنوان ضحكا عاليا ثم قالت قلت لك خذ واطع ولا تتلبس بلباس الشرف فما خلق هذا الشرف الوهمي لامثالنا فنظر اليها المحامي وقال ماذا تريدين ان اصنع قالت اريد ان تذهب الى روبسبيير وتسأله ان يعطيك امرا بالقاء القبض دون ان تذكر فيه اسم احد قال لا اكلمه عن بيبي قالت كما تريد بشرط ان يكتب لك الامر ولكن يجب ان تراه في الحال قال سانال ما تريدين بعد ساعة قالت حسنا والان قل لي اين يقيم بيبي فارشدها الى منزله وقال لها انه مجاور لدكان الغسالة التي كانت فيه اورور

فنهضت تنوان عند ذلك تحاول الانصراف فقال لها الا تريدين انتظاري هنا الى ان اعود قالت كلا فاني احب ان اعلم اذا كان بيبي قد عاد الى منزله ثم خرجت وخرج معها المحامي الى المركبة التي كانت تنتظرها وفيها وصيفتها وامامها صندوق يحتوي على ملابس مختلفة فصعدت الى المركبة وقالت للمحامي عند ما تنال الامر عد الى منزلك وانتظرني فيه ثم امرت السائق بالمسير الى الشارع المقيم فيه بيبي وارخت ستائر المركبة فخلعت ملابسها ولبست ملابس الشحاذين حتى اذا وصلت الى ذلك الشارع فاوقفت المركبة وقالت لوصيفتها انتظريني حتى اعود ثم نزلت من المركبة وهي تتوكأ على عصا وقد تنكرت هيأتها كل التنكر فلم تسر بضع خطوات

حتى رات بيبي وبنوات يسيران امامها فجعلت تقتفي اثرهما وكلما وقفا وقفت هي ايضا تسأل الناس الصدقة وما زالت سائرة اثرهما حتى رأتهما دخلا الى دكان الغسالة فوقفت في مكان ترى منه داخل الدكان

وكان اول ما رأته الغسالة والبومة ثم رأت الرجلين دخلا ورأت بعد ملائم السرور قد ارتسمت على وجه الغسالة فذكرت حين رأت البومة ان بيبي اخبرها مرة حين كان يخدمها باخلاص ان هذه البومة كانت له خير معين وانها كانت تتجسس له اخبار الاختين وذكر لها انها فتاة صغيرة فقالت في نفسها اني في حاجة الى جاسوس يراقب بيبي الى المساء وقد ظفرت به فان هذه الفتاة ستكون خير جاسوس

ولم يقم بيبي طويلا في الدكان فانه خرج يتبعه بنوات الى منزله كي يعد معدات السفر وبعد هنيهة خرجت الغسالة بعد ان اوصت البومة بما لم تسمعه تنوان فصبرت تنوان حتى رأتها توغلت في الشارع فدنت من الدكان وطلبت صدقة من البومة ولم تكن البومة من اهل الانسان غير انها تأثرت من لهجة تنوان ودخلت الى الدكان فاتتها بقطعة خبز فدخلت تنوان عند ذلك الى الدكان وجعلت تنظر الى تلك الفتاة الصغيرة نظرات كهربتها وجعلت ترتجف وايقنت تنوان انها ستبلغ منها ما تريد وقالت لها لم تعرفيني ايتها الفتاة قالت كلا قالت ولكني انا عرفتك فانت التي كنت تتمنين اعدام اورور وحنة فاتقدت عينا البومة وهاجت في قلبها عوامل الحقد فقالت لها تعرفين الاختين قالت نعم واكرههما كل الكره وقد اقسمت على ان اعدمهما قالت واسفاه لقد فات الاوان قالت كلا يا ابنتي

فاذا فعلت كل ما اقوله لك لا يفوتك الاوان و ابلغ منهما ما اريد قالت اتقطعون راسيهما قالت دون شك فقولي لي الان من هذان الرجلان اللذان كانا في الدكان قالت ان احدهما يدعى بيبي وهو رجل منافق خدعني وهزأ بي ويسرني اعدامه كما يسرني اعدامهما قالت وسيعوم ايضا فاطماني واخبريني ماذا كان يقول للغسالة قالت اخبرها ان اورور خرجت من السجن وانها مع اختها حنة في منزل على ضفة السين وانهم مسافرون جميعا في هذا المساء قالت ايسافر بيبي والاحدب ايضا قالت نعم قالت اذن ستعود البنتان الى هنا قالت كلا فان الغسالة ستذهب اليهما لودا عهما وقد اتفقت مع الاحدب وبيبي على الذهاب معا قالت الى اين قالت لا اعلم قالت هذا الذي يجب ان تعلميه بل ارى انه خير انا لو تخبأت انا في الدكان بحيث اسمع كل شيء ولا يراني احد

فوقفت البومة موقف المتردد وذكرت ان زوج الغسالة طردها فباتت ليلتها على بلاط الشارع غير ان حقدها تغلب على خوفها فاشارت بيدها الى المرتفع الذي تنام عليه وقالت لها اذا صعدت الى هذا المرتفع ترين وتسمعين كل شيء ولا يراك احد قالت متى تعود الغسالة قالت بعد نصف ساعة قالت واذا خرج بيبي من منزله اتريثه قالت دون شك قالت تبهي جيدا ثم اعطتها قطعة من الذهب وقالت لها ابقي عند الباب وساعود اليك قريبا

وكانت تنوان في حاجة الى التفكير فقد علمت ان بيبي مسافر في المساء و لكنها لم تعلم موعد الاجتماع ولم يكن لديها قوة للقبض عليه ولذلك

ذهبت الى حيث كانت تنتظرها المركبة فكتبت رسالة الى المحامي ترجوه فيها ان يحضر بستة من رجال البوليس الى مكان عينته قرب الدكان متى استولى على الامر من روبسبيير وامرت وصيفتها ان تذهب بهذه الرسالة الى منزل المحامي وان تنتظره حتى يعود

فسارت الوصيفة بالمركبة وعادت تنوان الى الدكان فقالت لها البومة انهما لم يخرجا بعد قالت اذن ارقبي الباب وانا صاعدة الى المرتفع ولكني اذا اردت الخروج من الدكان بعد عودة الغسالة فكيف اخرج قالت من النافذة . فتوجهت في المرتفع تشرف على سلم يشرف على الطريق العام فصعدت تنوان واضطجعت على فراش البومة

وبعد هنيهة عادت البومة بملابس للغسل فامرت البومة ان توقد النار في الفرن وبدأت بالعمل . ولم يطل الوقت بعد ذلك حتى عاد بيبي والاحدب الى الدكان فسأل بيبي الغسالة عن البومة فاجابته انها توقد النار فقال لها اذن لا تزالين مصممة على توديع الاختين قالت هو ذاك فاني احبهما حبا اكيدا قال اذن يجب ان نذهب معا بل يذهب كل منا على حدته حذرا من المراقبة ونجتمع في محطة ايطاليا في الساعة الثامنة من المساء قالت اتكون الاختان هناك قال دون شك

وكانت تنوان قد سمعت هذا الحديث وعلمت ان الاجتماع في محطة ايطاليا وهذا كل ما كانت تود ان تعلمه فخرجت من النافذة الى السلم ونسلت منه الى الشارع وهي تقول في نفسها لقد ظفرت بهم ولا يفلتون من قبضتي هذه المرة

٣٨

في الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم كان بيبي يسير قرب محطة ايطاليا وكانت الامطار تتساقط والشارع مقفر وهو ينظر الى ورائه من حين الى حين عساه يرى الاحدب او الغسالة وفيما هو على ذلك جاءه رجل وسأله كم الساعة فارتعش بيبي لصوته اذ عرف انه عضو جمعية القناع الاحمر الذي لقيه في الصباح فتعارفا وساله بيبي اذا كانت اتت المركبة فقال له كلا لم تحضر بعد قال وانا ايضا انتظر الاحدب رفيقي في السفر وتلك الغسالة التي كانت عندها الاخوان فانها تريد ان تودعهما قال ولكنها لا تودع غير واحدة منهما ولا تجزع فان جمعيتنا متى تولت انقاذ من يلجيء اليها تنقذه دون شك ولكننا اردنا الاحتياط فان سفركم جميعا قد يستلفت الانظار وقد عرفت اننا نستخدم كوكاليس صاحب الحارة وهو الذي جاء بكتاب حنة الى زوج الغسالة وهو لديه حواز منظم يذهب ويجيء به كل يوم فالبسنا لوسيان وحنة ملابس الفلاحين وخرج بهما كوكاليس في مركبته منذ ساعة قال واورور قال انها في مركبة واقفة في زقاق قريب قال واين نجد حنة والكونت قال في شوازي على بعد ساعة من هنا

وبينما هما سائران الهويناء يتحدثان سمعا وقع اقدام قريبة منهما فالتفت بيبي فراى الاحدب والغسالة وقد اجتمعا وادركا بيبي فقال لهم الرجل المقنع اني ساوصلكم الى المركبة وبعد ذلك لا تحتاجون الي في شيء

وبعد حين وصلوا جميعهم الى حيث كانت المركبة فصاحت اورور صيحة فرح حين رات الاحدب والغسالة اما بيبي فانه دنا منها وقال لها

لقد بذلت يا سيدي كل جهد في سبيل انقاذك قالت لقد عرفت ذلك اما انت يبيي مفتش بوليس السري قال نعم فقد [illegible] صاحبة كرد اما الغسالة فانها عانقتها وهي تبكي وتقول كنت ارد لو رايت حبيبي حية فقالت لها اورور بصوت يضطرب ان زمن هذا الاضطهاد لا يطول وحتى تبدلت هذه الحال ورجعنا الى فرنسا فثقي اننا نعتبرك امالنا ونحبك حب الامهات

وعند ذلك قطع عليهما الرجل المقنع هذا الوداع وقال لقد حان الاوان فقد بلغت الساعة الثامنة ثم التفت الى بيبي وقال له لا يوجد في شوازي غير شارع واحد ولا يوجد في هذا الشارع غير خمارة واحدة وهي خمارة كوكليس وهناك تجد لوسيان وحنة فاستودعكم الله

وعند ذلك صعد بيبي والاحدب الى المركبة بجانب اورور فسارت بهم الى المحطة وهناك بقيهم بيبي في المركبة ونزل منها كي يرى جوازه فقابل عاملا في المحطة واراه جوازه فقال له العامل انكم لا تستطيعون السفر فقطب بيبي حاجبيه وقال لماذا قال لانه ورد انا مر من مجلس الامة ان لا تؤذن لاحد بالمرور هذه الليله فاستاء بيبي وقال له سوف ترى اذا كان هذا الامر يشملني ثم دخل الى مركز المحطة فراى فيه ستة جنود فقال لهم اين رئيس المحطة فابتدره ضابط وقال انا هو فماذا تريد قال اريد الخروج من باريس ولدي جواز قال محال قال اذن فانظر هذا الامر واطلعه على الامر المكتوب بخطه وبسبيير فقرأه الضابط قال ان هذا الامر لا يفيد ايضا فرجع بيبي متذمرا وعند ذلك دخل رجلان فعرف احدهما وهو

الذي كان يعمل في البوليس السري تحت امرته وقد تنكر باسم داغوبير حين قبض على اورور بالفندق فانتشت روحه حين رآه وقال له تعال واخبر هؤلاء الله ان الامر الذي بايديهم لا يشملني قال والسفاه ايها الرئيس اني انا الذي اوصل اليهم هذا الامر فاني امور بالقبض عليك وعلى من معك فدهش بيبي وقال انت مامور بالقبض علي ومن الذي امرك قال اعطاني الامر المحامي د. وهو موقع عليه من روبسبير وتاريخه الظهر وعلة هذه الكتبة انطونيا فقد جعلتك في احرج المواقف فجمد الدم في عروق بيبي ونظر الى الخارج فراى الجنود احاطت بالمركبة من كل صوب

وقد حاول بنوات الدفاع عن نفسه ولكن الجنود تغلبوا عليه وقيدوه واما اورور فانها ذعرت في البدء ذعرا شديدا ثم استسلمت الى القضاء وقالت في نفسها لقد كتب لي في لوح المقدور ان اموت بيد الجلاد ولا حيلة في قضاء الله

وبعد ذلك بساعتين كانت اورور وبنوات مسجونين في سجن موقت وكان هذا البوليس السري واسمه نبيل قد صدر اليه الامر بالقبض على بيبي ومن معه وابقائهما في سجن المحطة الى ان ترد اليه اوامر جديدة غير انه حين رأى اورور وهو الذي قبض عليها منذ اسبوع بامر بيبي ايقن ان انطونيا اذا كانت قد دفعت له مبلغا عظيما للقبض على الفتاة فان اورور دفعت له مبلغا اعظم لانقاذها فاستفاد فائدتين ثم قال في نفسه انهم اذا كانوا امروني بالقبض على بيبي ومن معه فانما هم يريدون اورور لا بيبي

واما بيي فقد لبث ساهيا مفكرا وقد ايقن ان روبسبيير سيقوم منه شر انتقام وكان الجنود قد دخلوا باورور والاحدب و بدلوا يشتمونها اقبح شتم تشفيا من النبلاء فاشفق نيبل عليها كما اشفق على رئيسه بيي وقال للجنود اني مامور بملازمتكم الى ان ترد لي اوامر جديدة فذهبوا الى مراكزكم ودعوني معهم فانصرف الجنود وقدم نيبل كرسيا لاورور وضعها لها قرب المستوقد و جلس الاحدب على الارض بالقرب منها فلم يمر بهما ساعة حتى تغلب عليهما النعاس فنام وبقي بيي ساهرا فان خوفه من روبسبيير اطار النوم من عينيه

وكذلك نيبل فانه لم ينم ايضا فلما راى ان الاحدب واورور نائما دنا من بيي وقال له همسا لا تجزع ايها الصديق فاني استطيع انقاذك قال استطيع انقاذي قال انقاذك وحدك فافقدت عينا بيي وقال ولكن كيف قال ان الامر سهل فاني افتح لك الباب واطلق سراحك قال ولكن الا تعلم ايها النبيل ان ذلك يعود عليك بشر العواقب قال كلا الست انا الذي قبضت على اورور اول مرة بامرك قال هو ذاك قال وقد قبضت عليها مرة ثانية وانت معها ولكني افترضت ان وجودك معها لم يكن غير خدعة منك قال كيف ذلك ان انطونيا تسألني غدا ماذا صنعت بيي فاقول لها انك ذهبت بملء السكينة بعد ان قبضا على الفتاة فاذا اعترضتني في ذلك اقول لها كيف يمكن ان يخطر لي في بال ان بيي يحاول انقاذ هذه النبيلة وهو الذي امرني ان اقبض عليها في المرة الاولى وانما حسبت انه خدعها هذه الخدعة كي تتمكن من القبض عليها فافقدت عينا بيي بامل النجاة

مقال ان [illegible] صلح [illegible] لكن لانهم سيعرفوني عند اصلاح خطائي فد قبضت عليك فلا بد من تسليمك ولذلك فقد وجب عليك الفرار قال اين المفر وجميع الابواب مقفلة في وجهي قال كلا فانهم لم يقفلوا غير محطة ايطاليا اذ علموا انك مسافر منها فاسرع الى السفر من محطة المانيا لاسيما وان جوازك مذكور فيه انك مسافر الى المانيا فاسرع بالهرب فنظر بيبي الى اوروز وهي نائمة نظرة القانط وقال اليس من العار ان ادع هذه الفتاة واهرب قال انها مقتولة لا محالة وبقاؤك معها لا يفيد فخير لك ان تنجو بنفسك ثم فتح الباب ودفعه ورافقه الى خارج المحطة انصرف بيبي بانطاس من الحياة فانه فشل في اول عمل اراده من اعمال الخير في حين انه لم يفشل مرة في اعمال الشر

وسار وهو لم يعد على شيء ولا يعلم اين يسير الى ان عرض له فجاءة اسم دغوبير فخطر له ان يذهب اليه كي يعلم ما حدث له فقد بقي له فيه شيء من الرجاء ثم انه كان يطمع ان يرى رجال جمعية القناع الاحمر فقد راى من [illegible] هذه الجمعية ما ادهشه وقال في نفسه انهم اذا علموا بما اصاب دوروز فلا بد ان ينفذوا ان الوقت لا يزال فسيحا فانهم لا يعدمون هذه المنكودة قبل ثلاثة ايام

وسار حتى وصل الفندق المقيم فيه داغوبير فوجده لا يزال فيه على حاله من الجنون والطبيب لا يزال عنده فخلا ببيي بالطبيب واخبره بموقف داغوبير وكيف انه اصيب بالجنون وهو على اعبة الذهاب الى مجلس الامة لطلب العفو من خطيبته المحكوم عليها بالاعدام ثم قال له انهم يعدمونها

بعد ثلاثة ايام فهل تستطيع ان تشفيه قال هذا ما ندفع به على وجه الطبيب علائم لاسف كما قال كلا انها ثم كتب تذكرة فقال يوجد طبيب ارع مني في معرفة السموم وامضاده وانما امن تلاميذه قال من هو هذا الطبيب قال هو المانى يدعى الدكتور ركتسنر ولكنى لا اعلم اين اجده فانه تارة يقيم في فرنسا وتارة في المانيا قال واذا وجدناه اتحسب انه يشفيه قبل ثلاثة ايام قال نعم انه يشفيه للفور و يقتله وذلك انه يعالج مثل هذه الامراض بالكهربائية على طريقة خاصة قال ذ كنت تعرف هذه الطريقة يا سيدي الطبيب فجربها به فانه ذ شفى من اسبوع وعلم بقتل خطيبته قتل نفسه دون شك

وفيما هو يقول هذا القول طرق باب الغرفة ففتح لبعي الباب ثم تراجع منذعرا ذلك انه رجع بوليت دخلا وراسه معصب بعصابة مصبوغا بالدم

٣٩

ولنذكر الان كيف وصل بوليت الى فندق داغوبير فقد علم القراء ن تنوان امرت البستانى ان يلقيه في بئر خارج الحديقة ثم ذهبت الى باريس مع وصيفتها بعد ن ايقنت ن سقوطه في البئر . ما البستاني فانه جره من رجليه حتى وصل به الى حافة البئر ورماه ثم هرب منذعرا وقد تمثلت له هذه الجثة بانبح السو راما بوليت فانه سقط على راسه في مياه البئر فاصاب راسه ارضها وجرح في موضعين منه

وكانما قوة الصدمة وبرودة المياه قد ابطلتا فعل المخدر ففتح عينيه

وهو ينتفض من البرد ويحسب نفسه انه في حلم فوقف فبلغ الماء الى عنقه وكان الدم يسيل على وجهه فيغطي عينيه وبعد دقيقة ثاب الى رشده وذكر كل ما مر به وذلك الدوار الذي اصابه بعد ان شرب من خمر تنوان فايقن انهم خدروه ورموه بهذه البئر

وعند ذلك سمع وقع اقدام عند فم البئر فقال في نفسه انهم ينظرون دون شك في ما جرى لي بعد ان رموني فغطس تحت المياه كي لا يروه

وكان الذي عاد الى البئر البستاني وتنوان فقالت له تنوان اواثق انت من كثرة المياه في البئر قال دون شك ثم اطل ناظرا الى المياه وقال ولكني لا ارى جثته عائمة على المياه والعهد بالغرقى ان جثتهم تطفو فوق المياه قالت هو ذاك ولكنها لا تطفو الا بعد انتفاخها ويظهر انها لم تنتفخ بعد ثم ابتعدا فذهبت تنوان مع وصيفتها الى باريس وعاد البستاني الى عمله في الحديقة كانه لم يرتكب وزرا

اما بوليت فانه رفع راسه فتنفس ثم عاد الى الغطس وفعل ذلك عدة مرار حتى وثق انه لا يوجد احد عند فم البئر فجعل يغسل جراحه ويفحص هذه البئر باحثا عن طريقة للنجاة منها حتى وجد في جدرانها شبه منافذ جعلت خصيصا لنزول الى البئر والصعود منها فوثق من النجاة وصبر ساعة ثم تسلق الجدران وقد استنزفت قواه لما سال من دمائه حتى وصل الى فم البئر فاطل راسه ونظر نظرة اللص الى الجهات الاربع فلم يجد احد فوثب الى الارض وجعل يعدو راكضا الى جهة باريس حتى ابتعد بعدا شاسعا عن ذلك المنزل الجهنمي واطمأنت نفسه وعند ذلك تلاشت قواه وسقط

على الارض مغميا عليه لا حراك به

ولم يعلم كم بقي اغماؤه غيرا نه حين استفاق وفتح عينيه راى نورا ينبعث من مصباح مركبة قريبة منه ووجد نفسه بين رجلين يهتمان به وهما يتكلمان بنفس اللغة التي سمع نتوان مخاطبتها تتكلمان بها فتنهد بوليب وقال اين انا فقال له احد الرجلين لا تخف يا بني فاني طبيب اعالجك وقد كدت اسحقك بمركبتي فهل تشعر بالم شديد قال كلا قال الى اين كنت ذاهبا قال الى باريس قال كيف جرحت قال سقطت في حفرة على الطريق فلم يزد الطبيب في سؤاله وقال له اذن اصعد الى مركبتي فاني ذاهب الى باريس

وبعد ساعة وصلت المركبة الى المحطة فسالوا الطبيب عن اسمه فاراهم وزازا مكتوبا فيه انه رئيس اطباء جيش الرين فاذنوا له بالدخول ودخلت المركبة بالطبيب وخادمه وبوليت حتى اذا اجتازت شارع المحطة قال الطبيب لبوليت الك منزل تاوي اليه في باريس قال نعم فاعطاه قطعة نقود ذهبية وقال له تعال الي غدا لاضمد جراحك فانك محتاج الى معالجة ثلاثة ايام وهذه رقعة زيارتي فانك تعرف منها اسمي واين اقيم

فتنزل بوليت عند ذلك من المركبة بعد ان شكر الطبيب شكرا عظيما وانصرف فكان اول ما خطر له اوروز وبيي فذهب الى منزل بيبي وهو يرجو ان يجده فيه فما وجده فذهب الى دكان الفسالة فما بقي غير البومة ولم يعلم منها سوى ان بيبي ذهب مع الاحدب الى حيث لا تعلم فقال في نفسه انه قد يكون ذهب لعيادة داغوبير فذهب اليه ورآه هناك مع

الطبيب كما تقدم

فبعد ان ذهل بيبي لقدومه سأله عما جرى له فاخبره عن حادثته بالتفصيل من حين شربه الخمر في منزل تد وان الى حين اسعافته في البئر ونجاته ثم قص عليه ما اتفق له مع الطبيب الالماني فنظر بيبي الى الطبيب وقال له الا يمكن ان يكون الطبيب الالماني استاذك قال سوف نرى ثم سأل بوليت ان يصفه له فوصفه وقال له ما اسمه قال لا اعلم ولكنه اعطاني رقعة زيارته كي اعود اليه فيضمد جراحي فاخذ الطبيب الرقعة منه فقراها وقال انه هو بعينه قد ارسله الله لاقدر وقت نجاد غوبير فقال بيبي واورور ايضا فنظر بوليت الى الاثنين وهو لا يعلم شيئا من اسرار ما ظهر وعلى وجوههما من علائم السرور

ان الفرج يأتي حين التناهي في الشدة فان بيبي كان يعتقد منذ ساعتين انه قضي على اورور القضاء المبرم فما كان يعتقد الآن ان الفوز بنجاتها مضمون فان هذا الطبيب الالماني سيشفي داغوبير للفور كما قال تلميذه واذا شفي ذهب الى مجلس الامة والتمس العفو عن خطيبته جزاء انتصاراته الباهرة فلا يخيب المجلس ملتمسه

وعند ذلك عزم بيبي على ان يذهب لدعوة الطبيب الالماني فاعترضه الطبيب وقال له لا فائدة من ذهابك فانه لا يحضر اذ لا يعود مريضا في الليل ولا بد من الصبر الى الصباح فاعترض به انا فاغتم بيبي لهذا التاجيل وقال ولكننا اذا ذهبنا اليه واخبرناه بما يدعونا الى الاسراع فلا اخال يمتنع قال اني اعرفه حق المعرفة فهو على كرم اخلاقه وحسن مروءته شاذ الطباع

ولا بغض اليه من خروج من منزله في الليل

وفيما هما يتحدثان قد بجهم وجه بيبي سمعوا صوت [illegible] على باب الفندق وبعد هنيهة سمعوا قرعا على باب غرفة داغوبير فقال الطبيب لبيبي من القادم الملك واعدت احدا على الالتقاء قال كلا ثم تراب قرع الباب ففتحه بيبي ودخل منه رجل فصاح الطبيب وبوليت صيحة وعلم ان القادم كان نفس الطبيب الالماني وهو مرتد بملابس الاطباء العسكريين فعرف تلميذه وحياه ثم سأله عن العليل فدله على داغوبير قال ماذا اصابه قال جنون فجأني قال اعلمت السبب في جنونه . وكان الطبيب قد حفظ ذلك الماء الذي شرب منه داغوبير فعرضه على استاذه ونظر فيه وفحصه باعتناء تام ثم غمس فيه اصبعه وذوقه وبعد هنيهة ابتسم وقال ان الامر ليس بخطير فقال له بيبي اتشفيه قال دون شك قال ايكون شفوة بسرعة قال على الفور

ثم كلم تلميذه باللغة الالمانية فنزل الى المركبة وعاد بصندوق صغير يحتوي على ادوات وعقاقير . وكان الطبيب قد راى بوليت فقال له شأنك هنا فاجابه بوليت انك يا سيدي لو لم تحضر لكنت ذهبت اليك قال لماذا قال لتشفي هذا القائد الكريم فاني مدين له بالحياة

اما بيبي فانه كان يقول في نفسه ليس كل ذلك طبيعيا معقولا فاننا كنا عازمين على ان نذهب حتى الى المانيا لاستدعاء هذا الطبيب ثم هو يحضر من نفسه كان سقط الينا من الغيوم

اما الاستاذ فانه فتح الصندوق ونظر الى بيبي فقال له بوليت

مهم بامر هذا القائد فهل هو من اعدائك قال كلا ولكنه شبه قريب قال
لما سالتك هذا السؤال لان واجبي تدعوني الى اخبارك ان العلاج الذي
ساعالجه به لا يخلو من خطر الا اذا اردنا شفاءه بزمن طويل ولكني اراك
واثقا على سر هذا القائد فلا احد بدا من اخبارك بالحقيقة وهي اني حين
عودتي الان من المانيا وجدت عندي رجلين فاعطياني مالاً وفيرا وقالا
لي اذهب الى فندق سانت اونوريه وسل فيه عن القائد داغوبير فانه
يجنون فجائي وقال طبيبه انه يشفيه بثمانية ايام غير انه يجب ان يشفى يوم
فقلت لهما ان طريقة الشفاء العاجل محفوفة بالخطر قال لا باس فانه اذا
طال شفاؤه ثمانية ايام مات بعد شفائه متحررا دون شك ثم تركاني وانصرفا
فقال له بيبي وانا اقول لك يا سيدي نفس ما قالاه قال اذن اجربا
اليه الطريقة المستعجلة قال ذلك لا بد منه

فالتفت عند ذلك الى تلميذه وكلمه بالالمانية فاعطاه من الصندوق
زجاجة تحتوي على سائل يشبه لونه لون السائل الذي شرب منه داغوبير
فوضع منها في ملعقة بضع نقط وصبها في فم داغوبير فلم تكد تستقر في
جوفه حتى صاح صيحة هائلة وصعق فسقط على سريره لا يعي وقد اصفر
وجهه فبات كالاموات

وقد خاف بيبي وبوايث خوفا عظيما ونظر كل من الطبيبين الى الاخر
دون ان يجيب فان حياة داغوبير كانت بين ايديهما وقد اصبح جثة هامدة
فلم يعلم بيبي اذا كان ذلك موتا حقيقيا ام هو تخدير عارض

اما الطبيب فانه وضع اذنه فوق صدر داغوبير ثم قال ان القلب لا

يبيض ابدا فقال له بيبي لهجة الهبوط العله مات قال كلا وربما يكون قد مات ولكنني لا استطيع معرفة الحقيقة قبل ساعة ثم اخذ كرسيا وجلس قرب سرير داغوبير بسكينة الاطباء الذين يشاهدون حوادث الموت في كل يوم

حتى اذا مضت الساعة وقد جمد الدم في عروق بوليت وبيبي من الخوف على داغوبير اخذ الطبيب مبضعا وفصد به ذراع داغوبير فسال منه دم بلون الورد وشرق وجه الطبيب بنور البشر فوضع ذنه فوق صدر داغوبير واصغى هنيهة ثم قال ان القلب عاد الى النبض فقال له بيبي نجا قال لقد شفي دون شك وزال الخطر

وقد اصاب الطبيب فان داغوبير فتح عينيه فجاءتو قال اين انا ثم اجال في الحاضرين نظرا مضطربا حتى استقر على بيبي فعرفه وقال له هذا انت فدنا منه بيبي وقال له بلهجة شفت عن سروره نعم انا هو ياسيدي القائد فنظر اليه نظرة قلق شديد وقال اورور قال انها في قيد الحياة فلا تجزع قال انها مطلقة السراح

قال سيطلقون سراحها عندما يتبينون عنها من الملك فسقط داغوبير على سريره بعد استوائه وقال رباه ومن يعلم ما يجيء به الغد

فقال الطبيب عند ذلك انه في حاجة الى الرقاد فاخرجوا جميعكم وساعتي عنده وحدي فاخذ بيبي بيد بوليت وقال له هلم بنا وسنعود بعد غد

ولما صارا خارج الفندق قال له بوليت لقد كانت في هذا الصباح مطلقة السراح فماذا حدث بعد ذلك قال حدث انهم قبضوا عليها وان

هذا الذي رشدنا وهي

وهم [illegible] بيني ولمس [illegible] بيني

اليه وعرف انه عضو جمعية قتاع الاحمر وقال له اهذا انت قال نعم وقد وقد علمت انه قبض عليك وعلى اورور قال كيف عرفت ذلك قال ان الجمعية عهدت ان لا ابرح لمحطة حتى اراكم خرجتم منها فتبعت فيها وعلمت انهم قضوا عليهم جميعا قال ولاين علمت كيف نجوت قال نعم قول اعلمت ايضا اذ فعلت ابتسم الرجل وقال لقد كتب عليك ايها الصديق ان تجيء وانما بعد فوت الاوان قال كيف ذلك قال ذلك اننا نحن الذين ارسلنا الطبيب الالماني الى داغوبير ونحن الذين سينقذ اورور قال ولكنكم تنقذونها لان داغوبير سينقذها من قال نعم اذا جابوه الى ملتمسه واذا رفضوا ولا بد لنا من انقاذها بالرغم من رفضهم فان المقصلة لم تقوى علينا الى الان وكل من دفع فديته نجا فقال له بيبي اذا كان ذلك فاية حاجة لكم بداغوبير قال لانا نتال به ما رانا من اهون سبيل فاذا لم نعلم بحثنا عن طريقة اخرى لم يعلم وزير الحربية ان داغوبير مجنون قال نعم قال اتظنه يثق برجوع الصواب اليه فجاءة قال لدينا اصدقاء عنده وقد اتخذنا كل الوسائل اللازمة للغد واذا كنت من العاقلين تعمل بنصيحتي قال ما هي قال الم يقل لك نبيل ان لديك الليل بطه له للخروج من باريس قال كيف عرفت هذا قال اننا نعرف كل شيء فاغتنم هذه الفرصة واخرج من باريس انك من الناصحين قال كلا لم يحن بعد الوقت قال كيف ذلك تبقى فيها معرضا للقمة روبسبير قال نعم وسابقي الى ان تنجو اورور وتخرج من باريس قال الا تخشى ان

يقبضوا عليك في حلال تطاركك فضربه بيبي على جيبه وقال لدي من المال ما يكفي لقيمة نفسي عندكم ولكني لا انجي اليكم اذ اعرف انا بدمخرجا مما انا فيه بعد عشرين عاما خدمة بوليس بئس لكن ماذا تريد ان تصنع في باريس وهل بي ان اسلم من تطويحها على اثر شكرك لتضحك ولا أمي جميلك علي فان والان الى اين ذاهب قال الى مكان يجيئني فيه بوليت كل ساعة باخبار داغوبير ثم ودعه وانصرف مع بوليت

٦٠

اما اورور والاسقف فانهما ناما في السجن الموقت الى الصباح وعند الفجر فتح الباب ودخل منه سجانا سجن الدير احدهما ذاك الذي نقم على اورور حين فرارها لخوفه على منصبه وثانيهما ذاك الذي ساعدها على النجاة وقد رات من خلال الباب المفتوح تلك المركبة الصفراء التي ينقلون بها المسجونين فنهضت اورور وهي شامخة الراس تبسم ابتسام الاستخفاف بالموت وقالت لا تخف يا بنوات فليس راسك الذي يريدون قطعه فقال لها ليست الحياة بطيبة بعدك يا سيدتي وماعزائي الا باموت معك وعند ذلك دنا منها السجان وقال متهكما لقد وقع الطير في الشرك ايتها النبيلة الحسناء فقد كدت افقد منصبي بسبب فرارك ولكن ثقي انك لا تفلتين بعد الان ولا يشفع بك هذ الجمال الفتان فقالت له بلهجة العظمة اني لم اعرف روبسبيير ولم اره في حياتي ولكني واثقة انه لم ياذن لك باهانتي ايها الوقح فهاج السجان وشتمها اقبح شتم ثم امر الجنود ان يحملوها الى المركبة ولكنها نظرت الى الجنود نظرة انتهتهم عن الدنو منها وذهبت بنفسها

الى المركبة فصعد اليها وبعها بنوات وبعد ساعة وصلوا بها الى سجن الدير فسجنوها في غرفة ضيقة رطبة مظلمة وجاءها ذلك السجان الفظ بقطعة من الخبز اليابس وقدح من الماء وقال لها هذا طعامك وشرابك الى ان لا تعودي في حاجة الى طعام اما بنوات فانهم اطلقوا سراحه كما فعلوا في المرة الاولى فوقف المنكود عند باب السجن وقد عول على ان يموت جوعا

ومضى النهار على اورور وهي في اسوأ حال حتى اذا اقبل الليل جاءها السجان الاخر الذي ساعد على انقاذها يحمل سلة فيها طعام شهي وخمر وفاكهة فقال لها لقد امروني ان لا احضر لك غير الخبز ولكني لا اجد رقيبا علي الان فحملت اليك نصف عشائي فاثنت عليه اورور ثم قالت له ارجوك ايها الصديق ان تدير وجهك هنيهة فامتثل السجان وهو لا يعلم ما تريد فرفعت ثوبها واخرجت من وسطها حزاما كانت ممنطقة به وفيه مائة دينار فنادت السجان وقالت له خذ هذا المال فاذا كان لك بنت فاجعله مهرا لها فابى السجان اخذه وقال لها انك قد تحتاجين اليه ياسيدتي فابتسمت ابتسام قنوط وقالت ان من كان ذاهبا الى الموت لا يحتاج الى مال فخذ ايها الصديق انك رجل طاهر القلب ولا اريد ان يرثني الجلاد فقال لها السجان ولكن من انبأك يا سيدتي انك ستموتين

فارتعشت اورور وتذكرت ان هذا الرجل كان قد ساعد في انقاذها وسرى الرجاء الى قلبها فان من كان في عمرها لا يحب الموت ثم قالت له ماذا تعني بما تقول قال ان الموت قد يكون غالبا ابعد مما نظن قالت

ولكن هذه المرة لا استطيع ان اجد من يسجن فلما كلا اسماءهم وقال هما همسا كانه يخشى ان يخترق صوته لجدران ان جمعية اقتناع الاحمر انقذتك بالامس وهي ستنقذك اليوم قالت ولكن كيف قال لا اعلم ولكني واثق كل الثقة انهم ينقذونك فاستشوا بوعدهم مرة الى الآن

ثم تركها وانصرف فنامت اورور تلك الليلة وهي تحلم احلاما مختلطة يمثلها اختلاط الياس بالرجاء

وفي صباح اليوم التالي جاء هذا السجان وهو مقطب الجبين فقال لها يظهر يا سيدتي ان لك اعداء اشداء يريدون العجل بقتلك فان الطبيب سيزورك قريبا قالت لقد توقعت ذلك وغدا سيقطعون راسي فاطرق السجان براسه وقال ان ثقتي بهذه الجمعية كانت شديدة فاجأته واليأس باد بين عينيها لانها لا تستطيع ان تعيني بشيء ثم حاولت ان تعطيه المال فابى اخذه وقال من يعلم ما يكون فلا يزال لي مجاء وقد الحت عليه فاصر على الاباء وقال لها ضعيه يا سيدتي تحت فراشك فاذا قدر الله ان تخرجي من هنا الى ساحة الاعدام خذته فامتثلت اورور وخبأته تحت الفراش ثم سألته عن الاحدب فاخبرها انهم اطلقوا سراحه وانه لم يبرح باب السجن كل الليل ولم يذق طعاما لانه يريد الموت جوعا فتأثرت اورور لحبه الشريف واخلاصه العجيب فجعلت تبكي بكاء الاطفال

وبعد ذلك بساعة جاءها طبيب عليه سمات الادب والوقار فحياها باحترام وقال لها لقد عرفت يا سيدتي السبب في زيارتي دون شك قالت نعم فقد اخبرني السجان قال ان رجائي يا سيدتي تقضي على بتنفيذ ما

امرت به ، بكي كنفي دؤك ... على نفحات ورور ... بيديها خجلا ثم نفر الدمع من عينها وقالت از هذا الظن ثم يا سيدتي وهم يريدون قتلي فلقولوني واية فائدة لهم ا انتي ان الموت لا عار فيه يا سيدي وا هذه ... الشقة ... انه ا لقد صدقتك ياسيدي وساكتب تقريري بناء على هذا القول ثم تركها وانصرف فركعت وجعلت تصلي

وفي المساء جاءها السجان بالطعام وهو مجهم الوجه فقال لها ارى ان رجال هذه الجمعية قد خدعوني قالت نعم ... كل ما استطاعوا فعله فلا لوم عليهم ولا تثريب

وفيما هي تقول ذلك سمعت ضجيج في فسحة السجن وقرقعة سلاح الجنود فاضطرب السجان وقال يا ... اذا ... هوذا الجنود اقبلوا فهل باتوا ينذرون الاعدام في الليل

وبعد لحظة دخل ذلك السجان الفظ الذي اهان اورور وقال اورور دي مازير فاجابته قائلة هوذا انا

وكان يكلمها عادة بلهجة المتكلم الساخر غير انه كان هذه المرة منقبض السحنة مجهم الوجه تدل هيئته على الحزن والخوف معا فتلطف مع اورور على غير عادته وقال لها تفضلي معي

وكان الجنود مصطفين في ساحة السجن فعين والسجان يمشي بينهم مع اورور جنبا الى جنب فقال لها السالك يا سيدتي ان تسامحيني على ما بدر مني امس من فاسد الاقوال فقالت له بغير اكتراث ان الذاهبين الى الموت

لا يحقدون وقد غفرت لك

ثم وصلت السير معه وكانت كلما سارت تسمع ضجيج الناس فتذكرت ضجيج الشعب حين كانت فوق المقصلة فاصفر وجهها ولكن خطر لها خاطر عزاها بعض العزاء وهو ان عذابها لا يطول وتمضي ساعة حتى تفارق الحياة فمشت عند ذلك دون خوف حتى وصلت مع السجان الى الباب وهو مقفل فالتفت اليها السجان وقال لها ثانية اتغفرين لي يا سيدتي قالت نعم اغفر لك وارجو لك عفو الله فمشى سعيدا فنظر السجان الى الحراس وقال لهم افتحوا الباب

ففتح الباب ونظرت اورور عند ذلك جمهورا عظيما من الناس ومئات من المشاعل تضيء ظلام الليل فوقفت عند الباب وقد راعها هذا المنظر وجعلت تبحث عن مركبة الاعدام فرات فجاءة ان رجلا قد اخترق جماهير الناس وهجم هجوم الاسود فاحتمل اورور وهي تكاد تسقط لرعبها فصاحت صيحة فرح تلتها اصوات ضجيج الاستحسان من الجماهير ذلك ان هذا الرجل كان القائد داغوبير فهتف الناس هتافا عظيما وجعلوا يصيحون قائلين ليحيى البطل داغوبير ولتحيى خطيبته

وقد عرف القراء دون شك ما اتفق فان داغوبير بعد ان شفاه الطبيب الالماني من جنونه ذهب الى وزير الحربية فذهب به الى مجلس الامة وهناك هنأه الرئيس لانتصاره باسم الشعب وقال له ماذا تريد ان نكافئك

قال بالعفو عن خطيبتي وهي نبيلة ولكني ساجعلها من خير الوطنيات فصاح الشعب المتجمهر في المجلس قائلا العفو العفو ولم يكن احد يجسر على

لاعتراض غير المحامي د. ولكنه لم يفعل لما رآه من اجماع الناس على طلب العفو وفوق ذلك فقد قبض اجرة نذالته من تنوان ولم تكن تنوان هناك فتراه

. . . . . .

وفي هذه الليلة نفسها خرجت مركبة من باريس وسارت في طريق فلاندر تقل داغوبير واورور وهي تقول له لقد آن لي ان ابوح لك فاني احبك منذ عهد بعيد

ولما وصلت المركبة الى سانت دنس وقفت فدنا منها رجلان وهما بوليت وبنوات فقال داغوبير مخاطبا اورورهما صديقانا وسنصحبهما معنا فقال له بوليت خذا معكما ياسيدي بنوات اما انا فسابقى فمدت له اورور يدها وقالت له لماذا تبقى هنا ايها الصديق فارتعد بوليت ولم يجسر ان يلثم تلك اليد ثم قال لها تسالينني ياسيدتي لماذا اريدان ابقى اني اوثر البقاء لان بيتي محتاج الى قالت ما حاجته اليك قال ان سيدة نبيلة حسناء مثلك لاينبغي ان تكون فقيرة ويجب على انطونيا ان ترد لك ثروتك التي اختلسها فعجبت اورور وقالت انطونيا فقال لها داغوبير هي التي كانت تدعى من قبل تنوان النورية

اما الاحدب فانه صعد الى المركبة واما بوليت فانه تحنى بملء الاحترام امام اورور كانه يريد ان يكفر عن سيئاته الماضية ثم سار والدموع تذرف من عينيه

تمت رواية نكبة النبلاء وهي الجزء الثالث من رواية ام روكامبول ويليها الجزء الرابع بعنوان ملك النور وهي اعجب اجزاء هذه الرواية

رواية
ام
روكامبول

الجزء الرابع

ملك النور

تأليف

بونسون دي تيرايل

تعريب

طانيوس عبده

احد صاحبي جريدة الشرق

ورئيس تحريرها

(ثمنها ثمانية غروش صاغ)

المطبعة التجارية لجريدة الشرق سنه ١٩٠٦

رواية

ام روكامبول

الجزء الرابع

ملك النور

١

غير الفرنساويون في عهد ثورتهم كثيرا من مصطلحاتهم القديمة في عهد الملكية حتى انهم تطرقوا الى الايام والشهور فغيروا اسماءها

ففي اليوم التاسع من شهر ترميدور اي الشهر الحادي عشر من سنتهم تبدل الحكم القديم الذي نشأ بعد قتل الملك لويس السادس عشر كما بسطناه في الجزء السابق بعنوان نكبة النبلاء وحل محله حكومة جديدة يدعونها ديركتوار وهي حكومة يتولى شؤونها خمسة ممن اصابهم الانتخاب باجماع الامة ففقت اثار الظلم القديم وسكن روع النبلاء الهاربين وارتاحت المقصلة من سفك دمائهم فبعد ان كانت باريس تضطرب بجملتها وقد تمكن منها الرعب تنفس قومها الصعداء وجعلوا يبالغون بالزهو وسباب السرور والتهتك بالملاهي انتقاما مما اساء به الدهر اليهم في حكومة السابقة التي كانوا يلقبون زمنها بزمن الرعب وحسب ذلك العهد

وصفا انهم كانوا يعدمون في كل يوم خمسين نبلا ونبيلة او متصلا بالبلاء

وكان الباريسيين ارادوا نسيان ذلك العهد الاليم فتهتكو بملاذهم هذ انتهتك وعاد لمهاجرون لى العاصمة متنكرين فكانوا يرقصون في مراقص سرية خاصة اطلقوا عليها اسم مراقص الشهداء اذ لم يكن تفتح ابوابها الا لكل من فقد ابا او اما او خالا او اختا في مقصلة ثائرين

على ان الشعب بجملته كان جانحا الى السرور كانه بجملته كان منكوبا بالمظائع السابقة ولذلك لم يكن احد ينام في الليل

وكان اشهر المحلات التي يترددون عليها محل يدعى تريفولي فكان يجمع كثيرا من الناس على اختلاف طبقاتهم كانه حديقة غناء تاوي اليها الاطيار على اختلاف اجناسها

وكان الناس يلبثون فيها منعكفين على الهرج والعربدة الى الساعة العاشرة فيحل السكون فجاءة محل الحركة والسكينة محل اللغط ويصطف اولئك الناس المتجمهرين صفين كالفرقة المنظمة

وانما يفعلون ذلك اذ تمر بينهم في تلك الساعة مركبة تشبه مركبات المراتع وهي مركبة زرقاء لون السماء صفراء الدواليب وعلى بابيها كتابة باللون الاحمر لم يستطع احد في باريس حل رموزها اذ كان يظهر ان حروفها مستعادة من الحروف الشرقية وكان يجر هذه المركبة اربعة من الجياد الضخمة العظيمة وسائقها يلبس ملابس مختلطة الوانها بين الاصفر والاحمر والازرق وعلى جانبيه خادمان يلبسان ملابسة حتى اذا اقبلت المركبة وثبا الى الارض بخفة الغزلان واسرعا الى فتح باب المركبة ووقفا

بملء الاحترام فتخرج عند ذلك من امراة شديدة [illegible]
وحاشيتها وهي بين الخامسة والثلاثين والخامسة والاربعين [illegible]
معرفة عمرها على راسها قبعة جمعت [illegible]
من اصابعها خاتم واثنان من انفس الزمرد والماس [illegible]
عقد من اللؤلؤ يبلغ حجم اللؤلؤة حجم بيضة الحمام وبين يديها [illegible]
من كلاب هافان يشبه لون جلده لون القهوة الممزوجة بالحليب

وفي الجملة ان هيئتها وهيأة حاشيتها كانت تدعو الى [illegible]
الناس لم يكونوا يهزأون بها ولا يضحكون عليها بل يحيونها [illegible]
وعند ما تدخل الى تريغولي ويتبعونها مسافات طويلة كانما هي [illegible]
الجمال والعقل

ففي الليلة التي بدات فيها روايتنا هذه مرت صاحبة [illegible]
بمركبتها حسب عادتها كل ليلة منذ اسبوعين وكان هناك رجل [illegible]
كبير البطن متزيياً بزي اهل القرى فدنا من فتى ياهز الخامسة [illegible]
من عمره وهو متوكأ على عصا ضخمة طويلة كثيرة العقد [illegible]
الناس في ذلك المعهد فحياه بادب وقال له اسالك المعذرة ياسيدي [illegible]
ان تاذن لي بمحادثتك

فقال له الفتى بلطف ماذا تريد مني ايها الصديق

قال اني يا سيدي من اهل الريف

فضحك الفتى وقال ذلك ظاهر من ملابسك

فلم يستاء القروي لضحكه وقال له هذه هي المرة الاولى التي جئت [illegible]

باريس ولذلك اجد كل ما اراه غريبا

قال ذلك لا ريب فيه ولا سيما في هذه الايام

قال اني احب ان اعرف من هي هذه السيدة التي مرت في مركبتها العليا مدام تاليان (احد مشاهير اعضاء مجلس الامة في ذلك العهد كانت امراته مشهورة بالذكاء)

فضحك الفتى ايضا وقال لقد اخطأت يا سيدي القروي

قال اذن العليا امراة احد حكامنا ام هي اميرة اجنبية

قال لا هذا ولا ذاك ثم نظر اليه محدقا وقال احق انك من القرويين

قال اني كما قلت لك

قال الا تعرف احدا في باريس

قال كلا

قال اذن لا تسؤك عشرة فتى الف ملاهي هذه العاصمة وعرف اسرارها

قال بل اكون له من الشاكرين

قال ناط ذراعي ولنخرج من هذا الجمع المحتشد فقد افيدك واقضي حاجتك

قال انت

قال نعم ثم جذبه وسار به الى محل منفرد فقال له اني اسالك المعذرة بدوري وساخبرك عن حالتي بملء الايجاز فانك حين لقيتني كنت خارجا من بيت القمار حيث نهبوني فيه ولم يبق في جيبي درهم ولذلك لا استطيع لدخول الى هذا المكان الذي دخلت اليه السيدة ولا استطيع ان اشرب

شيئا اذ لامال لي

قال اذا كان هـذا عذرك فالامر ميسور لاني ساتولى الانفاق عن سعة

قال اذن هلم بنا نشرب في البدء

ثم سار به الى خماره وجعلا يشربان فيها حتى اذا روى الفتى ظمأه قال للقروي كيف خطر لك ان تحسب هذه السيدة صاحبة المركبة مدام تاليان التى هي مثال الادب والجمال

قال ذلك اني لا اعرفها ولكني اسمع انها من كبار العقائل فلما رايت الناس يكرمون صاحبة المركبة الزرقاء هذا الاكرام خطر لي انها قد تكون تلك السيدة

قال لقد اخطأت خطاء عظيما اتعرف من هي هذه المرة

قال كلا

قال انها نورية

قال انك تمزح دون شك

قال لست بمزاح ولكنها نورية من اصحاب الملايين

قال ماذا يدعونهـا

قال تنوان

فاجابه القروي ببساطة انه اسم غريب

قال اتريد ان احكي لك حكايتها

قال بملء الرضي

... اطاب زجاجة خمر ثانية فلا ينطلق لساني الا بالشراب

... قروي وبعد ان جرع الفتى جرعة من الخمر عاد الى الحديث

... هذه لمرة ثورية كما قلت لك وقد جاءت الى باريس في زمن الثورة

... خمسة اعوام ي في اشد اطوار الرعب حين كان روبسبيير

... يوم خمسين راسا من رؤوس النبلاء كي يلهي اهل باريس

... عمل كانت في ذلك العهد غنية كما هي اليوم

... كيف لم يقطعوا راسها اكانت تتظاهر بالفقر

... بالعكس

... هذا عجيب فقد كنا نسمع في قريتنا ان الخطر على الاغنياء اشد

... هو ذاك غير ان هذه الثروية خطر لها خاطر وقاها الخطر

... قال ما هو

... انها اشترت غرام المحامي د. اعظم رجال مجلس الامة نفوذا

... روبسبيير الحميم وكان هذا المحامي كثير الحاجة الى المال فكانت

... حاجاته وهذا الذي صانها وابقى راسها بين كتفيها

... لكن اليوم التاسع من ترميدور قد اتى (اليوم الذي تغير فيه

... وسقط نفوذ اصحابه)

... ذلك ولكن المحامي د. قد غير اراءه فتخلى عن روبسبيير

... على الليل فزاد نفوذه وقويت شوكة تنوان به حتى ليقال انه

تزوجها

فقال له القروي ارى ايها الغلام انك واقف على الحقيقة بتفاصيلها فاستاء الفتى وقال العل الخمرة دت في راسك

قال لماذا

قال لاني اراك تخاطبني دون كلفة وبلهجة المستخف

قال لست مستخفا بك واذا كنت احادثك دون كلفة فذلك لاني عرفتك منذ عهد بعيد

قال أأنت تعرفني ثم جعل ينظر اليه نظرة المتذهل

قال كيف لا اعرفك اتظن ان هذه الملابس والسرور خمسة اعوام تغير هيئتك يابوليت

قال اتعرف اسمي القديم ايضاً

قال هو ذاك غير اني اعجب كيف انك لم تعرفني انت

فحدق به بوليت هنيهة فلم يعرفه فكشف القروي قبعته ورفع شعره المستعار فدهش بوليت دهشا عظيما وقال انت هو يبي

قال نعم انا هو وقد سرني التقائي بك فاني كنت ابحث عنك

فاكب بوليت على عنق يبي وعانقه يبي بملء الحنو

٢

ثم امسك بوليت بيد يبي وقال له وهو يبتسم ارق ابتسام ماذا اصابك ومن اين انت عائد لماذا عبثت بي هذا العبث فسالتني عن حوادث تعرفها اكثر ما اعرفها انا

فاجابه بيبى العادة ياني انه حين يفرق صديقان ثم يلتقيان يبدأ اصغرهما بتفصيل ما جرى له خلال الفراق

فارو لي الان حكايتك فقد تركتك من غلمان الازقه ورايتك الان من ابناء النعمه كما تدل ظواهر لباسك واساليب حديثك فما هذا الانقلاب

قال ان الامر بسيط كما سترى

قال اذن قص على ما جرى

قال انك تذكر ذلك اليوم الذي اوصلنا فيه داغوبير واورور وبنوات الى المحطه

قال دون شك

قال انهم سافروا وبقينا نحن بعد ان تحالفنا على ان نسترجع من تنوان الثروة التي اختلستها

قال هذا اكيد

قال فعدنا الى باريس واقمنا في فندق قريب من فندق سانت اوتوريه الذى كان يقيم فيه داغوبير « راجع رواية نكبة النبلاء »

قال كل ما تقوله اكيد لا ازال اذكره

قال وفي صباح اليوم التالى خرجت انت من الفندق وقلت لي انك ستعود عند الظهر

قال ولم اعد لا في الظهر ولا في المساء ولا في اليوم التالي

قال بل انك لم تعد ابدا فقد انتظرتك اسبوعين دون فائدة فخطر لي عند ذلك انك قتلت او ان تنوان كادت لك فقبضوا عليك ولم يكن لدي

شيء من المال وكرهت ان ارجع الي مهنة اللصوص فخطر لي خاطر وهو اني قلت في نفسي لقد اتفقت مع بيبي على ان نسترد من تنوان تلك الثروة الطائلة التي اختلستها من اورور واختها واذا كان بيبي قد احتجب فلماذا لا تم بنفسي ما كنا شارعين به

فقال له بيبي اقلت في نفسك هذا القول

قال نعم وقد قلت ايضاً انه اذا كانت تنوان قد قتلت بيبي فاني انتقم له منها شر انتقام

فابتسم بيبي وقال له بورك فيك يا ابني فقد توفقت في اختيارك

قال وكنت قد دخلت مراراً الى منزل تنوان وعرفت كل مداخله فذهبت ليلة من باريس الى منزل تنوان وتسلحت بخنجر ومطرقة وانت تعلم ان المطرقة اسرع في قضاء الحاجات وتفضل الخناجر والمسدسات

قال هذا اكيد

قال وانت تعلم اني عرف بعادات اهل ذلك المنزل فانهم ينامون في اخر الليل لان المحامي دوبان يأتي الى تنوان عند منتصف الليل ولا ينصرف قبل الساعة الثالثة

فلما وصلت الى المنزل كان الليل قد انتصف فاختبأت في حفرة واقمت فيها انتظر ولكن انتظاري لم يطل فاني بينما كنت في هذه الحفرة وعيناي شاخصتان الي نوافذ المنزل المضيئة مر بالقرب من تلك الحفرة رجلان وهما ابستاني وسائق فكانا يتحدثان وسمعت الثاني يقول الاول ان المحامي لا يحضر الليلة لانه سيخطب غداً خطبة طويلة في مجلس الامة وهو يتأهب لها وقد

دخلت سيدتنا الى غرفة نومها وليس لنا ما نعمله فاذهب الى الخمارة

فوافقه رفيقه ومر الاثنان بالقرب مني دون ان يرياني فراقبتهما حتى رايتهما قد توغلا في الحقول

وعند ذلك نهضت من الحفره ودخلت الى المنزل من نافذة المطبخ كما دخلت في المرة الاولى

ثم ولجت من المطبخ الى فسحة المنزل الداخلية فسمعت الخادمة وقع اقدامي وجاءت وشمعتها بيدها كي ترى من القادم

وكنت لا ازال حاقدا عليها منذ ذلك اليوم الذي خدعوني فيه فاسرعت اليها قبل ان تصيح وضربتها بالمطرقة على راسها فسقطت على الارض دون ان تصيح

وبعد ذلك صعدت الى غرفة تنوان وكان مفتاحها في قفلها ففتحت الباب ودخلت فوجدتها جالسة تقرا

اما هي فلم تلتفت الي في البدء لاعتقادها ان الداخل خادمتها غيراني لما دنوت منها التفتت فراتني وصاحة صيحة ذعر فلم اقتلها في تلك الساعة لاني كنت محتاجا الى محادثتها

وعند ذلك حييتها بادب وقلت لها لا تخشي باسا فاذ الزمت الحكمة والتعقل فلا اصيبك بمكروه

وهنا لا بد لي ان اشهد لهذه المراة بالبسالة النادرة والصبر العجيب في مواقف الشدة فانها بعد ان ذعرت في البدء عادت اليها السكينة وقالت لي انك ما زلت قد وصلت الى يا ابني فلا بد ان تكون قتلت خدمي

قلت اني لم قتلهم جميعهم بل قتلت الخادمة فقط

قالت وماذا صنعت بالاخرين

قلت انهم يشربون الخمر في بلازو

قالت اذن انا وحدي في هذا المنزل وفي قبضة يدك

قلت هو ذاك كما ترين

فقالت لي بملء السكينة والهدوء اذن لقد عرفت قصدك فانما انت قادم الي لسرقتي

قلت ليس هذا كل قصدي

قالت وانك حاقد علي دون شك فستقتلني وتسرق ما عندي

قلت ربما

قالت ان المرء لا يموت مرتين فاقتلني ثم اسرقني ولكنك لا تجد مالا وفيرا شبيهي كما تتوهم

فقلت لها بلهجة دلت على ريبي فيما قالته سوف نرى

فابتسمت وقالت اني لم اضع امولي في مصارف فرنسا في هذا الزمن الذي نحن فيه فانهم يرسلون لي في كل شهر فوائد اموالي واما الاموال فليست في هذه البلاد

قلت ولكني اجد شيئا في كل حال

قالت هو ذاك فانك تجد مائة ليرا وبعض المجوهرات

قلت هذا يكفيني ثم دنوت منها والخنجر مشهر بيدي فلم يظهر على وجهها شيء من علائم الخوف ولكنها ابتسمت وقالت لي رد خنجرك

غمده ايها الغلام واجلس تحدث فذلك خير لك وساعطيك من المال اكثر ما تطمع ان تجده بعد قتلي

قلت واذ كنت طامعا بغير المال

قالت ماذا تريد غيره اتريد الانتقام

قلت نعم

فضحكت ضحكا عاليا وقالت لي انا خلقنا ايها الغلام لنتفق واذ كانت العداوة قد نشبت بيننا فذلك خطاوك لا خطائي

قلت اتظنين ذلك

قالت دون شك فانك شغفت بتلك الفتاة التي كنت اكرهها

قلت والان الا تزالين تكرهينها

قالت لقد تناقص كرهي لها الان

فنظرت اليها محدقا وقلت لها لماذا

قالت اقفل باب هذه الغرفة حتى اذا اقبل احد لنجدتي تستطيع قتلي قبل اغتصاب الباب ومتي اتخذت كل ما تريده من اسباب الاحتياط تعال نتحدث

فاقفلت الباب وانا معجب بسكينتها وعدت اليها فقلت لها اني مصغ اليك

قالت لا بد ان تكون علمت شيئا من تاريخي وحكايتي اني كنت وصيفة من قبل عند الكونتس دي مازيرفسرقت من منزلها صندوقا يحتوي على ثروة طائلة

قلت اني اعرف هذه الحكاية

قالت واذا كنت اردت قتل اورور فذلك للاستيثاق من ان لا اجد احدا في المستقبل يطالبني بهذه الثروة

قلت هذا طبيعي معقول

قالت ان الطبيعي المعقول قد لا يكون حقيقيا في بعض الاحيان وساقول لك السبب الذي حملني على السعي في اعدام اورور ولكني اريد قبل ذلك ان اثبت لك اني لم افعل ما فعلته خوفا على اموالي

قلت الملك اودعتيها مصارف المانيا

قالت كلا ولكني امينة عليها فاني من النور وانا تابعة لطائفة قوية شديدة النفوذ وقد انضم الى سلكها كثير من الالمانيين والهنغاريين والبوهيميين على اختلاف طبقاتهم فبيننا المتولون والاغنياء وارباب الجاه المتصلون بالامبراطور ونحن جميعنا نخضع لرئيس سري له بيننا منزلة فوق منازل الملوك فاختصني به واودعته اموالي على ان اتمتع بفوائد هذه الاموال فاجبت واذا مت عادت تلك الاموال الى الطائفة

فقطب بيبي حاجبيه وقال له اقالت لك هذا القول

قال نعم وكانت تكلم بلهجة صادقة لم تدع لي اقل مجال للريب

فابتسم بيبي وقال له انك لا تزال في مقتبل الشباب يابني فتمم حديثك

قال وعند ذلك قالت لي تتوان ارايت كيف اني لا اخاف على اموالي

قالت اذا كان ذلك فلماذا تكرهين اورور هذا الكره وتسالين لها

الموت

قالت لاني غيوره

قلت العلك غرت من جمالها

قالت كلا بل من حبها لداغوبير فانه قبل ان يكون جنديا كان بيطريا وكنت خادمة فاحبيته حبا لا يوصف ثم انتزعته مني اورور وهذا هو السبب في كرهي السابق لها

قلت والان الا تزالين على هذا الكره

قالت لقد تناقص كثيرا

قلت لماذا

قالت لاني لم اعد اهوى داغوبير وقد زال حبه من قلبي فجاءة حين علمت انه تزوج اورور وانت ايها الغلام الذي نشأ على الرذائل الا تزال تهواها

قلت نعم

قالت ولكنك لم تعد تطمع فيها

قلت ذلك لانه لم يبق لي رجاء

قالت بل ذلك لانه لم يبق لك عقل

قلت وكيف حبي بها وهي بعيدة عني

قالت ان من يحب ايها الابله لا يثنيه بعد المسافة فافترض انك دخلت

[illegible] لملابس صرفت

اوقاتك بالعلم حتى تبلغ منه ما يقوم اودك وانك بعد عامين او ثلاثة اي بعد

ان تثقف وتهذب لتستبدل اسم بوليت باسم هيبوليت وتستخدم في قلم من اقلام الحربية ونت جميل الوجه زاق اللسان ذكي الفؤاد الا تظن انك تستطيع بلوغ مارب بعد ان تفعل ما قلته لك

فكادت تخدعني بكلامها فقلت لها ايها الشيطان الرجيم كفى

قالت ارى ان كلامي قد اثر بك وانك صعدت الدرجة الاولى من سلم الطمع فاردت ان تكوني من اجلها شيئا مذكورا

قلت ولكنها لا تحبني

قالت ستحبك متى تادبت وصرت اهلا لحب امثالها

قلت ولكنها امراة داغوبير

فضحكت وقالت ولكن داغوبير قد يقتل بل ان قلبي يحدثني انه يقتل وعند ذلك

فرت على عيني غمامة فجردت خنجري وهجمت عليها

فقهقهت ضاحكة وقالت ايها الابله انك تقتلني وتهرب من منزلي بمال قليل تنفقه في مدة شهر وتبقى لصا كما انت ولا تنال من اورور غير الحسرات

فسقط الخنجر من يدي ولم استطع قتلها

فقال له بيبي ويحك اكنت قادرا على قتلها ولم تفعل

قال نعم فقد ذهب عقلي في تلك الساعة وكنت كالمجانين

فقال له لقد اصبت يابني فان الحب والجنون واحد ثم حدثك فقد شاقني . ثم طاب زجاجة ثالثة بينما كان بوليت يمسح العرق المنحدر من جبينه

٣

ثم عاد الى الحديث فقال انك لم تر هذه المراة ضاحكة فانها لو كانت مغضبة لكنت قتلتها لفوري ولكنها كانت تضحك ضحكا غريبا فسقط الخنجر من يدي وعادت الى الضحك فقالت اري جليا انك لا تزال تحب اورور وانك تريد ان تهواك فاغوتني بحديثها ثم خطر خيالك فجاءة في خاطري فالتقطت الخنجر فأنتفت الي وقالت باسمة ماذا حدث ولماذا عدت الى الوعيد

قلت اريد ان اعلم ماذا فعلت بصديقي

قالت اي صديق تعني

قلت بيبي

قالت اذن انت ايها الغلام من اهل الفضول

قلت اريد ان اعلم ان هو صديقي فاني لم اراه منذ اسبوعين والويل لك اذا كان قد مات فاني انتقم له منك

قالت اذن رد خنجرك الى غمده فان صديقك لا يزال في قيد الحياة

قلت الم ترسليه الى المقصلة

فضحكت وقالت لاشك انك ابله

قلت ولكني اريد ان اعلم الحقيقة

قالت اصغ الي فساخبرك بامره . ان بيبي اخطأ باقامته في باريس فكان لديه جواز وكان بوسعه ان يسافر به الى الخارج

قالت لقد اصيب بمكروه

قالت انه في السجن ولكنه لم يمت واثق انه لا يموت فيه

قالت وكان سجنه بامرك

قالت نعم

قالت لماذا

قالت لانه تعرض لي في شؤوني ولا احب اهل الفضول وانا اعيد عليك ما قلته وهو انه لا يموت في سجنه لانه ليس في سجن البوليس ولا سجن الدير او سواهما من السجون التي يرسل من فيها الى الاعدام ولكنه في شارنتون اي في مستشفى المجانين

فقاطعه بيي وقال له هذه هي اول مرة نطقت فيها هذه المراة العاقلة بالصواب فانها قد سجنتني حقيقة في ذلك السجن ستة اشهر حسبني الناس من المجانين

قال اذن لقد احسنت بتصديقها فقد كتب علي ان لا اقتل هذه المراة ولا اذكر بالتدقيق حقيقة ما جرى بيني وبين تلك المراة غير انها انعمت غوايتي فخرجت من عندها بعد ساعة وانا هائم باورور هيام المجانين لا يهمني في هذا الوجود الان اروق في عينها واكون كفؤا لها

وقد اعطتني تنوان قبضة من الذهب وقالت لي اذهب الى باريس وتأنق في لباسك وعاشر ادباء الناس واحضر التمثيل وكلما فرغت جيوبك عد الي املأها من الذهب الوضاح

فذهبت وبدات من ذلك اليوم بحياة جديدة

وان المرء مهما بلغ من افلاسه اذا حسنت حاله شهرا ينسى شقاءه القديم ويتوهم انه كان كل عمره من الاغنياء وهذا ما اتفق لي فاني بالغت في الاسراف حتى اذا انفقت اكثر ما كان لدي خفت خوفا شديدا وذكرت سابق افلاسي

ولم اعد الى تتوان فاني خشيت ان تغتنم الفرصة فتنتقم مني وكان لا يزال باقيا معي بقية من المال فذهبت ليلة الى الاوبرا وكانت تتوان فيها فراتني وسلمت علي واشارت الي ان اصعد الى لوجها

وهناك لم اكن اخافها فصعدت اليها فقابلتني خير مقابلة وقالت لي الم ينفد المال بعد

فاطرقت مستحييا وقلت انه على وشك النفاد

قالت لماذا لم تأت الي فاعطيك ما تحتاج اليه

فنظرت اليها نظرة شفت عن كل ما دخل قلبي من الريب فادركت معناها وقالت لي وهي تضحك لقد اخطأت لؤ ظنك فقد غفرت لك منذ زمن بعيد ثم الا تعلم انك سيكون في المستقبل عدتي في الانتقام فكيف اوذيك وانت حليفي

قلت كيف ذلك

قالت ذلك ان اوروز ستحبك في مستقبل الايام لا سيما وقد اصبحت فتى جميلا بعد هذا الانقلاب

فجعل قلبي يخفق خفوق الطائر واحمر وجهي احمرارا شديدا فضحكت ايضا ثم اعطتني قبضة من الذهب وقالت لي لا تكن غرا ابله ومتى نفدت

تقودك فعد الي لاني حب ان اراك

فوثقت بها بعد ذلك وجعلت ذهب بها كلما [illegible] بيبي اذى سوى ان جيوبي كانت تتورم بعطاياها

وقد اتفق ليلة اني كنت عندها وكان المحامي د . فكانت تبسط ورق اللعب وتستكشف فيه الطوالع فتجهم وجهها فجاءة وتقطب حاجباها ثم نظرت الى المحامي وقالت له الا تزال مواليا لروبسبير

قال لا نزال كما كنا

قالت انك مخطىء ويجب ان تخاصمه وتبتعد عنه

قال لماذا

قالت لان سقوطه بات قريبا وقد عرفت ذلك من هذا الورق

وقد كان الحق فيما قالت فانه بعد ثلاثة ايام اي في ٩ ترميدور انقلبت هيأة الحكومة ولكن المحامي كان قد تمكن بفضل هذه الدهية من موالاة تاليان مجانبا روبسبير

فقال له بيبي وبعد ذلك

قال وبعد ذلك اصبحت تنوان والمحامي اشد نفوذا من قبل

قال وانت ابقيت صديقهما

قال بل ضيفهما

قال ولكني اراك بملابس الاعيان

قال هذا الذي ارادته تنوان كي ارتقي بي عين او [illegible] الورق حملتني على الاعتقاد بامور اخرى عرفتها من الورق كما تقول

قال ماذا قالت لك

قال انها منذ ثمانية ايام بسط لي الورق ونظرت فيه ثم قالت لي اني ارى اورور لابسة ملابسة السواد فان الكولونيل داغوبير (وقد رقي الان الى رتبة كولونيل) قد مات

فدهشت لقولها وقلت احق ما تقولين

قالت ان اورور تبكي الان ولكنها ستتعزى فان ساعتك قد دنت

فقال له بيبي اصدقت كلامها

قال صدقته كل التصديق بعد ما سمعت باذني نبوتها عن سقوط روبسبير وصدقها

قال اذن انت الان من اصدقاء تنوان واذا اقتضت الحال ساعدتها علينا

قال معاذ الله ان افعل ولا سيما اذا كنت واثقا من امكان رد المال الى الاختين

قال اني لم ات الى باريس الا لهذا الغرض

قال الملك قادم من مستشفى شارنتون

قال كلا فقد هربت منه منذ عام وذهبت الى المانيا وانا اعلم الان اين اودعت هذه الخائنة اموالها

قال انها لدى قبيلة النور

قال هو ذاك ولكني وجدت طريقة لاستردادها

قال احق ما تقول

قال نعم انما كنت معتمدا عليك بعض الاعتماد واما الآن ....

فخجل بوليت لهذا التوبيخ واسف لسيرته الماضية فقال له تسلم لك اني لا اعرف رئيسا لي سواك واني امتثل لكل ما تامرني به

قال اذا كان لك فيجب ان تبدء بعدم الافتكار باورور

فتنهد بوليت ولم يجب

وعاد بيبي الى الحديث فقال ولنفترض ان داغوبير قد مات فان اورور لا تكون لك لانها ما خلقت لك

قال لقد اصبت والحق اني كنت من المجانين

قال والآن اخبرني كيف انك تستطيع ان تقبض من تتوان كل ما تحتاج اليه وليس لذيك الا اجرة الدخول الى الحديقة

قال لقد دفعت لك اني قامرت فخسرت كل ما كان لدي

قال ولماذا لم تقابلني وان حين مررت بنا

قال كنت عاز ما على مقابلتها فتصديت لي وحدثتني وفوق ذلك فاني كنت منشغلا عنها بالنظر الى نيشات

قال من هي نيشات هذه

قال انها بائعة البنفسج على باب الحديقة وهي من الفتيات الحسان

فضحك بيبي وقال فقول انك عاشق ومن كان عاشقا فكيف يتحبب النساء

قال ذلك ان العشق نوعان عشق عين وعشق قلب

قال اذن لقد راقت في عينك هذه الفتاة

قال نعم

قال لا [illegible] وذلك تصبحا والان فهلم بنا نذهب

قال الى اين

قال انا ادخل الى الحديقة فتذهب انت فتحيي ثنوان

قال وانت ماذا تصنع اتنتظرني

قال كلا بل اذهب معك فتقدمني لها كرجل من اعيان الريف

قال ولكن الا تخاف ان تعرفك

قال اعرفتني انت فتعرفني هي

قال لقد اصبت فهلم بنا ثم تابط كلاهما ذراع الاخر وسارا الى الحديقة

فلما وصلا الى الباب الاكبر وجدا خلقا كثيرا محتشدين حول نيشات وهي تلاطفهم وتبسم لهم الطف ابتسام وتبيعهم مما لديها من طاقات البنفسج

فنظر اليها بيبي ثم قال لبوليت لقد اعجبني ذوقك يابني فانها فوق ما وصفت لي

عيران بيبي لم يلبث ان حدق بها حتى خطرت له ذكرى بعيدة اضطرب لها وقال ماذا ارى

فدهش بوليت لاندهاشه وقال له ماذا حدث

فاخذ بيبي بيد بوليت الى محل معتزل وقال له اصغ الي فاني راوك [illegible] زهر

قال واي شان للزهر بما نحن فيه

قال اصغ وستعلم فقد كان لي منذ عشرين عاما اناء فيه غرسة ورد . وكانت ضئيلة ضعيفة تكاد تذبل لان الشمس لم تكن تشرق عليها غير نصف ساعة في اليوم فخطر لي ان ارسلها الى صديق لي يقيم في الخلاء فاخذتها اليه فاقتلعها من الاناء وغرسها في الارض فكانت معرضة بالشمس والهواء المطلق وفي العام التالي زرت هذا الصديق وتفقدت الغرسة فوجدتها قد انبعت وتناقات اغصانها لكثرة الزهر

قال اوضح لي فانى لم افهم بعد

قال اني اكنى بهذه الغرسة عن نيشات

قال واية علاقة لها بها

قال لقد عرفت هذه الفتاة فقد كانت وحشا مفترسا في حداثتها فباتت الان فتاة حسناء

قال تقول انك عرفتها

قال وانت ايضا يجب ان تعرفها

قال انا . اني لا اذكرها

قال الا تذكر تلك الخادمة الهزيلة التي كانت في منزل الغسالة منذ اربعة اعوام

قال اتعني بها البومة

قال نعم فان تلك البومة صارت الان بائعة بنفسج وصار اسمها نيشات

قال ظن انت مخطئ ان شبهه

قال انك لو خدمت البوليس عشرين عاما مثلي لما رايت هذا البعد

في الشبه ولمعرفتها للفور كما عرفتها ثم دفعه الى باب الحديقة ودخل واياه

٩

اما ترن فانها طافت في الحديقة فكانت تارة تقف حيث يرقصون وتارة تجلس على مقعد فوق الخضرة فتمتع طرفها بمناظر العشاق وهم يسيرون في تلك الحديقة الغناء يتناجون ويتناغون ولا يلوون على احد

وان من عرف تنوان وهي خادمة في منزل الكونتس دي مازير لا يعرفها دون شك وهي على ما باتت عليه من ظواهر الترف والنعمة غير انها على غرابة زيها وازياء حاشيتها لم يكن احد يهزأ بها بل كانوا يحترمونها كل الاحترام وما زال هذا المال داعيا الى الاحترام ولو كان بايدي الرعاع

ثم انهم جميعهم كانوا يعلمون علائقها مع المحامي ده وليس بينهم من يجهل نفوذ هذا الخطيب الشهير في ذلك العهد وفوق ذلك فانهم كانوا يعلمون انها عاشقة لا يروقها غير الجمال حي لقد روي عنها انها اسعدت كثيرا من اهل الصبر والجمال ولهم في ذلك عليها حكايات مشهورة كانت تتناقلها الالسن عنها كلما راوها في محل عمومي

فلما ذاع خبر قدومها الى الحديقة اسرع الشبان اليها واحدقوا بها كالنطاق غير ان تنوان لم تكترث لهم تلك الليلة بل كانت مقطبة الحاجبين تبدو عليها آثار المشاغل وتقدح عيناها نارا

وكان يظهر من ملامحها انها منهمكة في شان خطير او ان خطرا ينذرها في تلك الحديقة التي تفرغ فيها الناس للمفاسد فنسوا اهوال الامس ولم يعبأوا بما يجيء به الغد

ولذلك كانت تسير جازعه مضطربة من مرقص الى مرقص ومن مجلس الى مجلس وهي لا تنظر الى الفتيان حسب عادتها بل الى الفتيات

وفيما هي تسير ارتعشت ووقفت فجاءة اذ رت فتاة حسناء تسير وحدها كانها لم تلقى فتى يراقصها

وهي فتاة ممشوقة القامة شقراء الشعر سوداء العينين تبسم ابتساما يدل على السويداء والكآبة

فتصدت لها تنوان في الطريق وقالت لها اسالك معذرة ايتها الحسناء

فنظرت اليها الفتاة معجبة وقالت لها ماذا تريدين مني

قالت كيف ذلك الم تعرفني

قالت كلا

قالت ذن يظهر انك لا تكثرين التردد على هذه الحديقه

قالت هذه اول مرة اتيت اليها

قالت العلك من اهل الريف

قالت كلا بل من اهل العاصمة ولكني لست من اهل هذا الحي

قالت الا تذهبين الى المراقص

قالت كل ليلة ولكني اذهب عادة الى قاعات مارس وليس في نيتي العود الى هذه الحديقة لاني لا اعرف فيها احدا

قالت ولكن من كانت لها جمالك لا تعدم اصدقاء يخطبون ودادها فاذا صبرت الى الدور الثاني من الرقص تجدين كثيرين يتمنون مراقصتك

فاجابتها الفتاة بلهجة غريبة انى لا ارقص ابدا

قالت اذا كان ذلك فلماذا تحضرين الى المرقص

قالت هذا سر من اسراري

فلم تستاء تنوار لذلك بل ظهرت عليها دلائل الفرح كانها طمعت ان تجد الفتاة التي تبحث عنها فقالت لها ماذا تدعين ايتها الحسناء العل ذلك سر من الاسرار ايضاً

قالت كلا ايتها السيدة فاني ادعى جرمين

قالت ولكن كيف لا تعرفينني

قالت هذه اول مرة رايتك فيها

قالت اني ادعى انطونيا وانا اغنى امراة في باريس

فاجابتها بلهجة دلت على عدم الاكتراث اني اهنئك ياسيدتي وارجو لك دوام النعمة

قالت ولكني لسوء حظي وحدي فلا ولد لي ولا قريب حتى اني اكاد اموت من الضجر

قالت اتاتين اذن الى هذه الحديقة للتسلية

قالت لهذا ولغرض اخر فاني اتي ايضاً للبحث عن شخص

قالت الم تجديه بعد

قالت اظن انني وجدته

وقد جلست تنوار عند ذلك على مقعد واجلست بجانبها الصبية

قالت لها الفتاة كيف تظنين انك وجدته

قالت نعم فهو انت

فابتسمت الفتاة وقالت كيف يكون ذلك ولا يعرف احدنا الآخر قبل الآن

قالت هو ذلك ولكني حين رأيتك ملء ليلك كل الميل وهذا من اسرار النظرة الاولى التي حار فيها ارباب العقول

قالت اني لا افهم ياسيدتي ما تقولين

قالت اني موضحة لك ما اشكل عليك فلا البحث عن فتاة مثلك تشاطرني هذه الثروة التي انعم بها

فابتسمت الفتاة ابتسامة وقالت اني لا استطيع ياسيدتي ان اكون صديقة احد

قالت حتى انا

قالت حتى انت

قالت ولكني كثيرة المال

قالت لقد سمعت منك هذا القول

قالت اني ابتاك واجعلك من اسعد النساء

فنهضت الفتاة عن المقعد وقالت اني ياسيدتي احضر لك المراقص كل ليلة و لكني لا احضر للتسلية

قالت اذن لماذا

قالت لا تذكر راني اسالك العفو ياسيدتي فاني لا استطيع البقاء طويلا ثم اخذت وشاحها كي تضعه على كتفيها فارتعشت تنوان اذ راءت في

عنقها خيطا احمر من الحرير وكان الخيط مقيدا بنطه فتاة في عنقها كالعقد فقالت تنوان في نفسها لقد اخطأت بالتجائي الى هذه الفتاة فانها من النبيلات وما هذا الخيط الاحمر في عنقها الا اشارة الى مسفك من دم النبلاء في الثورة ورمزا للتعارف في مراقص الاعيان الذين ياتون الى باريس متنكرين

حتى اذا انصرفت الفتاة عنها قالت ياخيبة المسعى فان جمل هذه الفتاة كان اعظم معين لي على تنفيذ مشروعي فلنجدد البحث

ثم قامت فجعلت تمشي في تلك الحديقة وفيما هي تسير رات رجلين وهما بوليت وبيبي فدنت من بوليت وقالت له اهذا انت

قال نعم ياسيدتي ثم انحنى وقبل يدها

فنظرت تنوان عند ذلك نظرة الفاحص الى بيبي ولكنها لم تعرفه فانه كان متنكرا انهم التنكر ثم قالت لبوليت لماذا تاخرت بالسلام علي الى الان فاني في الحديقة منذ الساعة العاشرة

فابتسم بوليت وقال اتريدين ان اعترف لك بكل شيء

قالت دون شك

قال انى لم ادخل الى الحديقة الا الان

قالت كيف ذلك والساعة قد بلغت الثانية بعد انتصاف الليل

قال لاسبيل الى انكار ما تقولين

قالت اذن لقد صرفت ليلتك في احد المحلات السيئة

قال هذا اكيد

قالت يظهر انك قامرت وخسرت

قال وهذا ايضا

فابتسمت تنوان وقالت له انك سيىء السلوك ثم قالت له بلهجة حنو العلك خسرت كثيرا

قال كل ما كان معي تم غمز بعينه وقال مشيرا الى بيبي ولكني لحسن حظي لقيت هذا الرجل

فقالت له بلهجة المحتقر من هو هذا الرجل

فاجابها بصوت منخفض انه من اهل القرى وقد حسبك مدام تاليان وهو الذي انفق علي فانه لم يكن معي درهم

فضحكت تنوان واعطته عشرين فرنكا ثم قالت له اذهب فاشتر طاقة من الزهر وعد الي فاني اريد محادثتك

فانحنى بوليت امامها ثم تابط ذراع بيبي وسارو اياه الى باب الحديقة وهو يرجوان يري نيشان بائعة الازهار فسار بيبي معه وهو يقول انها لم تعرفني

٥

لم يكد بوليت وبيبي يسيران بضع خطوات حتى رايا رجلا لا يقل في غرابة منظره ولباسه عن تنوان

فقد كان لون وجهه يشبه لون الزيتون الاخضر وهو اسود العينين مجعد الشعر تدل تقاطيع وجهه وملابسه انه من النور ولكنه كان يخالف النور بقبح وجهه في حين ان هذه الطائفة قد اشتهرت بالجمال

على انه مع ظواهر قبحه كانت هيئته تستأنث الانظار لتلك الخواتم

المرسمة في كل منخاريها

وكان محمول في تلك الحالة انه يبحث عن شخص يرجو ان يجده

[illegible] بوليت ضحك وقال لبيبي اري ان هذا الرجل ما خلق الا للغرائب

فاضطرب بيبي لمرأى هذا الرجل اضطرابا لم يلاحظه بوليت وقال له

اقد اصبت

ما هذا الرجل فقد كانت تبدو عليه دلائل الاهتمام حتى انه لم يكترث لانظار الناس المحدقة به من كل صوب ومر بالاثنين دون ان ينظر اليهما

فقال بوليت اراهن ان هذا النوري يبحث عن تلك النورية

قال ان هذا ممكن

قال ان من يسمعك تقول قولك بهذه اللهجة يحسب انك تعرفه

قال هو ذاك يا بوليت فاني اعرفه وما اتيت باريس الا من اجله

فدهش بوليت دهشا عظيما وقال اذا كان ما تقوله اكيدا فكيف لم تكلمه

ثم يجبه بيبي ولكنه سار به الى محل منزل وقال له لتتحدث بسرعة فان الامر خطير الم تكذب علي منذ ساعة

قال متى

قال حين قلت لي انك لا تزال مستعدا لخدمتنا ومساعدتنا برد المال

قال اني اعيد عليك ما قلته فاني طوع لك فيما تريد

قال اذن اصغ الي انك ستشتري طاقه زهر لتنوان وتذهب بها اليها بعد انصرافي

قال كيف ذلك تتركني

قال نعم اذ لدي كثير من الشاغل هذه الليلة الم تقل لي ان تنوان اودعت امولها عند ملك النور

قال هذا الذي قالته لي بلهجة صادقة ولكني لا اضمن شيئا من اقوال هذه المحتالة

قال ولكنها قالت لك الحقيقة هذه المرة وان ملك النور هو هذا الرجل الذي لقيناه الان وهو قد جاء باريس خصيصا لمقابلة تنوان وسيجتمعان الليلة ولا بالنظر الى حسن علائقك مع تنوان فاني اسالك قضاء مهمة

قال ما هي

قال هي ان تراقب الاثنين وتعلم اذا كان ذهبا معا ثم تعود الى فندق بون اتفان حيث اقيم فتخبرني بما رايت

قال غدا

قال غدا او الليلة فاني انتظرك في الحالتين

فهم بوليت ان يسأله فقاطعه بيبي وقال ستعلم البقية في غير هذا المقام والان استودعك الله ثم ودع بوليت وانصرف

فبقي بوليت وحده وهو يقول ما هذه لاسرار بل ما هذه الليلة المفعمة بالحوادث وقد وقف باهتا حائرا يشيع بيبي بنظره حتى توارى

عنه فافتكر بطاقة الزهر وذهب الى حيث كانت تقيم بنشات كي يشتري منها

غير انه لم يرها في موقفها وكانت امراة هناك ادركت غايته فقالت له ان بائعة الزهر قد دخلت بارباها الى الحديقة فعاد الى الحديقة وبحث عنها فلم يجدها

ثم عاد الى المكان الذي ترك فيه تنوان فلم يجدها ايضا

وفيما هو يفتش عليهما في الحديقة راى ذلك النوري جالسا حول مائدة مستديرة وامامه كاس شراب مرطب وهو ينظر الى الراقصين والراقصات نظرات تشف عن سرور عظيم بهذه الملاهي فقال بوليت في نفسه ما اظن بيبي الا مخطئا في هذا الرجل فانه ما جاء الى هذه الحديقة الا متلهيا ولم يجيء للبحث عن تنوان

ثم تركه وجعل يطوف في الحديقة فلم يكد يتوغل فيها حتى وقف فجاءة وقال في نفسه اني ارى عجبا

ذلك انه راى تنوان واقفة مع نيشات بائعة الزهر تحدثها باهتمام شديد والفتاة مصغية اليها باسمان اشد وكتاهما لم تريا فقال في نفسه انى احب ان اعلم بماذا تتحدثان

وكانتا جالستين على بساط من الخضرة فجاء بوليت فوقف وراءهما وجعل يصغي الى الحديث

اما تنوان فانها كانت قد انتظرت بوليت بعد ان ارسلته لشراء طاقة الزهر ولكن بوليت لم يكن في حاجة الى العجلة وفوق ذلك فقد كان يعلم

انها لم ترسله الا لتخلص منه فجعل يسير في الحديقة باحثا عن بائعة الازهار وكل ما مر بامراة حسناء يقف فيتامل محاسنها

غير ان بائعة الازهار او نيشات رات تنوان في الحديقة وقدمت لها ضمة بنفسج فاهتز تنوان حين رآتها اهتزازا كهربائيا مع انها لم تكن المرة الاولى التي رات بها نيشات فان هذه الفتاة كانت تقف دائما عند باب الحديقة لبيع ازهارها وكانت تنوان تاتي الحديقة كل ليلة فتراها وتسير دون ان تكترث بها

على انها كانت تراها عرضا ولم تحدق مرة بعينها البراقتين فلما قدمت لها ضمة البنفسج وحدقت بها اهتزت كما قدمناه وقالت لها ما اسمك ايتها الحسناء

قالت نيشات

قالت امهنتك بيع الازهار

قالت كما ترين ياسيدتي

قالت اتكتسبين كثيرا من هذه المهنة

قالت بعض الاحيان

قالت وهذه الليلة

قالت لم يبق لدي غير ثلاث ضمات

قالت اني اشتريها منك بجملتها ثم اعطتها عشرين فرنكا

فاخذت نيشات قطعة الذهب شاكرة وهمت بالانصراف

ولكن تنوان استوقفتها وقالت لها انك قد بعت ازهارك ولم يبق لك

ما تعلمين

قالت هذا اكيد

قالت اتريدين ان تتحدثي معي هنيهة

فنظرت اليها نيشا نظرة اندهال فقالت لها تسوان انك لا تندمين في كل حال اذا سمعتني ايتها الفتاة

قالت من لا يعرفك في هذه المدينة ياسيدتي فانك اشهر الناس فيها

قالت اذن تعلمين اني غنية

قالت بل اعلم انك واسعة الثروة

قالت هو ذاك فانك من المال ما لا استطيع عده

قالت اهنئك ياسيدتي فانك من اسعد النساء

قالت اذا كنت تحسبين السعادة بالمال فانا اكفيك منه واجعلك غنية

قالت انا

قالت نعم انت

فنظرت اليها نيشا نظرة اعتراض كانها تقول لها لماذا تهزأين بي ثم اضطربت فجاءة كانما قد عرضت لها ذكرى قديمة وقالت لها يظهر لي ياسيدتي ...

ثم توقفت عن الكلام كانها لم تجسر على التصريح بما ارادت قوله فقالت لها تسوان ماذا يظهر لك

قالت يظهر لي ياسيدتي اني رايتك من قبل

قالت دون شك فاني احضر الى هذه الحديقة كل ليلة

قالت هو ذاك ولكني لم ارك هنا

قالت اين

قالت لا اعلم ... بل اعلم ... ولكن ... كلا ان هذا محال

فاخذ تنوان عند ذاك بيدها وجلست معها على بساط الخضرة فقالت لها اضحي الآن ما تقولين يا بنتي فاني مصغية اليك

٦

وكانت نيشات تنظر اليها وحجب الماضي تزاح عن عينها فتتجلى تذكاراتها السابقة وما زالت تتلعثم وهي واقفة بين الشك واليقين حتى قالت فجاءة كلا اني لست مخطئة فانت هي

ويظهر ان ذاكرة تنوان كانت اضعف من ذاكرة نيشات فحسبت ان هذه الفتاة قد رات امراة تشبهها

غير ان نيشات عقبت على جملتها فقالت الست انت ياسيدتي التي حاولت اعدام الاختين

فارتعشت تنوان وجعلت تحدق بالفتاة

فقالت لها نيشات ان الحادثة قد جرت ياسيدتي منذ اربعة اعوام وكان اسم احدى الاختين اورور والثانية حنة

قالت كيف تعرفين ذلك

قالت ذلك انك اتيت ذات يوم الى الدكان في شارع بتي كاه ... لابسة ملابس المتوسلات

قالت هذا اكيد

قالت زهناك كلمتني

قالت كلمتك انت

قالت نعم ياسيدتي

فارتعشت تنوان فجاءة وقالت لقد ذكرني الان اني كلمت يومئذ فتاة حدثة نحيلة

قالت انها انا ياسيدتي

قالت كيف هذا ايمكن ان تتغير هيئتك هذا التغيير

قالت ان كنت في زمن النمو ولكني انا هي تلك الفتاة

قالت اذن انك تدعين اليومة

قالت هذا هو اسمي الحقيقي

فنظرت اليها تنوان مبهوتة بما طرأ عليها من الانقلاب وقالت لها ولكنك اصبحت بارعة بالجمال

قالت ان الجمال من نعم الله ينعم بها على من شاء

قالت ولكن اخبريني بكل امرك بالتفصيل

قالت ان حكايتي بسيطة وهي ان الغسالة طردتني من دكانها في اليوم الذي نجت فيه الاختان

قالت وبعد ذلك

قالت جعلت اهيم في الشوارع فبدأت بالتسول ثم ظفرت برجل عجوز فاشتريني ملابس وبوني في منزل ولم يكن لي من العمر غير اربعة عشر عاما ولكن هذا الشيخ كان يحب الفاكهة الخضراء

قالت وبعد ذلك

قالت ان هذا الرجل كان شديد النفوذ فما مضى شهر حتى تمكنت منه كلما اريد فبدات بالانتقام من زوج الغسالة الذي طردني من منزله

قلت كيف انتقمت منه

قالت حملت الشيخ على ان يشي به فعمل بنصيحتها

قلت اعدموه

قالت كلا ولكنهم ارسلوه الى اليمن مع اللصوص فانى اوثر هذا الانتقام على القتل

قالت والان لا ازالين على ما كنت عليه من الشر

فابتسمت نيشات ابتسام الابالسة وقالت اني اردت الانتقام

قالت ولكن بماذا اساءت اليك الاختين

قالت انهما كانتا جميلتين وكنت قبيحة الا تكفي هذه الاساءة

فضحكت تنوان وقالت الا تزالين تكرهينهما

قالت كل الكره وان كنت لا اعلم ما جرى لهما

قالت واذا رايتهما تسبيهما

قالت كل الاساءة

فقبلت تنوان جبينها وقالت لها بلهجة حنو انني حزينة لك يا ابنتي فاني معجبة بك كل الاعجاب

قالت ان هذا الشيخ الذي كان يهواني كان يقبل علي بل كاد يقتلني بافتخاره علي وقوله لي انه التقطني من الازقة فلم اجد بدا من التخلص منه

قالت كيف فعلت

قالت انه كان في الظاهر من حزب لوطنيين وكان يختلط معهم [illegible] في اشدهم . لكنه كان في الحقيقة من حزب النبلا [illegible] وكان يراسل احزاب الملكية

فما زلت ابحث عن مراسلاته حتى عثرت بها فسرقتها وارسلتها الى البوليس فقبضوا عليه

قالت أاعدموه .

قالت نعم يا سيدتي

قالت بورك فيك فانك من اهل العزم والعقل وبعد ذلك

قالت احببت فتى جميلا كان يضربني ثم احبني رجل كنت اضربه وما زلت على ذلك حتى انفت التقييد ومالت الى الاستقلال فجعلت ابيع الازهار

قالت فما الا تحبين احدا

قالت على الاطلاق

قال واذا قضت الاحوال ان تحملي رجلا على حبك افتفعلين

فابتسمت نيشات وقالت افعل كل ما يجب ان يفعل

قالت اني كنت ابحث الان عن فتاة حسناء اعهد اليها اغواء رجل رجمه على لافتتان بها ومن يعلم فقد تكونين هذه الفتاة

فاجابتها البومة اني ابلغ منه ما تريدين بشرط ان اريد

فتأبطت تنوان ذراعها وقالت اذن تعالي معي

قالت الى اين

قالت الى منزلي

قالت ماذا نصنع فيه

قالت اقدم لك العشاء حيث [illegible] الى الذي اريد ان يحبك

فتأملت نيشات هنيهة ثم قالت مثل هذا الرجل من الاغنياء

قالت واية فائدة لك من غناه ما دام انا فقيرة

فاهتزت نيشات سرورا وقالت حتى ياسيدتي ان تكوني هازئة بي

قالت انني لا امزح بل هو كما قلت فقد وجدت حسناء طماعة ردية حسودة ورايت انك لا تراين تكرهين الاختين لانهما مجاسرة فكانتا اجل منك فايقنت انك ستفعلين ما اريد وسابلغ لك ما اتمناه فتعالي معي انني سانبئك

وعند ذلك سارت بها في الحديقة فخرج بوليت عند ذلك من مكمنه والعرق البارد ينصب من وجنته ثم جعل ينظر اليهما تبتعدان ويقول في نفسه لقد اصاب بي فن نيشات بائعة البنفسج هي نفس البومة خادمة الغسالة فكيف خطر لي ان اعشق هذا الجبان

ولما ثاب من دهشته قال في نفسه ترى من هو هذا الرجل الذي تريد تنوان ان تسلط عليه نيشات انه لا بد ان يكون هناك سر ولا بد لي من معرفة هذا السر وعند ذلك رأى انه لا يكتفي امرهما كي يعلم ما يكون

اما تنوان ونيشات فانهما سارتا نحو باب الحديقة وبوليت يتبعهما

دون ان تراها

وفيما هما تسيران وقفت تنوان فجاءة فقالت لها نيشات لماذا وقفت

قالت لها انظري ثم اشارت بيدها الى ذلك الرجل النوري الذي راه بوليت وبيبي

وكان هذا الرجل جالسا حول مائدة عليها زجاجة شراب وكانت علائم الانشغال الشديد بادية عليه حتى انه لم ينتبه الى المراتين اللتين تنظران اليه

ومع ذلك قال تنوان اختباء وراء شجرة من قبيل الحذر

فقالت لها نيشات من هو هذا الرجل

قالت لها معنى النظر فيه

قالت انه قبيح المنظر

قالت ولكنه غني قادر بل هو اغنى مني واقدر وله نفوذ في المانيا لا يعادله نفوذي هنا

قالت ان الغني وحده يشفع بقبحه ولكن من صعد

قالت هو

قالت اهو الرجل الذي تريدين ان يحبني

قالت هو بعينه

فابتسمت نيشات ابتسامة احتقار ثم قالت لا باس ما زال من الاغنياء

قالت تعالي فاني لا احب ان يراك هنا

قالت لماذا

قالت ساوضح لك كل شيء في حينه فهمت معى الآن

وسارت المركبتان حتى وصلتا الى باب الحديقة وكانت مركبة تنوان واقفة في انتظارها فصعدت اليها مع بائعة البنفسج والناس ينظرون الى بيشات منذهلين لركوبها مع تنوان

فكان بعضهم يقولون ان اخلاق هذه المرأة اشد غرابة من الاثاثيز يحسدون نيشات على هذه النعمة فقد قال احدهم سائلا بعض المتحدثون ما عساها تصنع بائعة البنفسج فاجابه احدهم انها ستعجلها اميرة وتجدد بها عهد النبلاء

ولما توارت المركبة عن الانظار قالت تنوان لنيشات ان هذا الرجل الذي اريد ان تقويه هو زعيم الشعب الذى انتسب اليه

قالت الى اى شعب تنتسبين ياسيدتى

قالت انى بوهيمية

قالت وهذا الرجل من النور

قالت بل هو ملك النور

قالت اذن ساغدو ملكة

قالت ستصبحين ملكة اذا عرفت ان تقويه

فقالت البومة ضاحكة ما اعجب ان اغدو ملكة في باريس في عهد الجمهورية

فقالت لها تنوان اصغي الي الان ان هذا الرجل قد جاء الى باريس لارجاع ثروة طائلة

قالت لمن

قالت للذين سرقت منهم

قالت اذن هذا المال في قبضتك

قالت نعم

فاتقدت عينا نيشت ببارق من الامل وقالت لها ماذا تريدين ان اصنع

قالت اريد ان تدعوه يتدلل بملك شيء من جاء بالثروة المسروقة

قالت واية فائدة لي من ذلك

قالت يكون لك حصة من المال

قالت اذن اجمعي له وعلي الرتبة

قالت اني لم احضرك من الاهناء لغير

قالت اذا كان ذلك فالماذا خلصت اميراني في الحديقة

قالت ذلك لاني اريد ان اميلك اليه طاهرة نقية كملائكة الله

قالت لقد فهمت جميلك تطلبها طاعة لا بد لها

اما بوليت فانه بعد ان ... هما ذهبا بالمركبة عاد الى مراقبة ملك النور القاه يشرب جرعات صغيره ثم نهض مسرعا الى باب الحديقة فتبعه بوليت وكانت هناك مركبة اجرة واقفة بانتظار فعمد اليها ملك النور وبوليت بالقرب منه

فالتفت السائق وناداه للسير فقال له الى اين يريد سيدي ان يذهب

قال الى منزل السيدة طوبيا هيل تعرفه

قال نعم ثم ضرب الجواد بسوطه فاندفع بالمركبة كسابق الرياح

اما بوليت فقد قال بنفسه ان بيي اوصاني ان اراقب هذا الرجل لئلا ان يذهب مع نتوان فاسرع الى اخباره في الفندق

وهم لم يذهبا معا ولكنه ذهب الى منزلها كما سمعت من فوزية ثم ان البومة قد تدخلت في الامر وذهبت مع نتوان وذلك لم يتفق لبيي فلا بد اذن من الاسراع باخباره

وعند ذلك ركب مركبة فسارت به مسرعة الى الفندق فقيم وبيي فوجده لا يزال ساهرا يفتش في رسائل عديدة كانت بين يديه

فاخبره بجميع ما سمعه وراه فقطب بيي حاجبه ثم قال ان مثل هذه المراة يجب ان نتوقع كل شيء والان فانه لا نستطيع ان نفهم شيئا الا اذا حكيت لك ما جرى في المانيا منذ بضعة اشهر

قال قل فاني مصغ اليك

فبدأ عند ذلك بيي يسرد الحوادث التي جرت في المانيا مما له علاقة شديدة بهذه الرواية وهي كما يأتي

٧

في ليلة من ليالي نوفمبر كان رجل وامراة يسيران بعناء شديد على شاطىء الرين وجهتهما مدينة كوبلنتز

كان الرجل كهلا وهو شديد السواد الشعر بكاد يشبه الابنوس لو لم يخطه الشيب وقد تجعد جبينه فدل على حياة مضطربة

وكانت المرأة التي تصحبه فتاة صبية لا تتجاوز عشرة عشر عاما

وكان كلاهما من تلك الطائفة النورية العظيمة التي لم يتصل احد الى معرفة اصلها بعد فاختلف المؤرخون فيها من قائل انها جاءت الى اوروبا من الشرق الاقصى ومن قائل انها قدمت من مصر وقائل ان موطنهم الاصلي وهميا ولكنهم لم يتفقوا على راي حتى ان تلك القبائل نفسها لا تعلم حقيقة اصلها

وكان الرجل والفتاة يسيران جنبا الى جنب في طريق شاقة موحلة كثرت فيها مستنقعات الامطار

ولم يكن الليل قد اقبل بعد ولكن الشمس كانت قد توارت في حجابها ولم يبق من نور غير نور الشفق فكانت تبدو منه للعيون تلك السهول القفراء التي خربتها الحرب ، تلك البروج القديمة المسلطة على الرين

وقد اختلفت نظر الفتاة قبة جرس عاليه فقالت لرفيقها انظر يا ابي اليس هذه القبة التي نراها قبة كنيسة كولنز

قال كلا يا بنتي فقد علمت اني سألت منذ ساعة احد الفلاحين عن المسافة الباقية بيننا وبين هذه المدينة فقال خمس مراحل

قالت ولكنك سألت منذ ساعة

قال هو ذاك

قالت وقد مشينا كثيرا

فأشار الرجل ونظر الى ابنته نظرة ملؤها الحنو والاشفاق

وبعد هنيهة توجهت الفتاة ايضا وقالت لقد انهكني السير

يا ابي

قال اتريدين ان احملك

قالت كلا فقد تعبت انت ايضاً مثلي اليس كذلك يا ابي

قال هو ذاك فقد مشينا كثيرا

قالت اننا مشينا ثلاثين ساعة على الاقل ثم نظرت الى ابيها وقالت انمشي كثيرا ايضاً

قال كلا فقد اوشكنا ان ننتهي من هذه الرحلة الشاقة

قالت اذن لا نسير الى ابعد من كوبلنتز

قال كلا فاننا قد نقيم في هذه المدينة خمسة عشر يوما

قالت وبعد ذلك

قال نعود الى غاباتنا وجبالنا التي لم تدنسها اقدام الاجانب بعد

قالت انعود من نفس الطريق التي جئنا منها

قال تقريباً

فظهرت علائم الرعب على وجه الفتاة اما ابوها فانه ابتسم وقال لها [illegible] انا لسنا جئنا مشياً على الاقدام ولكننا نعود في

ه ـ العل هذه لمهمه خطيرة

ز من اعظم لمهمات

قد ـ مو بنا وانظر ـ ان كشف لها ابوها سر لمهمة غير انه لم ـ ـ ـ تال لها تاحين نصل ان كوبلنتز تعلمين كل شيء فتشجعي يا بني وهي بنواصل السير فقد قرب اوان الراحة وانت تعلمين ان اباك منتو لا يعرف الكذب

فعانقت الفتاة اباها وقبلها قبلة ـ نوم واصلا السير

وكان الشفق بتوارى تباعا ولكن فيه الجر ـ التي رأتها الفتاة تدنو منهما ولكنها لم تكن قبة كنيسة كوبلنتز.

وفوق ذلك فان هذه المدينة كانت كبيرة فهي لا تحتوي على قبة واحدة بل على قباب

اما هذه القبة التي رأياها فقد كانت قبة كنيسة في قرية صغيرة لا يزيد عدد سكانها على مائتين فقال منتو لبنته اري انه لا بد لنا من المبيت في هذه القرية اذ لا نستطيع بلوغ كوبلنتز هذه الليلة

قالت لماذا

قال لان الليل قد ارخى سدوله والطريق وعرة المسالك وقد اضناك التعب فلا تحملين لمسير

قالت هو ذاك يا ابي ولكني السير حتى نصل فان هذه المدينه اخر بلد نسير اليه كما تقول

قال دون شك غير ان كوبلنتز ليست الان مدينة المانية فقد نشبت

فيها مخاطب مرتسيين

فاجابته ببساطة ماهذا الشعب يا بني فاني ارى سلطته منتشرة في كل مكان

فاجابها بصوت اجش نعم وقد اقتدت عينيه ببارق من الحقد

فقالت له واذ كانت هذه المدينة فرنسائية فماذا علينا اذا دخلناها

قال لاشيء

قالت اذن لماذا لانواصل السير اليها

قال ان جميع المدن التي يحتلها الظافرون يتلألاء مكربا يقفلون ابوابها في المساء

قالت الا يدخل اليها احد بعد الغروب

قال كلا يا ابنتي ولذلك لابد لنا من المبيت في هذه القرية حتى الصباح

قالت اذا لم يكن ماترد فارد ما يكون

ثم سارت وابوها ساكتة واجمة ولكنها لم تشر هنيهة حتى عادت الى الحديث فقالت له اننا سنعود الى بلادنا في مركبة كما وعدتني

قال دون شك

قالت اذن ستنال مالا في كوبليتز

فابتسم مينيتو وقال نعم يا ابنتي وسنصل بالا ن اذلم يبق لدي غير ثلاثة ريالات

فلم تجب موبينا اباها ولكنها جعلت تسير وهي مفكرة مهمومة حتى ظهرت لهما منازل القرية

وعند ذلك لشددت الفتاة وشدوها وبجدت قواهما فسارا بين تلك المنازل فرايا بينها بيتاً مبنياً بالقرميد الاحمر وقد كتب عليه لفظة فندق بالالمانية

وكان عند باب هذا الفندق غلام بين الثانية عشرة والخامسة عشرة من عمره جعل ينظر الى الغريبين حتى وصلا اليه

نحياه مينيو وقال له انت من اهل هذا الفندق ايني

قال نعم فان ابي صاحبه

قال اياوينا عنده

قال لا اعلم

قال ولكن هذا المنزل فندق كما ارى

قال نعم غير ان الفرنسويين مروا به في صباح اليوم

قال وماذا حدث

قال حدث انهم سلبوا كل ما لديه

فتململ مينيتو وقال تبا لهم من لصوص

وعند ذلك قدم صاحب الفندق وسالهما ماذا يريدان

قال قد اضنكنا الجوع وهد السير حيلنا

قال لقد كنت في هذا الصباح من اصحاب الفنادق اما الان فلا

قال كيف ذلك

قال ذلك ان الفرنسويين دخلوا الحديقة في صباح اليوم فلم يبقوا فيها على طعام وشراب

قال لم يدفعوا ثمن ما اخذوه

قال انهم اخذوا ما خذه قوة واغتصابا وفوق ذلك فقد سلبوني كل ما اقتصدته من المال

فضم مينيتو قبضتيه ونظر الى السماء نظرة شفت عن حزنه وحقده على الفرنساويين

فاخذ صاحب الفندق يده وقال له اري انك من الاحوان

ثم اخذ يد الفتاة وقال ادخلا بنا نقتسم طعامنا وتبتنان الليلة هنا ثم تسافران في الصباح

فدخل مينيتو وابنته الى ذلك الفندق وسأل صاحب الفندق ما اسم هذه القرية

قال فولسباخ

قال هل احتلها الفرنساويون

قال انهم احتلوها احتلالا قصيرا ولكنه كان كافياً لخرابها وقد حدثت معركة هنا منذ خمسة عشر يوما فلم يبق في حقولنا سنبلة قمح فان سنابك الخيل وارجل المتحاربين قد سحقتها

اما موبينا فانها لم تكد تدخل الى الفندق حتى اسرعت الى مقعد قرب المستوقد فانطرحت عليه واذنت يديها من النار وقد ازرقتا من البرد

واما مونيتو فانه كان ينظر الى ما حواليه نظرات فهمها صاحب الفندق فقال له اظنك معجباً كيف انه لا يوجد نساء في هذا الفندق

قال هو ما تقول

فاجابه بلهجة كئيبة ان امرأتي ماتت منذ سبوعين

ثم مسح دمعة رقعت على وجنتيه واسترسل الى ابنه البكاء

وقد اثر حزنهما بالكهل وابنته وانساهما ما يجداه من الشاق

اما صاحب الفندق فانه جعل يتلاهى عن حزنه بوضع الطعام على المائدة فوضع قطعة من لحم الخنزير وبعض قطع صغيرة من الخبز وابريقا من البيرة وقال لهما هذا كل ما بقي لدينا

فاخرج مونيتو كيسه من جيبه ودفع ريالا لابن صاحب الفندق

قال له الا يوجد قرار في هذه الناحية

قال نعم

قال اذهب اذن يا بني واشتر لنا خبزا

فاخذ الغلام النقود وانصرف

ولكنه لم يغب دقيقة حتى عاد وعليه علائم الذعر الشديد فقال ابي خائف يا ابي

فذعر ابوه وقال له ماذا اصابك

قال لقد جاء الفرنسويون ايضا

قال كيف ذاك

قال انهم عادوا والطرق غاصة بهم اسمع لا تسمع وقع حوافر الجياد

فابتسم صاحب الفندق ابتسامة حزن وقال ماذا علينا منهم وماذ

تخاف ان ياخذوا فلم يبق لنا بقية نخاف عليها

أما مونيتو فانه مل ينظر لى بنته نظرات قلق . قبض على السكين التى كان يقطع بها الطعام فان ابنته كانت بالغة ابعد غايات الجمال

٨

وقد كان الغلام يقول الحقيقة فان الجنود الذين راهم كانوا بقية فيلق مراسى قادما من مايانس

وكانوا عصابات متفرقة من شر خلق الله الذين لا ينتظمون في سلك الجنود لا للنهب لا للقتال

وكانوا نحو ثلاثين جنديا من جميع الاجناس بين فارس وراجل ومدفعي وفيهم ضباط

فلما وصلوا الى الكنيسة قال لهم الضابط ايها الرفاق ان مدينة كولبتز لا تزال بعيدة عنا وانا سالكم أن تقتدوا بي فلنبت هنا لدينا سوفة وبنادقنا وهي خير نقود نبلغ بها ما نريد من المأكل والمشرب

فتفرقوا عند ذلك وانقسموا الى عصابات فسار كل اثنين او ثلاثة منهم في طريق من طرق القرية فدخلوا البيت الذى راق لهم ان يدخلوه

ولذلك لم يكد الغلام يرجع الى ابيه ويخبره بما راه حتى طرق باب الفندق طرقا عنيفا

فاسرع صاحب الفندق الى الباب وفتحه بيد ترتجف فدخل جنديان وضابط

وكان الضابط تقدمهم وقد عزمت ملامحه فساءت حاله الى اشفاق غير ان من ينظر الى وجهه لا يلبث ان ينفر ويشمئز لما يراه مرسوما عليه من دلائل الشر

وكان هذا الضابط يدعى دوشين وقد تطوع في الجيش بعد ان كان من غلمان باريس في مذبحة سبتمبر

وكان وحشي الاخلاق بغيضه الجنود يحقره الضباط امثاله روساءه فكان يجتنب دائماً المعارك ولا يلقى الا بين المتأخرين

وهو قصير القامة اصفر الوجه لم تعرف شفتاه الضحك ولم يره احد الا صاخبا مغضباً وكان ازرق العينين لا تستقر عيناه كانهما كبتان على زئبق

اما الجنديان اللذان تبعاه فقد كانا على شكاله وهم لم ينفقوا الا على الشر الاكيد ولم يكن لهم من الجندية الفرنساوية غير الانتماء اليها

فلما دخلوا قال الضابط بصوت الامر ما هذا البيت الذي نحن فيه اللهو فندق

فاجابه الالماني بصوت مضطرب نعم ياسيدي

قال اذن اعد لنا العشاء

قال والسفاه ياسيدي انه ليس لدي شيء فقد مر بي الجنود امس واخذوا كل ما كان لدي من المؤنة

قال خسئت وما انت الا من الكاذبين

قال لم اكذب ياسيدي فلم يبق عندنا غير ما تراه علي

هذه المائدة

فنظر الضابط الي رفيقيه وقال ذن هلم بنا نا كل هذا الموجود

ثم جلس على المائدة وحانت منه التفاتة فرأى موبينا ورافقه جمالها فقال لها من انت ايتها الفتاة الملك هارة من الجمال

فارخت موبينا عينيها دون ان تجب وخاطب ابوها حاجبه

ثم نظر هذا الضابط الوحشي الى موبيتو وقال وانت من ايها الشيطان الرجيم

فلم يجبه موبيتو ايضا

فسأل عند ذلك صاحب الفندق قائلا من هذه الفتاة الملهبا نتملك

فقال له نعوذ كلا بل هي بنتي يا حضرة الضابط وقد نظر اليه نظرة هائلة خاف منها ذلك الضابط

فانقطع عن السؤال عن الفتاة وعاد الى محادثة صاحب الفندق فقال له اذن انت لا تريد ان تقدم لنا ما نحتاج اليه من طعام وشراب

قال اني لا استطيع ان اقدم اكثر ما عندي

قال سوف نرى ثم اشار الى الجنديين اشارة وهما فقام هؤلاء الاصوص الثلاثة وجعلوا يفتشون الخزائن والقبو وجميع غرف الفندق فوجدوا الخزائن فارغة والبراميل في القبو ملقية والارفف منهوبة فقال الضابط لقد قال الحق هذا الالماني فان اخواننا لم يبقوا لهشيئا

ع ... وفيه لي ... ق ... ش ... وجد مع ... ذلك ريال الذي كان اعطاه اياه مونيتو ليشتري خبزا فاخذه

ولما فرغ من تفتيشهما حاول ان يفتش مونيتو فاخذ مونيتو كيسه من جيبه وكان فيه ريالان فالقاه على الارض عند قدميه وقال له هذا كل ما املكه انا وابنتي

فالتقط الضابط الكيس وقد سر به سرورا لا يوصف فقال لقد غنمنا ثلاثة ريالات تعادل احد عشر فرنكا نقودا فرنساوية وهي تكفينا للعشاء

ثم دفع منها ريالا الى صاحب الفندق وقال له اذهب في الحال واشتر لنا ما نأكله ونشربه واحذر ان تتاخر

فخرج الرجل ممتثلا وهو يمسح الدموع المتساقطة من عينيه

اما مونيتو فقد لزم الصمت ولكنه كان ينظر من حين الى حين الفتاة وعلائم الرعب بادية بين عينيه

وبعد ان ذهب صاحب الفندق عاد الضابط الى محادثة مونيتو فقال له من انت ايها الرجل

قال انا اسمي مونيتو

قال انت من الالمانيين

قال نعم ولا

قال كيف ذلك

قال ذلك اني بوهيمي

قال وهذه الفتاة الحسناء

قال انها ابنتي

فضحك هذا الضابط ضحك الساخر وقال اتزوجني اياها

فاجابه مونتنو وقد تكلف لهجة السكينة نعم ولكني فقير ان لا نرتزق الا بشق النفس فلماذا تهزأ بي

قال اني لا اهزأ ولكن ابنتك جميلة

فاصفر وجه مونتو من الغضب ولكن الحكمة تلبت عليه فمنعته عن الانفجار

فقال له الضابط ايسؤك ايها الشيخ ان تكون ابنتك حسناء وان اهواها

قال ان ابنتي فتاة شريفة طاهرة

قال اذن اتزوجها على طريقة اهل النور لا على طريقتكم فاكسر امامها ابريقا اليست هذه طريقتكم في لزواج معشر النور

قال كلا ياسيدي

قال كيف ذلك الم تقل لي انك من النور

قال نعم ولكن ابنتي تتزوج زواجا مدنياً دينياً يسجله الحاكم ويباركه الكاهن

قال ولكني احتقر الكهنة واكره الحكام

فنظر مونتو عند ذلك الى السكين التي كانت على المائدة وهي تشبه الخنجر بنصلها ولو تعرض هذا الضابط لابنته بسوء او حاول الدنو منها

لاغمد السكين في قلبه دون شك

غير ان الضابط لم يفعل شيئا من ذلك لان صاحب الفندق كان قد اعاد بالطعام والشراب وبسطهما على المائدة

وكان الجوع قد تمكن من هؤلاء الجنود فجلسوا حول المائد ياكلون بملء الشراهة فكان الضابط ياكل وينظر من حين الى حين نظرات غرام الى الفتاة

اما ذلك الوالد المنكود فكان يقول في نفسه ويلاه اني واثق من ستطاعتي قتل واحد ولكني لا استطيع قتل الجميع فكيف انقذ ابنتي

وعند ذلك تبودلت نظرة بينه وبين صاحب الفندق فان الشقاء يجمع بين التعساء ويولف بينهم بعاطفة الاخاء فكانت نظرة مونيتو الى صاحب الفندق تفيد معنى الالتجاء كانه يقول له توسل اليك ان تحمي بنتي فاجابه صاحب الفندق بنظرة مفادها سا ذل مجهدي

ثم نظر الى الباب وغمزه بعينه كانه يقول له لا يجب ان تبيت الليلة هنا

وكان مونيتو وابنته قد فهما سر نظرات صاحب الفندق فلما فرغ من العشاء قال لابنته هلمي بنا يا ابنتي فان لدينا مسافة شاسعة ايضا وقد اكلنا واسترحنا فلنواصل السير

فاجابته موبينا انى متأهبة للرحيل يا ابى

غير ان الضابط وقف معترضاً وقال ماذا تفعلان

فقال له مونيتو متلطفا لسالك المعذرة ياحضرة الضابط فاننا مضطران الى الاسراع

قال الى اين تذهبن

قال الى كوبلنتز

قال انكما لا تستطيعان الدخول اليها فان ابوابها مقفلة في الليل

قال ولكنهم يفتحونها عند الفجر فنبيت في الخنادق

قال ولكنكما لا تذهبان

قال لماذا ياسيدي

قال لان الطريق وعرة المسالك واللصوص منتشرون فيها فلا احب ان تصب مثل هذه الفتاة الجميلة مكروه

قال انك كريم الاخلاق طيب القلب ياسيدي ثم نظر الى السكين

فقال الضابط اننا نسافر عند الفجر الى كوبلنتز وتسافران معنا

فقال له مونيتو ولكننا يا سيدي مضطران الى الاسراع

فاتقدت عينا الضابط ببارق من الغضب وقال له لقد قلت لك لكما تسافران في الصباح وكمالك اعتراضاً فاني اريد ان تبقى

ثم ذهب الى الباب فاقفله وعاد فقال اني غمد سيفي في صدر كل من يحاول الخروج من هذا الفندق

فنظر صاحب الفندق عند ذلك الى مونيتو نظرة معادها . تظاهر بالامتثال وانا امهد لكما سبيل الفرار

فقال مونيتو للضابط عند ذلك انا . نبقى يا سيدي ما زلت تريد ان نبقى ولكني ارجوك ان تأذن لنا بالدخول الى غرفتنا للرقاد

قال دون شك

فقال صاحب الفندق لمونيتو ابعني لاذهب بك الى غرفة تحتوي على سريرين

ثم انار شمعة وفتح بابا مؤديا الى سلم وصعد تتبعه مونيتو وابنه ولم يبق في القاعة غير الثلاثة وابن صاحب الفندق فانه كان منزويا في غرفة ينظر الى الجنود وهو يكاد يجن من رعبه

ولما خلا بهم لمكان قام الضابط فقال لرفيقه انتظراني هنيهة فاعود وخرج من المنزل فقال خمس دقائق ثم عاد فقال ليس لهذا الفندق غير باب واحد فهما لا يستطيعان التخلص منا الا اذا القيا نفسيهما من النافذة

فقال له احد الجنديين عمن تتكلم

قال عن النوري وابنته

— اراقت في عينك هذه الفتاة

— دون شك فانها بارعة في الجمال

— وانا ايضا فقد راقتها بعينيك

وقال الجندي الاخر وانا ايضا

فاسطر [illegible] ب
ضابطكما وانه يجب عليكما طاعتي

فقال له احدهما كيف شئت فانا نطيعك في ساحة القتال لا في ساحة الغرام

قال سوف [illegible] الوقيح ثم جرد حسامه من غمده

فنهته الجندي الاخر ضاحكا وقال ما هذا الذي تصنعه الهنا من غير عقل

قال لماذا

قال ان هذه الفتاة قد رقت لنا جميعنا فلنقترع عليها فمن اصابته القرعة كانت الفتاة من نصيبه

فاجابه رفيقه الجندي لقد اصبت فلنقترع

غير ان الضابط لم يقبل الاقتراع وقال كلا اني اريدها لنفسي

قال اذن نلعب عليها

قال بماذا

قال باي لعبة تيسر لنا ايجادها

فايقن الضابط ان الجنديين مصممان وان عزيمتهما ثابتة فقال في نفسه ان ضعيفين يغلبان قويا ثم قال لهما لا باس فنلعب بالورق واين نجده

قال لا بد من وجود ورق في هذا الفندق

وعند ذلك عاد صاحب الفندق فقال له الضابط الديك ورق

لعب

قال نعم

قال هاته

فذهب صاحب الفندق ممتلا وقد اتقدت عيناه بارق من الامل

٩

كان صاحب الفندق قد صعد بالنورى وجته الى الدور الاعلى وكانت امونيتا تصعد السلم متكئة على ذراع ابيها هي تضطرب اضطراب الفنجة الطائر

اما مونيتو فانه حين قام عن المائدة سرق السكين دون ان ينتبه اليه احد ووضعها في جيبه

فلما فتح صاحب الفندق لهما باب الغرفة وضع اصبعه على فمه اشارة الى السكوت ثم دنا من مونيتو وهمس في اذنه قائلا انك اذا اقمت الليلة هنا تدنس شرف بنتك

فاجابه مونيتو بسكينة ارعبته انى واثق مما تقول ولكن اقتلها قبل ان يصلوا اليها فلا ينالونها غير جثة لا روح فيها

قال ولكن يجب ان تهربا

قال كيف السبيل الى الفرار

قال ان فندقي ليس له غير باب واحد وهم يحرسونه دون شك فلا سبيل الى الخروج منه ولكن انظر الى هذه النافذة انها تطل على ستة اقدام عن

الارض فمتى ركلها تمدد راغطيه السريرين في الهواء وانزلق منها الى الارض

فشكره مونتو بالنظر وخرج صاحب الفندق وهو يدعو لهما بالتوفيق

وعند ذلك سأله الضابط ان يعطيه ورقا للعب فذهب صاحب الفندق كي يحضر له ما طلب وقد شاق وجهه اشعة الرجاء ذلك انه قال في نفسه انهم سيشتغلون في اللعب وفي خلال ذلك يكون الرجل قد فر بابنته

وقد اسرع واحضر لهم ورقا قديماً متسخا فاخذه الضابط وخلطه ثم قال لرفيقيه ماذا تريدان تلعب

فقال احد الجنديين نلعب الاكارته على سبعة بنوط فمن كان الرابح الاول كانت له الصبية

وكان الضابط واثقاً من حسن يمنه ولكنه اخطأ بهذه الثقة فقد كان الرابح هو الجنديين فصاح صيحة فوز ورمى الورق قائلا ان الصبية لي

فقال له الضابط كلا اذ يجب ان نلعب مرة ثانية حسب الاصول

قال كيف اننا لم نشترط ان نلعب مرتين

قال سوف ترى اذا كنا اشترطنا ثم جرد حسامه وهجم به على الجندي

غير ان الجندي لم يكترث به فانه جرد حسامه ايضاً وقال له انك لا تخيفني

اما الجندي الاخر فلم يتداخل في الامر بل قال في نفسه ان الظفر بهما معاً صعب ولا سيما بعد ان يكون تعب من العراك ولا بد لواحد منهما ان يظفر بالاخر وذلك حينئذ بالظفر

واما صاحب الفندق وابنه فقد انزويا في زاوية القاعة ينظران على هذا المنظر الكريه وقد ملئ قلباهما ذعراً

وكان العراك شديداً بين الاثنين والجندي يدافع عن نفسه دفاع الاسود حتى انه جرح الضابط بكفه وذراعه غير ان سيف الضابط كان طويلا فحمل عليه حملة منكرة وطعنه طعنة نجلاء فاخترق الحسام صدره

وعند ذلك صاح الجندي صيحة الم وسقط على الارض والدم يتدفق منه فضحك الضابط ضحكا عالياً وقال انه سيئ الحظ

ثم انه نظر اليه كي يرى ما صار اليه فوجد الروح تخشرج في صدره فقال انه مات والعصبية لي

وهم حاملا ان يعود الى العراك ولكن الجندي الاخر طمع به اذ راه ربحا مصدي به ان كلا منهما لم تقنعها بعد دنيا لا ازال في فيد الحياة

فنظر اليه الضابط نظرا شزرا وقال له اتريد انت ايضا ان تموت

فجرد الجندي حسامه وقال له سوف نرى

قال ان مت فغير ماسوف عليه فانت ادت الموت

ثم هجم عليه فقال صاحب الفندق في نفسه ان الفتاه واباها قد هربا

دون شك وزال كل خطر

اما الضابط والجندي فلم يطل العراك بينهما فان الجندي شعر ان الضابط قد استطال عليه وانه ليس من رجاله فرجع خطوة الى الوراء وقال له تمهل قليلا

وكانت عينا الضابط تتقدان بنار الغضب فقال له ماذا تريد

فاحتمى الجندي وراء المائدة وقال له ارى من الخير ان نقتتل على مرأة في حين ان الاتفاق ممكن ميسور

قال لا احب لدي من لاتفاق بشرط ان تكون الصبية لي

قال ستكون لك

قال ارجعت عنها

قال كل الرجوع

قال لقد احسنت اذ غنمت حياتك ثم اغمد حسامه ومسح دمه بمنديل وهو يقول انهالي

وعند ذلك اندفع الى السلم فكاد ابن صاحب الفندق يجن من الرعب

اما صاحب الفندق فقد كان واثقا ان النوري تمكن من الفرار فلم ينتقل من مكانه وجعل ينظر نظرات حزن واشفاق الى جثة الجندي الغارقة بالدماء

اما الضابط فانه صعد السلم وهو يسير سير الظافر المنصور حتى وصل

الى الغرفة فوجد بابها فلم يجبه احد

ثم عاود قرع فلم يفتح له فرفس الباب برجله فانكسر

وعند ذلك جمد الدم في عروق صاحب الفندق اذ سمع صياح امرأة وعلم ان ضيفيه لم يهربا

وكان مونيتو وابنته لا يزالان مقيمة في الغرفة وذلك ليس لانهما جذعا من الفرار ولكنهما لم يجدا سبيلا اليه فقد حالت حادثة غير منتظرة دون مرامهما فاخرتهما عن النزول من النافذة الى ان جاء الضابط

وبيان ذلك انه بعد ان خرج صاحب الفندق الغرفة من واوحى الى مونيتو فكر الفرار دنا مونيتو من النافذة ليفتحها واخذت ابنته بحذل الشراشف كي يتعلق بها

فلما فتح النافذة راى جنديين فرنساويين اقبلا وجلسا فوق حجر تحت النافذة

وكان الظلام قد اقبل غير ان نور القمر كان ساطعا وهاجا فراهما مونيتو وايقن انه بات بين خطرين لان هذين الجنديين اذا رأياه يخرج من نافذة الفندق مع ابنته قبضا عليهما دون شك

فراى مونيتو ان يصبر قليلا اذ قال في نفسه ان الجنديين لا يلبثان ان يذهبا فان البرد شديد

غير انه ساء فالا فان الجنديين اشعلا سيكاريهما وجعلا يتحدثان غير مكترثين لهذا البرد كانهما كانا جالسين قرب مستوقد

فاغلق مونيتو باب الغرفة ووقف ينتظر والخنجر في يده متاهبا لكل

طارق

فقالت له ابنته اني لا اريد يا ابي ان تقع في قبضة هؤلاء الاشرار وانا في قيد الحياة

فاجابها بلهجة القانطين طبي نفسا فساقتلك قبل ان يصلوا اليك

ثم جعل يسير بين الباب والنافذة خطوات غير موزونة وهو يهز الخنجر في يده

وكانت اصوات ضحك الجنود تصل اليه ثم سمع صياحا ثم سمع شتما فبرق وجهه باشعة الرجاء وقال لابنته بصوت منخفض انهم سيتخاصمون

ثم اخذ الجندي والضابط بالعراك فسمع مونيتو كل ما جرى حتى انه سمع صوت سقوط الجندي فقال لابنته بصوت منخفض انه اذا لم يبق منهم غير واحد كنت كفؤا له

وبعد حين صعد الضابط متوهما مونيتو انه قتل الجندي الاخر فكمن له وراء الباب

فلما كسر الضابط باب الغرفة كما تقدم ودخل اليها صاحت مونيتا صيحة ذعر

غير ان مونيتو انقض على هذا الضابط انقضاض الصاعقة قبل ان يتمكن من تجريد حسامه

وكان الضابط قويا شديدا غير ان مونيتو كان شديدا ايضا وفوق ذلك فقد باغته مباغتة وخنجره بيده فحمل عليه حملة هائلة واغمد الخنجر في

صدره فسقط على الارض صريعاً لا يحي

وعند ذلك اسرع الى بنته وقد سقطت على الارض لرعبها فحملها واسرع بها الى السلم

ولكنه لم يكد يبلغ اخر السلم حتى تصدى له الجندي الباقي مشهرا حسامه وقال له انك لا تمر

فزمجر مونيتو زمجرة الاسود ثم وضع بنته على السلم وهجم على الجندي بخنجره

غير ان الجندي مد سيفه حتى كاد يبلغ الى صدر مونيتو فتوقف هذا الاب المنكود عن الهجوم

وقد كان يخر صريعا بحسام الجندي لو لم ترد اليه مساعدة لم يكن يتوقعها

وذلك ان صاحب الفندق واخذ كانوا ملوحه النار ورمى به وجه ذلك الجندي فصاح الجندي صيحات الم منكرة وسقط الحسام من يده فانقض مونيتو عند ذلك عليه وطعنه بخنجره في بطنه فسقط صريعا

ثم عاد الى ابنته وقد اغمي عليها فحملها على كتفيه وخرج بها هاربا من ذلك الفندق وقد انقذته تلك العناية الالهية التي تساعد كل من يبدأ بمساعدة نفسه

١٠

كان البرد شديدا قارصا تجمدت به المياه وتراكمت الثلوج في الطرقات

غير ان القمر كان في شد توهجه تمالا وكان منبر كس
بابنته محمولة على كتفه وهي تغمى عليها حتى يمر بها الشمس وتدخل
الى الحقول

فوقف هنيهة يستريح وجعل يصلي ويتمتم دعاء البغي مدينة كوبلتز
وهناك تامن بنتي كل خطر

ثم يواصل السير ويسرع خائفا ان يدركه الصباح حين كانه
يخشى مطاردة الجنود

وكانت السكينة سائدة في تلك الحقول والقمر
وهواء الليل بابنته فاستنشقت منه غبار

وقد شعر موينو انها تحركت فوق كتفه ثم رأت شعرها الاسود
وانزل ابنته من كتفه

وعند ذلك فتحت موينا عينيها وقالت ان نا
فعانقها ابوها وقال لها لا تخشي يا ابنتي شيئا بعد الآن

ثم وضعها بلطف على الارض فنظرت الى ما حولها ثم قالت
اين نحن

قال انا في مامن من الاخطار ولا تخشى
قالت والجنود
قال قتلت اثنين
قالت والاخرون
قال لم يطاردونا واذا كانوا قد فعلوا فقد ذهب اثرنا عنهم

اننا وحدنا

فنهضت مرتينا وشكرت الله ثم قالت لم تعد محتاجا الى حملي يا ابي فاني قادرة على المشي

قال وفوق ذلك فاني اعد بك منذ ساعة وقد قربنا من كولنز

وسار الاثنان بين الحقول فكان مونيتو يجتنب الطريق العام احتياطاً للناس فراى بعد ساعة على نور القمر مدينة شامخة فوق قمة عالية ونهر الرين يجري من تحتها

فقال لابنته هوذا المدينة وسنبلغها بعد نصف ساعة فتشددي

قالت ولكن الم تقل لي يا ابي اننا لا نستطيع الدخول اليها في الليل

قال هذا لا ريب فيه يا ابنتي لكن يوجد في ضواحيها محلات نبيت فيها

قال وان نبت في المدينة اذا لم يكن لديك نقود

فابتسم مونيتو وقال اننا نجد في كولنز كل ما نحتاج اليه

قالت انك اصدقاء في تلك المدينة

قال لي صديق يهودي يدعى موئيل جوب

قالت وهذا اليهودي ايسلفك ما تحتاج اليه

قال بل استطيع اخذ كل ما لديه اذا شئت

فنهدت موينا تنهد الرضى وواصلت السير دون بناء بعد هذا الامل

وبينما هما يسيران سمعا صوتا من ورائهما فاصغى مونيتو الى الصوت فلم يتنبه ولكنه كان زيد دنوا فانطرح على الارض بوضع اذنه فوق التراب واصغى فاتضح له الصوت وعلم انه وقع حوافر جياد كثيرة تعدو فنهض منذعرا وقال في نفسه العلهم الجنود وهم يطاردونني بعد ان علموا بامري

وعند ذلك نظر الى ماحواليه فراى حفرة فنزل اليها مع بنته وقال احذوي ان تتحركي

وبعد هنيهة اقترب الفرسان فرفع مونيتو راسه فراى على نور القمران القادمين جنود فرنساوية فعاد الى الاختباء بعد ان جرد خنجره وعزم على قتل بنته انقاذا لها من العار اذا راها الجنود وحاولوا الاعتداء عليها

غير انهم مروا بالحفرة دون ان يتوقفوا

فلما ابتعدوا خرج مونيتو وابنته من الحفرة وقال لها هلمي بنا نواصل السير

فقالت له ابنته اني خفت خوفا شديدا يا ابي

قال ولكنهم لم يرونا لحسن الحظ

قالت لو كنت تعلم يا ابي كم كان يخفق قلبي حين مروهم

قال انهم قد يرجعون الينا فليس كل الجنود الفرنسويين مثل هؤلاء الاشرار

قالت اتظن ذلك يا ابي

قال دون شك فان اولئك الذين تعرضوا لنا كانوا من رعاع القوم

الذين يتقدمون الجيش فيضلون في سلك الجندية طمعا بالسلب

قال ربما كنت مصيبا يا بني ولكني اراه خيرا لنا ان نبيت في هذه الحفرة الى الصباح

قال ان البرد شديد لا طاقة لنا باحتماله

قال ليس لنا تحمل الخطر

قال ربما اذا غفونا فسرقنا البرد وماذا علينا اذا واصلنا السير

قالت انني خائفة

قال من ماذا تخافين

قالت اخاف ان يكون هؤلاء الفرسان مارين لمطاردتنا

قال ان هذا محال

قالت بل اخاف ان يقبضوا علينا حين وصولنا الى المدينة

قال لا تخافي كيف ما كان لا تخافي فاننا لا نذهب الى ابواب المدينة

قالت لكن الى اين نذهب

قال ان الرسول سينزل منزلا نصل اليه

قالت اتحقق ما تقول يا ابي

قال دون شك

ثم ما انتهى حتى وصلا الى معسكر الترك الجفل ، ونيتو اذ لم يجد منازل في هذا المعسكر كما كان في غيره لم يفارقه الخنادق والحصون وباب المدينة

فقالت له موينا ارايت يا ابي انه يوجد منازل كما توهمت فلنبت في هذا الخندق

قال كلا بل نتقدم الى الامام

وفيما هما يتحادثان رايا حارساً قد خرج من الحصن وقال من القادم

فقال لها ابوها لقد رانا الحارس ولم يبق سبيل للرجوع فتقدمي

فاعاد الحارس السؤال باللغة الالمانية قائلا من القادم

فدنا منه مونيتو وقال ايي رجل فقير قادم مع بنتي الى المدينة وقد اضنكنا البرد والجوع

قال تقدما فقد يؤذن لكما حارس الباب بالدخول اذا لم يربه امركما

فقالت له موينا لنهرب يا ابي

قال لم يبق سبيل للفرار وخير لنا ان نبلغ الباب

ثم تقدم فتبعته ابنته حتى وصلا باب المدينة فوجدا الباب مفتوحا وفي كل جهة منه حارسان

فسأل احد الحراس مونيتو قائلا له من انتما

قال المانيان

قال العلك من الجنود

قال كلا بل اني فقير نوري ارزق مع بنتي بالالعاب السيماوية

قال اتريدان الدخول الى المدينة

قال نعم فان البرد شديد ونحب ان نبيت في احد فنادقها

وقد سمع هذا الحديث احد الضباط وجنديان فدنوا من الحراس وقال لهم الضابط بلهجة المؤنب ماذ حدث

فاجابه احدهم لا شيء سوى ان هذا النوري وابنته يريدان الدخول الى المدينة

فقال لهما الضابط بلهجة رفق ادخلا معي لنرى في امركما

فتشجع مونيتو ودخل الى المخفر فقال له الضابط الديك اوراق نظامية

قال نعم ثم اخرج من جيبه حوالا واعطاه اياه

فنظر الضابط في الكتابة فلم يفهمها فقال له هذه اللغة

قال اللغة الهنغارية

فالتفت الضابط الى من حوله وقال من منكم يعرف اللغة الهنغارية

فلم يجبه احد اذ لم يكن بينهم من يعرفها

وفيما كان الضابط ينظر الى مونيتو ارتعش فجاءة اذ رأى اثار الدم على ثيابه وثياب موبينا فقال له ما هذا الدم الذي على ثوبك

فاصفر وجه مونيتو وقال له انه دم شقيين كانا يحاولان تلطيخ شرف بنتي

وعند ذلك تقدم احد الجنود وقال ان هذا الرجل لا شك قتل الضابط داشين وانت تعلم ان الجنود الذين وصلوا منذ ساعة اخبرونا بكل

ما جرى

فصاحت مونيتو صيحة رعب

وامر الضابط ان يفتشوا مونيتو ففتشوه فوجدوا معه ذلك الخنجر وهو مصبوغ بالدماء

وعند ذلك عاد الجندي الى قوله انه القاتل دون شك

فكبر ذلك على مونيتو وقال لهم بملء الشهامة نعم انا هو القاتل ولو كنتم في مكاني لما فعلتم غير ما فعلت

فقال له ان ذلك ممكن ولكني اخشى عليك ايها المنكود ان تعدم غدا رميا بالرصاص

فعانقت مونيتا اباها بطوقته بذراعيها كانها تريد ان تكون سدا بينه وبين الجنود

١١

ان هذا الضابط الذي كان يتولى حراسة باب المدينة كان شابا يناهز الخامسة والعشرين من العمر

وكانت هيئته تدل في حين واحد على الشدة والسلامة فعلم للفور بعد ما راه من جمال الصبية الحقيقة بجمعتها

وكان يعرف طباع الضابط داشين حق المعرفة فلم يخالج قلبه اقل ريب بصدق ما قاله مونيتو وايقن ان ذلك الضابط الفاسد الاخلاق اراد اغتصاب الفتاة فلم يجد والدها المنكود بدا من قتله صيانة لشرفها

غير ان قائد الجيش العام كان لسوء الحظ شديد الصرامة القى الرعب

افي كل مكان مر به فهو لا ينظر دون شك الى هذه القضية من وجهة لادبية بل يعتبر ان هذا النوري الالماني قتل ضابطا فرنسا ويا فلا بد ان يجازى بالاعدام

وقد عرف الضابط هذه المعرفة ونظر الى الفتاة والى الجنود الذين كانوا ينظرون اليها مبهوتين بجمالها فشفق عليها وخشي ان تبيت في المخفر بين اولئك الجنود فالتفت الى مونيتو وقال له بلهجة المشفق ان شانك خطير ايها الرجل وان كنت معذورا فيما فعلت فان الاحكام العرفية في هذه الايام لا تعذرك غير انهم لا يدمونك قبل مساء امس

فاشرق وجه مونيتو بنور الرجاء لهذا القول

ومضى الضابط في حديثه وقال انك ستقتل دون شك ولكنك تجد متسعا من الوقت لوضع ابنتك في محل امين قبل ان تموت فهل انت من اهل هذه المدينة

قال كلا

قال اانت قادم اليها لاول مرة

قال نعم

قال اذن لا تعرف احدا فيها

قال بل لي صديق بين اهلها

قال ماذا يدعى

قال انه يهودي يدعى صموئيل بوب

قال اتعلم اين يقيم

فتش مونيتو بين اوراقه على العنوان الذي يبحث عنها فقرأ ما فيها وقال انه يقيم في شارع لابيج ستريت نمرة ١٢٥

فاعترض احد الجنود الضابط قائلا كيف ذلك الا تقتلون في الحال رجلا غريبا يقتل احد ضباطنا

فقال له الضابط ان الاعدام لا يكون الا بعد المحاكمة في مجلس عسكري

فتململ الجنود اذ لم يرق لهم ذلك الامهال

فضرب الضابط الارض برجله مغضبا وقال تجسرون على الاعتراض الست انا المسؤول دونكم عن هذه الشؤون

فسكت الجنود وجعل كل ينظر الى رفيقه

اما الضابط فانه عاد الى مونيتو فقال له اني سابعث معك من يوصلك ويوصل ابنتك الى منزل صموئيل جوب فتودعه بنتك وتوصيه فيها بما تريد ثم يرجعون بك الى السجن حيث تقيم فيه الى الغد

فبكى مونيتو بكاء السرور واخذ يد هذا الضابط فقبلها شاكرا

اما الجنود فانهم عادوا الى التململ والنظر الى بعضهم نظرات القهر لاعتقادهم ان ضابطهم قد اخل بواجباته بحماية الفتاة ما خلا واحدا منهم فانه كان راضيا اتم الرضى عن شهامة الضابط وقد ظهرت علائم رضاه بين عينيه فراى الضابط تلك العلائم فناداه وقال له خذ رجلين وسر بهذا النوري وابنته الى منزل اليهودي

قال اذن تعرف منزله

قال نعم

قال اذن خذ هذين الجنديين اشاليين ان يسيرا معه ويمتثلا له وقال له دع هذا النوري يكلم اليهودي اذا اراد ان يوصيه بابنته وارجع به الي السجن

ثم اشار الى موينيتو والتفت ان يتبعاه فامشى وجعلت موينا تبكي فقال لها ابوها بلغة بوهيمية لا تحزني يا ابنتي فانهم لم يعدموني بعد وصموئيل سينقذني

فنظرت اليه من خلال دموعها وقالت له كيف ترجو ان ينقذك مثل هذا اليهودي المسكين

قال سوف ترين

ثم سار معها بقدم ثابتة فكانت موينا تنظر الى ابيها فيقر بالها بسكينته وكانت الساعة الخامسة صباحا وجمع المنازل والدكاكين لا تزال مقفلة وقد خلت الشوارع من الناس فلا يرى فيها غير الحراس يسيرون ذهابا وايابا من حين الى حين

ما زالوا يسيرون حتى وصلوا الى منزل صموئيل وهو منزل منخفض لا يوجد تحته غير مخزن كتب على جدرانه بحروف كبيرة «صموئيل حوب يشتري كل ما يعرض عليه ويسلف برهونات»

فطرق الجندي الباب بخشب بندقيته فلم يجبه احد فوالى الطرق ففتحت نافذة وبرز منها رأس رجل فقال من الطارق

فقال الجندي أأنت هو صموئيل جوب

قال نعم ماذا تريدون

قال انا قادمون اليك باحد اصحابك

فاجابهم بجفاء ليس لي اصدقاء

فكلمه عند ذلك مونيتو بلغة غريبة لم يفهمها الجنود فاندهش صموئيل انذهالا مقرونا بالفرح وقال لهم اصبروا فساتح لكم

ثم نزل فسمع الجنود صوت الاقفال التي كان يفتحها صموئيل تباعا

وقد كان صموئيل هذا قويا شديدا يناهز الخامسة والاربعين من عمره براق العينين يبدو عليه من السكينة ما يخفي ظواهر قوته

وكان يحترف تأليف النفوس وقد اكرم الجنود الفرنسويين على احترامه وذلك انه حين احتل الفرنساويون هذه المدينة جاءه جنديان وحاولا ان يسيئا اليه طمعاً بماله

ولكنه لم يزعجهما بل اوقع الرهبة في قلبيهما فانه اخذ كلا منهما بيد والقاهما خارج منزله بقوة عجيبة دهش لها الجنود واحترموه بعدها اذ لا شيء يحترم مثل القوة

ومنذ ذلك اليوم شاع امر قوته وباسه بين الجنود فلم يعد احد يجسر على التعرض له بسوء

فلما سمع صموئيل كلمات مونيتو نزل مطمئنا جذلا وفتح الباب ولكنه لما رأى الجنود محدقين بمونيتو وابنته تراجع منذعرا الى الوراء ثم التفت فراى الجندي الذي رهن عنده ساعته وقال له

اهذا انت

ثم نظر الى مونيتو نظرة دات على ان هذين الرجلين لم ير احدهما الاخر قبل هذه المدة

اما مونيتو فانه اسرع وقال له بتلك اللغة الغريبة لا بد ان يكونوا انبأوك بقدومي

قال اني كنت انتظرك كل يوم

قال هوذا قد اتيت

قال ولكن ما شأن هؤلاء الجنود معك

قال انى اسيرهم

قال متى وقعت في قبضتهم

قال منذ ساعة

فابتسم صموئيل وقال ان هؤلاء الفرنساويين لا يثقون باحد وقد اشتبهوا باوراقك فجاءوا بك الي كى اضمنك اليس كذلك

فهز مونيتو راسه وقال حبذا لو كان الامر كما تقول ولكنهم جاءوا بى اليك كي ائتمنك على بنتى

فنظر صموئيل الى مونيتا فراها تضطرب اضطرابا ظاهرا فقال لابيها ولكن ماذا حدث

قال انا كنا في اول الليل في فندق في قرية فدخل اليها الجنود وارادوا اغتصاب ابنتى

فاضطرب صموئيل وقال وبعد ذلك

قال فتاك اثنين منهما

فذعر صموئيل ذعرا شديدا وقال يا اله اسرائيل ما هذه النكبة ثم قال لمونيتو ولكنك اذا كنت ارتكبت هذه الجناية فانت مقتول لامحالة

قال ربما

قال بل ذلك اكيد ولو كان لذلك اضعاف ثروتك فان المال لاينجيك

وكان صموئيل يكلم مونيتو بلغة لو فهمها الجنود لكان ذهولهم شديدا اذ لا يخطر لهم في بال ان هذا الرجل النوري الفقير الذي يطوف البلاد في ظلمات الليل مع بنته مشيا على الاقدام من اعظم اغنياء الارض

١٣

كان هذا الجندي الذي انتدبه الضابط لايصال مونيتو الى منزل صموئيل من اهل السلامة والمروءة ولكنه كان قليل الصبر فلما راى ان الحديث قد طال بينهما قال لهما لم تفرغا بعد من الحديث بهذه اللغة الغريبة

فقال له صموئيل اسالك المعذرة فقد غلب علي النطق بلغتي الاصلية حينما رايت هذا الصديق ولكننا لم نفه بشيء نخاف ان تسمعوه

قال حسنا ولكنك تعلم لماذا اتيتا

قال كلا لم اعلم بعد

قال اننا جئنا بهذه الفتاة كي تقيمها عندك اذا احببت

قال وكيف لا اريد

قال وسنعود بايبها

قال الى اين

قال الى السجن

قال معاذ الله ان اعترضكم في واجباتكم ولكن انظر الى هذين المنكودين فقد اضنكهما التعب والجوع

فقال مونيتو هو ذاك فاننا لم نأكل ولم نستريح منذ امس

فقال صموئيل للجندي تأذن ان ادخل بهما الى منزلي فاطعمهما

قال لا باس بشرط ان لا يطول زمن الانتظار

قال انك تضيع هذا الزمن بشرب كاس من الخمر فانه يفيد في هذا البرد القارص

فرضي الجندي ودخل مع رفيقيه مونيتو وموينا

فاقفل اليهودي الباب الخارجي من ورائهم ودخل بهم الى قاعة كبيرة احتوت على جميع اصناف البضائع وهي مخزونة

وكان يوجد ستارة في وسط القاعة فازاحها صموئيل وتقدم الجماعة الى قاعة اخرى احتوت على ثلاث منازل

وكان فيها خزانة ففتحها صموئيل فاخرج منها زجاجة خمر واقداح للجنود ثم دخل بمونيتو وابنته الى غرفة اخرى فقال لمونيتو ان المقام ضيق فاخبرني بالعجل ماذا يجب ان اصنعه لانقاذك

فاجابه مونيتو بلغة النور قائلا يوجد جنرال فرنساوي في كوبلنتز وهو يتولى انقاذي

ل اتعرفه

قال كلا ، لكني احمل رسالة اليه

فنظر صموئيل الى مونيتو نظرة انذهال فقال له مونيتو اري انك غير واثق بي

قال لماذا

قل لانك لا تعرف مني غير اسمي فان علائقنا وان تكن متصلة منذ عشرة اعوام غير انك لم ترني ولم ارك قبل الان

قال ان مثل هذا يتفق كثيرا بين تجار يتعاملون ولا يقيمون في بلد واحد

قال وانك ستقول في نفسك ان هذا الرجل الفقير اراد ان ينقذ نفسه فتسمى باسم ملك النور في النمسا وحارس خزائن اخوانه

قال الحق اني مسيء لك الظن اذ لا يخطر لي في بال ان مونيتو اغنى رجل في اوروبا يطوف طواف المتشردين من مكان الى مكان مشيا على الاقدام ويعرض نفسه وبنته لهذه الاخطار

قال السبب في ذلك ان اللصوص يهبونا على الطريق ولم يبقوا لنا غير ثلاثة ريالات فاضطررنا من فرنكمورت ان نسير على الاقدام غير ان هؤلاء اللصوص لم يخطر لهم ان يبحثوا في شعر راسي

قال ولو فعلوا فماذا كانوا وجدوا

قال كانوا وجدوا هذا ثم اخرج من شعر الجث حجرا براقا من الماس يبلغ حجم بيضة الحمام ودفعه الى صموئيل

فدهل صموئيل حين راه وقال رحمك المعذرة فانت هو موبيتو بعينه لان مثل هذا اللباس الثمين لا يوجد الا عندك

قال اني لقيت اشد العناء في الطريق وخشيت بيع هذا الحجر حذرا من اللصوص على ثقتي انك تعطيني كل ما احتاج اليه من المال

قال ان كل ثروتي بين يديك اذا اردت اخذها بجملتها فعلت فالنظر الان في ما هو اهم من هذا

فابتسم مونيتو وقال اتظن انهم يعدمونني غدا

قال ان السلطة بيد الفرنساويين الان

قال اني عالم بهذا

قال وانا واثق بانك لو بذلت كل ثروتك لما انقذتني من ايديهم

فلم يضطرب مونيتو ولكنه فتح سترته وجعل يقطع بسكين خيوط بطانتها فلما انتهى مد يده واخرج رسالة مكتوب عنوانها بالالمانية ودفعها الى صموئيل فقال له لا يجب ان تضيع لحظة وان تسرع بهذه الرسالة الى الجنرال بيشارجي اليس الجنرال في كاوتنيز

قال انه كان فيها امس

قال اذن فاعلم انه متى وصلت اليه هذه الرسالة انقذني اما ابنتي

فناطمه صموئيل قائلا انها تكون في منزلي امنة من كل شر

فابتسم مونيتو ونظر الى ابنته نظرة حنو ثم قال لها امسحي دموعك يا موبينا فان اباك لا يزال في قيد الحياة وهو لا يموت من ايدي الساويين باذن الله

فزاد انذهال صموئيل لما راه من سخينه ووثوقه من النجاة وبسم له مونيتو وقال له الاتزال المانيا صادق الوطنية

قال اني اكره الفرنساويين كره الابالسة

قال اذن استطيع ان ائتمنك على سر

قال دون شك وفوق ذلك فان ما بيننا من العلائق التجارية يضمن لك كتماني

قال اذن فاعلم انى قادم الى كلوبنتز بصفة سفير

قال كيف ذلك

قال انك تعرف مقام طائفتي في النمسا ومنزلتي الخاصة عند الامبراطور

قال اعرف كل ذلك

قال ثم تعلم اني اسست شركة سرية واسلمت مبالغ خطيرة جيش كونده وحزب فرنسا الملكي

قال نعم وقد عرفت هذا ايضا

قال وان الجنرال بيشاجي يتولى الان قيادة جيش الرين الجمهوري وهذا الجنرال لا احب اليه من خيانة الجمهور والانضمام الى حزب الملكية مع جيشه والزحف الى باريس وانا قادم لمخابرة الجنرال بهذا الشان

قالت انت

قال نعم وقد اتيت بكتاب اليه من الامبراطور فاذا وصل هذا الكتاب

ان الجنرال سلمت من القتل

ولم [illegible] من هذا الحديث وهم كانوا قد افرغوا زجاجة الخمر فدنا الجندي الذي جاء بمونيتو من الغرفة ففتح بابها وقال لمونيتو لم تفرغ بعد

فقال له مونيتو نعم

قال اذن هلم بنا

قال انى مستعد للسير

وعند ذلك عانقت مونيتا ابنها وجعلت تبكي فقال لها لا تبكي يا ابنتي فانهم لا يقتلونني

ثم نظر الى صموئيل وقال له بالغة النورية ارجوك ان تعتني بابنتي وان تسرع بايصال الكتاب الى الجنرال

فاجابه صموئيل بنفس اللغة انه سيكون عنده بعد ساعة

فضم مونيتو ابنته الى صدره وعانقها عناقا طويلا ثم سار مع الجنود فودعهم صموئيل الى الباب وعاد الى مونيتا وهي تبكي لفراق ابيها وخوفها عليه بكاء الاطفال

وكانت الساعة قد بلغت الخامسة ونصف من الصباح فقال لها صموئيل لا تجزعي يا ابنتي فاني سأذهب الى الجنرال حين يشرق النهار وثقي بانقاذه كما انا واثق

واقام معها يواسيها حتى بزغ الفجر فقال لها هلمي يا ابنتي واستريحي بالرقاد فاني ذاهب لقضاء هذه المهمة وسيعود اليك ابوك قبل ان

لستيقظي

١٣

وقد هم بالذهاب بعد ان اوصى موبينا ان لا تفتح الباب لاحد وفيما هو يحاول الذهاب سمع طرقا على بابه

ففتح الباب فرأى رجلا لابساً ملابس الضباط المرنسويين فعرفه صموئيل لانه كان قد رهن عنده مجوهرات مراراً كثيرة

اما الضابط فانه حياه وقال له ارجوك لمعذرة لتكديرك قال السبب هو اني وجدت نوراً ينبعث من نافذة غرفتك فايقنت انك صحوت

فقال له صموئيل هو ذاك

فابتسم الضابط وقال له لقد عرفت دون شك السبب في زيارتي ثم اخرج ساعته وسلسلتها وقال له كم تسوى الساعه والسلسلة

فنظر صموئيل اليهما وقال له اتريد بيعهما ام رهنهما

قال لا فرق عندي بين البيع والرهن بشرط ان اظفر بما انا محتاج اليه من المال قبل الظهر

قال انهما تسويان يا حضرة الضابط اربعين ريالا

فهز الضابط راسه وقال ان هذا المبلغ قليل لا يكفيني

فقال له صموئيل ولكن هذا كل ما استطيع دفعه لك

قال اذن فاعلم اني صرفت ليلة امس في منزل الجنرال داغوبير فغبت وخسرت كل ما معي واستلفت خمسين ريالا من الجنرال فخسرتها

فان ذلك تريد ارجاعها اليه ولا تعلم كيف تجدها

قال هو ذاك فان دين القمار يجب ان يدفع في اليوم التالي كما تعلم

فهز صموئيل كتفيه وقال لقد قلت لك ان الساعة والسلاله لا تسويان اكثر من اربعين ريالاً

قال ولكني اقسم لك .....

قال لقد عرفت ما تعني فانك تريد ان تقسم لي انك رجل شريف وانك ترجع لي هذه القيمة

قال هو ذاك فانكتت سره بوعدي

قال ولكنك غير محتاج الى هذا المال قبل الظهر

فحسب الضابط ان قلب صموئيل قد رق له فقال دون شك بشرط ان اكون واثقاً من نيلة الظهر

قال ان ذلك منوط بك

فدهش الضابط وقال له كيف ذلك

قال ذلك اني انا ايضاً محتاج اليك في مهمة

قال قل فاني مستعد لخدمتك فيما تريد

قال ساخبرك بذلك في الطريق فهلم معي فاني مضطر الى الخروج

فامتثل الضابط وافضل صموئيل بابه وذهب واياه

وفي الطريق قال له صموئيل اظن ان من كان مثلي لا تسهل عليه مقابلة جنرال

قال ذلك يتعلق بطباع الجنرال فاي جنرال تريدمقابلته

قال الجنرال بيشارجي

قال القائد العام

قال نعم فاني مضطر الى مقابلته

قال متي

قال الان

قال ولكن هذا محال فان الجنرال برح المدينة مساء امس

فذعر صموئيل وقال الى اين ذهب

قال الى مايانس

فظهر الاضطراب على وجه صموئيل وراه الضابط فقال له ماذ اصابك

قال اصبنا بنكبة فادحة لاينجينا منها غير هذا الجنرال

قال قص علي امرك فاني لا افهم ماتقول

قال لي صديق سيعدمونه اليوم واريد ان اسأل الجنرال العفو عنه فقد خدمته خدمات ارجو بعدها ان انال منه هذا العفو

قال من هو هذا الصديق الذي سيعدمونه

قال انه رجل منكود من بوهيميا

قال واي ذنب جني

قال قتل ضابطا فرنساويا

قال اين حدثت هذه الجريمة فاني ما سمعت شيئا عنها

قال ذلك لان الجريمة حدثت في هذه الليلة

ثم قص عليه جميع ما حدث لمونيتو فاصغى اليه الضابط وهو متأثر لنكبة هذا النورى حتى اذا فرغ من حديثه نظر اليه الضابط وقال ان الامر خطير فان لدينا اوامر صارمة وانا اكاد اكون واثقا ان الجنرال سيابى العفو عن هذا الرجل مهما حلت خدماتك له

ولم يكن يستطع صموئيل ان يخبره بحقيقة شان مونيتو وخطورة المهمة التي جاء من اجلها غير انه قال له اني واثق من عفو الجنرال عنه او من تخفيف عقابه على الاقل

قال ولكنى قلت لك ان الجنرال سافر امس

قال الا يوجد وسيلة لادراكه

قال ان الجنرال يتوقف في مايانس وربما اقام فيها يومين او ثلاثة

قال اذن استطيع ان اراه

قال هو ذاك ولكنى اخاف ان تدركه بعد فوات الاوان فتكون قد سافرت عبثاً

فاضطرب صموئيل اضطرابا شديدا واشفق الضابط عليه فقال له اقد خطر لي خاطر الم تقل لي ان لهذا النورى فتاة وانه ائتمنك عليها

قال نعم

قال انها صبية وجميلة اليس كذلك

قال نعم

قال اذن اصغ الي ان الجنرال بيشار حي حين يسافر يتولى القيادة مكانه الجنرال داغوبير في كولمنز

قال ماذ تريد بذلك

قال ان لهذا الجنرال مراة الى الجميلة طاهرة الاخلاق وهي من الاعيان وقد احبت الجنرال منذ عهد بعيد لان الجنرال ليس من الاعيان بل اصله من العمال فقد كان حدادا او بيطريا كما قال

قال وبعد ذلك

قال ويظهر ان امرأة الجنرال داغوبير حكم عليها بالاعدام حين كانت مخطوبة لانها من الاعيان

قال ومن انقذها

قال خطيبها داغوبير فانه طلب الى مجلس الامة العفو عنها فاجابه الى ما طلب

قال وهذه المرأة

قال انها شديدة الميل الى الجنرال

قال اتظن انها تهتم بشان هذا المنكود

قال انها تهتم بابنته على الاقل

قال ولكن كيف السبيل الى تقديمها لها

فحك الضابط اذنه ثم حمر وجهه وقال اني لولا هذه الخسارة التي خسرتها وهذه السلفة التي استلفتها من الجنرال لكنت ....

قل ماذا كنت تصنع

قال كنت اذهب الان الى الجنرال

قال اذا كان المال الذي يتعبك فتعال معي اعطك مائة ريال بدلا من خمسين بل اعطيك الفا

فابتسم الضابط وقال انك منخدع بي ايها الصديق فاني ضابط في الجيش الفرنساوي وسواء كان الحكم جمهوريا او ملكيا فان الجيش يبقى على مبدأه . انى طلبت اليك خمسين ريالا مقابل ساعتي وسلسلتها فاعطني هذه القيمة بهما اذ لا اريد سواها

قال وانا ياسيدي من اهل المباهاة او الشرف فانا اعطيك ما طلبته دون رهن فابق ساعتك معك فاني اكتفي بتعهدك قولا الدفع

ثم عاد به الى منزله ففتح صندوقه الضخم الحديدي واخرج منه خمسين ريالا فاعطاها للضابط

فاخذها الضابط وقال له ان امراة الجنرال تستيقظ باكرا فانها ربيت في الريف وساراها بعد ساعة

فقال له صموئيل بصوت مختنق الا تظن انهم يعدمون المنكود في هذه الساعة

قال كلا انه لا يموت قبل محاكمته في مجلس عسكري

قال ومتى يعقد هذا المجلس جلسته

قال في الساعة العاشرة من الصباح

قال اي انهم يعدمونه عند الظهر

قال لا تفتكر بذلك وثق بي

وكان الفجر قد انبثق وهمت الشمس بالبزوغ فقال له الضابط بعد ما خرجا من المنزل لا بد ان تكون امرأة الجنرال قد استيقظت

قال اتذهب اليها

قال انى ذاهب

قال واين اراك

قال انتظرني هنا في منزلك

ثم تركه وانصرف فعاد صموئيل الى منزله وهو يمشي مشياً خفيفاً الذر من ان تستيقظ الفتاة وقد دنا من غرفتها ونظر من ثقب الباب فوجدها نائمة بثيابها على السرير وقد توسلت دون شك الى اله النور ان يقي اباها

١٤

كان كل ما قاله الضابط لصموئيل صحيحا فان الجنرال داغوبير كان يتولى حقيقة الحكم في كوبلنز في غياب القائد العام

وقد ذكر الفرنسيون دون شك صاحبهم القديم داغوبير ذلك البيطري الذى ارتقى بسلالته من رتبة جندي الى رتبة جنرال وتزوج الكونتس اورور منذ ثلاثة اعوام فكان معها من اسعد الازواج

وكان ابن عمها لوسيان قد تزوج ايضا اختها حنة فهاجر الكونت لوسيان مع امراته الى النمسا ودخل في سلك الجيش النمساوي

غير ان الاختين كانتا تترسلان في كل اسبوع وتتزاوران في كل عام

وقد اتت حنة الى باريس مرتين وذهبت اورور الى فينا مرتين ايضا بالرغم عن تلك الحرب الهائلة التي كانت تثيرها اوروبا بجماتها في ذلك العهد على فرنسا

وكانت اورور قد متلكت جميع القلوب بجمالها ودعتها وكرم اخلاقها فكانت فتنة لجيش المحارب بالرين

وكانما تلك العواصف التي هبت على حياتها قد عقبها الصفاء فتبدل انقباضها بالزهو وانكماشها بالسرور فانعكفت على اقامة الحفلات وكانت كل ليلة تستقبل في منزلها في كولمنز ضباط الحامية الذين امتازوا بالادب وحسن التربية

وكان هذا الضابط الذي اسلفه صموئيل المال من اخص الذين يترددون الى منزلها فذهب بعد ان ترك صموئيل مباشرة الى منزل داغوبير وكانت اورور قد استيقظت من رقادها

وقد جرى لها حادث اضطرها الى التبكير في نهوضها ولولا هذا الحادث لاضطر الضابط الى الانتظار تحت نوافذها واليك تفصيل ما حدث

بينما كانت اورور غارقة في سبات العميق سمعت جرس الباب الخارجي يقرع قرعا عنيفا فانتبهت مذعورة من رقادها

وقد تنبه ايضا الجنرال داغوبير واسرع عن السؤال فعلم ان حارس

باب المدينة الذي قبض على موبيتو قد جاء بتقرير عما حدث في تلك ليلة متهما اوامره

فلبست ادرور ثوبه ونزلت الى حيث كان داغوبير

ولم تكن تتداخل على الاطلاق بشؤون زوجها غير انها شعرت هذه المرة بدافع سري يدفعها الى الوقوف على السبب في تبكير الضابط

وكان داغوبير يقرأ التقرير وهو مقطب الجبين فلما دخلت امرأته حاول ان يبتسم لها فادركت من ابتسامه المغتصب ان الامر خطير

وبعد ان اتم قراءته دفعه اليها فقرأته واصفر وجهها

فقال لها داغوبير تعلمين ايتها الحبيبة انه يجب ان تجري العدالة في مجراها

فبدت علائم التأثر على وجهها وقالت له ماذا تعني بذلك

قال ان هذا المنكود الوارد ذكره في التقرير تمثل ضابطا فرنسا ويا

قالت ولكن هذا الضابط السافل اراد ان يدنس شرف ابنته

قال هو ذاك و اسفاه ولكن لدي اوامر مشددة من القائد العام باستعمال اقصى درجات العنف مع كل الماني يقتل جنديا من جنودنا

قالت ولكن هذا الضابط لوشين من اسفل خلق الله

قال لا انكر ما تقولين

قالت وفوق ذلك فان هذا الرجل المنكود انما كان مدافعا عن شرفه وعرض ابنته ولم يكن معتديا مهاجما

قال هي الحقيقة وأسفاه

قالت اكان ذلك فلا سبيل الى معاملته معاملة قاتل ثم

فاجابها بلهجة شفت عن كابته انك تقولين الحق ولكن معاقبته لابد منها فاذا عفوت عنه ثار علي الجيش

وبينما كانت اورور تستعطف زوجها وتلتمس منه العفو عن مونيتو وهو يظهر لها على الكره منه انه لا بد من تنفيذ العقاب دخل ذلك الضابط الذي اعطاه صموئيل خمسين ريالا

وكان هذا الضابط من اركان حرب داغوبير وله ميل خاص اليه لحسن ادبه فقال له داغوبير حين راه لقد جئت في حين الحاجة اليك اذ مر خطير

قال ما هو يا سيدي الجنرال

قال لقد قتل امس ضابط من ضباطنا

قال لقد عرفت هذه الحادثة ثم نظر الى اورور نظرة مفادها انك تدافعين عن الانسانيه وساكون لك خير معين

فقال له داغوبير يجب ان تذهب الى المجلس العسكرى وتامره بالانعقاد

فقالت له اورور الا يمكن تاجيل ذلك بضع ساعات

قال اية فائدة من التاجيل

فقال الضابط لو تعلم يا سيدى حالة هذا المنكود لكنت اشفقت عليه على ابنه

فقالت اورور لقد اصبت ان له ابنة

قال وهي جميلة صبية يا سيدتي اذا رايتها سالت نفسك حنوا عليها

قالت اهي في السجن مع ابيها

قال كلا يا سيدتي فان رجلا اسرائيليا يدعى صموئيل جوب اواها الى منزله وهذا الاسرائيلي صديق النوري وهو يقول انه ياسف اسفا شديدا لسفر الجنرال الاكبر الى ما يانس

فقال له داغوبير لماذا ياسف

قال لانه كان ينوي التماس العفو منه عن النوري

فهز داغوبير كتفيه وقال انه لا يعفو عنه كما انا افضل بالكره عني

فقالت له اورور ولكن الحاجة غير قاضية بمحاكمته اليوم

قال سواء حاكمناه اليوم او غدا فانه سيقضى عليه بالاعدام لا محالة

قالت ان القائد العام قد يعفو عنه

قال هذا محال

قالت في كل حال اسالك ايها الحبيب ان لا تخيب رجائي

قال ماذا تريدين

قالت ان لا يعقد المجلس العسكري قبل الظهر

قال وبعد ذلك

قالت وان يوءذن لي بمقابلة ابنة هذا المنكود

قال ارى انك نسيت يا اورور اني احكم الان بالوكالة عن القائد العام وان علي مسوءوليه كبرى

قالت معاذ الله ان احداث على مخالفة واجبات ولكن طلبي ميسور وقضاؤه ولا تبعة فيه عليك

وبينما كان داغوبير يمعن في الامر وقد ظهرت عليه علائم الرضى سألت السرور الضابط قائلة اين الفتاة الان

قال عند رجل يهودي يدعى صموئيل جوب

قالت اريد ان اراها

قال أتريدين ان احضرها اليك

قالت كلا بل اذهب بنفسي الى منزل هذا الرجل فانتظرني

ثم صعدت الى غرفتها فوضعت وشاحا على كتفيها وعادت الى الضابط فقالت له هلم بنا

فقال لها داغوبير الى اين تذهبين

قالت عند الاسرائيلي الا تريد ان اساعد المنكوبين يا داغوبير ثم ابتسمت له ابتسامة حلوة جردته من سلاحه وامتنع عن الاعتراض

وفي الوقت نفسه اخرج الضابط الخمسين ريالا من جيبه ووضعها على المنضدة امام داغوبير

فسر داغوبير بها وقال لقد اصبت فانك مديون لي

قال هو ذلك ايها الجنرال فان دين القمار يدفع في مدة اربع وعشرين ساعة

قال اذن لديك مهلة الى المساء

فقالت له اورور وانت كذلك ايضا يا دانوبيرفون لديك حيلة الى ساء في قتل النوري التعيس ثم تابطت ذراع الضابط وقالت له هلم بنا

١٥

تقدم لنا القول ان صموئيل عاد الى المنزل فوجد مونينا نائمة فان التعب كان قد انهكها فتغلب النعاس على احزانها ونامت نوما عميقا

وبعد ان اطمأن عليها نزل الى مخزنه واقام فيه ينتظر عودة الضابط اليه فلم يطل انتظاره حتى اقبل الضابط تصحبه اورور فجعل قلبه يضطرب

اما اورور فانها دخلت الى المخزن وقالت للامير ايلي انت هو الذي يدعونه صموئيل جوب

قال نعم ياسيدتي

قالت انت صديق ذلك النوري الذي سيدعونه

قال نعم ياسيدتي واظن انك لا تؤذنين بقتل هذا الوالد التعيس اليس كذلك

قالت والسفاه اني لست الجنرال وليس لي شيء من النفوذ على المجلس العسكري ولكن لهذا النوري فتاة

قال نعم يا سيدتي

قالت وهه الفتاة اهي عندك

قال نعم

قالت اني اريد ان اراها

فصعد صموئيل الى غرفة موبينا و ايقظها فابتسمت وقالت له لقد امات املا خائبا اذ اعتقدت لاول وهلة انك ابي

قال كلا واسفاه ولكني ات للذهاب بك

قالت الى اين الى ابي

قال كلا بل الى امراة الجنرال فاعرفك بها

قالت اهي امراة الجنرال بيشارجي

قال كلا بل امراة الجنرال داغوبير المنوط به امر ابيك

ثم اخذ بيدها ونزل بها حيث كانت اورور

وكانت موبينا مصفرة الوجه لاضطرابها ولكن اصفرارها لم يخسف جمالها فاعجبت بها اورور وقالت لها انت هي الفتاة التي وضعوا اباها في السجن

فركعت موبينا امامها وقالت نعم يا سيدتي

فانهضتها اورور وقالت لها لا تبكي ايتها الحسناء فاننا لم نقنط بعد

فضمت موبينا يديها شأن المتوسل وقالت لها انقذيه يا سيدتي

قالت اني افعل كل ما استطيع فعله ولكن دعيني اسالك الان فمن اين اتيت مع ابيك

قالت من مكان بعيد ياسيدتي فقد اتينا من فينا

فارتعشت وروز اذ ذكرت بختها حتة فانها تقيم في تلك العاصمة مع زوجها الكونت لوسيان دي مازير ثم قالت لها الى ان كنتما ذاهبين

قالت اننا كنا قادمين الى هنا حين فاجاتنا النكبة

وعند ذلك قصت عليها جميع ما اتفق لها بلهجة أثرت تاثيرا عظيما في قلب اوروز فقالت لها ان هذا الضابط يستحق فوق ما لقيه من العقاب ولكن القائد العام اصدر لسؤ الحظ قبل سفره اوامر مشددة بعقاب كل من يعتدي على الجنود بالقتل

فذعرت موبينا وقالت رباه ماذا اسمع اسافر القائد العام

قالت نعم منذ امس

فقالت بلهجة شفت عن قنوطها اذن لقد قضى على ابي القضاء المبرم

قالت لم يقض عليه بعد ثم قالت لصموئيل وقد اشارت الى الضابط الذي يصحبها الم تقل لهذه الضابط انك اذا ادركت القائد العام نال منه العفو عن السجين

قال نعم ياسيدتي

قالت كم ساعة ينبغي الوصول الى مايانس

قال خمس ساعات

قالت أتستطيع العودة في اول الليل

قال دون شك

قالت ن علم ال ب الد ـعه عل فيقه رجائك بنيل العفو ولكني استطيع مساعدتك في مهمتك فانال ن الجنرال د غوبير جواز ؤذن لك بالسفر الى مايانس

قال وبعد ذلك

قالت التمس ايضا من الجنرال ان لا يحاكموا النورى قبل عودتك ولكن اتطمع بنيل العفو من القائد العام

قال ابى ياسيدتي خدمته خدمة جليله لا يستطيع بعدها رفض ملتمسي

قالت اذن سافر على بركات الله وتعال الى منزلى مع هذه الفتاة فابقها عنوي الى ان تعود

فنظر الضابط عند ذلك الى موبينا نظرة مفادها لا تخشي فان اباك قد نجا

اما اورور فانها قبلت جبين موبينا وقالت لها اني سابذل فوق مجهودي لانقاذ ابيك فتعللي بالرجاء واذهبي مع صموئل الى منزلى في الحال

ثم تأبطت ذراع الضابط وعادت واياه الى المنزل فوجدت داغوبير يسير ذهابا وايابا في القاعة التى كان يستقبل فيها كل يوم الضباط الذين كانوا تحت امره

وكانت علائم الاضطراب باديه عليه فقال لها ان تأثري يا اورور لايقل عن تاثرك لنكبة هذا الوالد المنكود الذى دافع عن بنته ولكن القائد العام ترك لي اوامر صريحة لا يمكن نقضها

قالت اني لا تمس ملك غير ما تستطيع قضاءه

قال ما هو

قالت ان هذا الاسرائيلي الذى لجاءت الفتاة اليه يعتقد انه واثق من الفوز بالجنرال اذا تمكن من السفر الى مايانس

فهز داغوبير كتفيه وقال اني اعرف الجنرال حق المعرفة فهو لا يلين في هذه المواقف

قالت ولكن صموئيل واثق كل الثقة

قال افعل سيعقد المجلس العسكرى عند الظهر

قالت ولماذا لا تؤجل عقده الى الغد اي الى ان يعود صموئيل

قال لان الجيش بجملته يتململ والجنود يريدون انتحال سبب الثورة علينا فلا يجدون خيرا من هذا السبب الا تعللين ان الجمهورية متأخرة عن دفع رواتبهم

قالت ولكنهم يثورون ايضا اذا صدر العفو عن الجنرال

قال ليس لي من السلطة ما لقائد العام ولا بد من الحكم اليوم على النوري

قالت بماذا تحكمون عليه

قال بالاعدام دون شك

قالت اتعدمونه على اثر صدور الحكم

قال كلا فان التنفيذ يكون في صباح غد وفي ذلك الحين يكون صموئيل قد عاد من مايانس

وعند ذلك وصل صموئيل وموبينا فتأثر داغوبير واشفق على الفتاة

اشفاقا عظيما فقال لصموئيل املك واثق من نيل عفو القائد العام

قال كل الوثوق فامهلني اربعا وعشرين ساعة وانا اضمن الفوز

فاعطاه دغوبير جوازا للسفر اذ لم يكن احد يستطيع الخروج من المدينة في ذلك العهد دون اذن الجيش المحتل ثم امر الضابط ان يعطيه جوادا قويا

وبعد اربع ساعة كان صموئيل يقطع الارض ذهابا في طريق مايانس وكانت اورور قد اعدت في منزلها غرفة لموينا

ففي نفس الساعة التي خرج بها صموئيل من المدينة دخل اليها رجل غريب عنها

وكان هذا الرجل كهلا فلما وصل الى باب المدينة طلبوا منه جوازه فقال لهم ليس لدي جواز ولكن يوجد في كلوبنتز رجل يضمنني

قالوا من هو هذا الرجل

قال الجنرال دغوبير

فاجابه الضابط اذن سنذهب بك الى الجنرال

ثم امر احد الجنود ان يذهب به الى الجنرال فلما وصل به سأله الحراس عن اسمه كي يخبروا به داغوبير فقال له انى ادعى بيبي

فلم تمض هنيهة حتى اتى داغوبير فضم بيبي الى صدره وعانقه عناق الاخوان

١٦

وكانت امراة الجنرال قد علمت ايضا بقدوم بيبي فاسرعت اليه وقد فرحت بقدومه فقالت له من اين انت قادم

قال من محل بعيد

قالت امن باريس

قال لقد كنت في باريس منذ شهر فنجوت ولولا يوم ٩ ترميدور لقضي علي

فتأثرت اورور وقد ذكرت اهوال تلك الايام فقالت له قص علينا ما جرى لك

قال تعلمون اني حين تركتكم اقسمت لكم ان ارد الثروة التي اختلستم تنوان

فابتسم دانغوبير وقال له تلك اذا ارجعتها الينا نستقبلها بالشكر فان الجمهورية لم تدفع رواتبنا منذ ستة اشهر ولو لم نكن في بلاد افتخاهـا لما كنت ادري كيف نستطيع ان نعيش

قال اني لم ابر بعد بيميني ولكني سابر به

فقال له دانغوبير بلهجة المرتاب كيف ذلك

وقالت اورور لقد قيل لي ان تنوان الان من النفوذ فوق ما كان لها من قبل

قال لا باس فاني وقفت على اثر المال

قالت انه لدى تنوان دون شك وهي تحتفظ به

قال لو كان المال عندها لاسترجعته منها بالرغم عنها مهما بلغ من نفوذها

فجعل داغوبير واورور ينظران الى بيبي نظرات انذهال اما بيبي فانه مضى في حديثه فقال اني قادم الان من فينا برسالة من اختك

فنسبت اورور عند ذلك امر الثروة وقالت له اسرع واعطني الرسالة

فاخرج بيبي رسالة من جيبه ودفعها الى الكونتس اورور فانهمكت بقراءتها وعاد بيبي الى محادثة داغوبير فقال له انك تعلم ان تنوان من طائفة النور

قال نعم وهي التي تنبأت لي اني ساغدو يوما من كبار القواد وقد صدقت نبؤتها كما ترى

قال وان هذه الطائفة في المانيا شديدة النفوذ فان بين اعضائها الفقراء الذين يستكشفون الطوالع والراقصين في الشوارع ولكن بينهم كثيرين من الاغنياء واصحاب المصارف الكبرى بل بينهم فريق كبير من اصحاب المناصب العالية

قال اظن ان ليس لهؤلاء علاقة بابناء طائفتهم

قال بل ان الامر على عكس ما تقول فان جميع ابناء هذه الطائفة متحدون متعاونون لهم عادات سرية واوامر يتلقونها من زعمائهم الذين يحكمون عليهم بالسر كما يحكم القائد على الجنود بالعلانية حتى ان لهذه الطائفة صندوقا عاما يجمعون فيه الاموال

فقالت له اورور وكانت قد اتمت قراءة الرسالة كيف ذلك

قال ان هذا الصندوق موجود عندهم منذ الجيال وهم يجمعون فيه المال ليكون لهم عونا عند الشدة تعلمون ماذا فعلت تنوان انها وضعت هذه الثروة الطائلة التي اختلستها منكم في ذلك الصندوق بشرط انها لا تقبض من هذه الاموال غير فوائدها ويبقى المال بجملته بعد موته لصندوق النور العام

فقال له داغوبير اذن لقد ضاع كل رجاء باسترجاع الثروة

قال كلا

قال كيف يكون ذلك ايرد النور المال الذي ائتمنوا عليه

قال ربما

قال لاشك انك سليم الطوية بسيط القلب يابني

قال ان النور ياسيدي الجنرال من اهل المروءة والحق فمتى علموا ان المال مسروق يختلف الحال

قالت اورور كيف ذلك الا يعلمون

قال كلا فان تنوان جعلتهم يعتقدون ان البرنسيس هيلانه ارادت ان تنتقم من عمك الكونت دي مازير لخانته لها فوهبتها هذا المال وقد اقنعتهم باوراق مزورة اطلعتهم عليها

فقالت له اورور اتعتقد اذن ان زعماء النور اذا علموا ان هذا المال مسروق ردوه

قال دون شك

فتنهدت اورور وقالت ولكن كيف نثبت ان المال لنا وليس لدينا برهان فان الكونتس دي مازير امراة عمي قد قالت وكريستين امي ماتت وابي ...

وهنا ارتجف صوت اورور ولم تتم عبارتها فقال لها بيبي ان اباك لم يمت يا سيدتي

فاضطربت اورور وسألت اذا كان لم يمت فان هو اذن

فقال لها والأسف ان الساعة التي استطيع ان اخبرك بها الحقيقة لم تحن بعد

قالت ولكن يجب ان اعلم

قال اقتصري يا سيدتي على العلم ان اباك في قيد الحياة وانه تاب توبة صادقة وانه يحبك حباً لا يعادله حب

فتغلبت اورور على تأثيرها وقالت له اذن اتم حديثك

فقال لها انك تعلمين ياسيدتي اني لم اتصل الى معرفة الموضع الذي خبأت فيه ثروان المال دون عناء فان خزينة انور مخبوءة

قالت في اي مكان

قال ليس من يعلم موضعها الا ملك هذه الطائفة فان لديه اموالا لاتحصى وهو يسلف منها المصارف الكبري والملوك بل يجهز بها الجيوش حين يرى فائدة لقبيلته من تجهيزها وطالما استلف منه امبراطور النمسا وهو ذلك الامبراطور الذى يعيش الان ابن عمك لوسيان مع اخته بين

حاشيته

قالت ماذا تعني بذلك

قال عنى ان الامبراطور يستطيع ان يرد لكم هذه الثروة

قالت اصدق ملك النور بالقول المجرد

قال كلا ولكن كتاباً واحداً يثبت ان البرنسيس هيلانة كانت تحب عمك الكونت دي مازير كاف لثقة الامبراطور وحمله ملك النور على الاقتناع بتزوير تتوان

قالت ولكني ليس لدي كتاب بهذا المعنى واأسفاه

قال اني امضيت شهرين ابحث عن ملك النور فان هذا الرجل يكاد لا يراه احد فانه تارة يكون في هنغاريا وتارة في الدنوب وطوراً في شمال اوروبا او جنوبها لان له مهنة غير مهنة تملكه على النور

قالت ما هي مهنته

قال انه اعظم تاجر في الاحجار الكريمة ولاسيما الالماس

فابتسم داغوبير وقال اذن ليس هو ذلك النوري الفقير الذي سنخدمه غداً

فارتعش بيي وقال ماذا تعني بذلك

فقالت له اوروو انها حكاية محزنة يا بيي

قال ارجو سيدتي ان تقصها علي

فقصت عليه اوروو جميع ما اتفق لمونيتو فلما تمت حديثها سأل بيي

دغوبير مائلا اتعدمونه غدا

قال هذا الذي اخشاه

قال ولكن امره منوط بك الست الرئيس الان

قال نعم ولكن العفو عنه منوط بالقائد العام وهو الان في مايانس

وقدذهب اليه رجل اسرائيلي يدعى صموئيل جوب

قال ماذا يريدمنه

قال يدعي انه خدم القائد العام خدمات جليله وهو واثق انه سيعفو عن مونيتو من اجله

فقال بيبي ماذا تقول ايدعى هذا الرجل مونيتو

قال هذا هو اسمه كما يقول

قال ولكن ملك النور الذى بحث عنه منذ شهرين يدعى ايضا بهذا الاسم

فضحك داغوبير وقال أيكون هذا الرجل ملك النور صاحب تلك الثروه التى وصفتها ويسافر مع بنته مشيا على الاقدام

وقالت اورور انه ممزق الملابس

فقال بيبي انى احب ان اراه مهما كان من امره فهل تاذن لي بذلك يا حضرة الجنرال

قال دون شك

وقالت اورور انك تستطيع ان ترى بنته ايضا اذا شئت

قال اين هي

قالت هي عندي فاني شفقت عليها ولا ازال ارجو نيل العفو عن ابيها

وعند ذلك قامت اورور فوقفت في باب القاعة ونادت موينا فلما اتت لم يتمالك بيبي عن اظهار دهشته بجمالها حين راها

١٧

والد صاحب بيبي نفس ما صاحب داغوبير من الحنو والاشفاق حين رأى موينا فاخذ يحادثها فقال لها ماذا تدعين يا ابنتي

ـ موينا

ـ وابوك

مونيتو

من اية بلاد انتم

من هنغاريا

فنظر اليها بيبي باعتناء وقال لها لم يشتغل ابوك بتجارة الاملاس

فارتعشت موينا لهذا السؤال وخافت ان تسيء الى ابيها اذا ظهرت حقيقة حاله فقالت له كلا يا سيدي

قال اذن ليس ابوك ملك النور

فضحكت موينا وقالت لو كان ابي ملكا لكنت انا ميرة والاميرات لا يسافرن مسافة يومين مشيا على الاقدام

فقالت لها وروتقي ايتها الحبيبة اننا لا نسألك هذه الاسئلة الا لخير ابيك

غير ان موبينا بقيت متحذرة ن بيبي وهي لا تعلم ان نجاة ابيها موقوفة على صدق اقرارها

واما بيبي فقد كان من امهر رجال البوليس السري فايقن من اضطرابها انها لا تقول الحقيقة ولم يجد سبيلا للوقوف عليها منها ثم انه احب ان يختلي مع داغوبير فذهبت اورور م موبينا وبقي بيبي مع داغوبير فقال له اني احب ان ارى السجين

قال اية فائدة من هذه المقابلة

قال لاثق اذا لم يكن مونيتو الحقيقي

فضحك داغوبير وقال الم تثق بعد انه ليس من الملوك ام تحسب انه جاء متنكرا

قال كلا لم اثق بعد

قال ولكنك سمعت اقوال بنته

قال ان بنته تكذب فثق بما اقول فاني استجلى بالنظر غوامض الافكار وما خدمت البوليس عشرين عاما عبثا

قال اتظن ان هذه الفتاة لو كان ابوها ملك النور كما تظن اما كانت تظهر هذه الحقيقة على رجاء ن تفيدها

قال كلا

قال ولكني ارى غير رايك

قال انك مخطىء ايها الجنرال فانك تعرف خلاق النور وعاداتهم في كتمان امورهم فان من كان منهم ذا مال يخبيء ماله ولا يعترف بغناه لاحد وانا واثق الان كل الثقة ان هذا الرجل السجين هو نفس مونيتو ملك النور الذي ابحث عنه منذ شهرين وغاية ما ارجوه ان تأذن لي بمقابلته

فكشف داغوبير ساعته وقال ان الساعة التاسعة الان وهم لا يأتون به الى المجلس العسكري الا حين الظهر

قال استطيع ان اراه في السجن

قال دون شك بامر مني

وعند ذلك دعا دغوبير احد ضباطه وقال له بعض كلمات فقال الضابط لبيبي تعال معي فوضع بيبي نظارتيه على عينيه وسار مع الضابط

كان السجن الذي وضعوا فيه مونيتو ديرا قديما متينا على ضفة الرين فحوله الفرنسويون حين احتلال المدينة الى سجن كانوا يضعون فيه خليط المسجونين من اسرى حرب وجواسيس و مجرمين وغيرهم

غير انهم جاءوا بمونيتو قبل الفجر فوضعوه في غرفة وحده

فلما دخل اليه بيبي وجده جالسا عند نافذة قضبانها من الحديد ينظر الى النهر

وقد سأل بيبي الضابط ان يدعه منفردا معه فتركه وانصرف اما مونيتو فانه نظر الى بيبي وقد حسبه قاضيا قادما لتحقيق جريمته

غير ان بيبي اشار له اشارة سرية ارتعش لها

فان بيبي كان يعرف كثيرا من الرموز السرية لطول عهده بخدمة البوليس وكانت الاشارة التي اشارها ماسونية فانه قال في نفسه ان جميع عظماء البوهيميين منخرطون في سلك الماسونية فاذا كان هذا الرجل نفس مونيتو الذي ابحث عنه فلا بد ان يكون ماسونيا ولا بد له بالتالي ان يجيبني بنفس اشارتي

واقد اصاب في ظنه فان مونيتو اجابه بمثل اشارته فقال له بيبي عند ذلك ارى ننا اخوان

قال هو ذاك

قال وفوق هذا فاني صديق لك واذا كنت قد زرتك فذلك بغية انقاذك

فابتسم مونيتو ابتسامة شفت عن يأسه وقال اني لا اخاف لموت

قال ربما ولكنك تبذل في سبيل لحياة كل ما تستطيعه من اجل ابنتك التي غادرتها الان

فاشرق وجه مونيتو وقال انت كنت مع ابنتي

قال نعم

قال اذن انت قادم من منزل صموئيل جوب

قال كلا فان صموئيل قد برح كلوبنتز

فاضطرب مونيتو وقال اسافر صموئيل

قال نعم

قال وبنتي ماذا جرى لها

قال اطمئن عليها ايها الصديق فان صموئيل قد عهد بها الى امرأة طاهرة شريفة وهي امرأة الجنرال دغوبير

فارتجف وقال ماذا تقول

قال اني اقسم لك بهذه الجمجمة التي جعلتنا اخوين

قال ولكن لماذا سافر صموئيل

قال انه سافر من اجلك الى مايانس

قال من اجلي انا

قال نعم فان القائد العام الذي اراد ان يلتمس منه العفو عنك لم يكن في كلوبنتز

فاصفر مونيتو وغطى وجهه بيديه وقال اذا كان القائد العام مسافر فانا لا محالة من الهالكين

قال لا تقنط اذ يوجد جنرال اخر يهتم بشانك وهو الذي يتولى القيادة العامة في غياب الجنرال الاكبر

قال المهم هو العفو عني

قال كلا ولكنه يؤخر زمن انفاذ ذلك لي ان يعود صموئيل من مايانس حيث يرجو ان يلقى الجنرال بيشاجري

قال اذا كان ذلك فقد عاد لي شيء من الرجاء فهل الجنرال الذي ارسلك الي

قال اني التمست منه الاذن لي اراك لاني في حاجة الى مقابلتك فاني ابحث عنك منذ شهرين

قال كيف ذلك وانا لم اعرفك ولم ارك قبل الان

قال الست تدعى مونيتو

قال نعم

قال اما انت ملك النور

فضحك مونيتو وقال لماذا تريد الهزء بي

فلم يخفل بيبي بهذا التكذيب وقال له اصغ الى ايها الصديق انك معتمد على صدور العفو عنك وربما كنت مصيبا اذ يظهر ان اصموئيل جوب نفوذا على بيشارجي ولكنك قد تكون مخطئا ايضا في هذا الاعتماد فاذا كان ذلك فلا يوجد غير رجل واحد يستطيع انقاذك

قال من هذا الرجل

قال هو انا

فدهش ملك النور لكلامه وقال له انت تنقذني

قال نعم اذا انقذك اذا اخلصت لي واعترفت انك انت هو مونيتو تاجر الاحجار الكريمة وملك النور وصاحب الكنوز السرية

غير ان مونيتو لم يؤخذ بهذه الاقوال فقال له لنفترض اني انا هو ذلك الرجل فاية فائدة لك من انقاذي

قال اتريد ان تعلم

قال نعم

فدنا بيبي من النافذة المطلة على النهر وجعل ينظر الى مياه ذلك النهر

فقال لهمونيتو ماذا تصنع

قال اردت ان استوثق من مقدرتي على الوفاء بما تعهدت لك والان فارعني سمعك

قال انى مصغ اليك

١٨

وكان بيبي يكلمه باللغة الهنغارية من قبل الاحتراس حذرا من ان يسمع كلامه الجنود فدار بينهما الحديث الاتى

قال بيبي لنفترض انك ملك النور

ـ لنفترض

ولنفترض ايضاً انك امين خزينة النور العامة

ـ ان الخزينة موجودة حقيقة

ـ وقد زاد ما فيها زيادة عظيمة بثروة طائلة ائتمنتك عليها امرأة

ـ اتعرف هذا

ـ بل اعرف كثيرا من الامور

ـ حسنا وبعد ذلك

ـ انك استوليت على هذه الثروة على شرط ان تدفع لهذه المرأة فوائظها ما زالت في قيد الحياة وبعد موتها يكون المال لك

ـ كل ماتقوله اكيد فهل هي هذه المرأة التي ارسلتك الي

- كلا

- فلماذا تهتم بانقاذي

- لاني اهتم بهذه الثروة المودعة عندك

- كيف ذلك

- ذلك لان هذا المال الذي اودع عندك مال مسروق

- انك منخدع ايها الصديق فلو كان المال مسروقا لما قبلته

- ق ما تقول

- ظهر انك لا تعرف اخلاق البونتيين فلا شيء يروعهم مثل السرقة

- ليسوا كلهم على هذه الاخلاق كما يظهر فان هذه المرأة نورية

- انها حقيقة من النور

- وهي تدعى تنوان

- هو ما تقول

- وهذا المال الذي اودعته عندك هي التي سرقته

فهز مونيتو رأسه دلالة على ريبه وقال له اصغ الي فاني احب الحياة كما يحبها كل انسان واحب بنتي مينينا فوق ما يبلغ اليه جهدا تصور فاذا مت بقيت وحدها في هذا الوجود ولكن لا تظن ان مونيتو يخون باول وأثمن عليها حرصاً على الحياة. هيا قضاك ايها الرجل واحضر الجلاد فاني متأهب للموت

فقال له بيبي وانت ايها الصديق اصغ الي ايضاً وقل لي اترد المال

الى اصحابه اذا اثبت لك بالبرهان ان يستطيع ان تتوان اختلسته

قال دون شك فانت المعين للسارقين

قل اذن سابرهن لك

ـ احق ما تقول

ـ ذلك لا ريب فيه ولكن سابدأ باثبات ذلك

ـ انقذني اذا شئت ولكني لا اريد المال الا بالبرهان ولو كنت مديناً لك بالحياة

ـ هذا الذي اتفقنا عليه

ثم دنا بيبي من النافذة فتحص سطرها من سطح المرآة فوجد انه يبلغ نحو مائة قدم فعاد الى مونيتو وقال له انك تعدت لي بردا اذا متى برهنت لك على ان التوان سرقته اليس كذلك

قال نعم تعهد شفهي يغني عن التعهد الخطي فهل كنت من كلاوبنز

ـ اذن لنبحث في وسيلة انقاذك

ـ لقد قلت لك ان القائد العام سيعفو عني

ـ واذا رفض

ـ انه لا يرفض

ـ على العاقل ان يتوقع كل امر فان هذا القائد قد لا يكون في مايانس

فارتعش مونيتو وقال اذا كان ذلك فلا اعلم كيف تكون نجاتي

فضحك بيبي وقال ولكني انا اعلم فافترض ان لك اصدقاء في كلوبنز

اعطوك مبردا فكسرت به حديد هذه النافذة

ـ حسنا وبعد ذلك

ـ وبعد ذلك اعطوك سلما من الحبال فنزلت به الى نهر الرين

ـ اني اغرق دون شك اذ لا احسن السباحة

افترض ايضا ان اصدقائك جاءوا بسفينة فوقفوا بها تحت النافذة

فابتسم مونيتو وقال انك تفترض امورا كثيرة

ـ ذلك لان هذا الفرض سيغدو حقيقة واليك البرهان ثم اخرج من جيبه مبردا ودفعه اليه فقال له اكسر بهذا المبرد حديد النافذة وافتكر بالمثل القائل ساعد نفسك يساعدك الله

ـ ولكنهم قد يباغتونني حين كسر الحديد

قال لا تبدأ بذلك قبل الليل ثم اعلم انهم سيأتون اليك بعد ساعة فيذهبون بك الى المجلس العسكري

قال وهناك يحكمون علي بالاعدام

قال هو ذاك ولكنهم لا يعدمونك قبل صباح غدا فيبقى لنا الليل بطوله

قال وسلم الحبال

قال سازورك في المساء فاحضره

وبعد ذلك ترك بيبي وعاد الى الجنرال داغوبير فقال له الجنرال ماذا علمت

قال ما علمت شيئا

قال اليس هو ملك الثور

قال لم استطع ان اعلم الان ولكني ارجو ان اقف على الحقيقة في المساء

وكان لبيبي مأرب في اخفاء الحقيقة عن غوبير فقال له انك لا لا ترفض لي ملتمساً فيما اظن

قال دون شك بشرط ان لا يكون مخلا بواجباتي فقل ما تريد

قال اريد ان يعدم هذا الرجل قبل صباح غد مهما حدث

قال لقد تعهدت بذلك لصموئيل جوب وسانتظر عودته

قال اذن ارجوك ان تاذن لي بزيارة هذا السجين مرة اخرى في المساء

قال لا باس بذلك فقد اذنت لك

قال هذا كل ما اريده منك ثم تركه وذهب الى اورور

وكانت اورور قد البست موبينا خير ملابس وبالغت بالعناية بها حتى كادت تثق من نجاة ابيها ولكنها حين رأت بيبي داخلا نظرت اليه نظرة قلق

اما بيبي فانه ابتسم وقال لا تقنطي يا بنتي فان اباك سيعيش

فضمت موبينا يديها الى صدرها وقالت احق ما تقول ياسيدي

قال اني ما وعدت وعدا ونكثت به

فقالت له اورور اتملك واثق ان القائد العام سيعفو عنه

قال كلا يا سيدتي

ـ العلك اقنعت زوجي على وجوب انقاذه

ـ كلا

اذن كيف تكون واثقا من نجاته

ـ اذا استحلفتك ياسيدتي يمينا اتحلفينها

ـ قل

استحلفك ان لا تسألي زوجك العفو عن والد هذه الفتاة

ـ ولكن لماذا

ـ لان انقاذه موقوف على ذلك

وكانت اورور تتوقد ذهن بيبي فقالت له ليكن ما تريد

وكانا يتكلمان باللغة الفرنساوية فلم تفهم موبينا شيئا من الحديث لجهلها هذه اللغة

وعاد بيبي الى الحديث فقال لها اني بينما كنت عائدا من السجن الذي سجن فيه هذا المنكود ...

فقاطعه اورور قائلة العله ملك النور

قال كلا والسفاه

قالت تمم حديثك

قال انى بينما كنت عائدا لقيت احد اركان حرب زوجك فاخبرني كيف تتنزهين في كلوبنتز

فابتسمت اورور وقالت ان نزهتي واحدة لا تتغير

قال هو ذاك فانك تحبين النزهة في السفن

فالت هذا اكيد فاني في كل ليلة بعد العشاء اتنزه على سفينة هوائية في الرين

قال لقد اقسمت لي يمينا منذ هنيهة يا سيدتي والان اتسمحين لي ان استأذنك في امر

قالت بملء الارتياح

قال ارجوك ياسيدتي ان تاذني لي باتنزه معك هذه الليلة اذ لدي صديق في ضفة رين اليمنى اود ان ازوره

قالت بملء الرضى فكن هنا في الساعة السابعة لنذهب معا بعد العشاء

فانصرف بيبي عنها شاكرا لها وقال في نفسه لاذهب الان الى المدينة اطوف فيها فاني لا اعرفها

١٩

كان من عادة بيبي ان يكلم نفسه وهي عادة اكتسبها من عيشة الوحدة فلما بات خارج منزل داغوبير جعل يكلم نفسه فيقول

ان الكونتس لا يخطر لها في بال اني سأجعلها شريكة في تهريب النوري واجب ان لا تعلم شيئا من ذلك الا في اخر ساعة فانها اذا عرفت قبل الاوان فقد لا توافق على فراره حذر على واجبات زوجها من ان تمس ولا تكترث بالاثني عشر مليونا الذي سيردها اليها هذا النوري

وفوق ذلك قال مونيتو يعتمد على عفو الطائفة عنهم واما انا فلا اعتمد على شيء من هذا لاسباب لا يعلمها سواي

وكان يتكلم وهو يسير حتى وصل الى فندق طمام فدخل اليه وتغدى ثم قال لقد اعطوني والة على صراف في كلوبنز فلا نظر في هذه الحوالة فاخرجها من جيبه ونظر فيها فاذا هي على صموئيل جوب فقال ان هذا الرجل في مايانس ولكن لا بد ان يوجد في محله موظفون يدفعون لي الحوالة

فاستدل على محل صموئل وذهب اليه فطرق بابه مرارا وبعد ذلك فتحت نافذة وبرزت منها امرأة عجوز فقال لها ان صموئيل مسافر

قال الا يوجد احد ينوب عنه

قالت كلا

فاستاء بيبي لانه لم يبق لديه غير القليل من المال ولكنه قال في نفسه ساصبر الى الغد واذا احتجت الى شيء استعنت به غوبير

وكان اهل المدينة رأوه في الصباح يسير مع ضابط من اركان الحرب فاحترموه وقالوا لا شك انه رجل خطير وكانوا يحيونه باحترام

وما زال يسير من شارع الى شارع حتى وصل الى دكان جبال فاشترى طويل حبل لقه فبلغ طوله ٢٥ قدماً وقال في نفسه انه اذا لم يكن كافيا الوصول الى الماء فلا بد لمونيتو من الاغتسال بمياه النهر

وعند ذلك عاد الى الفندق الذي اقام فيه فدخل الى غرفته وخلع ثيابه

فلف هذا الحبل الذي اشتراه على صدره ثم لبس ملابسه فوجد وهو يقول ان هذا الحبل خير من عفو القائد العام واقام ينتظر المساء بفارغ الصبر

وكان مونيتو قد ارسل في خلال ذلك الى المجلس العسكري فحوكم وصدر الحكم عليه بالاعدام باجماع الاراء

اما بيبي فانه ذهب الى سجن مونيتو ودخل اليه بامر داغوبير فقال له ينبغي لك ثلاث ساعات لكسر حديد النافذة

قال احضرت الحبل

قال نعم ثم خلع سترته وصدرته فخرج الحبل وقال له يجب أن تبدأ الان بالعمل

ـ ومتى فرغت من كسر الحديد فاذا افعل

ـ تربط طرف الحبل بالنافذة وتنتظر الى ان تسمع صوت مجاديف في النهر تحت النافذة عندما

ـ وبعد ذلك

ـ تصغي فاذا سمعت صفيرا تلقي الحبل وتتعلق به وتنزل عليه حتى تبلغ السفينة فاذا كان قصيرا القِ نفسك في النهر ولا تخف فانا نتقبلك في الحال

ـ واذا كان القائد العام قد عفا عني

فهز بيبي كتفيه وقال له اصغ الي فاني عارف بكل شيء فانك بعث الى القائد العام برسالة

ـ اتظن ذلك

ـ بل ؤكد فانك معتمد على هذا الكتاب الذي ارسلته مع صموئيل جوب كل الاعتماد

فقال له موتيتو بلهجة دلت على انه لا ينكر ذلك كل الانكار وبعد ذلك

قال ان الجنرال بيشارحي يعد من كبار الرجال في ساحات القتال وفي ماخلا ذلك فهو رجل لاحزم له ولاثبات في اعماله فانه يخدم الجمهورية اليوم ثم يخطو له في اليوم التالي ان يخونها فلنفترض ان صموئيل جوب وجده امينا في خدمة الجمهورية فهو يجب على الرسالة باصدار الامر باعدامك بعد تحريق تلك الرسالة واخفاء اثرها

قال ربما ولكن لنفترض انه رضي بما اقترح عليه

قال انه يصدر الامر باعدامك ايضا

ـ لماذا

ـ كي لا يبقى شاهد على خيانته

ـ يظهر انك من اهل القضاء وربما كنت مصيباً في ماتقول

ـ اذن ابدأ بكسر الحديد كي تنقذ نفسك

ـ ولكن ابنتي

ـ ستجدها في نفس السفينة التي تهبط فيها

ثم ودعه وانصرف عنه وكانت الساعة السادسة اي انه لا يزال له ساعتان للذهاب الى اورور والتنزه معها في سفينتها كما اتفقا فسار في العار

لمؤدي الى باب المدينة الذي يتناول منه الى مايانس وخرج من ذلك الباب وفي ليته اسداد بعض وسائل تسهل الفرار

وفيما هو يمشي سمع وقع حوافر حياد وارتعش وقال في نفسه لا يمكن ان يكون هذا الفارس صموئيل جوب

ثم سار الى اتاء هذا الفارس فلم يطل سيره حتى التقى به فاسرع اليه وامسك عنان جواده وقال له قف

فاضطرب الفارس وقال له ماذا تريد

قال انت هو صموئيل جوب

قال نعم

قال اذن لا تبرح هذا المكان قبل ان اسدانك

قال من انت

قال انا رجل له عندك حوالة بمائتي ريال

ـ تعال غدا ادفعها لك واما الان فاني ذاهب في مهمة خطيرة

قال كلا فانك ستصغي الي الان فان الامر خطير يتعلق بحياة مونيتو النوري

فدهش صموئيل وقال أتعرف هذا الرجل

قال اني صديقه وارجو انقاذه

وكان بيبي يكلمه بلهجة السيادة وقد قبض على عنان جواده بحيث لم يدع له سبيلا للانصراف فقال له ولكن من انت

قال انا رجل يعرف ما كانت تتضمنه الرسالة التي ذهبت بها الى

الجنرال بيشاردجي

فزع الدهال صموئيل وقال اتعرف هذا

قال بل اعرف اكثر من ذلك فهل جئت بالعفو عنه

قال اظن

قال كيف ذلك الست واثقا

قال انه اعطاني رسالة مختومة الى الجنرال داغوبير

فقال له بيبي بيردوني راهنك على المائتي ريال الى لي عندك ان هذه الرسالة تتضمن امرا صريحا باعدام مونيتو

قال هذا محال

قال ولكنه الحقيقة

وعند ذلك اخرج صموئيل الرساله من جيبه كانه يحاول ان يعلم اذا كان يمكن فض ختمها والوقوف على ما فيها دون ان يعلم داغوبير انه فتحها

فانتشلها بيبي فذعر صموئيل وقال له ماذا تصنع

قال اريد ان اقف على الحقيقة

وكان نور الفجر ساطعا بحيث كان يستطيع المرء ان يقرأ على نوره فخاف صموئيل خوفا شديدا وقال ان الرساله مختومة بختم القائد العام

قال وانا سافض هذا الختم

وعند ذلك فتح الرسالة قبل ان يتمكن صموئيل من اعتراضه وأزلة على مسمع صموئيل مايأتي

عزيزي الجنرال دغوبير

عندما تصل اليك هذه الرسالة سيتم قتل باعدام الرجل الذي الضابط دشين واذا وصل اليك هذا الامر في الليل فلا تنتظر الى الصباح بيشارجي

فلما اتم تلاوتها قال لم اقل لك الحقيقة

٢٠

فخار صموئيل مما سمع وقال له من انت ايها الرجل الذي يعلم الخفايا

قال انى ادعى ببي وانا من الفرنساديين ويهمني امر مونيتو ملك النور اكثر مما يهمك والان فلنتحدث فان الوقت غير متسع

قال ماذا تريد

قال لنفترض انى لم اجدك في طريقى

قال ماذا كان حدث

قال كنت ذهبت توا الى الجنرال داغوبير

ـ هذا اكيد

ـ وكنت اعطيته رسالة القائد العام وانت تحسب انها تتضمن العفو فامر باعدامه بالليل طبقاً للامر

ـ واأسفاه واية فائدة له من الموت فى الليل والنهار فانه مقتول في كل حال

ـ كلا فانه سينجو بعد بضع ساعات

ـ ماذا تقول

ـ اقول الحقيقة ولكن يجب ان لا تدخل الى المدينة اذا كنت تريد مساعدتي على انقاذه فان الجنرال داغوبير اصدر امره بان يذهبوا بك اليه حين وصولك

ـ اذن ساقيم هذه الليلة في احد فنادق الاسوار

ـ كلا أذ يجب ان تساعدني على انقاذ مونيتو

ـ ولكن كيف ترجو ان تنقذه

ـ بحمله على سفينة

ـ العله بات طليقا

ـ كلا فانه لا يزال في السجن ولكنهم سجنوه وحده في غرفة تطل على النهر وقد اذن لي الجنرال بزيارته في سجنه فاعطيته مبردا وحبلا وهو الان يبرد حديد النافذة فيتدلى الى النهر بالحبل ونحن نأخذه الى السفينة

فهز صموئيل راسه وقال ان خطتك بسيطة في الظاهر ولكن يستحيل تنفيذها

ـ لماذا

ـ لان الفرنسويين منذ احتلوا هذه المدينة منعوا سير السفن ليلا في الرين فاذا تجاسرت سفينه على مخالفة هذا الامر اغرقتها مدافع الحصون في الحال

فابتسم بيبى وقال انك منخدع

قال كلاوا سفاه

قال ولكن يوجد سفينة تمر كل ليلة تحت مدفع الحصون دون ان يعترضها احد

قال هو ما تقول ولكن هذه السفينة للكونتس اورور زوجة الجنرال داغوبير

ـ ونحن سننقذ مونيتو بهذه السفينة

ـ اني لا افهم ما تقول

ـ ذلك لانك لا تعلم ان امرأة الجنرال مهتمة بمونيتو

ـ دون شك ولكنها لا تستطع اكراه زوجها على تهريب الاسير

ـ ان زوجها لا يعلم شيئاً مما تصنع

ـ ولكن امرأته لا ترتكب هذه الخيانة

ـ وهي ايضا لا تعلم

قال اذن كيف نصنع

فكشف بيبي ساعته وقال ليس لدي وقت للايضاح وساخبرك بكل شيء حين نغدو بالسفينة

قال ايجب ان اذهب معك

قال دون شك

قال ولكن يجب من اجل ذلك ان ادخل الى المدينة

قال كلا ثم اشار بيده الى ضفة النهر اليمنى وقال له ترى هذا المنزل المبني فوق القمة

قال نعم فهو منزل صيفي لا يسكن في الشتاء

قال لا باس فاذهب الى ذلك المنزل وقف على ضفة النهر تحته وسنحضر بالسفينة اليك فتسير معنا

قال في اية ساعة تحضرون

قال بين الساعة الحادية عشرة ومنتصف الليل تحسن السباحة

قال نعم

قال اذن كل امر قد تيسر فاعطني الان رسالة القائد العام فاعطاه اياها وافترقا فذهب صموئيل الى المكان الذي شار اليه وعاد بيبي الى المدينة فذهب توا الى الجنرال دانوبير فقال له داغوبير ارايت هذا النوري المنكود

قال نعم فهو نوري حقيقة ويدعى مونيتو كما تقول

قال ولكنه ليس بملك النور

قال كلا والسفاه

قال ولكني ارجو ان يعفو عنه القائد العام

قال وانا ارجو رجاءك ولكني لا اعتمد على هذا العفو كل الاعتماد ويجب ان نتوقع له الشر فان القائد العام لا رحمة في قلبه

قال اني مشفق كل الاشفاق على ابنته فاذا قدر له ان يموت رجوت امراتي ان تتبنى هذه الفتاة وبمناسبة ذكر امراتي فهل لي احق ما قلته لها من انك تحب النزهة معها في الرين هذه الليلة

قال نعم ايها الجنرال

قال أتنزه بهذا البرد القارص و صحب معك امرأتي

قال نعم

قال ولماذا

قال الم اقل لك في صباح اليوم انى عولت على الاقصار على تنوان

قال ولكن كيف ذلك

قال اصغ الي تعلم انه يوجد في الضفة اليمنى من الرين منزل تقيم فيه امراة عجوز قيل لي انها عرفت تنوان وكريتشن والدة اورور وهي تستطيع ان تفيدنا فوائد كثيرة

قال ولكنك تستطيع ان تذهب اليها غدا في النهار

قال ذلك محال فاني مضطر الى مبارحة كلونيز عند الفجر

قال الى اين تذهب

- الى حيث اقضي مهماتكم

- انك رجل غريب الاطوار يابيبي

قال ربما فلقد كنت من اهل الشر ثم تبت وارعويت فبات اقصى مرادي صنع الخير

- اذن اذهب الى اورور وافعل ما تشاء

- ولكني ارجح ان لا اراك قبل السفر

- كيف ذلك أتسافر دون ان تودعني

- ذلك منوط بما ستقوله لي العجوز

ـ ولكننا سنلاقي

ـ هذا الذي ارجوه واما الآن فاستودعك الله

فصافحه داغوبير مودعا وصعد بيبي الى الكونتس اورور فعادا وبير الى الفنار في خريطة الضفادع الرين فكان يشك فيها دبابس تلون رؤسها بالوان مختلفة بين الاسود والاحمر والازرق

اما بيبي فقد كان يقول في نفسه وهو صاعد الى اورور لقد كذبت على هذا الجنرال الكريم الكذبة تلو الكذبة ولكني لو قلت له الحقيقة لرأى ان من واجبات شرفه ان يراقبني وان ينقل مونيتور من محبسه او يامر باعدامه في الحال ثم صعد الى اورور فلقي معها موبيناً

٢١

لم تكن اورور تريد ان ترفض ملتمسا لبيبي بالنظر لخدماته السابقة وحسن مساعيه غير انها فكرت بما فكر فيه زوجها من ان كان تجاه هذه الرحلة الى الغد فقالت له اظن انك تمزح قبلا ايها الصديق فان رد هذه الليلة شديد

قال كلا فاني لا ارجع عن قصدي بهذه الرحلة

قالت انك تمزح دون شك

ـ كلا ودليل ذلك اني عليك ما قاله الآن لزوجك فاني اقسمت على ان ازيد لكم الثروة المفقودة انما يجب ان تساعديني يا سيدتي

فنظرت اليه بانذهال وقالت له الحق اني لم افهم ما تقول فلا دارة اية علاقة بين سياحتنا الليلة في الرين وبين هذه الثروة المسروقة

ـ لك ثقة بي ياسيدتي الكونتس

ـ ثقتي بك لا حد لها

ـ واذا افسمت لك ان لهذه الرحلة علاقة بمشروعي وانه يجب ان تذهبي معي اتصدقين

ـ اصدق واذهب معك ثم نظرت نظرة حنو الى موينا وقلت له دعني فقط اوصل هذه الفتاة الى غرفتها

ـ وانا التمس منك التماساً اخر وهو ان تذهب هذه الفتاة معنا

ـ ارى ان هذا اللغز قد تعقد وزاد غموضا

ـ لا باس فانتصري ياسيدتي على العلم اني لا اطلب هذه المطالب الا لخدمتك وخدمة اختك

فلم تلح عليه اوروز بالسؤال وقالت له سافعل كل ما تريد ثم قالت لموينا باللغة الالمانية اتريدين ان تتنزهي معي في النهر

ـ انى اذهب معك الى اقصى حدود الارض ياسيدتي لان ثقتي بك عظيمة وستقذفين بي

فاجابتها والارتياد في لهجتها والسفاه انى لا اعرف ان ارجو

فرفع بيبي عينيه الى السماء كانه هو نفسه ايضا لا يرجو ثم قال لاوروز باللغة الفرنساوية تماما لحديثتها ان سموئيل قد سافر منذ اثنتى عشرة ساعة ولو كان يحمل نبأ صالحا لما تاخر الى الان

وبعد ربع ساعة خرج الثلاثة من جديقة نزل داغوبير لي السفينة التى كانت تنتظرهم فتولى بيبي ادارة الملاحين وامرهم ان يديروا بالسفينة

في ذلك المنزل الذي يقيم فيه صموئيل جوب كما تقدم حتى اذا اقتربت السفينة من المنزل وقف بيبي وجعل ينظر

فقالت له اورور ماذا تصنع

قال انظر اذا كان قد اتى الرجل الذي وعدته على اللقاء

ـ من هذا الذي وعدته

ـ هو هذا الذي ترينه ياسيدتي

وقد اشار بيده الى صموئيل جوب الواقف على الضفة وكان القمر متألقا فصاحت اورور صيحة دهش وقالت من ارى صموئيل جوب

فاجابها صموئيل نعم انا هو ياسيدتي

ـ كيف ذلك اعدت من مايانس

ـ نعم

ـ ما هذا الخوف البادي عليك وما وراءك من الاخبار

فقال لها بيبي سنخبرك يا سيدتي متى صرنا في عرض النهر

ثم صعد صموئيل الى السفينة فاشار بيبي اليه اشارة مفادها دعني اتكلم ثم خاطب اورور فقال اني كنت منذ ساعة اتنزه خارج المدينة فلقيت صموئيل عائدا من مايانس

فقاطعته الكونتس قائلة ولكن الا تقول لي ما كان من القائد العام

قال صبرا يا سيدتي فان صموئيل كان يحمل رسالة من القائد العام الى الجنرال داغوبير

ـ وهذه الرسالة

ـ فتحتها لاعتقادي بان زوجك يغفر لي هذه الزلة

ـ ولكن ماذا تتضمن هذه الرسالة

ـ هذه هي ياسيدتي فاقرأيها

فاخذتها اوروبيد تضطرب فقرأتها واصفر وجهها ثم قالت رباه ماذا نصنع

ـ تنقذين مونيتو

ـ ايمكن انقاذه

ـ اذا كنت تريدين

ـ كيف ذلك اتعالني اذا كنت اريد انقاذ هذا المتكود ثم هزت راسها وقالت ولكنك لاتعرف داغوبير حق المعرفان فلا شيء في الوجود يحمله على مخالفة واجباته

ـ اننا لسنا في حاجة الى الجنرال

فاضطربت اوروبيد اضطرابا شديدا وقالت انى اكاد اجن فقل لى كيف ذلك

قال سكني جاشك ياسيدتى واصغي الي

ـ تكلم

قال ان سفينتك معروفة لدى حراس الرين فهي تذهب حيث تشاء دون معارض

قالت دونشك

قال وسنذهب بك الى البر ونبقى في السفينة انا وصموئيل

ـ لماذا

قال سوف ترين ثم دفع السفينة الى جهة السجن حتى اذا وصلت الى النافذة اوقفها ثم وضع اصبعه في فمه وصفر فرات اورور رجلا يتدلى بحبل من النافذة

فصاحت مونيتا صيحة فرح ووضع بيبي اصبعه فوق فمه اشارة الى السكوت وقالت له اورور لاشك انك من النوابغ فقد فهمت كل شيء

قال انى اريد ارجاع ثروتك

قالت كيف ذلك امونيتو .....

قال انه ملك النور

وكان مونيتو قد وصل عند ذلك الى سطح المياه فنقلوه الى السفينة

وعند ذلك قال بيبي لاورور اننا سنذهب بك الان الى البرياسيدتي فقد انقذت ملك النور وهو لا ينسى هذا الجميل

اما مونيتو فانه نظر الى الكونتس نظرة ماؤها الامتنان بينما كانت بنته اكبت على عنقه وقد كاد يغمى عليها من السرور

وبعد ربع ساعة كان مونيتو امنا كل خطر مع بنته فقال له بيبي انى سابرهن لك ان تنوان سرقت ذلك المال الذي اودعته عندك اتعلم ممن سرقته

قال كلا

قال من هذه المرأة التى انت مدين لها بالحياة

٢٢

هذه هي حكاية بيبي التي قصها على بوليت فكان بوليت يسمعها بملء الاصغاء حتى اذا انتهى من قصها قال له بوليت لقد عرفت انك انقذت مونيتو وابنته فالى اين ذهبتم بعد ذلك

قال جرت بنا السفينة في نهر الرين حتى بلغنا ديسلدفورت وهناك قلت لملك النور انك لم تعد في حاجة الي فان هذه المدينة لم يحتلها الفرنسويون بعد ولا نزال المانية فاذهب منها الى همبورغ ومنها الى فيينا

قال هو ذاك ولكنا نرجو ان نلتقي بعد الان

قلت دون شك فقد وعدتك ان ابرهن لك عن سرقة المال

قال اني اشد منك رغبة بالحصول على هذا البرهان فاين نلتقي

قلت كما تريد

قال اذن في فيينا

قلت متى

قال بعد شهر

فنزلنا من السفينة الى المدينة وكان لصموئيل عملاء فيها فقبض من حدهم ما يحتاج اليه مونيتو من المال و بعد ذلك خلا بي مونيتو وقال لي انك اهتممت بامري لاني ملك النور ولانك ترجو ان تبرهن لي ان تتوان سرقت ذلك المال

قلت ثق اني ساقنعك بالبرهان

قال ليس هذا الذي اباحثك عنه فقد تقرر انه متى اقتنعت ارجعت

الميل الى اصحابه ولكنك انقذت حياتي وانا مدين لك وساقي هذا الدين

ولم يزد على ذلك سوى انه سألني عن عنواني فارشدته اليه وافترقنا فذهب مع ابنته في مركبة الى فيينا وعدت مع صموئيل جوب بالسفينة الى كلوبنتز

وكان صموئيل خائفا خوفا شديدا وهو مصيب في خوفه فان داغوبير قد يستاء جدا مما حدث ولكن حدث حادث غير منتظر حال دون استيائه من فرار مونيتو وهو اننا حين وصلنا الى كلوبنتز بعد يومين علمنا ان الحكومة الفرنساوية عرفت ان الجنرال بيشاجي ينوي الخيانة والتسليم الى العدو فاستدعاه وعينت مكانه الجنرال داغوبير للقيادة العامة فبات يحق له العفو عن مونيتو

وقد صرف كل ليلته لارسال الاوامر الى الفرق العسكرة في ضواحي المدينة فلم يكترث بمونيتو ولم يعلم بفراره الا في الصباح

غير ان امراته اعترفت له بكل ما حدث فابتسم وقال لها انك لو لم تتقدموه لتوليت انا انقاذه بالعفو بعد ان صرت مطلق السلطان

ولما قابلته قال لي يجب ان اعاقبك فقد هزأت بي الم تقل لي انك ذاهب للاهتمام بثروة امراتي

قلت لقد قلت الحق فاني انقذت مونيتو فجعلته مدينا لكم بالجميل فان مونيتو هو ملك النور

قال ولكنك قلت لي غير ذلك وكذبت هذه الاكذوبة نفسها على اورور

قلت لا انكر اني كذبت عليك يا جبرائيل عزيز ولكني اضطررت الى الكذب مكرها اذ لو قلت لك الحقيقة لما تيسر لي انقاذ ولما وافقتني على ما فعلت

وقد اقمت عنده تلك الليلة وفي الصباح اخذت منه جوازا وسافرت الى فيينا وبعد ثمانية ايام وردني من ملك النور هذه الرسالة

(ايها الصديق العزيز

وصلت الى فيينا فما انمت فيها ولكني سأوافيك في اليوم الذي اتفقنا عليه وهو يوم ١٧ الجاري فانتظرني في الفندق الذي انت فيه في الساعة الثامنة من المساء

وقد عهدت الى ابني موريتانو ان ينوب عني في اظهار امتناني لك ارجوك قبول هذا التذكار الواصل اليك مع هذه الرسالة

مونيتو)

وكان هذا التذكار علبة صغيرة تحتوي على لآلىء تبلغ قيمتها مائة الف فرنك

فقال له بوليت ماذا صنعت بهذه اللآلىء

قال بيتها فانني منذ توليت مصارعة ثروان انفقت جميع ما كنت قد اقتصدته من المال

ـ اذن لديك الآن مائة الف فرنك

ـ نعم يا بني وهي في بنك فيينا

ـ وهل جاء ملك النور في الموعد المعين

ـ لم يخل بدقيقة وكنت اخبرت الكونت لوسيان دي مازير فحضر ساعة اجتماعنا فبدأ مونيتو الحديث امامه قائلا لا احب الي من رد المال ولكني لاستطيع رده الا بالبرهان على انه مسروق

فحكى له لوسيان عند ذلك حكاية تنوان النورية بجملتها

وكان يتكلم بلهجة تشف عن الصدق اثرت على مونيتو حتى قال له كنت اود ان اصدق ما تقول ياسيدي الكونت

قال كيف ذلك لم تصدقني

ـ كلا

ـ لماذا

ـ لانه لدي وصية البرنسيس هيلانة وهي تعين وريثتها الوحيدة تنوان النورية

ثم اخرج من جيبه تلك الوصية واطلع عليها الكونت لوسيان فقرأها لوسيان وقال له انها مزورة دون شك

قال هذا الذي يجب ان تبرهنوا لي عنه

قال ولكن كيف السبيل الى البرهان

فخطر لي عند ذلك خاطر سريع وقلت له انا ابرهن لك على تزويرها ولكن ليس في هذا المكان

قال اين

ـ قلت في باريس

قال كيف

قلت اني اجمعك بالرجل الذي زورها واريك مكاتيب من البرنسس هيلانة يظهر فيها خطها

قال اذا فعلت ذلك ارجعت لك المال

قالت تستطيع الحضور الى باريس

ـ دون شك

ـ متى

ـ حين تريد

ـ اذن نجعل موعدنا على الالتقاء فيها بعد اسبوعين

ـ ساكون في الموعد المعين

وعند ذلك افترقنا على ان نلتقي في المساء وسوف ترى كم يجب ان نحذر في مقاومتنا هذه المرأة الهائلة

وهنا توقف بيبي هنيهة كي يستريح وقال له بوليت ارجوك ان تجيبني على امر اشكل علي قبل ان تتم حديثك

قال ما هو

قال كيف عرفت ان تتوان اودعت اموالها عند ملك النور

قال هذا الذي كنت اريد ان ارويه لك فاسمع

٢٣

وعاد بيبي الى الحديث فقال كنت مقيما في فينا بفندق يكثر قدوم المسافرين اليه على اختلاف انواعهم

وكنت قد عرفت في هذا الفندق رجلا فرنساويا حسبت في البدء انه من المهاجرين وكنت تقبه بالسفاليه ثم رأيت من عينيه ومن ارتباكه في بعض اجوبته ما جعلني اعتقد انه جاسوس فرنساوي ارسلته ادارة البوليس في بعض الشؤون فجعلت اراقبه كل المراقبة

وقد رايته يذهب الى الميناء حين قدوم كل باخرة فيراقب كل ركابها كانه يبحث عن شخص ينظره

فاتفق في ليلة انه تاخر على المائدة وجعل يكتب مذكرات في دفتر صغير فدنوت منه وتبهته بوضع يدي على كتفه ثم قلت له ايها الصديق لا ارى وجوبا للتكتم بين زميلين

قال ماذا تعني بذلك

فاريته جوازي وقلت له اقرأ

فقرأ الجواز ثم قال لي منذهلا لم افهم ماتريد

فاظهرت العجب وقلت له الم تفهم مرادي

قال كلا

قلت اريد ننا نشتغل بمهنة واحدة في البوليس السري

قال انك مخطيء فما انا من رجال البوليس

قلت بل انك مرسل الى هنا لمراقبة المهاجرين

قال انى اقسم لك اني على غير ما تقول

قلت اذن لماذا ترقب المسافرين عند قدوم كل باخرة

فابتسم الرجل وقال لست بجاسوس ولكني رسول احضر الي فينا

فاظهرت العجب وقلت له الم تفهم مرادي

قال كلا

قلت اريد اننا نشتغل بمهنة واحدة في البوس السري

قال انك مخطيء فما انا من رجال البوليس

قلت بل انك مرسل الى هنا لمراقبة المهاجرين

قال اني اقسم لك اني على غير ما تقول

قلت اذن لماذا تراقب المسافرين عند قدوم كل باخرة

فابتسم الرجل وقال لست بجاسوس ولكني رسول احضر الى فينا مرة كل شهر لاقبض مائة الف فرنك واعود بها الى باريس ثم ابتسم وقال ارجو ان لاتحسب ان ذلك لحساب الحكومة

قلت ولكن لا يوجد في باريس اغنياء يبلغ ايراد ثروتهم مائة الف فرنك في الشهر

قال بل يوجد ودليلي اني احضر كل شهر واقبض هذا الايراد ولكن تنوان صاحبة هذه الثروة ستعاقبني هذه المرة

فدهشت لقوله وقلت تنوان

قال نعم العلك تعرفها

قلت هو ذاك فقد استخدمتني مرة في بعض الشؤون اما هي خليله المحامي د .

قال هي بعينها

قال يظهر انك عارف بكل امر

قلت هو ذاك

قال اني متضايق جدا في هذا الفندق فان فيه كثيرا من النبلاء يدعونني بلقب الشفاليه وانا ادعى اوغستين فالمن وهم يسالونني احيانا عن امور لا اعرف ان اجيب عنها فاتضايق

قلت اتريد ان تشرب معي كاساً من الخمر

قال دون شك فان الشراب يفرج همي

وجعلنا نشرب ونتحدث بملء الصداقة الى ان اخبرني عن تنوان فقال لي انه يحضر في كل شهر فيقبض لها مائة الف فرنك

فغمزت بعيني وقلت ان هذا المال يدفع من خزينة الامبراطور

قال انك مخطىء

قلت بل ان تنوان هذه من البوليس الامبراطوري وانى اعترف لك انى ما اتيت الى هنا الا لاستوثق من ذلك فان تاليان رئيس حكومتنا ارسلني

قال اذن فاعلم ان تأتيان منخدع

قلت ان ذلك يكون من حظ تنوان

قال اسمع فاني محدثك بجلاء

وهنا سكبت له قدحا من الخمر فشربه جرعة واحدة وقال لي اعلم ان تنوان عنية جدا

قلت ان ظواهرها تدل على ذلك في باريس

فابتسم وقال لي ولكنهم مع ذلك لم يقطعوا راسها وهو ما يدلك على

ان امو لها ليست في باريس

اهي هنا

قال نعم

قلت اهي عند الصيا فة

قال كلا بل عند نوري

وعند ذلك حدثني بكل ما ذكرته لك يا بوليت فعلمت منه انه يوجد قبيلة نورية قوية وان لها خزينة عامة وان زعيمها يلقبونه بالملك الى غير ذلك مما ذكرته لك خلال الحديث

وقد قال لي انه يحضر كل شهر مرة فيقيم في فيينا يوما او يومين ثم يعود بالمال الى باريس فقلت له ولكنك تاخرت هذه المرة فاني اراك هنا منذ عهد بعيد

قال ذلك لان مونيتو ليس في فيينا الان

فعلمت ان ملك النور يدعى مونيتو وقلت له اين هو مونيتو

قال لا اعلم فانه كثير الاسفار لانه من تجار الاحجار الكريمة وهو لا يقول لاحد الى اين يسافر ولذلك فاني قد اضطر الى انتظاره ايضا اسبوعا او اسبوعين وقد نفد ما معي من المال

فاسلفته مائة ريال ولازمته ملازمة ظله ثمانية ايام فلم يعد مونيتو

ففي ليله وردتني رسالة من الكونت لوسيان يدعوني فيها الى زيارته فذهبت اليه فاخبرني ان داغوبير قد ارتقى الى رتبة جنرال في

الجيش وهو يخدم في فيلق الجنرال بيشاروجي

وكانت علائم السرور بادية عليه فقلت له ماذا سرك ذلك يا سيدي الكونت الست من اعداء الجمهورية فكيف تسرك خدمة داغوبير مع هذا الجنرال

قال ساخبرك غدا بسر ذلك فانه الهم من اسرار الحكومة

فتركته وعدت الى الفندق فوجدته يذاهب للرحيل فقلت له ماذا تصنع

قال اني مسافر فان موكيتو قد عاد

قلت متى

قال هذه الليلة فقبضت المائة الف فرنك وهذه المائة ريال التي استلفتها منك فاذا كنت محتاجا الى المال اسلفتك

قال كلا ولكني محتاج الى غير ذلك

قال ماذا

قلت لا استطيع ان اتصور نوريا يكون من اصحاب الملايين واحب ان اري هذا الرجل الذي يلقبونه بملك النور

قال ان الامر سهل ميسور

قلت كيف ذلك

قال انه يقيم في شارع قريب من هذا الفندق يدعى شارع سانت اليزابيت ونمرة منزله ٨ فاذهب اليه غدا

قلت باية حجة اتذرع

قال بحجة شراء الملابس فانه اشهر بجاره

وشكرته وفترقنا فلم ننم تلك الليله وفي الصباح [illegible] عائدا الى باريس وصبرت الى ساعة فذهبت الى منزل مونيتو وقرعت بابه

٢٤

وقد استراح بيبي هنيهة وعاد الى الحديث فقال وفي الصباح ذهبت الى منزل مونيتو كما قلت لك وطرقت الباب ففتحت نافذة وظهر منها عجوز فقالت لي ماذا تريد

قلت اريد ان ارى مونيتو

ـ انه مسافر

ـ كلا فقد علمت يقينا انه عاد امس من السفر

ـ هو ما تقول ولكنه سافر عند الفجر

ـ احق ما تقولين

ـ هي الحقيقة بعينها وشاهدي على ذلك انه صحب معه بنته

ـ ولكن الى اين ذهب

ـ لا ادري فانه لا يقول عادة الى اين يسافر

ثم اقفلت النافذة وانصرفت وقد علمت ان له بنتا وقلت في نفسي سارجع في المساء فربما يكون قد عاد

ولكني اقمت اسبوعا وانا اقرع باب مونيتو كل يوم فتجيبني العجوز انه لم يعد بعد

وفي اليوم الثامن ذهبت الى الكونت لوسيان فحدثني عن الجنرال بيشاروجي وقال اتعلم لماذا سررت ان يكون دغوبير جنرالا في فيلق بيشاروجي

قلت كلا

قال ذلك ان بيشاروجي عازم على خيانة الجمهورية وتسليم جيشه بمهماته الى الملكيين ونحن نتفاوض الان في هذا الشان

قلت احق ما تقول

ـ نعم وقد ارسلنا اليه رجلا يثق به الامبراطور ثقة شديدة

ـ ومن هو هذا الرجل

ـ هو اغني تجار الالماس في المانيا

فارتعشت وقلت له اسافر هذا الرجل خصيصا لمقابلة بيشاروجي

ـ انه سافر منذ ثمانية ايام

ـ وهو يدعى مونيتو اليس كذلك

ـ كيف عرفت ذلك

ـ لا يهم ذلك ولكن قل لي الا يدعى مونيتو

ـ نعم

ـ اذن قل للكونتس دي مازير اذا ارادت ان تكتب الى اختها ورور فاني اتعهد بايصال كتابها

ـ تسافر

نعم فاني اريد اللحاق بجيش بيشاروجي

ـ لماذا

ـ اني ذاهب للبحث عن ثروتكم التي سرقتها تنوان

ثم برحت فينا في الليلة نفسها وانت تعلم البقية يابوليت

فقال له بوليت كلا اني لا اعلم شيئا

قال لقد اصبت فاني لم اخبرك بعد كيف اني بعد ما تركت مونيتو وعاهدته على الالتقاء في باريس لقيته في الليلة نفسها

قال هذا ما تتوق الى معرفته

قال انه في تلك الليلة جاءني مونيتو وقال ان ذلك الرجل الذي ياتي كل شهر لقبض نقود تنوان قد جاءني حسب العادة

قلت وهل دفعت له

قال كلا فقد بدأت الان اثق بصدق ما قلته لي

قلت لقد اخطأت فان ذلك يولد الظنون في قلب تنوان

قال أن ذلك قد حدث فاني حين امتنعت عن الدفع قال لي انك لقيت رجلا يدعى بيبي وهو رجل شقي سرق تنوان واتفق لك عنها احاديث لا حقيقة لها

قلت وهل صدقت ما قال

قال كلا ولكني علمت انه اخبر تنوان بما جرى بينك وبينه

قلت ان تنوان واقفة الان في موقف الحذر ولكني لا ابالي بحذرها وساقدم لك البرهان

قال ومتى قدمت لي البرهان تناول المال ثم ابرقت عيناه وقال لي انك

لا تعرفني ايها الصديق حق العرفان ولا تعرف القوم الذين يلقبونني ملاكهم ان النور يشبهون بني اسرائيل فهم متفرقون في كل مكان من نحاء الارض ولكنهم ان كانوا فهم الكل للواحد والواحد للكل وانني في هذه المدينة رجل عادي ادعى من التجار ولكني فيما وراء هذه الجبال اي في بلاد الوديان التي يقيم فيها البوهيميون اكون ملكا من اصحاب التيجان تنحني الرؤوس لارادتي وتنفذ اوامري كما اريد

اما تنوان وهي اختنا بالجنس فاذا كانت غير جديرة بالانتماء الى عائلتنا الكبرى تعذب دون اشفاق ويكون عقابها شديدا دون رحمة فلا نطيق ان يكون بيننا لصوص

والآن استودعك الله وسنلتقي في باريس بعد خمسة عشر يوما

هذا ما اخبرك به يا بوليت وقد استوفيت معك الحديث فيما اظن

قال بقي امر لم اعلمه وهو اننا لقينا مونيتو منذ ساعة في هذه الحديقة ومررنا بقربه ذهابا وايابا ورايته ينظر الينا ولكنه كان يرمقنا دون اكتراث فهل لم يعرفنا

قال انه عرفني دون شك ولكني متفق واياه على هذا التجاهل

- وهل عرفت تنوان بقدوم ملك النور

- دون شك

- من اخبرها

- هو نفسه

ـ وهو سيذهب الى منزلها للعشاء هذه الليلة

ـ اني واثق كل الثقة

ـ اذن فهي ستبرهن له على صدق اقوالها السابقة

ـ لتقل له ما تشاء فانا لدي براهيني ايضا والان فقد علمت بكل شيء يا بني وبقي عليك ان تخدمني بل تخدم اورور

ـ اني اسفك دمي في سبيل خدمتها

ـ اذن ستفعل كل ما اوصيك به

ـ دون شك فماذا تريد ان اصنع

ـ اريد ان تذهب الى تنوان وتحتال على ان تتعشى معها ومع ملك النور

ـ وبعد ذلك

ـ وبعد ذلك تعود الي وتخبرني بما جرى بينهما

ـ ونيشات

ـ يجب ان تراقبها بكل خاص فانها مفطورة على الشر اري ان تنوان لم تصحبها الا لتستخدمها في اغواء مونيتو

ـ هذا لاريب فيه وانا اريد ان استخدمك لاغوائها

ـ اغواء من

ـ نيشات فاني اريد ان تهيم بك

فلما بوليت اذنه وقال اني حين عرفت ان نيشات هي نفس البومة سقطت منزلتها عندي

ـ تريد انك لم تعد تحبها

ـ هو ذاك

ولكني اريد ان تحبها الآن حبا باورور فاذهب يا بني وعد الي حين تنصرف من منزل تنوان فاني انتظرك

وعند ذلك افترقا فقال بيبي في نفسه بقي شيء لم اخبر به بوليت وهو ان تلك الوصيه المزورة التي ازدعتها انوان عند مونيتو قد تكون من صنع الشفاليه دى مازير والد اورور ثم استرسل الى التصور وتاه في مهامه التفكير

٣٥

ولنعد الآن الى تنوان ونيشات بائعة الازهار اى البومة التي شغلنا عن ذكرها بحكاية بيبي الطويلة

ويذكر القراء ان تنوان صعدت بها الى مركبتها عند باب الحديقة والناس ينظرون اليها منذهلين مما يرون وتنوان تنظر اليها بكل السرور فانها منذ قتلت الكونتس دى مازير وسرقت ثروتها لم تكن تفتكر الا بايجاد وصيفة شريرة تكون عندها كما كانت هي عند الكونتس وتكون فاسدة الاخلاق شديدة البغض والحب طماعة متناهية في الميل الى الشر ذكية الفؤاد فتفتخر بها وتقول هوذا تلميذتي

وقد بحثت بحثا طويلا فلم تجد ضالتها المنشودة حتى نظرت نيشات فحكمت لاول وهلة انها هي التي تبحث عنها لا سيما وانها كانت حسناء

وكانت تنوان منذ ساعة قلقة مضطربه فان ملك النور كتب اليها يخبرها

بقدومه فقالت في نفسها ماذا عساه يصنع في باريس ولماذا اخبرني بقدومه لا شك ان امرا جليلا دعاه الى القدوم وقد هاجت منها الوساوس وسمعت صوت العاصفة من بعيد

ولكنها حين ظفرت بالبومة هدأ روعها فاطمأنت وقالت في نفسها ان امرأتين اذا اتفقتا لا تخافان مكروها ولا يغلبهما احد

وكانت تنوان قد هجرت منزلها القديم في الضواحي بعد استتباب الامن وعادت الى باريس فاقامت في منزل فسيح تحدق به حديقة كبرى وكان عشيقها المحامي يزورها فيه وقد زادته صيحة تاليان نفوذا على ما كان له من النفوذ في عهد روبسبير

وقد جعلتا تتحادثان على الطريق فقالت لها البومة اذن تريدين ان احمل هذا الرجل على حبي

قالت هو ذاك ايتها الحسناء

ـ اتعطيني كثيرا من المال

ـ ذلك منوط بمقدار ما نوحين الى قلبه من الحب

ـ اذن ساجعله من الهائمين

فعانقتها تنوان بحنو وقالت لها بورك فيك يا ابنتي فساحبك خير حب

قالت ولكنني من اهل الفضول

ـ سلي ما تشائين

ـ كيف انك تدعين هذا الرجل الى العشاء معك ثم تختبئين في الحديقة

ان تكلميه وتحاولين ان لا يراك

- اني موضحة لك الامر بالايجاز يا ابنتي فاعلمي انه وردني في هذا الصباح كتاب من هذا الرجل يخبرني فيه عن قدومه الى باريس فاجبته اني ادعوه الى العشاء عندي وما احببت ان اشغل نفسي معه في الحديقة لاني محتاجة الى محادثتك قبل ذلك وساحدثك مليا حين وصولي الى المنزل

فسكتت البومة وسارت بهما المركبة حتى وصلت الى المنزل فاستقبلها الخدم بالاجلال والاحترام واخذت تنوان بيد البومة وقالت لها تعالي اوصلك الى القسم المعد لسكنك في هذا القصر

فدهشت البومة مما رأت وسمعت وقالت أنا لي قسم خاص في قصرك

قالت نعم يا ابنتي وهو معد لك منذ خمسة عشر يوما

فحسبت البومة ان تنوان تهزأ بها غير انها كانت تقول الحقيقة فانها علمت منذ اسبوعين بعزم موتيتو على القدوم الى باريس فجعلت تبحث منذ ذلك العهد عن امراة حسناء تستخدمها لاغوائه فاعدت القفص قبل ان تجد العصفور

وسارت بها من قاعة الى قاعة حتى ادخلتها الى قاعة فسيحة وقالت لها هذه القاعة وما يحيط بها من الغرف لاقامتك

ثم قرعت جرسا فدخلت وصيفتان جميلتان فقالت لهما تنوان مشيرة الى البومة هذه هي سيدتكما وعند ذلك قبلت جبين البومة وقالت لها

انهما ستستريحان شعرك وتلبسانك حتى اذا فرغت من لباسك تامين الي ثم يركتها بين الوصيفتين وانصرفت

فوقفت البومة امام مرآة تنظر الى وجهها نظرة الخيلاء وتقول في نفسها لقد كان قلبي يحدثني اني سابلغ هذا المبلغ واني ساغدو من اهل الثروة وما كانت لتخطىء احاديث القلوب

وبعد ساعة اتمت لباسها فامرت احدى وصيفتيها ان تذهب بها الى تنوان

٣٦

فلما راتها تنوان دهشت لاستحالتها فان البومة كانت باريسية وقد اشتهرت نساء باريس بحسن الذوق في اختيار الملابس والتأنق بها فقالت لها لقد اصبت باختيارك فانت هي الضالة التي كنت انشدها

ثم اجلستها بجانبها وقالت لها لقد تبينتك الان ولم اعد اكتم عنك شيئا من اسراري فيجب علينا ان نحب كل منا الاخرى فانا نعرف ان نبغض

قالت لقد اصبت يا سيدتي

قالت الا تزالين تكرهين الاختين

فاتقدت عينا البومة ببارق من الحقد وقالت كل الكره غير ان كرهي قد تغير

ـ كيف ذلك

ـ اني حين كنت أدعي البومة كنت اكرهما لجمالهما

ـ والان

ـ اني اكرههما لانهما اصبحتا سيدتين عظيمتين لان المملكة لا بد ان تعود ومتى عادت نصبح نحن بنات الشعب ذليلات امامهن

ـ ولكن الملكية لم تعد بعد

ـ غير انها قد تعود

ـ ربما

وعند ذلك نري حنة واورور تركبان المركبات المذهبة وعليها اشارات الاشراف

ـ هو ذلك فان الملك قد يعود وتعود معه حنة واورور ولكن ينقصهما امر واحد

ـ ما هو

ـ المال فانهما فقيرتان بفضلي

ـ كيف ذلك انت اضعت ثروتهما

ـ كلا بل اني سرقتها اما ترينني غنية

انك مشهورة بثروتك

ـ وهذه الثروة للاختين ولكن هذه الثروة التي سامنحك نصفها بعد

ـ يحاولون استرجاعها مني

ـ من هذا الذي يريد سلبها منك

ـ قوم يحاولون تجريدي منها وارجاعها الى اصحابها

ـ ولكني الان معك ولا ينزعونها منك قبل انتزاع روحي

وكان الغ اتذكرين يا ابنتي ذلك الرجل الذى كان يقيم بجوارك حين كنت في
سلة واسمه بيبي
ـ اذكر هذا الشقي ولا انساه فقد خدعني كما شاء
ـ اتكرهينه ايضا
ـ كما اكره الاختين
ـ اذن فاعلمي انه هو الذى يريد سلب المال مني
وعند ذلك اخبرتها انها بعد ان سرقت المال من الكونتس دي مازير
اودعته عند ملك النور
فقال لها اهو هذا الرجل الذي يتعشى عندك الليلة
ـ هو بعينه
وهو الرجل الذي تريدين ان يهيم بي
ـ نعم فهل فهمت
ـ فهمت ولم افهم
ـ كيف ذلك
ـ ان هذا الرجل اذا كان يتعشى في منزلك فهو من اصدقائك ولا
فائدة له من تسليم المال الى سواك
ـ لقد اخطأت يا ابنتي فليس جميع النور خداعين منافقين مثلي ولا
سيما مونيتو فهو من الاشراف
ـ الم يكن عالما حين اودعت عنده مالك ان المال مسروق
ـ كلا

ـ اذن كيف اثبت له حصولك على هذا المال الكثير

ـ بوصية اطلعته عليها من اميرة المانية تعود اموالها بالارث الى الاختين وقد تخلت لي بهذه الوصية عن اموالها

ـ اذن ان المال لك

ـ كلا

ـ لماذا

ـ لان الوصية مزورة وقد آلى بيبي على نفسه ان يكشف هذا التزوير

ـ واذا نجح

ـ يرد مونيتو المال الى اصحابه

ـ ولكن مونيتو اذا احبني اعبث بعقله كما اريد واجعله يعتقد الخطاء صوابا

هو ذاك غير اني لا اعلم كيف يستطيع بيبي اثبات تزوير الوصية فان الذي زوروها قد مات

ـ وهل خط الاميرة مقلد اتم التقليد

ـ ان الاميرة ماتت ولا يجدون كتابا من خطها الا اذا بحثوا في خزائني

ـ الديك رسائل من خطها

ـ بعض رسائل

ـ يجب احراقها

ـ هذا الذي عولت عليه ولكن يجب قبل كل شيء ان يثق مونيتو ان بيبي من المفسدين

ـ ولكن كيف عرفت ياسيدتي مقاصد هذا الرجل

ـ اني ارسل كل شهر الى فينيا رجل لي به ثقة فيذهب الى مونيتو ويقبض لي منه مائة الف فرنك فمنذ ثلاثة اشهر تعرف هذا الرجل ببيبي واطلعه على كل شيء مما يعلمه من امري، فجعل بيبي منذ ذلك العهد يبحث عن ملك النور وقد لقيه دون شك فهم اعلم ما جرى بينهما ولكني عندما ارسلت الرجل لقبض المال اخيرا حسب العادة ابى مونيتو ان يدفع وبعد بضعة ايام وردتني رسالة من ملك النور

ـ وماذا كتب لك

انهم يؤكدون له ان المال الذي اودعته عنده مسروق وانه لم يصدق هذه الوشاية ولكنه لا يستطيع الدفع قبل الايضاح ثم اخبرني انه قادم لزيارتي في باريس

ومثل هذا الكتاب يرد منه بعد تاخره عن الدفع يحمل على القلق وما انا من اهل الشباب والجمال ولذلك جعلت ابحث بغية ايجاد فتاة مثلك يتمكن من اغواء هذا الرجل وافساد خطة بيبي

فابتسمت نيشات ابتسامة فتاة واثقة من الفوز وقالت انا لهذه المهمة

فقبلتها تنوان وقالت لها انك لا تدافعين بذلك عن اموالي ايتها الحبيبة بل عن اموالنا

وعند ذلك سمعتا قرع جرس الباب الخارجي فقالت تنوان هوذا مونيتو قد حضر

فنهضت نيشات وهي تبسم وقد برقت عيناها تاهبا للقتال فقالت لها تنوان ان القادم قد لا يكون مونيتو

قالت من عساه يكون

قالت رجل جميل علقت بحبه وهو يكلفني عشرة الاف فرنك في الشهر ثم ابتسمت وقالت اني لست حسناء مثلك فلا بد لي من شراء الغرام بالمال ولكن وقتي لا يتسع الليلة للغرام

ثم نهضت كي تستقبل خليلها المحامي وتصرفه على الفور

ولم تكن تنوان مخطئة فان القادم كان المحامي وقد دخل فعلم لاول وهلة ان المنزل على غير حالته العادية فقال في نفسه لا شك ان تنون قد دعت بعض الندماء الى العشاء بغية ارضائي

ثم دخل الى القاعة التي كانت تنتظره فيها فحياها وقال لها اراى ايتها الحبيبة ملامح الاهتمام على خدمك كانهم يتاهبون لحفلة

قالت هو ذاك فقد دعوت بعضهم الى العشاء

- من هم

- ولا فتاة حسناء

فانقدت عينا المحامي وقال ومن غيرها

- رجل المانى من اصدقائي

- ومن غيره

ـ هما الاثنان فقط

ـ اذن سيكون اربعة على المائدة

ـ بل ثلاثة

ـ ماذا تقولين

ـ اقول لك انك لا تكون معنا هذه الليلة ايها الصديق

ـ انك تمزحين دون شك

ـ كلا لا امزح والسبب في ذلك اني اريد ان اظهر امام هذا الرجل بمظاهر الفضيلة فلا احب ان يراك عندي لا تحب ان اكون غنية

ـ ولكن اية علاقة لغناك بما تقولين

فابتسمت تنوان ابتسام احتقار وقالت اني اذا كنت فقيرة لا تحبني هذا الحب فاعذرني اذا لم اقبلك الليلة فان حفظ ثروتي موقوف على غيابك

فرأى المحامي ان الفرصة مناسبة للتظاهر بالغيرة فقال لها ومن يضمن لي انك تقولين الحقيقة

فضحكت تنوان عليه ضحك الساخر وقالت له اذا اردت ان ابقى راضية عنك فاذهب

قال واذا لم اذهب

قالت انك الان لا تخيفني فقد مات روبسبير ومضى زمن القتل فكن لطيفا ايها الصديق واذهب بسلام

قال ولكن قولي لي على الاقل من هو هذا الرجل الذي سيتمسى

عندك

قالت انه نوري من اصحاب الملايين

قال وهذه المرأة التي تقولين انها حسناء

قالت انها فتاة تبنيتها ايكفيك هذا الايضاح . فاذهب الليلة وعد غدا ايها الحبيب فان الضرورة قضت الليلة بهذا الفراق

ثم مدت اليه يدها فقبلها وانصرف دون ان يفوه بحرف فابتسمت تنوان وقالت بعد انصرافه انه لم يأسف الا على العشاء

وعادت الى حيث كانت نيشات فلم تطل امامهما حتى دخل خادم وانبأ بقدوم مونيتو وبعد هنيهة دخل مونيتو وظهر عليه كانه قد ارتعش لمرأى الفتاة فقال تنوان باللغة البوهيمية من هذه المرأة

قالت انها فتاة تبنيتها

فتظاهر مونيتو انه ارتضى من هذا الجواب وقال لها لتتحدث الان بما اتيت لاجله

قالت تكلم

قال انك متهمة بالسرقة ولكني لم اصدق هذه الوشاية

فلم تظهر تنوان اكتراثا لهذه التهمة وقالت اليس الذي يتهمني رجل من عمال البوليس يدعى بيبي

قال نعم

قالت انه رجل سافل وقد انقذتني من الاعدام

قال ربما

قالت وعلى اي شيء يعتمد باتهامي

قال يدعي ان وصية البرنسيس هيلانة مزورة

قالت وكيف يبرهن عن صحة دعواه

قال لا اعلم

قالت لعل هذا الرجل في باريس

قال لا اعلم ايضا

قالت وانت الملك اتيت الى باريس للحصول على هذا البرهان

قال دون شك ولكنك تعلمين ان اشغالي كثيرة واني لا استطيع ان اقيم هنا اكثر من اسبوعين

قالت وبعد ذلك

قال اعود الى بلادي فاذا لم يستطع ان يبرهن لي عن تزوير الوصية عند انتهاء الاسبوعين اعتبر اني لم اعلم شيئا

قالت انك عاقل حكيم وسيتبين لك كذب هذا الاثيم فهلم بنا الان الى المائدة

ولم تكن نيشات قد فهمت حرفا من حديثهما ولكنها ادركت مغزى المحادثة من اشاراتهما وقالت في نفسها اري ان هذا الرجل وديع يسهل اغواؤه ثم نظرت الى يده فرأت في اصبعه خاتما من الماس يتوهج كالنجم

فقالت لقد قالت تنوان الحق عن هذا الرجل فهو من كبار الاغنياء وساغدو بعد شهر غنية ويكون لي مركبة ايضا كمركبة تنوان

وعند ذلك دخل خادم وقال ان المائدة معدة فقالت تنوان لمونيتو هلم بنا وقدم يدك لابنتي

فامتثل مونيتو وخيل للبومة ان يده تزنجف ثم جلسوا جميعهم على المائدة فكان مونيتو ينظر الى البومة نظرات اعجاب

٢٨

وانعد الان الى بوليت فان بيبي كان قد قال له كما يذكر القراء ان يحتال فيتعشى مع تنوان ويعود اليه فيخبره بما سمعه ورآه

وكان جميع الخدم في منزل تنوان يعرفون بوليت ويحترمونه حتى ان المحامي نفسه كان يحبه فلما وصل الى باب المنزل كان المحامي خارجا منه فحيا كل منهما الاخر ثم نظر المحامي الى ما حوله وقال لبوليت نحن وحدنا

قال نعم فاني لا ارى احدا

قال اني اريد ان اخبرك بامر لا احب ان يسمعه احد

قال وانا مصغ اليك الست بذاهب الى تنوان

قال اني قادم من عندها

قال كيف ذلك الا تتعشي في منزلها

قال كلا

قال يظهر انك مستاء

قال هو ذاك

قال العلك اختصمت معها

فحدق المحامي ببوليت وقال له وانت العلك ذاهب اليها للعشاء

قال نعم

قال اذن اشير عليك بالرجوع من حيث اتيت

قال لماذا

قال لانها ستصورك كما صورتني فان لديها مدعوين غيرنا

قال ومن هم هؤلاء السعداء

قال فتاة حسناء ورجل لا اعرفه وهي لا تريد ان يراني واراه

فهل انت من اهل الكتمان يا بوليت

قال اني مشهور بكتمان الاسرار عند الاقتضاء

قال اذن سأقترح عليك اقتراحا

قال ما هو

قال انت تعلم ان لي غرفة خاصة في هذا المنزل

قال دون شك

قال وهذه الغرفة تشرف على غرفة للزينة

قال وغرفة الزينة تشرف على قاعة الطعام

قال هو ذلك فلنفترض انك دخلت من غرفتي الى غرفة الزينة

قال اذن اضع كرسيا تحت النافذة فاشرف منها على قاعة الطعام

قال هذا الذي كنت اريد ان اقوله

قال ثم اعود اليك غدا فاخبرك بما جرى

قال انك من الاذكياء يا بوليت

قال ولكن اقتراحك يا سيدي لا يمكن تنفيذه

قال لماذا

قال لاني ساقرع الباب فيطلقون سراحي كما اطلقوا سراحك

قال ذلك اذا دخلت من الباب العمومي ولكنك تستطيع الدخول من باب الحديقة

قال كيف ذلك

قال بهذا المفتاح الذي اعطيك اياه

ثم اعطاه مفتاح الحديقة وقال له يجب ان تحتال كي لا يراك احد

قال اطمئن يا سيدي فاني اعرف جميع مداخل المنزل ومخارجه

قال وغدا تعود لي عند الفجر فترجع لي المفتاح وتخبرني بما حدث

وعند ذلك افترقا فقال بولبت بنفسه ان هذا السافل لا يغار على تنون ولكنه يخشى ان تستبدله بسواه وهو يعيش من انعامها

وعند ذلك سار بالمفتاح الى باب الحديقة ففتحه وانسل من الحديقة الى غرفة المحامي وهو يقول في نفسه اني اتجسس الان لحساب تنين ولكن المحامي لا يعرف الا ما اريد ان يعرفه

ثم دخل من الغرفة غرفة الزينة فوضع كرسيا تحت النافذة وصعد فراى مونيتو ونيشات وتنون جالسين حول المائدة

وكان النوري احمر الوجه متقد العينين كانما السكر قد تمكن منه وهو ينظر الى نيشات نظرات غرام فنظر بولبت الى نيشات فلم يكد يعرفها فعرف ما اكتسبته من الجمال بانقها

وقد سمع مونيتو يقول لتنون ان ابنتك بديعة بجمالها وانا ارمل

فاريد ان اتزوجها

فاجابته تنوان انك تهزأ بنا دون شك

قال كلا وسامنحها خير الجواهر مما لا يوجد عند الملكات

ثم شرب كاس خمر فقالت له تنوان انها ليست ابنتي ولكني تبنيتها

قال اني اعلم

قالت وفوق ذلك فان ابني كان يمنعك لا يتزوج ابنة امرأة سارقة

فضحك مونيتو ضحكا عاليا وقال ان بيبي يقول هذا القول

قالت وانت اتصدقه

قال كلا ثم اخرج من جيبه محفظة وافرغ ما فيها من الاوراق المالية على المائدة

فقال بوليت في نفسه وقد رأى مونيتو ينظر نظرات هيام الى البومة ويبتسم لتنوان اذا لم يكن ذلك منه نشأة نشوان فقد خابت امال بيبي

٣٩

ولقد اصاب بوليت بظنه فان ظواهر مونيتو كانت تدل على انه لا يكترث اقل اكتراث لتهمة بيبي وانه يعتبر تنوان من فضليات النساء

غير ان بوليت لم يستطع ان يرى بقية ماجري فقد سمع وقع اقدام في الغرفة التي كان فيها فارتعش وانصب العرق من جبينه والتفت فرأى امرأة داخلت وقد دنت منه وقالت له بصوت منخفض لطيف ماذا تصنع هنا يابوليت لقد قبضت عليك متلبسا بالجريمة

فعرفها بوليت من صوتها انها وصيفه تنوان فاطمأن ووضع اصبعه على فمه فقال لها اسكتي

وكانت هذه الوصيفة فتاة حسناء تدعى بولينا وقد دخلت حديثاً في خدمة تنوان وكانت محتوية على جميع عيوب زميلاتها فهي كتومة لا تبيع سرار سيدتها الا بالثمن وكانت قد احبت بوليت لكثرة تردده الى المنزل وتظاهره بحبها

فنزل بوليت عن الكرسي وقال لها وانت ماذا تصنعين هنا

ـ اني اصنع مهنتي وهي الاصغاء من وراء الابواب والمراقبة من ثقوب الاقفال ولكني رايت هذه الغرفة افضل للتجسس

ـ اذن نراقب منها معاً

ـ الا تعلم مدام تنوان انك هنا

ـ كلا

ـ ولكن كيف دخلت الى المنزل

ـ من الحديقة

ـ الديك مفتاح خاص

ـ كلا ولكن الحامي اعطاني مفتاحه

ـ اذن انت تتجسس لحسابه

ـ هو ذاك

ـ وانا ايضا

ـ اذن اصعدي على كرسي ولننظر ما يجرى

وكان مونيتو يعد عند ذلك الاوراق المالية فعد ما قيمته مائة الف فرنك فاخذت تنوان المال وذهبت به الى غرفة مجاورة كي تضعه في صندوق خاص بحيث بات مونيتو مختليا مع نيشات فجعل ينظر اليها بعينين تتقدان غراما واخذ يدها بين يديه فشد عليها برفق وحنو وقال لها تحبينني قليلا

فابتسمت نيشات ابتساما دل على كثير من الوعود وهمس بوليت باذن بولينا قائلا اني لا افهم شيئا من هذه الرواية

قالت ولا انا ايضا اتعرف هذه الفتاة

ـ كلا

ـ ان مدام تنوان جاءت بها هذه الليلة وكانت ملابسها تدل على الفقر فامرتنا ان نلبسها هذه الملابس الثمينة التي تراها

ـ ولكنها حسناء

ـ اني لا اراها ممتازة بجمال نادر

وعند ذلك عادت تنوان فقالت لمونيتو ماذا ـارى العلك بت من الهائمين

قال هو ذاك

ـ الا تزال عازما على الزواج بابنتي

ـ اذا امكن تزوجتها الليلة

ـ انك كثير العجلة ايها الصديق وفوق ذلك فان نيشات ليست نورية مثلنا ولا ترضى بالزواج على طريقتنا فتكتفي

بكسر ابرين

ـ ليكن ولكنك لاتصرفيني هذه الساعة

ـ بل اصرفك فنحن الان في الساعة الثانية بعد منتصف الليل

ـ لي اين تريدين ان اذهب

ـ الى الفندق الذي اقمت فيه

ـ لقد اصبت فقد نسيت اني اقمت في فندق

ـ ذلك ان الغرام اضل صوابك

ـ هو ما تقولين ولكني اعود اليك، اليس كذلك

ـ لك ان تعود متى تشاء

فقام مونيتو عند ذلك فأهدى يد نيشات وقال لها انك اذا احببتني البستك من الجواهر ما لا تلبسه الملكات

قالت وانا اريد ان اكون ملكة

قال ستصبحين ملكة لاني من الملوك

فقال بوليت في نفسه يظهر ان الشراب قد غلب على امره ثم التفت الى بولينا وقال لها والان يجب ان تذهبي

قالت لماذا

ـ لانك سمعت ورايت كثيرا من الامور

ـ وانت

ـ ابقى لاني اريد ان اعرف امورا اخرى

ـ ولماذا لا اعرفها انا ايضا

فقال لها بلهجة السيادة كلا لا يجب ان تعرفيها

قالت واذا اخبرت تنوان انك كنت تراها من هذه النافذة

ـ اقول لها انا ايضا انك كنت معي فتطردك

ـ وتطردك انت ايضا

ـ ولكني انا صديق المحامي خليلها

ثم خطر لبوليت ان هذه الوصيفة لا تفهم كلة مما يتحدث به مونيتو وتنوان فقال في نفسه خير لي ان اكون على سلام مع هذه الفتاة فقد تكون لنا عونا على ما نحن شارعون به فاخذ يلاطف معها فقال لها انى لا امنعك عن ان تسمعي وتري فنحن في هذا السر شريكان ولكن يجب ان تعينيني الى النهاية

قالت اني واياك على اتم الاتفاق فقل ماذا تريد ان اصنع

قال اريد ان تذهبي بي الى غرفتك فاختبيء بها

قالت الى الغد

قال كلا بل الى ان ينام الجميع

قالت وبعد ذلك

قال تفتحين لي باب الشارع فاخرج منه

وكانت تنوان تحادث مونيتو بتلك اللغة النوبية التي لا يفهمها بويت ولكنه كان يرى علائم الاطمئنان ترتسم على وجه تنوان فيقول في نفسه ان هذه الحلة الرقطاء قد تغلبت عليه بدهائها وهو هائم بالبومة هياما غلبه على امره وانساه مواجب الشرف فاذا كان بيبي يعتمد عليه في ارجاع

الثروة فقد خابت مانيه

ثم ان مونيتو مد يده الى نيشات بعد فراغه من محادثة تنوان وقال لها الى اللقاء غدا

فابتسمت له نيشات افضل ابتسام حتى انه حاول ان يعانقها لسكره ولكن تنوان اسرعت الى قرع جرس كان امامها فاقبل خادم فقالت له ان طريق هذا المولى الى مركبته

فلم يجد مونيتو عند ذلك بدا من الانصراف

ولما خلت تنوان بنيشات قالت لها لقد وقع الطير في الشرك كما ظن

فضحكت نيشات وقالت بل اؤكد

فقبلتها تنوان ثم ضمتها الى صدرها بحنو وقالت لها انك جديرة بي

قالت ساجتهد ان اكون خير تلميذة ولكن لماذا صرفته الليلة

قالت يجب ان يذرب شعوقا اليك خمسة عشر يوما

قالت وبعد ذلك

قالت نسافر معه ونحتفل بزواجك في بوهيميا

٣٠

وكان بوليت وبولينا لا يزالان في موقفهما وتنوان ونيشات لا تزالان تتحادثان

غير ان حديثهما كان قاصرا على بوهيميا فلم يستفد بوليت منه شيئا

ثم قرعت تنوان الجرس فارتعدت بولينا وقالت انها قرعت الجرس ثلاثا اشارة الى انها تناديني

قال اذن ستذهبين

قالت لا بد من ذهابي فانها مزمعة على النوم

قال ولكن متى اراك

قالت ابق هنا وساعود اليك

ثم تركته و نصرفت فبقي بوليت وحده وجعل يفكر فيقول في نفسه ان خطة تنوان ظاهرة وهي انها تريد ان يشغل مونيتو بحب نيشات فينسى انه مدين باحياة لبيبي والكونتس اورو

وقد راى من النافذة ان بولينا دخلت الى تنوان فامرتها ان تذهب مع نيشات الى غرفتها

ثم خرجوا جميعهم من قاعة الطعام فساد الظلام اقام بوليت نحو ساعة دون ان تعود بولينا وهو لا يجسر ان يخرج من الغرفة فان الظلام كان حالكا وقد خشي ان يعثر بالاثاث فيتنبهون له

وما زال على ذلك حتى سمع وقع اقدام خفيفة ثم سمع صوت بولينا تقول له هات يدك واتبعني وسط الظلام وهي تقوده حتى وصلا الى رواق كان مصباح معلقا في قبته فنظر بوليت عند ذلك الى الفتاة وقال لها انام جميع من في القصر

قالت نعم

قال اذن استطيع الان ان انصرف

ـ دون شك ولكن لماذا لا تبقى الى الصباح

ـ لا بد لي من الخروج ولو ربع ساعة

- اتعود

- دون شك

وقد كان بوليت كاذبا بوعده ولكنه قال ما قال ارضاء للوصيفة

فقالت له ولكن الى اين تذهب في هذه الساعة المتاخرة

- لى لمحامى د . فانه ينتظرني

- ان ينتظرك

- في احد بيوت القمار

- اذن اذا كنت عازما على العودة فيجب ان تخرج من باب الحديقة

- كما تريدين

ثم سارت به ففتحت الباب الذي يشرف على الحديقة ونزلت واياه اليها فالتفتت الى اعلا المنزل وقالت ان تنوان قد نامت فان النور قد انطفأ في غرفتها

فقال لها بوليت ولكن ماهذا النور الذي اراه

- انه ينبعث من غرفة الفتاة التى جاءت بها تنوان هذه الليلة

- العلها لم تنم بعد

- انها قامت ولكنها لاتحب النوم بالظلام

فلاحظ بوليت انه يوجد شجرة عالية تصل اغصانها بتلك النافذة التي سمعت منها النور

اما بوليت انها اوصلت بوليت الى باب الحديقة فانصرف بعد ان وعدها ان يعود

وعند ذلك سار عدوا الى الفندق الذي يقيم فيه بيبي فوجده لا يزال ساهرا

وكان بيبي مستاجرا غرفتين في ذلك الفندق احداهما تلو الاخرى فاستقبله بيبي في الغرفة الاولى وقال له ماذ زايت

قال رايت عجباً

ـ اذن ابدأ بالحكاية حسب وقوعها بالترتيب

قال اولا ان تنوان طردت المحامي وهنا اخبره بما جرى بينه وبين المحامي وكيف انه رضي ان يكون جاسوسه

فقال له بيبي ان هذا الرجل سيضايقني فقص علي ما جرى

قال ان نيشات قد استحالت من حال الى حال حتى ان من رآها لا يشكك انها مولودة في قصور الامراء وانها وتنوان على اتم الوفاق والحب

ـ وبعد ذلك

ـ انهما جاستا على المائدة وكان مونيتو بينهما ولكني اخبرك مقدما ان امالنا خابت

ـ هذا الذي اخشاه ثم ابتسم وقال تمم حديثك يابني

ـ ان مونيتو بات هائما بنيشات وقد دفع المال لتنوان

ـ كيف ذلك

ـ انه اعطاها مائه الف فرنك وهو واثق كل الثقة انك واش تمام وان المال مال تنوان فافترض الان امرا

ـ ما هو

ـ ان مونيتو بات في قبضة نيشات

ـ وبعد ذلك

ـ تذهب به خارج باريس

ـ هذ ممكن

ـ وعند ذلك تعبث به كما تشاء وتبلغ منه ما تريد تنوان

فهز بيبي كتفيه وقال اتظن ان مونيتو يحب نيشات

ـ انه هائم بها هيام المجانين

فضحك بيبي ضحكا عالياً وعند ذلك فتح باب الغرفة المقفل وخرج منه رجل فصاح بوليت صيحة دهش لان هذا الرجل كا مونيتو

اما مونيتو فانه ابتسم وقال لبوليت اتظن ايها الفتى اني انا بنيشات

فتلعثم بوليت وقال ولكن .. خيل لي .. اني رايت

قال لقد خدعتك عيناك بل رايت الحقيقة

ثم ضحك وقال لقد بت واثقا الا ن ان تنوان قد سرقت المال الذي اودعته عندي وسوف ترى متى اعطيت البرهان الحقيقي ان هذه الفتاة لاتحول دون رد المال الى اصحابه

ونظر بيبي الى بوليت وقال له اسنا نحن الذين فشلنا الليلة يابني بل الذي فشل تنوان ونيشات

فاستاء بوليت وقال اذن كل ما صنعته الليلة كان دون فائدة وكان بوسعكما الاستغناء عني

قال لقد اخطأت يا بني بل نحن محتاجون اليك الان كل الاحتياج اليس كذلك يا مونيتو

اما ما جرى بين مونيتو وبيبي وبوليت فسيعلمه القراء باتباعهم بوليت فانه بعد ربع ساعة كان عائدا الى منزل تنوان وهو يقول في نفسه من كان يظن اني سأفي بما وعدت به بولينا من العودة هذه الساعة

وبعد هنيهة وصل الى المنزل وكانت بولينا لا تزال تنتظره فعانقها وهو يقول لم اف بوعدي ايتها الحبيبة

فاحمر وجهها وقالت له هلم لنصعد الى الغرفة فان البرد شديد

ـ اين هي الغرفة

ـ انها مجاورة لغرفة تلك الفتاة فاتبعني وخفف الوطء ما استطعت

ـ لماذا تخشين ان تستيقظ تنوان

ـ كلا بل اخشى تلك الفتاة فان النور لا يزال مضيئا في غرفتها

ـ العل غرفتك ملاصقة لغرفتها

ـ لا يفصل بينهما غير باب

ـ من اين يفتح هذا الباب امن غرفتك ام من غرفتها

—من عرفتي

فجعل بوليت عند ذلك يفكر ثم نظر الى بولينا وقال لها فجاة انى احب ان اقول لك الحقيقة في الحال

فنظرت اليه منذهلة وقالت اية حقيقة تعنى

- اتعلمين من هي هذه الفتاة

- لقد قلت لي انها بائعة زهر

- نعم انها بائعة الزهر في حديقة تيفولي وانا مغرم بها

فذعرت بولينا ذعرا شديدا وقالت انت تحبها

- نعم

- اتجسر على الاعتراف امامي ثم تأتي الي

- انى اتيت اليك كي توصليني اليها

- انك دون شك من المجانين

— اصغي الي ايتها الحبيبة ولا تستائي مني بل لنتحدث بتعقل فانك لست اهلة بي كما اظن

- بل اني اكرهك

- ربما واما انا فاني قلبي يتسع لحب امراتين على السواء في حين واحد

- يالهول ما اسمع

- كوني كريمة ايتها الحبيبة وتعلي ما اقوله لك فانك لا تندمين

.. ولكن كيف تستطيع ان تحب هذه الفتاة وقد رايتها منذ ساعة بين

يدي ذلك النوري القبيح

ـ اتجب ان اقول لك كل شيء

ـ قل

ـ اذن فاعلمي اني لا احبها كما قلت لك بل اني ابغضها

ـ احق ما تقول

ـ نعم واني اريد الانتقام منها

ثم جرد خنجرا وقال لبولينا اذا فهت بكلمة تتلك وانك لم تعرفيني حق العرفان فاذا وعدت بامر وفيت به وقد قلت لك انك لا تندمين اذا فعلت ما اريد اما اذا اعترضتني او خنتني قتلتك دون اشفاق

وقد اتقدت عيناه وظهرت دلائل صدق العزيمة بين عينيه فخافت بولينا وقالت له ماذا تريد مني

ـ الطاعة

ـ ساطيع

ـ ثم الكتمان

ـ ساكتم امرك ما حييت

ـ يسرني انك بت عاملة حكيمة فاعلمي الآن اني اريد ان تفتحي هذا الباب

ـ وبعد ذلك

ـ تدخلين الى غرفة نيشات

ـ لماذا الا علم اذا كانت نائمة

- هو ذلك

- ثم اعود اليك فاخبرك

- دون شك

وكانت بولينا ترتجف خوفا من خنجر بوليت وقد قرات صدق عزيمته بين عينيه فلم تجد بدا من الامتثال ففتحت باب الغرفة ودخلت تمشي مشيا خفيفا فوق سجادة تخفي وقع اقدامها وتقدمت من سرير نيشات وهي حابسة انفاسها

ولم تكن نيشات قد نامت بعد فانها كانت كثيرة الاضطراب مما مر بها شديدة الهواجس بملايين ملك النور

فانتبهت لدخول بولينا وقالت لها بلهجة الموءنب ماذا تريدين

فوقفت بولينا وقالت لها اسالك العفو يا سيدتي فقد خيل لي اني سمعت صوتك فقلت في نفسي ربما تكونين محتاجة الى شيء

قالت اشكرك ولست في حاجة الا الى الرقاد

فعادت بولينا على اعقابها ولكن بوليت كان قد وقف على عتبة الباب وسمع الحديث فانسل الى غرفة البومة دون ان تراه وقد وضع صبعه على فمه مشيرا الى بولينا بالسكوت فعادت بولينا الى غرفتها وبقي بوليت في غرفة البومة

وكانت البومة تقول في نفسها لا اراني في حلم فاني مستيقظة ولكني شبه حالم وقد كنت بالامس فقيرة بائسة ازهار فبت اليوم في قصر لا تسكنه اميرة وفتحت امامي ابواب الثروة وسيكون لي مركبة كستوان

ولي الان وصائف تخدمني فما هذه السعادة انها اذا كانت حلما فاود ان لا استفيق مدى الحياة

وقد قالت هذا القول الاخير كانها تكلم نفسها

فسمعت للقور ضحكا يشبه ضحك الساخر فصاحت صيحة رعب وجلست في سريرها فرأت رجلا واقفا عند السرير وهو مشهر بيده الخنجر ويقول لها احذري ان تستغيثي

وقد خاوت نيشات خوفا شديدا وقد هممت ان تقرع الجرس مستغيثة ولكن بوليت هجم عليها فاختطف الجرس وقال لها اذا ردد ان يحقق حلمك فاحذري ان تفوهي بكلمة واعلمي انك اذا استغثت او دخل احد الى هذه الغرفة فانت ميتة لا محالة

ثم وضع الخنجر فوق صدرها اتماما لارهابها

فجمد الدم في عروق نيشات وجعلت تنظر الى بوليت نظرات ملؤها الرعب وتقول في نفسها اني رايت هذا الرجل من قبل وكيف دخل لي وماذا يريد مني

فكانما بوليت قد ادرك معنى ما تقول فقال لها ارى انك لم تعرفيني ولكنك اذا اردت ان تفوزي بملايين النوري فيجب عليك ان تصغي الي

قالت ولكن من انت

قال ساخبرك بشاني ايتها الحسناء

ثم جلس على حافة السرير وابعد الجرس وقال لها لتتحدث الآن

٣٢

لما مضت وسادس الرعب الاولى واطمأنت نيشات بعض الاطمئنان عرفت بوليت وذكرت انها حين كانت تبيع الازهار في حدائق تيفو كان يلاطفها ويؤانسها ويظهر لها من عينيه انه مفتون بها في

ولكنها لم يخط في بالها انه ذلك المتشرد القديم الذي انقذ ورور من الاعدام فانه كان قد تغير تغيرا عظيما حتى بات يستحيل معرفته

وبعد ان سكن جاشها قالت له من انت

قال اني ادعى بوليت

ـ ماذا تريد مني

ـ مباحثتك

ـ ولكن كيف دخلت الى هنا

ـ لا توجد ابواب تحول دون رجل عازم على قتلك اذا حاولت الاستغاثة

ـ والان ماذا تريد

ـ اريد ان ابثك غرامي فتعلمين اني لك من المخلصين

فتنهدت الدومة تنهد الراحة فانها تؤثر غرام دون شك على الخنجر

اما بوليت فانه كان لا يزال مشهرا خنجره فنظر اليها نظرة العاشق المفتون وقال لها اتعلمين انك بديعة الجمال

فعادت الى نيشات سكينتها وقالت له انك لست محتاجا الى خنجر لتقول لي هذه الاقوال

ـ هو ذلك ولكنك لولا هذا الانذار لقرعت الجرس او استغثت بالصياح فاقبلوا انجدتك وطردوني

ـ والان احقيقة انك تحبني

ـ منذ ستة اعوام

ـ انك تكذب دون شك

ـ اتظنين

ـ بل اؤكد فانك ما عرفتني الا منذ ستة اشهر

ـ انك منخدعة

ـ كلا فانك ما عرفتني الا في حديقة تريفولي وما توليت بيع الازهار في هذه الحديقة الا منذ ستة اشهر الملك حسبت الشهر عاما

ـ بل اني اعيد ما قلته لك وهو اني احبك منذ ستة اعوام

ـ ما هذه الجسارة بالكذب

ـ لست كاذبا ايتها الحبيبة فقد احببتك حين كنت تدعين البومة

فاضطربت نيشات اضطرابا شديدا وخرج من صدرها صوت ابح فقال لها بوليت احذري ان تعودي الى مثل هذه الصيحة فان الخنجر لا يزال في يدي

فارتعدت فرائصها وقالت اتعلم اني كنت ادعى البومة

ـ لقد قلت لك

ـ ولكن اين عرفتني

ـ في دكان الغسالة

فاعادت هذه الكلمة امام نيشات ذكرى الماضي ومرت بها جميع تذكارات حداثتها فذكرت تلك الدكان الحقيرة التي كانت تنام فيها وطبق الثياب الذي كانت تذهب به الى اصحابه وملابسها الحقيرة التي لم تكن تقيها الام البرد

ومع كل ذلك فانها حين رأت نفسها امام هذا الفتى الجميل الذي بلغ من جسارته انه عزم على قتلها اذا صدته لم تخجل حين ذكرها بماضيها بل شعرت بعاطفة كبرياء بل باتت متيمة بهذا الفتى الجميل الذي احبها على عرفانه ماضيها وخاطر مخاطرة عظيمة في سبيل الوصول اليها فنظرت اليه نظرة اعربت باتم الجلاء عما خالج فؤادها من شعائر الفرح والامتنان

وادرك بوليت انه لم يعد في حاجة الى الخنجر وعلم انها باتت طوعا له فانه عرف موضع الضعف منها

وعادت نيشات الى سؤاله وقد نظرت اليه نظرة دلال وقالت له احق انك عرفتني حين كنت ادعى البومة

— نعم فقد كنت صغيرة هزيلة ولكن عينيك كانتا ساحرتين كما هما الان فكنت حين اراك ذاهبة بالملابس الى اصحابها يخفق قلبي خفوق

وقد كان صوت بوليت يرن في اذنيها اريقع من نفسها وقع الانغام فقال له ولكن لي ذاكرة جيدة

ـ ماذا تريدين

ـ اريد انك لو كنت عانيتاً لي في ذلك العهد كما تقول لكنت رأيتك ولكني لا اذكر اني رأيت فتى جميلا مثلك يسير في اثري حين كنت اخرج من الدكان

فضحك بوليت وقال ذلك لانى لم اكن فى جميلا حسن البزة في ذلك العهد

ـ كيف ذلك

ـ تذكرين دكاكين ذلك الشارع الذي كنت فيه

ـ نعم لا ازال اذكرها

ـ الا تذكرين انه كان يوجد مقابل دكان الغسالة دكان جزار

ـ واسمه فولبوف

ـ الا تذكرين ايضا انه كان يوجد بجوارها مطبعة

ـ نعم وكانوا يطبعون بها جريدة الثوار

ـ انه كان يوجد في هذه المطبعة غلام هزيل طويل الشعر كان ياخذ المسودات من المطبعة الى المحررين

ـ نعم وطالما رأيته وكنت اراه ينظر لي نظرات حلوة فمن هو هذا الغلام

هو انا

ـ لا اصدق وشتان بينك وبينه

ـ اتريدين البرهان انظري . ثم خلع بعض لابسه واخذ جريدة فجعلها قبعة على شكل القبعة التي كان يلبسها في ذلك العهد وقلد حركات ذلك الغلام تم التقليد وجعل ينادي كما كان ينادي من قبل فقام بذلك اغواءها ورأت البومة امامها فتى جميلا رقي مثلها من ادنى المراتب وبات رفيع المنزلة بعد الضعة ثم ان هذا الفتى الجميل لم يحتقرها لماضيها بل انه حافظ على ولائها واثبت لها بالبرهان انه هائم بها فانتشلت الخنجر من يده وقالت له لا حاجة لك بعد ذلك الى السلاح ايها الابله ثم طوقت عنقه بذراعيها وقالت له لقد كنت احسب من قبل ان قلبي قد من الحجر الصلد ولكني علمت الان ان لي قلبا بشريا يحب ويحن

ثم جعلت تنظر اليه بحنان وتقول له كيف استحالت هذه الاستحالة وت من الاسياد

قال الم تستحيلي انت وتبيني من السيات

فارتعشت ثم ثارت فجأة واحمر وجهها فارخت عينيها لانها افتكرت بمنيتو وقالت له اسالك العفو ايها الحبيب فلم يخطر لي اني سالقاك

فضحك بوليت وقال ما زال يوجد ملايين فلنقتسمها

فلم تستأ البومة لهذا القول وقد علمت انها تجد رجلا جديرا بها فانها ما ودت تنوان الا لما راته من فساد اخلاقها وهي الان تمنح قلبها لرجل لا يخجل من اقتراح مثل هذه القسمة

وعند ذلك عادت الى معانقته وهي تقول اني هائمة بك فاصدق في هواي كما اصدق في هواك

٣٣

وكانت نيشات تنظر الى ولايت بما يدل على الحب والاعجاب وهو ينظر اليها بما يدل على فوزه بما اراد

الى ان بدأت نيشات الحديث فقالت ايها الحبيب لك ستخبرني بكل شيء اليس كذلك

ـ ماذا تريدين ان اخبرك

فضحكت وقالت اتظن ان دخولك على امرأة بعد انتصاف الليل والخنجر مشهر بيدك تقول لها اما تحبيني او تموتين تظن ذلك ايها الحبيب من الامور الطبيعية المألوفة

ـ ولكنك ترين اني فزت

ـ دون شك ولكني لا اعلم من فوزك هذا كيف دخلت الي

اذن ساخبرك بما تريدين ان تعلميه فاعلمي اني اء ف تنوان

قالت احق ما تقول

قال بل ازيدك انها محسنة الي

فاتقدت عينا نيشات ببارق من الغيرة وقالت ويح لهذا العجوز المجنبك

قال ليس هذا الذي اعنيه فاطمأني ولكن تنوان راتنى على شاكلتها من فساد الاخلاق فرضيت عني وقد تعرفت بها بطريقة غريبة

ـ قصّ علي ذلك

ـ اني دخلت اليها في ليلة حالكة الاديم دخول اللصوص واردت ان اقاسمها

ـ لماذا

ـ لاسرقها

ـ انك جريء مقدام دون شك

ـ وعند ذلك عقدنا اتفاقا فلم اقتها ولم اسرقها فعينت لي راتبا من ذلك العهد

ـ اني اراهن على انها تحبك

ـ انها تدعوني بابنها

ـ وانت اتعلم كيف اني وجدت في هذا القصر

ـ بالتقريب

ـ ان تتوان تبنتني وهي لان تدعوني ابنها كما تدعوك بابنها فما هذا الاتفاق الغريب

ـ وستتم هذا الاتفاق يوما بالزواج

ـ ذلك يكون بعد ان تنشب مخالبي بملك النور واقضي مآربي من ماله والان الا تريد ان تقول لي كيف دخلت الى هنا

ـ ان الامر سهل فهمه فاني كثير التردد على هذا المنزل وصديق لمحامي

ـ ان هذا المحامي يكاد يكون رب المنزل

ـ هو ذلك ولكن هذه السيادة لا يتمتع بها في كل حين

ـ كيف ذلك

ـ ذلك ان تتوان لم تقبله في منزلها هذه الليلة!

ـ نعم نعم اتذكر

وقد رايته خارجا من الباب مغضبا وهو يود ان يعلم ما يجري في داخل المنزل فاعطاني مفتاح الحديقة فدخلت منها

ـ وقد وصلت لي دون ان يراك احد

ـ لي صديقة في المنزل وهي خادمة غرفتك فقد اغرتها على حبي فتطيبت نيشات حاجبيها وقالت لا اريد هذا

ـ ولكن يجب ان نستخدمها لمائدتنا

ـ نى ادفع لها قدر ما تشاء

ـ كلا ان هذا لا يعنيك

ـ لماذا

فنظرت اليه نظرة السيادة وقال لها ذلك لاني لا اريد

فاطرقت نيشات برأسها الى الارض وقد شعرت ان هذا الرجل قد ملأ فراغ قلبها وبات الحاكم المطلق عليها

وعاد بوليت الى الحديث فقال لها تحدثني حقيقة كما تقولين

ـ اني هائمة بك

ـ اذن اخباري بين ان لا ترثني الى الابد وبين ان تخضعي لي تم الخضوع

- اني عبدة لك

قال اذا علمت ذلك فاعلمي اني اريد ان لا تعلم تنوان شيئا مما جرى بيننا

قالت لماذا

قال لان تنوان تغار منك وفوق ذلك فانها تريد ان تتجردي لاغواء النوري

قالت انها اذن لن تعلم شيئا

قال وغدا احضر الى هنا في ابهة النهار فلا تظهري انك تعرفيني فاذا بدرت منك اقل بادرة من ذلك لا ترينني الى الابد

قالت لا خوف من ذلك فاني احبك اصدق حب ولكن هذه الفتاة الواقفة على سرنا الا تخاف ان تخدعنا

قال انها ضامن كتمانها

فقبلها وقالت له اذن الى اللقاء غدا

فودعها بوليت وخرج من غرفتها الى غرفة بولينا الوصيفة

وكانت ترتجف وقد اصفر وجهها فقال لها بوليت اعلمت سمعت

قالت نعم سمعت وما انت الا وحش ضاري

قال كلا ايتها الحبيبة بل انا رجل يتسع قلبه لحب امرأتين ثم هم ان يعانقها فنفرت منه وقالت له اني اكرهك ولا اريد ان اراك

فاجابها بوبد اني استطيع كل ذلك اذا اردت فتعالي الان واوصليني الى الباب الخارجي

قالت كلا لا اريد ولا ارضى ان يكون لك بي اتصال

فجرد بوليت خنجره وقال انك تركبين مركبا خشنا بعصياني ايتها الحسناء

فخافت بولينا هذا الرجل بعد ما سمعت ورات من اعماله واقواله فتنهدت وبكت ثم قالت تعال فساذهب بك الى باب الحديقة

قال الان احسنت بالطاعه فالبسي شالك فان البرد شديد

فقالت له بتهكم ارالك كثير الحنو والاشفاق علي الليلة

فلم يجبها بوليت وخرج الاثنان الى الحديقة حتى بلغا بابها

فلما فتحته تأبط ذراعها وقال لها هلمي معي الان

فاجفلت وقالت انا اذهب معك

قال دون شك

قالت الى اين تريد الذهاب بي

قال الى منزلي

قالت ولكنك مجنون

قال ان جنوني يهواك ثم جذبها الى خارج الباب واقفله فوضع المفتاح بجيبه

فقالت له بولينا ولكن ماذا تقول تنسوان اذا لم تراني غدا صباحا

قال انك تعودين عند الفجر

قالت كلا اني لا اجسر على ذلك

قال كفى خبثا فاني عارف بكل شيء وليست هذه اول مرة بت فيها خارج القصر

ثم سار بها فلم تمانعه ولكنه لم يسر بها الى منزله بل الى منزل بيبي

وكان بيبي لا يزال جالسا مع ملك النور وهما يشربان خمر ويتحدثان

فلما راتهما بولينا وهي تعتقد انها قادمة الى منزل بوليت الذي لم تكن تعرفه من قبل صاحت صيحة دهش منكرة فانها لم تكن تعرف بيبي ولكنها كانت تعرف ملك النور

واما بوليت فانه دفعها الى الغرفة وقال لها لا تجزعي ايتها الحبيبة فان هذين الرجلين من اهلي ثم نظر الى بيبي وقال له هوذا عصفور جميل ياسيدي يجب ان تجدله قفصا جميلا

ثم نظر الى بولينا وقال لها انك عرفت الان كثيرا من الامور بحيث بات وجودك عند تنوان مخطرا علينا ولكن اطمئني ايتها الحسناء فسنعاملك خير معاملة ونكافئك خير مكافأة مدة اقامتك الموقتة عندنا اليس كذلك ياسيدي بيبي

قال دون شك

اما بوليت فانه ادخل بولينا الى المنزل وقال يجب ان اخبركم الان بجميع ما اتفق لي

ثم اخبرهما كيف انه تمكن بواسطة بولينا من الدخول الى نيشات

فقال له بيبي انك لاشك من اهل الدكاء

فابتسم بوليت وقال اني خشيت ان تعلم تنوان بما حدث فلم اجد بدا من اختطاف هذه الحسناء

فارتعشت بولينا وقالت ماذا تصنعون بي

قال اننا لا نسيء اليك اقل اساءة بل نبقيك هنا

قالت أأبقى اسيرة

قال عشرة ايام لا اكثر

قالت اذا كنت تريد اسري حذرا من ان ابوح بسرك فني اقسم لك على الكتمان

قال انك صادقة ولكن سرك خير ضمين لنا

قالت ولكني اوثر مركزي في منزل تنوان فانها تطردني دون شك

فقال لها ملك النور كم تكسبين من تنوان

قالت ستمائة فرنك في العام

قال خذي الفا

ثم اخرج من جيبه ورقة مالية قيمتها الف فرنك ودفعها لها

فابتسمت وقالت اذا كنتم تدفعون بهذا الكرم فاني اود ان ابقى اسيرة عندكم مدى العمر

فقال بيبي لها واذا اردت ان تقيمي في خدمتي اعطيتك مائة فرنك في الشهر

فقالت بولينا في نفسها عسى ان تكرهو شيئا وهو خير لكم وقال بوليت في نفسه انها باتت لنا

٣٤

كان بيبي متمرنا خبيرا بقلوب البشر فبعد ان تحدث هنيهة مع بولينا قال لبيبي ومونيتو ان هذه الفتاة تفيدنا في بقائها عند نتوان اكثر مما تؤذينا

فاجابته بولينا هو ذاك ياسيدي فان من يدفع مثلكم يخدم اجل خدمة فاذا كنتم تشككون بي فابقوني عندكم واذا ضايقتم راتبي وارجعتموني الى منزل نتوان خدمتكم اصدق خدمة وكنت طوعا لكم في كل ما تريدون

فقال لها بيبي بل نجعل راتبك اربعة اضعاف ما كان ولكن يشترط في ذلك ان تكوني خاضعة لاوامرنا

قالت سأمتثل لكل ما تأمرون به

فقال لها بوليت ولا تنسي ان اشهر من طعن بالخنجر

فقال له بيبي لا فائدة من هذا الان فاني اضمن صدقها

قال ولكنها حاقدة علي

فضحكت بولينا ضحك الساخر وقالت لا انكر اني حقدت عليك هنيهة اما الان فقد زال كل حقد من قلبي وهذه يدي امدها لصالحتك

قال اذن ستخدموننا

قالت اني اخدمكم اولا لمالكم ثم للرحمي لتنوان عن قد الخرباء تعامل خدامها معاملة الحيوانات

قال اذن تكرهين تنوان

قالت اشد كره

فقال لها بيبي ان هذه الحية قد ارتكبت جناية فظيعة الا يسرك ان تعاقب عقابا يناسب جنايتها

ثم التفت الى بوليت وقال له اني اصمن وفاءها فعد بها الان الى تنوان فانها تعينك على الدخول الى المنزل اذا اردت الدخول اليه بالليل وسيكثر دخولك اليه فيما اظن

قال اني ادخل اليه قدر ماتشاء وفوق ذلك فان البومة زاقت في عيني

فقطب بيبي حاجبيه وقال احذر

قال انها تروق لي ولكني احب اورور

ثم التفت الى بولينا وقال اننا سنطلق سراحك بدلا من سجنك فتعالي معي

قالت هلم بنا

ثم ذهب الاثنان وبقي بيبي وملك النور يتحدثان

اما بوليت فانه جعل يحادث بولينا على الطريق فقال لها الاشك انك حاقدة علي

فاجابته بلهجة الساخر انك مخطيء

ـ كيف ذلك

ـ لو كنت حاقدة عليك لما بحثت معك

ـ انك صفحت عني الان ولكني خدعتك مرتين

ـ ولكن الخديعة الثانية كانت موافقة لي اتريد الان ان ابوح لك بجميع فكاري

ـ تكلمي

ـ كنت حسبت منذ ساعة انك تهوى بائعة الازهار وانت تعلم ان الغيرة من اشد امراض النساء

ـ والا

ـ والان علمت انك تمثل دورا

ـ كيف عرفت ذلك

ـ ليس معرفة ذلك من الامور الصعبة فان هذا النوري الذي كان يتظاهر بالسكر في منزل تنوان مظاهرة وهذا الرجل الاخر الذي كان يتكلم بلهجة السيادة كل ذلك دلني اصدق دلالة على اتفاقكم في تمثيل هذا الدور فارجوك الان ان لا تحسبني ضعيفة العقل الى حد العبث بي وان توقن اني غير حاقدة عليك

ـ اذن تظنين اني امثل دور مع بائعة الازهار

ـ بل اني واثقة كل الثقة

ـ اعلمت الغاية من ذلك

ـ كلا ولكني ساعلمها فاعلم الان اني لا اخدمكم من اجل

المال وحده بل لمعرفة هذا السر ايضاً والفضول من سجيتنا كما تقولون

ثم ابتسمت وقالت نكم ثلاثة تتآمرون على هذه الحية الرقطاء تتوان لمأرب اجهله كما قلت لك ولكن لا بد لي من معرفته والاتفاق معكم

ـ أذن تشتركين معنا

ـ دون شك فني لا اخسر بشركتكم بل اربح كما تضح لي ذلك بالبرهان

فقال بوليت في نفسه لقد كنت احسب ان تتوان اشد وادهى فانها اقامت حينا طويلا تبحث عن شريكة لها في اثامها حتى عثرت بالبومة ولكنها لو كانت عاقلة كما كنت اظن لما وقع اختيارها الا على بولينا

وعند ذلك وصلا الى باب الحديقة فحاول بوليت ان يقبلها فصدته وقالت لسنا الان متعاشقين بل حليفين بل انكم اشتريتموني بمالكم وانا تنظر اوامركم

قال اذن ستفتحين لي الباب في الليلة القادمة

ـ في اية ساعة

ـ لا اعلم بعد

ـ ولكني لا استطيع الانتظار كل الليل

ـ هذا ذاك ولكني اعين لك اشارة تكون اصطلاحا بيننا وهي انك اذا سمعت الدور الثاني من نشيد المرسليز بين الساعة الحادية عشرة

ونصف الليل كون تا ذلك لمشد

قالت حسنا ثم دخلت من باب الحديقة واقفلته

وعند ذلك فطن بوليت للمحامي وقال ان هذا المنكود ينتظرني فلاذهب اليه

اما المحامي فانه اقام ينتظر بوليت بملء السكينة والصبر وقد استعان على الانتظار بالخمر فلما رأى بوليت قادما اسرع اليه وقال له ماوراءك من الاخبار

وكان بوليت قد اخذ حكاية يقصها عليه وهو قادم اليه فقال له لقد اخطأت بغيرتك على تنوان

- احق ما تقول

- اني اقمت ساعتين في الغرفة التي اشرت لي عنها

- وماذا رايت

- رايت كل شيء

- ولكن ماذا رايت

- رايت تنوان والفتاة الحسناء وذلك الضيف السري الذي خفت منه

- من هي هذه الفتاة الحسناء

هي بائعة الزهر في حديقة تيفولي

- والضيف السري

- رجل نوري من فيينا

ـ اعله الرجل الذي اودعت عنده مالها

ـ هو بعينه وقد سمعت الحديث

ـ ارو لي ما سمعت

ـ انك تعلم ان هذا النوري ابى ان تدفع المائة الف فرنك في الشهر الماضي

ـ وانت كيف عرفت ذلك

ـ الم اقل لك اني سمعت الحديث

ـ لقد اصبت فهم حديثك

ـ ان هذا النوري قدم الى باريس ليستوضح سر تنوان وقد اجتمع اول الليل في الحديقة تيفولي ويظهر ان هذا النوري من عشاق الجمال فدعته تنوان الى العشاء معها

ـ وماذا حدث بعد ذلك

ـ حدث انه هام ببائعة الازهار فال الهوى صوابه

ـ ولكن قل لي ادفع المائة الف فرنك

ـ دون شك فقد رايته بسط على المائدة كثيرا من الاوراق المالية ورايت تنوان قد اخذتها

فبرقت عينا المحامي وقال وبعد ذلك

قال وبعد ذلك لم اعد ابالي بمعرفة ما سيكون بينهم فاسرعت اليك لاخبارك وهذا هو مفتاحك

ـ الم يرك احد

- كلا

فبرقت اسرة المحامي وقال ليعشق هذا النوري الفتاة كما يشاء فان المفيد انه دفع المال

فقال له بوليت اتاذن لي ايها الصديق بنصيحة

- دون شك فقل

- انصحك انك حين ترى تتوان ان تتودد لها

- اني اعدك بذلك

- وان لاتسالها عن شيء

- سافعل

وعند ذلك طلب المحامي طعاما وشرابا فشربا واكلا فلم يفرغا من طعامهما الا وقد بزغ الفجر فغادره بوليت وهو يقول في نفسه لاذهب الان فارى ما يفعل موتيتو وبيبي

فلما وصل الى الفندق دهش دهشا عظيما اذ علم ان بيبي والنوري قد برحا الفندق دون ان يناما

٣٥

اما موتيتو وبيبي فانهما بعد ان ذهب بوليت مع بولينا جعلا يتحدثان فقال بيبي اذن بت واثقا الان ان تتوان قد اختلست المال الذي اودعتك اياه

- كل الثقة

اذا كان ذلك فلماذا لاترده الى اصحابه

ـ لانى اريد برهانا حسيا

ـ العل ذلك لضرورى بعد اقتناعك

ـ دون شك كما ترى

ـ كيف ذلك

ـ اني ملك النور كما تعلم ولكن لي مجلس شورى كما يقولون فانا ملك مقيد دستورى فلا استطيع رد المال اذا اقتنعت وحدي انه مسروق اذ يجب ان اقنع الاعضاء ايضاً

ـ اذا كان ذلك فانت مصيب

قال اني الان اعتقد اعتقادك بالوصية وهو انها مزورة وقد وعدتنى ان تجمعنى بزورها

قال انى ما جئت باريس الا لهذه الغاية

ـ اذن لنبحث عنه

قال سنفعل ولكن يجب قبل ذلك ان اوقفك على بعض حالات العائلة التي سرق منها المال فان تنوان كانت خادمة عند البرنسيس هيلانه ثم انتقلت من خدمتها الى خدمة الكونتس دي مازير والدة الكونت لوسيان زوج حنة

وكان هذا المال عند الكونتس فان هذه الثروة التى كانت ضمن صندوق قد انتقلت من يد الى يد اي من لص الى لص ثم قتلت الكونتس دي مازير اتعلم من قتلها

ـ العلها تنوان

— كلا بل ان قاتلها رجل وعد تنوان ان يهرب معه الى ايطاليا ويتزوجها فقالت له تنوان انك عاشرت الاميرة هيلانة وعرفت خطها فيجب ان تزور وصية باسمها

ـ وكيف عرفت هذا

ـ لا استطيع ان اقوله لك الان ولكن اسمع ما حدث فان تنوان بعد ان استولت على الوصية اخذت صندوق المال وبينما كان هذا الرجل يقتل البرنسس دي مازبركانت تنوان ممعنة بالفرار

ـ هذا كل الذي اريد ان تبرهن لي عنه

ـ سابرهن لك لاني ساجد هذا الرجل

ـ ومتى تمكنت من اطلاع هؤلاء الذين اده هم وزراني على هذه الوصية المزورة ارد المال لاصحابه دون تاخير

ـ وماذا تفعل بعد ذلك

ـ نعاقب تنوان

ـ اي عقاب

ـ كن مطمئنا فان عقابها ـ وف يكون هائلا

ثم انقدت عينا مونبتو ببارق ارتعش له بيبي وقال لنا معاشر النور في المانيا صيتاً حسناً اكتسبناه بالصدق والوفاء والامانة حتى ان الامبراطور نفسه تنازل الى الثقة بي وعهد بمهمة جليلة لا يعهد بها الى اصدق المخلصين من رجال دولته لانه يعتقد بنا خير اعتقاد

واما تنوان فهي من طائفتنا وقد ارتكبت من المحارم والاثام ماشان

سمعتنا ودنس شرفنا فوجب عقابها

انك لا تعلم عقاب الشر ولا تخطر لك شدته في بال بل لا يدور في خلد انسان ذلك العقاب الهائل الذى اعده لهذه الفاجرة فلنبحث عن هذا الرجل الذي قلت لي عنه

فقال له بيبي اني حين برحت باريس منذ عامين غادرت هذا الرجل مريضا

ـ الا يمكن ان يكون قد مات

ـ لا اظن ولكنه قد يكون ذهب صوابه

ـ اذا كان ذلك فقد فقدنا كل شيء

ـ كلا فان المجانين يبرأون وربما يكون قد شفى

ـ اين غادرته حين سفرك

ـ في المستشفى فهلم بنا اليه

ثم قام بيبي واطل من النافذة فقال ان الفجر قد انبثق فتعال معي

وبعد هنيهة خرج الاثنان من الفندق فوجدا مركبة فركبا فيها وسارا الى ذلك المستشفى

وكان هذا المستشفى خارج البلد وهو يفتح ابوابه ليلا ونهارا وهو في اصله دير للرهبان خوله الفونساويون في عهد الثورة الى مستشفى لنقمتهم على الدين واهله في ذلك العهد كما بسطناه في الاجزاء السابقة

ولما وصلا اليه استقبلهما كاتب المستشفى فطلب اليه بيبي السجل الذي تقيد فيه اسماء المرضى

فاسرع البواب الى احضار ذلك السجل فاخذه بيبي وجعل يقلب اوراقه ويقرأ ما تضمنته من الاسماء نحو نصف ساعة وهو مقطب الجبين الى ان صاح صيحة فرح وبرقت اسرة وجهه ذلك انه قرأ بين الاسماء ما ياتي

(المواطن بول مدير البوليس السري دخل في اول يناير)

ولم يكن يوجد اقل اشارة تدل على وفاته او على خروجه

فقال في نفسه ان الشفاليه دي مازير لم يمت ولم يخرج من هذا المستشفى فهو اذن لا يزال فيه

وعند ذلك طلب بيبي ان يرى طبيب المستشفى

فذهب الكاتب به وبمونيتو اليه فاطلعه بيبي على ما قرأه في السجل وسأله عن المواطن بول

فقال له الطبيب اني اذكر هذا الرجل ولكنه ليس في المستشفى كما تتوهم

قال كيف يكون ذلك وليس في السجل ما يشير الى خروجه

قال انك تجد مذكرة عنه في سجل الماء الماضي

وعند ذلك ذهب الطبيب فاحضر ذلك السجل وبحث فيه فعثر على ما يطلبه وقرأه ما ياتي

(اليوم في ٤ نوفمبر برح المواطن بول رئيس البوليس سابقا هذا المستشفى دون ان يشفى وقد ذهب به رجل شاب يدعى بنوات قائلا

انه من اقاربه)

فقال بيبي مستنكرا : بنوات

فقال له ملك النور من هو بنوات هذا الملك تعرفه

فلم يجبه بيبي ولكنه سال الطبيب قائلا الم تعرفوا عنوان هذا الفتى الذي ذهب به

قال دون شك

قال اتستطيع ان ترشدني اليه

قال نعم فانه مكتوب في سجل خاص فامهلني قليلا ريثما ابحث عنه

وبعد ربع ساعة عاد اليه بذلك العنوان فقال له ان بنوات قال انه يقيم في قرية في باسي ولكنه يشتغل عاملا في الارصفة في رصيف نمرة ١٧

فشكره بيبي وقال لموتيتو هلم بنا فقد وقفت على اثره وهان الامر تمت

رواية ملك النور وهي الجزء الرابع من ام روكامبول ويتلوها

رواية العقاب الهائل وهي اعجب اقسام هذه الرواية

رواية
ام
رُوكامبول

الجزء الخامس

العقاب الهائل

تاليف

بونسون دي تيرايل

تعريب

طانيوس عبده

احد صاحبي جريدة الشرق

ورئيس تحريرها

(لهما الحق عروض صاغ)

المطبعة التجارية لجريدة الشرق سنة ١٩٠٦

رواية

ام روكامبول

الجزء الخامس

العقاب الهائل

١

تقدم لنا القول في ختام الرواية السابقة ان بيي عرف من المستشفى ان بنوات اخرج الشفاليه دي مازير والد اورور من المستشفى بعد ان ترك عنوانه

ويذكر القراء هذا الاحدب وعلاقته بداغوبير والاختين وكيف انه ذهب داغوبير حين برح باريس مع امرأته واورور فاقام نحو عام وهو يتنقل من منزل داغوبير الى منزل لوسيان دي مازير فيحسب نفسه سعيدا لانه لم يحب في الوجود غير هولاء

غير انه صحا يوما من رقاده منقبض الصدر فذكر غابات اورليان التي ولد فيها وحن الى الوطن وذهب الى داغوبير يودعه وقد عزم على الرحيل

فقال له داغوبير كيف ذلك أتسافر

قال نعم

قال اتذهب الى مينا لزيارة الكونتس اورور

قال كلا فلا انت ولا الكونتس اورور في حاجة الي الان

ـ اذن الى اين انت ذاهب

ـ اني عائد الى فرنسا

ـ لماذا لا تبقى معي في الجيش

ـ اني مللت الاقامة في بلاد لا افهم كلمة من لغة قومها ثم اني اشتقت الى غاباتنا

فتنهد داغوبير وقال وانا ايضا اشتقت الى منزلي ولكني ارجو ان لا يطول زمن غيابك

ـ ربما عدت اليك بعد ثلاثة اشهر

ـ ولكن ماذا تصنع في مدينتنا ولم يبق فيها احد حياً من الذين نحبهم

ـ من يعلم فان الاب جيروم قد يكون باقيا في قيد الحياة

ـ وانا اوكد انه قتل مع جمع رهبان الدير ايام الثورة

ـ اما انا فاني ارى غير رأيك واعتقد انه لا يزال حيا واني اذ ذهبت الى القرية اراه فيها او اعرف من اهلها اين هو

فهز داغوبير رأسه شأن المرتاب ثم قال للاحدب اذهب اذن بامن الله ورجائي ان تدرك قريبا ثم اعطاه مائة ليرا

ومثل هذا المبلغ يعد ثروة لمثل بنوات ويكفيه لطواف الارض غير

ان بنوات كان عاقلا مقتصدا بل كان يهرب من البخل كاكثر اهل القرى فلم يشأ ان يسافر في مركبة ، وآثر السفر على الاقدام فكان يسير في النهار ويستريح في الليل ، ويقتصد في طعامه فلا ياكل غير الخبز والجبن ولا يشرب غير مياه الينابيع فلما وصل من الرين الى باريس مرض وعلم انه اخطأ في اقتصاده وانه سينفق على المعالجة اضعاف ما قتصده من اجرة الركوب

وكان قد اقام في فندق حقير فلم يخطر لصاحبه ان لديه مائة ليرا وخشي ان يموت عنده فارسله الى المستشفى الذي كان فيه الشفاليه دي مازير

وقد قدر الصدفة ان يكون سريره محاذيا لسرير الشفاليه فعرفه حين رآه انه والد الكونتس لوزور فصاح صيحة دهش انتبه لها الطبيب فقال له الملك تعرف هذا الرجل

قال نعم فانه من بلدي

فهز الطبيب راسه وقال اظن انك مخطىء

وقد كانت الحوادث التي مرت بالاحدب خلال الثورة جعلته حليما فلم يعارض الطبيب وقال له قد اكون مخطئا

فقال له الطبيب ان هذا الرجل يدعى بول

قال ليس هذا اسم الرجل الذي ظننت انه هو

وقد كان رئيسا للبوليس في عهد روبسبير

اذن انا مخطىء دون شك

ـ وقد جن جنونا فجائيا لم يتقدم له ما يدل عليه

ـ وكيف حالة جنونه

ـ انه يحسب نفسه من الانبياء يقول لهم انه يوحى اليه لكن لو كان من الاعيان كما يدعي لما حمل على الاعيان تلك الحملات المنكرة فان لدينا مريضا كان بوليساً تحت امرنا فاخبرنا ان بوليس كان يعامل النبلاء دون الشفاق وانه كان يقبض على خمسين نبيلا كل اسبوع!

اما الان فانه بات يدعي بعد جنونه ان من النبلاء وان اسمه عظيم ولكنه لا يريد ان يذكره

فقال له الاحدب اسالك المعذرة ياسيدي فقد شبهت ابنه وبين ذلك الرجل مواطني فخيبته اياه

ومضى على ذلك ثلاثة ايام تماثل فيها بنوات الى العافية

فكان دائما يقول في نفسه اني واثق كل الثقة من ان هذا الرجل هو الشفاليه دي مزير بعينه

ولم تؤثر حكاية الطبيب في شيء على ما قد كان يعلم خلاق هذا الرجل وانه من اهل الشر فلم يتغرب استخدامه في البوليس وحمله على زملائه النبلاء ومع ذلك فانه قال في نفسه ان الشر قد يبقى الى هذا الحد ولا بد لي من الاستيثاق

فبات ليلة رآه جالسا في سريره ساهي الطرف فدنا منه وهمس في

اذنه قائلا (اورور)

فصاح الشفاليه عند ذلك صيحة نكرة سمعها وكيل المستشفى واسرع اليه

ولكن بنوات كان قد عاد مسرعا ايضا الى سريره وتظاهر بالرقاد وقد وثق ان هذا المجنون والد اورور

وقد حن عليه على ما يعلمه من فساد اخلاقه وقال في نفسه انه والد ورور في كل حال فلا ادعه يموت في هذا المستشفى

وبعد ذلك بيومين شفي بنوات تماما وبات قادرا على مبارحة المستشفى فخرج منها وغاب ثمانية ايام لم يره احد

وفي اليوم التاسع عاد الى مدير المستشفى وقال له اني لم انخدع حين توهمت اني اعرف الذي تدعونه بالمواطن بول فلس هذا اسمه الحقيقي فانه يدعى بنوات نيكولا وهو خالي وقد غادر القرية في عهد الجمهورية ولم نعلم اذ كان مات او بقي في قيد الحياة الى ان رايته هنا واما الان قادم لطلبه

فقال انت تطلبه

— نعم يا سيدي فاني عامل في الارصفة ارتزق ما يكفيني لعيش والعناية بخالي المنكود

ولا حب للمستشفيات من التخلص من مريض لا سيما اذا كان لا يدفع اجرة تمريضه

فاذن له المدير بالذهاب به

اما الشفاليه فلم يبد منه اقل مقاومة فان جنونه كان هادئا حتى ان الطفل كان يستطيع ان يديره

وكان بنوات يرى من حالة الشفاليه انه لا يعيش طويلا فقال في نفسه اني ساعتني به وانفق عليه الى النهاية فانه والد اورور

وكان بعض الاحيان يذكر اسم اورور امامه فيرتعش ويختلج ثم يغطي وجهه بيديه ويذرف دموعا غزيرة

ثم انه كان ينظر بعض الاحيان الى بنوات نظرات غريبة تدل على ان منظر الاحدب قد رد اليه تلك التذكارات القديمة فيقول الاحدب في نفسه انه عرفني ولولا خوفي من ان يعود بعد شفائه فطر عليه من اللؤم والشر لكنت اعلم ماذا اصنع ولكنه لم يكن يظهر فكره

ففي اليوم الذي جاء به بيبي وملك النور الى المستشفى وعلما ان الشفاليه عند بنوات كان قد سر على بقائه عنده تسعة اشهر

فاسرع بيبي الى المعمل الذي يشتغل فيه الاحدب فكان اول من رآه من العمال فدنا منه بيبي وحياه باسمه

فدهش الاحدب لاول وهلة وقال له اتعرفني

فضحك بيبي وقال له اني متنكر ولست انت الوحيد الذي لم يعرف

، لا بد ان تعرفني من صوتي

بنوات للحال وقال بيبي

فقال هو بعينه

فنظر اليه نظر من لم يدرك بعد معناه فقال له لا تخف فان هذا المولى صديق الاختين يمكن التحدث امامه فقل لي ماذا نعمل هنا

قال كما تري اشتغل لاعيش

- لماذا لم تبق مع داغوبير

- لاني لم أكن أطيق الحياة مع البخلاء

- انت عاش حدك

- نعم

- احسن ما تقول

فارتمش بنوات وقال مع من تريد ان اعيش

- مع أحد وطن بدل مثلا

- اتعرف ذلك وكيف عرفته

- عرفته من المستشفى حين ذهبت اليه لافتقد صدقي بول

- أهو صديقك

- من اخلص اصدقائي

- اذن أنت لا تعلم

- بل اعلم انه [illegible]

[illegible]

- انى عرف كثير عنه من بعيد

ـ اذن انت قادم من عين الكبريت اوروبر

ـ كلا فانها لا تزال معتقدة ان باها قد مات

ـ وربما كانت مصيبة في عقلها

ـ لماذا

ـ لانه مجنون

ـ ولكن المجانين يشفون

ـ ان هذا القول شائع وتدب عتقد بصدقه فان هذا المنكود يظهر لي منه بعض الاحيان انه يعرفني حتى لقد قلت مرة في نفسي اني لو ذهبت به الى قريتنا اقام في منزله القديم بين الغابات لقد ينال الشفاء

ـ انه رأي صالح فكيف لم تعمل به العل ذلك لعدم وجود المال لديك

ـ كلا اذ يوجد لذي فرق ما احتاج اليه

ـ اذن ما الذي يمنعك

فاطرق بنوات هنيهة وقال الخوف

ـ ومن اي شيء خفت

من ان يعود الى ما كان عليه من الشر اذا عاد اليه صوابه

ـ وانا ارى غير ما تراه وازيدك على ذلك اننا كلنا في اشد الاحتياج الى ان يعود اليه عقله

ـ اذ نذهب به الى القرية اذا كنت تظن ما اظنه من

فقال له ملك النور اني يا بني طبيب وقد يمكن ان اجد علاجا لشفيه ولكني لا اجزم بشفائه قبل ان اراه

قال اذن هلم بنا الى المنزل ثم تقدمهما وسارا بأثره حتى وصلوا الى منزل الاحدب وهو مشرف على السين فوجدوا المجنون جالسا عند النافذة ينظر الى مياه النهر

فلم ينتبه حين دخولهم حتى دنا منه الاحدب ووضع يده على كتفه فالتفت اليه وابتسم

ثم نظر نظرة انذهال الى مونيتو وبيبي فقال بيبي بلهجة الآسف انه لم يعرفني وانا اخلص اصدقائه

اما الشفاليه فانه عاد الى مراقبة المياه دون ان يفوه بحرف فقال بيبي لمونيتو ما رأيك فيه

قال كيف جنونه

ـ انه يعتقد ان ابنته قتلت ايام الثورة

ـ اذن حدثه عن ابنته

فدنا عند ذلك بيبي منه ولمس كتفه فالتفت الشفاليه اليه وقال له ماذا تريد

قال اريد ان اكلمك عن اورور

فصاح المجنون صيحة منكرة ثم نظر الى بيبي بعينين تتقدان نارا وقال له من انت ايها الرجل الذي تكلمني عن اورور ماتت ان دوبسبير امر باعدامها

ثم جعل ينظر الى بيبي نظرات تدل ان حجب الماضي قد انكشفت عن عينيه

٢

غير ان ذلك لم يدم فانه بعد ان نظر اليه هذه النظرات قهقه ضاحكا ثم اندفع يغني نشيد الثورة

فقال الاحدب اظنه لا يشفى

فقال ملك النور بل انا اشفيه

فقال له بيبي كيف تشفيه

قال ان لدينا نحن النور علاجات سرية وطرقا خاصة في المعالجة لا توجد عند غيرنا من الشعوب

ثم قال مشيرا الى بنوات وان الذي قاله هذا الفتى صواب فان وجوده في البلاد التي يعيش فيها يعيني على معالجته فاشفيه ثلاثة ايام

قال اتعود اليه ذاكرته

قال دون شك

فجعل بيبي يعد على اصابعه فقال يومان للذهاب ويومان للاياب وثلاثة او اربعة ايام للاقامه في القرية وجملتها ثمانية ايام فاذا نصنع في بيشات وتنوان

فابتسم ملك النور وقال انك لا تحتاج الي في هذه المدة

ـ كيف ذلك

- انى لا ذهب معك

- ومن يعالجه حسب الطريقة التي تريدها

- انت . ومتى كشفتها لك علمت ان ذلك ميسور والحق ان هذه المعالجه سهلة فهي منحصرة بشراب يخدر حواسه فلنفترض انك سافرت به مع هذا الفتى وهو لا يمتنع فيما تظن

فقال له بنوات انه يطيعني كل طوع ولا يخالفني في شيء مما اريد

قال تصعدون به الى مركبة مقفلة وتقيمان معه وفي الطريق تطعمانه وتسقيانه وتضمان في شرابه جرعة من شراب ساحضره لكما

فقال له يبيي ماذا يكون تاثير هذا الشراب

فقال انه ينام بعده نوما عميقا بحيث لا يعلم ما يجري حوله

- وبعد ذلك

- هل المنزل الذي كان يسكنه في القرية لا يزال عامرا

- انه نهب في ايام الثورة ولكن احد المزارعين الذين كانوا عند الشفاليه قد اشتراه

فقال بنوات نعم لقد اخبروني بهذا وعرفت الذي اشتراه وهو رجل طيب السريرة

- أتستطيع الاعتماد عليه

- كل الاعتماد

- اذن الشفاليه حين تصلان به الى هذا المنزل تضعانه في سريره

وسقياه شرابا اخضره لكما يضا يستحل نومه الى نوم طبيعي و عندما يصحو ينظر الى ما حواليه فيجد نافذة مفتوحة فيطل منها فيرى تلك الغابة التي قام فيها دهرا طويلا وعند ذلك يزول حجب الماضي عن عينيه ويحسب نفسه قد حلم حلما طويلا هائلا

- وبعد ذلك أيكون قد شفي

- كلا ولكنه يكون في دور النقاهة واما انت يابيبي فلا يجب ان يراك لن يجب ان يرى في البدء هذا الفتى الذى تعود ان يطعمه

فقال له بيوات وماذا اقول له

- لا تقول له شيئا بل تحدثه حسب العادة كانه لم يحدث امر فوق العادة وتجتهد ان لا تدعه يرى سواك وهو سيسألك اسئلة كثيرة فتجيبه بل انه ربما بكى

- ايتكلم عن بنته

- دون شك

- أيجب اخباره انها لا تزال في قيد الحياة

- كلا فان هذا الخبر الفجائي يقتله لا محالة

- وماذا يكون من امره بعد ذلك

- انه يكون في اليوم الاول بليدا تائها جامد الطرف فتسقيه من الشراب الذي سقيته منه في المرة الاولى وفي اليوم التالى تعود اليه تذكاراته جملة وعند ذلك تستطيع انت يا بيبي ان تراه

فقال بيبي اني اضمن شفاءه على ذلك في اليوم الثالث فاخبره ان

بانه لا زال في قيد الحياة

قال كلا بل تحدثه عن ثروان وارجح انه سيغضب غضباً شديدا عند ذكرها فخبره عند ذلك ان هذه المرأة غنية جدا وان ثروتها مودعة عند قوم يردونها لاصحابها اذا اثبت لهم ان وصية البرنسيس هيلانة مزورة وهو يحب المال اليس كذلك

- لو لم يكن يعبده لما قتل الكونتس دي زير

- اذن فاعلم ان رجاءه بعودة تلك الثروة اليه يتم شفاءه

- اتظن ذلك

- بل اؤكده

- وبعد ذلك أحضر به الى باريس

- على الفور

سافعل كل ما قلته ثم قال لثروات ان السفر قد تقرر فتهيأ له

- متى نسافر

- في هذه الليلة فاحضر اليك بمركبة

ولكنك لم تفطن لامر وهو ان هذا الشفالية كان من كبار اللصوص الا تخشى اذا عاد اليه صوابه ان يعود اليه الشر

فهز بيبي كتفيه وقال اني لا اعلم ما يكون

فقال واذا ابى ان لا يرد المال

فابتسم مونيتو وقال كن مطمئنا فاني لا ارد المال اليه

وعند ذلك فترقوا فذهب موبيتو وبيبي فقال له اذ عوات ان نبقى في باريس مدة غيابنا

قل هو ذاك

قال ماذا تصنع

فابتسم ملك النور وقال اجل غراما بيشا

ولما وصلا الى الفندق ذهب ملك النور ليستحضر الدواء الذي وصفه

وقد علم بيبي ان بوليت تى الى الفندق مرتين وكان بيبي لم ينم تلك الليلة فاضطجع في سريره ولكنه لم يكد يغفر حتى سمع قرعا على بابه

وكان الطارق بوليت ففتح له الباب ودار بينهما الحديث الآتي فقال بوليت هذ هي المرة الثالثة التي اتيت فيها فان كنت

ـ كنت ابحث عن والد اورور فوجدته

ـ الا زال مجنونا

ـ نعم ولكن ملك النور يرجو ان يشفيه

ـ ولكن يوجد امر لم افهمه بعد وهو لنفرض ان الشفاليه قد شفي فكيف يثبت شقوه لمونيتو ان تنوان قد سرقت المال

ـ انه كاتب الوصية لمزورة

ـ ولكنه يعترف من انه مزورها

ـ انه يعترف دون شك اذا لم يكن حبا بنته فلكرهه تنوان فانها

هزأت به

ـ لقد فهمت

ـ وعلى ذلك فسنسافر الليلة

ـ مع المجنون

ـ ومع بنوات ايضا

ـ ومونيتو ابقى في باريس

ـ دون شك فانه يحاول ان يجن غراما بنشا . وانت فاذا صنعت

ـ تشيت مع لحامى د .

اخبرته بما رأيت

ـ نعم و لكن اطمئن فانه لا يخونني .

ـ وتنوان أرايتها

ـ ان قادم من عندها فهي لم تشكك بشيء وتظاهرت نيشات انها لا تعرفني

ـ اتظن انها تثبت في فاءك

ـ انها عبثة لي

ـ اذن اسمع الي فان العاقل يجب ان يتوقع كل امر فلنفرض ان مونيتو انخدع وان الشفاليه لم يشف من جنونه فيجب عندئذ استخدام نيشات

ـ لاي شيء أللاطلاع منها على اسرار تنوان

- هوذاك

- اذن يجب ان تقف هي على هذه الاسرار

- وستقف عليها فان هاتين المرأتين متفقتان على الشر فلا تتكلمان واذكر الان ما اوصيك به وهو انه اذا امكننا الاستيلاء على كتاب ن خط البرنسيس هيلانة وقابلناه بخط الوصية اتضح التزوير ولم نعد في حاجة الى والد اورور

- ولكن من يثبت لنا ان تنوان لديها رسائل من البرنسيس

- لا بد ان يكون عندها . اني واثق من وجود رسائل اذ لا بد ان يكون موجودا في الصندوق الذي اختلسته رسالة من خطها

- ولكن تنوان تحرق هذه الرسائل دون شك

- كلا فان هذه النورية تفتخر ان يكون لديها رسائل من خط اميرة خطيرة كالاميرة هيلانه

- ان ذلك ممكن ولكن اين يمكن ان تكون هذه الرسائل

- يجب على نيشات ان تجدها

- كن مطمئنا فسنجدها

ولم يعد بيبي الى الرقاد بل انه جعل يتأهب للرحيل وينتظر عودة مونيتو

وفي الساعة الخامسة عاد ملك النور ومعه زجاجتان مختومتان احداهما تحتوي على سائل اصفر والثانية على سائل اخضر فدفعهما الى بيبي

وقال له ان السائل الاصفر يتضمن المادة المنومة والسائل الاخضر هو الدواء الشافي فاسقهما كما وصفت لك واحذر ان يتأثر تأثرا عظيما لئلا تموت

قال كن مطمئنا فسانفذ وصيتك كما تلقيتها فسأله بوليت متى تعود قال بعد ثمانية ايام قال اني في هذه المدة اتم غواية نيشات فابتسم مونيتو وقال وهي ايضا تتم اغوائي

وعند ذلك صافح مونيتو بيبي وقال له انى سارد الى الكونتس اورور المال الذي سرق منها وساخبر الرجلين اللذين يجب علي استشارتهما في اعمالي فانهما سيحضران عقاب تنوان

٤

بعد ذلك بيومين كانت مركبة تسير في غابات اورلين وفيها بيبي والشفاليه دي مازير والاحدب جالس بجانب سائقها

وكان الشفاليه دي مازير نائما نوما عميقا لتاثير المخدر الذي اعده ملك النور

وما زالت المركبة تسير بهم والشفاليه نائم حتى اقتربوا من قصر بلياردير وهو القصر الذي كان يقيم فيه الشفاليه دي مازير مع ابنته اورور قبل زن الثورة فاوقف بنوات المركبة ونزل الى بيبي فقال له اننا قد دنونا من القصر ويجب ان تنتظرني هنا الى ان اعود اليك

فقال له بيبي لماذا

- لانني لا اعلم يقينا اذا كان القصر لا يزال موجودا ولكنني

سمعتهم يقولون ان احد المزارعين اشتراه من الحكومة وفي نيته دون شك ارجاعه الى الكونتس اورور

- وماذا تريد ان تعلم

- اريد ن اعلم اذا كان هذا المزارع لا يزال في قيد الحياة فاذا كان ذلك وكان القصر لا يزال له فاني اريد ان اخبره بطرف من قصتنا والغاية من قدومنا

- لا باس فافعل

ثم ان الشفاليه نائم من عهد بعيدفقد يستفيق ويثأر وهوما اوصانا مونيتو باجتنابه

- هو ذاك

- اذن ارى انه يجب ان يكون وصولنا في الليل فابق هنا واتا اذهب للاستطلاع

ثم تركه وانصرف يعدو عدوا حسب عادته وقد آنس بهذه الغابات التي نشأ فيها فوصل الى منزل جزار يدعى يعقوب

وكان هذا الرجل من اصدقاء الاحدب فلما لقيه دهش دهشا عظيما وقال له ماذا ارى العل الاموات يبعثون . فابتسم الاحدب وقال له كيف ذلك

- لقد اشيع عندنا انك قتلت في باريس فمن اين انت قادم

- من باريس

- والى اين

ـ انيت لادراك وارى بقية الرفاق

ـ لقد تغيرت احوالنا كل التغيير في غيابك فمات كثيرون من اصدقائنا وتجند كثيرون حتى لقد بلغنا ان داغوبير الحداد قد اصبح جنرالا

ـ هذه هي الحقيقة

ـ ولكنهم يروون ايضا امورا اشد غرابة وهي انه تزوج

ـ هذا اكيد

ـ وان امرأته الكونتس اورور ابنة المرحوم الشفاليه دي مازير

ـ وهذا اكيد ايضا

فنظر اليه الجزار نظرة المؤنب وقال اتهزأ بي

ـ كلا لم اهزأ بك فاني منذ فارقتكم لم افترق عن اورور واخيها

ـ اذن كل ما تقوله صحيح

ـ لا ريب فيه

ـ اني اعرف رجلا يسره هذا النبأ كل السرور وهو الاب كورني

ـ الا يزال في قيد الحياة

ـ لا يزال حيا يرزق وهو الذي اشتري قصر بلياردير بعد ان كان مزارعا في ارضه ولكنه لم يقم فيه ولا يزال يشتغل في المزارع

ـ لماذا لا يقيم فيه اذا كان اشتراه

ـ انه اشتراه بثمن بخس من الحلوه به بفضل كان يقصده من صدقات الكونتس اورور وقد عاهد نفسه ان يرد قصر الها متى عادت الى القرية

ـ اذا كان ذلك فاعلم انها ستعود

ـ احق ماتقول

ـ دون شك وان غيابها لا طول

ـ انها تستحق كل خير فقد كانت محسنة الينا جميعا

وعند ذلك استأذن الاحدب الرجل بالانصراف الى مشاهدة اصدقائه وقد عرف منه ما اراد ان يعرفه فقال له يجب ان يبدأ بزيارة كورني

قال هذا الذي عزمت عليه ثم ودعه وانصرف توا الى قصر بلياردير حتى اذا وصل الى بابه الكبير وجد امهم [illegible] ة ـ ماذير عنه وكتبوا بدله (الحرية والمساواة والاخاء)

ودخل بنوات في مزارع القصر فذهب الى حيث كان يشتغل كورني عادة والقيه فلما راه كورني لم يبد ما ابداه الجزار من الانذهال وقال له اهذا انت يا بنوات

فحياه بنوات وقال له يسرني انك لم تحسبني ميتا كما حسبني سواك ولكن يسؤني ان تستقبلني بهذا البرد بعد فراقنا الطويل

فمد له كورني يده وصافحه وقال له الحق اني كنت احسبك من الاموات ولكني علمت منذ شهر انك لا تزال حيا

- من الذي خبرك

فقال له بصوت منخفض ورد الي كتاب من الكونتس اورود منذ شهر تخبرني فيه انك مسافر الى القرية

قال هو ذاك ولكني تاخرت في الطريق لبعض المشاغل

- ولكني انتظرك منذ شهر

- انت تنتظرني

- دون شك فالي اين تذهب اذا كنت لا تاتي الينا

- لقد اصبت فاني فقدت عادة النوم في الغابات ثم قال في نفسه ان كتاب اورور قد يضرنا لانها دون شك لم تذكر شيئا عن ابيها لاعتقادها انه ميت

وبعد ذلك نظر الى ما حواليه نظرة الفاحص فقال له كورنى ماذا تنتظر

- انظر اذا كنا وحدنا واذا كان لم يرني سواك

قال لماذا

قال لاني قبل ان ادخل الى منزلك واري امرأتك وبنتك اريد ان احدثك في بعض الشؤون فاني لا اعلم ما كتبته لك الكونتس لانها كتبت اليك بعد سفري ولكنها لم تكتب لك كل شي

ماذا تعني

- اكتبت لك شيئا عن ابيها

قال كلا فان الشفالييه قد مات

ـ اين هو

ـ على بعد نصف مرحلة من هنا مع الطبيب الذي يعالجه ثم قص عليه السبب في المجيء به الى قصره القديم واملهم ان يشفيه مناظر الغابات الى غير ذلك مما بسطناه فقال له كورني ان هذا الطبيب مصيب في رأيه ولكن لماذا لم تتوا به توا

ـ لاني اردت ان اعلم في البدء اذا كنت توافق على مشروعنا ثم اننا آثرنا ان يكون دخوله الى القصر في الليل

ـ اذن هلم بنا الى المنزل لنخبر امراتي وابنتي بما جرى ثم خرج الاثنان من الحقل وذهبا الى المنزل

وبعد ذلك بساعة عاد الاحدب الى الغابة حيث ترك بيبي والشفاليه وكان الشفاليه لا يزال نائما فقال له بيبي ماذا حدث

قال ان المزارع مستعد لقبولنا والقصر لا يزال على ما كان عليه

قال اذن هلم بنا الى القصر

قال انى اراه على وشك الاستفاقة الا ترى انه يجب ان نسقيه جرعة من المخدر

قال افعل

فسقاه جرعة فعاد الى النوم العميق وبعد ذلك بساعة دخلت لمركبة بهم الى فناء القصر

قال انك منخدع ايها الصديق

قل ماذا تقول هو حي وهل ذلك ممكن

قال لقد قلت لك الحقيقة فهو حي ولكنه شبه ميت

قال كيف ذلك

قال ذلك انه مجنون وقد ذهب عقله في عهد الثورة وجنونه يعد شقاء عظيما على الكونتس ابنته

قال كيف ذلك بل ارى ان شقاءها بصوابه

قال انه ذ عاد لى الشغاليه صوابه تعود الى الكونتس ثروتها العظمى لمسلوبة وهي ثروة تحصل عليها بكلمة تخرج من فم ابيها

ـ لما لا يقول هذه كلمة

ـ لانه مجنون لا يقل له

ـ لا يمكن شفاؤه

ـ انهم يعالجونه

ـ اين

ان الذي يتولى معالجته طبيب ماهر وعد ان يشفيه مشترطا ان يساعده جميع الذين يذكرون جميل استه عليهم .

ـ انا واحد منهم كما تعلم

ـ ولهذا اتيتك واردت مباحثتك لاعتمادي عليك

ـ اذن اوضح ما تريد

ـ أن الشغاليه حتى مازير غير موجودة في باريس الآن

لم يكن احد في الحضور حين دخلت المركبة . فان كورني كان قد اطلق باكرا سراح العمال فذهبوا الى منازلهم

فلما وصلت المركبة الى باب القصر اخرج بيبي والاحدب الشفاليه منها وحملاه الى القصر فوضعاه في السرير الذي كان ينام فيه في غرفة تشرف على الغابة ثم ذهبا مع كورني الى المائدة للعشاء

وفيما هما على المائدة سمع الاحدب وقع اقدام في الرواق فقال ما هذا

فاضطرب كورني وقال لا شيء

قال ولكني سمعت صوتا

قال انه صوت سلاسل الكلب الحارس

فلم يلح الاحدب ولكنه كان واثقا انه سمع وقع اقدام في الرواق

وكانوا قد اعدوا غرفة لبيبي اما الاحدب فقد اتفقوا ان يبيت في غرفة الشفاليه

وكان كلاهما قد اجهدهما التعب فما فرغا من الطعام دب النعاس الى اجفانهما فناما

وعند الفجر خرج الاحدب من غرفة الشفاليه وذهب الى غرفه بيبي فذهل حينما رآه لا يزال في ملابسه وغرفة النافذة مفتوحة وهو مقطب الجبين فقال له ماذا اصابك

قال ارى انه يحدث هنا امور غير اعتيادية فانك سمعت في الامس وقع اقدام في الرواق حين كنا على العشاء وخطأك كورني اليس كذلك

ـ نعم

ـ ولكنك كنت مصيبا

ـ ربما كان هذا المتلصص فلاح دفعه الفضول الى الوقوف على اخبارنا .

ـ كلا فاني حين دخلت امس للرقاد فتحت النافذة فخيل لي اني اسمع همسا فاصغيت فتبين لي صوت كورني

ـ مع من كان يتحدث

ـ مع رجل كهل وقد اطفأت مصباحي من قبيل الحذر كي لا يراني ولكني كنت اراهما فرأيت ان الكهل محدودب الظهر ذو لحية طويلة بيضاء فاصغيت اصغاء تاما وسمعت بعض حديثهما

فارتعش الاحدب حين سمع اوصاف الشيخ وقال ماذا سمعت

ـ سمعت كورني يقول للشيخ ليس هنا ما يحمل على الخوف يا ابي فابق في القصر ذلك خير من ذهابك الى الغابة فاجابه الشيخ بكلمات لم اسمعها

ـ وبعد ذلك ابقي الشيخ

ـ كلا فان كورني سار الى باب غرفة مشرفة على الرواق فطرق بابها وخرجت امرأته تحمل سلة فاخذها منها وعاد الى الشيخ فاعطاه اياها

ورفه الى اول الاشجار

ـ وبعد ذلك

ـ عاد . واما الشيخ فانه سار بسلته

ـ انه ذهب دون شك الى الغابة للاختباء بها فما رأيك في ذلك

ـ ارى ان هذا الشيخ انما يختبىء لامر جلل فان الثورة قد مضى زمانها ولم يبق خوف عليه من المفصلة

فوضع بنوات يده على جبينه وقال له اأنت واثق ان كورني كان يناديه يا ابي

ـ كل الثقة

ـ اذن لا بد ان يكون هذا الرجل كاهنا فان والد كورني قد مات من عهد بعيد ولا يزال الرهبان الذين لم يحلفوا اليمين مضطهدين

فظهرت علائم الاطمئنان على وجه بيبي وقال لقد اصبت

ـ وفي كل حال فان كورني من اهل الثقة والاخلاص فلا سبيل الى الحذر منه

ـ ربما كان ذلك غير ان الحذر بات بي ملكة لطول عهدي في خدمة البوليس فلا اطيق ان اجد سرا دون ان اكشفه

ـ انى ساكشفه لك فاطمئن ثم تركه وانصرف الى الحقول حيث كان كورني يدير المزارعين فلما رأى الاحدب دنا منه وقال له همسا الا يزال الشمالية نائما

- نعم

- والطبيب

- انه لم ينم الليلة فتعال معي اني احب ان احدثك على انفراد فلعلك كنت السبب في عدم نوم الطبيب

- انا

- نعم انت فاني لم اكن مخطئا امس حين قلت انا اني اسمع وقع اقدام فقل لي من الذى يريد ان يخبئه عندك

- لا اريد ان اخبيء احدا

- وهذا الشيخ ذو اللحية البيضاء

فترامى كورني مذعورا وقال ارايته

- كلا ولكن الطبيب رآه فقل لى من هذا الرجل ولماذا يريدان يختبىء

- اذن فاعلم يا بني انه كاهن اقام مدة طويلة في السجن ولم ينج منه الا باعجوبة

- العله هرب من السجن

- نعم

..... وهو لذلك يختبيء في الغابة

- منذ ستة اشهر

- وهو ياتي كل ليلة اليك لاخذ زاده

- كلا بل مرتين في الاسبوع

ـ اني لا أجد سببا يدعوه الى الاختباء

ـ وانا لا اعلم هذا السر فهو سره

ـ ولكنك تعلم من انا

ـ دون شك

ـ وانه يمكن الثقة بي

ـ دون شك يابني ولكني لا اثق بهذا الطبيب

ـ ثق به كما تثق بي قد خطر لي خاطر مضطرب نحو هذا

ـ ماذا خطر لك يابني

ـ ان هذا الكاهن هو الاب جيروم رئيس الدير

ـ اسكت لا ترفع صوتك

فسر بغتة سرورا عظيما وقال ارأيت انه هو بعينه

قال هو ذاك ولكن اسكت لا تذكر اسمه

قال لقد اصبت في قولك له انه لا خوف عليه منك فان اهل القرية يوشكون ان يعبدوه

قال نعم غير ان لديه اسبابا تحمله على الاختباء

قال وما هي هذه الاسباب

قال انها من اسراره فلا استطيع ان اوح بها لاحد

ـ لكن ما تزيد فلا الح عليك ويكفيني ان اعلم انه لا يزال في قيد الحياة

ثم تركه وعاد الى بيتي فقال له بيتي اسرع وتعال فانظر

وقد ذهب به الى اخر الرواق وقال له انظر من ثقب هذا الباب

فنظر بنوات فرأى الشفاليه قد صحا من رقاده وهو ينظر من النافذة الى الغابة فقال له بيبي ادخل اليه الان اذ لا يجب ان يرك سواك الوم كما قال مونيتو

فدخل بنوات الى غرفة المجنون دون ان ينتبه اليه الشفاليه لانشغاله بالنظر الى الخلاء

٦

توضع بنوات يده على كتف الشفاليه فالتفت ورأى بنوات ثم قال له دون اندهاش لماذا لا اراى النهر حسب العادة

- اي نهر

- ذلك لاننا لسنا في باريس

فلم يجبه الشفاليه بشيء وعاد الى تأملاته فعاد بنوات الى بيبي وقال له انه لا يزال يعتقد انه باق في باريس

قال ذلك يدل ان رد الفعل لم يحدث بعد وانه لا يحدث الا تباعا بالتدريج وذلك خير فانه لو علم فجأة بهذا الانقلاب لاصابه ما كان مونيتو من عاقبة التأثر

فعاد بنوات الى الشفاليه فقال له المجنون عجباً أن ذهب النهر وكيف ذهب ثم اطرق هنيهة وعاد الى الحديث فقال احق ما قلته لي اننا لسنا في باريس واذا كان ذلك فاين نحن

فلم يجبه بنوات

اما الشفاليه فانه سكت ايضا ثم عاد الى الحديث فقال لخادمه اني رأيت هذه المناظر قبل الآن فهل انا نائم

قال كلا

ـ اذن انا صاح

ـ هوما تقول ياسيدي

ـ كيف تدعوني سيدك الا تعلم ان عهد السيادة قد انقضى بسقوط دولة الاعيان

ثم تركه وعاد الى النظر من النافذة ثم رجع فجأة الى الغرفة وجعل يفحص اثاثها وصورها فظهر من وجهه كأن تذكارا بعيدا قد جال في خاطره وقال كلا كلا اني حالم

ـ لقد قلت انك صاح يا مواطني

ـ لماذا تدعوني مواطنك ولا تدعوني سيدك

ـ سافعل

ـ بل ادعني سيدك الشفاليه وقد ضحك ضحكا شديدا بعد هذا القول

وكان بيبي يراقب حركاته من ثقب القفل ويسمع كلماته فقال في نفسه لقد بدأ دور الشفاء فانه ذكر اسمه

اما الشفاليه فانه فتح خزانة واخرج منها علبة صغيرة ففتحها فوجد فيها صورة فلما رآها صاح صيحة منكرة ثم القى العلبة والصورة الى

[illegible] صورة [illegible] دجاجها [illegible] الى الفيه كما

[illegible] [illegible] يبكي [illegible] غزة

اما هذه الصورة التي احدثت فيه هذا الانقلاب فقد كانت صورة ابنته اودور

وانت يبكي مدة طويلة كان بنوات في خلالها اعاد الصورة الى موضعها ثم جعل يضحك بعد البكاء مثل الصوت كان قد عاد اليه هنيهة ولكنه لم يطل فانه [illegible] فجعل ينشد لمرسيليز

اما بنوات فانه دعر لهذا الانقلاب تعاد الى بيبي ومثل له اري ان جميع علوم مونيتو لا تفيده في شيء

قال لنصبر الى النهاية

ـ الك ثقة بدواء مونيتو

ـ كل الثقة

ـ اما انا فلا اثق به بعد ما رايت

ـ لانه راى صورة بنته فعرفها وبكاها

ـ ولكنه رجع الى نسيانها

ـ هو ذاك غير انه يفتكر الان في احد ادوار حياته

ـ اي دور

ـ دور الثورة

ـ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ـ كلا لم يحن الوقت بعد

وعند الظهر عاد بنوات الى الشفاليه بالطعام كما كان يصنع في باريس واكل وشرب دون ان يذكر شيئا من ماضيه ولما فرغ من الطعام قال لبنوات تعال معي

قال الى اين تريد الذهاب

قال اريد ان افتش على النهر

وكان بيبي واقفا وراء الباب بحيث يراه بوليت فاشار اليه اشارة مفادها لاتخالف فيما يريد فامتثل بنوات وتقدم الشفاليه الى السلم فكان يتبعه حتى انتهى الى مجموعة من اسلحة الصيد كانت لاورور فوقف عندها وجعل يتمعن بها مليا

ثم مشى يتبعه بنوات وهو ينظر بامعان الى كل ما يحيط به حتى راى حجرا ضخما فجلس عليه ونظر بوجه بنوات فقال له اني اعرفك ايها الرجل فانك انت الذي حسكنا نقبك بالاحدب فاذ كنت تدعى قال بنوات

- نعم نعم لقد ذكرت فان اورور كانت تحبك

وعندما ذكر اسم اورور انقطع عن الحديث وعاد الى التصور ولكنه لم يعد يحاول التفتيش عن النهر

وقد بقي جالسا نحو ساعة على الحجر وبنوات معه لا يجسر ان يكلمه بحرف الى ان نهض الشفاليه فجأة فقال له هلم بنا

قال الى اين تريد ان تذهب

قال نعود الى المنزل فان البرد قارص

وسار واياه لهويناء وهو يحدثه فقال له اني عرفت الان اين انا فاني في قصر البلياردير

- هذا اكيد ياسيدي

- يظهر اني كنت مريضا جدا

- وهذا اكيد ايضا

- اما كنت مصابا بالهذيان

- هو ذاك

- العل ذلك طال بي

- عدة ايام

- يجب ان يكون ذلك فاني رايت امورا غريبة خلال مرضي حتى تخال لي اني كنت احلم

- وبماذا حلمت يا سيدي

- بامور كثيرة لم تحدث دون شك فاني اجد نفسي لا ازال في منزلي فقد رايت انهم احرقوا القصور وقتلوا الملك وطردوا النبلاء والاساقفة واني انا انقلبت فبت عدوا للبلاء انشد الاناشيد الحماسية ثم غنى دورا من تلك الاناشيد الثورية وقال لبنوات اسمعت شيئا انت من هذا الغناء

فارتعد بنوات وقال كلا يا سيدي

- اذن فقد كنت حالما دون شك وانا الذي اخترعت هذه الاناشيد ثم قال له فجأة الا تذهبون اليوم الى الصيد

ـ كلا

ـ واورور الاتصحبك معها

كلا

ـ اتعلم اذا كانت تعود باكرا هذه الليلة

ـ انها تعود حسب العادة

وكان بيبي قد استتر وراء الشجرة التي كان الشفاليه جالسا تحتها يسمع الحديث فلما رآه عزم على الرجوع سار مختفيا بين الاشجار يقفو اثرهما غير ان الشفاليه التفت فجأة ورأى بيبي وكانت ساعة هائلة فانه اسرع اليه وقال له . انت .

قال نعم انا هو

فصاح المجنون صيحة منكرة وقال اذن لم اكن جالما وكل ما رايته اكيد فالمرسيليز انشدت و لمقصله عمات و لملك قتل كل ذلك اكيد اليس كذلك

فاطرق بيبي برأسه دون ان يجيب غير ان الشفاليه هز ذراعه وقال له تكلم لماذا انا هنا سيف قصر الشفاليه دي مازيرو انا المواطن بول

ـ لشفائك

فغص المنكود بالبكاء وقال اورور اورور انهم قتلوها ثم سقط لا يعي بين ايدي بيبي وبنوات فقال بنوات رباه انه قضى عليه او كاد وعند ذلك نظر الى بيبي وبنوات نظرة المؤنب وقال لهما لماذا جئتما

بي الى هنا

فاجابه بونات اني مخبرك بذلك يا سيدي فقد كنت اشتغل في باريس منذ بضعة شهر فمرضت وتقلوني الى المستشفى الذي كنت انت فيه فعرفتك ولما شفيت من مرضي التمست من المدير ان اذهب بك الى منزلي فاذن

فقال له بيي كلا بل ان ذهبت من اداة الشفاء وقد نجا دمن شك

٧

ولقد اصاب بيي فيما قاله فان بذكارات الماضي عادت اليه فجأة وعلم انه الشفاليه دي مازيرفه والد اودري وذكر انه كان يدعى المواطن بول زعيم البوليس السري الهائل

اما بيي فانه دعك صاغه وعالجه بما تيسر له من اغمائه

قال نعم نعم اني اذكر ذلك

- ففي ذات يوم لقيت بيي وهو يرتعش فخطر لنا ان الاطباء قد يكونون مخطئين فيما زعموه من استحالة شفائك واننا اذا جئنا بك الى هنا فقد تشفى

- ولكن لمن هذا القصر الان

فاجابه صوت من الخارج انك ياسيدي وكان صاحب هذا الصوت كورني فعرفه الشفاليه ايضا

- كيف يكون لي الم يضبطوه في عهد الثورة

- نعم يا سيدي ولكني اشتريته من الحكومة بثمن بخس وهو دائم

لكم كما كان

فنظر الشفاليه بعد ذلك نظرة الى بيبي كان يقول له بيد خ
بك فهم بيبي مقصده واشار الى سوات وكوبر بالخروج عاجلا

ولما اختليا قال له الشفاليه يظهر انك لا تزال صديقي فاخبرني كل ما جرى منذ ذلك اليوم الهائل حيث ....

فقاطعه بيبي قائلا انك جئت كما قال لك بيبي

ـ اكان ذلك من عهد طويل

ـ منذ ثلاثة اعوام

ـ ثلاثة اعوام . والجمهورية ماذا حدث بها

ـ لا تزال قائمة

ـ ورولبسبير

ـ مات مع جميع انصاره فقضى عهد المفصلة

ـ وهذا الاحدب والمزارع ايعلمان شيئا من امري

ـ اطمئن فانهما لا يعلمان شيئا

فوضع الشفاليه يده على جبينه وسال الدمع من خلال اصابعه فقال اني كنت كثير الذنوب فعاقبني الله

ـ العلك تبت الان

ـ توبة صادقة لا تنقض

ـ اذن اصغ الي فاننا جئنا بك الى هنا لنعيد شفاءك وقد شفيت باذن الله ولكن لنا قصدا اخر

- ما هو هذا القصد

- اتذكر تنوان النوريه التي يدعونها ام روكامبول

فذعر الشفاليه لذكر اسمها وقال ان هذه الشقية هي التي سرقت الصندوق وفيه ثروة بنتي ثم تنهد تنهدا طويلا وقال ولكن الاموات لا يحتاجون الى مال

- اذن لندع هذه السارقة المحتالة تتمتع بهذه الثروة وانت احق بها

- اية حاجة بقيت لي الى المال وبعد فمن يعلم اين هي تنوان وماذا اصابها

- انا اعلم وقد اقسمت يمينا محرجة على ان استرد هذا المال منها

- ما الفائدة من ذلك وابنتي قد ماتت

- اليس لك وريث اخر ألم يكن لابنتك اخت

- نعم نعم كان لها اخت من امها كريستين ولكنها قتلت ايضا دون شك

- كلا فانها لا تزال في قيد الحياة

- اذا كان ذلك فساكفر عن ذنوبي بارجاع المال الى هذه الفتاة

- ولكن ما حيلتك في استرجاعه

- لا اعلم بعد غير اني ارجو ان يساعدني احد

ـ ربما قدرت انا ايضا على مساعدتك

ـ كيف ذلك

ـ انك محتاج الان الى الراحة فادخل الى غرفتك واجتهد ان تنام قليلاً وعندما نصحو نعود الى التحدث بتنوان

فامتثل وكان التأثر قد انهك قواه فنام ولكنه لم يطل رقاده فلما صحا وجد بيبي عند سريره فقال له لقد نمت واسترحت اسوت الان بمجنون فاخبرني بما تعلمه عن تنوان

فقص عليه بيبي جميع ما عرفه القراء من امرام روكامبول وكيف انها اودعت المال عند ملك النور وانه يرد المال في الحال متى ثبت له ان وصية الاميرة هيلانة مزورة

فقال له الشفاليه ان تزويرها لاشك فيه

ـ انت واثق مما تقول

ـ كيف لا أكون واثقا وانا الذي زورتها في ايام الضلالة حين كنت عازما على سرقة هذا المال والزواج بتنوان

ـ اني اعلم ما تقوله غير ان كلامك اذ كان يقنع ملك النور فهو قد لا يقنع رجال مجلسه

فغضب الشفاليه وقال ما عليهم الا ان يجمعوني بهذه الاعين وباكرهها على الاقرار

لديك رسالة اليس بخط الاميرة الحقيقي

ـ كلا

[illegible]

[illegible]

فنادى عند ذلك بيبي الاحدب وقال له لم يبق لنا بك حاجة هنا فيجب ان تذهب الى باريس فتعطي مونيتو ملك النور هذه الرسالة التي ساكتبها

ثم جلس عند مائدة عليها ادوات الكتابة وكتب الى مونيتو ما يلي

(ان المجنون شفي اتم الشفاء وقد عاد اليه ذاكرته ما ضر حالا واذا كان رجال مجد سورك قد حضروا فليحضروا جميعكم فان والد اورور يثبت لكم ان وصية الاميرة هيلانة مزورة

صديقك بيبي

فاخذ الاحدب الرسالة وبعد ساعة كان سائرا في طريق باريس

ومضى النهار والشغاليه على اتم عقله وقد كان معتقدا ان ابنته اورور ماتت ولكنه كان يريد ان يعيش للعناية باختها حتى فلم يشأ بيبي ان يخبره امر ابنته حذرا من ان يقتله السرور

وقد نام تلك الليلة نوما هادئا وفي اليوم التالي قال لبيبي اتريد ان تصحبني فتنزه في الغابات فوافقه بيبي على ما اراد وخرج الاثنان فلم يبرحا القصر الا بعد ان شعر الشيخ بالتعب فقال لو كانت عصاي معي لتوكأت عليها واشعر بهذا التعب

فقال له بيبي انتظرني هنا الى ان اعود الى القصر واتيك بها

ثم تركه و صرف عائد الى المصر وبقي شماليه جالسا على حجر ينتظره

وفي خلال ذلك ظهر شبح كان يسير سيرا بطيئا وهو قادم الى جهة الشماليه فكان الشماليه يتفرس به وهو بعيد عنه حتى اذ اقترب منه قال الشماليه منه شيئا ماريا ترى للعل الاموات قد بعثوا

وكذلك الشيخ فان انذهاله كان اشد فقال له اما انت الشماليه دي ماريز قال كما انك انت الاب جيروم

وكان هذا الشيخ الاب جيروم نفسه ينقص على القراء كيف انه تجاسر على الظهور في النهار وهو لم يكن يجسر على المجيء الى قصر بلياردير الا في ظلام الليل

٨

ان الاب جيروم رئيس الدير الذي عرفه القراء في الاجزاء السابقة من تاريخ كامبول كان قد اختبأ في قصر البيلياردير في اول عهد الثورة وكان في مأمن من الثائرين لحب اهل القرية له حتى انهم كانوا يرجون ان يتمكنوا من تهريبه

غير ان نقمة الثائرين على النبلاء زادت وعمت حتى باتت اشد منها على رجال الدين فقبضوا عليه بوما اركبوه في مركبة غاصة بالرهبان الى اورليان والقوه في سجن كان فيه كثير من الرهبان والنبلاء .

وكان القتل في الريف ابطأ مما كان عليه في باريس بحيث

كانوا لا يقلقون الا ثر من اثنين و ثلثة ي يوم فجاء السجان حين دخوله وقال له لا تخف فان دورك لا يجين قبل ستة اسابيع .

ولم يكن السجن قاصرا على النبلاء والرهبان بل كان فيه ايضا بعض اللصوص القتلة وبينهم ثلاثة قتلوا جابي الحكومة وسلبوا ما كان لديه من المال فحاكموهم وحكموا عليهم بالاعدام

ومن غرائب الاتفاق ان احدهم كان يشبه الاب جيروم بقامته وشكله وهو من اهالي قرية كانت تابعة لدير الاب جيروم فلما علم انهم حكموا عليه بالاعدام ورأى الاب جيروم جثا امامه وساله ان يباركه .

فتاثر الاب جيروم لنكبته ولم يقتصر على مباركته بل فعل اكثر من ذلك فقد كان لهذا اللص امراة وبنون وكان لا ينفك عن ان يوصي بهم الاب جيروم فقال له بماذا استطيع ان افيدهم وانا ذاهب مثلك الى الموت

اما اللص فانه جعل يبكي ويلثم طرف ثوب الاب جيروم ويذكر امراته واولاده بما يقطع القلوب اشفاقا

فرثى الاب جيروم لنكبته وقال له لقد خطر لي يابني خاطر اوجو ان يكون فيه الخير لك

قال ماهو

قال انك تشبهني بعض الشبه بشعورك البيضاء وقامتك وملامح

وجهك .

فلم يفهم اللص ما اراد

فقال له الاب جيروم انهم لا يقتلوني قبل ستة اسابيع كما اخبرني السجان ومن يعلم ما يحدث في خلال هذه المدة فقد تفتح ابواب هذا السجن وتنتهي الثورة بل قد يحدث رد فعل في فرنسا

قال ان هذا لا بد منه وانا اضمن لك انك تنجو

قال اذا كان ذلك فانت هو الذي ينجو

فنظر اليه اللص نظرة دهش ان يفهم شيئا من مراده فابتسم رئيس الدير وقال له اعطني ثيابك يا بني وخذ ثيابي وغدا عند ما يدعونك الى الاعدام اذهب بدلك واموت انا فعيالك ان تعيش سعدا مع امرأتك وبنيك على ان تتوب ولا تعود الى المآثم

فنطرح اللص على قدميه ثم دبت الحمية في راسه فقام ولكن الاب جيروم تغلب عليه فتبودلت الثياب بينهما ولبس كل منهما ثوب الاخر

وفي فجر اليوم التالي جاءوا باللصوص الثلاثة وبينهم الاب جيروم وقد اخفى وجهه ما استطاع وساروا بهم في مركبة مقفلة الى ساحة الاعدام .

وكان اللصان الباقيان لم يرهبا الموت فجعلا ينشدان هما سائران الى الموت نشيد المرسيليز ويصيحان لتحيا الجمهورية وليحيى الشعب تحيا الشعب الخمسة هؤلاء اللصوص وتحيا الحاكم الخامسة الشعب فجاء باللصوص وبينهم الاب جيروم وقال لهم انكم مازلتم تقدمون على

لموت وانتم تدعون للجمهورية فان الجمهورية تعفو عنكم ثم امر باحضار وثائقهم واطلق سراحهم

وقد كان دهش الاب جيروم عظيما انجاته من الموت بهذا الاتفاق فذهب واختبأ في المدينة بضعة اشهر اما ذلك اللص الذي حل الاب جيروم محله فقد ادركت الحكومة خطاءها في اليوم التالي فعفت عنه كما عفت عن رفيقيه اللصين

وعاد الاب جيروم بعد ذلك الى قصر بيلي ادير وباح بامره للمزارع كورني فاختبأ في غابات اورليان المقدسة فلا يخرج الا في الليل لالتماس الطعام من القصر

ففي اليوم الثاني عطلت وهي المعطلة ومضى بعدها بسير اخبر كورني الاب جيروم بما تفق انه لم يبق خوف عليه ودعاه الى الاقامة معه في القصر ولكن الاب جيروم ابى وذلك انه حين شبت الثورة اخذ الاب جيروم جميع اموال الدير فوضعها في صندوق ودفنه في الغابة التي كان مختبئا فيها

وكان جميع هبان ذلك الدير تفرق فبعضهم قتلوا وبعضهم هربوا فتمكن الاب جيروم بواسطة كورني من الاتصال ببعض الهاربين فجاءوا اليه متنكرين وجعلوا ينقلون الاموال تباعا الى بيامونت فبقي الاب جيروم مختبئا الى ان تم نقل جميع الاموال اما الان وقد نقلت جميعها فلم يعد في حاجة الى الاختباء

ولنعد الان اليه والى الشقاليه فانهما حين اجتمعا قال له الاب جيروم

أانت باق في قيد الحياة

قال اني لا ازال حيا مثلك كما تراني ثم انه ص
يضطرب اني كنت يا ابي من ابرار نجومين حكي ب
توبة صادقة

قال اني ارجو ان تكون توبتك صادقة كما تقول واسال لك عفو الله

وادرك الشفاليه من لهجة الاب جيروم انه لم يصدقه فقال له ارى انك لا تزال مشككا بتوبتي ولكن ثق ان توبتي معادلة لاثامي فان الله قد عانى على هذه الاثام عقاب فتح في قلبي باب توبة وانا الان اسألك باسم ابنتي ليلى ان تغفر لي ما فعلت لابي

قال اني اغفر لك يا بني ولكني لا سامحك باسم ابنتك ليلى

قال لماذا

قال لان ابنتك لم تمت كما تتوهم وهي في قيد الحياة

فصاح الشفاليه صيحة هائلة ونظر الى الاب جيروم نظرة ارعبته وقال له تقول ان ابنتي في قيد الحياة

قال دون شك

فصاح الشفاليه صيحة اشد من الاولى ثم صعق وسقط على الارض وهو ينادي ويرور

وعند ذلك عاد يبني من القصر بعض الشفاليه فوجده صريعا فقال الاب جيروم رباه ماذا اصابه وماذا قلت له

قال اهذا لمذكور وكان يتوهم ان ابنه ميتة

- اقلت له انها في قيد الحياة

- نعم

فاضطرب بيبي اضطرابا شديدا وقال له انك قتلته يا سيدي وانت تحسب انك تحسن اليه وعاكان موته داعيا لى دمار اوروبا وحزنه

فركع الاب جيروم ووضع يديه على جبينه وبعل يصلي اما بيبي فانه بذل جهده في سبيل ارجاع الشفاليه الى هداه ولكن الشفاليه كان قدماتت قتله الفرح كما توقعه ملك النور

٩

واعلم انا ليس قبل ان يصل بنا بنوا الاحدب فنرى ما كان من نيشات وتنوان وملك النور وبولیت

ان الحصة التي وضعها بيبي قبل سفره بالشفاليه نفذت بتمامها فان مونيتو كان يذهب في كل يوم تقريبا الى منزل تنوان ويتظاهر بتفانيه في غرام ابنته فتزيد البومة تظاهرا بالفضيلة وكانت تقول له حين تنازلها انك رجل واما ابنة شريفة طاهرة فتزوج بي فيجيبها انى لا ارجع عن هذا القصد وساتمه دون شك متى سافرنا الى المانيا ثم يمثل عدم سفره بان مدام تاليان تريدان تشتري منه كثيرا من المجوهرات والمخابرة دائرة بينهما فتحول دون السفر

اما بولیت فان وجوده في منزل تنوان مع نيشات اهاج فيها عوامل الخوف لان بولیت كان فتى جميلا خشيت ان تحبه نيشات

فتقدمت نوران

ولذلك ناداته يوما وقالت له اما ملذات الاقامة في باريس يا بوليت

قال لماذا تقولين لي هذا القول الملل وجودي فيها ثقل عليك

قالت هو ذاك فان عندي الاموة لي بها ما ب ولا يوافق بقاؤك عندي في هذه الظروف فخذ ما تحتاج اليه من المال وتنزه بضعة اسابيع خارج باريس

قال سامتثل لامرك ولا احضر الى منزلك ولا احب الي من رضاك ولكني لا استطيع مبارحة باريس

قالت لماذا

وكان بوليت قد ادرك السبب في خوفها فقال لها ذلك لاني علقت بحب فتاة من اعاملات ملكت شغافي فلا استطيع فراقها

فتنفست نوران الصعداء وقد ذهب خوفها فاعطته مبلغا من المال واذنت بالبقاء في باريس على ان لا يحضر الى منزلها قبل ان تدعوه

فامتثل بوليت بالظاهر ولكنه كان يزور نيشات كل ليلة فيدخل اليها متلصصا من باب الحديقة

واما ملك النمر فقد تظاهر انه استرسل الى غرامه فلم يبد باحث نوران بشيء مما في قلبه ولا يحدثها الا بزواجه المستقبل بنيشات والسفر جميعا الى المانيا لعقد ذلك الزواج

وكان جميع دعاة الدعوى [illegible] طمئنت عن امرها لم تكن مطمئنة وقد دخلت بها ليلة نيشان فقالت لها مالي اراك ملقه مضطربة وانت ترين اني صيرت مونيتور عبدا لي

قالت هو ذلك ولكني لا ازال اخاف بيي

قالت ولكنه برح باريس كما ابرك جو سيسك

— اذا كان قد برحها فانه يستطيع العودة اليها

— وماذا تخشين من رجوعه فاننا نكون قد سافرنا الى المانيا

— اصغي الي يا بنتي اني ارف مونيتور حق المعرفة فهو لا يؤثر عليه بيي اذا لقيه ولا يغير معتقده اختجاج اوزواختها وزوجاهما فلا يؤثر عليه غير البراهين

— ولكن لا يوجد براهين فما تخافين

— تلك مخدعة فان الوصية مزورة ويكفي ايجاد سطر واحد من خط الاميرة هيلانة لاظهار تزويرها

— ولكن هذا الخط غير موجود

— بل اني اعتقد انه يوجد كثير من الرسائل مخطها

— اتظنين ان بيي عثر بها

— كلا ولكنه يبحث عنها دون شك فاخاف ان يجدها فانه احذق رجل عرفته من رجال البوليس

— واذا كانت هذه الرسائل موجودة كما تقولين فان يجدها

— اني سابوح لك بسري لوثوقي من ذكائك واخلاصك فاعلمي ان

الاميرة هيلانة اقامت مدة طويلة في قصر قريب من الدير وكنت انا والكونتس دي مازيرو مقيمين معها وبحكم ان الكونتس كانت كثيرة الاهتمام بامرها فقد كانت تقول لي انه لا بد من وجود صناديق صغير يتضمن المرسلات التي تبوح بالسر بين الاميرة والكونتس دي مازيرو وكانت هذه الاميرة تكتب باللغة الفرنساوية كما هو معلوم ولها ولع عظيم بما تكتبه ولا بد ان تكون احتفظت بتلك الرسائل

اما انا فلم اهتم في ذلك العهد بهذه الرسائل ولا باهتمام الكونتس بايجادها ولكني كنت ولا ازال واثقة من وجودها واعتقادي الان انها مخبوءة في مكان خفي من ذلك القصر

فقالت لها نيشا ـ وهل هذا القصر موجود الان

ـ انه لا يزال على ما كان عليه

ـ ومن يمتلكه

ـ ان الحكومة ضبطته في عهد الثورة واعادته لاصراف المانى قبل بعد شرائه بشهرين ثم انتقل القصر من مالك الى مالك وهو الان معروض للبيع بالمزاد

ـ اذن يجب ان نشتريه فنبحث فيه عن الرسائل ونحرقها متي وجدناها

ـ لقد خطر لي ذلك ولكن تحول دون قصدي مشكلة

ـ ما هي

ـ ان هذا القصر يبلغ ثمنه نصف مليون على الاقل

ـ اتعدين سدا من المشا كل على غنائك

ـ اني وافرتم الغنى ولكن جميع مالي مودع عندمونيتو وهو لا يدفع لي غير الايراد

ـ اذن انت محتاجة الى شيء من الراسمال

ـ هوذاك

ـ لا تخشي فساكره مونيتو على ان يدفع لك ما تحتاجين اليه

ـ اتظنين انه يدفع

ـ بل انه سيشتري القصر باسمك وسوف ترين

فعانقتها تنوان وقالت لها لاشك انك ملاك

فضحكت نيشات وقالت بل انا شيطان رجيم والان اسمحي لي بالانصراف للرقاد وغدا يكون ما تريدين

ثم افترقتا فدخلت نيشات الى غرفتها حيث كان ينظرها بوليت حسب العادة فلما لقيها قال لها لقد سئمت الانتظار فاني انتظرك منذ ساعتين

قالت ليس الذنب ذنبي فان تنوان اعاقتني

ـ لماذا مع ان النوري قد انصرف منذ ساعة

ـ هو ذاك ولكن كنا نتحدث

ـ بماذا

ـ بامور كثيرة

وقد ظهر من نيشات انها لا تريد الزيادة في الايضاح فنظر اليها

بوليت نظره الفاحص وقال لها انك تكذبين وانك تريدين اخفاء الحقيقة عني فقولي لي الحقيقة او اذهب في الحال

قالت ولكن ماذا تريد ان اقول لك

ـ اريد ان اعلم بماذا كنتما تحدثان

ـ اذن فاعلم ان تتوان تريد مغادرة هذا المنزل والاقامة في قصر في شارع الدير

ـ لماذا

ـ لان هذا القصر الجديد كانت تقيم فيه الاميرة هيلانة وثمن هذا القصر نصف مليون فهمت الي ان التمس لها من الملك النمسوي هذا المبلغ

فاكتفى بوليت بما علمه وجعل يحادثها بامور مختلفة

وفي صباح اليوم التالي قرع بوليت باب مونيتو وهو لا يزال نائما فدخل اليه وقال له الديك كثير من المال

قال اني احصل على المال متى شئت

ـ كيف ذلك اتكتب الى المانيا

ـ كلا بل اقطع زرا من ازرار ثوبي

ـ العل هذه الازرار من الذهب

ـ كلا بل هي من الماس وهي مستترة بالقماش ولكن لماذا تسألني اذا كان لدي كثير من المال

ـ لان نيشات ستسألك غدا مبلغا عظيما

فضحك بونيتو وقال لي لم اكن اتوقع طمعا من هذه الفتاة

قال ولكنها لا تطالب المال هذه المرة لها بل للتنوان

- اني اعطيتها منذ خمسة ايام مائة الف فرنك

- والان هي محتاجة الى نصف مليون لشراء قصر في شارع الديز كانت تقيم فيه الاميرة هيلانة . افهمت الان

- كلا لم افهم شيئا

- ولكنك تعلم انه لو كان لها رسالة من خط هذه الاميرة لقابلنا به خط الوصية واتضح التزوير

- نعم ولكن اين هذه الرسائل

- ان نيشات لم تقل لي شيئا عنها ولعلها انتظر غير عالمة بامرها ولكن ربما كانت تتوان تحذر منها فلم تخبرها عني انها لا تريد شراء هذا القصر الا لاعتقادها بوجود رسائل مخبوءة فيه من خط الاميرة تخوفها من ان يعثر بيبي بهذه الرسائل

- وما الذي يحملك على هذه الظنون

- اني ذهبت اليوم الى هذا القصر الذي تريد تنوان ان تشتريه فوجدته معروضا حقيقة للبيع ولكن منزلها الذي تقيم فيه الآن خير منه والفرق بينهما بعيد فلماذا تريد استبداله اذا لم يكن لهذا الغرض لم يراد

- ولكن المبلغ جسيم وسارفض دفعه بالرغم عن حبي العظيم لنيشات

- بل يجب ان تدفع

ـ اني لم اهم بصدك

ـ كيف ذلك الا يهمنا نحن ايضا الحسود هذه الاوراق

ـ دعني من ذلك

ـ فاذا اشتريت تنوان القصر

ـ تجد الاوراق وتحرقها

ـ كلا بل نحن نجدها

ـ كيف ذلك

ـ الملك نسيت اني عشيق نيشات

ـ كلا ولكن نصف مليون فرنك يلغي حسيم

ـ اراك لم تجمع عدك اليوم بعد اذا استدار الى منهما ملك من توقد الدهن فاعلم انه لا يملك من امرها شيء وما اترد المال لاصحابه او تبقيه تنون

ـ هذا اكيد

ـ فاذا اقبلت المال لتنوان فاني خسارة من ان يستبدل المال بارض صالحة واذا ارجعته الى اكوتس دورو وعتها بها لا رضان هذا القصر

ـ لقد اصبت كل الاصابة فان ذلك لم يخطر في بالي

وعند ذلك طرق الباب ففتح وليت وكان الداخل تنوات الاحدب وهو يلهث من التعب فاعطى اونيو الرسالة وقال له اني لم ار ولم اسمع بعد منذ خروجي من القرية

ففتح مونيتو رسالة بيبي وعلم منها ان الشفاليه دي مازير قد عاد اليه صوابه فقال يسرني ان يتم شفاؤه كما توقعت ولكن الرجلين اللذين انتظرهما لم يحضرا بعد ولا بد لي من انتظارهما ثلاثة او اربعة ايام ثم التفت الى بوليت وقال له وفوق ذلك فان لنا ما نعمله هنا

فقال الاحدب ولكني ارى ان ما يطلبه بيبي في غاية الخطورة

فاجابه مونيتو وانا واثق من ذلك غير اني لا استطيع السفر قبل حضور الرجلين اذ لا يدعني ان اجزم بالامر وحدي

فقال الاحدب اذن اعود الى القرية واحضر بالشفاليه وبيبي

قال عد الى القرية ولكن لا تدعوهما الى الحضور فان الشفاليه قد يعود اليه الجنون اذا عاد الى باريس

قال ولكن متى نحضر

قال قريبا ثم اخذ القلم وكتب الى بيبي ما ياتي

« لا تلك الصبر قليلا فان الرجلين لم يحضرا بعد وحين حضور نا نسرع الى موافاتكم فاطمئن فاننا لا نضيع الوقت عبثا انا وبوليت »

مونيتو

واعطاه الرسالة وقال له عد بها الى بيبي

فقال له الاحدب ولكن التعب انهك قواي ولا بد لي من الرقاد

قال والطعام ايضا

قال كلا فان النوم يغلب الجوع ثم انطرح بثيابه على سرير

موبيتو وبام

وفي المساء سافر بالرسالة ولكنه لم يتوسط طريق ويقف في موقف مركبات البريد حتى ذهل ذهولا عظيما اذ رأى في مركبة واقفة الاب جيروم وبيبي فدخل اليهما وقال لبيبي اين النفاليه

فقال لقد مات رحمه الله

واطرق الاب جيروم رأسه الى الارض طرق الاسف وقال ان الذي قتله

فذعر بنوات لهذا النبأ المفجع لاعتقاده ان تزوير الوصية لا يثبت الا باقرار الشخص الذي وقع الرسالة لبيبي

فلما اطلع عليها قال اني اعتمد كل الاعتماد على بوليت فهو الذي يستطيع الان بمساعدة نيشات ايجاد البراهين على تزوير الوصية

وعند ذلك واصلوا السير عائدين الى باريس وعاد معهم الاحدب

١٠

بعد ذلك بثلاثة ايام كان بيبي في باريس وكان مونيتو قد وعد تنواز بان يدفع لها ثمن القصر

وقد كان هذا القصر قديم البناء لا يدل على الابهة ولكنه كان محاطا بارض متسعة غرست فيها الاشجار على اختلافها

ففي اليوم الذي عين بيعه بالمزاد كان بيبي وبوليت سيران في شارع المير وقال بيبي لرفيقه انه لو كان عندي نصف مليون

[illegible]

ل لماذا

ـ لابحث فيه عن الرسائل بنفسي

ـ الملك تخشى ان تجدها تنوان فتمزقها

ـ هو ذاك

ـ ولكن اطمئن فقد سامر عليها

ـ انك ترقبها في الليل

ـ وفي النهار ايضا

ـ كيف ذلك

فابتسم وليت وجهه وقال لا اراها في الليل والنهار ولكني اكون في القصر كل حين

ـ ان لم افهم ما تقول

ـ ان بنوات الحدب خبرك سرا كيف انني تعرفت بالاختين في الخمارة

ـ اذكر ذلك

فقال تذكر صاحب تلك الخمارة الذي جاء بالاختين الى اخت امرأته الغسالة

ـ اذكر كل ذلك ولكني لا اعلم ماذا تريد

ـ اريد ان اكلمك صاحب هذه الدي يحب الاختين اصدق حب هو بواب القصر الذي ستشتريه تنوان

— احق ما تقول

— نعم وقد تغيرت تغيرا عظيما حتى انه لم يعرفني فقلت له اني سكرتير رجل واسع الثروة وسأجيء به لزيارة هذا القصر فاذا اعجبه اشتراه

— اذن اكون انا ذلك الرجل الغني

— دون شك

فابتسم بيبي وواصل معه السير حتى وصلا الى ذلك القصر فوجدا كوكليس جالسا عند بابه فقال له بوليت لقد اتيت بالرجل الذي اخبرتك عنه

فحيا كوكليس بيبي ولم يعرفه مع انه كان قد راه مرة عند الغسالة في باريس

فسأل بوليت كوكليس قائلا اانت وحدك

قال نعم يا سيدي ان امرأتي ذهبت مع اختها حين اتت لزيارتها وهي ستعود قريبا

فقال له بيبي اتزورها دائما اختها

فعجب كوكليس لسؤاله وقال نعم

قال لا تعجب لسؤالي عن اخت امرأتك فاننا نعرفها حق العرفان

فزاد اندهال كوكليس وقال اني حين رأيتك جعلت امعن فيك النظر لوثوقي اني رأيتك مرة ولكني لا اعلم اين

فضحك بوليت ذلك الضحك القديم الذي كان يضحكه حين كان شريدا لصا سكيرا بحيث عادت اليه هيأته القديمة فعرفه كوكليس وقال له منذهلا انت بوليت

قال انا هو ايها الصديق ولو لم تضحك ذلك الضحك القديم لما عرفتني

قال لقد صدقت ولكن ماذا تريد مني الان الملك قادم للانتقام مني

فمد اليه بوليت يده وقال له معاذ الله ان اريد لك شرا بل اتيت لمحادثتك

فقال له بيبي ان اخت امرتك لا بد ان تكون قد تكلمت امامك عني

— عنك انت

— نعم فاني ادعى بيبي

— انت هو بيبي

— نعم هو بعينه

وعند ذلك اتت الغسالة واختها وكانت الغسالة قد سمعت اسم بيبي فجعلت تنظر اليه ولكن بيبي كان يتنكر حين يكون في باريس بحيث لم تعرفه الغسالة فقالت له املك تعرف بيبي يا سيدي

قال انا هو ثم ابتسم وازاح نظارتيه عن عينيه ونزع الشعر المستعار الذي كان يلبسه فعرفته الغسالة وسرت به سرورا عظيما فحكت لزوج

اختها ما صنعه بيبي وبوليت في سبيل الاختين حتى اذا انت حديثها قال بيبي الكوكليس انا الان محتاجون اليك يا كوكليس فقل لي لا تزل تحب الاختين كما كنت تحبهما من قبل

قال نعم غير انهما لا تحتاجان الينا الان فانهما متزوجتان سعيدتان

— هو ذلك ولكنهما لا تزالان محتاجتين اليك

— بماذا

— ان ثروتهما قد سرقت في زمن الثورة ولكن اتعلم اين هي هذه الثروة

— كيف لا اعلم

— انها مخبوءة في هذا القصر وعند ذلك اخبره بايجاز ان هذا القصر كانت تسكنه عائلة اورور وحنة

قال اذن ان المال مخبوء فيه

— ولكن القصر سيباع

— اني اعرف ذلك بل اعرف الذي سيشتريه

— لعله انت

— كلا فاني لست من الاغنياء ولكن الذي سيشتري القصر هو سارق الثروة نفسه ويجب ان اراقبه في كل حين انهمت الان

— كلا

— مع ان الامر بسيط فان لك اخا

ـ انك مخطيء مليس لي خ

ـ بل انت المخطيء مان لك اخا جاء من الريف الى باريس ويود ان يعين خادم غرفة في احد القصور

ـ وهذا الاخ

ـ هو انا وساقيم في ضيافتك الى ان اجد منزلا اخدم فيه

ـ لقد فهمت الان

ـ اذن فاعلم الان اني اشتغل في الحدائق والمطابخ وكل حاجات المنازل عند الاقتضاء وسابقى في ضيافتك وربما استخدمت في هذا القصر ايضا

فتداخلت الفساله في الامر وقالت لصهرها ان بيبي رجل فاضل وهو يحب الاختين حباصادقا ما به الى سؤاله

فقال لها بيبي عند ذلك وانت لا يجب ان تحضري بعد الان الى هذا القصر

فعجبت الفساله وقالت له لمادا

قال الا تذكرين البومة التي كانت في خدمتك

قالت كيف لااذكر هذه البقية وقد حاولت ارسال زوجي الى الاعدام .

قال اتعلمين ماذا جرى لها انها اصبحت الان من كبار السيدات وهي صديقة المرأة التي ستشتري هذا القصر ولذلك يجب ان لا تراك هنا فاذا رأتك اساءت الظن بنا جميعنا وحملت صديقتها على

طردنا .

وعند ذلك دعهم بيبي على ن يه في المساء فيقيم بضيعة وكليس وذهب مع بوليت فقال له بوليت انك تخاطر مخاطرة عظيمة باقامتك في هذا النزل الا تخاف ان تعرفك ثوان قال اعرفتني في حديقة تيفولي حينما عرفتني بها فتعرفني الان

ثم ذهب الاثنان الى قهوة كان وعدهما ملك النور على لاجتماع به

١١

وفي اليوم التالي وهو يوم بيع القصر بالمزاد نهضت ثوان من رقادها وهي قلقة مضطربة فجمعت بنيشات وقالت لها اني موجسة خوفا من بيبي واخشى ان يكون خطر له نفس خاطري

قالت اي خاطر تعنين

قالت اخشى انه يحاول شراء القصر

فضحكت نيشات وقالت اولا ان بيبي ليس لديه درهم

ـ والاخرون

ـ والاخرون مثله فان الكونت دي مازير يعيش في فينا مما تكرم عليه به الامبراطور والجنرال داغوبير ليس له غير راتبه وهو لا كاد يكفيه

- اتظنين ان من يشترى القصر يدفع قيمته على الفور

- لا فمتى تدفع

- انه يدفع في البدء عشرين الف فرنك رسم النفقات وبعد اربعة شهر يدفع الثمن كله وهذه لمدة تكفيه لفرايش والعشر على الرسائل ثم اخبرك انه يجب الحذر من مونيتو فانه مهما بالغ من غرامه لك وتدلهه بهواك فانه في موقف الاعمال ينسى كل غرام

- اتظنين ذلك يا اماه

- بل لوكده فقد راقبته مرات كثيرة هو بمجلسنا ويفرط في الشراب حتى نحسبه نشوانا يكاد يسقط لسكره ولكني كنت ارى في خلال نظراته بريقا سريعا يشف عن التهكم

- اني لم ارى شيئا من ذلك

- اما انا فقد رايت فداخلني من ذلك الحين شك هائل

- وبماذا تشككين

- بان مونيتو يهزأ بنا ونحن نحسب انا نهزأ به وعندي انه متفق بالسر مع بيبي ولذلك اخشى اني اذا بالغت بالزيادة في ثمن القصر حين بيعه بالمزاد ان يشك مونيتو بقصدي

- ولكن لا بد من شرائه فماذا تصنعين

فلم تجبها ثوان بشيء ولكنها طلبت ان تمتطيا مركبتها فركبت بها وسارت بها الى المحكمة التي تجري فيها المزايدة فلقيت مونيتو يسير ذهابا وايابا قريبا منها فساعدها على النزول من المركبة وقال لها ارى

انك مخطئ في شراء هذا القصر لعدم رؤيته وهو يكاد يتداعى للهدم عهده .

قلت ولكني اصلحه

قال اظن انه لا يوجد من يزاحمك على شرائه وعندي انك تحسنين صنعا اذا هدمته وجنيت سواه في وسط حديقته المتسعة كالبساتين

قلت ربما عملت برأيك ثم دخلت واياه الى قاعة المحكمة فجالت نظرها في الحضور فلم تجد بيبي

وعند ذلك بدأ المزاد فرسا على تنوان بقيمة اربعمائة وعشرين الف فرنك

وقد سرت تنوان وراعظها لا يصف فركبت مركبتها وعادت مسرعة الى تيشات وقالت لها انها اخطأت بخوفي من بيبي وانني لم اجد له اثرا

قالت متى تقيم في هذا القصر الجديد

ـ منذ غد

ـ ولكنه خال من الاثاث

ـ اننا نستطيع فرشه يوم

ـ ولكن الا تخشين ان تولدي الشك في نفس مونيتو

ـ اني اذا وجدت الرسائل واسرقتها لا ابالي به فانه اذ كان له كل الحق من اني سرقت المال لا يرده الى اصحابه الا بالبرهان الحسي

ـ ارى ان مونيتو لم يقابل بيبي في فينا

— هذا ممكن

— ثم ان سر محمود عليه هو ان يجسر على العودة الى باريس

فوافقتها تنوا على قولها فانها بعد ان اشترت القصر ولم تجد من يزحمها فيه زالت شكوكها وارادت ان تفتقد القصر فذهبت اليه وصحبت معها هذة المرة نيشان

فلما وصلت اليه استقبلها كوكاس البواب وبيبي متنكرا وامراة كوكاس فقالت لهم اتعلمون بي اشترت هذا القصر

فانحنى كوكاس بمنتهى الاحترام وقال نعم يا سيدتي

قالت اذا شئتم ان ابقيكم في خدمتي فيعلموا انه يجب عليكم ان تطيعوني طاعة لا حد لها

قال اننا نرجو ان تكوني راضية عنا فلا ندخر شيئا في سبيل رضاك

فنظرت تنوا الى بيبي واشارت بجانب كوكاس وهو متنكر انتم التنكر فقالت له ماذا تدعى

قال بنيامين

قالت ماذا تعمل هنا

قال اني في انتظار اخي الى ان اجد عملا ارتزق منه فاني اصلح لخدمة البيوت

قال اني اتخذك لخدمتي

فانحنى بيبي شاكرا ومشى امامها وامام نيشان يفتح لهما ابواب

غرف القصر فكانت نيشات تفحص هذه الغرف فحصاً مدققا وتقول لتوان اني لا اجد فيه غرفا سرية

قالت لا بد ان يوجد فيه محلات خفية سنجدها بعد البحث

وما زالتا تسيران من غرفة الى غرفة حتى انتهتا الى غرفة تسعة فقالت لها تنوان هذه هي الغرفة التي كانت تقيم فيها الاميرة هيلانة

قالت اذن ستكون غرفتي اذا اذنت

قالت ابكن

فقالت نيشات في نفسها انها غرفة صالحة لاقامتي ولكن كيف يدخل الي بوليت ثم انصرفت الى التفكير بعشيقها ولم تعد تكترث لحديث تنوان

وبعد ساعة خرجتا الى المركبة فشيعهما بيي الى الباب وهو يقول في نفسه انها لم تعرفني فساقيم في منزلها اقامة الذئب بين الغنم

١٣

بعد ذلك بثمانية ايام اقامت تنوان ونيشات في ذلك القصر الذي كانت تقيم فيه الاميرة هيلانة

ولم يتغير شيء فان سونيتو كان يزورها في كل ليلة ويتفنن باظهار غرامه بنيشات وبوليت يزورها بعد انصرافه فيدخله كوكليس وبيي كان مشتركا باسم بنيامين فكان يخدم تنوان خدمات جليلة حتى باتت راضية عنه اتم الرضى

فبعد ذلك بثمانية ايام كان ثلاثة مجتمعين في قهوة قرب قصر تنوان تشاورون وهم مونيتو وبيبي وبوليت فقال بيبي اننا الى الان لم نصنع شيئا

فاجابه مونيتو وانا يسؤني ان نضيع الوقت عبثا فاني مضطر ان اعود الى فينا

فقال بوليت ان تنوان تبحث كل يوم ولكنها لم تجد شيئا الى الان حتى بت اعتقد انه لا يوجد رسائل

فقال بيبي اما انا فاني اعتقد بوجودها

فقال مونيتو ما يحملك على هذا الاعتقاد

قال ذلك اني بصفتي خادما في منزل تنوان يحق لي ان استرق الاسرار واسمع من خلال الابواب وقد سمعت حديثا بين تنوان ونيشات ايد معتقدي وهو ان تنوان كانت تقول لنيشات اني عشت دهرا طويلا في هذا القصر مع الاميرة وكنت مشككة بوجود مراسلاتها فيه اما الان فقد بت واثقة من وجودها ولا بد من ايجادها واحراقها

فقالت لها نيشات ولكننا نبحث عنها منذ ثمانية ايام ولا نجدها

قالت ولكن يجب ان نجدها

فضحكت نيشات وقالت ولكننا اذا لم نجدها نحن لا يجدها سوانا فاي خوف منها

قالت هو ذاك ولكني اريد ان اكون مطمئنة البال

فقاطعه مونيتو قائلا ان كل ما قلته الى الآن لا يبرهن على شيء

قال مهلا فلم اتم حديثي بعد فاني استنتجت من محادثة تنوان ونيشات ان الاميرة هيلانه كانت هائمة بزوجها الكونت دي مازيرو وكانت تكاتبه كل اسبوع فلما عدت ولادة كريستين وخيانته لها استرجعت منه كل الرسائل التي كتبتها اليه وحاولت في البدء احراقها ولكنها رجعت عن ذلك القصد وجعلت تقرأها رسالة رسالة مرات كثيرة ثم وضعتها في صندوق ولان تنوان لا تعلم ان وضعت الاميرة ذلك الصندوق وانما ابقت تلك الرسائل لانها كانت معجبة بانشائها

فقال له مونيتو ان كل ما قلته ممكن الحدوث ولكن اين نجد هذه الرسائل

قال ان تنوان تعتقد انها مدفونة تحت شجرة من اشجار البستان

فضحك مونيتو وقال اذا كان ذلك فان وجودها محال فاني مارايت عظم اتساعا من هذا البستان ولا اكثر منه اشجارا فكيف يخطر لك ان امرأتين تستطيعان حفر جميع ذلك البستان والتفتيش عن الرسائل فيه

قال ليس هما اللتان تفتشان بل نحن

ـ كيف ذلك

ـ ـ ـ لي رأي لا فائدة من ابدائه الان ولكن هذه الرسائل

اذا كانت موجودة حقيقة فنحن الذين نجدها ولا احتاج في ذلك الا الى بوليت

ـــ افعل ما تشا فثقتي بك عظيمة

فشكره بيبي وقال له ربما اتيتك غدا بامور جديدة ثم تركه وانصرف مع بوليت فقال له وهو على الطريق اني سأغير تسليماك

قال كيف ذلك

ـــ انك الى الان لم تطلب شيئا الى نيشات

ـ كلا

ـ وانك تجد من الامور الطبيعية اقامتها مع تنوان في هذا القصر الجديد

ـ دون شك

ـ الم تقل لها كلمة عن الرسائل

ـ كيف اقول لها وانت قد منعتني

ـ اذن يجب الان ان تجري على العكس فان لك سلطة على نيشات ستطيع بها الوثوق من كتمانها لسرك

ـ ذلك لا ريب فيه

ـ ويجب في هذه الليلة ان تخبرك بسر تنوان

ـ انها ستخبرني بكل ما اريد معرفته ولكني لم اعلم الفائدة من ذلك ونحن واقفون على هذا السر

الفائدة منه انها حين تخبرك بسر الرسائل هل لها انك تعلم اين هي موجودة

فتراجع بوليت متذعرا وقال كيف ذلك اتعلك تعلم ان هي موجودة

قال اني مخبرك بما لم اخبر به مونبتو وقد خيل لي اني عرفت المكان الذي دفنت فيه الاميرة هذه الاوراق بما اكتسبته من الخبرة في اشتغالي باعمال البوليس فاني دخلت امس الى غرفة الاميرة حيث كانت تتوارى ونيشات على المائدة فقلت في نفسي انه اذا كان الصندوق مدفونا حقيقة في الحديقة فساعلم موضعه من وقوفي في النافذة المشرفة عليها فان من اراد ان يخبيء شيئا على هذه الصورة يرد للعود المحل الموافق لاخفاء وديعته حين اطلاله من النافذة وينبغي ان تتفق الانظار في مثل هذه الشؤون وليست هي المرة الاولى التي اتفق لرجال البوليس هذا الاتفاق فخض في تأويل هذه الاعجوبة كما تشاء ولكني ارجو ان يكون ظني صادقا

فقال له بلهجة الشكك اذن قد وجدت موضع الرسائل

قال هذا ما لاح لي وسوف ترى والان فاعلم اني داخل الى القصر من بابه الكبير فسر انت في الطريق العادي وادخل الى البستان

قال أراك فيه

قال دون شك وسارشدك الى الموضع الذي اعتقد ان الرسائل

مدفونة فيه

وعند ذلك فترنا فدخل بيبي القصر وبعد ربع ساعة فتح كوكليس الباب لبوليت وادخله الى البستان فدله على صفين من الاشجار فقال له سر بهذا الطريق فان بيبي ينتظرك في اخره

فامتثل بوليت ونظر الى القصر فرأى الظلمات محدقة به ما خلا نافذة كان النور لا يزال مضيئا فيها فقال في نفسه ان نيشات تنتظرني

وكان بيبي ينتظره فلما وصل اليه قال له خفف الوطي ما استطعت وسار به الى شجرة باسقة فوقف عندها فقال له مشيرا الى القصر انظر الا ترى نورا في هذه الغرفة

قال نعم وهي غرفة نيشات

قال وهي الغرفة التي كانت تقيم فيها الاميرة هيلانه فاذا نظرت من تلك النافذة التي ينبعث منها النور فانك ترى هذه الشجرة التي نحن تحتها قبل كل الاشجار وعندي ان الاميرة اذا كانت قد دفنت الرسائل تحت شجرة فهي قد دفنتها دون شك تحت هذه الشجرة التي كانت اول ما يستقر عليه نظرها وهي جالسة عند نافذتها تردد في فكرها هذا الخاطر

قال اذا كان هذا معتقدك فلا اسهل من ان اتى بآلة فانبش فيها الارض ولا نكون في حاجة الى نيشات

قال بل بالعكس

قال انك هذه الليلة محاط بالاخطار فاني لا افهم شيئاً مما تقول

قال اصغ الي اننا نبحث عن الرسائل لنعلم لماذا

ـ لنظهر لمونيتو من مقابلة الحاجبين ان الوصية مزورة

ـ وتنوان لماذا تبحث عن هذه الرسائل

ـ لاحراقها ونفي كل برهان

ـ وانا اريد الامرين اي ان اجد الرسائل وان تحرقها تنوان

ـ ولكن ذلك محال فان تنوان اذا احرقتها لم يبق لدينا برهان .

فابتسم بيبي وقال افترض ان الذي يجد الرسائل هو غير وغير تنوان

ـ ان

ـ نيشات

ـ وبعد ذلك

ـ وبعد ذلك تقول نيشات في نفسها ان تنوان طماعة نهابة وعدتني كثيرا من الوعود لاحتياجها لي فلماذا لا احتفظ برسالتين او ثلاث من هذه الرسائل اتخذها سلاحا ضدها حين الاقتضاء

ـ لقد فهمت قصدك وبقي لي ان اسالك ايضاح امر خفي علي

ـ قل

ـ اليس الغرض من ابراز هذه الرسائل لمونيتو ان تثبت له

تزوير وصية

- دون شك

- متى تطلب عام وبأي [illegible] الا بعد المال وتشهى كل اشكال

— انك مخطيء وبعد الا تظن ان هذه المرأة الهائلة التي قضت حياتها بالذنوب والمآثم تستحق عقابا هائلا يشبه ذنوبها وآثامها الفظيعة

— اذا كان ذلك فلنقتلها

— كلا لسنا نحن الذين نعاقبها بل قبلها النور الذي يتولى مونيتو زعامتها

- كيف يكون عقابها

- لا اعلم غير ان مونيتو اكد لي انه سيكون عقابا هائلا وانه سيكون في المانيا في تلك الجبال التي يقيم فيها النور

- ولكن كيف يذهب بها الى المانيا

- انها اذا كانت مرتابة به اقل ريب فهي لا تسافر ولذلك يجب ان نحرق الرسائل بيدها كي لا يبقى لديها شيء من الشك

- قد بقي الآن كل قصدك انما بقي امر لا اوافقك عليه وهو وجود الاوراق تحت هذه الشجرة

- وانا واثق كل الثقة

- سوف نرى والآن ماذا تريد ان اصنع

ـ اصعد الى نيشات وحملها على ان تعترف لك باسرار تنوان

ـ سأفعل ولكن يجب ان دلها على موضع الرسائل كما قلت

ـ كلا

ـ لم افهم ما تريد وهوذا قد عدنا الى الالغاز

فابتسم كيبي وقال ساوضح لك هذه الالغاز فهلم معي وعند ذلك تأبط ذراعه وسار واياه بين الاشجار وقد دقت ساعات القصر مؤذنة بانتصاف الليل

ولنعد الان الى تنوان ونيشات فانهما بعد ان ذهب مونيتو جاستا تحدثان فقالت لها نيشات اذن لقد اتفقنا على السفر الى المانيا مع مونيتو بعد وجود الرسائل واحراقها

ثم تنهدت فقالت لها تنوان لماذا تتنهدين

قالت اني انك تريدين تزويجي بهذا القرد الكريه

قالت ان هذا القرد الكريه يا ابنتي لا يقدر ان يحصي ثروته وستكونين معه كالاميرات

قالت، ولكن قبحه لا يحتمل

ـ قالت لا انكر ذلك غير انك تعقدين معه شروطك قبل الزواج ليعين لك مهرا وتستولين على المجوهرات التي يهديك اياها ثم تنتظرين على ان تم اعمالي

ـ كيف ذلك

ـ ذلك ان الذى دفعنى على ان اودع عنده اموالي لم يكن غير الخوف فقد خشيت في ذلك العهد ان تعود الملكية وان تعود معها سلطة النبلاء فيسترجعون مني الثروة التى اختلستها اما الآن فلم اعد اخاف شيئا

على ماذا عولت

ـ على ان اطالب مونيتو باموالي

ـ اتظنين انه يردها لك

ـ نعم

ـ واذا ردها

ـ ندعه في المانيا ونعود الى باريس اذ لا سلطة له فيها فتكون لى اموالي ولك مجوهراتك

ـ ربما كنت مصيبة وعسى ان تتم مساعينا على ما نريد

ثم تركتها ودخلت الى غرفتها مفكرة فانها منذ خمسة عشر يوما لم تكن تتردد لحظة في الزواج بمونيتو لانها لم تكن تحب بوليت .

ولبثت ساهرة في غرفتها وهي تنتظر بوليت على احر من الجمر فانها لم تكن احبت سواه ولم يعرف قلبها الحب قبل ان تراه فصادف الهوى منه قلبا خاليا فتمكن

وما زالت على ذلك حتى فتح الباب ودخل بوليت فصاحت صيحة فرح واسرعت الى مقابلته ولكنها توقفت في وسط الطريق اذ رأت الغضب باديا بين عيني بوليت فقالت له ماذا اصابك وما هذا

الغضب

ولم يكن وليت على شيء من غضب ولكنه كان يتكلف الهياج لغاية خطرها له بيي فقال لها بلهجة المتهكم اتسألينني ايضا ماذا اصابني

فاضطربت نيشات وقالت نعم ايها الحبيب

فاجابها بلهجة جفاء لا فائدة من سؤالي عما تعلمينه اكثر مني

قالت كيف تقول لي هذا ثم تقبلت اليه تريد معانقته ولكنه صدها فتراجعت عنه متذعرة وهي تقول رباه انه لا يحبني

ـ قال اني لا احب المرأة التي تخدعني

ـ وليت

ـ ولا احب المرة التي تدعي حبي وتتكتم عني فلا كتمان مع الحب واني احب ان اعرف كل شيء

فحسبت نيشات ان بوليت واقف على سر تنوان فقالت له انى اذا كنت لم اخبرك فما ذلك الا لخوفي

ـ ومما تخافين

ـ لا اعلم الست سيدي والحاكم على قلبي

ـ اذا كنت كما تقولين فانا اريد ان تخبرني بكل شيء

فاطرقت برأسها وقالت ساطيع ثم تنهدت وقالت ان تنوان لا تزال تنوي السفر الى المانيا

مع النوري

ـ ومعي انا ايضا فانها تريد ان تزوجني به كما تقول وان اختلس ما يهبني من مال ومجوهرات ثم اعود الى باريس فاكون مطلقة السراح افعل فيها ما اشاء

فهز بوليت كتفيه وقال اذا كانت تزان تريد ذلك فيجب الامتثال ثم تكلف هيئة الاحتقار وعدم المبالاة فذعرت نيشات وقالت لبهذه اللجة تكلمني

ـــ اني اكلمك كما تستحقين

ـــ اذن انت لاتحبني

ـــ بل احتقرك فاني خدعت باخلاصك حتى رايت كتمانك

ـــ ولكن ماذا كتمت عنك وماذا تريد ان تعلم

لماذا اشترت تنوان هذا القصر

ـــ انتظر الي هذه النظرات الجافة اذا قلت لك

ـ كلا

ـ وتحبني كما احبك

ـ ربما

فهجمت عليه وعانقته ثم جلست بقربه واخبرته بغاية تنوان من شراء القصر وهو يعلم منها اكثر مما تلم فلما اتمت حديثها قال لها اذن ان تنوان تريد ايجاد الرسائل العلها علمت اين هي

ـ انها بحثت بحثا دقيقا في كل مكان من القصر فلم تجدها وهي

تظن الا ن انها مخبوءة في البستان

فتظاهر بوايت بالاندهال وقال ما تصنع بها اذا وجدتها

ـ تحرقها

ـ وانت ما تصنعين بها اذا وجدتها

ـ اعطيها اياها فتحرقها

ـ ذاك بهاء دون شك وسارهن لك عن ذلك لم تقل لك تلوان انها تحبك كابنتها وانها ستجعلك وريثتها

ـ دون شك

ـ اصدقت اقوالها

ـ اذا لا اصدقها واية غاية لها من ان تعدني هذه الوعود .

ـ لانها محتاجة اليك في اغواء مونيتو ولكنها متى ادركت قصدها واحرقت الاوراق تعطيك قبضة من الذهب وتصرفك من حيث اتيت

فاتقدت عينا نيشا ببارق من الغضب وقالت انها اذا جسرت على فعل شيء من ذلك اغمد خنجري في صدرها

ـ ولكن يوجد طريقة افضل من القتل وهي ان اجد انا وانت هذه الرسائل

ـ كيف نجدها

ـ ساخبرك ولكن لنفترض اننا وجدناها فكم يبلغ عددها

ـ ان تتوان نفسها ان تعلم

ـ انها دون شك اكثر من رسله فلنفترض انها عشر رسائل فاذا عثرنا بها اخذت انا رسالة وانت رسالة ثم اعدنا الباقي الى الصندوق

ـ وبعد ذلك اذهب بالصندوق المدفونة فيه الرسائل الى تتوان

ـ كلا بل ترجعه الى الموضع الذي كان مدفونا فيه ويمكنك تساعدين تتوان في اليوم التالي على تفتيشها بحيث ترشدينها الى الموضع المدفونة فيه الرسائل دون ان تعلم انك كنت عارفة به من قبل فاذا اخلت تتوان بعدذلك بما تهددت به لك كانت الرساله التي معك شر تنذرها

ـ دون شك فاني انذرها باطلاع مونيتو على الرساله و نت ماذا تصنع برسالتك

ـ اني احفظها ايضا حتى اذا خطر لتتوان ان تسلبك رسالتك قامت رسالتي مقامها والحذر محمود في كل حال

ـ كل ما تقوله حسن ولكن يجب ايجاد الصندوق

ـ لدي طريقة ارجو ان تكون صالحة فاني اعرف امراة تعرف المخبآت بالورق وقد اشتهرت شهرة واسعة لانها لم تخطيء مرة الى الان وساذهب اليها غدا ويقيني انها سترشدني الى موضع الصندوق

وكان بوليت يتكلم بلهجة تدل على صدق يقينه فلم تشكك بشيء من اقواله فماهدته على الكتمان ثم انصرف عنها فنامت

وهي تحلم بملايين مونيتو وحب بوليت

اما تنوان فانها عادت الى التفتيش منذ الصباح لى المساء فلم تعثر بشيء وجاء مونيتو في المساء حسب عادته فقضى معهما جانبا من الليل ثم انصرف فدخلت تنوان الى مضجعها وعادت نيشا الى غرفتها تنتظر قدوم بوليت ولما جاء بادرته بالسؤال قائلة ماذا صنعت

قال ان العرافة ارشدتني الى مكان الصندوق فهي تقول انه مدفون في حديقة القصر

قالت ان الحديقة متسعة

قال ولكنها ارشدتني الى الموضع بالتدقيق فهلم بنا للبحث معا

ثم خرج من الغرفة وتبعته الى الحديقة وكان كوكليس قد ترك بين الاشجار آلة النبش فاخذها بوليت ومشى مع نيشات الى الشجرة الكبيرة فقال لها ان الصندوق مدفون تحت هذه الشجرة وسوف ترين .

ثم جعل ينبش الارض ويقول في نفسه ان ثقتي بنبيي عظيمة ولكنها ليست دون حد قبل ان يتم مناجاة نفسه صاح صيحة انتصار ورقصت لها نيشات فانه شعر ان تلك الالة التي يحفر بها اصابت شيئا صلبا فلم يشك انه الصندوق

١٣

وعند ذلك اطمأن بوليت وواصل الحفر فلم يحفر قليلا حتى اخرج الصندوق .

وقد كان سرور ينشاط عندما فاتها حين رأت صندوق قالت لقد بانت تجارة في جملتها اما جاء بهذا الصندوق الى غرفتك لنفتح هذا الصندوق ثم صعد كلاهما الى الغرفة فنظر بولبت على توء المصباح في ذلك الصندوق فلم يجد له قفلا ولم يهتد الى طريقة فتحه .

وقالت له نيشات اكسره قال ذلك محال لسببين احدهما انه من الفولاذ الصلب والثاني انه يجب ارجاعه الى الحفرة التي كان فيها وان لا نمس فلا يخطر انه فتح

ثم اخذ منديله فبله الماء وامسح به ذلك الصندوق نظر له اسم صانعه المكتوب عليه وعلم انه اتي قال انه مصنوع في المانيا ولا يفتح الا بطريقة سرية خاصة ولكني اعرف صانع القفال يعرف جميع هذه الطرق

قالت اذن على ما عزمت

قال على ان اذهب اليه غدا بالصندوق فيفتحه فاخذ منه رسالتين ثم اقفله كما كان وارده الى الحفرة

قالت ولكنا اذا لم نرشد توان الى موضعه فلا يمكن ان تهتدي اليه

فضحك بولبت وقال لا تهتمي بهذا الامر فانا تولاه

ثم اخذ الصندوق وعاد به انصرف عائدا الى البستان فلقي فيه بيبي وقال له احضرت الصندوق معك

فقال له وليت كيف ذلك اعرفت بي وجدته

— اني كنت على قيد خطوتين منك حين نبشته ولكنك لم تستطع فتحه .

— كيف عرفت هذا ايضا

— اني تبعتك الى غرفة نيشات ونظرت ما كنتما تصنعان من ثقب الباب

— أتستطيع انت فتحه

— كلا ولكن مسيو يعرف هذه الطريقة الالمانية كما ظن فهلم بنا اليه الان

وبعد برهة ساعة كانا عند مونيثو فاخبره بجميع ما اتفق واعطياه الصندوق فتمعن فيه هنيهة ثم ابتسم وقال اني اعرف طريقة فتحه ثم اخذ كينا وجعل يقرع به على احدى حافات الصندوق قرعا متصلا متناسبا ظهر لواب فاداره ففتح الصندوق

وقد وجدوا فيه كثيرا من الرسائل وكل رسالة ضمن غلاف مكتوب عليه هذا العنوان — الى الكونت دي مازير — ففتح بيبي اكثرها وهي ثلاثون رسالة فكان الخط واحدا في جميعها وهي مؤرخة منذ عشرين عاما .

اما مونيثو فانه احضر الوصية التي اعطته اياها تنوان وقابل بين خطها وخط الاميرة فوجد التزوير ظاهرا لاريب فيه فقال له بيبي وقد اشرق وجهه بنور البشر اوثقت الان

قال كل الوثوق وسيشارك في مجلس شورى بهذه الثقة

قال اذن لناخذ ثلاث رسائل فنعطي واحدة منها نيشات اذ لا يجب ان تشك بشيء من امرنا

فاخذ موتيتو ثلاث رسائل واعاد الباقي الى الصندوق واقفله كما كان ثم قال لبيبي اني مستعد الان لارجاع المال الى اصحابه فاخبر بذلك اذ شئت الكونتس اورور واختها

قال اني ساكتب لهم

— كلا اذ يوجد امور لا يجب ان تكتب ثم يجب ان تعلم اننا لم ننته بعد من تنوان

— ماذا تعني

— ان هذه المرأة من قبيلتنا وقد دنست شرفنا بجريمتها فيجب علينا ان نعاقبها ولكن يجب ان نبالغ بالكتمان فاذ حدث لها اقل ريب بنا هربت وافلتت من عقابنا

— اقتداصبت وسنخبر الاختين شفاهاً

— اذن تسار

— كلا بل ارسل بنوات الاحدب

كما تشاء ولكني لم اعد محتاجا اليك في باريس واوثر ان اقابلك في فيينا في الشهر القادم وفوق ذلك فانك مهما بالغت بالتنكر فاني اخشى ان تعرفك تنوان

وفي اليوم التالي ذهب بوليت الى نيشات في الساعة المعتادة فقالت

له افتحت الصندوق

قال نعم ووجدت فيه الرسائل فاخذت بوحدة وحفظت لي واحدة واردت الصندوق وفيه بقيه الرسائل الى مكانه

ـ ولكن كيف ارشد تتوان الى موضعه

ـ افترضي انك حلمت حلما وانك رايت في الحلم موضع الصندوق وانت تعرفين اعتقاد تتوان بالاحلام والارواح

ـ لقد اصبت وهو خير فكر فهلم نتفق على تاليف هذا الحلم

فالف بوليت حلما واتفقته عليه وافترقا

وفي اليوم التالي صحت تتوان من رقادها وهي مفكرة مهمومة فدخلت اليها نيشات وقالت لها مابالك يا اماه منغصة العيش وقد ظفرت بما ترغبين واشتريت القصر

قالت اية فائدة لي من هذا القصر اذا كنت لا اجد فيه الرسائل

فابتسمت نيشات وقالت اتعتقدين يا اماه بالاحلام

ـ ماذا تريدين

ـ اريد اتعتقدين ان الاحلام قد تصدق

ـ ان ذلك قد يتفق احيانا فماذا حلمت

ـ اني وجدت صندوقا فيه كثير من الرسائل ربما كان ذلك من قبيل الهدس فقد فكرت كثيرا عن هذه الرسائل حتى تمثلت لي في الحلم مع إشباح

ـ رايت اشباحا

ـ نعم اني رايت خيال مراة وعندما صحوت كنت منشرحة الصدر .

فارتعشت تنوان وقالت هذا الحلم قصي علي

قالت حلمت اني اتنزه في الحديقة وكان الظلام حالكا والبرق يخطف الابصار وكنت اسمع قصف الرعود من مكان بعيد ثم رايت شيئا ابيض ظهر لي فخفت وحاولت الفرار غير ان هذا الشكل الابيض تحرك وجعل يدنو مني فحاولت ان استغيث فاختنق صوتي . وكان هذا الشكل الابيض كلما دنا مني يزيد وضوحا حتى تمثل لي امراة متشحة وشاح ابيض فلما دنت مني اشارت الي بيدها فشعرت بقوة تجذبني اليها ثم مشت امامي ببطيء في الحديقة

وكان اعتقاد تنوان بالاحلام والارواح شديدا فقالت لها اتبعتها .

قالت نعم كنت اتبعها بالرغم مني فكانت تسير المتردد كانها تبحث عن شيء حتى وصلت الى هذه الشجرة الباسقة انظري يا امان انها اول ما تقع عليه النظر من هذه النافذة

قالت وبعد ذلك

قالت اشارت الي بيدها اشارة مفادها انها وجدت الذي تبحث عنه وهو تحت ارض الشجرة ثم اختفي عليها وتوارت فجأة عن انظاري فلم اعلم اذا كانت توارت في السحاب ام هبطت الى جوف الارض فخطر

لي حين صحوت انها الاميرة هيلانه خرجت من ضريحها كي تملي علي موضع الرسائل

فهزت تنوان راسها وقالت كلا لا يمكن ان تكون الاميرة لم يكن لهذا الخيال الذي يراته وجه

- نعم وهو وجه كثير الجمال وله عينان براقتان

- كيف كان لون عينيها اهو اسود ام ازرق

- اسود

- وشعرها

- اسود ايضا وهو مرسل على كتفيها

- لقد كنت واثقة انها هي بعينها

- اهي الاميرة هيلانة

- كلا بل هي الكونتس دي مازيرا التي ماتت بالامس وانا كنت السبب في قتلها

- اذا كان ذلك فكيف تساعدك على ايجاد الرسائل العلها تحبك

- كلا ولكنها تكره اورور وتحنقه كرها عجيبا وهي قد خرجت من جوف قبرها لتساعدني على الانتقام

- ربما كان ذلك ولكني لم اتمم حلمي بعد

- ماذا رايت غير هذا

- رايت بعد احتجاب الخيال آلة للحفر لم ادر كيف وجدت ثم لا ادري كيف اني دفعت بجاذب لا يوصف الى الحفرة تحت هذه الشجرة

او جدت صندوقا صغير فبدأت جهدي في سبيل فتحه فلم تفلح

فتطلعت تنوان حينها وقالت وبعد ذلك

ـ صحو ـ

وكانت تنوان شديدة الاعتقاد بالاحلام فلما اتمت نيشات حلمها وكانت تروية بملء البساطة صغر و به تنوان وقالت لها هلمي بنا الى الحديقة

قالت انتقدين ان حلمي صادق

قالت ربما ثم تقدمتها الى الحديقة ونيشات تتبعها فاتيت في مرورها ببيبي فقالت له هات آلة للحفر واتبعني

فامتثل وسار وجميعهم حتى وصلوا الى الشجرة فقالت تنوان لنيشات او ثقة ان هذه هي الشجرة نفسها قالت كل الوثوق فامرت بيبي عند ذلك ان يحفر حفرة تحتها ولم يطل حفره حتى صاحت تنوان صيحة دهش فانها سمعت وقع الالة على مادة معدنية

وبعد هنيهة اخرج بيبي الصندوق فتظاهرت نيشات بالاندهال العظيم وقالت ما هذه العجائب العلي بت من السحرة

اما تنوان فانها لم تحفل بقولها بل اخذت الصندوق وسارت به نحو لغرفتها ونيشات تتبعها حتى وصلتا اليها فاقفلت تنوان الباب من الداخل وفحصت الصندوق حتى اذ ظنت انه لا قفل له صاحت نيشات قائلة الم اقل لك اني لم استطع فتحه ا أيت بعد العجب من هذا الحلم

ـ قالت ان لهذا الصندوق سرا ولكني اعرف طريقة فتحه فاذهبي

وأتى بمطرقة

فضت نيشات وهي تقول في نفسها ما كنت احسب ان هذا البهيم مؤمنة الى هذا الحد بالاحلام فقد وثقت بكل ما قالته دون احتراس ولكنها عندما عادت ورأت توان مصفرة الوجه وعلائم الغضب بادية بين عينيها دعرت ذعرا شديدا وقالت لها مادا اصابك

قالت لقد فتحوا الصندوق قبلي

قالت كيف يكون ذلك وهو معك منذ وجدناه

فلم تجبها توان وانما علمت ان الصندوق قد فتح من قبل لما رأته عليه من آثار مطرقة مونيتو فاخذت المطرقة التي جاءتها بها نيشات وضربت بها على الصندوق ضربات متوالية متناسبة كما فعل مونيتو فخرج اللولب وعند ذلك ازاحته ففتح الصندوق ورات فيه الرسائل فتفحصتها فحصا دقيقا وامعنت النظر في تواريخها وتواريخ طوابع البوسطة التي عليها ثم القتها بسرعة في المستوقد فقالت لها نيشات هوذا قد اطمأن بالك فما تخشين بعد الان

قالت كلا افانهم وجدوا الصندوق قبلنا وقد كان فيه من الرسائل اكثر مما يوجد فيه الان فلا بد ان تكون يد بيبي قد عملت فيه

فتنفست نيشات الصعداء لانها لم تتهمها

١٤

في اليوم نفسه اجتمع مونيتو وبيبي وبوليت اخر اجتماع فان بيبي

كان عازما على السفر في صباح غد الى لمليا فقال هما مونتو لا اعلم اذا كان عقاب المحكوم عليه بالاعدام يجري عندكم على ما يجري عندنا ولكن اسمعوا لتعلموا ط يقتنا فانه حين يشهد الشهود العدول على مجرم ويحكم عليه القاضي بالاعدام يصبح امر المحكوم عليه مناطا بالجلاد وحده دون القاضي ودون من اثبت الجريمة

فقال له بيبي ماذا تعني بذلك

قال اعني انك انت وبوليت اثبتما جريمة تنوان فلم يعد لكما علاقة بها في شيء

قال اذا كان ذلك فانت ايضا لا علاقة لك بها فانت القاضي لا الجلاد

قال هو ذاك ولكن يجب ان تبقى في عهدتي الى ان اسلمها الى جلاد قبيلتنا وهو في المليا فلا بد لي اذن من الذهاب بتنوان اليها .

اتذهب بها دون ان تكون عالما بصدور الحكم عليها

— دون شك

— اذن تسافر في صباح غد الى فينا فان تريد ان نلتقي ومتى

— بعد خمسة عشر يوما في فندق التيجان

وعند ذلك افترقوا فذهب موبيتو في شانه وسار بيبي بعد ان ودع موبيتو مع بوليت فقال له اني لا اردعك الان لاني سأراك ايضا

في الماء حين حضورك الى شارع الدير

قال انعود الى القصر فتبيت فيه الليلة

قال دعن شك اذ لا يجب ان دع اقل مجال للشك كي لا تقف تنوان في موقف الحذر

قال اسافر بنوات الاحدب

قال كلا فيسافر معي صباح غد ونفترق في ستراسبورج بحيث نذهب هو الى داغوبير فيخبره بما جرى وانا اذهب الى حنة في فينا فاخبرها

ثم افترق الاثنان على ان يلتقيا في المساء وفيما كان بيبي سائرا وحده سمع رجلا ينادي فالتفت فراى بنوا فتابط ذراعه وسار واياه في الشارع العام يتحدثان وعند ذلك مرت مركبة كبيرة كانت تسير مسرعة وكادت تدهش الرجلين بحيث اضطرا الى الانفصال والعدو كل منهما في جهة كي تمر المركبة فلم ينتبه احد منهما لصيحة دهش خرجت من صدر تنوان التي كانت في تلك المركبة

وقد كانت في ذلك الحين عائدة من منزل عشيقها المحامي فانها كانت لا تزال تتظاهر بالفضيلة امام مونيتو وتأبى عليه زيارتها . اما سبب دهشتها فهي انها رات بنوات الاحدب يسير مع خادمها بنيامين اي بيبي فقالت في نفسها ان هذا الاحدب جاسوس اورور ولا شك ان خادمي بنيامين جاسوس بيبي والا فكيف اتفق وجودهما

ولذلك تولدت المخاوف في نفسها ودخلت الي قصرها قلقة مضطربة

فلم تخبر نيشا بشيء

وبعد وصولها جاءها كوكليس البواب فلفق لها قصة مفادها انه ارث مع اخيه بنيامين ارثا كبيرا في الريف وانه لا بد لاخيه بنيامين من السفر للاستيلاء على هذا الارث اما هو فانه يبقى في الخدمة الى ان تجد سواه

فارتعشت تنوان اذ ذكرت ان كوكليس هو الذى قدم لها بنيامين وقالت له اين هو اخوك الان

قال انه برح القصر ولا اعلم الى اين ذهب

قالت اذن ارسله الي حين يعود كي اعطيه نفقات السفر واعرب له عن اسفي لخروجه من خدمتي فاني كنت راضية عنه كل الرضى .

فانحنى كوكليس شاكرا وانصرف فابتسمت تنوان ابتسام الابالسة وقالت في نفسها لم يبق لدي شك الان ان بنيامين جاسوس بيبي اذا لم يكن بيبي نفسه فان من خدم البوليس السري خدمته يعرف ان يتنكر ولكنه لم يعرف بعد من هي تنوان

وعند ذلك نادت نيشات فاجلستها بجانبها وقالت لها لقد خدعنا .

قالت من هو الذي خدعنا

قالت ذاك الخادم الذي دخل حديثا في خدمتي وهو بنيامين فانه جاسوس بيبي دون شك بل قد يكون بيبي نفسه متنكرا

وطرفت نيشات مفكرة وقالت قد خطر لي حين استخدمت هذا الرجل انك احطأت في استخدامه فان هيئته تدل على البلاهة ولكنه يستحيل بعض الاحيان متبرق عيناه بريقا يدل على توقد الذهن .

— اتظنين انه يبني

— ربما

— كيف نستطيع تحقيق ذلك

— سابدا براقبته منذ الان وغدا اخبرك بما يكون

— ان غدا يفوت الاوان فانه سيسافر ولكن انظري من النافذة انه عاد وهو يتحدث مع البرب وسيأتي الي توا فقد طلبت ان اراه فختبي حالا وراقبيه بينما انا اكلمه

وبعد هنيهة دخل بيبي فتكلفت تنوان السكينة ونظرت اليه فقالت له اذن لقد عدت يا بنيامين على عقال خدمتي

فاطرق بعينيه الى الارض وقال لولا هذا الارث يا سيدتي لما فارقت منزلك الى الابد فقد كنت فيه من اسعد الخدم

قالت اني لا استطيع اكراهك على البقاء ولكن يسؤني اعتزالك فقد كنت راضية عن اخلاصك

فشكرها بيبي وحاول الانصراف ولكنها استوقفته وقامت الى خزانة واخرجت منها عشرين جنيها فقالت له خذ هذا المال واستعن به الى ان تتمكن من قبض الارث

وكان بيبي قد ادرك بصره حين قدمت الى الخزانه فابتسمت ابتسامة تهكم وبرقت عيناها باشعة الانتقام . فدهبت ثار البلاهة عنه حتى اذا عادت تنوان واعطته المال عاد الى التباله فقبض المال شاكرا فقالت له متى عزمت على السفر قال غدا في الساعة العاشرة قالت اذن دعني راك قبل سفرك

فانحنى بيبي وانصرف وعندذلك خرجت نيشات من وراء الستارة وهي مصفرة الوجه فنظرت تنوان من النافذة فرات بيبي قد وصل اليها فقالت لها تكلمي فانه قد ابتعد الملك رايت شيئا يحمل على الريبة

- رايت انه قد خدعنا كما قلت

قالت ولكن ليس هذا الرجل الذي خدعنا دون شك فانه من شد الناس بلاهة

- بل انت البلهاء يا امراة اتعرفين من هو هذا الرجل

- الا تزالين تعتقدين انه جاسوس بيبي

- اعتقد انه بيبي نفسه

فاضطربت تنوان اضطرابا عظيما وقالت لها بصوت يتهدج كيف عرفت انه بيبي

- عرفته من بينه لك حين ذهبت الى الخزانة ولم تعودي ترينه ابتسم ابتسامة تهكم ثم برقت عيناه فعرفته من نظراته الهائلة

- ولكن بيبي اصلع الراس

انه لبس شعرا مستعارا

فتجهم وجه تنوان وقال له ذكر ذلك فقد قضي عليه لا محاله والان فاصغ لي قد دور الحيلة والسياسة قد ولى ونهض الدار بهم وجاء دور القوة فلا بد من قتله

قالت ولكن كيف

فابتسمت تنوان ابتسامة هائله وقالت في هذه غرفة يقيم من غرف القصر

قالت في الغرفه السابعة

قالت هلمي بنا اليها ثم ذهبت المراتان الى غرفة بيبي وفتحتها تنوان فوجدت فيها شمعدانا بقيت فيه بقية شمعة فانتزعتها من الشمعدان وقالت لنيشات لنعد الان الى غرفتي

قالت ولكني لم افهم شيئا فماذا صنعت

قالت ستعلمين هناك فتبعتها نيشات الى غرفتها دون ان تفوه بحرف وهناك قالت لها تنوان اننا امراتان لانستطيع قتل رجل الا اذا كان نائما لا يستفيق اذا دخلنا الى غرفته ولذلك عولت على ان نميته يوما لا يستفيق بعده

قالت كيف ذلك

قالت ان المخدرات تختلف فمنها يؤكل ومنها يشرب ومنها يستنشق وتاثيره في اختلاف حالاته واحد وكنت عولت على ان اضع مخدرا في مستوقد غرفته ولكني وجدت انه لا يشعل النار في المستوقد وانه لا ينام من غير نور فاخذت بقية الشمعة من شمعدانه وساضع مكانها شمعة مخدرة فاذ

الماء لا يمضي به بضع دقائق حتى يخدر وينام فاصبري هنيهة فساحضر الشمعة

ثم خرجت من غرفتها وعادت بعد هنيهة بشمعة لا تزال مبتلة فقالت لها انه يحتاج الى المرتها لجمع ملاسه واعداد معدات سفره فهو يحتاج الى نورها مدة ربع ساعة على الاقل ولكن خمس دقائق كافية لتأثير هذا المخدر فيه فانه حين تبلغ رائحته الى رئتيه يسقط صريعا لا حراك به

قالت العله يموت

قالت كلا بل يخدر

قالت اني اوثر موته اليس لديك مخدر يكون سما قاتلا

ـ كلا وفوق ذلك فاني لاثق بالسموم

ـ اذن بماذا تمنين

ـ بهذا الخنجر فتى اغمده في قلبه

ـ وماذا تصنعين بالجثة بعد قتله

فابتسمت تنوان وقالت يوجد قبو بالقرب من غرفته اتريدين ان اريك اياه

ـ دون شك

ـ اذن اذهبي الان بهذه الشمعة الى غرفة بيمي فضعيها بالشمعدان وعودي الي فامتثلت نيشات وبعد حين عادت فقالت لها تنوان تعالي معي الان اريك الضريح الذي اعددته لهذا الرجل ثم وضعت

يدها بيدها وسارا

١٥

ثم ما كانت تتوان وصيفة بسيطة اقامت في هذا القصر مع الاميرة هيلانه ثم اقامت فيه ايضا مع الكونتس دي مازيرر بحيث عرفت جميع خفاياه وهذا القصر يتصل عهده بعهد هنري الرابع وقد كان لاسرة بروتستانية عريقة بالنسب اضطهدها الكردينال ريشيليو ثم اضطهدها من بعده لويس الرابع عشر وكان رئيس هذه الاسرة يدعى البارون دي مازيرر فحكم ريشيليو عليه بالاعدام وارادوا القبض عليه فحاصر في قصره ودافع دفاعا حسنا فاغتصبوا الابواب وبحثوا عنه في ذلك القصر فلم يجدوه فطوقوه بالحرس ولكنهم لم يظفروا بالبارون ولم يعلموا كيف كان اختفاؤه

وبعد ذلك بخمسين عاما حين طرد البروتستانت من فرنسا بحثوا من ابن هذا البارون فلم يجدوه ولكن الاشاعة كانت متناقلة عن انه لم يبرح باريس فلما مات لويس الرابع عشر ظهر البارون واقسم لجميع عارفيه انه لم يبرح باريس بل انه لم يبرح قصره منذ عشرين عاما وكان كل ليلة ينام في سريره فيه

فلما حكت تتوان هذه الحكاية لنيشات قالت لها اذن يوجد محل خفي في هذا القصر

قالت هو ذاك وسوف ترين

ثم ذهبت بها الى قاعه متسعة كان معلقا فيها صورة كبيرة تمثل

صاد مصر القديم ـ لفظت بها لا يرة هيلانة لانها كانت من بنات صناعة ولم يكن يمكن انتزاعها الا بعد تمزيقها فقالت تنوان لنيشات انظري هذا الرسم ثم ضغطت باصبعها على لولب خفي في سفل الصورة فتحت في الحال كما يفتح الباب وظهر وراءها ممر سري

دخلت تنوان وتبعتها نيشات في هذا الممر فانتهتا منه الى غرفة لا نوافذ فيها فقالت لها هنا كان يختبيء البارون دي باريزي وابنه

فقالت لها نيشات كل ذلك حسن يا اماه ولكني افطنك في امر

قالت ما هو

قالت هو ان البواب قدم لك بيبي فلابد ان يكون متفقا واياه

ـ ذلك لا ريب فيه

ـ ذن اذا قتلنا بيبي واخفينا اثره في هذه الغرفة فكيف نعلل اختفاءه

ـ لا نذكر شيئا منه

ـ لكن البواب

ـ او كذلك انه لا يعلم شيئا من سرا بيبي فاذا لم يره في اليوم التالي وثق انه سافر في الليل اذ اضطر الى السفر دون ان يودعه وفي هذه الليلة يحضر موبيتو فظاهري انك مصابة صدغ كي ينصرف باكرا

ـ وبعد ذلك

ـ ينتظر الى ان ينام كل من في القصر ويعود بيبي

ثم افترقتا وفي المساء جاء مونيتو فكان بيبي يخدم على المائدة حسب العادة وكانت تنوان ونيشات ترافبانه بملء الانتباه اما مونيتو فلم يكن يحتفل الا بنيشات

وقد تظاهرت نيشات بالصداع كما اوصتها تنوان فانصرف مونيتو باكرا كما توقعت تنوان وبعد انصرافه اخذت نيشات الى التنزه معها في الحديقة وقالت لها اذ كان خطر لي ان مونيتو متفق مع بيبي ولكني راقبته مراقبة شديدة فايقنت انه لا يعرفه وانه هائم بك

ـ اذن ستكونين مطمئنة بعد موت بيبي

ـ نعم ولكني لا ازال واثقة ان الصندوق قد فتحوه قبلنا من تظنين انه فتحه

ـ بيبي وعندي انه لا بد ان يكون لديه بضع رسائل فمتى قتلته جردته منها

فارتعشت نيشات وقالت في نفسها انها ستحول ريبتها الى متى رأت انه لا يوجد رسائل مع بيبي وعند ذلك جعلت تفتكر ببوليت

وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة وبوليت يحضر عادة عند انتصاف الليل

اما غرض تنوان من الذهاب الى الحديقة فهو ان ترى ضياء الشمعة وانطفاءها في غرفة بيبي ولكن نيشات كانت مضطربة القلب لخوفها ان

يحضر بوليت قبل القضاء على بيبي

وعند ذلك رتعشت تنوان وقالت لها انظري الى ضياء الشمعة

وقد كان بيبي دخل الى غرفته واضاء هذه الشمعة المخدرة دون محسب وجعل يبتسم ويقول ان تنوان لم تعرفني ولكن امري كاد ينفضح الليله فان شعري للمستعار اوشك ان يسقط ولا بد من التعجيل بالسفر

ثم جعل يعد معدات السفر ويضع ملابسه في صندوقه فلما فرغ من ذلك ذهب الى سريره وحاول اطفاء الشمعة فأضطرب اضطرابا شديدا ولم يستطع اطفاءها فدنا منها ولكنه لم يبلغ اليها فانه شعر ان قواه قد انحطت فسقط جاثيا على ركبتيه ثم انقلب على المائدة الصغيرة التي كانت عليها الشمعة فانقلبت الشمعة وانطفأت وذهب شعور بيبي فبات كالاموات

اما تنوان فانها حين رات ان الشمعة قد انطفأت سرت سرورا لا يوصف واسرعت مع نيشات الى غرفة بيبي ففتحت بابها ودخلت اليها والخنجر مشهر بيدها

وكان اول ما فعلته انها اسرعت الى النوافذ ففتحتها كي تذهب رائحة الشمعة ثم اقتبست نورا فنظرت نيشات الى بيبي وهو ملقى على الارض وقالت لها اتشكين بعد الان

قالت بماذا

قالت بانه بيبي بعينه ثم انقضت عليه ونزعت شعره المستعار فظهر

صلع بيتي وايقنت تنوان انه هو بعينه فرفعت حجرها وهمت ان تطعنه به فاسرعت نيشات وقبضت على يدها فذعرت تنوان وقالت لها ماذا تصنعين اتحاولين الان انقاذه

فابتسمت نيشات ابتسام الابالسة وقالت كلا فاني ابغضه اكثر مما تبغضينه لانه حال دون اعدام اورور

- اذن اغمد خنجري في قلبه

- كلا

- لماذا

- لانه لا يجب قتله هنا

فهاج غضب تنوان حتى انها لم تدرك قصد نيشات وقالت لها لماذا لا يجب قتله هنا

- لاننا بعد قتله يجب ان ندفنه في تلك الغرفة السرية

- هو ذاك

- وكيف تحمله اليها

- احمله انا وانت

- دون شك ولكن دماءه تقطر على الطريق فتلطخ الرواق والسلم

- لقد اصبت فلم يخطر لي هذا الخاطر

- ولكن أأنت واثقة انه لا يستفيق

- لا يستفيق ولو احرقناه بالنار

- اذن لنحمله الى الغرفة

— كلا بل يجب ان نفتش جيوبه عسانا نجد معه شيئاً من رسائل الاميرة

فارتعشت نيشات وقالت في نفسها ان الرسالة ينبغي ان تكون بوليت ثم قالت لها الا تزالين تظنين ان الصندوق قد فتح قبل ان تفتحيه

— بل انا واثقة

— ولكنه اذا كان هو الذي فتح الصندوق واخذ الرسائل فهو قد وضعها في غير جيوبه دون شك

— ربما ولكن لا ضرر من التفتيش

ثم قلبت بيبي وبحثت في جيوبه فلم تجد شيئاً فامعنت في التفتيش فوجدت بين قميصه وصدره غلافاً فيه كثير من الورق فاخذته بيد ترتجف وفتحته فسقط منه رسالتان فنظرت فيهما تنوان فعرفت ان الخط خط الاميرة هيلانه فكان سرورها لا يوصف

اما نيشات فقد حارت في امرها اذ لم تعلم كيف وصلت الرسالتان الى بيبي واضطربت اضطراباً شديداً حتى انها نسيت موقفها فقالت بلهجة تشف عن غضبها ان بوليت كان شريك بيبي ان بوليت خانني

فلما سمعت تنوان ما قالته نيشات اصفر وجهها فشدت على قبضة خنجرها حتى كادت تسحقها ثم رفست برجلها جسم بيبي ومشت الى نيشات وقد ملىء قلبها ذعراً فقالت لها ماذا قلت

فخاف نيشات خوفا شديد حين رات تنون مشهرة عليه الخنجر وعيناها تتقدان فقالت لها اني تكلمت عن بوليت

ـــ الم تقولي ان بوليت كان شريكه

ـ نعم

فانجلت لتنون غوامض كثيره في هذه اللحظة وعلمت بتوقد ذهنها جميع ما مر وذكرت تلك الطريقة الغريبة التي وجدت فيها الصندوق وذلك الحلم الذي افقته لها نيشات فدنت من تلك الفتاة وقد اخذ الرعب منها فقالت لها اذا صحت او استغثت بكلمة فقتلتك في الحال . اني اريد ان اعرف كل شيء ولا امهلك غير دقيقتين

فركعت نيشات عند قدميها وعت لها اسالك العفو والرحمة .

قالت اني اعفو عنك واسامحك اذا قلت الحقيقة

فاعترفت لها نيشات عند ذلك بكل شيء كما افق

فلما اتمت حديثها قالت لها تنون اذن ان بولت ياتي الى المصري كل ليلة

فاطرقت براسها وقالت نعم

ـــ وانت تحبينه

ـــ نعم

فضحكت عند ذلك تنون ضحكا عاليا وقالت ايتها التعيسة الا تعلمين من هو بوليت انه هو الذي انقذ اورور من الاعدام الا

تذكرين ذلك الغلام الشريد الذي كان يرود حول دكان الغسالة التي كنت عندها

فذكرت نيشات عند ذلك كل شيء وان بوليت هو الذي صاح امام المشنقة ان اورور حبلى كي ينقذها من الاعدام فايقنت انه لا يحبها بل انه يحب اورور وعلمت انه استخدمها آلة لنيل اغراضه واغراض بيبي فركعت ايضا امام تنوان وقالت لها سامحيني يا اماه وسوف ترين كف انتقم من هذا الرجل

— الا تحبينه

— في اكرهه بقدر ما كنت احبه

فقالت لها بيرود اني اسامحك اذا كنت تعترفين بكل شيء

قالت ان بوليت قد هزأ بي وبك يا اماه

— كيف

— انه هو الذي وجد الصندوق

— موافقتك اليس كذلك

— نعم فاني لم اكن اكتم عنه شيئا

— حسنا وبعد ذلك

— انه حين علم الغاية التي من اجلها اشتريت القصر قال لي لدي وسيله لايجاد الصندوق وهي انى اعرف امراة عرافة تنوم بعض الناس عندها وتعلم منهم مكان المخبآت وفى اليوم التالي جاءني وقال لي ان الصندوق تحت هذه الشجرة

وكانت الساعة الثانية بعد انتصاف الليل وجمع من في القصر نيام فاخرجنا الصندوق وكان في نيتي ان اعطيك اياه ولكنه اعترضني وقال لي اذا فعلت ذلك عرفت تنوان بحبنا

وقد حاولنا فتح الصندوق فلم نستطع فذهب به في اليوم التالي الى صانع الاقفال وقد اقسم لي انه سيعود به بعد فتحه

فقالت تنوان ويح لهذا الشقي فقد عرفت الان كل شيء

قال وفي اليوم التالي عاد بالصندوق وقد اقسم لي انه فتحه وان كسره مستحيل

قالت اتقسمين لي ان ما تقولينه هو الحقيقة

ـ اقسم لك باغلظ الايمان

ـ احذري ان تخدعيني فاني اقتلك دون اشفاق

فضحكت نيشات وقالت اني لا اخافك لا اخونك

قالت اذن لنبدأ ببيبي

قالت انا اتعهد ببوليت

فاخذت تنوان الرسالتين اللتين وجدتهما مع بيبي فاخذتهما واخذت نيشات الشمعة المخدرة فوضعتها في جيبها فقالت لها تنوان ماذا تصنعين .

قالت اني اعد معدات الانتقام

قالت لقد فهمت ما تريدين فاحملي الان بيبي من رجليه وانا احمله من كتفيه

ثم حملته وسارت الى تلك الغرفة السرية فدخلت به اليها والقته على الارض ثم جردت تنوان خنجرها وقالت سوف ترين كيف يكون القتل وعند ذلك اغمدت خنجرها في صدر بيبي وقالت هوذا عدو قتلناه وفي هذا الضريح نضع الاخر

فقالت نيشات دون شك وانا ساهتم بهذا الاخر

ثم خرجتا من تلك الغرفة واقفلتاها فنظرت نيشات في الساعة فرأت ان الليل لم ينتصف بعد فاذا لا يزال لدى ربع ساعة

وعند ذلك خلعت مصلحها الذي كانت قد وضعته على الارض وسارت به دون ان تنظر الى تنوان التي كانت تنظر اليها نظرات تدل ان حب نيشات قد انتزع من قلبها واستبدل بكره لا يوصف

١٦

وكان جميع من في القصر قد ناموا ما خلا بولينا الخادمة تلك الفتاة التي باتت حليفة موثيتو بعد ان اشترى ارادتها بماله فكانت نيشات تخشى ان تحول هذه الفتاة دون انتقامها من بوليت

ولذلك اتفقت مع تنوان على طريقة ابعادها وعادت الى غرفتها فوجدت بولينا لا تزال تنتظرها فقالت لها اذهب فافتح باب الحديقة لبوليت

قالت نعم ولكننا سنذهب معا

ثم اخذت الشمعة المخدة من جسمها فوضعتها في الشمعدان ثم اطفأت المصباح وقالت لبولينا بلهجة سرية ابعني

فتبعتها بولينا فامسكت نيشات بيدها وسارت بها في الظلام وهي

لا تعلم بن سير حتى وصلت الى غرفة تنوان ففتحت بابها ودخلت بولينا اليها

فنظرت اليها تنوان نظرة هائلة وقالت ابلغ من جراتك انك تدخلين المشاق الى منزلي

فصاحت بولينا صيحة دهش ولم تجب

اما تنوان فانها جردت خنجرها وقالت لها انظري الى هذا الخنجر

فركعت بولينا وقد ملاء الذعر قلبها فقالت اسالك العفو

قالت اذا بقيت هنا هادئة ساكنة لا اسيء اليك في شيء فوق ذلك فانك امتثلت لاوامر ابنتي المحبوبة مني وانا اوصيتك بخدمتها

فنظرت بولينا نظرة انذهال الى تنوان ونيشات فقالت لها نيشات لا تنذهلي فان امي كريمة الاخلاق لا تبخل علي بعاشق ثم ثم تركتهما وانصرفت

فقالت بولينا في نفسها اني لا افهم شيئا من هذه الالغاز سوى ان تنوان لم تشكك بعد بعلاقتي مع مونيتو وسانتظر في كل ذلك غدا اما الان فيجب استعمال الحكمة

اما تنوان فانها اشارت لها بيدها الى باب غرفة داخل غرفتها وقالت لها ادخلي الان وناميي في هذه الغرفة

فدخلت بولينا ممتثلة وعولت على ان لا تنام ولكن النعاس

تغلب عليها فنامت

فبقيت تران في غرفتها تنتظر نيشات وهي تقول في نفسها لقد اردت لك الخير ايتها الحية الرقطاء فجزيتك ابنتي وديتي فخنتني انى اتركت معي وائتمنتك على سري لاعتقادي انك لا تخفين بالغرام لا تخونين لمحسنة اليك لدى اول كلمة حب يقولها لك هذا الفتى الذي الذي طالما احسنت اليه فاطمأني الان فسافرغ لك حين تفرغ حاجتي منك اما الان فاقضي وطري من بوليت واحملي مونيتو على قضاء ما اريد وبعد ذلك يبدأ بيني وبينك الحساب

وبينما كانت تعد المشروعات الجهنمية كانت نيشات نازلة الى الحديقة .

وكانت متشحة بوشاح كبير يقيها البرد فلما وصلت الى باب الحديقة اقامت وراءه تنتظر قدوم بوليت .

وعند انتصاف الليل سمعت وقع وقع خطوات ثم سمعت طرق الباب فايقنت ان الطارق بوليت ففتحت الباب فدخل بوليت

ولكنه عندما راى نيشات انكر وجودها فلن العادة ان يفتح له بولينا فوضعت نيشات اصبعها على فمها اشارة الى طلب الصمت ثم عانقته بحنو حسب عادتها

اما بوليت فكان يتوقع ان يرى بيبي فجعل ينظر الى ما حواليه فابتسمت نيشات وقالت له انك لم تكن تتوقع ان تراني

ـ هو ذاك فكيف فتحت انت لى الباب

ـ ذاك انه يوجد اناء جسيده وريد اخبرك بها ثم شارت الى نور كان ينبعث من غرفة تنوان وقالت له انظر فارتاض بوليت وقال كيف ذلك الم تنم تنوان بعد

ـ كلا فانها مريضة وقد اصابها عسر لهضم لافراطها في الطعام

ـ اذن يجب ان انصرف

ـ كلا بل يجب ان تنتي فانها لا تستطيع النهوض من فراشها وفوق ذلك فان بولينا عندها وهي تنذرنا دون ذلك اذا حاولت لمجيء بتعال معي

ثم اخذت بيده وسارت به فتبعها دون تحسب حتى اذا وصلت الى اسفل السلم قالت له انك تعرف الطريق اليس كذلك

ـ دون شك

ـ اذن اصعد الى غرفتي فان الشمعة هو وانتظرني فيها حتى اعود

ـ الى اين انت ذاهبة

ـ الى تنوان بحجة السؤال عنها فاقيم عندها هنيهة واعود اليك وادخل من غرفة بولينا الى غرفتي فقد اتفقت معها على ان اخبرها باشارة متى حضرت

وقد كان الذي قالته له طبيعيا معقولا بحيث لم يتولد في قلب بوليت شيء من الريب فافترق عنها وذهب توا الى غرفتها

وقد علل بوليت غياب بيبي بسهر تنوان فقال في نفسه أن بيبي لم يجد من الحكمة ان يعرض نفسه لمقابلتي قبل ان تنام تنوان وساراه بعد

انصرافي من عند نيشات

ثم دخل الى غرفتها والشمعة المخبرة تضيء فوق المستوقد فلم يقم فيها خمس دقائق حتى خر صريعا على الارض ونام بتاثير المخدر كما نام بيبي

اما نيشات فانها ذهبت الى تنوان فاستقبلتها تنوان بابتسام وقالت لها ماذا حدث

قالت قضي الامر

ـ كيف ذلك

ـ وقع الطير في الشرك فان بوابت الان في غرفتي يتنشق رائحة الشمعة فاين هي بولينا

ـ في هذه الغرفة التي هي داخل غرفتي

ففتحت نيشات باب الغرفة وعادت الى تنوان فقالت لها انها نائمة

قالت وهبي انها مستيقظة فانها لا تستطيع الخروج من الغرفة فاقفلي بابها بالمفتاح

فاقفلت نيشات باب الغرفة وعادت الى تنوان فقالت لها لقد خطر لي خاطر يا اماه

ـ ما هو

ـ ان جدران الغرفة السرية كثيفة اليس كذلك

ـ انها تشبه جدران القلاع

ـ فلو افترضنا ان بيبي لم يمت وانه صحا من رقاده

ـ لا سبيل الى هذا الغرض فانه قد مات

ـ ولكن لنفرض انه لم يمت فلو صحت استغاثته احد

ـ كلا لان جدران الغرفة كثيفة جدا

ـ اذن ان فكري في غاية الصلاح

ـ ما هو فكرك

ـ اني ابغض بوليت الان بقدر ما كنت احبه

ـ وبعد ذلك

ـ انه اذا قتل وهو نائم كما قلت بيني لا يكون قد ادركت ذ ة من انتقامي ولذلك اريد ان اوقفه حيا في هذا التصريح مع جثه بيني

ـ احق ما تقولين

ـ نعم فانه متى صحا من رقاده لم يجد سبيلا غير بئر بيني وحافتي النجاة فلم يستطع يموت بعد ترع شديد اليم وهذا خير عقاب للخائنين مثاله ثم ان لي بذلك ماربا وهو انه متى استفاق تذكر انه كان في غرفتي او علم اني انا الذي انتقمت منه فيموت من اليأس والرعب الجوع .

فنظرت اليها نظرات عجاب وقالت انك تعرفين ان تبغضي .

ـ لماذا انقذ اوزور

ـ سنا وسا وفقك على ما اردت

— اتظنين انه نام الآن

— دون شك اذ كانت الناذه مقفلة

— اني تركتها مقفلة

— اذن هلمي بنا اليه

وقد اصابت تنوان فاز المخدر كان قد بلغ مبلغه من بوليت في ذلك الحين

وبعد ربع ساعة فتح باب الغرفة السرية بل باب الضريح فوضع فيه بوليت وهو نائم لا يعي قرب بيتي وهو غارق في دمه ثم قفل الباب

١٧

لم يدر احد من الخدم في اليوم التالي بسر الجناية حتى ان بوليت نفسها لم تعلم شيئا فانها كانت مسجونة في غرفة تنوان

وقد دخلت اليها تنوان في الصباح وقالت لها انك كنت في خدمتي وخدمتي تخولني ان اعاقبك غير اني وثرت ان اعفو عنك بشرط واحد وهو ان تكوني كتومة ولا تبحثي عن السبب الذي امرتك من اجله ان تنامي في هذه الغرفة فاذا خالفت بشيء من هذا الشرط قتلتك دون اشفاق

ثم اني اريد ان تبقي في هذه الغرفة يومين او ثلاثة فاذا سأل عنك الخدام اقول لهم انك مريضة

وبينما كانت تنوان تحادث بولينا بهذه الاقوال كانت ولينا تقول في نفسها لاشك ان تنوان تحاول الانتقام ولكني لا اعلم ممن ترجو الانتقام فهل من بيني وبين تنوان . اني لا استطيع معرفة الحقيقة الا اذا خرجت من محبسي وكيف لي بالخروج منه وهي تقفل باب الغرفة

اما تنوان فانها بعد ان غادرتها هذا لانذا اقفلت عليها باب الغرفة واوصت بيشات بمراقبتها ثم ذهبت بمركبتها الى لحمى د.

فدهش لحمى حين راها قادمة اليه قبل زيارتها المالوفة اما هي فانها بادرته بالسؤال قائله اتحب السفر

قال دون شك اذا كنت رفيقتي فيه

ـ اني اريد النهايه فاسع الي تعلم ما اريد

ـ تكلمي ايتها الحبيبة

ـ ماذا تصنع في باريس الآن انك لا تصنع شيئا مذكورا وان صحابك قد ماتوا ودورك السياسي قد انقضى ولا بد من عودة الملكية فلا يطيب المقام في فرنسا لامثالنا

فتنهد المحامي وقال هو الحق ما تقولين فلماذا تريدين بهذه الاقوال

ـ اريد ان اتزوج بك وتتجول سائحين ثلاثة او اربعة اعوام فان ثروتي عظيمة كما تعلم وجائي وطيد ان استولي عليها

ـ ما تمش لحمى من السرور و الى متى نسافر

ـ يستحيل علي ان اعين اليوم فقد نسافر غدا او بعد غد

ـ وحتى تعلمين

ـ قبل ان نركب مركبة السفر بخمس دقائق

ـ اوضحي هذه الالغاز فاني لم افهمها

ـ ان سفرى موقوف على حادثة لا ادرى اذا كانت تقضي اليوم او غدا ولذلك يجب ان تكون متاهبا على الدوام

ـ كيف ذلك

تستأجر مركبة سفر فتنقل اليها كل ما تحتاج اليه وتنتظرني بها عند انتصاف الليل قرب منزلي

ـ اذن نسافر الليلة

ـ كلا و لا اعلم ولكنك تنتظرني الى الساعه الثانية

ـ واذا لم تحضرى

ترجع الى منزلك وتأمر السائق ان يكون متاهبا غدا وغدا

ـ تفعل ما ستفعله الليله

لقد فهمت بأنك تريدين ان انتظرك كل ليلة في هذا الموعد

ـ هو ذلك والله . ان لا يطول انتظارك وان نسافر الليلة او ليله الغادة

بم ود ته و تصرف فعال لحامي في نفسه لقد كنت واثقا ان الامر معها سينتهي بالزواج فستزوج بها وسنرى بعد ذلك ما يكون

اما تنوان فانها رجعت الى منزلها فخلت بنيشات وقالت لها لقد وضعت خطة ارجو نجاحها ولكني اخشى ان يكون بيبي واعد بوليت على اللقاء فاذا لم اره تولدت في نفسه الشكوك

فابتسمت نيشات وقالت ان حب بوليت قد زال من قلبي الان فثقي اني سأصنع بمونيتو كل ما تريدين

قالت اذن فاعلمي خطتي . انى حين اودعت اموالي عند مونيتو كنت خائفة من عودة الملك والنبلاء ثم لم اعد خاف الان شيئا بعد قتل بيبي فان اورور وحنة لا تبلغان مني امرا اذا لم يكن لديهما مساعد ولذلك اريد ان استرجع اموالي من مونيتو

ـ المال كله

ـ دون شك

ـ ولكنك لم تودعيها خزانة القبيلة على شرط ان لا تأخذي منها غير ريعها فماذا تصنعين

ـ ان ذلك منوط بك وليس بي فان هذا الرجل هائم بك ويجب ان تضلي صاحبة ساعة

ـ ذلك ممكن

ـ وتحمليه على التوقيع على ما تريد

ـ وهذا ممكن ايضا ولكن اموال القبيلة ليست بيد مونيتو بل

يشاركه اثنان في ادارتها

.. هذا اكيد

ـ الاتخافين اذن ان يوقع مونيتو على تسليم المال ثم يكتب سرا الى رفيقيه ان لا يدفعاه

فهزت تنوان راسها وقالت ارى انك لم تفهمي بعد كل شيء فان مونيتو يريد ان يسافر بنا الى المانيا ليتزوج لك فيها

.... هذا الذي ارجوه واطمع فيه

..... اذن بيعيه هنا ماتريدين ان تبيعيه اياه في المانيا

ـ لقد فهمت الان فان الامر لا يتعلق بثروتك الخاصه بل بمالك وبالمهر الذي سيعينه لي

ـ هو ذاك

ـ ثم تقتسم هذا المهر

دون شك

ـ ولكنه قد يوقع على ما نريده فكيف نقبض المال

ـ ان له مصرفا خاصا كبيرا في فينا يضع فيه امواله الكثيرة فليوقع بتوقيعه وعلي البقية

ـ ولكنه قد يوقع في ساعة غرام ثم ينقض في اليوم التالي ما كتب

ـ ذلك اذا بقي في قيد الحياة

فذعرت نيشات وقالت اعولت على قتله

فضحكت تنوان ضحكة هائله وقالت على اثر التوقيع

وفي المساء اقبل مونيتو حسب عادته وهو يقول في نفسه لقد قضت على اشغالي بالعودة الى فينا فلا بد من ان احمل تنوان هذه الليلة على ان تسير معي

١٨

وجلس الثلاثة تنوان ونيشات ومونيتو على المائدة فكانت تنوان ساكتة وعليها ظواهر الانشغال ونيشات ضاحكة لاعبة تحاول ان تسكر مونيتو ومونيتو ينظر اليها نظرات الهائمين ويشرب

وبعد هنيهة قال مونيتو لتنوان اتعلمين اننا مسافرون غدا

فاجابته تنوان من قال لك اننا نسافر

ـ انا اقول

ـ اذن تبيعه هنا ما تربن ان تبقيه اياه في المانيا

ـ نعم فقد انهيت اليوم جميع اشغالي في باريس

ـ وقد حضرت الليلة لتوديعنا

ـ بل حضرت لاخباركما كي نسافر كلنا

ـ ولكني انا لا اسافر

ـ لماذا

ـ لاني مسرورة في باريس فاحب البقاء فيها

فقالت نيشات ربما كانت تنوان مصيبة

فاضطرب مونيتو وقال اذ ذاك انما نهزأ ان بي

فقالت له تنوان اني لا اهزأ باحد فاذا كنت لا اسافر فلا امنع نيشات عن السفر معك

فقالت لها نيشات اني اكون ناكرة الجميل يا اماه اذا سافرت معه وتخليت عنك

ثم نظرت نظرة ياس الى مونيتو فقال مونيتو في نفسه ان تنوان تريد ان تمثل دورا فلنرى ما تريد ثم تظاهر بالاسف الشديد وركع امام نيشات فجعل يقبل يديها وعليه علائم الياس

فضحكت نيشات ضحكا عاليا وانهضته اما تنوان فانها خرجت من القاعة وتركته واياها فلما رات نيشات انها باتت وحدها مع مونيتو استحالت حالتها من من الزهو الى الانقباض فنظرت اليه نظرة الملتمس وقالت له سالك العفو

فضمها مونيتو الى صدره دون ان تبدي مقاومة وقال لها بلهف كيف تريدين ان اسامحك

ـ نعم فاني لست مطلقة القياد

ـ ماذا تعنين بذلك

ـ اني عبدة تنوان ثم نظرت يمنة ويسرة نظرة الخائف وقالت له تعلم انها انذرتني بالقتل اذا لم اطعها طاعة لا حدها

ـ ماذا تريد منك وكيف تخشينها وانا تولى حمايتك

ـ انك لا تستطيع حمايتي هنا اذ لا قوة لك في باريس خلافا لها فانها

شديدة القوة يطيع المحي د.

- وبما كانت لها هذه القوه في باريس [illegible]

- ولكنها لا تريد ان تسافر اليها

- لاابالي بها بشرط ان تسافري انت معي

فبكت نيشات وقالت لااحب الي من السفر معك غير انى اذا خطوت خطوة بغير ارادتها غمدت خنجرها في صدري

فتظاهر مونيتو بالخوف عليها وقال لها ولكن ماذا تريد منك تنوان .

- تريد المستحيل وهي لاتريده مني بل منك

- اوضحي قولك ايتها الحيية فاني اضحي كل شيء من اجل حبك

- انها تطلب طلبا لا تقدر على تحقيقه

- ولكن ماذا تريد

- انها حين قدومك الى باريس ذعرت ذعرا شديدا وهي لا يشغلها الا امر تروتها وخوفها من ان تجردها منها

- هذا اكيد

- وقد اتخذتني في خدمتها وعهدت الي ان امثل دورا شائنا لاازال امثله معك منذ خمسة عشر يوما

لو اطرقت نعينيها استحياء فتنهد مونيتو وقال اذن انت لا تحبينني .

- اني لم اكن احبك من قبل ، لكني رايت من كرم اخلاقك ما حملني على حبك ولو كنت مطلقة السراح لسافرت معك حين تشاء ولكني واسفاه مقيدة بارادة هذه المراة

- وماذا تريد مني هذه المراة في سبيل اطلاق سراحك

- تريد مالها وان ترد اليها ملايينها

- ولكن هذا محال

- اني اعرف ذلك ، اسفاه وقد قلته لك

- وانا اقول لك انه يستحيل على ان ارد لها اموالها لانها مودعة في خزانة القبيلة بشروط لا يمكن نقضها غير ان لي ثروة خاصة وهي طائلة كما تعلمين فانا اعطي تنوان منها ما تشاء بشرط ان تتخلى عنك

- انت تصنع ذلك من اجلي

فاجابها بملء البساطة دون شك بل افعل اكثر من هذا

وعند ذلك فتح الباب ودخلت تنوان فكانت مصفرة الوجه قليلا ولكن عزم السكينة والعزم الوطيد كانت بادية عليها فدنت من مونيتو وقالت اني كنت خادمة في بدء عهدي ومن عادة الخدم ان يسمعوا من خلال الابواب

فتظاهرت نيشات بالرعب الشديد وقالت رباه انها سمعتني .

اما تنوان فانها نظرت اليها نظرة ملؤها الاحتقار فقالت لمونيتو

ان هذه الفتاة قد خانتني وانا سأكلمك الان بجلاء فاعلم اني سواء سرقت المال الذي اودعته عندك وسواء كان مالي اريد استرجاعه

قال انك لن تناليه

— وانك لا تنال نبشات

— سوف نرى

— اني اذا شئت سجنت هذه الفتاة التي تهواها بكلمة اقولها بل انت نفسك لا تستطيع مغادرة باريس اذا كنت لا اريد

فضحك مونيتو وقال كيف تمنعني عن السفر اذا اردته

قالت الملك نسيت انك محكوم عليك بالاعدام منذ شهرين ثم نجوت وعدت الى باريس بجواز منظم فاصغ الى الان انك تعلم دون شك ان لي صديقا قادرا في باريس

— نعم وهو المحامي د .

— وهذا المحامي عالم بكل شيء فاذا لم توقع على ما اطلب اليك التوقيع عليه يقبض عليك حين خروجك من هنا

فظهرت على مونيتو علائم الخوف وقال على ماذا تريدين ان اوقع

— حوالة على مصرفك في فينا

— كم قيمتها

— اربعة ملايين

ـ وذا امضيت هذه الحواله

ـ تصبح عظيم السراح وتسافر معك نيشات

ـ اذن هاتي معدات الكتابة فان نيشات تسوى اكثر من اربعه ملايين

فقامت تنوان وذهبت الى غرفة مجاورة فقال مونيتو في نفسه ان الامر جلي ظاهر فانها بعد ان مضي الحوالة تسقيني كاسامن الخمر المسموم فاذا ابيت الشراب فقد يقتلني رجالها ولذلك يجب الاحتياط

وعند ذلك قام الى النافذة فاخرج من جيبه علبة صغيرة وخذ منها حبتين كحبوب الدواء فابتلعهما وعاد الى نيشات دون ان ترى ما فعل ثم جاءت تنوان بادوات الكتابة فكتب لها الحوالة كما ارادت واعطاها اياها فطوتها ووضعتها في جيبها وقد اشرق وجهها بنور البشر ثم قالت له انك تستطيع الان ان تسافر متى شئت ولا اعترض نيشات في السفر معك

فابتسم وقال اني اذن لسعيد

قالت ولكن ذلك لا يمنع ان تتم العشاء ثم غمزت نيشات فقام الى المائدة وقام معه مونيتو فجعل ياكل ونيشات تصب له الخمر وتشرب واياه

وكانت تنوان قد مرت وراء مونيتو فقالت نيشات في نفسها ستطعنه بالخنجر ولكن تنوان لم تفعل شيئا من ذلك فجعلت نيشات

تقول في نفسها ماذا عساها تنتظر

اما ونيتو فانه كان يلاحظ خلسة كل ذلك منهما فوضع يده فجاة على جبينه وقال لتنوان ماذا سقيتني

قالت من الخمر الذي تشرب منه كل ليله

قال وما هذا الدوار الذي اشعر به

قالت أنك افرطت في الشراب

قال افتحوا النوافذ انى محتاج الى الهواء

ثم حاول ان ينهض ولكنه لم يستطع بل سقط على الارض واطبق عينيه

فقالت تنوان لقد نام

فقالت لها نيشات اذا كان ذلك فماذا تنتظرين

ـ لا شيء

ـ كيف ذلك فان الحوالة معك

ـ هو ذلك

ـ ولماذا لا تضربيه فتقتليه

ـ اية فائدة من ذلك

ـ اتريدين أن نبقيه حيا

ـ كلا فانه مات لان الخمر كان مسموما وقد شربت منه انت ايضا ك خنتني فانتقمت منك

فجمد الدم في عروق نيشات من الرعب وحاولت ان تنهض

فتستغيث غير ان قوة سحرية منعتها عن القيام وخنقت صوتها فقالت لها رحماك اني في مقتبل الشباب فاشفقي علي

فضحكت تنوان ضحك الساخر وقالت ان من يخون لا يستحق الرحمة .

وبينما كانت نيشات تعارك الموت بقوة اليأس وضعت تنوان وشاحها على كتفيها وقالت الان لنهرب فان المحامي ينتظرني ولم يبق ما اعمله في باريس فان اموالي هناك.

ثم خرجت من القاعة خروج الظافر تاركة فيها جثة ، لا حراك بها

١٩

ولنعد الان الى بولينا فان تنوان كفت عن مراقبتها بعد قدوم مونيتو اذ كانت تفقدها من حين الى حين

وكانت بولينا لا تزال سجينة في الغرفة ففتحت النافذة المطلة على الحديقة على رجاء ان ترى كوكاليس البواب فقد تاملت كثيرا في الحالة مدة اسرها فاستنتجت ان تنوان ونيشات متفقتان على بيبي ومونيتو وبوليت وقالت في نفسها انهم لم ياسروني الا لخوفهم مني واذا كانوا يخافونني فلحذرهم ان يكون لي اتصال بيبي ومونيتو وانا الان في اسوأ حال فاذا عرفت تنوان ان لي اتصالا بمونيتو طردتني واذا اصيب مونيتو بمكروه لا يدفع لي ما وعدني بدفعه فخير لي ان انقذ مونيتو او انذره على الاقل بما يتهدده من الاخطار

وقد كانت رات بيبي يحادث كوكليس مرارا ويختلي معه خلوات سرية فاستنتجت وجود اتفاق بينهما وفتحت النافذة على رجاء ان ترى كوكليس .

وقد كان باب غرفتها مقفلا من الخارج فلا سبيل الى الخروج منه واقل حركة تبديها تنبه تنوان والفرار من النافذة محال لشدة علوها

ولما لم ترى كوكليس خطر لها ان تصل ملاآت السرير بعضها ببعض وتستعين بها على النزول من النافذة

وفيما هي تتاهب لذلك سمعت وقع اقدام في غرفة تنوان فامتنعت عما شرعت به واقبلت الى الباب تنتظر ما يكون من امرها

وكان نصف هذا الباب من الخشب ونصفه الاخر من الزجاج فرات تنوان دخلت الى غرفتها وهي تضطرب اضطرابا شديدا وعيناها تتقدان وقد انتحت بوشاحها ولبست قبعتها مما يدل على انها عازمة على الخروج من القصر

ثم رأتها فتحت خزائنها فجعلت تأخذ من هذه نقودا ومن تلك اوراقا مالية ومن غيرها مجوهرات فتضمها في جيوبها بسرعة واضطراب فما شككت انها تريد السفر

ثم سمعتها تحدث نفسها بلهجة المنتقم الفائز فتقول اي نيشات اني تبينتك فخنتني واردت لك الخير فجازيتني بالشر وتامرت على مع بوليت بيبي وقد لقيت ما جنته يديك فلا تخونين احدا بعد الان

فارتعدت بولينا وذكرت خنجر تنوان فايقنت انها قتلت نيشات

وقالت في نفسها ويح لي اني انا قد خنتها ايضا فاذا فعلت لي يكون جزائي جزاء من قتلتهم

ولكن تنوان لم تكن تفتكر ببولينا في تلك الساعة فانها كانت تبغي الاسراع بالفرار قبل افتضاح امرها

فلما رات بولينا انها انصرفت تنفست الصعداء وذهبت الى النافذة تراقب خروجها من الحديقة فلم يكن غير بضع دقائق حتى رأتها تسير في الحديقة سير المضطرب ولكنها لم تذهب الى الباب الاكبر الذي ارسه كوكليس كما توهمت بولينا بل ذهبت الى باب الحديقة .

فصبرت بولينا حتى سمعت صوت اقفال الباب فايقنت انها قد انصرفت ولم تعد تفتكر الا بالخروج من غرفتها والنظر في ما جرى لمونيتو ونيشات

وكان نصف باب الغرفة من الزجاج كما قدمناه فاخذت منشقة فطوقت بها يدها وضربت بها الزجاج فانكسر ووثبت الى غرفة تنوان ثم خرجت منها وجعلت تسير سير الخائف وهي تصغي من حين الى حين

ولكنها لم تسمع حسا ولم تر احدا فان الليل كان قد انتصف وجميع الخدم نيام حتى وصلت الى القاعة التي كانت فيها تنوان مع مونيتو ونيشات فرات بابها مقفلا والنور مضاء فيها فنظرت من ثقب الباب فلم تر احدا فخافت ان تفتح الباب وهربت مسرعة الى الحديقة

وعند ذلك خطر لها ان تري كوكليس فذهبت اليه فوجدته ساهرا

في غرفته ينتظر خروج من توهمات له بين شيء

وذعر كوكليس لما رآه من اصفرارها وقال لها انه سافر .

- اانت واثق

- كلا ولكني لم اره منذ مساء امس

- ومونيتو

- انه يتعشى

- مع من

- مع السيدة تنوان

- لا صحة لما تقول فانها خرجت من القصر ثم قصت عليه بالتفصيل جميع ما اتفق لها وما رأته فلما فرغت من حديثها رفع عينيه وقال لها ماذا جرى لهم فيما تظنين

قالت اظن انها قتلتهم

فخرج كوكليس من غرفته منذعرا وقال لها اتبعني وسوف نرى ما كان

ثم سار الاثنان الى تلك القاعة التي كان فيها مونيتو ففتح كوكليس بابها ودخل الهلع بولينا فرأتا نيشات ممددة على الارض والزبد يخرج من فمها ووجدا مونيتو وقد عاد اليه هداه وكما انه الآن هو يحاول فتح فمها ولا يستطيع

فرفع عينيه ورأى كوكليس وبولينا فقال لهما لقد اتيتما في حين

الحاجة اليكما فهلم الى مساعدتي

فقال له كوكايس ماذا نصنع ان يجب

قال يجب ان تفتح فم هذه الفتاة وتصب فيه هذا السائل الذي وضعته في هذا الكاس فاحمل الكاس وانا افتح الفم

فامتثل كوكايس وجعل مونيتو يعالج فم نيشات حتى تمكن من شجه فاسرع كوكايس الى صب الشراب في فمها وهو ضد السم الذي سربه فقال مونيتو انما كدنا نخسر كل شيء فان تتوان سقتنا سما هائلا

قال اشربت السم انت ايضا . كيف نجوت منه

قال اني توقعت انها ستسقينا السم فشربت ضده من قبل ولكني تظاهرت بالموت لاني كنت خاليا من السلاح وخشيت ان تقتلني بخنجرها

فقالت بولينا ولكن اين بنيامين وبرليت

فقال كوكايس ان بنيامين قد سافر

فقالت برلينا انه لم يسافر وكذلك برليت

فقال مونيتو انا متى انقذنا نيشات تخبرنا الحقيقة فهي واقفة عليها دون شك

٣٠

اما نيشات فان صوابها قد بدأ يعود اليها فان مونيتو كان قد انقذها ولكنه لم يشاء ان يظهر لها ذلك كي ينال بغيته من اقرارها فحملها الى سرير

مع كوكليس فلم يمض بها هنيهة حتى سكن هياج اعصابها

وكان مونيتو يدعك جسمها حتى عاد اليها كل رشدها فنظرت اليه نظرة اتان وقالت ويح لهذه الحية الرقطاء فانها احيل من في الوجود .

فنظر اليها مونيتو نظرة المشفق وقال ان ازن تمثيل ادوار الغرام قد مضى الان فاني رجل شيخ لم يبق متسع للغرام في قبل وانما كنت انظاهر بغرامك لمارب اريد نيله وقد نلته الان

وكانت نيشات لا تزال تتالم غير ان كلام مونيتو انساها الالم فانها كانت تعتقد انها ملكت قلب هذا الرجل الغني وانها ستبلغ من امواله ما تريد فكبر عليها هذا الانقلاب وانساها موقفها فقالت له منذرة انك خنت بي وسوف ترى ما يكون بيني وبينك

فقال لها مونيتو انك لولا فضلي لكنت الان من الاموات ولا تزال حياتك في قبضة يدي

فتغلب حب الحياة عليها وقالت له ماذا تريد مني

قال انك خدعت توان وهي ارادت قتلك

— ولكني سانتقم منها شر انتقام

— هذا اذا ابقتك في قيد الحياة فاذا شئت البقاء قولي الحقيقة

— ماذا تريد ان تعلم

— كان يوجد هنا رجل يدعى بنيامين وقد اختفى فماذا جرى له

ـــ ان تنوان قتلته

ـ احق ما تقولين

ـ اقسم لك اني صادقة

ـ ولكن كيف قتلته بالسم

ـــ كلا بل بالخنجر ثم قصت عليه حكاية الشمعة فقال مونيتو اذا اردت ن اصدقك فقد وجب عليك ان تخبرني ماذا صنعتم بالجثة

فافتكت نيشات ببوليت وقالت لا اعلم

ـــ انك تكذبين

ـــ اقسم بالله .. ان .. تنوان

فالتفت مونيتو الى كوكليس وبولينا وقال لهما اننا نضيع الوقت عبثا معها فانها لا تريد ان تقول الحقيقة فلنحث نحن وليفعل السم بها حشائها ما يشاء

ثم خطا خطوة الى الباب فناداته نيشات قائلة اتدعني اموت

فوقف مونيتو وقال لها اذا قلت الحقيقة تحيين

وكانت نيشات تكره بوليت كرهاً عظيما وهي تعلم انه لا يزال حيا في الغرفة السرية فاذا اشدت مونيتو الى تلك الغرفة انقذه ولكنها اذا لم ترشده قتلها السم فغلب حفظ حياتها على الانتقام فقالت له اصبر لا تذهب

فاخذ مونيتو حبتين من العلبة التي كانت معه فحلهما في كاس ماء وقال لها اني امهلك دقتين للتفكير فاذا لم تقولي الحقيقة بعدها القيت

هذ الكاس من النافذة فتموتين افظع موت

فخافت نيشات خوفا شديدا وقالت اذن اذهب الى القاعة الكبرى تجد فيها صورة كبيرة

... قد رأيتها مرارا

فضع يدك على اطارها من الجهة اليمنى وازل بها حتى تعثر بلولب فتديره فيدار الصورة وتظهر لك الغرفة السرية الموجود فيها بيبي .

فهم مونيتو ان يذهب ولكنها اوقفته باشارة وقالت له اسمع ايضا فان هذه الغرفة لا تحتوي على جثة بيبي فقط بل ان بوليت موجود فيها ايضا غير انه لم يمت بعد واذا كنت تقول له اني انا الذي حبستك فيها يقتلني لا محاله فلا انجو من الموت على الحالين

قال اني لا اذكر له شيئا من هذا فاطمئني ثم اندفع الى الباب .

فاوقفته نيشات وقالت لقد قلت لك كل شيء فاسقني هذا الدواء اتدعني اموت وتمضي

قال لا اسقيك الدواء حتى اثق من صدق ما قلته لي

ثم اخذ الكاس وسار فتبعه كوكليس وبولينا حتى وصل الى تلك القاعة فبحث عن لولب الصورة بيد ترتجف اشفاقا على بيبي حتى اذا عثر به واداره انفتح باب الغرفة السرية ولكنها كانت خاوية خالية فلم يجدوا فيها غير لطخ من الدماء على الارض

وقد جعل كل منهم ينظر الى الاخر حائرا مبهوتا ثم تولد في نفوسهم رجاء مبهم وهو انه اذا صدقت اقوال نيشات فقد يكون بوليت هرب من الغرفة واخذ معه بيبي وفي ذلك رجاء اخر يدل على ان بيبي لم يمت لان بوليت لا فائدة له من انقاذ جثة لا روح فيها .

وعند ذلك جعل مونيتو يثقب في تلك الغرفة عن منفذ غير منفذ الغرفة فاخذ يقرع كل موضع من جدرانها الاربعة

وبينما هو على ذلك اصابت يده جسما صلبا وفتح باب على اثر القرع انكشف عن سلم تنزل درجاته في جوف الارض

فامر مونيتو كوكليس ان يحمل المصباح وينزل امه في ذلك السلم فامتثل ونزل معه

وكان السلم طويلا فشعر مونيتو بهواء رطب حتى اذا بلغ الى اخر السلم شعر ان الارض رطبة وحوله ورای میزابا متسعا من میازیب المجاري

وكان كوكليس قد سار معه اما بولينا فبقيت في اعلى السلم لخوفها من النزول

فانحنى مونيتو وفحص الارض فقال لكوكليس تعال وانظر

قال ماذا

ـ الا ترى آثار اقدام على الارض

ـ هو ذاك واظنها آثار خطوات بصاحب مونيتو

وبعد ان سارا منها عدة خطوات صاح تنيتو صيحة فرح وقال ان تيبي لم يمت

- كيف عرفت ذلك

- لم ترهناك اثار قدمين

- نعم

- انظر هنا فانك تجد اثار اربعة اقدام

- هو ذاك

- انظر ايضا نقط الدم على الارض فان جميع ذلك يدل ان بيبي جريح وانه لم يمت ولكنه يمشي بعناء كما يدل وقع خطواته

وعند ذلك وقف مونيتو فقال له كوكليس ماذا عزمت ان تصنع .

- عزمت على ان نرجع من حيث اتينا

- الا نواصل البحث عنهما

- كلا فان لهذه المجاري التي نسير فيها كثيرا من المنافذ فسيكون بحثنا فيها محالا فكن مطمئنا ان بيبي وبوليت لا يعدمان وسيلة للنجاة واما انا فاني مضطر ان اعود الى المانيا فان تنوان سبقتني اليها ثم ابتسم ابتسامة دلت على ما خبأه ملك النور لهذه النورية

٣١

والعهد الان الى بوليت فان تنوان حبسته في هذه الغرفة السرية كي يموت فيها جوعا وهي دون شك لا تعلم ان لها منفذ غير

منذ الصورة

اما غيبوبة بولين فقد دامت ثلاث ساعات غير ان غيبوبته كانت على شكل غريب فان هذا المخدر الذي سرى الى جسمه من رائحة الشمعة يخدر الجسم بجملته ويفقد جميع الحواس ما خلا حاسة السمع وعلى ذلك فقد سمع كل ما قيل اما ه

وقد سمع كل ما تحدثت به تيران ونيشات عنه وعن بيبي ولكنه لم يكن يدري اذا كانوا قد وضعوه في تابوت او دفنوه حيا فكان يقول في نفسه اني سأستفيق بعد بضع ساعات فتفتح عيناي واعلم اين انا

فصبر مكرها الى ان حان وقت استفاقته فشعر بحرارة قد دبت الى جسمه ثم بذل جهدا عظيما فتمكن من تحريك يده فوقعت على مادة رطبة فلم يدر اذا كان ذلك دم او ماء

ثم انقلب على جنبه وكان نائما على ظهره فمد يده ايضا فاصابت جسم انسان

وعند ذاك انتهى تاثير المخدر تماما فتمكن من الوقوف و فتح عينيه فلم يستطع ان يرى شيئا لكثافة الظلام

وكان في جيبه علبة كبيرة من الكبريت الشمعي ولكن عود من عيدانها قتيلة ضخمة اذا انير اضاء كما تضيء الشمعة وهو من مخترعات ذلك العهد فلم يلبث ان يبيرها حتى صاح صيحة ياس فانه راى بيبي غارقا بدمائه

فاسرع الى وضع يده على قلبه فشعر انه ينبض فعلم انه لم يمت .

وعند ذلك وضع الشمعة على الارض ومزق قميصه وضمد جرحه منعا لنزف الدم وبعد حين تنهد ثم فتح عينيه ونظر الى بوليت وقال له بصوت خافت اهذا انت

قال انك لم تمت والحمدلله ولكن اين نحن

قال سوف اخبرك

وكان بيبي قد تخدر كما تخدر بوليت اي انه فقد كل حواسه ما خلا حاسة السمع

ويذكر القراء ان تنوان حكت لنيشات تاريخ هذه الغرفة السرية حين كان بيبي صريعا من المخدر في غرفته ففهم كل حديثهما بقي ان تنوان قد انتصرت عليه

وقد علم كيف تفتح هذه الغرفة ولكنه بعد ان طعنته تنوان بالخنجر امتزج الاغماء بالتخدير فلم يعد يسمع شيئا

ولكنه علم اين هو فقال لبوليت اننا في غرفة اذا فتح بابها اشرف على قاعة تنوان الكبرى ولكني لا اعلم اذا كان هذا الجرح قاضيا علي فهل انت جريح

قال كلا فقد قضي علي انا ان اموت جوعا قرب جثتك .

- اتعلم ان تنوان داهية دهماء

ـ انها الى الان فائزة علينا ولكن الحكم لا يكون قبل النهاية اما نيشات فانها لا تموت الا من تعدي

ـ ولكن يجب من اجل ذلك ان نخرج من هنا ثم نبذل جهدا عظيما فنمكن من الوقوف

فقال له بوليت كن مطمئنا فسنخرج كلانا من هذا القبر الذي اعدته انا لنوان

فاتجه بيبي الى الجدار وقال له لا بد ان يكون لهذه الغرفة منفذا اخر فقد كانت ملجاء للمنفيين

ـ وانا ارى ما تراه

ـ ابحث جيدا على الجدران اني ان تعثر بجسم صلب

ـ سابحث ولكن لنتفق الان على ما يجب ان نصنعه

ـ تكلم

ـ اني بعد فتح الباب اخرج منه قبلك وخبري بيدي وانت تتبعني فاقتل كل من القاه في طريقي

ـ لا اعلم اذا كنت استطيع المشي

ـ اذن افتح النافذة وانادي كوكاس فياتي انجدتنا

ـ حسنا فابحث الان عن الباب

فجعل بوليت يبحث نحو ساعة حتى قال اخيرا لبيبي اني وجدت مسمارا .

قال اضغط عليه

فضغط بوليت وعند ذلك فتح باب ولكنه لم تظهر من ورائه قاعة القصر الكبرى بل ظهر سلم فقال هلم ندخل من هذا الباب

قال ولكنه الباب الذي سنخرج منه

ـ ولماذا لا نبحث عن لولب الباب الذي دخلنا منه

ـ لا فائدة من ذلك فان تنوان ونيشات تعتقدان الآن اني ميت

ـ هذا لا ريب فيه

ـ وانت محكوم عليك بالموت جوعا فهما لا تفتحان هذه الغرفة لافتقادنا لا بعد ثلاثة او اربعة ايام

ـ هذا اكيد ايضا فان نيشات تعلم ان خنجري لا يفارقني

ـ فلنفترض اننا استطعنا الخروج من هنا دون ان يعلم بنا احد واجتمعنا بموتيتو فان تنوان لا تحذر منا لاعتقادها انا من الاموات وفي ذلك راحة لنا لا تخفى عليك

ـ لقد اصبت ولكن من يعلم الى اين يؤدي بنا هذا السلم

ـ لا اعلم بالتدقيق ولكن لا بد انه يؤدي الى منفذ فلننزل منه وسوف نرى ما يكون

وعند ذاك توكأ بيبي على كتف بوليت وخرجا من الغرفة فلما نزلا قال بيبي اني واثق من ان تنوان لا تعلم ان للغرفة هذا المنفذ .

ـ ربما

ـ اذن فلنقفل الباب قبل نزولنا

ا [illegible]

ـ لا فائدة لنا سوى أنها تذهل اذهالا عظيما حين تتفقدنا ولا ترانا .

قال ليكن ماتريد ثم اقفل بوليت الباب ونزلا ابضع درجات فشعر بيبي انه لايستطيع مواصلة السير فحمله ببي ونزل به

وكان الهواء يخف كلما تقدما بحيث انتعش بيبي قليلا فقال لبوليت اتعلم الى اين نحن سائران

ـ نعم فاننا نسير تحت القصر وسيدخل بالمجاري وقد بات قادرا على المسير

ثم نزل عن كتفه وسار معه وهو يتوكأ عليه وبعد ان مشيا قليلا قال لبيبي لنقف هنا

ـ لماذا

ـ اليس خنجرك معك

ـ دون شك

ـ ارسم به رسما على هذا الحجر

ـ لماذا

ـ لنهتدي الى الطريق اذا اردنا الرجوع من حيث جئنا

ـ فامتثل بوليت فقال له بيبي اني حين كنت عاملا في البوليس ا [illegible] لحار فان الثلاثة كانوا يختفون فيها و لكنت الاحظ انا كلما بلغنا الى مثل هذا المكان المتسع الذي نحن

— كيف تكون هذه المنافذ

— الم تلاحظ انت في الشوارع تلك الحجارة الكبيرة المستديرة المخروقة في وسطها

— نعم

— هذه هي ابواب المجاري فاذ رفعنا حجرا من هذه الحجارة خرجنا من الدهليز

وفيما هما على ذلك سمعا ضجيجا فوق راسيهما فقال له بيبي الا تسمع ان هذا صوت المركبات تسير فوقنا وهو ما يدل على اننا في شارع وان الباب قريب

ثم واصلا السير حتى رأيا نور النهار ينبعث من منفذ فقال بيبي هذا الباب وان نور الشمس ينفذ من خرق الحجر

فبه يكون ذلك دليلا على قرب المنفذ

قال كيف نخرج

قال ننتظر الى ان يهجم الليل فنرفع الحجر ونخرج

واقام الاثنان ثلاث ساعات يتحدثان حتى توارت الشمس في الحجاب واحتجب النور فحاول بوليت رفع الحجر ولكنه لم يستطع لانه كان مطينا وليس لديه الات لرفعه ولا يستطيع بيبي معاونته لجرحه فاضطرب في امره وقال ماذا نصنع

— نخرج

— ولكن كيف

— من حيث دخلنا

— اعود الى قصر تنوان

دون شك البس هذا الذي خطر لنا حين كنا في الغرفة .

— هو ذاك

وفوق ذلك فقد خطر لي خاطر ساذكره لك في الطريق فلنعد الان ادراجنا

٢١

وجعل بيبي يحادث بوليت على الطريق فقال له اننا حين نصل الى الغرفة السرية يكون مونيتو على المائدة مع تنوان وتيشات واظنه راى كوكليس وكلاهما منشغل البال لغيابنا

قال ولكنك ودعت مونيتو وهو لا يتوقع ان يراك

— نعم ولكني لم اودع كوكليس ولا بد ان يكون ذكر لمونيتو اضطرا لغيابي فلنسرع الخطى

— لماذا

— كي ندرك مونيتو قبل انصرافه فاذا كنا ثلاثة خيرا من ان نكون اثنين لاسيما واني ارجح

— لقد اعجبني هذا الخاطر اذ يمهد لي سبيل الاجتماع بتيشات

— غير اننا سنعرقل مساعي مونيتو ولكن لا باس اذ ليس لدينا طريقة غيرها وفوق ذلك فان مونيتو يريد ان يعذبها عذابا اليما لانها اهانت

القبيلة ولا نعدم نحن وسيله فظيعة لعذيبها فقد قتلتنا

فهز بوليت الخنجر بيده وقال انا اتكفل بنيشات

وواصل الاثنان السير حتى انتهيا الى المكان الذي دخل اليه مونيتو وكوكليس فوقف بيبي مندهشا وقال له انظر الا ترى اثر اقدام

ـ ولكنها اثار اقدامنا

ـ لا يمكن ان يكون ذلك اذ ليس للواحد منا اربعة اقدام .

ـ اذن ما هذا

ـ انهم بحثوا عنا بعد ذهابنا واقتفوا اثرنا

ـ من هذا تنوان ونيشات

ـ كلافان هذه الاقدام اقدام رجال وربما كانت اقدام مونيتو وكوكليس

فتوقف بوليت مترددا في المسير فقال له بيبي جرد خنجرك وتقدم غير مكترث بما قدر يكون

فامتثل بوليت سار الاثنان حتى وصلا الى السلم فصعداه ولما بلغا الى اخره قال له بيبي هو ذا الباب مفتوح وقد اقفلناه حين خروجنا من الغرفه اتشك بعد الآن

ولم يكن باب السلم وحده مفتوحا بل باب الصورة ايضا فوقف الاثنان واصغيا فسمعا صوت مونيتو فقال بيبي هلم بنا ندخل فلم يبق خوف علينا ونحن لا نظهر لهم الآن بمظاهر الخيالات فهم يعلمون

انا لم نمت

وسارا حتى وصلا الى قاعة الطعام فدفع بيبي الباب ودخل يتبعه بوليت

وكان مونيتو قد عاد منذ عشر دقائق مع كوكليس وجعل يتمم معالجة نيشات فانها كانت لاتزال تتألم من تأثير السم وانما اراد شفاءها لاحتياجه اليها في معاقبة تنوان

فلما دخل بيبي من باب القاعة صاح مونيتو وكوكليس وبولينا صيحة فرح خلافا لنيشات فانها تراجعت وقد اخذ منها الذعر كل ماخذ وقالت ماذا ارى ابعث من في القبور

اما بيبي فانه اندهل اذ لم يرى تنوان وسأل مونيتو بالنظر عما حدث .

فقال له مونيتو حدث ان تنوان قد سافرت بعد ان سقتنا السم انا ونيشات اما انا فلم يؤثر بي سمها خلافا لنيشات ولو لم ادركها لقضت نحبها .

فقال له بوليت اشكرك لعنايتك بها ومتى تم شفاءها فانا اتكفل بامرها

فوجف قلب نيشات لهذا الوعيد وقالت له رحماك اصفح عني .

فضحك بوليت وقال سوف ترين ابتها الحسناء كيف اصفح عنك .

وعاد بيبي الى سؤال مونيتو فسأله الى اين سافرت تنوان

- الى حيث كنت اريدان تسافر

- الى فينا

- هو ذاك فان هذه المرأة كثيرة الدهاء ولكنها ليست ادهى منك فما سمها لا يقتلني وخنجرها لا يقتلك

- ولكن ماذا ذهبت لتصنع في المانيا

- ذهبت لتقبض اربعة ملايين

فتراجع بيبي منذعرا وقال انك تمزح

قال كلا ثم نظر الى نيشات وقال اني احببت هذه الفتاة وكان وجود تنوان معنا يتعبني فاشتريت راحتي بهذه القيمة

- لا افهم ما تقول

- انها طلبت الي ان ارجع لها مالها

- كيف ذلك اارجعت المال بعد ان رايت البراهين

- كلا ولكني اعطيتها اربعة ملايين من مالي الخاص ثم ابتسم وقال ولكن كن واثقا انها لا تقبض درهما من هذا المال

- كيف ذلك

- ذلك اني متفق مع صرافي على توقيعين توقيع يعمل به ويدفع القيمة التي حولت بها وتوقيع لا يعمل به ولا يدفع وقد جمعت بالشكل الثاني

فسر بيبي لذلك وقال اذان فهي الان في طريق المانيا

ـ هو ذاك

ـ وهي تعتقد انك ميت

ـ بل تعتقد انها قتلتنا جميعا

ـ والان ماذا عزمت ان تصنع

ـ على السفر حين تماثل نيشات وتصبح قادرة على الرحيل

ـ اتسافر معنا

ـ نعم فاني محتاج اليها

فعض بوليت شفته من غيظه وقال لبوليتو احسب اني اغمر لنيشات جريمتها الهائلة ودفنها اياي حيا

فاجابه بيبي قائلا انك تصنع ما تريده فاذا كنا محتاجين الى نيشات فقد وجب عليك الصبر الى حين الفراغ من حاجتنا. ثم اضطرب وقد خطر له خاطر فجائي فقال لمونيتو العلك لا تزال محتاجا الى رسائل الاميرة

قال اما انا فلا ولكن مجلس شوراي يجب ان يطلع عليها ويقابل بين خطها وخط الوصية كي يتضح له التزوير ويوافقني على ارجاع المال لاصحابه

ـ ولكن الرسائل فقدت مني

ـ كيف ذلك

ـ ان نيشات اخذتها مني حين تخديري واحرقتها

فاشرق وجه نيشات بنور الرجاء واغتنمت هذه الفرصة فقالت

لبني اتكفيك رسالة واحدة

قال دون شك

- اذن فاعلم ان لدي رساله

- ما هي

- كنت فلا اعطيك اياها قبل ان تتفق على الشروط فانكم لو فتشتم في كل مكان لما عثرتم بهذه الرسالة

- اذن تقاك

- وانا لا اسلمكم الرسالة الا اذا عفوتم عني واقتدتموني من القتل

فقال بوليت كلا ان هذا لا يكون

وقال بيبي اني اعفو عنك

وقال مونبتو وانا كذلك

فنظرت الى بوليت نظرات ملؤها الانذار وقالت ولكن من يضمن لي عفو بوليت

وكان بوليت واقفا في ذلك الحين موقف المتردد بين الانتقام لنفسه وبين خدمة اورور الى ان تغلب عليه الميل الى خدمة اورور فانها لا يمكن ان تستعيض منها الا بهذه الرسالة فالتفت الى نيشات وقال لها حسنا قد عفوت عنك

قالت اني اريد ضمانة على ما تقول

فقال لها مونبتو اذا كانت تكفيك ضمانتي فانا الضمين

فقالت انها وافق [illegible] طلب الاسكافي بين سافر فقد ظهر لي انك تريد ان تصحبني

قال نعم فاني محتاج اليك

وفي اليوم التالي سافر في مركبة واحدة مونيتو وبيبي وبوليت ونيشات الى المانيا للبحث عن تنوان

٢٣

كانت تنوان قد تقدمتهم بعدة ساعات ولكننا نقص ما جرى لها منذ خروجها من القصر فنقول

انها اخذت كل ما كان لديها من المجوهرات والنقود والاوراق وتلك الحواله على مصرف مونيتو واخذت ايضا الشهادات الدالة على حسبتها واسمها وخرجت من قصرها مسرعة الى لقاء عشيقها المحامي

اما المحامي فقد كان ينتظرها بفارغ الصبر وهو يقول في نفسه انها تريد ان تتزوجني فاضحي من اجل مالها هذه التضحية ولكنها بعد ذلك اليوم لا تكون الرئيسة بل اكون انا السيد المولى

وفيما هو يناجي نفسه بهذه الاماني اقبلت تنوان فصعدت الى المركبة بسرعة وصرخت سائق ان يسير في طريق ترانون

فاندفعت المركبة ولم تفه تنوان بكلمة حتى باتت تلك المركبة خارج باريس فالتفتت الى المحامي وقالت له اتعلم الى اين نحن

ذاهبان

ـــ لا ابالي بذلك مازلت معك

ـ كفى ايها الصديق من احاث المجاملات ولنبحث في اشغالنا

ـ مرحبا بما تشائين

ـ اننا ذاهبان الى فيينا

ـ حسنا

ـ وهناك نقبض حوالة قيمتها اربعة ملايين

فارتعش المحامي وقال احق ما تقولين

قالت نعم فسنقبض هذا المال ونعود الى فرنسا

فتنهد تنهد الارتياح وقال حسنا تصنعين فقد كنت اخشى ان تكوني لوعت على الاقامة ابدا في المانيا

ـ لقد كان هذا اول ما جال في خاطري وسوف ترى اني كنت مصيبة .

ـ كيف ذلك

ـ ذلك ان المانيا بلاد ساكنة هادئة فيها كثير من البراري الفيحاء فقد خطر لي ان نبني قصرا فخما عند بحيرة نعيش فيه مع الفلاحين وقد كان هذا الفكر صوابا وحكمة وان كلينا يعرف الاخر حق العرفان بحيث لم يعد حاجة الى التكتم بيننا

ـ هذا لا ريب فيه

ـ وقد كنت احسب انه اذا عادت الملكية الى فرنسا كان الخطر شديدا

على ثروتي

- دون شك ولكن اطمأني فان الملكية لا تعود

- وانا اعتقد اعتقادك الان

- وانا لا ازال قادرا على حمايتك ايتها الحبيبة

- وانا معتمدة عليك فدعني اتم حديثي فقد خطر لي في البدء وحين كنت اتوقع هذا الخطر ان اعيش معتزلة معك عيشة هنيئة هادئة ولكنك من اهل الحظ والخلاعة

- لا انكر ذلك

- وانا مثلك ايضا فاذا اقمت في المانيا ستة اشهر تولتني الكآبة والضجر ولذلك رجعت عن عزمي السابق

- حسنا وبعد ذلك

نعود الى باريس

- هذا ما اتمناه

- غير اننا سنتزوج على الطريق فتغدو ثروان الدورية امرأة المحامي د. الشهير اعظم رجال الجمهورية الفرنساوية فلا اخشى اعدائي بعد زواجي بك وانتسابي اليك

- دون شك ولكن . . .

- لكن ماذا

- اتتزوج حين ذهابنا او بعد عودتنا

- بل حين ذهابنا فاسمع الان ما خطر لي اتعرف محافظ

ستراسبورج

ـ انه صنيعتي وانا وليته هذا المنصب

ـ اني اعرف ذلك فهو لا يرفض لك طلبا

ـ دون شك

ـ اذن ستتزوج في ستراسبورج

ـ ليكن ما تريدين

ـ وانا الان اقترح عليك شروطي

ـ بل تلقين علي اوامرك

ـ كما تشاء ولكن اعلم اني كنت في عهد روبسبير خيرا مما انا عليه الان

ـ كيف ذلك

ـ ذلك ان جميع رجال الحكومة كانوا يتملقون عندي ويتمنون رضائي وقد امتنع اكثرهم عن زيارتي الان

ـ سيعودون الى ما كانوا عليه بعد ان تصبحي امرأتي

ـ هذا الذي اريده

ـ وسيكون ما تريدين

ـ اني لا اطيق ان ارى مدام وليان تسحقني بجمالها وكبريائها واريد ان تزورني

وكان هذا المحامي في موقف معها لوسالته فيه عرش فرنسا ما امتنع عن وعدها به فقال لها ستزورك مدام ڤاليان

وبعد ذلك بيومين وصلا الى ستر بورج فنقد زوجهما فيها وباتت تدون امره لمحامي الشرعيه فقالت في نفسها لقد اتخذت الان من يحميني فلا ابالي بداغوبير ولم اكن اخشى غير بيبي ولكنه قد مات

وكان المحامي يقول في نفسه اني متى قبضت المال لا اعدم وسيلة للتخلص من هذه الشمطاء

وفي الليلة نفسها سافرا الى الماي وبعد خمسة ايام وصلا الى فيينا ووقفت بهما المركبة عند باب اعظم فندق فيها فقالت تنوان وعلائم الجزع بادية عليها لقد وصلنا متاخرين ساعتين

قال لماذا

- لان المصرف الذي سنقبض منه مقفل ويجب ان ننتظر الى الغد

- ما زالت الحواله صحيحة فاي فرق بين ان نقبضها الليلة او غدا ونحن تخافين .

- اخاف ولا اخاف

- لا افهم ماتقولين

- اني اخاف امرا مجهولا لا سبيل الى ايضاحه لانه من احاديث القلب

وقد كانت تنوان خلال السفر استحالت فجأة من الزهو الى الانقباض ذلك لانها كانت كاكثر اهل جنسها كثيرة التشاوم فانها حين كانت

على بعد عشرين مرحله من فيينا وكانت مراكبهم تسير في وسط عاصفة طارت بومة قرب المركبة فاسفر وجهها تشاءم منه

وبعد ذلك بقليل رأت غرابا كان على شجرة فطار قرب المركبة فتمكنت منها الهواجس وجعل قلبها يحدثها بشر النكبات فلما وصلت الى فيينا كانت مضطربة خائفة دون ان تعلم السبب في هذا الخوف بعد ان قتلت اعداءها اماتت مونيتو بالسم

وكانت تعيد كل هذه البراهين في مخيلتها كي تأنس بها ولكنها لم تكن تزيل ما تمكن في قلبها من المخاوف

وبعد ان فرغت من طعام العشاء مع زوجها المحامي قالت له ان فيينا من اجل العواصم فاذهب وتنزه فيها فاني سانام

فخرج المحامي مسرورا من هذا الفراق ودخلت تنوان الى مضجعها ولكنها على فرط تعبها لم يغمض لها جفن

ومضت الساعات حتى اشرق الفجر دون ان يعود المحامي فاضطربت تنوان اضطرابا شديدا واستحالت هواجسها الى رعب فقالت في نفسها ماذا جرى العلي لم اقتل بيبي وما بال المحامي لم يعد . لاشك انه نكب بنكبة ألا يمكن ان يكون ذلك من صنع بيبي

٢٤

ولنعد الان الى المحامي دي الذي لم تعرف تنوان سر غيابه فنقول .

انه حين خرج من الفندق للنزهة جعل يجول في الازقة والشوارع

متفرجا الى ان حانت ساعة التمثيل

وكان احد الادلاء في الفندق قال له ان اشهر ملعب في فينا ملعب كالس وانهم سيمثلون فيه الليلة رواية مشهورة

فذهب الى ذلك الملعب وكان غاصا بالمتفرجين فجلس في كرسيه المنمر وجعل يجيل نظره في تلك القاعة الفسيحة حتى استقر نظره على امرأة في لوج لم ترى العيون ابدع منها

وكانت هذه المراة في العشرين من عمرها سوداء الشعر والعينين فتنة للناظرين بجمالها النادر

وكانت جميع النظارات في القاعة مصوبة اليها وهي جالسة في لوجها جلوس الفائز لاتكترث باعجاب الناس بها فتنظر اليهم نظرات تشبه نظرات الاحتقار

وكان جالسا معها رجل اسمر الوجه براق العينين فلم ينتبه المحامي اليه في البدء لان جمال الصبية قد ادهشه

وقد دخل رجل حين دخول المحامي الى القاعة وجلس على كرسي بجواره وهو بملابس السفر كالمحامي وله من العمر نحو خمسين عاما فجعل ينظر خلسة الى المحامي ثم يتبسم ويقول في نفسه ارى ان مهمتي ستكون اسهل مما كنت اتوقع

فلما اسدل الستار لانتهاء فصل من فصول التمثيل انصرفت الحسناء الى محادثة الرجل الجالس معها بحيث لم يعد يرى المحامي غير ظهرها .

وعند ذلك لمس الرجل الجالس بجواده كتفه وقال له باللغة الفرنسوية
ارى ياسيدي انك من عشاق الجمال

فسر المحامي لانه سمع حديثا بلغته ولان هذا الرجل قد لمس ما في نفسه فحياه بلطف وادب

فابتسم الرجل وقال له يظهر ياسيدي ان كريشن الحسناء قد فتنت لبك

— تدعى كريشن

— نعم

— كريشن ماذا

— ليس لها غير هذا الاسم وهي ليست من اهل البلاد ولكن لا يوجد نسيبة من اهل البلاط تجاسرت على مجاراتها في سلب العقول

— من اي بلاد هي

— ليس من يعلم حقيقة اصلها وقد احبها ارشيدوق فاضطر الامبراطور الى نفيه لانه اراد ان يتزوجها والكونت ر. وهو من اعرق الاسر انتحر في سبيل هواها وتبارز الماجور ب. والكولونل ج. بحث بوافذ منزلها فقتل الماجور على الفور وما الكولونل في اليوم الثاني.

— ومن كان عشيقها

— لم يكن احد منهما فان هذه الحسناء التي تلهب نظراتها القلوب لم

يعرف لها عشيق لى الان

— وهذا الرجل المقيم معها في الوج

- هو البرنس چيزولى وهي راضية عنه منذ شهر وهو الذى يصحبها الى المراسح والمراقص

- اتذهب ايضا الى المراقص

- تذهب دائما ولكنها لا ترقص ابدا وهي لا تبتسم ابدا حتى لقد رويت عنها رواية فان بعضهم يقولون انها فرنساوية ولكن لم يسمعها احد تتكلم بهذه اللغة وهي تتظاهر انها لا تفهم كلمة من اللغة الفرنساوية ولا تتكلم الا الالمانية

- اذن لماذا اشيع عنها انها فرنساويه

فاجابه الرجل بصوت منخفض أصغ جيدا لما اقول انهم سيرفعون الستار قريبا وتعود هي الى موقفها الاول بحيث تراها جيدا فانظر اليها تجد فى عنقها عقدا من اللؤلؤ

- لقد رايته

- ولكن انظر جيدا فساعطيك نظارتي

- ماذا تريدان انظر

- اريد ان تراقبها فانه اذا تحركت تحرك العقد

- وبعد ذلك

- ترى تحت العقد عقدا اخر ولكنه رفيع جدا يشبه الخيط وهذا العقد

- انه احمر ويقولون انه تذكار لمراقص الضحايا وان كريتشن هذة فرنساو قتل اهلها او خطيبها في زمن الثورة الفرنساوية

- ولكنك تقول انها لاعشاق لها

- هذا ما يقوله الجميع

- اليس لها غير اسم كريتشن

- ربما ولكن ليس من يعرفه

- اهلها غنيه

- انها كثيرة الغنى ولكن ليس من يعلم مصدر ثروتها

- اذن فهي تعد من الغاز الدقيقة

- بل هي لغز مدهش فانها تقيم في قصر فخيم وتحضر المراقص فيرافقها كل ليلة رجل فيوصلها الى منزلها حتي اذا دخلت الى الباب انحنى بملء الاحترام وانصرف وهي غالبا تدعو كثيرا من الناس الى عشائها عندما بعد العودة من المراسح

- احق ماتقول

- نعم وان البرنس جيزولي يتولى الدعوة

- ولكن هيئته تدل على الغيرة

- وهو في الحقيقه غيور ولكن لا بد له من الامتثال لارادة كريتشن

وفيما هو يقول ذلك قرع الجرس اشارة الى فتح الستار فتحركت كريتشن وراى المحامي العقد الاحمر في عنقها تحت عقد اللؤلو فقال في

نفسه ان هذا الرجل قد يكون مصيبا بما ناله ثم قال له اهي في فيينا منذ عهد بعيد

قال منذ ستة عشر عاما ولكنها سافرت منذ شهر ولم يعلم احد الى اين ذهبت حتى البرنس نفسه

وكان المحامي يحادث جاره وهو ينظر الى الحسناء فنبهه له جاره وقال له وهو يبتسم المك بت من عشاقها

- ربما

- اتريد ان اسديك نصيحة

- انى اقبلها بالشكر والامتنان

- نصيحتي هي ان تبرح هذا الملعب في الحال الى الفندق الذي انت فيه فاخذ امتعتك وترحل عن هذه العاصمة

- لماذا

- اني اسديك خير نصح فاذا لم تقبله كنت من المخطئين

غير ان المحامي لم يجبه فان كريتشن كانت قد التفتت الى جهته وجعلت تنظر اليه فشعر المحامي ان نظراتها قد كهربت جسمه واخترقت اعماق قلبه ثم راها قد اتجهت الى البرنس وجعلت تكلمه بصوت منخفض فقال له جاره اسرع يا سيدى بالرحيل كما قلت لك

- ولكن لماذا

- لانك اذا لم تسرع يفوتك الاوان ولا تستطيع السفر

- كيف ذلك

— ذلك ان كريتشن تدعوك الى العشاء عندها

واضطرب المحامي اضطرابا شديدا وقد راى من نظرات كريتشن ما ايد كلام جاره فقال في نفسه ماذا ارى العلي في عالم الخيال

٢٥

وبعد هنيهة راى المحامي ان هذا البرنس خرج من لوج كريتشن فقال له جاره الك اذا ذهبت اليها ترتكب خطأ عظيما

— لماذا

— لانك تهيم بها

اما البرنس فانه وقف في باب القاعة وحيى المحامي تحية تفيد معنى الرجاء بمقابلته بين انتهاء الفصل فرد المحامي تحيته بما يفيد انه فهم قصده

اما جاره فقد قال له لا شك عندي ان كريتشن تعرفك

قال ويظهر انك انت تعرفني ايضا

من قال اني رصلت الى الملعب في الساعة التي وصلت انت فيها فعلمت لهجتك في حديثك حين كنت تطلب شراء تذكرة الدخول انك فرنساوي وهذا اول ما عرفته عنك

— ولكن كيف عرفتني هذه المرأة؟

— ذلك لانها لا يفوتها خبر من اخبار العاصمة

— من بائعها بهذه الاخبار

- لبارون باهلن رئيس البوليس الاعظم هو من خيرة رجالها وانت تعلم دون شك مهارة البوليس في هذه العاصمة

- نعم فان شهرته زائعة

- بل ان لهذا البوليس عناية خاصة بالاجانب القادمين الى فيينا فلا يأتي الغريب اليها حتى يعلم البوليس بعد عشر دقائق حالة امره

- فقطب المحامي جبينه وقال في نفسه انه اذا كان ذلك فهم يعلمون ايضا اني تزوجت بتنوان

- وعند ذلك دخل رجل الى لوج كرتشن وقبل يدها والمحامي يراه فقال له جاره هوذا البارون باهلن الذي حدثك عنه

اهو رئيس البوليس

- نعم وان كرتشن تحدثه عنك انظر كيف ينظر اليك

- وكان المحامي قد جاء الى فيينا ومعه جواز منظم فخطر له ان اسمه مشهور وانه كان في طليعة الدائمين لى قتل لويس السادس عشر وامرأته ماري انطوانيت ابنة ماري تيريزا النمساوية وهو الان في عاصمة بلاد النمسا الا يمكن ان يحاول النمساويون الانتقام منه. وعند ذلك خطر له ان يعمل بنصيحة جاره ولكن ميله الى رويا كريتشن تغلب عليه فعول على البقاء

وبعد هنيهة انتهى الفصل ونزل الستار فذهب لمقابلة البرنس فوجده ينتظره في الرواق فحياه البرنس باسمه فرد المحامي تحيته وقال له كيف ذلك اتعرفني

— اني اعرفك يا سيدي منذ ربع ساعة فان ريتشن اجمل امرأة في بلادنا عهدت الي بمهمة اليك وانت فرنساوي يا سيدي اليس كذلك

— دون شك

— ان كريتشن لا تحقد على الفرنساويين حقد النمساويين عليهم لفرط شغفها بادابهم وقد كلفتني ان ادعوك الى العشاء معها

— ولكن كيف عرفتني هذه الحسناء

— عرفت في البدء من هيئك وملابسك انك فرنساوي فارسلتني الى الكونت باهلن رئيس البوليس كي اسأله عنك فقال لي ان عاصمة النمسا تفتخر بوجود اعظم خطيب فيها وذكر لي اسمك فلما اخبرتها بامرك كلفتني ان ادعوك فهل ترفض طلبها

— معاذ الله

— اذن تفضل واتبعني

— ولكن التمثيل لم ينته بعد

— لا باس فساقدمك لها

ثم تابط ذراعه وسار واياه الى اوجها فكان لمحامي تمشي مشية المضطرب وقد ود لو تمكن من الفرار تلك الساعة

فلما فتح باب اللوج ودخل اليها مدت اليه يدها وقالت له بالالمانية اني اشكرك كثيرا لهذه الزيارة

ثم اشارت اليه بالجلوس وقالت له اني ذهبت الى باريس وسمعت خطبك الرنانة ولغتك البليغة فما رايت افصح منك لسانا على كوني لا

عرف انتكم

وقد جعلت تحدثه بالذب الالفاظ كل مده التمثيل فسحرته بلطفها وجمالها وصوتها العذب الحنون

وكان قد خيل له فجأة انه سمع هذا الصو وانه راى ذلك الانسام فجعل يصغي الى حديثها اللطيف وهو يفتكر في الوقت نفسه ان راها قبل هذه المرة فذكر انه كان يشتغل ذات ليلة مع روبسبير وذلك بقاربة اعوام .

فدخلت عليهما صبية شقراء الشعر وشعرها مسترسل على كتفها دون انتظام فجثت امام روبسبير وسالته العفو عن ابيها واخويها المحكوم عليهم بالاعدام فرحت وتوسلت حتى انها قبلت يد روبسبير فحن اليها ووعدها فنهضت وهي تبتسم بعد البكاء وقد وثقت من الفوز فاوصلها روبسبير الى الباب ووعدها خيرا

ثم عاد الى المحامي دوقال له هذه اول مرة اشفقت فيها على الاعيان

فقال له المحامي الملك عفوت عن ابيها واخويها

قال نعم

فهز المحامي راسه وقال له انك تبغي اذن خراب الجمهورية

وما زال به حتى اقنعه بوجوب اعدامهم فامضى روبسبير الامر بالاعدام واعدم الثلاثة في اليوم الثاني

وقد ذكر المحامي هذه الذكرى الهائلة بينما كانت كريتشن

تحدثه وتتهم له فجعل يقول في نفسه هذه هي الفتاة بعينها التي كانت السبب في قتل ابيها واخويها وعندذلك قال لها باللغة الفرنساوية متى ذهبت ياسيدتي الى باريس

فنظرت اليه باندهال عظيم حتى انه لم يشكك لحظة انها لا تعرف اللغة الفرنساوية ولم تفهم حديثه

وكان الكونت بلاهن رئيس البوليس يسمع الحديث فترجم لها ما قاله المحامي فاجابته قائلة اني ذهبت الى ريس في العام الماضي وهذه اول مرة ذهبت اليها

فقال في نفسه اذن ليست هي ولكن ما هذا العقد الاحمر الذي تلبسه . ان هذا العقد لا يلبسه غير النبيلات التي تكبن بفقد اهلهن في الثورة الا يمكن ان تكون هذه المراة قد نصبت لي شركا قصد الانتقام .

ثم نظر انه فا الى القاعة التي كان فيها فراي جاره نظر اليه نظرة اسف وعتاب كانه يلومه لانه لم ينتصح لنصحه

فلما انتهى التمثيل طلبت اليه كريتشن ان يقدم لها ذراعه فلم يجد بدا من الامتثال وسار بها الى حيث كانت مركبتها تنتظرها فصعدت واشارت اليه بالصعود .

اما المحامي فقد اوجس خيفة فتردد وحاول الفرار ولكنها ابتسمت الطف ابتسام وقالت له اصعد ياسيدي

فاضطرب قلبه وارتمش وصعد الى المركبة بجانبها فسارت بهما تهب

الارض

فلما ابتعد المركبة دنا ذلك الرجل المجهول الذى كان ينصح المحامى من الكونت باهان رئيس البوليس وقال له اظن اننا ظفرنا به

قال هو ذلك ولكن ان عثرت به

قال في ستراسبورج فاني حين دخلت الى باريس علمت انه سافر منها فلقيت عناء شديدا في ادراكه

فنابط الكونت ذراعه وقال له اصنعوا به ما تشاؤن ولكن احذروا ان يكون للبوليس المسكوني دخل فى شانه

قال لا تخف شيئا ثم ابتسم ابتسامة هائلة لوراها المحامى لذعر لها ذعرا شديدا ولكنه كان قد سقط في الفخ الذي نصبته له كريتشن الحسناء

٣٧

كان القصر الذي تقيم به كريتشن من اجمل القصور وهو في اجمل شارع فلما دخل المحامي اليه مع كريتشن ذهبت به توا الى المائدة وقد وضع عليها افخر الطعام والشراب

وقد عرف القراء هذا المحامي انه كان على توقد ذهنه وفصاحة بيانه شديد الميل الى لذات كثير التهتك فيها فانساه جمال الصبية وفاخر الشراب كل ما تاقت لدفي نفسه من الظنون والمخاوف وجعل يشرب فيسر سكرين من جمال تلك الحسناء وخمرها المعتق فلم يمض به ساعة حتى غاب رشده ولم

يعد يعي على شيء

ولما فتح عينيه راى ان الصباح قد طلع وانه نائم على سرير غير بعيد عن المائدة التي كانت الاواني لا تزال عليها

فنهض ووضع يده على جبينه كمن يتذكر ويلتقط اسم كريتشن بصوت منخفض وقد شعر ان بات من عشاقها

ثم اعاد في ذاكرته ما جرى له في الليل وعلم انه سكر في مجلسها وضل صوابه فاسف اسفا عظيما وقال انها لا تغفر لي هذه الزلة

وقد خرج من القاعة الى الرواق وجعل يصغي فلم يسمع شيئا فقال في نفسه لا شك ان اهل هذا المنزل يسهرون في الليل وينامون في النهار لكنه لم يلبث ان تم هذا القول حتى راى بابا قد فتح وخرجت منه خادمة حسناء فدنت منه وقالت الملك ياسيدي صحوت من زمن بعيد .

— لماذا تسالينني هذا السؤال

— لان سيدتي امرتني أن اراقب صحوك فاتيت مرات الى غرفة الطعام فكنت اراك لا تزال نائما

— وها انا قد صحوت

— اذن فاعلم ياسيدي ان سيدتي تركت لك رسالة قبل سفرها

— الم سافرت

— نعم فقد برحت فيينا في الساعة الرابعة بعد انتصاف الليل في

مركبة بريد

فاخذ المحامي الرسالة منها فقضها بيد ترتجف وقرأ مايأتي

ضيفي العزيز

اني اراك من هنا مضطربا لان الشراب قد صرعك امس على المائدة ولكن اطمئن فليس ذاك ذنبك بل ذنب خمري المعتق الذي لا قوى على احتماله الا من تعوده فانا لا اقتصر على مسامحتك بل اسالك ان تسامحني لاني لم احذرك من هذا الشراب

انك كنت نائما حين كنا على المائدة فما جسرت على ايقاظك لودعك لاني سافرت ايها الصديق العزيز وهذا بيان السبب .

انه ورد الى كتاب خطير امس في مدة غيابي فما فتحته الا بعد رقادك وفي هذا الكتاب دعوة لي بالاسراع بالذهاب الى بوهيميا فان لي فيها قصرا على شاطيء النهر وسط واد جميل يشبه الفردوس

فاذا اردت ولم يكن لديك من الاسباب ما يدعوك الى البقاء في فيينا فتعال واقم عندي اسبوعا

ان البرنس جيزولي مسافر الى تورين والكونت باهلن لا يستطيع مبارحه فيينا بحيث اكون وحدي في ذلك القصر ويسرني ان يكون معي فيه ضيف مثلك

فاذا خدمتك قليك بتلبية دعوتي فاركب مركبة بريد الى براغ

ومتى وصلت اليها فاذهب الى فندق الملكة وهو خير فندق المدينة فاجتمع برئيسه واسمه كوناروفي له انك تريد الذهاب الى كريتشن يوصلك بضع ساعات الى المخلصة لك

كريتشن

فكان المحامي يقرأ هذا الكتاب وقلبه يضطرب حتى اذا اتمه قال في نفسه اذهب . . انى اذهب دون شك منذ هذه الليلة

ثم بحث في جيبه فاخرج مائة فرنك ودفعها للخادمة اشارة الى رضاه ولكن لكل حلم يقظة فانه بينما كان يحلم بما سيلاقيه من السعادة تقرب كريتشن خطر له ما نغص عليه هذه الاماني وهو انه افتكر فجأة بتنوان التي تنتظره وهي لا تعلم دون شك ما جرى له

وقد خطر له لاول وهلة ان يدع تنوان ويترك فينا ويذهب الى كريتشن ولكنه افتكر بما ستقبضه تنوان من الملايين فتغلب حب المال على حب كريتشن واخذ يتمشى مسرورا حين ذكر الملايين فقال في نفسه اني حين استولي على هذا المال لا اعدم وسيلة لهرب من تنوان واللحاق بكريتشن

وبعد ذلك بعشر دقائق كان سائرا في الطريق المؤدي الى الفندق الذي كانت فيه تنوان

وكانت الساعة التاسعة من الصباح ولم تبرح تنوان الفندق فكانت في اشد حالات القلق والاضطراب

فلما رأت المحامي داخلا اليها صاحت صيحة فرح وقالت له اني

خشيت ان لا اراك بعد افتراقنا قط حسبت انهم قتلوك .

وكان المحامي قد لفق حكاية وهو عائد اليها فقال لها لقد حدث لي حادث غريب وانا ايضا حسبت اني لا اراك

— ماذا جرى لك

— اني خرجت مساء امس كما تعلمين فسرت كيفما اتفق دون قصد وانا اعجب بجمال هذه المدينة فمرنى ساعتان حتى تعبت من السير فدخلت الى قهوة وطلبت شرابا فاحضروا لي بيرا المانية فشربت منها ولا ادري اذا كنت افرطت في الشرب او كان الشراب مخدرا فاني نمت دون ان اشعر

— اللهم سرقوك

— كلا ولكني حين صحوت وجدت نفسي نائما على مقعد في حديقة عمومية وقد انقضت ساعات عديدة حتى اهتديت الى الطريق وعرفت ان اعود

— الخلاصة انك عدت سالما بحمد الله وقد كاد يضل صوابي .

— لماذا

— لانه خطر لي هواجس شديدة ربما سببها خوفي عليك .

— وماذا خطر لك

— ان الحواله لا تدفع

فقطب المحامي حينه قائلا لماذا لا تدفعونها

— لا اعلم ولهذا اعد هذا الخطر من قبيل هواجس .

فكشف المحامي ساعته فنظر فيها وقال اري ان الوقت قد حان للذهاب الى مصرف مونيتو

قالت دون شك فهلم بنا

ثم نادت تنوان احد خدم الفندق فجاءها بمركبة فركبت فيها مع المحامي وسارت بهما

وكانت كلما اقتربت من مصرف مونيتو زيد هواجسها فتقول ما اذا صانني العلي المجنونة ان حوالة مونيتو لا يمكن ان يتاخروا لحظه عن دفعها الا اذا كان قد بعث من قبره ونقض الامر وهذا محال

وبعد حين وصلت الى ذلك المصرف فقالت الصراف وعرضت عليه الحوالة .

فاخذ الصراف الحوالة وجعل يفحصها بامعان شديد ثم يقلبها بين يديه فنفد صبر المحامي وقال له اتظن انك ستقيم عندك كل النهار .

فوضع الصراف الحوالة امامه وقال اني لا ادفعها

اما تنوان فقد وهت رجلاها حتى اوشكت ان تسقط فقالت له ماذا تقول

وقال له المحامي لماذا لا تدفعها العلها مزورة

قال كلا

وقالت تنوان اليس التوقيع توقيع وتينو

قال دون شك

قالت اذن لماذا لا تدفع

فابتسم الصراف وقال اني لا ادفع لان مونيتو مصطلح على توقيعين توقيع يوقع به على الحوالات التي يريد انها تدفع فتدفع للفور مهما بلغ مقدارها واخر يوقع به على الحوالات التي يكره ونه على التوقيع عليها وهذه لا تدفع افهمت الان

فصاحت توان صيحة فنوط وقالت ويح لهذا الشقي انه مزق بي ثم سقطت واهية القوى بين ذراعي المحامي الذي كاد يجن من يأسه حتى خطر له في تلك الساعة ان ينقض على عنقها وينزع منها تلك الروح الخبيثة

٢٧

ورجعت مع المحامي الى الفندق ولا تسل كيف كان مرجعهما فانها ارتكبت جناية لا فائدة منها اذ قات مونيتو بعد ان اكرهته على التوقيع على حوالة لم تدفع فغمت عما شديدا واغمي عليها حين وصولها الى الفندق

وكذلك المحامي فقد كان يائسا منها حالا فانه تزوج هذه النورية وكان زواجه قانونيا بحيث لا يستطاع فسخه

ومما زاد في شقائه ان هذه المرأة التي ضحى شبابه من اجل مالها

باتت الآن اشد منه فقرا

وقد خطر له ان مونيتو لم يوقع ذلك توقيع كذب اذ وقد علم مآثم هذه المراة فهو قد اتخذ دون شك قبل موته وسائط الاحتياط كي لا يدفع مجلس شواره المال لتنوان

وعدا ذلك لم يعد يخطر لهذا المحامي غير خاطر واحد وهو الفرار من تنوان

وكان يوجد معه نحو مائة ليرا مما اعطته اياه تنوان حين مغادرته باريس وهو مبلغ يكفيه للرجوع الى باريس

وفوق ذلك فان المحامي لم يخطر له في تلك الساعة ان يعود الى باريس بل خطر له الذهاب الى كريتشن

وكانت تنوان قد اغمى عليها ثم استفاقت من اغمائها فاضطجعت في سريرها وهي خائرة القوى واهية العزيمة

اما المحامي فانه اغتنم هذه الفرصة وخرج من الغرفة دون ان تشعر به فرط اضطرابها فبلغ الرواق وخرج من الفندق خروج من يريد النزهة فذهب مسرعا الى مركز عربات البريد

وبعد ساعة اي قبل ان تتنبه ام روكامبول لغيابه كان قد برح فينا وسارت به المركبة في طريق براغ

انه حين كان يفتكر بتنوان بعد فقرها يتذمر وتتمثل له شيطانا راجما فيقابل بينها وبين كريتشن فيهيج غرامه بها ويتمنى لو كان له جناحا طائر فيصل اليها

وقد كان جميل الوجه حلو اللسان كثير الحيلة في استرضاء الجنس اللطيف فجعل يعلل نفسه باغواء كريتشن ويمهد السبل للاستيلاء على قلبها وهو واثق من الفوز

ثم يتوغل في السير ويفكر في غرامه الجديد فيمحو ذلك الغرام من نفسه ذكرى تنوان وملايينها ولا يفتكر الا بكريتشن الحسناء .

وقد كان استأجر مركبة البريد باسم غير اسمه فانتحل اسما رومانيا فعل ذلك من قبل الحذر كي لا تستطيع تنوان ادراكه او الوقوف على اثره اذا خطر لها ان تبحث عنه

وقد سافر يومه وليله فلم يكن يقف الا للاستراحة والطعام حتى وصل في صباح اليوم الثالث الى براغ

وهناك استدل على فندق الملكة فذهب اليه وقابل مديره فقال له المدير قبل ان يساله اني اضمن انك ذاهب الى قصر كارلسبورج ياسيدي

فحمر وجه المحامي وقال له كيف عرفت ذلك

قال ان البرنسس مرت من هنا ليلة امس

اية برنسس

— البرنسس كريتشن

— اهي اميرة

— اذن من اين انت قادم وكيف لا تعرف ذلك

- لا بأس وفي كل حال ارجوك ان توصاني اليها دون تاخير .

- انك تستطيع الاعتماد علي ياسيدي

- اليك خيول

فابتسم مدير الفندق وقال يظهر جليا ياسيدي انك لم تات قبل هذة المرة الى كارلسبورج

- لماذا

- لانهم لا يذهبون الى كارلسبورج في المركبات بل بالنهر

- هل الطريق بعيدة

- اربع ساعات

- اذن استطيع الوصول قبل الليل

- دون شك

فاستاجر المحامي غرفة في الفندق فاختلى بها وتانق اجمل تانق

وبعد ان فرغ من ذلك اعد له مدير الفندق غذا جيدا ثم تركه على المائدة وانصرف كي يعد له معدات السفر فلم تمض ساعة حتى كان المحامي في قارب فودعه مدير الفندق اجمل وداع

وكان في القارب نوتيان احدهما يدير الدفة والاخر يدير القلع فلم ينتبه المحامي اليهما فلما بعد القارب عن المدينة وظهرت جبال بوهيميا للانظار التفت المحامي لاحد النوتيين وقال له كم مرحلة بين براغ وكارلسبورج .

وكان قد سأل النوتي الذي يسير الدفة وهو لا يرى وجهه فالتفت النوتي عند ذلك وقال له ثماني مراحل ياسيدي

غير ان المحامي لم يكد يتبين وجهه حتى تراجع منذعرا وقال له اهذا انت

فنظر اليه النوتي منذهلا وقال له العلك تعرفني

فقال له كيف لا اعرفك وانت الذي كنت بجواري في تياترو كارلس في فيينا

وقد كان المحامي راى وجه ذلك النوتي فايقن انه ذلك الرجل الذي اخبره بما عرفه القراء من التفاصيل عن كريتشن

اما النوتي فانه اظهر الانذهال العظيم وقال له انى لا افهم ما تقول فانى لم اذهب في حياتي الى فيينا

فكلمه المحامي عن ذلك بالفرنساوية و لكن النوتي اجابه بقوله اني لا افهم حرفا من اللغة التى تكلمني بها

فاجفل المحامي وقال في نفسه يستحيل ان يكون بين اثنين حتى بين اخوين مثل هذه المشابهة

وقد بذل جهده في محادثته واستطلاع اخباره فلم يستطع الوقوف على حقيقة امره وعادت اليه ذكرى تلك الفتاة التى ركعت امام روبسبير طالبة العفو عن ابيها واخويها

وكان القارب يسير مسرعا في النهر مع تياره فكان كلما ابتعد عن مدينة براغ يرى المحامي ان البراري الفاحلة قد نابت عن الحقول الخصيبة ويرى

الغابات وحشية منتشرة في سفح الجبال ، ولا يرى اطعار لماشة تسير بها الرعاة من حين لى حين وقد عفت آثار المنازل فلا يرى غير الصحارى الجرداء

وقد سار القارب زمنا طويلا حتى توارت الشمس وراء الجبال واقبل الليل بظلامه الحالك

كل ذلك والقارب لا نزل يسير مسرعا فزادت هواجس المحامي وقال للنوتي ما هذا السفر ومتى نصل

فاجابه النوتي ببرود صبرا ياسيدي فستصل

وبعد ساعة ظهرت للمحامي بقعة سوداء تلألأت فيها الانوار كالنجوم

فقال له النوتي هو ذا قصر كارلسبورج

فلم تمض بضع دقائق حتى رسى القارب عند هذا القصر فاسرع الخدم وبايديهم المشاعل فدخلوا المحامي الى ردهة القصر المتسعة فقال له احدهم ان البرنسيس لم تعد بعد ولكنها ستعود قريبا

فاندهش المحامي وقال له اين هي البرنسيس

قال في الصيد

قال اهي وحدها

قال كلا بل يصحبها البرنس

فقال المحامي في نفسه ربما كان هذا البرنس اباها

ثم تقدم الخادم المحامي الى قاعة متسعة فدخل اليها ولم يكن فيها غير

نور ضعيف ينبعث من نيران المستوقد ورأى صورا كثيرة معلقة على الجدران وهي صور اجداد كريتشن دزشك

وعند ذلك اوقد الخدم المصابيح في القاعة وانصرفوا فجلس المحامي وجعل يجيل فيها نظرا حائراً

وفيما هو على ذلك صاح صيحة رعب هائلة وجمد الدم في عروقه فانه راى على احد جدران القاعة صورة كبيرة تمثل امرأة جاثية امام رجل

وكان وراء هذا الرجل رجل اخر يبسم ابتساما هائلا

اما هذه المرأة فكانت كريتشن واما الرجل الذي كانت جاثية امامه تلتمس منه فقد كان روبسبير واما الرجل الذي كان وراءه يبتسم فقد عرفه المحامي انه هو نفسه

وعند ذلك ايقن انه وقع في الشرك وحاول الفرار ولكن باب الغرفة فتح فجأة ودخل منه اثنان

٢٩

بينما كان المحامي يخترق عباب النهر بقاربه وهو لا يفتكر الا بكريتشن غير مكترث بتنوان كانت تنوان وحدها في فينا

وكانت قد استفاقت مما اصابها وتنبهت لما صارت اليه كما يتنبه النمر الجائع من رقاده

وكان او من تكرب به بيت [illegible]
الرجل قد يكون بانيا في قصاحة غير [illegible]
مغلوبة بعد

وكان المحامي قد سافر غير ان تنوان لم تكترث لغيابه هذه المرة فانها كانت تعرفه حق المعرفان فهو لا يعاشرها ساعة ما زالت فقيرة

ولكنها مع ذلك لم تكن فقيرة الى الحد الذي توهمه المحامي فقد كان لديها من مجوهراتها ما تبلغ قيمته خمسة الاف ليرا

ومن تكن مثل تنوان فانها تستطيع بمثل هذا المبلغ ان تجمع ثروة عظيمة فافتكرت بما لديها من المجوهرات وقالت في نفسها اني لا اموت جوعا وسوف نرى اذا كانت ثروتي تذهب ضياعا

فهي الليلة نفسها التي سافر بها المحامي بحثت تنوان ذلك الفندق المظلم الذي كانت مقيمة فيه الى فندق حقير وانتظرت هجوم الليل كي تخرج منه دون ان يراها احد

وقد تركت لباسها القديم فتزيت بلباس النور المعروف ولبست اساور النحاس في يديها وعقدا من كرات الزجاج في عنقها وذهبت الى حديقة براتر .

وكان يوجد في هذه الحديقة كثير من النور بعضهم يرتزقون من الرقص والاخرون من الالعاب الرياضية

ولم تكن تنوان قد نسيت عوائد النور ولا لغتهم بل كانت تعرف عادات كل قبيلة من قبائلهم واسباب الشقاق والتنافر بين تلك القبائل فان

النور لم يكونوا كلهم اخوانا ولا سيما في المانيما

وقد كان النور القادمين من بلاد التتر يكرهون النور المقيمين في المانيما منذ عهد بعيد وذلك لشدة التباين بين الفريقين فان القبيلة التي تحكم عليها مونيتو كثيرة الغنى قدمت الى المانيما منذ قرن فامتزجت باهالي فيينا رجالها في الحكومة وكان لهم شان عظيم في التجارة والمالية

وكان وجد بينهم فقراء غير ان اغنياءهم كانوا يساعدونهم وفوق ذلك فقد كان لهم صناديق الاعانة التي تتسرب اليها الاموال من اغنيائهم وتحفظ فيه كاموال تتوان

وكان النور التابعون لمونيتو يدعون ميشتي هي في لغتهم تفيد معنى السيادة

اما قبيلة القادمة من التتر فقد كان قومها فقراء وكانهم يرتزقون من الالعاب والشعوذة كابتلاع السيوف واكل النار واستكشاف المطامع وهم خاضعون لرئيس بلقبونه كوماك وهي تلقب بالسردار

وكانوا قد طردوهم من بلاد التتر فالتجاوا الى فيينا فاكرمت قبيلة مونيتو وفادتهم وتولتهم بحمايتها

غير ان الاحسان قد يولد الحقد وهذا ما اتفق لقبيلة السردار فانها بانت تكره قبيلة مونيتو كرها عظيما ثم حسدهم عليهم فباتوا يظهرون العداء لاخوانهم المحسنين اليهم حتى اضطرت قبيلة مونيتو الى التخلي عنهم

وكانوا فقراء ولكنهم كانوا يوسسون على جانب عظيم من الجرأة والاقدام وكلهم يخضعون لرئيسهم كوماك

اما هذا الرئيس فقد كان يرتزق من الالعاب الرياضة وله سيادة على قومه تشبه سيادة مونيتو

واما تنون فقد كانت تعرف تفاصيل العداء بين القبيلين فلما رجع اليها هداها ورات ان المحامي قد هرب منها وان موالها قد ذهبت ضياعا اوحت اليها قريحتها الجهنمية خاطرا فقالت في نفسها اني كنت منتسبة الى قبيلة مونيتو فساتنسب الى قبيلة كوماك

وقد كان لها بذلك مارب هائل كما سترى فانها خرجت من الفندق بعد ان غيرت ملابسها الباريسية ولبست ملابس النور وذهبت الى حديقة برتر التي يشتغل فيها كوماك زعيم القبيلة فدنت منه تنون وقالت له بلغة النور دع عملك ايها الاخ وتعال الي فاني احب ان احدثك

فنظر اليها كوماك متعجبا وقال ماذا تريدين مني

— اريد ان اعرض عليك ثروة طائلة

— من انت

— نورية مثلكم

— ولكنك لست من قبيلتي

— ساصير منها

— اما انت من قبيلة مونيتو

— نعم ولكني اكره مونيتو

فارتعش كوماك ثم تابط ذراعها ومشى واياها فقال لها ماذا تريدين مني

قالت اتبعني وسوف ترى

ثم سارت واياه الى خمارة حقيرة وبعد ان طلبا زجاجة من الشراب قالت له قل لي الا تزال تكره مونيتو

— اني اكرهه كرها لا يوصف

— وانا ايضا

— لماذا تكرهينه

— لانه خدعني واريد ان انتقم منه فهل تريد ان تكون شريكي في بالانتقام

فاتقدت عينا كوماك وقال لها قصي علي حكايتك وسنرى

قالت اني كنت غنية جدا ولا ازال كذلك غير ان مونيتو يريد خرابي

قال كيف ذلك

فاخبرته بان انها اودعت اموالها عند مونيتو وهي تبلغ كثيرا من الملايين ثم اراد ان يفهم من اين جاءت هذه الاموال فلما ابت ان تخبره اي [illegible]

ثم ختمت حكايتها قائلة لها اذ ساعدتني على استرجاع الوديعة كان لك [illegible]

فقال لها كوماك ان مونيتو شديد القوة كثير النفوذ في فينا

ـ اي ا ا من نهوذه ما تعلم

ـ وان قوته غير قاصرة على رجال قبيلته بل ان رجال البلاط من انصاره حتى ان لامبرطور نفسه يوده فهو قادر على كل شيء وأنا غير قادر على شيء ولسفاه

فابتسمت نون وقالت اذ ساعدتني بلغت بك من هذا الرجل ما اريد .

كيف ذلك

ـ ذلك سري فلا يوح به

ـ اذن ماذا تريدين ان اصنع

ـ تامر اربعة رجال اشداء من قبيلتك يخضعوا لي انم الخضوع

ـ متى تريدينهم

ـ في هذه الليلة

ـ وماذا يصنعون

ـ اذا اردت ان تكون واحدا منهم تعلم ما يصنعون

ـ اكون واحدا منهم فاين تريدين ان يكون الاجتماع

ـ بدار ساعة في الحمارة

قال اذن سنوافيك اليها ثم تركها وانصرف معجبا بكرمها فانها نفحته بدفعة على الحساب .

فلما جئت ام روكامبول وحدها قالت في نفسها ان مونيتو قد مات

دون شك ولكن لا يجب ان يعلم كومالك بموته فان الذي اريده من هذا الزعيم ان يساعدني على اختطاف موينا ابنة مونيتو فانها وحيدة ابيها وولية عهده ويجب ان تفتديها القبيلة بارجاع امرالى

ثم اقامت تنتظر بمن السكينه عودة كومالك برجاله وقد امحى من ضميرها رسم المحامي فلم تعد تفكر الا بتلاينها وباختطاف ابنة مونيتو التي كانت تحكم على القبيلة في غياب ابيها

٣٠

كان منزل مونيتو على قيد خطوتين من شارع سانت اتيان وقريبا من بنك مونيتو وشركاه

وكان لمونيتو عملان غير تولي زعامة القبيلة وهو بنك عظيم له فيه شركاء ومحل لتجارة الاحجار الكريمة وهو خاص به وحده وقد نقل هذا المحل الى منزله الذي كان يقيم فيه مع ابنته موينا وخادمة عجوز فكان يضع فيه صندوقا ضخما من الفولاذ يحتوي على مجوهراته التي تبلغ قيمتها كثيرا من الملايين

ولهذا الصندوق قفل سري لا يهتدي اليه غير صاحبه بحيث كان مونيتو امنا على كنزه المالي ولم يعد يخاف الا على كنزه الاخر وهو ابنته موينا فقد كانت وحيدته وهو يحبها حبا لا يوصف فكانت اذا سافر تقيم مع تلك العجوز لا تفارقها لحظة فاذا قرع احد القادمين الباب تفتح النافذة فتفحصه وتسأله اسئلة تشبه الاستنطاق قبل ان تفتح له الباب

ففي تلك الليله كانت موبينا جالسة مع عجوز واسمها دبورة وكانت الفتاة شديدة القلق على ابيها فقالت للعجوز لقد تشغل بالي على ابي فانه لم يكتب لي منذ ثمانية ايام و نا قلقة جدا لغيابه

قالت بل اني واثقة من عودته الليلة او غدا فانك تعلمين انه لا يكتب حين يكون على اهبة السفر

وعند ذلك طرق الباب فارتعشت موبينا وقالت هوذ ابي .

قالت لا يمكن ان يكون ابالك اذ لو كان هو لما طرق الباب بل فتحه بمفتاحه ثم فتحت النافذة واطلت منها كي ترى من الطارق فرأت ابا ناهز ثلاثين من العمر فحياها وقال لها الم تعرفني

قالت نعم فانك تدعى ميشل وانت موظف في بنك سيدي تشتغل مع الصراف كنزكو

قال نعم وهو الذى ارسلني اليك

قالت ماذا يريد نى

قال لا اعلم فقد قال لي اذهب الى دبورة وقل لها اني انتظرها وقد ورد اليه من سيده يامره ان يبلغها اياها .

قالت ولماذا لم يحضر بنفسه

قال لا اعلم ثم تركها وانصرف

وكانت موبينا تسمع الحديث فقالت لها هلمي بنا نذهب فاني ذاهبه معك .

قالت كلا انك لا تذهبين معي فان الساعة قد بانت السدسة وقد منعني ابوك عن ان ادعك تخرجين في الليل ولا بد من تنفيذ ارادة ابيك

- اذن فاذهبي انت

- ولكن الصراف كان يستطيع الحضور بنفسه فقد طالما جاءنا بمثل هذه المهمات

- ربما كان منشغلا

- اني غير واثقة من هذا الرجل

- ممن أمن الصراف

- كلا بل من ميشيل

- كيف ذلك اما هو مستخدم ندان

- نعم ولكنه نوربي من القبيلة المعادية لنا مهما تظاهرت هذه الطائفة بودادنا فهي الد اعدائنا وعندي انه يجب ان تقي في المنزل ولا اذهب

- ولكن الصراف لم يدعك اليه الا لورود أنباء من ابي

- اتريدين اذن ان اذهب

- دون شك

فنهضت دبورا وقالت ليكن ما تريدين ثم اشحت بوشاحها وقالت لها انك لا تفتحين الباب لاحد قبل ان اعود ايا كان الطارق

ـ اي امدك بدلك

فتنهدت العجوز ايضا وقالت بلهجة شفت عن الكآبة لكن ما تريدين ثم خرجت واقفلت الباب الخارجي وسارت مسرعة وهي تحدث نفسها فتقول ان سيدي لو صغى الي لما استخدم احدا من تلك الطائفة الشريرة فان ابنائها من لدن اعدائنا وان كانوا نورانيين مثلنا .

وكان الظلام حالكا فبينما هي سائرة رات شبحا يدنو منها فخافت وحاولت الرجوع ولكنها ما كادت ترجع خطوة الى الوراء حتى رات شبحا اخر وعند ذلك صاحت صيحة رعب فانقض عليها احد الرجلين وقبض على عنقها فقال لها اذا فهت بكلمة قتلناك شر قتل

وقبل الرجل الاخر فمها بمنديل رفيقه على تهديدها وسد فمها بقوة ثم حملها احدهما على كتفه وجردها الاخر من مصابيح المنزل وسارا بها مسرعين الى مركبة كانت بانتظارهما فالقياها فيها وسار المركبة تنهب الارض

اما مونينا فقد بقيت وحدها فجعلت تنتظر عودة العجوز وهي تحسب الدقائق ساعات فمضت ساعة دون ان تعود فجعلت تقول في نفسها لماذا تاخرت عند الصراف واي امر خطير حملها على هذا الغياب

وفيما هي على ذلك سمعت صرير المفتاح في قفل الباب فاسرعت الى المصباح وسارت به الى الرواق كي تنير الطريق لاعتقادها ان القادم هو العجوز

ولكن هذا النور انطفأ بغتة وصاحت موبينا صيحة ذعر شديد اذ شعرت بيدين قويتين قد امسكتاها و سمعت صوت رجل يقول لها اذا اردت الحياة فاحذري ان تصيحي

وعند ذلك شعرت ان مادة قد التصقت على وجهها فلم تعد تستطع بعد ذلك صراخا وكادت تختنق

ولكنها سمعت صوت رجل يقول الا تستطيع الا ان كسر صندوق الجواهر فاجابه صوت امراة يقول لا حاجة الى كسر الصندوق فسيتحه لنا مونيتو بيده بعد ان باتت ابنته في قبضتنا

ولم تعد موبينا تسمع شيئا ولكنها شعرت بانهم حملوها الى مركبة وبعد هنيهة سارت بها تلك المركبة كما سارت من قبل بجثة زوجها العجوز

٣١

في الوقت نفسه الذي اختطفت فيه موبينا وخادمها تلك الجراة النادرة دخلت مركبة مونيتو الى نيبنا وفيها اربعة من فرين وهم مونيتو وبيتي وبوليت ونيشت

وقد كان بيتي خشي نيشات قبل السفر لما يعلمه من فساد اخلاقها فقال لها انني لا اسألك ان تحبيني فانك لا تزالين حاقدة علي وعلى بوليت لاننا انتزعنا السرور واختها افلا اا بادلك في هذا الحقد ولكن الاحوال تقضي على المرء في بعض ساعات ان يضحي احقاده وانتقامه وانت الان في هذا الموقف وانك لا يحق لك ان تكرهي مونيتو فانك مدينة له

بالحياة

قالت لقد اصبت وانا لا اكره

قال ولكن يجب ان تكرهي شيئاً وهما ردت اليك

وتقدت عينا الفتاة ببارق من الحقد وقالت اني لو شربت لدمها لشربته

قال لقد اصبت وقد بقي بوليت الذي انبته حباً عظيماً قبل ان تبغضيه والذي ستحبينه اذا اراد

فياطمه بوليت قائلاً ولكنني لا اريد

قال اسكت بل تريد ما نريده فان نيشات حسناء وهي تحبك حباً اكيداً ثم التفت الى نيشات وقال لها مما لا جدال فيه انك الآن في قبضتنا وانا نستطيع ان نصنع بك ما نشاء

قالت هو ذاك الا اذا هربت منكم

قال او ذا هربت منا فماذا عساك تصنعين وانت لا مال لك تعودين الى بيع الزهر الم يسعد موتيو بخير مكان وذلك خير لك فانه كثير الملايين

وكان برهان يبدي مقتاً ولكنها كانت لا تزال مترددة فقال اما وانت الآن فاصغي الي انكم مسافرون الى المانيا لغرض احدهما استرجاع الاموال التي اختلستها انوار وذلك لا اشترك فيه فان هذا المال ستردونه للاختين وانا اكرههما كرهاً لا يوصف

قال ليكن فاننا نستغني عن مشاركتك لنا في استرجاع

الملك

قال واما الرجل الذي ظهر انه خرج عن تونس رأسا لانتقام منها وانا معهم في ذلك على ما يبدون

ثم هنا كل منهم وجهه شطر ثم اتفقوا على ذلك وركبوا جميعهم مركبة بحرية فسارت بهم وكانوا في كل محطة يقفون على اثار تنوان

وقد علموا في ستراسبورج انها تزوجت بالمحامي ولكنهم علموا ايضا انها سارت في جهة اخرى من الرين وانها قد سبقتهم بمسافة ثلاثين ساعة فقال مونيتو لا حاجة بنا الى الاسرع فاننا سنجدها دون شك

ولما وصلوا الى مونيخ نزلوا في فندق النسر الاسود فانذهل مونيتو وقد رأى رجلا يسير ذهابا وايابا بينما كانوا يعدون جياد المركبة .

وكذلك الرجل فانه ابدى مثل هذا الانذهال حين رأى مونيتو ثم تقدم منه وحياه ودار بينهما الحديث باللغة النورية

وبعد ان افترقا خلا مونيتو بنفسه وقال له اتكره المحامي دكرها شخصيا

قال كلا ولكني احتقره فاذا اراد ان يحمي توازفاني اسحقه واما اذا لم يتداخل في امرها . . .

فقاطعه مونيتو قائلا انه لن يتداخل ارايت هذا الرجل الذي كان يحادثني

- نعم فمن هو

- انه رجل نور قدم مثلما مر بنا يس مع رفيق له ومنذ خمسة ايام لم يفقد اثر المحامي

- ولكن من هما هذان الرجلان

- انهما جاسوسان ارسلتهما امراة فرنساوية تزوجها امير الماني لمراقبة المحامي والانتقام منه فانه كان السبب في قتل ابيها واخويها خلال الثورة

فتعجب بيبي حاجبه وقال ولكن هذين الجاسوسين قد يرقلان مشروعنا

قال كلا فقد اتفقت معهما فهما سينصرفان بشكل يفصلان فيه المحامي عن توان بحيث تبقى هذه المراة لنا ولا تخف ايها الصديق فان تنوا باتت في قبضتي عند دخولها الى فينا

وعند ذلك واصل جميعهم السير الى فينا فبلغوها في الساعة التي اختطفت فيها توان ابنة مونيتو وخادمتها كما قدمناه

وعندما وصلوا الى المحطة كان رجل يسير امام المركبة وعلى كتفه عصا حمل فيها ثيابه فالتفت الى المركبة حين وقوفها فسطع نور مصباحه على وجهه وصاح بصوت صحة ترح قائلا هوذا بنوات الاحدب .

وعند ذلك اجتمعوا به كلهم فقال له بيبي متى وصلت الى فينا

قال الان كما تراني

- كيف ذلك انك فارقتنا منذ اسبوعين فكيف تمكنت من الذهاب

لى كاوبير

- ذاك لانى لم استرح دقيقة في الطريق

- انقضيت المهمة التى انتدبتك لها

- دون شك

- ايحضر الجنرال داغوبير

مع امرأته الكونتس اردور

- متى يكونان في براغ

- في السابع عشر من هذا الشهر اى بعد ستة ايام

وعند ذلك قال لهم مونيتو انه لا يجب ان تقيموا في فندق من فنادق هذه العاصمة لاننا لا نعلم الفندق الذي قامت فيه تنوان وتخشى ان تراكم ولذلك ستقيمون في منزل لي ادل السائق عليه فيوصلكم اليه اما انا فسافارقكم الان لارى ابنتي فان شوقي اليها شديد وساوافيكم في المساء

ثم نادى سائق مركبته فدله على منزله وسار الاحدب وبوليت ويبي ونيشان اليه اما مونيتو فانه سار الى منزله

وقد وصل اليه في الساعة السابعة من المساء وكان مفتاح الباب في جيبه غير انه حسب ان الباب مقفل من الداخل بزلاج فطرق الباب بالمطرقة الحديدية فلم يجبه غير رجع الصدى فلم تفتح النافذة فعاد الى الطرق فلم يجبه احد فانصب العرق البارد من جبينه وقال اين عساها تكون فانها لا تخرج في مثل هذه الساعة من المنزل

وعند ذلك خذ المفتاح بيد رجف ففتح الباب ودخل فنادى العجوز بصوت مرتفع فلم تجب فجعل ينادي ابنته وصوته يتهدج من الخوف والحنو فلا يجد مجيبا لندائه فمشى في الرواق فعثرت رجله بمادة صلبة فالتقطها ورأى أنها مشعل فكاد يجن من خوفه وقال لقد اصبنا بنكبة فادحة ثم دخل الى المنزل دخول المجانين وهو ينادي مونينا مونينا فلا يجيبه غير رجع الصدى

٣٣

مضى على يأس هذا الاب المنكود اربع وعشرين ساعة كانت حالته في خلالها تحمل على الاشفاق وقد انتصرت تنوان فلم يعلم هذا الوالد التعس ما يصنع فبدأ بالالتجاء الى بوليس الحكومة ثم الى بوليسه الخاص فلم يقف احد من رجال البوليسين على اثارها

وكان صراف بنكه اخبره انه لم ير بنته ولا العجوز ولكنه رأى تنوان واخبره بما جرى فلما قنط من ايجاد بنته ذهب الى بيبي وهو يكاد يجن من الحزن فقال له بيبي ان ابنتك اذا كانت قد اختطفت فليس ذلك الا من صنع تنون فسكن روعك واصغ الي ان تنوان تفقدانها فقتلتا جميعا وهي لم تختطف بنتك الا لما لها وليست غايتها الا ان تجعلها رهينة عندها الى ان تعيض لاربعة ملايين فاعلم اذن انه لا خطر من وجود ابنتك عندها على الاطلاق فيجب علينا ان نبحث عن تنوان وان نتنكر كل التنكر

وعند الفجر اسرع مونيتو الى رئيس البوليس وسأله عن تنوان فاجابه

اني لم اقف اثارها بعد لم يبد موجود الدنيا بل اضعت اثر المحامي دوقد يمكن ان تكون هذه المرأة التي تهمها باخ طاف بنك سارت الى ذلك الرجل الذي تخلى عنها

وكان ظن رئيس البوليس محتملا مقبولا غير انهم علموا بعد البحث الدقيق انها لم تبرح فينا وانها لابد ان تكون مختبئة فيها ولكن كيف يمكن ايجادها في مثل هذه المدينة المتسعة

وجعل يتباحث مع بيبي فقال له بيبي ان تنوان قد مات لي فينا ولم يكن يصحبها غير المحامي ولما كان هذا المحامي قد ذهب الى كارلسبورج وقد ثبت لنا لم تتبعه فلا بد ان تكون هي التي اختطفت موينا ثم انها لا تستطيع اختطافها الا اذا كان لها فيها اعوان فمن هم هؤلاء الاعوان

فاجابه مونيتو ان لي في هذه المأسسة اعداء اقوياء وهم النور الذين جاءوا من بلاد التتر فاحسب اليهم كل الاحساس ولكنهم يبغضونني ويضمرون لي الشر

قال اذن يجب ان يكون بحثنا بين هؤلاء النور ولست انت الذي تبحث بل انا

قال ولكنك قلت انك لا تريد ان تظهر

قال دون شك ولكني اتنكر وترسل معي دليلا اثق به فقد طالما اشتغلت بمثل هذه المهام في باريس وكنت من الفائزين

وفي المساء ارسل اليه مونيتو غلاما حاذقا فتنكر بيبي واخذ ربابه

يعزفون عليها ومع ذلك لم الحديقة بي يسمع فيها سوى المسرون لقبيله مونيتو فجعل يعزف على الربابة مغنى بالاطالة ... فاعجب بغنائه واحد منهم فناداه وقال له كم تكسب في اليوم

قال نصف فلورني

قال ان مهنتي الالعاب الرياضية ولي مكان خاص بهذه الحديقة فهل تشتغل معي على ان اعطيك فلورني كل يوم

قال اقبل اذا كنت تعطي ولدي الذي يصحبني وابني مثل ما تعطيني

- الك ابنة

— وهي على اتم الجمال

- كم عمرها واين هي الان

- انها لم تتجاوز العشرين وقد تركتها في الخمارة التي نزلت فيها في مونبخ

- اذن اذهب واتت بها فانتما متفقان

وكان هذا كل الذي يريده بيبي فاسرع بالخروج يتبعه الدليل فلما سارا في الشارع قال له الدليل اعرفت هذا الذي كان يكلمك

- انه من قبيلة السردار وهذا يكفيني

- بل هو كومك ملك السرداريين وقد كانت مونيتو في قبضته فهو يعرف دون شك اذ لا يصنعون شيئا الا بامره

قال حسنة وتعني بسواد شعرها المزين الذي كان فيه ولد ونيشات فقال لها انك يا نيشات شقراء الشعر حمراء الوجه ويجب ان تغيري شكلك

قالت ماذا تعني بذلك

قال اعني انه يجب ان يكون شعرك اسود ووجهك اسمر فانك انتي تمالي معي وساخبرك بكل شيء

وبينما هما يحاولان الخروج من المنزل دخل مونيتو مسرعا وعيناه تنقدان باشعة الرجاء فقال له لقد ورد كتاب من موينا الى صرافي فخذ واقرأ فاخذ بيبي الكتاب وقرأ ما يأتي

(اني اسيرة ولكنهم لا يسيئون الي غير ان حياتي معرضة للخطر الا اذا طمعتني .

اني لا استطيع ان اخبرك اين وكيف تركت المنزل انا دائرا فاذهب بعد غد اي الاحد الى المصرف ولا يبق فيه احد من العمال وعند الظهر يأتيك رجل بحوالة بتوقيعي فادفعها له ما كان مقدارها لاني لا انجو من الاسر اذا لم يدفع هذه الحوالة واذا لم تدفعها قتلوني

موينا

فلما اتم تلاوتها قال له العلك عزمت على دفع الحوالة

— دون شك

— ولكن الدفع يكون بعد غد

— ماذا تعني بذلك

— اعني ان الوقت لا يزال فسيحا لديا

فتنهد ونيتو تنهدا كاد يمزق صدره وقال له بهذا يهنى المال فاني ادفع كل ما عندي ولو بت انس فقير بشرط ان ترد الي ابنتي

— انها سترد اليك ونبقى غنيا ثم خطا خطوة الى الباب فقال له مونيتو لى اين انت ذاهب

قال للارتزاق من بهتى فاني اصبحت من الموسيقيين وقد اشتركت مع رجل تعرفه دون شك

قال من هو هذا الرجل

قال هو كوماك رصيفك في الملكية ثم تركه وانصرف وهو يقول كن مطمئنا ايها الصديق فسترجع اليك ابنتك قبل ان تدفع لمال

٢٢

ونعد الان الى موينا فنذكر باوجز ما جرى لها فنقول

كانت طائفة السردار تمتهن كل المهن وكان لها زعيم يدعى كوماك كما قدمناه وله مجلس شورى مثلما كان لمونيتو

وكان نائبه رجل يدعى تابير ومهنته عرض الحيوانات المفترسة للفرجة والارتزاق منها وكان عنده اسد هائل ونمر مفترس وذئب مخوض وسائر انواع الضواري وقد وضعها في محل قرب ملعب كارلس فكانت تزأر في الليل والنهار فتخيف السكان المجاورين

قد تولد الرعب في نفوسهم من حادثة وقعت لهذه الضاري وهي ان الصياد من محبته وانطلق في اثره فلو لم يدفر بحصان فيفترسه لكان افترس الناس الى ان جاء مروضه فاعاده مقيدا الى مربطه ومن ذلك الحين بات اهالي قبينا يجتنبون في الليل المرور بضواحي هذا المكان

ويذكر الفراعنة ان تفراك طلبت الى كوماك ان ياتيها باربعة رجال اسدة من قبيلته فكان هذا الرجل مروض الوحوش اخذ اولئك الرجال وقد انتدب ايضا لهذه المهمة بيشا الموظف في بلدة مونيتو وانما اختاره للاستفادة من استخدامه في محل اقامته

وكان بيشا من اهل الذكاء والفطنة وهو الذي خطط طريقة اختطاف العجوز والتقاط غير ان الصعوبة ليست باختطافهما بل بانقاذهما من الليون فان البوليس وقبيلة مونيتو باسرها سيبحثان عنهما باشد بحث

عند ذلك اقترح مروض الوحوش ان توضعا عنده اذ لا يخطر ان يبحث عنهما بين الوحوش الضارية فوافقوا على اقتراحه وبعد اختطافهما جاءوا بهما الى مكان الوحوش

وكان لمكان تابير مروض الوحوش نافذة تفضي الى آجار وهي يطلع منها فلما راى اترسا قد قسم المكان الى ثلاثة اقسام قسم لمروض الوحوش وقسم للعتقاء حين عليها من الناس وقسم لمبيت تابير وآجار وهو ملاصق لقسم الوحوش

فلما جاءوا بهما كانت العجوز مغميا عليها فاخبر تابير اجار بمل٫ الايجاز عن القصد من الاتيان بالمراتين فقالت لهم اجار اية فائدة من هذه المرأة العجوز فانها تضايقنا وفوق ذلك فان الاسد جائع لم ياكل منذ امس

فقالت تنوان يعجبني حذق هذه الفتاة فان هذه العجوز قد تزعجنا فكانها بكلامها قد قضت بالموت على هذه الخادمة المنكودة

وعند ذلك اسرعت اجار ففتحت عرين الاسد وحمل تابير تلك العجوز مغميا عليها فدفعها الى الاسد الجائع واقفل الباب فلم تستفق تلك المنكود الا وهي بين انياب ذلك الوحش الكاسر

ولقد كان المنظر هائلا ترتعد له الفرائص حتى ان تنوان نفسها على فظاعة قلبها ادارت وجهها كي لاترى اما اجار فقد قالت لقد سد ملك الوحوش جوعه فهو لا يمنعنا الليلة عن ان ننام

وعند ذلك قالت تنوان لنهتم الان بالاخرى

فقالت لها اجار اذا كان يوجد امرة اخرى فهي تكفي النمر نه شديد الجوع

فابتسمت تنوان وقالت انها تساوي اكثر من طعام نمر

وبعد ذلك بساعة جاءوا بموبينا وهي مبرقعة الوجه فازاحت تنوان البرقع عن وجهها فلما رات انها قرب الوحوش الضارية كادت تجن من الرعب فطمأنتها تنوان بما تيسر لها قوله من لطيف الكلام فلم تطمئن وهمت ان تصيح مستغيثة فقال لها تابير انك اذا صحت فتحت قفص النمر

فاطلقته عليك وهو شديد الجوع

ولم تكن تعلم موبينا ما اصاب دبورا ولكنها رات نظرات اولئك المحدقين بها فايقنت انهم متفقون عليها وانها لارجاء لها باحد منهم فاضطجعت مثلهم قرب الوحوش وقد سلمت امرها الى الله

وبعد هنيهة نام الجميع وقد عرفت موبينا بينهم ميشل الخائن

وعند الصباح كانت تتوان اول من استفاق ولم تكن موبينا قد نامت فقالت لها اني انا التي اختطفتك الم تعرفيني

فاصطكت اسنان الفتاة من الرعب وقالت لها كلا

قالت اني ادعى تتوان الم تذكر اسمي امامك الم يحدثك ابوك عني

قالت بماذا يحدثني عنك

قالت ان ابالك اراد اغتصاب اموال اودعتها عنده فابى ان يردها لي فاذا اردت الخروج من ها فادفعي لي اموالي

- لامال لي فكيف ادفع لك

- ان امالك واسع الثروه

- ولكنه مسافر

- ان صرافه في فينا

- وهو غير مفوض بطاعتي

- هو ذاك غير انه متى قرأ الرساله التي ساملها عليك يدفع في الحال ثم اخذت ورقة وقلما فدفعتها الى موبينا وقالت لنا بيرا ان

الوقت غير متسع لدينا فاذا ابت ان تكتب ما امليه عليها فافتح باب القفص

فصاحت موبينا صيحة ذعر وقالت اني اطيع فاملي علي ما تشائين فاملت عليها تلك الرساله التي اطلع عليها مونيتو وبيبي كما تقدم انا قفص الاسد فلم يبق فيه اثر من تلك العجوزة المنكودة

٣٤

وكانت هذه الرسالة قد وصلت الى صراف مونتتو بواطة ميشيل فانه وضعها في مكتبه في مدة غيابه فوجدها دون ان يعلم من جاء بها

واقامت تنوان كل ذلك النهار مع موبينا تتولى حراستها وفي المساء جاء كومك ورجاله الثلاثة للمداولة مع تنوان وكانوا يحملون بأ خطيرا وهو عودة مونيتو

اما تنوان فانها اضطربت اضطرابا عظيما وقالت اعاد مونيتو ومن اين عاد

فقال لها ميشيل من باريس وقد وصل مساء امس فلما علم باختطاف بنته فاخبر البوليس وجعل جميع رجال شرطته يبحثون عنها مع البوليس

وكانت تنوان قد ذعرت لعودة مونيتو وهي تحسبه من الاموات ولكنها تجلدت اخفاء لاضطرابها وقالت لميشيل الم يشتبهوا باحد

قال انهم يتهمون فيليه السردار وقد سمعت مونيتو ويقول لصرافه لقد عرفت التي اختطفت بنتي فهي امراة تدعى تنوان يقد حاولت قتلي بالسم

فتنهدت تنوان وقد علمت انه شرب ضد السم قبل ان تسقيه من خمرها فلم يمت خلافا لليشات فقد قضي عليها دون شك وكذلك بيبي وبوليت

ثم قالت لميشيل الم يقل غير ذلك

قال نعم سمعته يقول ايضا ان هذه المراة لا تستطيع وحدها اختطاف بنتي وخادمتها فلا بد ان تكون قد استعانت بكوماك ورجاله .

قالت الم يطلع على كتاب بنته

— دون شك وقد اوشك ان يجن من فرحه

— اعزم على ان يدفع

— دون شك قد خالف في ذلك صرافه فقد كان من رأيه ارسال الكتاب الى البوليس

وماذا اجابه مونيتو

- ان كنوز الارض لا تعادل بنتي فادفع ما يطلب منك

- اذن لقد جرت الامور وفقا لما نريد

فقال لها كوماك لا ارى الامر كما توهمين فان مونيتو يحب بنته حبا شديدا فهو وسيدفع كل ما يطلب اليه في سبيل افدائها وسنقبض

المال ولكنه بعد ان ترد اليه ابنته يذهب الى ادارة البوليس

قال اني اكون عند ذلك قد برحت فينا فلا خوف علي

قال هو ذلك ولكن يبقى الخوف علينا نحن فاننا نبقى في فينا ويكون اعدامنا شنقا

فقلقت تنوان لقوله وقالت له اذن ماذا عزمت ان تصنع .

قال اني اريد ان ارسل رجلا لايكون من قبيلتنا ليقبض المال

قالت ليكن ولكن اين نجد هذا الرجل

قال لا اعلم بعد ولكن لا زال لدينا يوم وليلة وسنرى ثم تركها وانصرف الى الخمارة فاشرب فيها بضع كاسات حتى جاءه المغني الايطالي اي بيبي

وقد عرف القراء الاتفاق الذي جرى بين كوماك وبيبي فان كوماك كان يخاف ان يتهم باختطاف موبينا فاحب ان يوسع دائرة اعماله كي يظهر للبوليس انه يرتزق من عمله

وكان بيبي قد افترق عنه على ان يرجع اليه ثانية وابنته الصبية الحسناء وقد عاد اليه نيشات بعد ان غير هيئتها فصارت تشبه الايطاليات وكان كوماك قد بلع الشراب منه فلما راى الفتاة صاح صيحة فرح وقد اعجب بها كل الاعجاب وقال بيبي في نفسه انه سكران وفي ذلك تسهيل لمهمتي ثم جلس يشرب واياه ويتداولان للاتفاق على الاجرة وكوماك يكاد يفترس نيشات بنظراته

فلما تم الاتفاق بين الفريقين قال لهم كوماك تعالوا معي فانكم

ستبيتون عندى بعد الاربع ثم قام وهو يتمايل سكرا فدفع ثمن الشراب بسخاء ومشى امامهم فهمس بيبي في اذن نيشان قائلا لا سبيل الى خوفك منه فانه سكران

فلما وصلوا الى ذلك المنزل كان السكر قد بلغ مبلغه من كومالك فالتفت فجأة الى بيبي وقال له لقد اصبت فان ابنتك بارعة بالجمال واريد ان اتزوجها

فتظاهر بيبي بالسرور وقال له احق ما تقول

قال نعم ولا تحسب اني فقير كما تدل عليه ظواهري فساكسب مالا كثيرا بعد ثلاثة ايام

قال من اين تكسب هذا المال

وكان السكر قد اضاع صوابه واعثم لسانه ولكنه تنبه لهذا السؤال وقال له ان هذا لا يعنيك

فقال بيبي في نفسه اني لم اكن مخطئا في ما توقعته فقد ايقنت الان له يدا في اختطاف موينا

اما كومالك فانه فتح بابا وقال لنيشان هو ذا السرير الذي تنامين عليه اما نحن فاننا ننام على ارض هذه الغرفة ثم قال لبيبي الا توافقني على الشراب

قال دون شك فاني اميل اليه ميلك

فملأ كومالك كاسين فشرب وقال لقد قلت لك اني اريد ان اتزوج بنتك

— اليس لك امرأة

— لقد كان لي زوجة ولكنها ماتت

— افراقت ابنتي في عينيك

— بل احببتها

— ان هذا يسرني غير اني ادراك فقير وهي فقيرة

— اذن الا تريد ان تصدق ما قلته لك عن ثروتي ثم نظر الى ما حوله نظره الخائف وقال لقد قلت لك اني ساغدو غنيا بعد ثلاثة ايام

— كيف ذلك

ظهرت عليه علائم التردد ولما رأى ذلك بيبي منه انتزع له كلمة وقال له اذن ابقى على ما كنا عليه فان ابنتي من الساعات بالجمال وستجد لها زوجا يناسب غاية جمالها

— اذا كنت لا تثق بما قلته لك عن ثروتي فساخبرك بكل شيء

— بماذا تريد ان تخبرني

— كيف ساغدو غنيا بعد يومين فاسمع ثم قص عليه بلسان يتلعثم جميع ما جرى له من حين التقى بتنوان الى حين اختطاف موبينا فلما اتم حديثه قال له بيبي لقد اتيت عملا منكرا

قال ان مونيتو الد عدولي

— ولكن ابنته ليست من اعدائك

— هو ذاك غير انها لا خطر عليها عندنا

ـ اتظن

ـ بل اوكد فان جميع رجال القبيلة يخضعون لي انهم الخضوع وقد عرفوا ان من يمسها بسوء لايكون عقابه غير الموت

ـ أعزمت على ردها الى ابيها

ـ متى دفع الفدية

ـ اذن انت تعتمد على هذا المال كي تصبح غنيا

ـ نعم

ـ ولكن هذا المال لا يصل اليك بل الى تلك المراة التي كلمتني عنها وهي ستكافئك على اتعابك بالنذر اليسير مما ستقبضه

فابتسم كوماك وقال اني لم اقل لك كل شيء بعد فاعلم ان هذا المال سيحفظ عندي كما اتفقت مع تابير

ـ على مادا اتفقتما

ـ على ان نقتل تلك المراة صاحبة المال

ـ كيف تقتلونها

ـ ان الامر سهل وهو اننا نلقيها الى الاسد او الى النمر بعد ان يبلغ منهما الجوع

فارتعد بيسي ثم قال اربعة ملايين اني لو كان عندي هذ المبلغ لاقمت في فلورنسا على ضفاف النهر في قصر من المرمر

زوجني بنتك نعيش جميعا في هذا القصر

فابتسم كومالك وقال اني لم اقل لك كل شيء بعد فاعلم ان هذا المال سيحفظ عندي كما اتفقت مع تايير

ـ على ماذا اتفقتما

ـ على ان نقتل تلك المراة صاحبة المال

ـ كيف تقتلونها

ـ ان الامر سهل وهو اننا نلقيها الى الاسد او الى النمر بعد ان يبلغ منهما الجوع

فارتعد بيبي ثم قال اربعة ملايين اني لو كان عندي هذ المبلغ لاقمت في فلورنسا على ضفاف النهر في قصر من المرمر

زوجني بنتك نعش جميعا في هذا القصر

ـــ لقد زوجتك اياها

فقام عند ذلك كومالك يريد الدخول الى غرفة نيشات فقال له بيبي الى اين انت ذاهب قال كيف تسألني هذا السؤال لم نتفق قال لا نتفق الا بعد ان ارى المال

فخطر لكومالك عند ذلك خاطر فقال له اذن ستكون انت الذي يقبض المال ثم مشى خطوة الى الغرفة وكان قد اندلع لسانه لفرط سكره فعثر بالغلام الذي كان مع بيبي فسقط على الارض صريعا من السكر ونام فجعل يغط غطيطا يشبه الزئير

اما بيبي فانه ذهب الى نيشات فقال لها يجب ان تبقي هنا اما انا فاني ذاهب الى مونيتو

٣٥

كانت الضربة التي اصابت مونيتو شديدة لفرط حبه لبنته فضعضع اختطافها حواسه ولكنه كان شديد الصبر فلما زال تاثير هذه الفاجعة الاولى عادت اليه سكينته فقال في نفسه ان تنوان لم تخدعه بنتي الاكي تجعلها ذريعة لقبض المال وهي لا تسيء اليها دون شك وانا قادر على افتدائها بالمال فخفت مصيبته عند ذلك وباتت مطمئنا لانه كان من اعظم رجال الاثراء ثم انه سيتذرع بعد هذه الحادثة الى نيل مصادقة مجلس شوراه على معاقبة تنوان بما يشاء

وكان مونيتو في ذلك اليوم ارسل فارسا الى براغ برسالة منه الى احد رجال مجلس شوراه واقام ينتظر في المنزل الذي كان يقيم فيه بيبي وبوليت والاحدب وهو لا يعلم شيئا من خطة بيبي غير ان بوليت كان يطمأنه ويقول له ان بيبي سيظفر دون شك بتنوان ويحي ابنته كل خطر فيحرق مونيتو الارم من الغيظ ويقول سيكون عقابها هائلا لم يخطر لظلام القرون الوسطى في بال

وفيما هم على ذلك طرق الباب ففتحه بوليت وكان الداخل بيبي فبادره مونيتو بالسؤال عن بنته فقال له انها في قبضة كوماك وانني قادم خصيصا لمباحثتك بشأنها

فاضطرب مونيتو وقال له اعلمك برأيها

قال كلا ولكني عرفت اخبارها فاعلم الان انها على اتم السلامة

ولاني اخشى الغد فيجب ان تنهج منهج امكم

قال ولكني سأدفع المال

قال ان المال لا تقبضه تنوان وان حذري من هذه المرة اشد من حذري من تلك القبيلة

— ولكن ابنتي ان هي الان

— انها في محل لا يجب ان يذهب اليه سوانا للبحث عنها فيه الم تسمع بذلك المحل الذي يعرضون فيه الوحوش الضارية للفرجة قرب ملعب كارلس

فصاح مونيتو صيحة رعب وقال اهي هناك مع الخادمة قال نعم غير انها وحدها فان تلك الخادمة المنكودة قد القوها بين انياب الوحوش خلافا لابنتك فانها امنة كل خطر الا اذا خالفتني فيما امرتك به قال ولكني قد عرفت اين هي الان فاذا اخبرت البوليس طرق ذلك المكان واخرجها منه قال ان ذلك مخطيء فان تاييز مروض الوحوش اذا شعر بقدوم البوليس دفع بنتك الى براثن الاسد فان هؤلاء الناس انما يخدمون انفسهم انتقاما منك اكثر مما يخدمون تنوان وعندي انه يجدر بك ان تصبر الى الاحد وفي ذلك اليوم احضر انا لقبض المال منك فقد انتدبني كوماك لهذه المهمة لاني ازوجه ابنتي نيشات وبعد قبض المال يكون الخطر لاكيد فان تنوان قد تنتقم انتقامها الهائل

غير اني وجدت مخرجا من هذ الخطر اذ فعلتم كلكم ما اقوله لكم

ثم التفت الى مونيتو وقال له اليك سم قاتل

قال دون شك فما تريد ان يصنع به الملك تريد ان تسم الوحوش قال هو ذاك فاسرع واتني به

فانطلق مونيتو مسرعا للاتيان بالسم فقال بيبي لبوليت يجب ان تشتري جوادا فتذهب به الى قرب المكان الموجودة به الوحوش وهناك تقتله بالسم الذى سيحضره مونيتو فتدعه ميتا في مكانه وتنصرف

وبعد هنيهة اقبل مونيتو بزجاجة السم فاخذها بوليت وذهب بها فصدع بما امره به بيبي وعند الصباح وجد تاير بارشاد بيبي الجواد الميت فاسرع الى جره الي مكان الوحوش حيث كانت تتوان وموينا واجار

فلما رات اجار ذلك الجواد فرحت به فرحا عظيما وقالت سيكون للوحوش هذا المساء ما ياكله فقالت تواز لماذا لا اكل الان قالت لانها لا تشتغل الا اذا كانت جائعة

وعند ذلك دخل كوماك فقال لهم مالديكم من الاخبار فاجابته تواز لا شيء سوى اننا ننتظر الغد بفارغ الصبر

وفي ذلك الحين دخل مبشيل وكان قد سمع الحديث فقال لهم ان جزع مونيتو اشد من جزعكم فانه وضع المال في الاكياس منذ اليوم ودفعها الى الصراف فحين ذهابكم اليه يدفع المال

فقال كوماك اذن ساذهب فقال له تاير اتذهب انت قال كلا ولكني سارسل رجلا اوثق به

ثم هم بالانصراف فاوقفه تاير وقال يجب ان نتفق على القسمة

قال سنقف عليها بعد بعض دقائق لهم تلوّن له سبيل الى الخلاف فاني ساعطيكم مائة الف فلورين واتتم اربعة فيصيب كلا منكم خمسة وعشرين الفاً

فقال تابير اذن فلتوقف العمل اليوم اذ يجب علينا ان نهتم بهذا الامر واذا جاءنا احد من المتفرجين نقول له ان الاسد والنمر مريضان

فقالت اجار اذا كان ذلك فلم يبق فائدة من اجاعتها فلنطعمهما الان

وعند ذلك تفرقوا فلم يبق غير تابير والنساء الثلاث فاخذ فاس وقطع به الجواد الميت المسموم حتى اذا اتم تقطيعه بدأ باطعام الاسد فدفع اليه قطعة فاكلها وكذلك بقية الوحوش حتى جاء دور النمر فاخذ القطعة بلهف ثم شمها وابتعد عنها دون ان ياكل منها

فقالت له جار انه اكل كثيرا امس ولا اظنه جائعا

فقطبت توان حاجبيها وقالت انه جائع ولكنه تائق الى لحم الانسان فاصبروا ثم تبودلت بينها وبين اجار نظرة ارتعدت لها فرائص موبينا

وكان الاسد وبقية الوحوش قد نامت بعد الطعام خلافا للنمر فانه كان يدفعه الجوع الى لحم الجواد حتى اذا دنا منه وشمه ابتعد عنه وظهرت عليه علائم الشبع

ومضى على ذلك ساعة كان تابير ينظر من النافذة من حين الى حين متفقدا عودة كومانك الى ان رآه مقبلا فصاح صيحة فرح وقال هوذا قد اقبل ومعه المال

وقد نبهه دخل كومك فقال انه دفع المال على ان يتاجر فما فعله تتوان اذ ظفرت اخبرا باموالي فواطرباة

اما كومك فانه نظر الى الوحوش وقال لتابير ماذا ارى الملك اطعمتها قال نعم ما خلا النمر قال لقد احسنت فانه اشدها افتراسا

فتعشت تتوان وقالت كانه قد علم ما يجول في خاطري

غير ان كومك لم ينظر اليها وقال لتابير لقد اخطات هذه السيدة بتقسيم المال فان نصيبك مائة الف فلوريني لا خمسة وعشرين الفا كما قالت فاحملها الان فانك قوي واقها في قفص النمر

اما تتوان فانها صاحت صيحة هائلة وقد علمت مقاصد اولئك الاشقياء ورجعت منذعرت حتى التصقت بالجدار وجردت خنجرها

فلما مت اجار ولقت ليست هي التي تذهب الى النمر بل ان النمر يذهب اليها فقال لها كومك كلا فاني ارى عندك شاهدين لي موبينا وقد غمي عليها من الرعب فاخاف ان يفترسها

فعلمت تتوان عند ذلك انه قد قضي عليها فهجمت بخنجرها عليهم تريد الفرار منهم ولكنها لم تخطو خطوتين حتى ادركها كومك من وراثها فقبض عليها من وسطها واسرع تابير فجردها من الخنجر وذهبت اجار لتفتح باب القفص فصاحت تتوان صياح الذعر وقالت رحماكم لا تقتلوني هذا القتل الفظيع .. خذوا المال كله واتقوا علي غير ان كومك لم يكترث لصياحها فحملها وقال لتابير يجب ان تنتهي منها ثم دفعها الى قفص النمر واغلق بابه

واما بيبي فانه اسرع الى القفص وفتح بابه واخرج موبيتو عاد الى تنوان وهي ضائعة الرشاد مما اصابها من الرعب فنزع شعره المستعار وقال لها ضاحكا اعرفتني الان

فاصابكت اصابها من الرعب وقالت بيبي

قال نعم فان الذين تقتلينهم لا يموتون وانك قد نجوت من هذه مرارا اما هذه المرة فلا مطمع بالنجاة

وبعد ساعة كان الجنود يقودون سيئ مركبة كوماك وعصابته ومركبة اخرى تقود تنوان حتى اذا وصلوا بهم الى السجن اخرجوهم من المركبة اليه فلما جاء دور تنوان دنا موبيتو من صديقه رئيس البوليس وقال له ان هذه المرأة نورية من اتباعي فالملك ان تسلمني اياها طبقة الامتيازات الممنوحة لنا فلم يعترضه الرئيس

وعند ذلك دنا بيبي من تنوان وهمس في اذنها قائلا كان خيرا لك لو افترسك النمر

٣٧

وفي اليوم التالي كانت مركبة بريد ضخمة يجرها اربعة جياد سائرة بطريق براغ يحفها عشرة فرسان وفي هذه المركبة موبيتو ملك النور وبيبي وولايت وبنوات الاحدب ونيشات وتنوان وقد سار بهذه المركبة يومين وليله لا تقف بهم الا حين تغيير الجياد وهي مسدلة الستائر بحيث لا يرى من فيها شيئا من الخارج فكانهم في سجن

ولم تكن تنوان قد فاهت بكلمة في مدة هذا السفر حتى انتهوا من

اما تنوان فانها صاحت صيحة هائلة ثم اغمضت عينيها وهي تتوقع أن يمزقها النمر غير ان النمر لم يمسها ولم يكترث بها على فرط جوعه فانه كان ينظر بعينين تتقدان الى موينا وهي ملقية خارج القفص مغميا عليها

فقال تابير وقد ذهل لما راه يظهر ان النمر غير جائع او انه مريض فلم يمسه اجار كلا ولكنكم اذا شئتم ان تهيجوا فيه قابليه الاكل فادفعوا له موينا فانه طامع فيها فاعترضها كوماك وقال كلا لا اريد قال اذن فهو لا ياكل هذه العجوز لان قابليته قد انصرفت الى الفتاة

وعند ذلك تداخل تابير فقال له بلطف اننا قبضنا المال وية فائدة لنا من ابقاء على هذه الفتاة بعد ان وقفت على اسرارنا وفوق ذلك اليست هي ابنة عدو لنا فكيف تشفق عليها هذا الاشفاق فاقتنع كوماك وقال له عملوا ما تشاءون فاحتملت اجار عند ذلك تلك الفتاة المنكودة وهي ضائعة الرشاد والقتها في القفص فوثب النمر عليها واثبة هائلة والقى رأسه فوق صدرها ولكنه قبل ان ينشب فيها انيابه سمع دوى هائل وسقط النمر مخضبا بدمائه ذلك ان رصاصة اصابته بين عينيه فسقط قتيلا

وفي الحال دخل رجل وبيده المسدس لا يزال الدخان خارجا منه وكان هذا الرجل بيبي

اما كوماك وعصابته فقد ذعروا ذعرا شديدا فاصدر امره بالفرار ولكن تابير اجابه قائلا لقد فات الاوان وادركنا البوليس وذلك ان عشرين جنديا دخلوا في اثر بيبي وقبضوا على العصابة

الطريق التي تسير فيها المركبة فوقفت هناك وخرج منها فراي مونيتو من فيها انهم في واد فسيح امامه جبل شامخ

وكان مونيتو يظهر في فينا بمظاهر التجار وما في جبال بوهيميا فكان يظهر بمظاهر الملوك فلا نادوه الا بلقب الجلالة فلما خرج من المركبة قال لبيبي انك لا تعلم دون شك اين انت الان ولكنك ستعلم بعد سير نصف ساعة قال لا تقول لنا ان نحن الان

قال لا استطيع ان ذلك من اسرارنا التي لا تباح ولكني سأذهب بكم الى المحل الذي نضع فيه كنوزنا ولا يجب ان يعلم احد غيرنا موضع هذه الكنوز ولذلك سأعصب عيونكم مدة سيرنا الى ان نصل فتفتحوها على ما يدهش الابصار قال ما شاء لك وما تريد

وعند ذلك خرج الجميع من المركبة فامر مونيتو الفرسان ان يعصبوا عيونهم فعصبوها ما خلا تيوان فقد قال مونيتو لا فائدة من عصب عينيه فانا لا نخشى خيانته

وعند ذلك امر بالمسير فاخذ كل فارس ذراع واحد منهم وساروا وما زالوا يمشون حتى شعروا ان الهواء قد تغير فعلموا انهم يدورون في سرداب فاستمروا في ذلك السرداب بضع خطوات حتى امر مونيتو برفع العصابات عن عيونهم فرأوا انوارا متلالئة تخطف الابصار وبدأوا نفسهم في مغارة تحت الارض فوضع مونيتو يده على كتف بيبي وقال له ماذا ترى ايها الصديق

قال اراني من الحالمين قال صبرا سوف ترى فوق ما رايت ثم

صدر وسره باللغة الوريه وطمئنا انوريي لحال وعاد ظلام المغارة

وعندذلك سمع بيبي صرير مفاتيح في اقفال فاخذ مونيتو بيد بيبي وقال له سر معي دون خوف وفعل الحراس بالاخرين كما فعل مونيتو بيبي وساروا جميعهم في الظلام ولكن سيرهم لم يطل هذه المرة فامرهم مونيتو بالوقوف واثار و مشعلا فظهر لهم على نوره الضعيف دهليزا اخرفقال لهم مونيتو انتما الان على عمق مائة قدم تحت الارض

فجعل بيبي يفحص ما يقع عليه بصره فراى شيئا على شكل صندوق يبلغ ارتفاعه اربعة اقدام وهو مغطى بقماش اسود فلم يعرف ماهو وقد رامى حواليه من كل جهاته صناديق من الحديد فاخذ مونيتو مفتاحا كان معلقا في سلسلة في عنقه وجعل يفتح به تلك الصناديق حتى اذا تم فتحها امر باضاءة المشاعل كلها فسطعت الانوار وظهر ما كان في هذه الصناديق من سبائك الذهب الوهاج والاحجار الكريمة النادرة الوجود مما لا يحيط به وصف فقال مونيتو عند ذلك لبيبي هذا هو كنز النور المؤتمن عليه لم اقل لك ان كنزنا اعظم من كنوز الامبراطور

فقال له بيبي ولكن ما هذا الهيكل المغطى بالغطاء الاسود فابتسم مونيتو وقال انك كثير التسرع ايها الصديق

أما نتوان فانها عرفته لانها حولت نظرها عنه وجعلت فرائصها ترتعد واما نيشات فانها دهشت مما راته من هذه الاموال والكنوز المدفونة فقالت لبوليت اني ما تمنيت ان تكون هذه الكنوز لي الا لابذلها في سبيل مصالحتك وقال بيبي لمونيتو ولكن ماذا ننتظر الان قال انا ننتظر

ضحايا توان ثم اشار اشارة الى الحراس فتقدموا عليها وكبلوها بالقيود لما اتموا تقييدها سمعوا صوت وقع اقدام في المغارة فذكر بيبي ان مونيتو واعدد غوبير واورور ولوسيان مقبلة على الاجتماع في براغ ثم فتح باب في المغارة فظهرت منه اورور وحنة وداغوبير ولوسيان فاستقبلهم مونيتو الى اسماكهم المغارة فنهم عصبوا عيونهم كي لا تروا مدخل المغارة فابتسمت ورور وقالت نعم ولكنا رأينا كثيرا من عجائبها فقال لهم اتعرفون هذه المرأة واشار الى توان فاجابه لوسيان انها كانت خادمة غرفة عندما فقال ماذا تدعى قال توان قال هي التي سرقتكم قال نعم فانها سرقت صندوقا يحتوي على ثروة امرأة وبنتها قال كم تقدر هذه الثروة قال لا اعلم قال ان توان اودعت عندي عشرين مليونا وها هي موضوعة في هذا الصندوق ثم دلهم على صندوق كان مكتوبا عليه (مدينة المواطنة توان) وقال لهم ان هذا الصندوق سيرسل الى براغ وعند عودتكم اليها تجدونه في الفندق الذي تقيمون فيه

وكانت توان مقيدة اليدين والرجلين وملقية على الارض فاشفقت عليها اورور وقالت لمونيتو ماذا عزمت ان تصنع بهذه المرأة قال اصغي الي يا سيداتي : ان هذه القبيلة التي اتولى رئاستها قد عرفت بالامانة والوفاء حتى نالت احترام الشعوب وتولت ملوك اوربا حمايتها . .

ولا شيء يروعنا مثل السرقة والخيانة ولذلك وضعنا قانوننا السري بندا يقضي بالاعدام على رجل سارق وخائن منا ولم يتفق لنا في مدة ستين عاما اننا عاقبنا غير اثنين من ابناء القبيلة حكمنا بالمجرم الى هنا

وعند ذلك رفع مونيتو الغطاء الاسود فانكشف ما تحته وصاح الناظرون صيحة ذعر فانه كان شخصا من الحديد وفي داخله جثتان لم يبق منهما غير العظام وعاد مونيتو الى الحديث فقال ان احدى الجثتين جثة امرة كانت بارعة في الجمال فاحبها احد رؤساء قبيلتنا

فوقفت منه على سر هذا الكنز فدخلت اليه وحازت ما تسرقه فكان عشيقها من الذين حكموا عليها واما الجثة الثانية فهي جثة احد زعمائنا وقد عوقب هذا العقاب لانه حاول ان يبوح بسر ارتكاب الملك بافاريا فحبس في هذا القفص بعد ان سجنت به المرأة بيامين ومات جوعا وقد بقيت جثتها البالية

وعند ذلك اشار مونيتو اشارة سرية الى رجلين كانا بقربه ففتح احدهما باب القفص وحل الاخر قيود تنوان فادخلها الى القفص واقفل بابه

اما مونيتو فانه فتح جميع الخزائن ووضع امامها المشاعل كي يبدو الذهب لنظر تنوان كيفما نظرت وقال لها انك احببت الذهب فليكن الذهب عقابك . انك ستموتين وانت ناظرة الى هذه الحجارة الكريمة فبينما يمض الجوع معدتك يخطف شعاع الذهب بصرك الوداع يا تنوان لقد قضت عليك قبيلتك التي دنست شرفها بسرقة المال ان تموتي جوعا فموتي وانت ناظرة الى المال . . . . . .

وعند الفجر كانت مركبتان تجتازان مضيق براغ وكان في احداهما الجنرال داغوبير واودور وبيي والاخرى في ثانية لوسيان وحنة وبوليت ونيشات فكانت حنة تقول لقد خيل لي اني كنت حالمة ثم نظرت الى نيشات فاطرقت نيشات بعينيها الى الحياء ولم تستطع ان تلاقي نظراتها

فاخذت عنه يدها وقالت لها انها مرغمة بانت هي تلك الفتاة التي كان تكرهها وكان اسمها البرنسة ونحن لم نستطع ان نصفح عن تنون فان امرها كان منوطا بملك قبيلتها ولكننا نصفح عنك بملء الرضى اذا رضيت ان تتنازلي عن كرهها

فاسترسلت نيشات على البكاء وركعت امام فتنة فجعلت تقبل يدها وتغسلها بدموعها فنهضتها فتنة وقالت لها يسرني ان امرأ سورة التوبة والندم بين عينيك واذ عاهدتني على ان تكوني طاهرة القلب شريفة الاخلاق احببتك واحببتك لحقي وكنت معنا في كل حين

ولنعد الان الى المحامي . فقد تركناه وقد دخل الى القاعة قصر كريتشن ورأى ذلك الرسم الذي يمثل روبسبير والفتاة راكعة امامه وهو اي المحامي واقف وراء روبسبير فحاول الفرار لما تراءى له من الخطر ولكنه رأى ان الباب قد فتح ودخل منه اثنان

وقد كان الداخلان كريتشن ورجل معها يناهز الثلاثين من العمر فتقدما من المحامي وقالت كريتشن للرجل الذي يصحبها انها البرنس هوذا الرجل الذي جعلني بقبضة فان روبسبير اشفق علي ولكن قلب هذا الرجل لم يعرف الرحمة : ان روبسبير كان متعصبا غير انه كان له معتقد سياسي اما هذا الرجل فلا معتقد له ولا دين فاذكر ايها البرنس تلك حين احببتني وسألتني الزواج بك ورضيت بزواجك على شرط ان تنتقم لي فاجابها البرنس اني لست من الناكثين

اما المحامي فقد علم انه وقع في الشرك ولكنه تشجع وقال لا تنكر

على ا ساعدت معاصيه الفظاعة لاعدام ايام ثورة ولكني قد فعلت ما وجب عي نحو جمهوري وانت يا سيدي يحق لك تقلني بعد ان وقعت في الفخ الذي نصبته لي غير انه لا يحق لك اهانتي فابتسمت كريستين بتسامة شفت عن احتقارها وقالت له أني لا اقتلك ولكني ا ادلك الى وحي البرنس رئيس حاكم هذه المقاطعه قال اذن هاتوا الجلادين هاتوا القتلة فاني مستعد للموت فاجابه البرنس بروود انك مخطيء بتوهمك انا لا نريد قتلك قال ماذا تريدون مني قال سوف تعلم وعند ذلك صفق بيديه فتح باب القاعة ودخل اربعة جنود نمساوية فقال البرنس للمحقق انك لست الان في قصر بل انت في قلعة حولت الى سجن هذا السجن مستودع يقيم فيه السجين موقتا الى حين يمر المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة في سيبلبرج فيرمعهم وهم يمرون مرة كل اسبوع

فوز المحمي كتفيه وقال انك تستطيع قتلي اذا شئت واما ان ترسلني الى سيبلبرج فلا قال لماذا قال لاني فرنساوي واحد النواب منتخبين لمجلس الجمهورية بي قال ان الجنود سيذهبون بك الان الى السجن المعد لك وسترى ثم اشارة اشارة الى الجنود فهموا بالقبض عليه غير انه صدهم وقال لهم بملء الكبرياء لا اسمح لاحد منكم ان يمتد مني فسيروا امامي انا اتبعكم فساروا به في رواق طويل انتهوا منه الى غرفة صغيرة مظلمة فيها مقعد من الخشب وكرسي عليه كوز ماء وقطعة من الخبز الاسود فادخلوه اليها وخرجوا واقفلوا الباب فكاد المحمي عند ذ يجن من غيظه فجعل يضرب الباب يريد كسره ويشتم اقبح الشتائم

المؤبدة وركبه وانصرف فانطرح المحامي على المقعد الخشبي
قوه واتقن انه قضي عليه القضاء المبرم

وعند ذلك فتح الباب ودخل رجل عرف من شكل ملابسه انه ماموو
السجن فقال له ماذا تريد قال اريد أن اعلم باي حق سجنوني هنا قال
انهم سجنوك هنا الى ان يمر المحكوم عليهم بالاشغال في سيلا برج قال من
هم قال هم فريق من العملة واللصوص ياتون بهم من سجن تريستا
بعد صدور الحكم عليهم بالاشغال المؤبدة فصاح المحامي صيحة ذعر وقال
اري انك لا تعرف من انا قال كف لا اعرفك فانك المدعو كوراد
هوزر حكم عليك بالاشغال الشاقة المؤبدة وسمت سيء كنتفك فهاج
غضبه وقال كذبت انا انا موسيو مارلا اعم ولكن كتاب السجن
يثبت ذلك فاخذ المحامي ينزع ملابسه عن جسمه حتى نزع قميصه فقال
له تعال وانظر انها الشقي اذا كنت موسوما قال اري انك قد نقدت
صوابك ثم دفع له مرآة صغيرة معلقة بالجدار وقال له انظر اذ انظر
المحامي في المرآة ثم تراجع منذعرا فقد راى على كتفه تلك السمة
النمساوية التي يوسم بها كبار المجرمين وهي نسر اسود باسط جناحيه

وكانت كريتش قد وضعه حين كان في منزله في فيينا وسنته لمخدمه
دون ان يعلم فقال له ماموو السجن ارايت لان انك موسوم وانك
كونار المجرم الهارب من سجن تريستا فضاع صوت المحامي وقال كل
ذلك زور فقال له المعو باطل ليس ذلك من شاني فقد اتيت لاتو
لك صورة الحكم عليك فاسمع ثم تلا عليه الحكم وهو الاشغال شاقة

وفي اليوم الثاني لسجنه مر المحكوم عليهم بالاشغال المؤبدة فقيدوه بسلاسل الحديد وارسلوه معهم الى سيلبرج باسم ونراد هرزد عندما ادخلوه الى مركبة المجرمين كان كريتشن راقدة في مشرف تنظر اليه وتبتسم وقد شغف غراما بالانتقام

وبعد ذلك ببضعة اعوام دخل نابوليون الاول فينا دخول الفاتح الظافر فجاءه رجل من ندمائه سيلبرج بيضت شعره الاحزان فسأله نابوليون عن حاله فاجابه بانه يدعى المحامي د. وقد كانوا له كبيرة هم وهو في سجن باسم غير اسمه فاعتنى نابوليون الى شكواه غير ان احد ضباط نابوليس جاءه بسجل الوفيات وقرأ فيه ان المحامي د. احد نواب الشعب الفرنساوي مات في فينا

وكانت كريتشن قد احتاطت لذلك فسجلت اسمه رسمياً في سجل الاموات فلم يسع نابوليون الاعتراض بعد هذا البرهان الجلي فقرر انه مجنون وامر بارساله الى مستشفى المجانين حيث مات فيه اشقى موت

وفي اليوم التالي للامر الذي اصدره الفنصل الاول وهو نابوليون بعاة فتح الكنائس كان الاب جيروم اول من احتفل باقامة الصلاة في انفرام بحفاة حضرها جميع اهل تلك القرية

فبعد ان انتهت الصلاة وتفرق الناس بدأت صلوة اخرى وهي صلاة زفاف

وكان الذي حضر هذه الصلاة الجنرال داغوبير وامراته اورور والكونت لوسيان دي مازير وامرأته وبيي وبنرات الاحدب اما العروسان فقد كانا بوليت ونيشات تمت رواية العقاب الهائل